

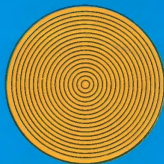
بوب وودورد

الجبَابِ VEIL

الحُرُوبُ الخَفِيَّةُ
لوكالتر

المخابرات المركزية الاميركية

CIA



دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الحرف

للطباعة والنشر والتوزيع

بوب وودورد

الحجاب VEIL

الحروب الخفية
لوكالة
المخابرات المركزية الاميركية

CIA

1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26



شخصيات الكتاب

مدير المخابرات المركزية فترة وجوده في الوظيفة
وليم ج. كايسي ١٩٨١/١/٢٨ - ١٩٨٧/١/٢٩

نائب مدير المخابرات المركزية
روبرت ر. افغان ١٩٨١/٢/١٢ - ١٩٨١/٦/١٠
جون ن. مكماهون ١٩٨١/٦/١٠ - ١٩٨٦/٣/٢٩
روبرت م. غايتس نيسان ١٩٨٧.

مدير العمليات في وكالة المخابرات المركزية
ماكس س. هوغل ١٩٨١/٥/١١ - ١٩٨١/٧/١٤
جون هـ. شتان تموز ١٩٨١ - حزيران ١٩٨٤
كلير جورج حزيران ١٩٨٤ -

المستشار العام لوكالة المخابرات المركزية
ستافلي سيوركين ١٩٨١/٥/١٨ - ١٩٨٦/٢/٧

مدراء سابقون لوكالة المخابرات المركزية
ريتشارد هلمز ١٩٦٦/٦/٣٠ - ١٩٧٣/٢/٢
جيمس شليستغر ١٩٧٣/٢/٢ - ١٩٧٣/٧/٢
وليم كولبي ١٩٧٣/٩/٤ - ١٩٧٦/١/٣٠
جورج بوش ١٩٧٦/١/٣٠ - ١٩٧٧/١/٢٠
ستانسفيلد تورنر ١٩٧٧/٣/٩ - ١٩٨١/١/٢٠

رئيس الولايات المتحدة
رونالد ريغان ١٩٨١/١/٢٠

مستشار الأمن القومي
ريتشارد آلن ١٩٨١/١/٢١ - ١٩٨٢/١/٤

وليم كلارك ١٩٨٢/١/٤ - ١٩٨٣/١٠/١٧
روبرت مكفرلين ١٩٨٣/١٠/١٧ - ١٩٨٥/١٢/٤
جون بواندكستر ١٩٨٥/١٢/٤ - ١٩٨٦/١٠/٢٥
فرانك كارلوتشي ١٩٨٧/١/٢ -

تمهيد

عند الساعة السابعة من يوم الخميس ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٠ أيقظ منبه الساعة الأميرال ستانسفيلد تورنر مدير المخابرات المركزية الأميركية. كان يكره أن يستيقظ باكراً. وكان ذلك هو اليوم ٣٨٣ على أزمة الرهائن الأميركية في إيران التي أطاحت برئاسة جيمي كارتر الشهر الفائت، وكان على تورنر أن يقدم إنجازاً للرئيس المنتخب ريغان في النهار نفسه.

منذ مطلع السنة كان قد وضع حرس لمدة ٢٤ ساعة يومياً على الطابق الأرضي لمنزل تورنر وذلك لعدة أسابيع بعدما كان مكتب التحقيق الفدرالي قد ألقي القبض على بعض الإيرانيين مسلحين ببنادق متطورة في إحدى ضواحي واشنطن. ثم ألقي الحرس بعدها وأصبح البيت هادئاً. كان تورنر أميراً متقاعداً في البحرية وبلغ السادسة والخمسين من العمر وهو محل أنظمة ومن المفكرين البحريين المعترين وخريج مدرسة رودز. واعتمد في تفكيره على النظر إلى المسائل الأكثر أهمية، إلا أنه كان رجلاً انفعالياً. وهو الآن ينتقل من قبضة رئيس إلى قبضة آخر، ويتباه شعور متناقض حول الفترة الانتقالية.

أولاً كان عليه أن يحسب بدقة متى وكيف يمكنه تمرير الأسرار الهامة للرئيس ريغان وخاصة حول عمليات التفجير والعمليات الخطرة وتقنيات التجسس المعقدة التي كان على الرئيس المنتخب أن يفهمها جيداً. وكان هذا الكلام هو آخر ما لم ينسرب إلى وسائل الإعلام أو إلى الجواسيس السوفيات. إن إنشاء هذه المعلومات يكون عادة بين رجل ورجل وبينها فقط، وذلك بانتظار أن يعين الرئيس ريغان الأشخاص الذين يضع ثقته فيهم. ولم يكن باستطاعة تورنر أن يفشي هذه الأسرار أمام السياسيين الطفيليين الذين حضروا الإيجازين الماضيين و ينتظر حضورهم في إيجاز اليوم. وكان عليه أن يشرح للرئيس المنتخب إحدى أكثر العمليات سرية إذ إن حياة أكثر من مائة شخص كانت في خطر محتم.

وكان عليه أن يجذب انتباه ريغان إلى المسائل الفلسفية في عمل المخابرات وهي فرص وأخطار التجسس والعمليات الخفية، وفي هذا المجال يدع الرئيس يقدم على الخيار المناسب. وأراد هذه المرة أن يُحَسِّن من نوعية الإيجاز، ففي الإيجازات السابقة كان اهتمام ريغان شكلياً ويصعب التأثير فيه وكان يتمتع برشاقة وخفة ويلوح بيديه ضارباً بعرض الحائط مشاكل العالم

مساعدو الرئيس

جيمس باكر رئيس الأركان ١٩٨١/١/٢١ - ١٩٨٥/٢/٢٢
أدوين ميز مستشار ١٩٨١/١/٢١ - ١٩٨٥/٢/٢٤
مايكل ديفر نائب رئيس الأركان ١٩٨١/١/٢١ - ١٩٨٥/٥/١٠
دونالد ريغان رئيس الأركان ١٩٨٥/٢/٤ - ١٩٨٧/٢/٢٧

وزير الخارجية

ألكسندر هيف ١٩٨١/١/٢٢ - ١٩٨٢/٦/٢٥
جورج شولتز ١٩٨٢/٧/١٦ -

معاون وزير الخارجية للشؤون الأميركية

توماس أندروز ١٩٨١/٦/٢٣ - ١٩٨٣/٦/٢٧
أنطوني (طوني) موتلي ١٩٨٣/٧/١٢ - ١٩٨٥/٧/٣
ألبيوت أبرامز ١٩٨٥/٧/١٧ -

وزير الدفاع

كاسبار وينبرغر ١٩٨١/١/٢١ -

لجنة استخبارات مجلس الشيوخ

باري غولدووتر رئيس اللجنة ١٩٨١ - ١٩٨٥
ديفيد دورنبرغر رئيس اللجنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦
دانيل مونيهان نائب رئيس اللجنة ١٩٨١ - ١٩٨٤
باتريك ليهي نائب رئيس اللجنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦

التي يزيلها بضحكة منه، وهذا ما يتشأن مع مبدأ المحافظين الأمريكيين وتقاليدهم هوليود. ما هذا التباين الواضح؟ غالباً ما كان تورنر يخوض مناقشات مع كارتر. وكلما تعرف أكثر إلى ريفان شكك في عمق تفكيره ووصفه في مجالسه الخاصة بـ «الغبي».

إن آخر ما كان يتم به تورنر هو مستقبله الشخصي، وقد أبدى رغبة في البقاء مديراً للمخابرات المركزية. أما ريفان والقاعدة الجمهورية فقد اتهموا كارتر بأنه أعاق عمل وكالة المخابرات المركزية وجعل من الصعب عليها القيام بعمليات تجسس فعالة. وتداول الجمهوريون فيما بينهم أنَّ تورنر نجاب مع حلة الرئيس كارتر لحقوق الإنسان، وكان أيضاً شغوفاً بأحدث ما توصلت إليه الأقمار الاصطناعية والتقنيات الإلكترونية التي كان العمل في مجالها نظيفاً وأمناً ولا يفرض القيام بأية مجازفة. واستعمل الجمهوريون تعبير «الوهن» حول نشاط الوكالة. واعتقد تورنر أنَّ بإمكانه أن يرد بالحقبة والإقناع إذا ما أصغى الرئيس ريفان إليه فقد قامت الوكالة بعمليات يمكنها أن تتورر الرئيس. وأخير تورنر كبار معاونيه أنَّ ريفان لا يريد تسييس المخابرات التي تسير على الطريق المستقيم. وسخر معاونوه عندما قال إنه لم ينته. حتى إنَّ صديقه القديم النقيب البحري المتقاعد هيرب هتير - وهو رئيس قسم الشؤون العامة في الوكالة - اعتقد بأنَّ تورنر يحتاج إلى أن يعرف الحقيقة بشكل أوضح. وقال له إنَّ من المستحيل أن يبقوه في مركزه لأنَّهم أمضوا الحملة الانتخابية وهم يشبهون بعمل الوكالة. قبيل الانتخابات الرئاسية جمع تورنر خمسة عشر من كبار معاونيه في حلقة دراسية في كامب بيرى وهي مؤسسة التدريب السرية للوكالة في ريف ولاية فيرجينيا. وكان يميل إلى المزاح عندما أجرى استفتاء سريعاً كانت نتيجته كوكع الماء الملج على الوجه، وذلك عندما كُتِبَتْ على اللوح: ريفان ١٣ وكارتر ٢. وتغنَّى ذلك النتيجة النهائية فيها بعد وهي: ريفان ٤٨٩ وكارتر ٤٤.

كان صباح اليوم التالي للانتخابات سيئاً فقد انكشفت اللعبة داخل مبنى الوكالة في لانغلي واحتفل عناصر الوكالة بانتصار ريفان مثلما احتفل بيوم التحرير في باريس! بعدما أخذ حمامه، ارتدى تورنر ثيابه وجلس ليقرأ يضع دقائق في مجلة دروس تعليم المسيحية الأسبوعية، فهي الفرصة الوحيدة أمامه للقراءة أثناء النهار. كان يؤمن بأنَّ عقله وروحته يتفرغان من العقيدة المسيحية. وكان موضوع درس الأحد: قل لمرضاك أن يستيقظ، وأزح نظرتة عن أخطائه الحواس وانظر إلى داخل الإنسان. هكذا قالت الرسالة. كان تورنر مطيعاً للتعاليم الدينية وهي نقطة غير جيدة في رئيس أكبر وأعقد جهاز استخبارات في العالم. إلا أنَّه شهد قوة هذه التعاليم فقد عاشت والذته مرحلة العشرينات وحيدة عندما خسر والده كل ماله في البورصة ثم عاش وحيداً. وبعدهم توفي شقيقه الوحيد في حادث سيارة، انغمس تورنر في التدخين ليعالج الآلام والمسا، ووضع خطاً آخر بقلمه على عبارة: تجارب ومعجزات العناية الإلهية.

نزل الرجل الضخم على الدرج لتناول طعام الفطور وشعره الرمادي يتدل ويتهايل على جبهته من كثرة تحركه.

عيناه زرقاوان فاتحتان وابتسامته قصيرة مشعة، وبدا كعضو نادي الروتاري الذي تتوقع منه أن يكون أيّاً كان عدا أن يكون مديراً للمخابرات المركزية.

على مائدة الفطور شرب العصير والماء الساخن مع الليمون لأنَّ تعاليم المسيحية تقضي بعدم تناول المنبهات ولا حتى القهوة، وكان لا يجب حتى الأيس كريم على قهوة. ظهرت أمامه صحيفة واشنطن بوست وقد كتب في أحد عناوينها: تمَّ اختيار وليم كايبي مديراً للمخابرات المركزية.

تناول تورنر الصحيفة بسرعة ولم يكن قد سمع أو ظن أنَّ هناك احتمالاً بتغييره. وكان كايبي هذا، وليم كايبي، الذي يبلغ السابعة والستين من العمر مدير الحملة الانتخابية لريفان. ورأى تورنر أنَّ هذا الاختيار خاطئ، تماماً وأنه خطوة إلى الوراء. ففي السابق اختار ريتشارد نيكسون مدير حملته الانتخابية جون ميتشل وزيراً للعدل فهل أصبحت المخابرات من ضمن الوظائف السياسية؟ ثم قرأ تورنر: كايبي عمل في مكتب الخدمات الاستراتيجية، وهو المؤسسة السابقة لوكالة المخابرات المركزية، وذلك خلال الحرب العالمية الثانية. وعلى حد اعتقاد تورنر كان هذا المكتب قديم العهد بأساليبه واستمر في الوكالة من تبقى من عناصره وسببوا لها المشاكل. وكان هؤلاء بعض العاملين في «زمرة الإخوة». وفي أثناء الأزمة مع البيت الأبيض والكونغرس استطاعت زمرة الإخوة أن تصمد كما صمدت خلال التحقيقات التي أجريت حول عمل الوكالة في أواسط السبعينات. واستمر هؤلاء المحاربون القدامى لأنَّ هناك حاجة إليهم، فقد احتاجهم كل رئيس جمهورية وكل مدير شغابرات مركزية وكانوا عبارة عن عملاء سرّيين قاموا بأعمال قذرة وشكلوا فيها بينهم رابطة لا تجتمع! وكانوا مطلقي الولاء لبعضهم البعض ومنعدين في مشاريعهم السريّة، وهم صنف من الناس يستطيع العيش في بيئة تعطي المكافأة فيها بشكل سرّي. وشكلوا مصدر قوة وضعف للوكالة في آن معاً. وهما هو أحد «الأخوة» يظهر من الخلف كما قالت واشنطن بوست التي أضافت أنَّ كايبي كان يزرع الجواسيس خلف خطوط الألمان خلال الحرب العالمية الثانية أي منذ خمس وثلاثين سنة.

كان تورنر قد توقع أن يكونوا لائقين معه وذلك بإبلاغه أنَّه سيرك منصبه وسيعين بديل عنه قبل أن تعلم الصحافة بذلك، وما نشر يمكن أن يكون بالون اختبار أو خطأ تماماً. وحتى بدء الحملة الانتخابية لم يكن قد سمع بوليم كايبي، والجدير بالذكر أن ريفان أعلن في مؤتمره الصحافي الأول بعد انتخابه، أي قبل أسبوعين، أنَّ كايبي سيمود إلى مكتبه كمحام.

عززت إقالة تورنر من اعتقاده بأنَّه قاد الوكالة في فترة السبعينات المظلمة، وتمثلت في

مرحلة ما بعد الحرب الفيتنامية وفضيحة واترغيت وتحقيقات الكونغرس التي امتدت إلى أسرار الوكالة والخطط التي كانت موضوعاً لغتيال زعماء أجنبية، وخزن كميات من المواد السامة المحظورة بموجب قرار رئاسي، وفتح الرسائل السرية والاطلاع عليها والتجسس على الأميركيين المعارضين للحرب الفيتنامية. لقد نقل الوكالة من عصر الكاوبوي، وواجه ثقافة متغلقة ومتكتمة. وأظهر أنه يمكن العمل بفعالية في ظل الإصلاحات التي تطلبت حساب إمكانية مواجهة الكونغرس حتى في أكثر العمليات سرية ودقة.

إن عمليات الوكالة أصبحت سليمة وتمتعت بدعم الكونغرس. واعتقد تورنر بأنه لو حظي عناصر المخابرات بالتفهم اللازم لاستطاعوا نيل إعجاب الرئيس ريغان والشعب الأمريكي.

قبل شهر من الانتخابات، أخذ تورنر إجازة لمدة أسبوع من الروتين اليومي واستغلها في كتابة تقرير عن خدماته خلال السنوات الأربع الماضية وخطة عمله للسنوات الأربع القادمة. وفي ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٠ وقع تورنر شخصياً ذلك المشروع «السري جداً»، المؤلف من سبع صفحات وعنوانه «الأهداف والملاحظات». كان تورنر قد واجه متاعب في مراقبة «الكاوبوي» و«زمرة الإخوة» ولكنه استطاع التغلب عليهم وفرّ معظمهم. وظهرت فيما بعد مشكلة كبرى وهي أن الوكالة وثّرت الأعصاب من جراء الجبن الذي انتاب إدارة العمليات والتجسس والتخفيف الذي حكم قواعد عمل الوكالة في الخارج. ولم تنفذ أية أعمال خفية إلا بعد قرار من الرئيس بالتدخل في شؤون الدول الأخرى.

وكان تورنر قد اقترح أعمالاً خفية في عدة مناسبات، إلا أنه جوبه بالرفض. وفي إحدى المرات، أخذ على عاتقه - دون استشارة البيت الأبيض - توجيه رسالة إلى مدير عمليات الوكالة يطلب منه النظر في ما يمكن فعله للإطاحة بثلاثة زعماء كانوا يثيرون المتاعب للمصالح الأمريكية، وهم: الرئيس الكوبي فيدل كاسترو والزعيم الإيراني آية الله الخميني والزعيم الليبي معمر القذافي. وكان جواب مدير العمليات لا يوجد معارضة سياسية فعالة في هذه البلدان وأن الوكالة لا تعلم الكثير كي تدعم حركة سياسية أو حزباً أو زعيماً معارضاً. وكان تورنر يسعى إلى البحث عن يمكن دعمه مالياً من مجموعات وأحزاب أو زعماء داخل تلك البلاد. أما الغتيال فقد اشتُرط فيه موافقة الرئيس خطياً، وكان هذا قراراً أصدره الرئيس فورد وسار عليه الرئيس كارتر. ووافق تورنر على الشرط بشكل عام ولكن بعض العاملين تخوفوا من أن يمضي بهم إلى طريق خطر. وفوجئ تورنر بهذا التفوق من معاونيه الذين كانوا غير مرتاحين للتدخل في شؤون البلدان الأخرى مع أن هذا كان من صلب عملهم. صحح أن بعض المبالغ المالية قدمت لقوات معادية للخميني خارج إيران إلا أن ذلك كان من وجهة نظر البيت الأبيض عقاباً للخميني وإقامة اتصال مع الثورة المضادة.

كما اقترح تورنر على إدارة العمليات أن تبحث عن زعيم سياسي معتدل وتدعمه في غواتيمالا وأن تدرج بعض الغواتيماليين في جدول رواتب الوكالة؛ وكان العنف السياسي يسود غواتيمالا التي اعتبرت عنصر توازن في أميركا الوسطى: حكومة يمينية في مواجهة ثوار ماركسيين يساريين مما أدى إلى مقتل المئات في تلك السنة. وفي رأي تورنر أن الدعم السياسي والخفي للمعتدلين كان سلباً، لأنه يخدم المصالح الأميركية.

وكان جواب الإدارة كمن يدعو المخابرات السوفياتية إلى اجتماع أركان؛ ومضمون الرد أن عمليات كهذه من شأنها وضع وكالة المخابرات المركزية في واجهة سياسة الإدارة الأميركية المتردة وغير الواضحة. ولنفترض أن الشخص الذي تم اختياره لم يفعل كما يجب، وافترض أنه أعد إعداداً ممتازاً وبعدها اختار الرئيس كارتر أو غيره من الرؤساء السير باتجاه آخر. إنه لمن السهل جداً الوقوع في الخطأ. اعترض الجميع على الاقتراح ولم يجرؤ تورنر حتى على رفعه إلى البيت الأبيض. أما مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي زبغنيو بريجنسكي فقد دعم بعض البرامج السرية، ولكن الرئيس كارتر كان دائماً متردداً، وكان يتأرجح بين النظرة القاسية إلى العالم التي ينقلها إليه بريجنسكي والنظرة الناعمة التي ينقلها وزير الخارجية فانس.

في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر وضع تورنر وجهات نظر إضافية وأفكاراً خاصة في مفكرة أخرى. وتحت عنوان: البيت الأبيض، كتب: مصادر النزاع. وكانت القائمة طويلة إلا أن معظم المشاكل كانت مع مستشار شؤون الأمن القومي بريجنسكي الذي كان يعتقد بأن وكالة المخابرات المركزية تعمل لصالحه. وفي إحدى قضايا الاستخبارات حول نزع السلاح قال بريجنسكي لتورنر: أنت لست المحكمة العليا وأنت لست فرعاً رابعاً للحكومة عليك أن تقرر لصالح من تعمل.

وأجاب بريجنسكي الاستسلام الحام، فوكالة الأمن القومي التي كانت تلتقط الاتصالات الأجنبية كانت تزوده بنسخ عن أحاديث بعض رؤساء الدول أو بالأخبار السياسية المشفرة التي كانت ترسلها السفارات الأجنبية في واشنطن إلى عواصمها. وشعر تورنر بأن بريجنسكي كان يرتكب خطأ نموذجياً كمحلل لاعتقاده بأنه من الممكن تفسير بعض الأحداث بواسطة التقاط مكالمات أو تجسس على بريقيات لأنه غالباً ما ركز اهتمامه على أحد المتفكرين أو على شخص معلوماته خاطئة أو على سفير دولة يفيد دولته أكثر مما يعلم. وكتب تورنر تحت عنوان مستشار الأمن القومي: إن تحليل المعلومات ذات المصدر الواحد خطير جداً.

وكان هناك نزاع مستمر مع بريجنسكي الذي قال مرة أنه لم يحصل بعد على معلومات قيمة عن الاتحاد السوفياتي وذلك بحضور بعض كبار معاوني تورنر. وفي الحقيقة فإن تورنر كان قد زرع ثلاث عملاء مهينين في الاتحاد السوفياتي واعتقد بأن واحداً منهم كان ما يزال على قيد الحياة ويأمن الاثنين الآخرين قد قُتلا أو قُتلا، ولم يتأكد من ذلك.

في بداية عام ١٩٧٧ كان تورنر يوجز للرئيس ثلاث مرات في الأسبوع عن الوضع الاستخباري، ثم تراجع ذلك إلى مرة في الأسبوع ومن ثم إلى مرة كل أسبوعين، وعزا تورنر هذا التراجع إلى بريجنسكي الذي قال مرة إن خريجي جامعة كولومبيا كانوا يجللون الأحداث أفضل من وكالة المخابرات المركزية.

في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٩، عندما حضر شاه إيران المعزول إلى الولايات المتحدة للمعالجة الطبية، أي قبل أسبوعين من احتجاز الرهائن الأمريكية في طهران، طلب البيت الأبيض من الوكالة أن تضع علية في تجهيزات غرفة الشاه لمعرفة ما كان هذا الرجل المتقلب والمصاب بالسرطان ينوي فعله. قال تورنر إن الشاه يملك حقوق المواطن الأمريكي نفسها بحكم القانون ولا يمكن للوكالة أن تجمع معلومات من داخل الولايات المتحدة، ولكنه تلقى أمراً خطياً بذلك بصعوبة وأمر بمراقبة ألكترونية للغرف الخاصة الثلاث في الطابق السابع عشر في مستشفى نيويورك، ومع ذلك ظلّ يعتقد بأن هذا غير سليم.

نظر كارتر وبريجنسكي إلى الاستخبارات على أنها أداة مثل تقديرات المياه في المانيا! فعندما يوضع جهاز التنصت في غير مكانه أو عندما لا تستطيع الوكالة التوقع للمستقبل يكون الثمن غالياً. وأدرك تورنر بشكل باهت أحياناً وبشكل حاد أحياناً أخرى أنه أصبح معزولاً عن الرئيس الذي يعمل له.

وفي محاولة للتغلب من الرئيس المنتخب، أعطى تورنر نسخة من مذكراته الثانية إلى أحد أعضاء الفريق الانتقالي الذي كان مكلفاً بالإشراف على الوكالة لصالح الإدارة الجديدة، أعيدت النسخة إليه، وقد عُلمَ عليها بقلم رصاص مع اقتراحات تدعو إلى تحوّل مفاجئ وسريع في الوكالة نحو أعمال مضادة للسوفيات وأعمال خفية أخرى. وحيث قدم تورنر قائمة بالأعمال الإيجابية للوكالة وجد التعليق التالي: ليبرالي أكثر من اللزوم وخائف من الاعتراضات السياسية. وحول نظرته إلى لجان الاستخبارات في الكونغرس وأركانها كتب عضو الفريق الانتقالي: يجب على جناح اليسار أن يبقى ضمن الحد المعقول.

وعلى ما كتب في أن الوكالة لا يمكنها أن تتحمل فضيحة أخرى وجد ملاحظة تقول: إن الجو قد تغيّر وسيستبّر أكثر وإذا علمنا بخوف فسنعمل قليلاً. وعندما تطرّق إلى الإمكانات شبه العسكرية للوكالة وهي أكثر الأقسام حيوية وتؤمّن سرعة التدخل قال التعليق: يجب إعادة بنائها وحفظاً سعيدياً.

وعندما أمّنى تورنر ظهوره وصل سائقه انيس براون ليقله إلى الرئيس المنتخب ليقدم إيجازه، ولكنه قاد بالانحياز المعاكس واتجهت الأولدزموبيل السوداء في طريق سكيويت نحو الطريق ١٢٣. واندفع السائق بسرعة وتجاوز السيارات البطيئة مستفيداً من كل فرصة للمرور.

جلس في المقعد الأمامي أحد الحراس الأربعة وكان يحمل بندقية ويحذو حوله باحثاً عما هو غير طبيعي. وكان النهار خريفياً شمساً، ولكن الزجاج المضاد للرصاص بقي عالياً في الأولدزموبيل ولهذا لم يتسنّ لأحد داخل السيارة أن يتمتع بذلك النهار. وكان للسيارة زوائد المحيطة والأمان وكانت مصفحة ومضادة للألغام الأرضية.

كان تورنر يتملّك في المقعد الخلفي إذ إنه أراد أن يركز على الإيجابيات وعلى المكتسبات. إن الرئيس ريفان الذي أتى من خارج نطاق الاستخبارات والذي لم يتسلم أي منصب فدرالي لم يكن لديه مفتاح حل جميع المشاكل. وإن عرض تورنر لما قام به في الأشهر الستة الفائتة يساعده حتى على الاحتفاظ بوظيفته.

كان البرنامج الخاص بالبحرية إحدى أكثر العمليات سرية، حيث قامت الغواصات الأمريكية بملاحقة الغواصات السوفياتية ونفذت عمليات في غاية الخطورة وعمليات جمع معلومات على مقربة من الاتحاد السوفياتي وفي بعض الأحيان داخل المياه الإقليمية السوفياتية أو داخل الموانئ السوفياتية بحد ذاتها. ومن نشاطاتها أيضاً زرع أجهزة ألكترونية معقدة للوصول إلى أقبية الاتصال وتسجيل المكالمات في الكوابل الحساسة تحت سطح البحر.

وكانت هذه أكثر العمليات حساسية وعرضت حياة جميع العناصر على متن الغواصة من بحارة ورجال وكالة الأمن القومي للخطر المحتمل. وكان ذلك بمثابة معجزة للبحرية وكانت كل مهمة تتطلب التصديق عليها من الرئيس. وفي إحدى المرات توجهت غواصة نووية إلى البحر ووضعت آلات التسجيل ثم انسحبت وانتظرت أسابيع ثم عادت وأخذت الأشرطة من آلات التسجيل التي وضعت على الكابل. وأعيدت الأشرطة إلى وكالة الأمن القومي وأعطيت المعلومات لعدد قليل من مسؤولي الوكالة ووزارة الدفاع والبيت الأبيض. واعتقد تورنر بأن المعلومات الجزئية يمكن أن تؤدي إلى المخاطر إلا أنه أقر بأن الغواصة تعود دائماً بلائحة غنية من البيانات حول القوة العسكرية السوفياتية. وتتطلب هذه العمليات نوعية عالية من العاملين وذكاء حاداً. وتشمل المعلومات مكالمات المسؤولين السوفيات مع بعضهم البعض حيث يكشفون أسرارهم وأكاذيبهم ونقاط ضعفهم. وتعتمد تلك العمليات على أخطاء الجانح الآخر حيث افترض السوفيات أنه لا يمكن التسجيل عن الكوابل الملقاة تحت سطح البحر ولهذا اتبعوا في اتصالاتهم الأساليب العادية في التحضير وفي بعض الأحيان دون تشفير.

والموضوع الآخر هو أنديغو، وهو قمر اصطناعي سري يستخدم للتحقق من تقيّد السوفيات باتفاقات نزع السلاح. ويستخدم أنديغو الرادار ويمكنه الكشف من خلال السحب والغيوم والعمل أثناء الظلام عندما تكون بقية الأقمار الاصطناعية التي تستعمل الصور الفوتوغرافية عمية. وتجلّ فائدة هذا المشروع فوق أوروبا الشرقية حيث تبقى السحب في أجوائها أياً ما وفي بعض الأحيان أسابيع.

ومن أفضل عمليات جمع المعلومات تلك التي نفذتها في الخارج فرق خاصة من نخبة عناصر وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي وهي عمليات تنصت بواسطة أحدث المعدات في عواصم أجنبية متعددة. وقامت هذه الفرق بالمعجازات وقدمت النصوص الحرفية لما كان يدور في اجتماعات الحكومات في أوروبا الشرقية والشرق الأوسط وآسيا وفي المحادثات السياسية بين الزعماء السياسيين المهين. وأكملت عمليات التجسس التي قام بها عملاء الوكالة النظاميون تحت غطاء دبلوماسي في السفارات الأمريكية.

وفي مذكرة «عيون المدير وحدها» كتب تورنر: «نحتاج إلى معلومات أكثر عن الأصدقاء وعن الأعداء». التجسس على الأصدقاء كان ثقيلاً إلا أنه كان ضرورياً. لقد كان شاه إيران صديقاً كبيراً للولايات المتحدة ولوكالة المخابرات المركزية وكان جهاز استخباراته الرهيب السافاك الوسيلة الأساسية للوكالة في إيران، لذلك أخطأ تورنر ومعاونوه في تقدير الخميني كزعيم روحي واسع النفوذ، وها هو الآن يحتجز رهائن الولايات المتحدة. إن المفاجأة في الصديق صعبة لأنه لو كان الحال مع الأعداء فإن الوكالة في الغالب تتوقع ما يحدث. ومنذ صدمة الثورة الإيرانية بدأ تورنر يعزز شبكة العملاء في الحكومات الأجنبية الصديقة والحليفة وكانت مصر أبرز مثل. ففي عملية أمنية صممت لحماية الرئيس المصري أنور السادات وإنذاره من المحاولات الانقلابية ومحاولات الاغتيال، قدمت الوكالة للرئيس السادات وللحكومة المصرية معدات إلكترونية متطورة وإمكانات بشرية. تسربت بعض أنباء أن السادات كان مدعماً على تعاطي المخدرات وتنتابه لحظات تلهف للمخدر، إلا أن تورنر لم يأبه لهذه الإشاعات التي كانت تدور في أروقة القصر الجمهوري المصري. وتم تركيب أجهزة تنصت في الأماكن الحساسة لتغطية أكبر قدر ممكن من المعلومات.

وردت لتورنر تقارير سرية جداً حول صحة الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف كانت مفيدة جداً للبيت الأبيض وخاصة عشية جلسات المفاوضات. وقدمت المخابرات معلومات مهمة في مجال نزع السلاح، وكانت وكالة الأمن القومي قادرة على حل رموز الصواريخ السوفياتية. إلا أن التجسس السياسي حول ما كان يجري في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي وهو أعلى هيئة في الاتحاد السوفياتي كان ضعيفاً جداً، وكان هذا أكثر ما يرغب فيه كارتر وبرينسكي ولم يستطع تورنر أن يقدم الكثير منه.

لم يقلع تورنر خلال خدمته على أي تقرير يستحق المجازفة بحياته أحد العاملين، وخلال السنوات الأربع أوقف مرة مشروع عملية جمع معلومات في ما وراء البحار. وكان هذا المشروع إعادة لعملية ناجحة اعتقد أن تنفيذها يجلب المخاطر. ويتوجب عليه خلال الشهرين المقبلين أن يعرض هذه الحقائق على الرئيس المنتخب ريفان الذي كان يريد الاطلاع على خطط العمليات الاستخبارية وحدودها ومدى ملاءمتها للأوضاع السياسية.

في عملية سميت «سرفيكال كاب» وهو اسم مشفر لجهاز إلكتروني معقد على شكل جذع شجرة صغير، كُلف أحد العملاء بغرسه ضمن شجرة خارج قاعدة جوية سوفياتية في أوروبا الشرقية ومهمته جمع المعلومات حول بيانات الرادارات المتطورة لطائرات الميغ. كانت القاعدة الجوية محاذية لحديقة عامة يؤمها المتزهرون، وكان على العميل أن يذهب إلى سياج الحديقة في نهار أحد ويتسلق الشجرة ويثبت الجهاز. لكن عملية «سرفيكال كاب» تأخرت لأن العميل الوحيد المتوفر لم يكن أوروبياً وكان وجوده نهار الأحد بين المتزهين خطراً عليه حيث يمكن كشفه بسهولة. وبشكل عام كانت عمليات التجسس معطوبة. ويعتبر التجسس على الرادارات السوفياتية أفضل من التنصت على اجتماعات المكتب السياسي ولكن الوكالة لا يمكنها أن تنصت على العالم كله.

وصلت الأولدزموبيل إلى لافايت بارك مقابل البيت الأبيض وانحرفت نحو ساحة جاكسون ثم توقفت مقابل الرقم ٧٢٦ وهو منزل حكومي كان يقيم فيه الرئيس المنتخب، وترجل تورنر من السيارة وصعد ست درجات. كان المقر المؤقت للإقامة ريفان بناء من أربع طبقات بعرض ٢٢ قدماً وعمر البناء ١١٣ سنة. ومنذ ست سنوات استخدمه نائب الرئيس نلسون روكفلر مقرراً له نظراً لتجهزاته ووسائل الأمن فيه، وذلك أثناء عمليات التحقيق التي شملت النشاطات المحلية للوكالة. وكان ريفان واحداً من فريق من ثمانية أعضاء، إلا أنه لم يكن فعالاً وحضر عشرة اجتماعات فقط من أصل ٢٦ اجتماعاً وعندما نظم تقريره النهائي دافع عن الوكالة قائلاً: «في أي بيروقراطية تحوي على ستة عشر ألف موظف يمكن أن يوجد من يرتكب أخطاء ويقوم بأعمال لا ينبغي عليه القيام بها. وبعد وصول تورنر نزل ريفان وحياته بحرارة ولم يظهر الرئيس المنتخب أي حماسة أو تلهف، بل أظهر لطفه العادي. وكانت حاشيته تضم نائب الرئيس جورج بوش وهو مدير الوكالة قبل تورنر وكبير مساعدي ريفان أودين ميز وأحد المحامين وثلاثة مساعدين وكاسي».

أوجز لهم تورنر عن التوازن العسكري في أوروبا وفي أميركا الوسطى. وتحدث عن بولونيا التي هدد السوفيات بغزوها لسحق انتفاضة نقابات التضامن، وعما قدمته الأقمار الاصطناعية والاتصالات الألكترونية المتقطعة في أماكن مثل برلين وهي «عاصمة جمع المعلومات في العالم» من معلومات في غاية الأهمية، وهناك أيضاً معلومات من مصادر بشرية، وهنا حتى وليم كاسي رأسه. وأراد تورنر القول إنه لدى الوكالة عميلاً، ضابطاً برتبة عقيد في الأركان البولونية، كان يؤمن تدفقاً مهماً للمعلومات خارج وارسو دون أن يكشفه من قبل السوفيات أو البولونيين، إلا أنه لم يفصل. كانت تقارير العقيد الحساسة تقدم لأعلى السلطات في ملف خاص مع ملاحظة: أن مصدر هذه المعلومات شخص في مركز حساس. وكان الرئيس كارتر ونائبه مونديل وبرينسكي وحدهم من يحق لهم الاطلاع على هذا الاختراق المهم. إلا أن اسم العقيد وهو كوكلنسكي لم يدرج في هذه التقارير وعلم به عدد

قليل جداً من ضباط الوكالة.

أجرى تورنر جولة أفق حول البقع الساخنة في العالم، وكان يجدد بين وقت وآخر بكايبي. كان هناك شيء ما حول كايبي يعطيه نكهة خاصة، كلامه كنشرة إخبار على الموجة القصيرة يعلو صوته، ثم يخفت. ضفائر شعره القليلة على رأسه الأصلع أظهرت أسلوبه العنيد. عيناه جاحظتان، وتبدل تقعرات من على جانبي أنفه المسطح إلى جوانب فمه لتتجاوز ذقنه ثم تنتهي عند فكه الأسفل. كان يبدو في حالة تشوش ومع هذا شعر تورنر بأن كايبي كان يصغي بانتباه.

مثى كايبي نحوه كالأحدب ورحب به بحرارة، فشرع تورنر بنعمو حقيقة، كانت ذراعه في الهواء ويرتدي قفازات خفيفة وصافحه بصوت عال قائلًا: «هاللو ستان» مع ابتسامة عريضة. وانتحى وإياه جانباً وقال وهو يقطع كلامه: إن الخبر الذي نشر ويقول إني سأخلفك غير صحيح ولم يقرر شيء حتى الآن. وكان ذلك بمثابة بداية للحديث وربما لاستكشاف اهتمام تورنر، وأضاف كايبي: أنا لست ساعياً وراء وظيفتك.

غادر تورنر وهو غير واثق من مستقبله في إدارة الوكالة. كانت هناك إشارات إلى أنه سيرتّب منصبه، ولكنها لم تكن قاطعة.

في ذلك اليوم أرسل ميز الذي كان يُعتبر الناطق باسم الرئيس المنتخب رسالة عبر البيت الأبيض إلى تورنر يعلمه فيها أنه لم يسرب نبأ تعيين كايبي إلى الصحافة، ولكنه يعطي انطباعاً بأن تعيين كايبي ليس مستبعداً.

- ١ -

مع أن كايبي لم يكن يسعى فعلاً لمنصب مدير المخابرات المركزية، إلا أن تورنر لم يصدقه. وفي الحقيقة فإن كايبي كان يرغب في وزارة الخارجية أو وزارة الدفاع لأنها أداتي تنفيذ سياسة ريغان الخارجية والدفاعية. ولكنه أدرك أنه إما أن يحصل على القليل أو لا يحصل على شيء. فقد كان أحد الأصدقاء الحميمين للرئيس في كاليفورنيا وكانت سيطرة الكاليفورنيين واضحة على الإدارة. وانضم متأخراً إلى حملة ريغان الانتخابية وأصبح دوره في النهاية مديراً للحملة. وقام بعمله باتقان مع أنه لم يكن ريغانياً منذ وقت طويل.

في سنة ١٩٧٩ تلقى كايبي مكالمة من المرشح رونالد ريغان يطلب منه المساعدة، وكان كايبي جمهورياً وغنياً يمارس المحاماة في مكتبه في ٢٠٠٠ بارك أفينيو في نيويورك، وكسب الملايين من التوظيفات المالية الكبيرة وحالفه الحظ والحدس في البورصة. وكسب الكثير أيضاً من الكتب التي ألفها أو أشرف على جمعها وعددها ٢٤ كتاباً وهي تتناول مواضيع في القانون والضرائب والتوظيفات المالية. وأتاح له المال ممارسة لعبة السياسة، وعمل منظماً للحملات الانتخابية، في الإعداد وكتابة الخطابات. وكجمهوري قديم منذ عام ١٩٤٠ شغل مناصب فدرالية هامة في إدارة نيكسون وفورد أهمها رئيس الأمن والتبادل عام ١٩٧٣ و ١٩٧٤.

قال كايبي لريغان: «أعتقد أنه من المبكر أن أنضم لحملتك، وأفهمه أن عدم تحمسه للمشاركة لا يجوز تفسيرها على أنها عدم تعاطف معه بل على العكس. أمسك كايبي بدفتر الشكايات ووقع بسرعة على شك بقيمة ألف دولار لدعم ترشيح ريغان كما فعل مع جميع المرشحين الجمهوريين. وكان هذا أقصى مساهمة فردية. ووقع اسمه على أسفل الشك وكان حرف W في William متديلاً بسخرية وحرف y في Casey مستقيماً وجيلاً وكان توقيعه ينم عن ثقة بالنفس.

تعلم كايبي في صغره في مدرسة الطبقات الوسطى والدنيا في المهرست في نيويورك وحصل على تسع علامات في المجموع النهائي، وعلامة C في السلوك وكانت علامة القواعد هي الوحيدة الأقل من B، ونال على عمله الأكاديمي A. وأطلق عليه رفاق صفه لقب البركان. ومنذ ذلك العام (١٩٢٤) كانت حياته سباقاً نحو الأفضل. وتعلم منذ صغره لعبة

الغولف بواسطة علبة تنك صغيرة وهو ينتمي الآن إلى نادٍ تمتاز في الغولف. عام ١٩٣٤ - ١٩٣٥ دخل المدرسة الكاثوليكية الجامعية للعمل الاجتماعي حيث كان معظم التلامذة من رجال الدين والرهبان المتشددين في معتقداتهم الدينية ثم تبين له أن العمل الاجتماعي هو للنساء، فترك هذه المدرسة والتحق بكلية الحقوق. أنشأ مؤسسة خيرية عام ١٩٥٨ كان يتفق فيها معظم مدخوله السنوي الذي قارب ٢١٩٧٠ دولاراً. وكان رجلاً شعبياً يقدم ثروته للناس وكان يطعم لأن يصبح رجلاً مهماً ورجل أعمال ومشاريع كثيرة. تعلم في حياته أن يتقدم على خطين، الأول خط الثروة الفردية والعمل الفردي والثاني الخبرة في العمل الحكومي والأعمال السياسية. ورأى فيه الكثير من الناس رجلاً أعمال لا يوفّر ماله. جمع ثروته من خلال مجموعة استثمارات محظوظة جداً وأعمال تجارية جريئة. وكان يبدو أحياناً أنه لا يكتثّر بالانقادات وأنه معاد على الدعاوى القضائية، إلا أنه تمتع باحترام الجميع. وعلى الرغم من تكريس وقته للكنيسة وللحزب الجمهوري وللبروصة، فقد كان مرناً حيال الأفكار بينما كان متصلباً إزاء الأشخاص. وتميز بولائه المطلق لمبادئه مع أنه أظهر مئة وجه مختلف لعلوم مختلفة.

اتصل ريغان بكايي وطلب منه أكثر من ألف دولار وكان قادماً من الشرق في حملة تبرعات في لونغ ايلاند موطن كايي، وطلب الاجتماع إليه فوافق كايي وتناول الاثنان طعام الفطور في فندق ماينول قرب منزل كايي وهو من الطراز الفيكتوري القديم.

تحدث الرجلان حول آفاق الانتخابات الرئاسية لمدة ساعة ونصف، وكان كايي قد سمع عن ريغان أنه سطحي التفكير، إلا أنه وجدته ملياً بالمسائل الاقتصادية ومسائل الأمن القومي. لكن ريغان لم يكن عميق النظر، مع أن غريزته نحو هذه المسائل كانت سليمة واتفقت مع أفكاره حول السوق الحرة والدفاع القوي والسياسة المتشددة حيال الشيوعية. كان ريغان أكبر سناً من كايي بستين، وكان لهما وجهة نظر أبناء جيل واحد. كلاهما

كان فقيراً في طفولته. وكان كايي معجباً بتنوع حياة ريغان كلاعب رياضي وممثل ونقابي وحاكم ولاية وخطيب محافظ، مثل تنوع حياته كمحامي ومؤلف وضابط في مكتب الخدمات الاستراتيجية ومؤرخ هادٍ (ألف كتاباً عن مكتب الخدمات الاستراتيجية) وموظف حكومي سابق. شهد الاثنان الحروب الأربع والانهيار وتميزاً بالبلاقة في الحديث وبالضحكات القليلة، والأهم من ذلك، جمعهما الاحترام المشترك لجيمي كارتر وما شاهداه فيه من ضعف وعدم

قدرة على اتخاذ القرار وتردد واضح. سرعان ما وجهت الدعوة لكايي للقدوم إلى كاليفورنيا ليكون في اللجنة التنفيذية لحملة ريغان حول المسائل والقضايا. طار إلى كاليفورنيا وأطلع على القضايا ثم قابل ميز وصديق ريغان المقرب مايكل ديغر. وكان كايي يقول لكل من أصدقائه الجمهوريين الأغنياء: «أريد منك أن تنذهب إلى المدينة وتتناول طعام الغداء مع رونالد ونانسي ريغان»

ويدعوه لزيادة الدعم المالي وإذا تردد أحدهم قال له: «لا تكن في الخارج، هذا الصديق سيكسب، هذا الصديق سيصبح رئيساً للولايات المتحدة». عرف كايي كيف يبتز أموال الجمهوريين النيويوركيين وكان بارعاً في جمع مبلغ نصف مليون دولار لحملة ريغان الانتخابية في أواخر عام ١٩٧٩. وعندما أقال ريغان مدير حملته جون سيرز طلب من كايي أن يحل مكانه وكان كايي يرغب في ذلك لأنه أحب السياسة كثيراً.

في مؤتمر الحزب الجمهوري عام ١٩٥٢، وكان قد بلغ التاسعة والثلاثين، شاهد كايي السناتور تاخت ينهزم أمام دوايت ايزنهاور مرشحاً للحزب الجمهوري. وبعدها بقليل تعرف إلى وليم بكلي ابن السادسة والعشرين عاماً والذي تميز بكتابه «الله والإنسان في ياله»، وكان كايي وبكلي عضوين في نادٍ ضد الشيوعيين وضد الليبراليين في مدينة نيويورك. كان النادي صغيراً جداً لا يتجاوز عدد أعضائه الخمسين وكان هناك سلام سري بين أعضائه، وكان بكلي يمزح مع كايي ويقول له: «لو أدركت تلك الحملة لربح تاخت تسمية الحزب»، وتذكر بكلي هذه الملاحظة بعد ستين عام ١٩٨٠، عندما استدعى ريغان صديقه القديم بكلي ليخبره أنه طرد سيرز وعين وليم كايي مكانه فأبدي سروره لذلك.

كان كايي مؤمناً حقيقياً مع انحراف بسيط يسأخ عن عليه، ففي عام ١٩٦٦ أي بعد عامين من خسارة غولدوتتر المساوية لانتخابات الرئاسة سعى كايي إلى تسميته من قبل الحزب الجمهوري لعضوية الكونغرس عن الساحل الشمالي للونغ ايلاند بدعم من جناح نلسون روكفلر وجاكوب جافيتش إلا أن ستيفان دورنيان وهو من أتباع غولدوتتر كسب وعاد كايي إلى خلف الأضواء حيث اعتقد بكلي وأكثر النيويوركيين أن ذلك مكانه. قوّم كايي، كمدير للحملة الانتخابية، مراكز القوة في ريغان: النظرات، الصوت، التحديق، وأخبر قصة مفادها أن الممثل جيمس ستوارت قال مرة: إذا تزوج رونالد ريغان ونانسي فإني سيفوز بالجائزة الأكاديمية. وكان كايي يدرك أن نانسي هي الأولى في معرفة مصالح زوجها.

لم يكن كايي مرتاحاً للجناح المحافظ في الحملة وقال مرة لأحد المشتركين فيها: «هناك بعض الجناحين في الحملة إلا أنني عضو في مجلس العلاقات الخارجية» ولم يقل إنه قد رفضت عضويته أساساً، ثم دُعيَ إلا بعدما أصبح معاوناً لوزير الخارجية عام ١٩٧٣. وكان كايي يميل إلى تمزيق بطاقة الدعوة ورميها في الرخاض، وإلى أن يقول هم اذهبوا إلى الجحيم، إلا أنه قبل ذلك يهدؤه وكان ذلك بمثابة تقديم أوراق اعتذار مفيدة وطموحة. وصف بعض أعضاء الحملة وبعض الصحفيين كايي بأنه «أجوف» وأنه لم يغسل ثيابه في لوس انجلوس أو نيويورك. وكان يسافر أحياناً دون حقيبة ويشترى ثياباً جديدة عندما يحتاجها. وفي إحدى المناسبات جلس ديغر إلى جانبه واستنجن من رائحة جسمه أنه لم يكن لديه الوقت الكثير لشراء حاجياته الخاصة من السوق. وفي اليوم التالي بدا كايي نظيفاً

جداً ومعنياً بمظهره. وكان ديفر يعتقد أنه عندما يكون كايسي في مهمة ما، لا يدع شيئاً يقف في طريقه، ويعمل في الليل وفي عطلة نهاية الأسبوع، وكانت هذه ميزة خاصة تستحق التقدير.

قبل شهر واحد من الانتخابات، حيث كان من المتوقع فوز ريفان، أنشأ كايسي هيئة استشارية للسياسة الخارجية واختار فريقاً من ١٧ خبيراً بينهم الرئيس السابق فورد وبعض كبار مسؤولي الحزبين الجمهوري والديمقراطي. وترأس كايسي هذا الفريق وأعد له أوراق العمل اللازمة. وظن البعض أنه وضع نفسه في مركز وزير الخارجية. ويذكر أنه عندما عمل لفترة قصيرة معاوناً لوزير الخارجية للشؤون الاقتصادية عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ أقامه وزير الخارجية آنذاك هنري كيسنجر، ولم يترك كايسي أي أثر هام يستحق أن يذكره كيسنجر في مذكراته المؤلفة من جزئين (٢٦٩٠ صفحة). إلا أن كايسي عاد ووضع كيسنجر على لائحة مستشاري ريفان.

وضع هذا الفريق أمامه التحدي الهام للإدارة القادمة، وهو الثورة الشيوعية في بلد صغير في أمريكا الوسطى. واعتبر كايسي أن السلفادور هي أهم بلد في العالم وإذا لم تستطع الولايات المتحدة أن تمسك بزمام الأمور في ساحاتها فستهدد مصداقية وفعالية ريفان في سائر أنحاء العالم. ذهل كايسي عندما علم أن وكالة المخابرات المركزية كانت قد أغلقت محطاتها في السلفادور عام ١٩٧٣ وذلك لتوفير المال ثم عادت وفتحتها عام ١٩٧٨ وهذا ما ترك فجوة لمدة خمس سنوات. كيف حصل هذا؟ وماذا جرى للوكالة؟ الاستخبارات هي الخط الدفاعي الأول ولا يمكن تنفيذ أي عمليات هجوم أو دفاع دون جهد استعلامي سابق.

في اليوم التالي لإيجاز تورنر ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر، عاد ريفان إلى كاليفورنيا، وبينما كان ينتظر أن يتولى مسؤولياته بدور روح الإدارة الرعائية تمسك بزمام الأمور. وأعد له أصدقائه استقبال زائر مهم من الخارج وهو الكولونيل الكسندر دي مارانش رئيس الجهاز الفرنسي المائل لوكالة المخابرات المركزية ويدعى مكتب خدمات التوثيق الخارجي ومكافحة التجسس. وكان مارانش شخصية معروفة في الدوائر المحافظة الأوروبية ويمتاز بشواربه العريضين، وكانت زوجته أميركية، وترأس هذا الجهاز منذ عشر سنوات وكان لقب هذا الجهاز «وحش السباحة» لأن مركز قيادته كان قريباً من حوض سباحة توريل في ضواحي باريس، كما أنه لعب دوراً هاماً في السياسة الداخلية الفرنسية. وكان مارانش يضع في مكتبه خريطة للعالم ظهرت عليها مناطق انتشار الشيوعية باللون الأحمر. وكان يوزع بعض النسخ الصغيرة من هذه الخريطة للزائرين الرسميين. ومنذ بضع سنين أعطى نسخة من هذه الخريطة للأميرال تورنر أثناء اجتماع تنسيق رسمي بين رئيسي الجهازين.

حمل مارانش إلى كاليفورنيا أكثر من خريطة ملونة ليعرضها على ريفان، وكان التجسس برأيه أكثر الأعمال خطورة ويتطلب مجازفاتٍ وحساباً لخط الرجعة. ولم يكثر لعدة

وكالة المخابرات المركزية بتغطية عملياتها في الخارج بغطاء دبلوماسي في السفارات الأميركية، مما سهّل التعرف إليهم والاستهزاء بهم. وكان العمل تحت غطاء وكيل شركة طيران أو أي شخص في المجتمع أكثر فعالية لأن التجسس الحقيقي يعتمد على الانغماس الكلي. واستعملت المخابرات الفرنسية أحياناً الصحفيين كغطاء للتجسس ولكن الأميركيين تجنبوا ذلك لأن حرية الكلام كانت أهم من الأمن القومي. إن الجواسيس الذين يتخذون صفة الدبلوماسيين كانوا بنظر مارانش غير جديرين. وتكلم مارانش مع الرئيس المنتخب حول أخطار الشيوعية ومخاطر الضعف في الشؤون العسكرية والاستخبارية؛ وبالأجمال تناول في حديثه العموميات.

سأله ريفان، هل تعطيني نصيحة؟ فقد قدم لي الجميع نصائحهم. أجاب مارانش، وكان يتكلم الأنكليزية بطلاقة ويعتقد بأن اللغات هي أهم شيء لضباط المخابرات، أنه يستطيع أن يقول للرئيس المنتخب من هم الأشخاص الذين يجب أن يقابلهم ومن هم الذين يجب أن لا يقابلهم. سأل ريفان: من يجب أن أقابله؟

أجاب مارانش: ألكسندر سولجنستين المؤلف الروسي، لأنه تفهم طبيعة الشر الروسي وجوناثان ساجيمبي قائد المقاومة في أنغولا الذي كان يقاتل الشيوعيين، وكانت الولايات المتحدة قد قدمت دعماً خفياً لساجيمبي ولكنها قطعتة عندما أقر الكونغرس توصية كلارك بوقف الأعمال الخفية في أنغولا. وأضاف مارانش، عندما تريد أن تعرف شيئاً من المحييم عليك أن تسأل من كان هناك.

ومن يجب أن لا أقابله؟ سأل ريفان، أجاب مارانش: الكثير، ولكني اخبرك عن واحد يمثلهم جميعاً وهو أرمان هامر - وكان هذا رئيس شركة أكسيدنتال بتروليوم وصديقاً قديماً لعدد من القادة السوفيات ويعتبر من رموز الوفاق الدولي.

قال ريفان: مدعش! فكلماً أذهب إلى الحلاق أراه هناك. وقال مارانش: هل تدرِك ما أعني؟ وكان هامر قد طلب من الحلاق دراكر في بقرلي هيلز أن يمجِز له على الكرسي المجاور لريفان، كلما طلب هذا الأخير موعداً.

كانت لمارانش آراء أخرى: لا تثق بوكالة المخابرات المركزية فإنهم ليسوا أشخاصاً جديرين. ولم يعن المسؤول الفرنسي أن الوكالة تعاني من اختراق أو عيب أو أنها تسرب المعلومات للصحافة وإنما كان يعني النقص في التصميم والحزم. أعاد ريفان تعذيب مارانش ولا تثق بالوكالة! على مسمع جورج برش الذي كان مديراً للوكالة عام ١٩٧٦ و ١٩٧٧. ورأى برش أن هذا الكلام تافه ولكنه ترك انطباعاً عميقاً

عند ريغان. وكان بوش قد أخبر أحد اصدقائه في الوكالة أنه على الرغم من عدم المام ريغان بالمسائل الاستخبارية فقد كان من المهم أن يكون له مدير وكالة مقرب منه وعلى صلة وثيقة به وخصوصاً لجهة الحزم والتصميم. ولأن بعد تحذير مارانش صار ذلك ضرورياً. راقب كايبي بحذر التعيينات التي كان يصدها ريغان في ادارته وكان هناك ثلاثه من ثلاثة اساء في كل مركز حكومي وكان هو مرشحاً للدفاع وللخارجية. وكان يشارك في التعين ميز ومطبخ كاليفورنيا وبعض الأشخاص الطموحين وريغان نفسه وهو في منزله في الساوز في كاليفورنيا. وتطورت الأمور بسرعة مفاجئة عندما قرر ريغان أن يكون جورج شولتز العضو السابق في حكومة نيكسون وفورد (وزير العمل، ومدير مكتب الإدارة، ومدير الموائمة، ووزير المال) مرشحه الأول لوزارة الخارجية. واتصل ريغان بشولتز الذي كان قد أخبر أنه على لائحة وزارة المال وقال له: «أنا أرغب في أن تكون أحد أعضاء حكومي» وقابها ريغان لشولتز بغموض غير مقصود. إلا أن شولتز، الذي ظن أنها وزارة المال، لم يقبل. ولم يعلم ديفر، الذي كان إلى جانب ريغان في ذلك الوقت، ما حصل إلا بعد أشهر إذ كان شولتز مستعداً للقبول لوزارة الخارجية.

وكان الاختيار الثاني للخارجية الكسندر هيغ الذي كان في مقدمة الساعين إلى الخارجية وحيدته نائني ريغان التي كانت تظن أن له كفاءة النجوم فقد كان وسيماً وقوياً وعسكرياً وكان حاراً وجذاباً ورجلاً قيادياً. وكان جزائراً بأربع نجوم وقائد سابقاً لقوات حلف الأطلسي في أوروبا وخبيراً في البيت الأبيض ومعاوناً لكيسنجر ورئيس أركان لينكسون، ولهذا حصل على الخارجية. وقد أخبر كايبي أحد اصدقائه: نريد أن ندفع ميز لأننا نريد هبة ومقاعاً لوزارة الخارجية. ثم عين كاسبار وينبرغر الصديق القديم لريغان من كاليفورنيا وزيراً للدفاع.

واساء كايبي من هذه التعيينات وما كان يجري في واشنطن وكاليفورنيا من اختيار لبقية المراكز الحكومية، وذهب إلى منزله في نيويورك ليقضي بقية حياته. وظل على اتصال مع ميز وأخبره أنه يريد أن يعمل في الحكومة الجديدة ولم يبق مراكز حكومية شاغرة. لم يكن منصب مدير المخابرات المركزية من المراكز الحكومية، وقال ميز، الذي أدرك شعور كايبي، إنه يمكن أن تصبح الوكالة مركزاً حكومياً. وجرت بينهما مناقشة طويلة حول هذا الأمر. أخبر ميز ديفر أن وليام كايبي يريد أن يكون مديراً للمخابرات المركزية فأجابه ديفر: «ستكون غلطة ولا يمكن أن نغطي هذا المنصب لسياسي».

وأوضح ميز أنه على وشك انهاء الاتفاق مع كايبي فهو رجل جيد ويلم بالاستخبارات ويستحق منصباً رئيسياً. ولم يعلق ديفر على ذلك. واقترح ميز على ريغان تعيين كايبي مديراً للمخابرات المركزية على أن تصبح إدارة الوكالة مركزاً حكومياً.

- «إنه ممتاز»، أجاب ريغان، أما جواب كايبي فقد كان بارداً وقال إنه يريد أن يفكر

بالموضوع ويستشير زوجته صوفيا. وأجاب ريغان: «حسنًا». هل يقبل كايبي وكالة المخابرات المركزية أم لا.



في مكتب صغير في الطابق الرابع في شارع K في وسط مدينة واشنطن كان هناك رجل نحيل، ومحترف، نظر باهتمام إلى انتصار ريغان. وكانت نظراته القاسية تعبر عما يفكر. وكان يرتدي بزة أنيقة غامقة اللون وجوارب سوداء ورباطاً قديماً وحذاء غير ملمع. شعره الرمادي يتمايل نحو الخلف ويسرحه على الموضة القديمة ليمتع تجمع صفائره. على باب المكتب لافتة كتب عليها «شركة سفير» وهي شركة استشارات دولية. وسفير هي الكلمة الفارسية لـ Ambassador الانكليزية. كان سفيراً للولايات المتحدة في إيران من العام ١٩٧٣ إلى ١٩٧٦، وكان رجلاً عصبياً إلا أنه ظهر أمام أصحابه منظمًا ومرتباً وكان كله أعين وآذان. وقراً أجرى مكالمات هاتفية وتناول طعام الغداء مع رفاقه القدامى وخاض مناقشات كثيرة، وقراً الصحف بعناية وخصوصاً الأخبار الخارجية مع مقالات حول وزير الدفاع الجديد في اليونان ونتيجة التصويت في البرلمان الترويجي، والفائض التجاري الياباني. وكان بطبعه ضابط مخبرات وعملًا حذرًا للأخبار.

إنه يرتشاد هلمز، من الرموز الصعبة ومن أساطير وكالة المخابرات المركزية. وتعتبر علاقته وتفوقه ومعتقداته وماضيه بمثابة وكالة استخبارات بحد ذاتها. عمل في مكتب الخدمات الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية ثم عمل في وكالة المخابرات المركزية عند انشائها عام ١٩٤٧. وتسلم مديرية العمليات بعد أزمة خليج الخنازير ثم عمل مديراً للوكالة من العام ١٩٦٦ إلى العام ١٩٧٣ في أوج الحرب الباردة. وشهد عهده بداية فضيحة واترغيت إلا أن نيكسون نقله إلى وظيفة سفير في طهران قبل نهاية عهده.

والآن عام ١٩٨٠ من المؤكد أن الوكالة ستحسن أو تراجع أو تمزق وفقاً لما يريده الرئيس الجديد. وكايبي كان مرشح هلمز لأنه يستطيع أن يحافظ على التقاليد والتراث، هلمز يعرف منذ خمسة وثلاثين عاماً، منذ أن عملاً معاً في مكتب الخدمات الاستراتيجية في لندن. عندما وصل هلمز إلى لندن عام ١٩٤٥ حيث كان معيناً للعمل لدى كايبي ولم يكن لديه منزل، دعاه كايبي للإقامة عنده في شقته في شارع غرومفونر قاتلاً: «حقاً تعال واسكن عندنا. وجسد هذا سرعة في ابتداء الحلول وصدافة. بعدها، لم يعد هلمز يشاهده إلا نادراً، خلال سنين الحرب، بسبب عمله الكثيف. واعتبر أن عمله في مكتب الخدمات الاستراتيجية آمن له فيها واسعاً للاستخبارات. فقد درب على أيدي البريطانيين وكانت التقاليد البريطانية: الخدمة السرية والصامتة. وكما قال هلمز: «نحن للخدمة الصامتة والصمت يبدأ هنا» وتفهم كايبي فيها بعد الصدمة التي أصابت هلمز ورفاقه من جراء التحقيقات التي أجرتها لجنتا تشرش وبايك في الكونغرس مع الوكالة.

وفي الوكالة استعد ليركب المخاطر، ولكن لم يتصور أحد أن الخطر سيأتي من حكومته فقد قال هلمز: «إن قفاه انزعجت وهو يستقل الطائرة من طهران إلى واشنطن ليذلي بشهادته». وظل ثلاث سنوات لا يرد على اتهامه بالجنحة والدعوى ١٧٧، ٦٢٥ الولايات المتحدة وذلك بسبب عدم الادلاء بشهادته بشكل كامل وشامل للجنة مجلس الشيوخ حول أعمال الوكالة الخفية في تشيلي خلال رئاسة نيكسون. وحكم عليه بغرامة ٢٠٠٠ دولار وبالحبس لمدة سنتين مع وقف التنفيذ. وذكر القاضي في مقدمة الحكم اتهاماً له بعدم الأمانة في المحكمة. أما محاميه ادوارد بنيت وليزاف فقد قال للصحافيين إن هذا الاتهام هو وسام شرف لهلمز. وحاول هلمز في محاكمته أن يحافظ على الأسرار والأعمال الخفية التي أمر بها الرئيس حيال أشخاص ليس من الضروري أن يعرفوها. وكان المعيار في البوح بالمعلومات المتعلقة بقضايا الاستخبارات الحساسة هو ما إذا كان الاطلاع عليها ضرورياً للقيام بواجبات الوظيفة. فالرؤساء ومديرو الوكالة لا يحتاجون إلى التفاصيل غير الهامة ولا إلى أسماه المصادره.

إن ذكرياته حول جوابه في المحكمة ما زالت تثيره وكانت وصمة عار على الرغم من الدعم الواسع الذي تلقاه (بعد ذلك أقام له أربعون ضابطاً متقاعد من الاستخبارات حفلة استقبال حماسية في نادي كينود في بيشبيدا في ولاية ماريلاند حيث امتلات سلات القهامة بشكاات وأوراق نقدية تدفع غرامة الـ ٢٠٠٠ دولار)، وجرى نقاش حاد حول المطالبة بالمحافظة على الأسرار أو متابعة التحقيق وكشفها في الكونغرس. كيف كانت القواعد الجديدة في الكونغرس وهل تقضي هذه القواعد على الأسرار الهامة؟ كان كايي نيويوركي قاسياً وابن شارع من وجهة نظر هلمز، ومنعزلاً ومتواضعاً ويصعب إرضاءه ويصمد في إدارة الوكالة. تعلم هلمز من جون ووبرت كينيدي في أزمة خليج الخنازير. الكينيديون يريدون نتائج. كانوا يريدون انهاء كاسترو أو قتله إلا أنهم لم يصحروا بذلك. وإذ قال هلمز - الذي كان يقود أعمالاً خفية - إنه لا يمكن فعل ذلك طرْد على الفور.

منذ الحرب العالمية الثانية تغير التجسس، وعلى كايي أن يتعلم الكثير. تطورت الآثار الاصطناعية المخصصة للاستطلاع وأصبحت كما أرادها هلمز: «نحن نريد أن نتجسس ليس بالنظر إلى القفا بل بالنظر إلى الرأس». وحافظ هلمز على صمته ولم يقل شيئاً لا بطريقة غير مباشرة ولا من وراء الأضواء.

السناتور باري غولدوتور، وهو من رموز الحزب الجمهوري، هتف بفرح لانتصار ريغان وشعر بعلاقة خاصة معه. بدأ طموح ريغان السياسي عام ١٩٦٤ عندما ألقى خطاباً مثلهزاً لمدة نصف ساعة يدعم فيه ترشيح غولدوتور للرئاسة. وكان فوز ريغان بالنسبة إلى ووتر بمثابة انتقال شقيقه الأصغر إلى البيت الأبيض. ووافق فوز ريغان الساحق سيطرة

الجمهوريين على مجلس الشيوخ مما أثار اغتباط غولدوتور.

عمل غولدوتور نائباً لرئيس لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ في عهد كارتر حين كان توتور هو المدير. كان عمره إحدى وسبعين سنة وكان يستعد لرئاسة اللجنة وهي أداة جديدة نافذة ولديها تحقيقات السبعينات. وكان عضواً في لجنة تشرش حول أعمال الوكالة في الأعوام ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ورفض توقيع محاضرها النهائية بسبب عدم موافقة على صيغتها غير اللائمة والتعليمية. وشعر بأن عراقق قد وضعت في طريق الوكالة.

كان انتخاب ريغان مناسبة للقيام بالأعمال الصحيحة. لا مهادنة ولا حلول وسط. غولدوتور الأسمر والحسن التكوين وصاحب الشخصية القيادية والحضور القوي انتعش من جديد، وعلى الرغم من المشاكل التكوينية الصحية في وركبه فقد بدا نشيطاً في حركته.

وكان لديه حل. تعيين مدير للوكالة يكون موضع ثقة تامة ويحفظ الأسرار ويبعد الكونغرس عن الوكالة. وأول خطوة قام بها كرئيس لجنة استخبارات مجلس الشيوخ هي تعيين صديقه الجنرال وليم كوين وهو متقاعد من الجيش مستشاراً في أركان اللجنة دون راتب. وكوين خرج الوست بوبنت عام ١٩٣٣ وعمل في الحرب العالمية الثانية كضابط استخبارات ثم عمل نائباً لمدير وكالة الاستخبارات الدفاعية. وكان كوين رجلاً مرحاً وصارماً وصديقاً عائلياً وندياً لغولدوتور. وكانت زوجته تكره واشنطن ولا تحضر إليها إلا نادراً. وحضر غولدوتور حفلات عشاء وكوكبتل مع كوين وزوجته بيت بمعدل يومين في الأسبوع وغالباً ما أمضى عطلة نهاية الأسبوع في مزرعة كوين على الشاطئ الشرقي لولاية ماريلاند. بعد الحرب العالمية الثانية عمل كوين رئيساً لوحدة الاستخبارات الاستراتيجية وأعجب غولدوتور بطريقته في التقرب من الكونغرس عام ١٩٤٦ وطريقة طلبه موازنته الضئيلة (٨ ملايين دولار) من الكونغرس كصارياف يدفعها إلى مصادره ودون مستندات. وإدراكاً منه أن المشرعين يميئون الأكلعاع على الأسرار، أطلع كوين على بعض المعلومات حول مصادره: (خادمة في مبنى القيادة الروسية في برلين التي حصلت على معلومات مهمة من سلات القهامة. موظف شيفرة في إحدى السفارات سمح للولايات المتحدة بالأكلاعاع على وسائل شيفرة دول كبرى وحلها. موظف في سفارة أخرى قبض مبلغ عشرة آلاف دولار ثمناً لحظية عمليات الأسطول السوفياتي في البلطيق). استغرقت الجلسة عشرين دقيقة؛ واستعمل كوين مبلغ الـ ٨ ملايين دولار ليحافظ على نواة عملاء ومصادر وكالة المخابرات المركزية التي أسست عام ١٩٤٧.

مع أن خبر تعيين وليم كايي مديراً جديداً للوكالة ما زال في الصحافة فقد عارض غولدوتور هذا التعيين إذ كان له مرشحه الشخصي وهو بوبي. قال ككوين «إنها ستكون لبوبي». وبوبي هذا هو الأميرال بوبي راي اتان الذي ترأس وكالة الأمن القومي في السنوات الأربع من عهد كارتر. وهذه الوكالة هي من أكثر الوكالات سرية. وكانت ميزانيتها تعادل

وقال كوين إن كايبي كان يعرف عن المخابرات وجمع المعلومات ويدرك إمكانيات ضباط المخابرات في التكريس والعمل الدؤوب. وأضاف كوين أنه يجب الغموض ويجب الأتقنة ويجب الخناجر قليلاً.

قال غولدوتير لكوين: «إنهم يحاولون تخريبها».

كان اتمان في جانب آخر من العالم في أحد مراكز تنصت وكالة الأمن القومي في نيوزيلاندة، ومن هناك كان يطلع على ما كان يجري في الفترة الانتقالية، واستساخ احتمال تعيينه مديراً للمخابرات المركزية، وعرف بذلك أنه لا تصيراً قوياً هو السناتور غولدوتير. وكان اتمان بارد الطبع عاطفياً وطموحاً يعمل كثيراً ويستيقظ كل يوم الساعة الرابعة صباحاً ليقوم بالقراءة والتفكير دون أن يقاطعه أحد. ويراها أن أساس أي عمل هو استباق الأمور، ولم يكن هناك مجال لتصور أي عمل بل يجب أن يكون جاهزاً وحتى في نيوزيلاندة.

وكانت وكالة الأمن القومي جزيرة في الإدارة الأميركية. فهي أساساً مؤسسة عسكرية تابعة لوزارة الدفاع وكان لها مسؤوليات أمام وكالة المخابرات المركزية التي كانت تتولى تنسيق موازنة الاستخبارات وتحدد الأهداف والأفضليات. ولأن وكالة الأمن القومي كانت مثل ابنة الزوجة كان على اتمان أن يقيم اتصالات مع البيت الأبيض ووزارة الدفاع والكونغرس ووسائل الإعلام.

في نيوزيلاندة تلقى اتمان مكالمات من وليم مذنورف رئيس الفريق الانتقالي المعين لوكالة المخابرات المركزية في الإدارة الجديدة. وكان مذنورف وزيراً للبحرية عندما كان اتمان مديراً للاستخبارات البحرية.

قال مذنورف: يبدو أن كايبي سيعين مديراً للمخابرات المركزية، ولم يعلن ذلك بعد. وكانت لهجة لا توحى بأن الخبر مؤكد إلا أنه كان يتصل ليعرف ما إذا كان اتمان يقبل أن يكون الشخص رقم ٢ في الوكالة أي نائب مدير الوكالة. قال اتمان إنه لا يرغب في ذلك، وإنه يستعد للتقاعد من الخدمة العسكرية الصيف القادم، وهو كاختصاصي بشؤون المخابرات لا يمكن أن يرقى لرتبة أعلى من جنرال ثلاث نجوم. ومنصب نائب المدير ليس كافياً له. ورأى في إدارة ريفان رداً ضرورياً على سنوات كارتر لأن كارتر كانت له أوهام حول السوفييت بينما لم يكن لريفان أي وهم. وبعد أيام قليلة عاد اتمان إلى واشنطن وجدد له مذنورف العرض لكنه رفضه بكل تهذيب. وكان قد ناهز الخمسين من عمره ويمكنه أن يبدأ مهنة جديدة في حياته ويجمع المال من مشاريع وأعمال تجارية. سمع هلمز عن اتمان وأحب أن يتعرف إليه، ولم يكن قد عرفه لأنه ترك وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٧٣ وهي السنة التي سبقت تسلم اتمان لوظيفة مدير الاستخبارات البحرية. وطلب هلمز من جاك موري وهو خبير سابق في وكالة المخابرات المركزية بالشؤون السوفياتية أن يعد له لقاء غداء مع اتمان. وموري هذا رجل محبوب منشرح الوجه يتحدر من عائلة فريجنية، عمل ٢٨ عاماً

أضعاف ميزانية وكالة المخابرات المركزية. وكان مركز قيادتها في فورت جورج ميد في ولاية ماريلاند، يدير مراكز التنصت الأرضية والأقمار الاصطناعية. استطاعت الوكالة حل شيفرة الصديق والعدو وكانت أعمالها تقنية ولم يكن لها أي جاسوس بشري واستطاعت بذلك أن تهرب من الامتحان عند إجراء التحقيقات التي شملت وكالة المخابرات المركزية.

وكان اتمان ينظر غولدوتير بعقياً في الاستخبارات وملأً بالسياسة والطبيعة الإنسانية وكان ماهراً في التعامل مع الكونغرس. وعمل اتمان ٢٨ عاماً في البحرية رقي خلالها إلى رتبة أميرال ثلاث نجوم وعمل كمساعد تنفيذي ومعاون لرئيس عمليات البحرية ١٩٧٢ - ١٩٧٣ وكان هذا المركز مخصصاً للضباط الذين قادوا قطعاً بحرية. ثم أصبح في ما بعد مديراً لوكالة الاستخبارات البحرية ١٩٧٤ - ١٩٧٦ ثم نائباً لمدير وكالة الاستخبارات الدفاعية ١٩٧٦ - ١٩٧٧ قبل أن يصبح مديراً لوكالة الأمن القومي. وكان يتمتع بذاكرة خرافية. وكان أفضل مصدر، حول أي شيء، من آخر قمر اصطناعي للجنس حتى المناورات البيروقراطية التي يحتاجها لتسريع برامج التجسس. وبدا اتمان كأنه طفل نما بسرعة، رأسه كبير وابتسامته كابتناسمة الطفل ونظراته سميكة. وكان من القليلين من ضباط الاستخبارات الذين تكلموا مع الصحفيين وطلبوا منهم عدم نشر بعض الأخبار التي تتعلق بالاستخبارات. وقد رعى العلاقة المهمة مع الكونغرس. ولم يتذكر غولدوتير مناسبة لم يرد فيها اتمان على مكالمته هاتفية. واهتم غولدوتير باتمان وحصوله على المركز وقال: لي رأي في هذا، إن أمن البلاد يجب أن يكون فوق السياسة، ويوبي جاهز وهو غير سياسي وبحار عترف.

كان كوين يجب غولدوتير ويتدخل معه بكل راحة عندما يشط عن الحقيقة في آرائه، إلا أنه اتفق معه حول اتمان. وقال غولدوتير إنه يريد أن يبحث الأمر مع الشخص الأول (الرئيس) وأن يطمعه على رغبته وحماسته لايمان، وهو أقدر شخص على ذلك ويمثل قاعدة جمهورية عريضة. أصغى إليه ريفان لكنه لم يقتنع. وقال غولدوتير إنه سيكون للإدارة الجديدة باع طويل في مجال الاستخبارات إذا عين اتمان مديراً للمخابرات المركزية. أجاب ريفان أنه يفضل شخصاً من خارج الاستخبارات وأنه سيكون وليم كايبي، ثم أقتل باب المناقشة بكل مرح ودون مواجهة.

وعاد غولدوتير إلى صديقه كوين وأخبره بما جرى فقال له كوين: «باري - لا تقلل من تقدير وليم كايبي فهو ليس ابن البارجة».

وأصيب غولدوتير بخيبة أمل ولم يستطع تقبل ذلك وبدا متضامناً. وأخبره كوين أن كايبي كان محامياً للاستخبارات منذ مدة وله خطوط مفتوحة وخاصة مع وكالة الاستخبارات الدفاعية منذ إنشائها في الستينات. وفي عام ١٩٦٤ ساعد كوين في الحصول على جائزة وليم دونوفان تخليداً لذكرى مؤسس مكتب الخدمات الاستراتيجية وأب المخابرات الأميركية.

في وكالة المخابرات المركزية. وعمل في السنوات الست الأخيرة ضابط ارتباط مع الكونغرس وذلك قبل التحقيقات مباشرة. وشعر اتمان أنه أصبح عضواً في نادي النخبة. وكان هناك تنافس قوي بين وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي وهو تنافس بين الأعيال البشرية وأعمال الآلة. بين العمليات الحربية وبين الأساليب المنظمة، أي كمواجهة جيمس بوند للشيفرة بنظارات ذات إطار معدني! وما إن تناولوا طعام الغداء حتى أحس الاثنان بأن لها وجهات نظر متطابقة حول هدف وكالات الاستخبارات، وبأنه قد ارتكبت بعض الأخطاء ومنها في عهد هلمز بسبب عدم تحذير الرئيس أو الكونغرس بأن بعض المشاكل تختبر هنا أو هناك. إن الإنذار المبكر يمنع المفاجآت، واتفقا حول ذلك: «إنه كل شيء» ومثل كل شيء» قالها هلمز بصوته الرشيقي مؤكداً أن ذلك كان صحيحاً وأن الرئيس والكونغرس يمشيان مسافة كبيرة مع وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي مهما كانت العوائق، إذا كان لديهم إنذار مبكر.

بات هلمز مقتنعاً بأن اتمان ذكي ولا مع ولا يمكن أن يكون عضواً ممتازاً في فريق عمل ريغان في الاستخبارات.

تعرض اتمان لبعض المضايقات، فقد سعى ريتشارد آلن إلى منصب مستشار الأمن القومي أي مركز بريجنسكي وكيسنجر. وكان آلن يمينياً وشكوكاً، واتهم وكالة الأمن القومي وإمان بالذات بالتنصت على مكالماته الهاتفية خلال الفترة الانتقالية ونقلها إلى البيت الأبيض وكارتر. كانت مهمة كبيرة. وأكد اتمان أن وكالة الأمن القومي لا تجمع المعلومات داخل الولايات المتحدة، وعندما تنتقط المكالمات الهاتفية لما وراء البحار والتي يجربها مواطن أمريكي يكون ذلك في ظل القوانين والقواعد المتبعة، أي ضمن التنصت على المكالمات المتعلقة بالتجسس والجرائم السياسية. شعر اتمان أن باستطاعته أن يرد على تهمة آلن، لكنه لم يرغب في المواجهة مع المستشار الجديد لشؤون الأمن القومي. وكان آلن صديقاً لبعض أعضاء الفريق الانتقالي لوكالة المخابرات المركزية الذين كانوا يعتقدون بأن القواعد الناتجة عن تحقيقات لجنة تشرش خلال عهد كارتر قد جعلت من الصعب على وكالات الاستخبارات تجديد الجواسيس وجمع المعلومات.

حذر جورج بوش، نائب الرئيس المنتخب، اتمان من أن ريغان قد وقع تحت وطأة المتطرفين وأن أكبر تحذير لتفاه الرئيس هو من المسؤول الاستخباري الفرنسي وقوله للرئيس: «لا تنق بوكالة المخابرات المركزية».

وشعر اتمان أنه واقع بين تارين عندما استدعاه واينبرغر وزير الدفاع المعين ليتسلم وظيفة مدير وكالة الاستخبارات الدفاعية. وتردد اتمان إزاء هذا العرض الذي سرعان ما تحول إلى أن يتقاعد اتمان من البحرية ويصبح معاون وزير الدفاع لشؤون الاستخبارات. إلا أن اتمان رفض ذلك.

كان كايبي ما يزال يفكر بعرض إدارة وكالة المخابرات المركزية. وجال في شوارع نيويورك ليوم الحياة في المدينة، وكان هواء الحريف منشطاً. ومن عادته أن لا يقفز فوق القرارات إلا أنه أراد أن يأخذ فرصة لمدة يومين. عام ١٩٧٥ عندما استقال من رئاسة بنك الاستيراد والتصدير لم يكن يتوقع أن يعود إلى واشنطن مجدداً للعمل في الحكومة. وشهد خلال فترة خدماته الحكومية من العام ١٩٧١ إلى العام ١٩٧٥ فضائح كثيرة.

وشعر بأن مجرد وجوده في إدارة نيكسون جعله عرضة للتحقيقات. وذلك بعد الجدل حول الإسحاق بملفات البرقيات والاتصالات الهاتفية الدولية خلال انتخابات عام ١٩٧٢. وعندما كان رئيساً لمجلس الأمن والتبادل، استدعي للتحقيق حول نكته باليمن. ورد في إحدى المذكرات في مكتب المدعي العام لفضيحة وايتغيت والتي لم تنشر من قبل أن «التركيز الأساسي في التحقيقات حول النكث باليمن كان على وليم كايبي». وكان كايبي قد ذُبر شحن ٣٤ صندوقاً من وثائق البرقيات والاتصالات الهاتفية الدولية وثلاث عشرة مذكرة مكتوبة مهمة ورسائل إلى وزارة العدل خارج إطار تحقيقات الكونغرس، وأقسم نائب وزير العدل أنها كانت فكرة كايبي، وأنكر كايبي ذلك، وشهد أن وزارة العدل هي التي طلبت ذلك. وأضافت مذكرة المدعي العام أن إفادة كايبي كانت خادعة تماماً. وعندما وصفت المذكرة شهادته بالمرأوة توصلت إلى استنتاج أن اتهام كايبي له حظ قليل من النجاح. ولم تتم إدانة كايبي.

ثم جرت تحقيقات كثيرة وأدين وزير العدل جون ميتشل ورئيس حملة نيكسون الانتخابية موريس ستانز بقبولها مبلغ ٢٠٠ ألف دولار مساهمة من المحتال الدولي روبرت فسكو، الذي كان يحاول التأثير على وضع كايبي في مجلس الأمن والتبادل. ولم يتزعج كايبي من ذلك. وبعدها عاد وليم رصوفيا إلى نيويورك ومن أقواله المفضلة كان: «هل تعلم أن أفضل ما في واشنطن هو أنها على مسافة ساعة من نيويورك».

بعد سنتين باع كايبي منزله في جادة ماساتشوستس في حي السفارات في واشنطن إلى جمهورية بنغلادش بمبلغ ٥٥٠ ألف دولار، وإذ عاد إلى واشنطن لم تغفر له زوجته ذلك، وهي قصيرة القامة وبضياء الشعر.

تركزت حياته في نيويورك حول العائلة، فقد كان يمضي وقته في ماينول على الساحل الشمالي للونغ إيلاند - وخاصة عطلة نهاية الأسبوع - بين كتبه أو في ملعب الغولف القريب. وكان كايبي لاعب غولف ممتاز ويطلق كرتين على كل حفرة. وكان يُعدُّ يومه خرافياً عندما يحصل على ١٠٠ في ١٨ حفرة. وأحبَّ المشي في الملاعب وخارج البيوت. وكان له أصدقاء قدامى كثيرون، وابنته الوحيدة برناديت وهي الآن في منتصف الثلاثينات كانت متعلقة بأهلها. واشترت العائلة منزلاً بمبلغ ٣٥٠ ألف دولار في بوليفر أوستن في وست بالم بيتش في فلوريدا لأشهر الشتاء. ولم تشهد حياته خلافات زوجية.

وقبل سنتين من اشتراكه بالحملة الانتخابية للرئيس ريغان بدأ كايسي بتأليف كتاب هو المفضل عنده وعنوانه «الحرب السرية ضد هتلر» وهو كتاب من ٦٠٠ صفحة ويعد من نشاطات مكتب الخدمات الاستراتيجية الاستخبارية في الحرب العالمية الثانية. والشخصيتان الرئيسيتان في هذا الكتاب هما كايسي ومرشد الجنرال وليم دونوفان (المعروف بوبلند بيل). رسم كايسي صورة عجيبة لمؤسس مكتب الخدمات الاستراتيجية. رجل عينا زرقاوان، قد تجاوز الخمسين من عمره، إلا أنه ردم الفجوة بين جيله وجيل كايسي كما ردم فرق الرتبة العسكرية والثقافة. أراد دونوفان أن يعرف إمكانيات كل شخص وكان كايسي مستعداً لأن يعيش في النار من أجل دونوفان. ألقى دونوفان مسؤوليات كبيرة على كايسي في آخر ستة أشهر من الحرب. وفي ملاحظاته كتب كايسي: «يجب أن يستعد مكتب الخدمات الاستراتيجية لزيادة عدد الجواسيس في ألمانيا». وأراد دونوفان إرسال شبكة جواسيس خلف خطوط الألمان وكان يطلق على كايسي لقب: «رئيس الاستخبارات السرية للمسرح الأوروبي». كان الملازم كايسي بأمر ضابطاً برتبة كولونيل ويتعامل مع الجنرالات الأميركيين والبريطانيين على قدم المساواة. لم يكن يرتدي البرزة العسكرية، وذهب مرة إلى سلفردج في شارع أوكسفورد في لندن واشترى برزة ومادية يوخ لونها بسرعة.

اهتم كايسي بجميع تفاصيل إدارة التجسس وكان يختار الجواسيس المؤثوق بهم، رغم صعوبة ذلك. كان يخشى أن تكون نهايتهم في مبنى قيادة الغنستاير في قلب مدينة برلين! واختار ٤٠ سجين حرب من المعادين للنازية مع أن ذلك كان مخالفاً لاتفاقيات جنيف. كان الأرشي في لندن يؤمن ملخصات الصحف حول ما يجري داخل ألمانيا بحيث إن الجواسيس كانوا على اطلاع على ما يجري في ألمانيا وعلى آخر الأخبار. وتم تزوير مستندات ألمانية واستعمال البسة عسكرية ألمانية، وطلب كايسي طائرات الإسقاط الجواسيس، وسلمهم جهاز إرسال راديو بقوة فضيلة يرسل المعلومات إلى طائرة وضعت خصيصاً لذلك وفي أوقات محددة. تحقق كايسي من أوقات الإنزال ومن الحرائق وحتى من وضع القمر وأنشأ فرقة لإدارة الاستخبارات كانت تحدد المعلومات المطلوبة من الجواسيس. كانت الأفضلية الأولى لتحركات القوات العسكرية الألمانية داخل وخارج المحاور الرئيسية وعطحت سكك الحديد، والأفضلية الثانية لتحديد أهداف للقصف. في شباط ١٩٤٥ كان هناك عميلان داخل برلين وفي الشهر التالي كان لكايي ١٣ فريقاً وفي الشهر التالي أيضاً كان لديه ٥٨ فريق عمل داخل ألمانيا وأحدها كان يدعى «شوفور» ويستخدم العاهرات في التجسس. إنها الحرب.

والآن، وهو يفكر في منصبه الجديد كمدير للمخابرات المركزية، حاول كايسي أن يلخص استنتاجاته حول الاستخبارات، فقد ساهم: «العملية المعقدة لصنع الموزاييك». فالقطع الصغيرة جداً شكلت الارتباك الاستخباري. ومن المعلوم أن تتوصل إلى نتائج إذا

كان لديك قطع كثيرة ولكن من الصعب الوصول إلى نتائج بقطع قليلة.

بعد تحرير ألمانيا شاهد كايسي المنظر الصاقي في رحلة بالسيارة من ميونيخ إلى بيلسون، شاهد أعلاماً بيضاء، هنا ورقة بيضاء وهناك منشفة بيضاء وهناك قميص أبيض.

أما ألمانيا التي تخيلها عندما كان يرسل الجواسيس فلم يعثر عليها!

كتب في آخر كتبه: «الاستخبارات ما تزال غير حازمة وحشة وبضاعة معقدة». فلما جانب جمع المعلومات وتقدير دقتها ومدى ملاءمتها فإن الموزاييك يعني أن الاستخبارات تطلبت انتباهاً قوياً وقراراً حاسماً. ورجل المخابرات لا يكون سلبياً، ومن السئ جداً تحديد دوره بجمع المعلومات فقط. إن الحصول على المعلومات وتنقيتها وتوزيعها هو مجرد بداية.

ثم «بعدها عليك أن تعمل»، ولم ينس كايسي أن يكتب عن إدارة كارتر: «حتى الآن نحن متحمسون كالمصلبيين لحقوق الإنسان في دول لا تهددنا ولكننا نخفي عن الرأي العام صور معسكرات الأشغال الشاقة الاستيعادية في سيبيريا». وكانت هذه حدوداً أخلاقية للمخابرات لا يمكن تجاوزها. وهناك أيضاً حدود أخلاقية للحياة لا يمكن تجاوزها.

بعد العام ١٩٤٥ ذهب إلى داستو بعد أيام من تحريرها ولم ينس أبداً مشهد بقايا الأحذية والعظام والجلود البشرية المعلقة. هل هذا ما فعله البشر بالبشر؟ كان ذلك أمراً يصعب التفكير فيه.

إن كايسي قد أتى ليتحقق من أنه يتوق للعمل في المخابرات، واندفاع ريغان يتطلب السير نحو الأمام لا التراجع إلى الخلف. إن قبوله بإدارة وكالة المخابرات المركزية يعطيه الفرصة ليفهم عالم الأسرار، فالأميرال تورنر كان متطفلاً بينما يذهب هو إلى الوكالة كآخ. واستغرق حديثه مع صولفا عشر دقائق ثم كان رده على ريغان: نعم.

قبل بضعة أسابيع من صدور قرار تعيينه رسمياً، انتقل كايسي إلى جناح في فندق جفرسون. كانت هذه الأسابيع مهمة، بعيداً عن الأضواء. كانت عنده فكرة ممتازة عن عمل الوكالة ولكن كانت تنقصه التفاصيل وهي كل شيء طبعاً. أما مفهومه حول أسرار الحرب العالمية الثانية فقد كان محدوداً. عام ١٩٦٩ عيّنه الرئيس نيكسون في مجلس استشاري لنزع السلاح في وكالة نزع السلاح. وقّع كايسي على وثيقة قسم بالسرية، تحوّل الدخول إلى مراكز المعلومات الحساسة منها كانت درجة سرّيتها وبرامج الأقمار الاصطناعية المخصصة للاستطلاع. قبلها كان يعمل في مكتب استشارة الرئيس لشؤون الاستخبارات في الخارج وهي هيئة عليا ذات نفوذ قوي.

حضر لمقابلته صاحب فندق جفرسون إدوارد بنيت وليامز، وكان أحد أشهر المحامين الجنائيين في المدينة وهو الذي دافع عن ريتشارد هلمز المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية. حدّق وليامز بكاييسي ولعب معه لعبة المحتال الديمقراطي ضد المحتال الجمهوري. كان وليامز في مكتب استشارة الرئيس لشؤون الاستخبارات في الخارج مع كايسي. كانت له آراء قاسية حول العمل الجديد لكاييسي، وكان وليامز شخصية قوية في واشنطن وتدرج زبائنه من النقيب ولیم هوف إلى صحيفة الواشنطن بوست.

تناقش وليامز بعنف مع كايسي مدّعياً أن وكالة المخابرات المركزية لم تراجع في عهد كارتر وإثماً في عهد فورد. واستعمل في نقاشه عبارة «تفككت» وهي العبارة نفسها التي استعملها برنامج الحزب الجمهوري الانتخابي عام ١٩٨٠. خلال إدارة فورد التقط السوفيات اتصالات هاتفية من ست نقاط في واشنطن. وأطلعت أجهزة الاستخبارات الأمريكية على بعض ما حصل عليه الروس. ولكن وزارة العدل منعت مكتب التحقيق الفدرالي ووكالة الأمن القومي من متابعة وملاحقة هذه القضية بحجة حماية الحرية الشخصية للمواطن الأميركي. واعتقد وليامز أن هذا أمر مثير للسخرية، أن يستطيع السوفيات تسجيل المكالمات داخل أميركا ولا تستطيع أجهزة الاستخبارات الأميركية أن تفعل مثله. قال وليامز: كانوا يسرقون ونحن لا نستطيع أن ننظر إلى جيوينا لثرى ما سُرق منا. وحتى كايسي رأسه موافقاً.

المخابرات، أي معرفة إمكانيات الطرف الآخر وما يخططه، هي أهم عامل لكسب

المعركة. عليك أن تعرف، وإذا لم تعرف فأنت ميت. وأضاف وليامز: إن وكالة المخابرات المركزية تشبه كلباً كبيراً صدمته شاحنة. وأحال ذلك على كايسي قائلاً يقول له: اذهب لهم يا بني. وعقد كايسي العزم على أن كلب وليامز الكبير يجب أن يعيش. اتصل كايسي بصديقه القديم ريتشارد هلمز ليخبره بأن تعيينه أصبح رسمياً. أجاب هلمز: «جيد، لا بل ممتاز». ثم اتفقا على تناول طعام الغذاء في الأول من كانون الأول/ ديسمبر. كانت قد مضت على هلمز سنوات منذ ترك الوكالة، وقد اجتمع مراراً مع زملائه القدامى. في السنة الفاتئة صدر كتاب توماس بور: «الرجل الذي حفظ الأسرار: ريتشارد هلمز ووكالة المخابرات المركزية». ولقي ترحيباً كبيراً. وقال بعض من قرأ الكتاب بعناية إنه بدا وكأنه من تأليف هلمز. وهذا غير ممكن ولا أحد يعرف ما إذا كان صحيحاً. وحتى عندما أخبرته زوجته شتيا وثلاثة محررين، بكلي ووليم سفير وجورج ديل، أنه كُتب بعناية لم يقتبل هلمز ذلك.

وتبين هلمز أن مشكلته كمدير كانت في أنه لا يملك آية صلة شخصية مع الرئيس الذي يعمل له. ولاحظ ذلك اعتباراً من ١٥ أيلول/سبتمبر حين اجتمع مع نيكسون من أجل القيام بعمل خفي في تشيلي. أعطى نيكسون أوامره مباشرة وأصرّ على منع وصول المرشح الماركسي سلفادور آليندي إلى السلطة. وغضب نيكسون بعد النتيجة ولم يستطع تقتل الأمر. قال نيكسون إن الاحتمال كان واحداً إلى عشرة، لكن أنفذ تشيلي وخذ عشرة ملايين دولار أو أكثر إذا كان ذلك ضرورياً، ولا يتم بالقضايا المالية. كان هلمز يعرف النقص في هذه المذكرات ولم يكتب ما قاله شخصياً حول هذا الموضوع، ثم لحص جوابه للرئيس: «أنت تكلفني بجمعة مستحيلة» وكانت خطة سرية متاخرة وضعيفة التحضير.

وأخبره هنري كيسنجر لاحقاً أنه يجب أن لا يذكر ما قاله نيكسون حرفياً، وعليه أن ينظر إليه على أنه أمر. فعالياً ما كان نيكسون يفعل ويقول: «افعل شيئاً يا هنري»، وقال كيسنجر إن نيكسون لا يعني ما يقوله، وكانت هذه حقيقة بسيطة تعلمها هنري من التجربة. ولسوء الحظ لا يكن هلمز يعرف ذلك. ولم يكن نيكسون متعلماً بمدير المخابرات المركزية وكانت ثقته بالوكالة ضعيفة. كان يفكر بمؤسسة قوامها مجموعة من الجامعيين والليبراليين. ولأنه لا يعرف رئيسه جيداً ترك هلمز المكتب البيضاوي في ذلك اليوم من عام ١٩٧٠ وهو يحسب أن لديه مهمة، وأدلى لاحقاً بشهادته: «كان ذلك النهار كأي حلت عصا المارشالية في حقبة الظهر خارج المكتب البيضاوي» وكان عليه أن يعترض عن هذه الكلمات. وعلم هلمز أكثر من ذلك لأن مفتاح الأمر كان في علاقة نيكسون مع دونالد كيندال رئيس شركة بيبسي كولا والمدير التنفيذي لها. وكان للشركة مركز تعبئة في تشيلي. وكان كيندال قد اتخذ نيكسون عامياً للشركة عندما كان يمارس المحاماة في مكتبه في نيويورك. إن التحرك ضد آليندي كان قراراً. كيندال والمشددون لا يريدون رئيساً ماركسياً في تشيلي ولذلك أسس

استعمال وكالة المخابرات المركزية. وصمت هلمز أمام لجنة مجلس الشيوخ خفف من إرباك الوكالة والرئيس وحتى من إرباكه أيضاً. وفشل في أن يمنع أبشع عمل خفي منذ خليج الخنازير وخرق مبادئه الخاص: «إن العمل الخفي مثل دواء جهنمي ناعم، ينفع ولكن إذا أخذت الكثير منه فإنه يقتلك». وقال آلين دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية في عهد لينزهاور: «إذا أردت وكالة صغيرة في زاوية بعيدة بعلوها الغبار، اترك الأعمال الخفية». كان الرؤساء يريدون دائماً طريقة غير ظاهرة لأعمالهم. وهكذا كانت الوكالة ترفع أمورها مع البيت الأبيض على حد قول دالاس.

كان هلمز من أنصار الرئيس وكل الرؤساء، وعلى الرغم من هذا فإن محاولة مناقشة نيكسون كانت كالحديث في العاصفة. وطلب نيكسون من هلمز أن لا تقوم الوكالة برسم السياسة، ووافق هلمز على ذلك. فالوكالة أنشئت لتخدم الرؤساء الذين يرسمون السياسة الخارجية والدفاعية. وكان جبل هلمز وكايسي يدرك أن الأوامر يجب أن تطاع. ولاحظ هلمز أنه تلقى الكثير من الأوامر من الرؤساء ولكنه أطاعها جميعاً.

وإذا كان ذلك يعني أن الحرارة يجب أن تعود إلى الوكالة، فليكن. وإذا كان ذلك يعني أن على ضباط الوكالة أن يحرقوا فليكن. لم يكن هناك طريقة أخرى لإدارة الأمور. وهكذا اختار هلمز الحرارة، وجاء دوره، وكان ذلك بطاقة استدعاء للإدلاء بشهادته. أليس كذلك؟ المدير السابق للوكالة جيمس شليسنجر أعطى إدليامز وسام شرف، ووصف الاستدعاء للمحكمة على أنه نوع من إثارة الصراع.

سيأخذ كايسي احتياطاته طبعاً كمدير للمخابرات المركزية. وتحتل هلمز أن كايسي يعرف تاريخ «الشركة» ويعرف رئيسه ولم يكن بحاجة إلى أن يتداول معه في ذلك على الغذاء. وهكذا، عندما حضر للغداء مع كايسي قرر أن يتجنب أي حديث يُشتم منه أنه «يعطي دروساً» ولم يرد أن يعلم كايسي كيف يأكل البيضه ولم يرد تصحيح طريقة العمل. وكان من الأفضل أن يتكلم قليلاً.

ولكن كان هناك قضية واحدة شدد هلمز أن بإمكانه تقديم المساعدة فيها دون أن يظهر مزايده. وكانت هذه قضية الأشخاص في وكالة المخابرات المركزية. انخرط ابنه دينيس في الوكالة لصيف كامل عندما كان في الجامعة. وذات ليلة أخبره دينيس أنه كان معطوفاً لأنه عمل في الوكالة. لماذا؟ لأن الناس هناك كانوا متحضرين جداً. وكانت تلك حقيقة. كان هناك حس من اللباقة واستعداد للغلاظة والخداع. الجميع داخل الوكالة مثل زوجة قيصر، معاملة صريحة خالية من الأكاذيب.

يوم الإثنين في أول كانون الأول/ديسمبر ظهر هلمز على باب جناح كايسي في فندق جفرسون وتصفاحاً بحرارة. كان كايسي مسروراً لأنه ركب أكبر موجة انتصار في التاريخ وأنه كان أداة في الثورة الريغانية.

«بإل أنت طبيعي وهذا مدهش» قال هلمز ذلك وهو يتسهم، وغالباً ما يغلق عينه عندما يضحك أو يتسهم، ثم طلب طعام الغداء.

لم يكن هلمز بحاجة لأن يذكر كايسي بأن الوكالة مرت في وقت عصيب في العقد الماضي، من واترغيت إلى التحقيقات إلى تورنر. وكانت نتيجة ذلك أن أحدًا لم يُرد أن يتخذ مبادرات أو أن يخاطر بحياته لأن عمليات الاستخبارات الكبيرة كانت تتطلب المبادرة والمخاطرة معاً. وافق كايسي على ذلك. وبما أن المراكز الكبرى في الوكالة كانت هامة، سأل هلمز عن رأيه بتعيين اثنان نائباً للمدير.

قال هلمز: «لن يكون الكونغرس طريقاً سهلاً ولم تعد الحالة كما كانت قبل التحقيقات. ويجب أن تقوم ببعض التعاون». وأضاف هلمز أنه التقى اثنان منذ أسابيع ويمكن أن يكون ملائماً وله علاقة ممتازة مع غولدووتر وخبرة واسعة من وكالة الأمن القومي ويتمتع بجانبة تقني كان يحتاج إليه كايسي. وكان اثنان ملأً بالاستخبارات العسكرية. وكانت وزارة الدفاع هايد في كل عملية استخبارات. إنه من المعقول والمنطقي اختيار اثنان. وكان رد كايسي إنه ليس متأكداً من هذا الاختيار وعليه أن يفكر بعد. وشعر هلمز أنه لا يستطيع أن يقول المزيد واحش بنفور كايسي. «لماذا لا تأتي ببعض المستشارين» قال هلمز.

من السهل الوقوع في الخطأ خصوصاً إذا كانت النصيحة خاطئة ويجب أن يُعتمد المستشار الجيد. ووافق كايسي على ذلك، نعم رجل ذو آفاق تاريخية. وكان لهلمز صديق جيد عرفه كايسي خلال الحرب وهو ناضج وسليم ولا يسرب شيئاً عن كايسي. إنه جون بروس. عندها أشرق وجه كايسي. إنه الرجل المناسب. عرفه كايسي من أيام مكتب الخدمات الاستراتيجية ووصفه في مخطوطة كتابه حول الحرب السرية ضد هتلر بأنه ناعم وحضاري وكان مظلماً وخبيراً في عمليات التخريب والقتال بال سلاح الأبيض.

اقترح هلمز بروس لأنه عمل في الوكالة لمدة عشرين عاماً وكان رئيس فرقة في مديرية العمليات وعمل مراقباً للعمليات وفي مجموعة الاستخبارات، وكان لا ينحني أمام الضعفاء وهو عام والمهم جداً أنه غير محسوب على اليمين أو على اليسار. وكان هلمز يدرك مدى الخطر الذي يهدد الوكالة من اليمين ومن اليسار معاً. ومن الممكن أن يكون اليسار قد أخذ مده في السبعينات وفي التحقيقات وسبب لهم المشاكل إلا أن اليمين ما زال بإمكانه أن يؤذي. وكان هلمز قلق آخر لم يذكره كي لا يظهر بمظهر الواعظ وهو أنه عندما عين مديراً للوكالة عام ١٩٦٦ استدعاه ليندون جونسون وطلب منه أن يذهب إلى لانغلي، وأن يكسر بعض الآلية الفخارية ويزر الأشياء أمامه ويرفس أحدًا على قفاه! وجد هلمز أن ذلك غير ضروري. وكان يؤمن بإعادة التنظيم، إلا أنها كانت عام ١٩٦٦ نوعاً من الهراء، شكك هلمز من أن تكون في عام ١٩٨٠ نوعاً من الهراء أيضاً. سري بروس ذلك وسيأخذ وقته. كان بروس غنياً ويعيش على نهر بوتوماك على بعد أميال من مركز الوكالة. كتب كايسي اسم

بروس على قופلة صغيرة وقال إنه سيتصل به في الحال. ولم يتطرقا إلى المواضيع الحساسة. وانتهى الغداء.

شعر هلمز أن كايسي كان خليطاً من المتناقضات ولم يكن فيه أي جانب مثير. وتكون لديه انطباع بأنه كان يريد فعلاً وزارة الخارجية.

انتقل كايسي بعد ذلك من فندق جفرسون بعد إلحاح جهاز الأمن في الوكالة، فالسفارة السوفياتية كانت على مسافة قريبة منه وللسوفيات تقنية الكترونية تمكنهم من التنصت على أحاديثه. واعتبر هلمز أن الانذار مضحك وقال لكاييسي مازحاً إنه لم يكن للسوفيات أي حظ في حل شيفرة حركات شفاها.

في منزله القديم على نهر بوتوماك تلقى بروس مكالمه من كايسي الذي أكد له أنه سيصبح مديراً للمخابرات المركزية في عهد ريغان، ودعا للانضمام إلى الفريق الانتقالي، وأن يقدم المساعدة في الأشهر القادمة. وكان بروس قد بلغ التاسعة والستين من العمر وقبل العرض في الحال. كانت المهمة حساسة لأن الإدارة الجديدة لها دائماً أفكار جديدة وبعض هذه الأفكار يمكن أن يكون خطراً. وكان بروس مرحاً وهو عضو في نادي قدامى ضباط المخابرات وهي جمعية قوية حافظت على وجودها في الوكالة بصورة غير رسمية وكانت تسعى دائماً لتقدمها. وعمل على سبيل التطوع في هيئات السياسة الخارجية لمسؤولين سابقين وكان يحسب حسابها دائماً في الحفلات الخاصة.

كان كايسي خياراً صلباً برأي بروس، فقد عرفه منذ العام ١٩٤٣ وبقي الاثنان على اتصال. وفي الستينات دعا بروس بعض المهتمين بالسياسة الخارجية إلى العشاء مع كايسي، وبعد العشاء أخذ أحد الحضور من معارضي السياسة حيال السوفيات بروس جانباً وقال له: ذلك الرجل يفهم حقيقة ما أقول. وفي اليوم التالي أخبره ضيف معتدل أنه كان مسروراً لأن كايسي تفهم مناقشاته. لم يكن كايسي متعصباً. كان بروس خريج معهد الحقوق في هارفرد، وكان كايسي محارباً إيرلندياً وكان صلة الوصل بينها قائدها العزيز دونوفان. قرر بروس أن يكون تحت تصرف كايسي بشكل تام وكان يعلم أن كايسي سيفتح له قلبه. تلك هي طريقة دونوفان: إنَّه وازع.

التحق بروس بالفريق الانتقالي وسرعان ما تبين له أن رئيس الفريق مذنورف لا حاجة إليه. أما المساعدون الثلاثة من لجنة استخبارات مجلس الشيوخ ومن ضمنهم المتطرف المحافظ انجيلو كوديفيلا فقد كانت خطتهم تقضي بتقسيم الوكالة إلى ثلاثة أقسام. الأول: النخبة، وهي فرقة الأعمال الخفية التي تشن حرباً خفية لتهديد الاتحاد السوفياتي وتزيد من عدد الجواسيس بشكل دراماتيكي وتعمل خارج السفارات وفي غطاء غير رسمي كرجال أعمال أو مستشارين. والقسم الثاني كان فرقة تحليل تثير المنافسة بين المجموعات الاستخبارية لتأكيد الحراسة والخزم في العمل. والقسم الثالث المدعوم من مذنورف يكون وكالة عليا

تجمع في صلاحياتها عمليات مكافحة التجسس في مكتب التحقيق الفدرالي ووكالة المخابرات المركزية. وكان يمكن لهذا القسم في نظر بروس أن يجر الوكالة إلى كارثة التدخل في الاستخبارات الداخلية.

كان الجناح اليميني من المساعدين في الفريق الانتقالي معارصاً، ووضع عناصره خطأً تؤدي إلى تدمير وحدة الوكالة. لم يرحب كايسي بهم لأنه وصل كمحارب قديم غارق في نظرة الحسنيين حين كانت الحرب الباردة «في نشوب دائم» وكان الفريق الانتقالي يخطط ليربح الحرب دون أن يخاف من الذهاب بعيداً في الأمور. وبذل كايسي جهده ليؤكد أنه كمدير لم يكن واقعاً تحت تأثير الجناح اليميني.

ثم اتصل كايسي بوليم كولي الذي عمل مديراً لوكالة المخابرات المركزية لمدة ثلاثين شهراً في أصعب أيامها عن عام ١٩٧٣ و١٩٧٥ وهي آخر أيام واترغيت ونهاية نيكسون وسنة كاملة من التحقيقات. كان كولي منبذاً في أوساط الاستخبارات فقد كان مديراً للوكالة بشكل سياسي وليبرالي. وعمل كولي في ظل تدفق المستندات والأسرار إلى الكونغرس. وكان بإمكانه أن ينتهز الفرص، لكنه اقتنع بخيانة مبدأ الصمت وارتكب خطأ فادحاً عندما حوّل نفسه إلى زميل وأعطى معلومات إلى وزارة العدل أثناء التحقيقات الرسمية كانت العامل المحرك لاستدعاء هلمز إلى التحقيق. وبالنسبة إلى القدامى كان هذا غير ضروري، وبدا كأن أحد الباباوات يخون سلفه.

لم يجتمع كايسي مع كولي في الحرب العالمية الثانية، إلا أنه تعرف عليه من خلال قدامى محاربي مكتب الخدمات الاستراتيجية، وكان الاثنان من أعضاء النادي. كان كولي قد سقط بالمظلة خلف خطوط العدو في اليوم «ي» كعضو في فريق جديورغ ومهمته إثارة المقاومة الفرنسية خلف خطوط الألمان. (جديورغ مدينة في سكوتلاندا مشهورة بحرب الحدود. وعدالة جديورغ تعني اشتقهم أولاً ثم حاكمهم). أخبر كايسي كولي أنه سيستلم الوظيفة وأنه يرغب في أن يتحدث معه ووافق كولي على الحضور إلى مكتب فريق ريفان الانتقالي في شارع (م) وصمم على أن يكون فقط. كان خارج الوكالة منذ خمس سنوات عندما أقاله الرئيس فورد لأنه كان القبطان عندما تزحلق بالتحقيقات، وتسرب الأسرار. كان كولي رجلاً لا تقاير يد على المكالمات ويفتح الأبواب ويتحرك ويتسم للجمع. رجل صغير الحجم متواضع ذو ملامح عسكرية، ولم يكن يظهر بأي طريقة كعنصر من عناصر المخابرات. أعطه مشطاً وزوج مقصات ورداء أبيض وعندها يصلح لأن يكون حلاقاً في المدينة! كان أنيقاً (خروج جامعة برنستون - الحقوق) وعندما ينزع نظارته تنغير ملامحه. كانت أطراف عينيه قاسية وكانت عدالة جديورغ إلى جانبه.

وعندما يسأله شخص ما ليست له صفة أمنية عن أسرار الوكالة يصبح وجهه صغيراً، ويبدو أنه يخفت وكأنه يخشى وراء نظارته أو وراء رموش عينيه. لم يتذكر. ولا يستطيع أن

يقول إنه اتصل من المسؤولية. لا انتهاك حرمت ولا تفنن في الأسئلة، وكان يبدو مروغاً. وعندما تظهر ملامح جسمه ما يخفي من القول كان كولي يجلد للصمت. المشاعر كانت العدو الحقيقي لرجل المخابرات. ففي قصة حياته: «الرجال الشرفاء» وضع نفسه بين الرجال الرمايين للوكالة الذين لم يكتفوا بأنفسهم بل كرسوها لإنجاز أعمالهم بدقة. أثناء التحقيقات حول عمل الاستخبارات، اهتم كولي بحماية وكالة الأمن القومي التي كانت قادرة على حل أي شيفرة أو أي اتصال باكثر مما يتصور الكثيرون. وأصبحت «قلب الإنتاج» لوكالات الاستخبارات كما قال كولي. وكانت حماية وكالة الأمن القومي الفصل غير المكتوب من التحقيقات. أما وكالة الأمن القومي بحد ذاتها فقد كانت لها قواعد صارمة للعمل وكان تدخلها بالشؤون الخاصة لدول العالم غير مفهوم بكامله. واعتقد كولي أن لكايي فرصة طيبة لتسلم إدارة وكالة المخابرات المركزية فله رصيد «أفضل من أي واحد منا». ويعني بذلك العناصر الداخلية في الاستخبارات. وكان كايسي في نظر كولي خبيلاً جيداً فهو مؤرخ جيد (كان كولي قد قرأ كتابه حول الحروب الثورية الأمريكية وعنوانه أين ومتى يجب أن نخوض الحرب) وهو عامٍ ممتاز وملم بالسياسة الخارجية ومجازف في التجارة. وس يكون له اتصال شخصي وسياسي مع الرئيس.

في المكتب الانتقالي للرئيس المنتخب وفي غرفة قديمة حيًا كايسي كولي بحرارة. قال كولي: أنت أهل لهذه المهمة لأن صلتك مع الرئيس هي مكسب كبير. وظهر كايسي كأنه يريد أن يصغي: ما كانت أخطاء كولي؟ وما نصائحهم؟ وما تقويمه للوضع؟

أنظر، قال كولي: أنت تنظم المكان كما تريد وهو لحظمكن. ويجعل العمل تقديم النصائح للرئيس. وستنحصر اجتماعات مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض. وعليك أن تعرف ما يجري وأن تلك التقديم الصحيح للضمانات والأحداث، والنصيحة الجيدة في الأزمة هي الأساس، والتحليل الجيد في وقت الضيق هو كل شيء.

ظهر كايسي كأنه مأخوذ بالماضي إلا أنه ركز بعناية على كلام كولي. قال كولي: أنت ضابط استخبارات الرئيس، هذه هي وظيفتك. فإعمل ذلك جيداً والباقي يُصيح سهلاً. أما الأعمال البيروقراطية فيقوم بها الآخرون. يجب أن لا تكون الاستخبارات جامدة في البيت الأبيض عندما تكون الخيارات السياسية موضع نقاش. إن مدير الوكالة ليس لاعباً رئيسياً في تحديد تحليل يسأل السؤال الصحيح، ثم أضاف كولي: «أنت بحاجة إلى مركز تحليل يسأل السؤال الصحيح» ولكن من الضروري أن تتكلم. «الوكالة الآن منظمة بشكل خاطئ من ناحية الانضباط والارتباط السياسي والاقتصادي والعسكري والمسائل الاستراتيجية النووية - مثل أية جامعة».

قال كولي: «لن أقول لك كيف تركب القطار، ولكن إن عدت إلى إدارة الوكالة فلن

ساعدت تنظيم فرقة التحليل على قاعدة جغرافية، عندها ساجد خبراء يمكنهم تقدير وزن وتحليل الوضع في كل بلد أو منطقة وكان كولبي قد حضر اجتماعاً مع ١٦ خبيراً من الوكالة في قاعة وكل خبير تخصص بمنطقة معينة، وكان هو الوحيد الذي ينظر إلى الصورة الشاملة، ولم يشجع أحد هؤلاء الأشخاص الأذكياء كي يتمكن عقولهم من تجاوز المرات الضيقة بين المكاتب.

قال كولبي: إن نوعية النصيحة تعتمد على التحليل الدقيق. وإن قسماً كبيراً من العناصر الضرورية للتحليل موجود في الصحافة، وإذا قاطعتها مع الاستخبارات يمكنك أن تستنتج الكثير. فالاستخبارات الجيدة والمشاريع المدروسة بدقة وعناية يمكن أن تحرك صانعي السياسة بحيث يتجنبون المشاكل والكوارث في أعمالهم. يقولون إنه لا يمكنك التنبؤ بالمستقبل ولكن الوكالة تقوم بذلك العمل يومياً.

الأركان والمساعدون في الوكالة ممتازون، نال كولبي، وأضاف: هم موهوبون ومخلصون ولكن لا ترتبك فيمكانيك تجاهلهم. ثم قال إن هناك انقسامات بين المديريات الثلاث في الوكالة: التحليل والعمليات والتقنية، ويمارس رؤساء هذه المديريات عروشهم الخاصة. وقد حاول كولبي أن يبنى هذا الأمر إلا أنه لم يستطع.

وعن مديرية العمليات التي أتى منها وترأسها فترة من الزمن وهي متغلقة وضيقة، قال كولبي: إن إخلاص الفريق كان ممتازاً، ولكن قوة الوكالة تأتي من المحطات الخارجية التي يشرف عليها مدير العمليات. ورؤساء المحطات من الخارج هم غالباً في الثلاثينات ويقومون بجميع المهام، والأمن والعمليات الخفية والدبلوماسية. وليسوا مثل موظفي وزارة الخارجية الذين يشرف كل واحد منهم على سكرتيرة فقط ولا يقومون بأي عمل إلا بناءً لبرقية من وزارة الخارجية!

العمل الخفي ضروري ويساعد كثيراً. إن العمليات الإعلامية أو عمليات الدعم السياسي الخفية لرئيس معتدل مثلاً غالباً ما يكون لها معنى كبير. إن خطة خفية تتطابق مع سياسة الإدارة العلنية يمكن أن تنجح، وإذا تسربت لا تحدث مفاجأة، ويكون الانقراض قليلاً. ولكن يجب أن يكون هناك دعم سياسي حقيقي في البلد الذي ينفذ فيه العمل الخفي أي معارضة سياسية حقيقية أو مقاومة حقيقية لأنه لا يمكن لوكانت المخابرات المركزية أن تخلق ذلك.

لم يكن كولبي محامياً بارعاً عن الأعمال الخفية لأنها كانت تعتبر أعمالاً قادرة عندما كان مديراً للوكالة. في الخمسينات أخذت الأعمال الخفية نصف موازنة الوكالة، وعندما ترك عمله أخذت ٤٠٪ من الموازنة. واتفق كولبي وكايبي على أن إدارة كارتر قد زادت فعاليتها في الأعمال الخفية في آخر سنتين أو سنة من عهده.

وعاد كولبي للحديث عن الكونغرس الذي عرفه جيداً. لقد أخذ نصف وقته في آخر

سنة. إن لجنة الاستخبارات الجديدة ممتازة وكان من المهم أن يتفهم الكونغرس من خلال هذه اللجان عمل الاستخبارات. وكان من المعقول تغيير عملية اعلام اللجنة بطريقة تخفف من غطر تسيير المعلومات وتحصل على تفهم الكونغرس الدائم.

وبقي موضوع واحد، وهو الأهم: الاتحاد السوفياتي وهو الهدف الاستخباري الصعب. أدرك كولبي أن السوفيات لن يستطيعوا ترك بلادهم مغلفة كما في الماضي. ففي رحلة الأسبوع الجوية بين موسكو واشنطن كانت الصحف والمجلات الأميركية تعبر بانتظام حاملة معها معلومات هامة وأسراراً عسكرية. وكانت هذه فرصة لا تعوض بالنسبة إلى السوفيات. قال كولبي: «مع أننا نملك تكنولوجيا متطورة ومتفوقة فليتنا أن نسعى دائماً للحصول على اختراقات هامة. حاول أن تدخل إلى الدائرة المقدسة في القيادة السوفياتية. لم يستطع أحد ذلك ولكن يمكنك أن تقوم به». وكان كولبي يعرف أنه يتكلم إلى رجل مشهور بالمجازفات في عالم المال والتجارة. وتابع كولبي وهو يرقق كايبي بأحاديثه: إنها تؤدي إلى خسائر قليلة. وبدأ كان كايبي فهم ما يقنيه.

إن أي جاسوس يترقب الاتحاد السوفياتي بواسطة وكالة المخابرات المركزية يمكن أن يتحول إلى عميل مزدوج. وإذا كان هناك واحد سيُفهم الحصول على خمسة ممتازين في القريب العاجل وستحرق مدة إلا أنك ستستمر. هذه العمليات ضرورية وحيوية وتستطيع بواسطتها إظهار الفوارق. كايبي كان الرجل وهذا هو الوقت.

أوماً كايبي برأسه وكان يجلس هادئاً وعيناه تركزان على كولبي.

قال كولبي: «لا تقلق من اواسط السبعينات» وشعر بأنه أخذ الماضي من طريقه وطرد منه الأرواح الشريرة. أذهب إلى العمل.

أجاب كايبي أنه سيستدعيه في وقت ما في المستقبل، وكان منشراحاً، ولم يكن هناك تباعد بينهما. غادر كولبي وهو يشعر بالإرادة القوية وبأن كايبي كان متصلاً.

تذكر كايبي أنه مدين لستان تورنر بمكالمة هاتفية. ستان، قال كايبي، إن الاشاعات التي دارت منذ أسبوعين حول تعييني مديراً للوكالة لم تكن صحيحة وهي الآن صحيحة وسأكون المدير الجديد لها. «حسنًا» قال تورنر، ولم يقدم عتابه.

أخذ كايبي بالجواب الفاتر، واتفق الرجلان على لقاء قريب. وشعر كايبي بأن تورنر رجل غريب ومن الأفضل أن يتجنبه خلال الفترة الانتقالية ما أمكنه ذلك.

في ٩ كانون الأول/ديسمبر وصل كايبي إلى مكتب تورنر في المكتب التنفيذي وخطا خطوات قليلة غير ثابتة، كأنما قدماء كانتا تؤلّاه أو كأنما وضع أحد حصّي في حذاءه ولكنه كان يتمتع بروح عالية.

بدأ كايبي الحديث قائلاً: أراد رونالد ريفان أن يكون رئيساً وهو ابن ٦٩ سنة، أما أنا فلن أكون وزيراً للخارجية ولي من العمر ٦٧ سنة ولن أقوم برحلات وأعمال دبلوماسية.

- حسناً، أجباب تورنر- إن عليك كمدير للوكالة أن تقابل عدداً كبيراً من الناس، وجميع المبعوثين الأمنيين الذين يحضرون إلى الولايات المتحدة سيطلبون مقابلتك. وتعجب كايسي، هل كان هؤلاء كثراً؟

أضاف تورنر: «الفرنسيون مثلاً ليس لديهم رئيس استخبارات مثلنا، إن مارانش رئيس مكتب التوثيق الخارجي ومكافحة التجسس، ولكن ليس لديهم وظيفة موازية لمدير المخابرات المركزية أو منسق عام للمخابرات. لذلك يطلب رئيس مكافحة التجسس مقابلتك ورئيس مكتب التحقيق الفرنسي يطلب أيضاً مقابلتك وجميعهم يحسبون أنفسهم نداء لك».

لم يحضر كايسي معه أية ملاحظات أو لائحة أسئلة وبدأ قليل الاهتمام.

- هل ترى أي مانع في أن أكون عضواً في الحكومة؟
سأله كايسي بوضوح وكان تعيينه عضواً في الحكومة شرطاً من شروط قبوله بالمصعب مع أنه لم يذكر ذلك لتورنر. قال تورنر إن في استطاعة ريغان أن يجعل منصب مدير المخابرات المركزية مركزاً حكومياً وإن كان الراتب أقل من راتب وزير بعشرة آلاف دولار إلا إذا زادها الكونغرس. وكان كايسي يطلب درجة وزير إلا أنه لم يكثرث بالعشرة آلاف دولار.

وبينما كانا يتحدثان وردت مكالمة من مجلس الأمن القومي من المستشار بريجنسكي ولم يشأ تورنر أن يظهر الجو القدر لإدارة كارتر، لذلك استأذن وقام ليتلقى المكالمة من مكان آخر، واستغرب كايسي ذلك. كان هناك خلاف كبير بين تورنر وبريجنسكي، كان تورنر يتوقع أن السوفيات سوف يغزون بولونيا تحت ستار مناورات عسكرية. وكانت لديه صور من الأقمار الاصطناعية تظهر حشوداً للقوات السوفياتية على الحدود. وكان لديه عميل سري من الأفار السوفيات، شين بريجنسكي حملة إعلامية يهدف فيها العالم من الغزو السوفياتي ويحاول اخافة السوفيات، كما أنه أرسل للسوفيات تحذيراً عبر القنوات الدبلوماسية مع الهند وفرنسا ولكنه كان يطلب معلومات أكثر، وتورنر يرفض إعطائه ذلك، لأنه في كل مرة كان بريجنسكي يكشف التفاصيل يظهر كأنه واثق من معلوماته، كان يُعرض مصادر المعلومات للخطر. ولكن بريجنسكي كان مصرّاً على أن الادعاءات الأميركية يجب أن تكون معتبرة وصحيحة وأن لا يقوم الرئيس بتدابير سلبية. يجب حرمان السوفيات من السرية والمفاجأة. (كان عنوان صحيفة واشنطن بوست في اليوم التالي: القلق يتنامى حول الخطط السوفياتية في بولونيا) كما أن بريجنسكي هيّا مكالمتها لعناصر نقابات التضامن في بولونيا يهددهم فيها من الغزو المحتمل. وبدأ أعضاء النقابات يقفلون مصانعهم ويقطعون خطوط المواصلات.

انظر كايسي وقتاً طويلاً في مكتب تورنر وشعر الإنسان بالخروج عندما عاد تورنر ولم يخف أحدهما مشاعره على الآخر.

قال تورنر: يمكن أن تجعل نفسك رمز البطولة في الوكالة. أخرج الفريق الانتقالي من مبنى الوكالة لأنهم يتحدثون عن وظائف مدنية في الوكالة وهذا شيء خفيف. لم يتجاوب كايسي وأوضح أنه يعرف الكثير عن الاستخبارات من خلال خبرته في مكتب الخدمات الاستراتيجية ومن السنة التي أمضاها في مكتب استشارة الرئيس لشؤون الاستخبارات في الخارج.

ابتسم تورنر وفوجيء بأن كايسي لم يكن لديه أي ميل نحو الفلسفة. ألا يريد كايسي أن يعرف أن الاداة التنفيذية يمكن أن تقاوم الأعمال الخفية؟ وطرح كايسي أسئلة قليلة حول معدل العمل اليومي وميكانيكية العمل، وبعد ساعة وعشرين دقيقة وقف لينصرف.

بعد يومين (الخميس ١٠ كانون الأول/ ديسمبر) توجه تورنر إلى بليز هاوز وهو بيت الضيافة الرئاسي ليقدم إنجازاً حول الاستخبارات إلى ريغان وكايسي. وصل تورنر إلى غرفة في الطابق الأرضي وكان موضوع الإنجاز التوازن الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. طلب ميز من تورنر أن يسقط الموضوع بكامله لأن ريغان قال في حملته الانتخابية أن السوفيات متفوقون نووياً أو كانوا على مقربة من تحقيق التفوق، ووافق تورنر لأن إعادة تمثيل الحملة لا تعني شيئاً.

وهكذا صار الموضوع الأول للاقتصاد السوفياتي. قال تورنر إن الاقتصاد السوفياتي يعاني من مشاكل عديدة وإن السوفيات يعانون من المشكلة الديموغرافية وكثرة اليد العاملة، وتوقع تراجع معدل النمو السنوي من ٥٪ إلى ٢٪. وهذا يعتبر سقوطاً مذهلاً. ثم انتقل إلى العلاقات الصينية السوفياتية وبقي متعلقاً بإعادة الحديث عن التوازن الأميركي السوفياتي. وقال للرئيس المنتخب إن أهم قضية في التوازن الاستراتيجي ليست في عدد الصواريخ والقنابل أو القوة التدميرية للصواريخ والقنابل السوفياتية، بل في كيفية تأثير الأسلحة وعملها. إن هذا ليس مجرد حسابات وليس مجرد أرقام، لنحاول أن نعرف ما يحدث بعد تبادل الضربات النووية. بشكل عام، إذا وجه الروس الضربة النووية الأولى ثم انتقمنا لها بضربة نووية فإن القوى المتبقية في الجانبين ستكون متوازنة. ثم قال: في الحقيقة أنه بعد الضربة الأولى من الاتحاد السوفياتي تبقى للولايات المتحدة أسلحة استراتيجية نووية كافية لتدمير جميع المدن السوفياتية التي يزيد عد سكان الواحدة منها عن مئة ألف نسمة.

وهذا يعني أن التفوق السوفياتي لم يكن حقيقياً وأن نقطة الضعف الوحيدة في هذا الحكم قد يكون في تقليل المحللين من إمكانيات التدمير السوفياتي في الضربة الأولى. ولكن تورنر شعر بأن تقدير المحللين كان صحيحاً، وهذه رسالة لنا لنقلق على سلامة صواريخنا الاستراتيجية وليس على عددها.

وكان هذا بمثابة هرطقة بالنسبة إلى رونالد ريغان الذي قاد الحملة الانتخابية على أساس أن الولايات المتحدة متراجعة في هذا المجال بشكل خطير وأنه لا بد من زيادة الاتفاق في المجال العسكري.

جلس ريفان وميز وآلن صامتين، والتمز كايبي الصمت أيضاً. إن نزع السلاح الذي كان يفضّض عدد الأسلحة النووية إلى النصف كان هراء. ما هو الفرق؟ أن النصف الباقى يكفي لتدمير كل العالم. ثم عرض تورنر للدفاع المدني الذي كان هواية ريفان المفضلة، وقال في حلقته الانتخابية إن السوفيات يبنون الملاجئ، وإتهم يستعدون للحرب النووية. نعم أجاب ريفان: نحتاج إلى المزيد من ذلك (أي من الدفاع المدني).

- لا ياسيدي أنا لا أوافق. قال تورنر. لقد استتجت وكالة المخابرات المركزية أن أقل من ١٠٪ من سكان الاتحاد السوفياتي يمكن تأمينهم في ملاجئ. وأن الخطط السوفياتية للاخلاء لم تكن مجربة. تخيل إخلاء ثمانية ملايين نسمة من موسكو في فصل الشتاء! بعد الإيجاز وقف ريفان ليتصرف وتوجه نحو الدرج فلاحقه تورنر. نعم! قال ريفان وهو يتنسم ويقف على الدرج، إنه كان دائماً يصغي ويستمع.

سيدي، بدأ تورنر، هناك أشياء حساسة نقوم بها، وركز في عيون ريفان. كل رئيس منتخب عليه أن يتخيل أن هذه الأشياء موجودة. وكان ريفان ينظر إليه باهتمام. تابع تورنر: الرئيس كارتر حصر ذلك في البيت الأبيض بشخصين أو ثلاثة مثلاً هاملتون جوردان لا يعرف هذه الأشياء (كان جوردان أعلى مستشاري كارتر الاستراتيجيين ورئيس أركان البيت الأبيض). سيدي لم أتعرض لهذا بعد. أود أن أعطيك أنت ونائب الرئيس بوش فقط إيجازاً حول المواضيع الثنائية الحساسة التي نعالجها.

- بكل تأكيد، قال ريفان.

قال تورنر: «إن هذه الأمور ليست الأكثر أهمية بل الأكثر حساسية ويمكن أن تؤذي إذا تسربت». وتابع: «يمكنك أن تقرر من في البيت الأبيض من أركانك يُسمح له بالتعاطي بهذه المواضيع». وافق ريفان وانصرف تورنر.

تقدم كايبي نحوه وسأله: متى سيصدر التعيين، أجاب: في غضون ثلاث ساعات. أسرع تورنر إلى سيارته الأولدزموبيل وعاد إلى مكتبه وشعر بأن من المهم أن يعرف أركانه المعلومات منه. وكان من عادته أن يستدعي في وقت واحد أربعة عشر معاوناً من كبار معاونيه مرة كل ثلاثة أسابيع الساعة التاسعة صباحاً، يجتمعون في غرفة مؤتمرات صغيرة مقابل مكتبه. ولم يكن تورنر معجباً بغرفة المؤتمرات لأن له فيها ذكريات مزعجة حيث عرض عليه معاونوه قرارات صعبة حول أمور هامة. ونادراً ما كان أحد الحضور يلم بالموضوع بشكل كافٍ.

انتقل تورنر إلى غرفة المؤتمرات وتلا بيانه وكان حزيناً.

في ذلك اليوم بعد الظهر وصل كايبي إلى قاعة اجتماعات فندق ماي فلاور في مدينة واشنطن ووقف مع سبعة من الذين عينهم ريفان في حكومته أمام شاشة زرقاء وأدلى جيمس برادي الناطق باسم الفريق الانتقالي بتصريح الرئيس المنتخب.

في ذلك المساء دعت كاترين غراهام رئيسة شركة الواشنطن بوست إلى عشاء على شرف الرئيس في منزلها في جورج تاون. وكان بيل وصوفيا كايبي من ضمن المدعوين السبعين. وجلس كايبي مع ماري غراهام زوجة ناشر الواشنطن بوست دونالد غراهام وجلست نانسي كيسنجر زوجة وزير الخارجية السابق هنري كيسنجر إلى الجانب المقابل. كان مليئاً بالحيوية والحاسة وتكلم قليلاً عن الحملة الانتخابية.

- ٣ -

توجه كايي لمقابلة مدير وكالة الأمن القومي بوبي اتمان. كانت هذه الوكالة دائرة صغيرة من الأسرار: النقاط اتصالات وحلّ شيفرة. قال كايي في بداية الحديث: «أنا أعرف أنك كنت على وشك أن تصبح نائب المدير وأنت رفضت ذلك». أجاب اتمان: «أنا أعتذر» وأضاف إنه لم يكن مرتاحاً في الأسابيع التي تلت الانتخابات لا شخصياً ولا في عمله لأن غولدووتر وآخرين دفعوا به إلى منصب مدير المخابرات المركزية. وأشاد اتمان بمديرية الأمن القومي فهي مؤلفة من ٤٠ ألف رجل منتشرين حول العالم في مراكز تنصت وفي مركز القيادة في فورت ميد في ولاية ماريلاند.

وتعتبر مديرية العمليات من الأقسام الحساسة ومن ضمنها مجموعة السوقيات وهي مؤلفة من ألف عنصر معظمهم من المدنيين ومركزها فورت ميد. معظم هؤلاء يتكلمون اللغة الروسية ويقرأونها. وتوصلت الوكالة إلى أفضل معلومات حول السوقيات عن طريق التقاط المكالمات، وبالإجمال يمكن للوكالة أن تعلم عندما يخطط السوقيات لعمل عسكري رئيسي. وهناك مجموعة أخرى لالتقاط المكالمات في آسيا ومجموعة للالتقاط في جميع أنحاء العالم. وكانت لائحة البلدان المطلوب التنصت عليها تزداد، وكل وزير خارجية أو مستشار لشؤون الأمن القومي كان يريد المزيد، ويطلب أن يعرف ماذا يفعل الطرف الآخر.

وركز اتمان على استخبار هذه الالتقاطات. كانت هناك مناطق كثيرة من العالم غير مغطاة، وكانت الوكالة تواجه طرق تشفير جديدة ومعقدة يستعملها السوقيات وغيرهم. ويتوجب انتظار الوقت الملائم لالتقاط المكالمات وحل الشيفرة وتوصيل المعلومات إلى مستعملها. كما ركبت معدات تنصت على الأقمار الاصطناعية يمكنها إرسال المعلومات المتقطعة فوراً. وقال اتمان إنه في الأزمات يمكن للاستخبارات أن تعتمد على آلة التسجيل أو الكمبيوتر أو أن تنتظر الترجمة. لم يكن هناك وقت استماع دائم كأن يكون هناك شخص ما في مكان ما مع هاتف وهو جاهز دائماً لإرسال المعلومات المتقطعة. لم يكن هناك عدد كاف من العناصر لذلك. يتم اختيار الالتقاطات المتدفقة بواسطة كومبيوتر مبرمج على الكلمات الهامة والأسماء الهامة.

سأل كايي أسئلة عديدة وكان متأهباً دائماً على الرغم من مظهره المبهر. ولم تكن

أستلته حشراً في الزاوية كما كان يفعل تورنر. ترك كايبي ائمان وفي ذهنه تخوف من أن يحدث فشل في الاستخبارات مماثل للذي حدث في بيرل هاربور عندما لم يطلع الرؤساء المسؤولون على الرسائل المنقطة من اليابانيين لأنها لم تُسَلَّم إليهم. في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ذهب كايبي إلى شارع F حيث مكاتب تورنر في مجموعة الاستخبارات. قال تورنر إن لديه بعض المواضيع الهامة يؤد أن يشرعها، عندها اعتقد كايبي أن تورنر ما يزال يقاتل في معركة خاسرة ومال إلى عدم الإصغاء إليه.

قال تورنر إنه يريد أن يتحدث عن الكليات المشفرة. إن نظام تقسيم المعلومات الحساسة إلى فئات كان مربكاً، وقد استعملت عشرات الكليات المشفرة لتعبر عن العمليات وعن الإمكانات في الوقت نفسه. واتباع نظام التشفير نفسه في وكالة الأمن القومي وفي الاستخبارات البحرية وحتى في مديرية العمليات في وكالة المخابرات المركزية. وقال تورنر إن حوالي ٥٠ ألف شخص كانوا يعرفون سر الشيفرة، أضف إليهم جميع عناصر مصنع أجهزة الاتصال والتشفير، والمتعهدين العشرة الذين ركبوا الأجهزة، وجميع عناصر الاتصالات. ورقم ٥٠ ألف لا يشمل الذين عرفوا سر الشيفرة ثم نُقلوا إلى وظائف أخرى.

قال تورنر إن لديه طريقة لخفض المعلومات إلى خمس كلمات مشفرة تكون سرية جداً، وكان لهذه الطريقة اسم Apex وكلمات الشيفرة الخمس هي Photint وتشمل الأقمار الاصطناعية وطائرات التجسس Comint وتشمل جميع الاتصالات المنقطة Humint وتشمل جميع المصادر البشرية Techint وتشمل جميع المسائل التقنية وRoyal وهي كلمة شيفرة مخصصة للتقنيات الخاصة أو العمليات الخاصة والحساسة والتي تحصر بأقل من مئة مسؤول كبير.

تعجب كايبي كيف أن ذلك يمنع الاختراق. فهل أن عمل أي شخص مع المصادر البشرية في أحد البلاد يسمح له أن يتعرف إلى المصادر البشرية في مختلف البلدان؟ لم يسأل كايبي هذا، وكان تورنر يثور ويتحمس وهو يعرض Apex وكأنه اكتشاف الوصايا العشر. قال تورنر إن وكالة الأمن القومي كانت تخاربه لأن Apex تعطي مدير وكالة المخابرات المركزية السيطرة على جميع الاتصالات المنقطة. ورأى كايبي في تورنر رجلاً جعل حياته صعبة وظهرت عليه علامات الخيبة وعدم الاستقرار، وبدأ يروج أنه لم يفقد السيطرة على الوضع، حتى ولو أنه ما زال، بعد سنواتٍ أربع، على خلاف مع وكالة الأمن القومي حول العناوين وساحات الصراع.

لم يكثر كايبي للعناوين، ولم تكن هذه مسألة استخبارية بالنسبة إليه. وتخلل أنه يحتاج إلى مزيد من تجزئة الأسرار ومزيد من الكلمات المشفرة للمحافظة على الأسرار، وهكذا أربك تورنر نفسه، وضحك كايبي لذلك. وتابع الأميرال تورنر: «لقد طلبت جعل الاستخبارات الاقتصادية علنية»، وكان له

مساعدان في المجموعة الاستخبارية وحوالى مئتي موظف أركان، وأحد المساعدين كان للموازنة والآخر لوضع أفضلية العمل.

كان كايبي يود أن يعرف المزيد: حسناً من برأيك سيكون نائبي؟ وكانت معه لائحة من ثلاثة أشخاص: فريد ايكل (خبير بالدبابات وبنزع السلاح). ألا تعرفه؟ قال تورنر. وهانك نوش؟ أجاب تورنر: لا يقدر على القيام بالوظيفة. وكان نوش مساعداً لتورنر لبعض الوقت.

ائمان؟ رجل قادر، قال تورنر. ولكن هناك سيثان بعيدتان فيه. الأولى أنه كان يقاوم بصلابة وجود مدير قوي لوكالة المخابرات المركزية وأنت ستكون مديراً قوياً وهذه هي المشكلة، والثانية إذا أخذت بعين الاعتبار التنافس القوي بين وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي فإن لوكالة المخابرات المركزية شكوكاً حوله.

شكر كايبي تورنر ثم انصرف. وكان انطباع تورنر أن كايبي مستمع جيد. لم يقرر كايبي بعد من سيكون نائب المدير. وركز في مباحثاته مع تورنر على أن ائمان هو مدير قوي وصلب لوكالة الأمن القومي وإذا جاء ائمان إلى وكالة المخابرات المركزية يمكن بسهولة أن تتحول سيثاته إلى حسنات. إن اللاعب النجم في الفريق المنافس يمكن أن يصبح بطلاً في فريقك. قرر كايبي أن يجتمع مع فرانك كارلوتشي وهو مساعد بيروقراطي قديم وعمل ضابط خدمات خارجية، ونائباً لوزير الصحة والتعليم والرخاء، ونائباً لمدير مكتب الموازنة، وسفيراً في البرتغال.

تساءل كايبي: من سيكون نائب المدير؟ وكان يعلم أن كارلوتشي سيرتك الوكالة ليصبح مساعداً لوزير الدفاع وينبرغر. قال كارلوتشي: هناك شخص واحد فقط هو بوبي ائمان وإذا لم تختره فسأقوم أنا وكاسبار وينبرغر بإعادة تنظيم وكالات الاستخبارات في وزارة الدفاع ومن ضمنها وكالة الأمن القومي لوضعه أمام الأمر الواقع. وكان كايبي يريد أن يكون ائمان تحت سلطته في وكالة المخابرات المركزية.

قبل الميلاد ذهب كايبي إلى لانغلي ليقابل تورنر مرة ثانية، وسلمه تورنر نسخة عن تقرير للوكالة حول سوء معاملتها لأحد عناصر المخابرات السوفياتية KGB يوري نونسكو في الستينات. كان تورنر يعتقد بأن هذه هي من أكبر جرائم الوكالة. فقد اشتبه فيه عناصر الوكالة وظنوه عميلاً مزدوجاً، أرسل إلى وكالة المخابرات المركزية ليزودها بمعلومات ثبت عدم وجود أي علاقة للمخابرات السوفياتية بقاتل جون كينيدي في هارفي أوزوالد. وسجن نونسكو في زنزانة (ثمانية أقدام بثمانية أقدام) لمدة ١٢٧٧ يوماً، أي أكثر من ثلاث سنوات، سجنته مجموعة خبراء مكافحة التجسس التي كان العميل السوفياتي مزروعاً فيها. قال تورنر: «من المهم أن نقرأ هذا التقرير ومن المهم ما يمكن أن يحدث وما يحدث خطأ». ولم يكن تورنر واثقاً من أن ذلك لن يحدث ثانية.

استلته حشراً في الزاوية كما كان يفعل تورنر. ترك كايبي اتمان وفي ذهنه تخوف من أن يحدث فشل في الاستخبارات مماثل للذي حدث في بيرل هاربور عندما لم يطلع الرؤساء المسؤولون على الرسائل المنقطعة من اليابانيين لأنها لم تُسلم إليهم. في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ذهب كايبي إلى شارع F حيث مكاتب تورنر في مجموعة الاستخبارات. قال تورنر إن لديه بعض المواضيع الهامة يؤدّ أن يشرحها، عندها اعتقد كايبي أن تورنر ما يزال يقاتل في معركة خاسرة ومال إلى عدم الاهتمام إليه.

قال تورنر إنه يريد أن يتحدث عن الكليات المشفرة. إن نظام تقسيم المعلومات الحساسة إلى فئات كان مريباً، وقد استعملت عشرات الكليات المشفرة لتعبر عن العمليات وعن الإمكانيات في الوقت نفسه. واتباع نظام التشفير نفسه في وكالة الأمن القومي وفي الاستخبارات البحرية وحتى في مديرية العمليات في وكالة المخابرات المركزية. وقال تورنر إن حوالي ٥٠ ألف شخص كانوا يعرفون سر الشيفرة، أضف إليهم جميع عناصر مصنع أجهزة الاتصال والتشفير، والمتعهدين العشرة الذين ركبوا الأجهزة، وجميع عناصر الاتصالات.

ورقم ٥٠ ألف لا يشمل الذين عرفوا سر الشيفرة ثم نُقلوا إلى وظائف أخرى. قال تورنر إن لديه طريقة لخفض المعلومات إلى خمس كلمات مشفرة تكون سرية جداً، وكان لهذه الطريقة اسم Apex وكلمات الشيفرة الخمس هي Photint وتشمل الأقمار الاصطناعية وطائرات التجسس Comint وتشمل جميع الاتصالات المنقطعة Humint وتشمل جميع المصادر البشرية Techint وتشمل جميع المسائل التقنية والـ Royal وهي كلمة شيفرة مخصصة للتقنيات الخاصة أو العمليات الخاصة والحساسة والتي تحصر بأقل من مئة مسؤول كبير.

تعجب كايبي كيف أن ذلك يمنع الاختراق. فهل أن عمل أي شخص مع المصادر البشرية في أحد البلاد يسمح له أن يتعرف إلى المصادر البشرية في مختلف البلدان؟ لم يسأل كايبي هذا، وكان تورنر يثور ويتحسم وهو يعرض Apex وكأنه اكتشف الوصايا العشر. قال تورنر إن وكالة الأمن القومي كانت تحارب لأن Apex تعطي مدير وكالة المخابرات المركزية السيطرة على جميع الاتصالات المنقطعة. ورأى كايبي في تورنر رجلاً جعل حياته صعبة وظهرت عليه علامات الغزبية وعدم الاستقرار، وبدأ يروج أنه لم يفقد السيطرة على الوضع، حتى ولو أنه ما زال، بعد سنوات أربع، على خلاف مع وكالة الأمن القومي حول التعاون وساحات الصراع.

لم يكثر كايبي للناويز، ولم تكن هذه مسألة استخبارية بالنسبة إليه. وتخيّل أنه يحتاج إلى مزيد من تجزئة الأسرار ومزيد من الكليات المشفرة للمحافظة على الأسرار، وهكذا أربك تورنر نفسه، وضحك كايبي لذلك.

وتابع الأميرال تورنر: «لقد طلبت جعل الاستخبارات الاقتصادية علنية»، وكان له

مساعدان في المجموعة الاستخبارية وحوالي مئتي موظف أركان، وأحد المساعدين كان للموازنة والآخر لوضع أفضلية العمل.

كان كايبي يود أن يعرف المزيد: حسناً من برأيك سيكون ناثي؟ وكانت معه لائحة من ثلاثة أشخاص: فريد ايكيل (خبير بالدبابات ويتزع السلاح). ألا تعرفه؟ قال تورنر. وهناك نوش؟ أجاب تورنر: لا يقدر على القيام بالوظيفة. وكان نوش مساعداً لتورنر لبعض الوقت.

اتمان؟ رجل قادر، قال تورنر. ولكن هناك سيثان بعيدتان فيه. الأولى أنه كان يقاوم بصلاية وجود مدير قوي لوكالة المخابرات المركزية وأنت ستكون مديراً قوياً وعنده هي المشكلة، والثانية إذا أخذت بعين الاعتبار التناقص القوي بين وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي فإن لوكالة المخابرات المركزية شكوكاً حوله.

شكر كايبي تورنر ثم انصرف. وكان انطباع تورنر أن كايبي مستمع جيد. لم يقرر كايبي بعد من سيكون نائب المدير. وركز في مباحثاته مع تورنر على أن اتمان هو مدير قوي وصلب لوكالة الأمن القومي وإذا جاء اتمان إلى وكالة المخابرات المركزية يمكن بسهولة أن تتحول سيثاته إلى حسبات. إن اللاعب النجم في الفريق المنافس يمكن أن يصبح بطلاً في فريقك. قرر كايبي أن يجتمع مع فرانك كارلوتشي وهو مساعد بيروقراطي قديم وعمل ضابط خدمات خارجية، ونائباً لوزير الصحة والتعليم والرخاء، ونائباً لمدير مكتب الموازنة، وسفيراً في البرتغال.

تساءل كايبي: من سيكون نائب المدير؟ وكان يعلم أن كارلوتشي سيركّب الوكالة ليصبح مساعداً لوزير الدفاع ويتبرغ. قال كارلوتشي: هناك شخص واحد فقط هو بوبي اتمان وإذا لم تختره فسأقوم أنا وكاسبار ويتبرغ بإعادة تنظيم وكالات الاستخبارات في وزارة الدفاع ومن ضمنها وكالة الأمن القومي لوضعه أمام الأمر الواقع. وكان كايبي يريد أن يكون اتمان تحت سلطته في وكالة المخابرات المركزية.

قبل الميلاد ذهب كايبي إلى لانغلي ليقابل تورنر مرة ثانية، وسلمه تورنر نسخة عن تقرير للوكالة حول سوء معاملتها لأحد عناصر المخابرات السوفياتية KGB يوري نوسنكو في الستينات. كان تورنر يعتقد بأن هذه هي من أكبر جرائم الوكالة. فقد اشتبه فيه عناصر الوكالة وظنوه عميلاً مزدوجاً، أرسل إلى وكالة المخابرات المركزية ليزودها بمعلومات تثبت عدم وجود أي علاقة للمخابرات السوفياتية بقاتل جون كينيدي في هارفي أوزوالد. وسجن نوسنكو في زنزانة (ثانية أقدام بثانية أقدام) لمدة ١٧٧٧ يوماً، أي أكثر من ثلاث سنوات، سجنته مجموعة خبراء مكافحة التجسس التي كان العميل السوفياتي مزروعاً فيها. قال تورنر: «من المهم أن نقرأ هذا التقرير ومن المهم ما يمكن أن يحدث وما يحدث خطأ». ولم يكن تورنر واثقاً من أن ذلك لن يحدث ثانية.

تقبل كايي التقرير، وتبين له أن تورنر يريد الإسهاب في شرح أحداث مضي عليها عقدان من الزمن. وأعطاه تورنر لائحة بأعلى عشرين أو خمس وعشرين وظيفة في الوكالة، وتوصياته حول الموظفين، وعرضه الأول والثاني والثالث لكل وظيفة، وخاصة وظيفة مدير العمليات. وقال تورنر إنه سيقوم بأخر رحلة له إلى الخارج كمدير لوكالة المخابرات المركزية، وستكون رحلته إلى الصين لإنهاء اتفاق سري جداً لتعزيز نظام مراقبة الصواريخ السوفياتية بدلاً من الذي فقد في إيران. وكان يسافر باسم مستعار وتقرر أن يرتدي أزياء عمومة ومن ضمنها شوارب مستعارة.

واصل كايي اجتماعاته مع الفريق الانتقالي لوكالة المخابرات المركزية. وعلى الرغم من نزعة نحو الأفكار الجديدة وصحة للمخاطر إلا أنه تعلم من المناصب الحكومية التي شغلها أن يتحرك ببطء وأن يفكر ملياً قبل أن يقرر. وهذا ما نصحه به صديقه المقرب وزميله القديم في الحقوق ليونارد هول الذي كان رئيساً للجنة الجمهوريين القومية خلال عهد ايزنهاور، وكان مدير حملة إعادة انتخاب ايزنهاور عام ١٩٥٦. وكان هول قد توفي السنة الفائتة، ولكن خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية كان لها لقاء مشترك على الغذاء في مطعم ايطالي في لوكاست فالي في لونغ ايلاند كل عام سبت. علمه هول أن يتصل بالناس، العمال، والسكرتيرين، والجميع إذا أمكن. ولكن الدرس الحقيقي كان «الحذر والتعقل».

والآن وبعد رحيل هول، من سيشرح عليه بالحذر والتعقل؟ اتجه كايي نحو جون بروس الذي كان يعتقد بأن اقتراحات الفريق الانتقالي نافية، وأن التغطية غير الرسمية للعلاء السريين في الخارج ستحوطهم إلى مجموعة من المسافرين ولن يكون لهم أي اعتبار أو أي مصداقية لدى الرسميين الأجانب. يجب أن تقاد عمليات التجسس من مركز قوة. إن هيئة حكومة الولايات المتحدة يجب أن تكون موجودة، وذلك لن يكون إلا إذا كان للجواسيس غطاء دبلوماسي. كيف يمكنك أن تجري اتصالاً مع واشنطن بشكل آمن دون تغطية من السفارات؟ وكيف ستحفظ الملفات السرية في غرفة في فندق هيلتون في المدينة؟ وقال بروس إن البلهاء من الفريق الانتقالي كانوا يحاولون أن يبيعوا لكايي فاتورة بضاعة من روباة حول التجسس أو من روباة ورومانيقية من العصر الذهبي الماضي للتجسس. حسناً، إنها غير موجودة، ولن توجد. إنها ليست قضية تدمير مركز قيادة الدكتور نو. الروس موجودون في جميع الانحاء، وسوف يبقون. إنها لعبة دائمة وممكرة.

تراجع كايي ورأى صحة آراء بروس ولكنه قرر أن يختبر الأمور أولاً.

قال له بروس: تعال يا بيل (بيل اسم الدلع لويلم)، من المؤكد أنك ستجد حلاً شاملاً.

انتهى آخر تقرير انتقالي في ٢٢ كانون الأول/ ديسمبر وفي يوم الميلاد أخبر كايي بروس أن صفحة الفريق الانتقالي قد طويت وصار مجمعاً للتقاضي وأنه حان الوقت ليرسم خطة عمله.

وارتاح بروس فقد ماتت الساحرة الشريرة.

بعد رأس السنة الجديدة التقى كايي وبروس على الغذاء في نادي المتروبوليتان وهو من أكبر أندية واشنطن.

قال كايي إن الأفضلية المطلقة هي للتقدير بشكل دقيق في ما يتعلق باستحقاقات المستقبل، أن نقدر كل شيء، وليس فقط حاجتنا إلى التحسين. الاستخبارات تؤدي إلى التقدير وسيحدد ذلك نقطة الضعف في مصادراتنا ونقطة الضعف في العاملين. والتقديرات هي صلة الوصل مع البيت الأبيض ومع الرئيس أي مع صانعي السياسة. وافق بروس. قال كايي: لقد دفع لي مرة ٦٠٠ ألف دولار في السنة لكي أنظم ملخصات ضرائب ويوميات. (كان يغالي في مدخوله السنوي). أن أتخذ المعلومات أغلبها وأصفيها إلى الضروري، هذا ما أقوم به جيداً.

آه فكر بروس، وصحى لأن كايي شعر بحاجة إلى التفاخر. قال كايي إن التركيز على التقدير يسمح له بإقامة علاقات شخصية مع رؤساء الاستخبارات في الدولة، الاستخبارات العسكرية ووكالة الأمن القومي، ومكتب التحقيق الفدرالي، لأن تورنر كان على خلاف مع كل منها، قال ذلك بسخريّة.

الأفضلية الثانية كانت للحصول على أمر تنفيذي من الرئيس يحد من القيود على جمع المعلومات. الأفضلية الثالثة هي للحصول على مال أكثر وأشخاص أكثر للمخابرات، والمشكلة الآتية كانت العصر البشري. كان كايي يريد أن يطلع على وجهة نظر بروس حول المراكز الأساسية؟

قال بروس إن ائمان يجب أن يكون نائب المدير لأنك تحتاج إلى شخص يحافظ على نفسه في مباحثات مع وزارة الدفاع، وسيجري ذلك ببرودة، وفي وزارة الخارجية سيكون له الاحترام ككسري معتمد. وغولدوتور في جيبه وهو يحكم الولد المدلل في الكونغرس. أولاً كايي برأسه، لكنه كان واضحاً أنه ما يزال متردداً.

- لم لا؟ سأل بروس

- لسبب واحد، هو أنه لا يريد الوظيفة

- إن بوبي رجل عسكري وسيفعل ما يُطلب منه. قال بروس. ويمكن لنجمة رابعة أن تجعل ذلك مرغوباً لديه.

تمتم كايي بكلمات وتحوّلت المحادثة إلى وظائف أخرى. ما رايلك بمساعد تنفيذي في؟ إنه أفضل اختيار يمكنك اعتقاده. قال بروس. وأنت تحتاج إلى شخص يعرف كيف تجري الأمور، إلى من يعرف مجلس الأمن القومي والأركان ومراكز القوى والأوراق ويعرف وزارة الدفاع ووزارة الخارجية معرفة وثيقة.

طلب كايي من بروس أن يبحث له عن الشخص المناسب. لاحظ بروس أن كايي

بدأ يعاني من مرض سياه «سأنشئ المكان بإحضار رجالي» وكان هذا دونوفان الحقيقي. لقد أبعد بعض الرجال الظرفاء وبعض من كان في المراكز الثانوية. وعلم بروس أن شخصيات غريبة ستظهر على السطح وأن بعض غربيي الأطوار سينجزون العمل، فمعظم العطاء لا يتخرجون من المدارس الكبرى.

نريد أناساً لهم خبرة واسعة في التجارة والأعمال. قال كايسي، نريد أن نحضر أناساً من الخارج وسأدير وظيفة هوغل وهو يختصر اسم ماكس هوغل.

وسأله بروس: من هو هذا؟

أجاب كايسي: هوغل.

ولم يكن بروس قد سمع بهذا الاسم من قبل.

وقرر كايسي أن يفتش عن وظيفة لماكس هوغل في وكالة المخابرات المركزية، وهو رجل أعمال ناجح عمل معه عن قرب في الحملة الانتخابية الرئاسية. وجند هوغل عدداً من العمال من الأقليات ومجموعات كبيرة من الناحيين. هناك وظائف كثيرة قال بروس.

واتفقا على أن يتنقل بروس إلى مكتب بجوار مكتب كايسي بعد أن يتسلم الوظيفة رسمياً حيث يمكن أن يراقب ويساعد على تعيين المساعد التنفيذي المثالي لكاييسي.

عاد كايسي إلى لانغلي، وطلب أن يوجز له عن بعض كبار مساعدي تورنر. وسأل كايسي: ما كان يجري خلال سنوات كارتر؟

هل كانت مديرية العمليات مهترئة؟ وطلب التفاصيل.

قال الموجزون: كان هناك ثلاثة أوجه للعمل الخفي خلال السنوات الأربع الماضية.

الوجه الأول كان الإعلام، وهو أول شكل من الأعمال الخفية وهو الأكثر ضراوة. كان بريجنسكي مؤملاً بشحن الكتب إلى البلدان الشيوعية. وشمل برنامج الكتب تهريب آلاف الكتب والمنشورات إلى ما وراء الستار الحديدي. وهذا ما لم يُغيّر وجهة سير التاريخ، ولكن كان هنالك شعور بأن تعاليم الديمقراطية يجب أن تكون متوفرة.

ذهل كايسي من هذا العمل ولاحظ أن تورنر توسّع بشكل دراماتيكي في البرامج الإعلامية. وسأل: ماذا أيضاً؟

الوجه الثاني من الأعمال الخفية كان توطيد العلاقات مع الدول الصديقة وبخاصة بريطانيا والسعودية. والعملية الأساسية في ذلك كانت عملاً شبه عسكري لدعم برنامج الإطاحة بالحكومة الماركسية في اليمن الجنوبية المدعومة من الاتحاد السوفياتي. وكانت العملية في طريقها إلى التنفيذ، وبدأ تدريب فرق اليمين على نفس الجسور، ووصف تورنر العملية بأنها طائشة، وكلف نائبه فرانك كارلوتشي بالإشراف عليها.

- لماذا؟ سأل كايسي.

شعر كايسي أن كارتر كان متلهفاً لإرضاء خواطر البريطانيين الذين كانوا وراء عملية

اليمن الجنوبي. وقلق لأن وكالة المخابرات المركزية كانت تشارك جهاز الاستخبارات الخارجية البريطانية، الذي كان خفياً، بعض المعلومات السرية.

- وماذا أيضاً؟

الوجه الثالث كان دخول إدارة كارتر في مواجهة الغزو السوفياتي لأفغانستان عام ١٩٧٩، في برنامج سري وعملية دعم شبه عسكرية واسعة النطاق. وكان بريجنسكي التشدد يعتقد بأن السوفيات تمددوا زيادة عن اللزوم، وكانت أفغانستان بمثابة فيتنام لهم، وأراد بريجنسكي استغلالها بجرأة ودون رحمة قاتلاً: دغهم ينزفون.

- وما كان موقف تورنر؟

تعجب تورنر وقال: هل من المسموح أن نستعمل حياة الناس لتحقيق المصالح الجيوسياسية للولايات المتحدة. لأول مرة تقتل أسلحة وكالة المخابرات المركزية وحدات نظامية من الجيش السوفياتي. بلغ عدد السوفيات في أفغانستان ٩٠ ألفاً، وقلق تورنر من أن الولايات المتحدة كانت تريد أن تقاتل حتى آخر أفغاني! ولكنه دعم العملية حتى النهاية. ودعمت كل من السعودية ومصر وباكستان والصين المقاومة الأفغانية وكانت كلفة هذا الدعم حوالي ١٠٠ مليون دولار.

حدّد موعد لكاييسي في لجنة استخبارات مجلس الشيوخ يوم الثلاثاء في ١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٨١ للاستماع إليه وتبنيته في وظيفته. وكانت هذه خامس جلسة تثبيت له. وتعلّم أن لا يستعمل الأمكنة العامة لعرض آرائه وأن لا يذهب دون تحضير مسبق. قبل عشر سنوات وخلال جلسة تثبيتته كرئيس للأناب والبتاد تعرض تبنيته للخطر عندما اضطر إلى الإدلاء بشهادة حول دعوى انتحال أقيمت ضده. كانت ذكريات غير سارة.

هذه المرة، حضّر كايسي نفسه جيداً، ذلك أن منصب مدير المخابرات المركزية كان أساسياً، وأعدّ خطاباً بعناية وقسّمه إلى ٤٠ مقطعاً ليتجنب الارتباك. وهذا ما يؤدي إلى التخفيف من التهمذات، والتأكيد للشيوخ أن الأمور لم تفرّ بعد. من السهل أن تقول القليل لأن الشيوخ يميّون أن يستمعوا إلى أنفسهم وهم يتكلمون.

وصل كايسي ذلك الصباح وهو يرتدي بزة غامقة اللون غالية الثمن. ودعا غولدووتر اللجنة إلى الاجتماع الساعة العاشرة صباحاً. تولى نائب رئيس اللجنة السناتور دانييل باتريك مونيهان وهو ديمقراطي من ولاية نيويورك، تقديم كايسي. بدأ مونيهان الأكاديمي الطبع كلامه المسؤول. كن غلصاً لدولتك يا ابن نيويورك. وأضاف: إن كايسي خدم بشكل أو بآخر جميع رؤساء أميركا منذ فرانكلين روزفلت. وهدفه في الحياة معروف ويشهد به الفرنسيون، وإن بيل كايسي سيكون بالتأكيد آخر عضو في مكتب الخدمات الاستراتيجية يدير وكالة المخابرات المركزية.

جلس كايسي على المقعد المخصص للشاهد وهو غير مرتاح، وحذق بحذر، وحزك

يديه باحثاً عن أي شيء يشغله. وتكلم غولدوتور. هناك خطأ ما، لم يكن هناك استخبارات كافية، ولم تكن جيدة. إن تحقيقات الكونغرس كبحت نشاطات الاستخبارات في العالم. وخصوصاً لجهة استغلال بعض القرض والأهداف، وأضى عدد من العاملين وقتاً كبيراً في تنظيم مذكرات للدفاع عن أنفسهم عند أي تحقيق أو انتقاد لأعمالهم.

وبعدما تكلم ثلاثة شيوخ آخرين، تكلم كايبي، وحدد أهدافه بإعادة البناء وإنجاز الأعمال والأمن. تمنى وكالة المخابرات المركزية بشكل خاص من التشكيك فيها ومن أن كثيراً من ضباطها تقاعدوا أو هم على مقربة من التقاعد. إن معنويات الوكالة متدهورة. تحدث عن التردد والطرق المتنوعة في التعبير، وعن الأسلوب الدفاعي، وعن العلاقات والفتنة والشرف. وأضاف هذا ليس وقت هزة بيروقراطية أخرى للوكالة، قال ذلك بقوة. إن ما قبل عن فشل الاستخبارات في السنين الماضية كان من جراء السياسة الخاطئة. ووعده بأن يقدم المعلومات وجميع الآراء للرئيس وتعهده بالعمل بشكل وثيق مع الكونغرس. وأعطى كايبي إعادة البناء لليمين والحريات المدنية للسيار. كان انتصار رينغان الساحق قد أربك الديموقراطيين، وقد عرض مونيهان ذلك، فكان عليهم أن يمشوا على الخط بنعمه. لم تعد هناك أية محاولة لنزع أحشاء الوكالة، ولا اتهامات كاتهامات فرانك ترشر الذي قال عنها إنها فيل متوحش. لم يؤمن مونيهان بهذا الأسلوب. إن وجود وكالة خبايا مركزية فعالة كان ضرورياً وأساسياً للأمن القومي، وشعر مونيهان بأن ليس لديه أوهام حول السوفييات الذين يلعبون بقدارة.

أبدى مونيهان بعض القلق حول أعمال الوكالة. عندما كان سفيراً في الهند من عام 1973 إلى 1975 انغمس رئيس محطة الوكالة عنده مع الحكومة الهندية في الملفات الخاصة والمهمة، إلا أن القادة الهند كانوا ينفلون أشياء غير مكتوبة في الملفات وكانت الوكالة بحاجة إلى تعامل سليم. وعندما أتى دوره للسؤال، أعاد مونيهان الأذهان إلى القانون الذي يطلب من مدير الوكالة الاستمرار في إطلاع اللجنة على نشاطات الاستخبارات. وقال مونيهان إنه في بعض الحالات يمكن للمدير إطلاع رئيس لجنة الاستخبارات ونائيه في مجلسي الشيوخ والنواب، وذلك في الظروف غير العادية التي تؤثر على المصالح الحيوية للولايات المتحدة، وللمحافظة على سرية القضايا الحساسة.

قال مونيهان: «هناك الآن، على أي حال، منطقة رمادية» ورفع صوته وانحنى إلى الامام ونوّه بأن القانون يقول إن ذلك من واجبات الرئيس في ظل الدستور، ويشارك الكونغرس في المسؤولية التنفيذية للجهة من خطر كشف المعلومات السرية أمام أشخاص لا علاقة لهم بها، أو البوح بمصادر وطرق الاستخبارات.

وهكذا بما أننا نعرف ما يجب فعله، وكيفية تكامل هذا الفعل، فإن الخطر يكون حيث لا يكون هناك تكامل. قال مونيهان: «إن بعض الملاحظات يجب الأخذ بها ويجب إطلاعنا

عليها». ما هو موقف كايبي من هذا الوضع الغامض؟ لأنه كما تعلم - والكلام لمونيهان - قد اهتمت سابقاً بعدم تقديم مواد للكونغرس مطلوبة منك، وهي ملفات البرقيات والمكالمات الهاتفية ونحن نظننا إلى هذه المسألة قبل الجلسة. واتصلت بالسيد سيوركين، وأخرج من جيبه رسالة من سيوركين الذي كان المذيع العام في جهاز الأمن والتبادل. وكان مونيهان ينتظر القذارات من سيوركين لأنه خصم كبير للديمقراطيين. وتحدث سيوركين في رسالته عن تحليل كايبي المتفهم وقراره الحكيم. وهكذا أصبح كايبي خارج الصنارة ولم يسأل مونيهان أي سؤال آخر عن الماضي، وتحدث عن المستقبل. كيف تشعر إزاء إبلاغ اللجنة أشياء نحتاج إلى معرفتها ولا يعرفها أكثر من شخصين في العالم.

«حسناً أيها السناتور» أجاب كايبي: «لا أستطيع أن أتخيل نفسي في أي ظرف يمكن أن يؤدي إلى عدم قدرتي على تزويد اللجنة بما تحتاجه من المعلومات». قال مونيهان: حسناً، شكراً. وهو يعتقد أنه حصل على الاعتراف الكامل. سمعتك تقول إنك لا تتخيل أي فرصة لا يمكنك أن تشاركنا فيها بالمعلومات.

وأعاد كايبي الكلام بلطف. لقد قلت إنني لا أستطيع الآن أن أتخيل. وابتسم مونيهان وقال: لم تقول إنك لا تتخيل الآن، هل ذهبت إلى مدرسة الحقوق في فوردهام؟ وجاء دور كايبي في الابتسام. لقد ذهب إلى فوردهام كطالب لم يتخرج بعد وكانت مدرسة الحقوق في سان جون، لكنه لم يصحح للسناتور.

وأجاب كايبي بذلك عن بقية الأسئلة. وحاول أن يقي إجاباته ضمن كلمة أو جملة. وجواباً عن سؤال حول التعبير الرابع: «حان الوقت لإطلاق العنان لوكالة المخابرات المركزية» قال: إنه لم يستعمل ذلك التعبير. وحول أمر تنفيذي جديد عتمل قال إنه لم يقرر بعد. وحول ما فعله منذ الانتخابات قال إنه أمضى وقته باستعادة خبراته القانونية وتقدير خسارته المالية في دعم الحملة. وحول الفريق الانتقالي المختص بوكالة المخابرات المركزية قال إنه غلّو ذو خلية واحدة. وعن قضايا التدبير أجاب بأن أسلوبي العام في ذلك هو أن نضع الأهداف ونعطي الناس صلاحيات للسعي وراء هذه الأهداف والتمسك بتحقيقها، وعدم التطرق لتفاصيل التدبير، وإذا لم يتجزأ أفعالهم يجب عندها استبدالهم.

عندما ألح السناتور جوزيف بايدن وهو ديمقراطي من ولاية ديلاوار إلى أنهم لا يفهمون عليه، وطلب من كايبي أن يقرب الميكروفون إلى فمه، فعل كايبي ذلك وقال إنه الآن في حضتي.

وكان لغولدوتور بعض الأسئلة. هل تفكر الآن بنائبك؟ ثم أضاف: من الواجب إعلامك بأن الأميرال اتمان يتمتع باحترام وتقدير لجنسنا. ثم وجه كلامه إلى اللجنة: لا نريد أن نرى سياسياً في منصب نائب المدير وأظن أن الأميرال اتمان سيكون إضافة ممتازة. قال كايبي: أمل أن يجد طريقه ليأتي، وهو يعني بذلك أن الوظيفة له إذا أراد.

قال غولدوتور: أنا أثر هذه النقطة لاني قرات أنَّ هناك بضعة مرشحين لمنصب نائب المدير ولم أسمع كلمة عن أي منهم. ونحن نعرف بوبي اتمان.

لم أر هذه القائمة، قال كايبي وهو يرد على غولدوتور، أريد الحصول عليها، يمكن أن يكون أحدهم جيداً. وأجابه غولدوتور: «حسناً، لن أخبرك أين قراتها».

وشدد بايدن على محاسبة العناصر، فرد عليه كايبي بأنَّ المحاسبة القاسية والدقيقة تؤدي إلى الكلال وأظنَّ أنه يجب تنظيم ذلك. وتحولت أسئلة بايدن إلى مقاطع ناقشها كايبي بسرعة. وعندما تطرق بايدن إلى موضوع اتمان قال: هو الشخص المحترم الذي لم يمثل أمام هذه اللجنة، وأضاف: إذا حصل اتمان على منصب نائب المدير، عندها لن نحصل أية مشكلة، أرسله إلى هنا فهو يعرف طريقه إلينا.

يمكن لكايبي أن يحصل على اتمان وهو الرجل الصالح لمواجهة اللجنة لأنه أُلِّمَ أنه لم يقرر ذلك حتى أمام اللجنة لأنه ركز على تحسين صورته وخاصة في المجال المالي.

قبل أن يذهب ريفان إلى مكتبه تابع كايبي يوميات الاستخبارات وخاصة قضية الرهائن الأميركية في طهران. وعرف أهمية وكالة الأمن القومي التي كانت تلتقط الرسائل بين الجزائر وإيران. فالجزائر دخلت في المفاوضات كوسيط ومن المهم أن لا يحصل سوء تفاهم، وأن يتلقى الإيرانيون والجزائريون معلومات دقيقة حول موقف الولايات المتحدة. وكان هدف الالتقاط هو التأكد من أنَّ الإيرانيين والجزائريين كانوا يعرفون بالضغط ما تقوله الولايات المتحدة. وكان الوسطاء غالباً ما يعمدون إلى تغيير المواقف، فيعود المفاوضات الأميركي ليصححها.

أعجب كايبي بهذا النوع من الدعم الاستخباري للبيت الأبيض، ولاحظ أنَّ مدير وكالة الأمن القومي كان على اتصال مباشر بالرئيس والأخريين في البيت الأبيض.

وكان كايبي يراقب بولونيا بكيفية عناصر المجموعة الاستخبارية. لم يتحقق الغزو السوفياتي المنتظر. وقدمت وكالة المخابرات المركزية تفاصيل حول خطة التحرك السوفياتية تتضمن لوائح عن الوحدات التي كان من المفترض أن تغزو بولونيا. وبعض هذه اللوائح سر بها الكولونيل الذي يعمل في الأركان البولونية. ومن المعروف أنَّ التحرك يتطلب شاحنات ووسائل نقل من روسيا باتجاه الغرب. إلا أنَّ صور الأقمار الاصطناعية لم تظهر شاحنات تصل إلى الحدود البولونية. ربما كان حشد القوى عملية إظهار قوة أو ابتزاز للغاية منه إغرام الحكومة البولونية على التشدد في سياستها إزاء نقابات التضامن. ومن المحتمل أيضاً أن يكون تحذير بريجنسكي العلني والتحذيرات السرية عبر القنوات الدبلوماسية قد أخافت السوفيات. وعلى الرغم من صور الأقمار الاصطناعية ومعلومات الكولونيل البولوني ومعلومات أخرى فإنَّه ما يزال هناك بعض الغموض.

راقب كايبي بذعر كيف تغلب تورنر على المصاعب الاستخبارية الباقية في عمله.

وكان ذلك في التقرير السري جداً حول التوازن الاستراتيجي والذي عرض إمكانيات ونوايا الاتحاد السوفياتي. أرسل تورنر نسخة إلى كل الأشخاص المهتمين في مجلس الأمن القومي ومسؤولي الاستخبارات ومن ضمنهم الرئيس. هذه التقديرات كانت وثائق لمدير الوكالة ولأنَّ مدير وكالة المخابرات المركزية هو مدير المخابرات المركزية لم تخرج الوكالة أبداً من سيطرة المدير. وجد كايبي أنَّ وجهة نظر تورنر خطأ ليست أفضل منها شفهاً. كما أنَّه وجد خطأ في آراء تورنر، فعلى الرغم من أنَّه يمكن أن يكون للولايات المتحدة قوة نووية كافية بعد الضربة السوفياتية الأولى، فإنَّ الردع الأميركي أيضاً سيكون فعالاً.

شعر كايبي بأنَّ تورنر كان يجلل، ويعد السيئات الأميركية. إنَّ الأفكار الخطئية والشفهية لم تكن بدائل للتفوق العسكري. إنَّ تأثير أي تقدير في صنع السياسة يكون بالاشتراك مع آراء وكالات الاستخبارات ومدير المخابرات المركزية.

أراد كايبي أن يتحمل آخر مواجهة مع المدير الداهب، يوم الخميس في ١٥ كانون الثاني/يناير أي قبل خمسة أيام من حفلة التسليم والتسليم. عرض تورنر الأسرار النهائية لريغان وبوش وكايبي. ولم يكن الاجتماع بناء لطلب ريفان بل بناء لإصرار تورنر.

كان ذلك الصباح بارداً، وانضم بوش وكايبي إلى ريفان في غرفة خاصة في باير هاوس للاستماع إلى الإيجاز. قال تورنر إنَّ أهم عمل خفي هو الدمع الخفي للمقاومة الأفغانية. وكانت الوكالة قد وضعت بعض الخطط لإيران عند الإطاحة بآية الله الخميني، أو إذا بدا بقتل الرهائن في طهران. وأضاف تورنر أنَّ العملية الحقيقية ليست العملية الخفية. الأسرار الحقيقية كانت من المعلومات الحساسة وبعضها كان سرياً جداً وهاماً، وكل يوم يمضي ولا تتكشف فيه هذه المعلومات يعتبر يوماً ناجحاً.

أولاً يمكن أن نتعرض المصادر البشرية للموت المحتم إذا اكتشفت بعض الأسرار. وكشف عن بعضهم، ومنهم مسؤول كبير في الحكومة الهندية كان مصدراً ثميناً للوكالة، وسرّب معلومات حول الأسلحة السوفياتية للهند وكان اختصاصه في مجال الدفاع الجوي. وهناك مصدر بشري هام في الاتحاد السوفياتي يعمل في مؤسسة القضاء السوفياتية واسمه تولكاشيف يعمل في قسم توثيق الخطط والأعمال اليومية لنظام الأسلحة السوفياتية وبعض الأنظمة الأخرى، وكانت معلوماته جوهرة الجواهر وأعطى نظرة هامة عن عالم الأسلحة السوفياتية والتي تمدر الحصول عليها من أي مصدر آخر. صفحات كثيرة حول الطائرات المقاتلة والقاذفات والصواريخ. وحصلت الاستخبارات على تقارير حول الإمكانات. والأكثر أهمية كانت التقارير عن مناطق التعرض ونقاط الضعف في الترسانة السوفياتية، وخاصة في مجال الرادارات والتكنولوجيا. وقد قُدِّرَت معلوماته بمليارات الدولارات.

قال غولدوتور: أنا أثّر هذه النقطة لأنّي قرأت أنّ هناك بضعة مرشحين لمنصب نائب المدير ولم أسمع كلمة من أيّ منهم. ونحن نعرف بو بي اتمان.

- لم أر هذه القائمة، قال كايسي وهو يرد على غولدوتور، أريد الحصول عليها، يمكن أن يكون أحدهم جيداً. وأجاب غولدوتور: «حسناً، لن أخبرك أين قرأتها».

وشدد بايدن على محاسبة العناصر، فرد عليه كايسي بأنّ المحاسبة القاسية والدقيقة تؤدي إلى الكمال وأظنّ أنّه يجب تنظيم ذلك. وتحولت أسئلة بايدن إلى مقاطع ناقشها كايسي بسرعة. وعندما تطرق بايدن إلى موضوع اتمان قال: هو الشخص المحترم الذي لم يمتل أمام هذه اللجنة، وأضاف: إذا حصل اتمان على منصب نائب المدير، عندها لن نحصل أية مشكلة، أرسله إلى هنا فهو يعرف طريقه إلينا.

يمكن لكايي أن يحصل على اتمان وهو الرجل الصالح لمواجهة اللجنة إلاّ أنّه لم يقرر ذلك حتى أمام اللجنة لأنّه ركز على تحسين صبرته وخاصة في المجال المالي.

قبل أن يذهب ريفان إلى مكتبه تابع كايسي يوميات الاستخبارات وخاصة قضية الرهائن الأميركية في طهران. وعرف أهمية وكالة الأمن القومي التي كانت تلتقط الرسائل بين الجزائر وإيران. فالجزائر دخلت في المفاوضات كوسيط ومن المهم أن لا يحصل سوء تفاهم، وأن يتلقى الإيرانيون والجزائريون معلومات دقيقة حول موقف الولايات المتحدة. وكان هدف الالتقاط هو التأكيد من أنّ الإيرانيين والجزائريين كانوا يعرفون بالضبط ما تقوله الولايات المتحدة. وكان الوسطاء غالباً ما يعملون إلى تغيير المواقف، فيعود المفاوضات الأميركي ليصبحها.

أعجب كايسي بهذا النوع من الدعم الاستخباري للبيت الأبيض، ولاحظ أنّ مدير وكالة الأمن القومي كان على اتصال مباشر بالرئيس والآخرين في البيت الأبيض.

وكان كايسي يراقب بولونيا بكية عناصر المجموعة الاستخبارية. لم يتحقق الغزو السوفياتي المنتظر. وقدمت وكالة المخابرات المركزية تفاصيل حول خطة التحرك السوفياتية تتضمن لوائح عن الوحدات التي كان من المفترض أن تغزو بولونيا. وبعض هذه اللوائح سر بها الكولونيل الذي يعمل في الأركان البولونية. ومن المعروف أنّ التحرك يتطلب شاحنات ووسائل نقل من روسيا باتجاه الغرب. إلاّ أنّ صور الأقمار الاصطناعية لم تظهر شاحنات الحكومة البولونية على التشدد في سياساتها إزاء نقابات التضامن. ومن المحتمل أيضاً أن يكون تحذير بريجنسكي العلني والتحذيرات السرية عبر القنوات الدبلوماسية قد أخافت السوفيات. وعلى الرغم من صور الأقمار الاصطناعية ومعلومات الكولونيل البولوني ومعلومات أخرى فإنّه ما يزال هناك بعض الغموض.

راقب كايسي بذعر كيف تغلب تورنر على المصاعب الاستخبارية الباقية في عهده.

وكان ذلك في التقرير السري جداً حول التوازن الاستراتيجي والذي عرض إمكانيات ونوايا الاتحاد السوفياتي. أرسل تورنر نسخة إلى كل الأشخاص المهمين في مجلس الأمن القومي ومسؤولي الاستخبارات ومن ضمنهم الرئيس. هذه التقديرات كانت وثائق لمدير الوكالة ولأنّ مدير وكالة المخابرات المركزية هو مدير المخابرات المركزية لم تخرج الوكالة أبداً من سيطرة المدير. وجد كايسي أنّ وجهة نظر تورنر خطأ ليست أفضل منها شفهاياً. كما أنّه وجد خطأ في آراء تورنر، فعل الرغم من أنّه يمكن أن يكون للولايات المتحدة قوة نووية كافية بعد الضربة السوفياتية الأولى، فإنّ الردع الأميركي أيضاً سيكون فعالاً.

شعر كايسي بأنّ تورنر كان يخلل، ويعد السبب الأميركي. إنّ الأفكار الخطئية والشفهية لم تكن بدائل للتفوق العسكري. إنّ تأثير أي تقدير في صنع السياسة يكون بالاشتراك مع آراء وكالات الاستخبارات ومدير المخابرات المركزية.

أراد كايسي أن يتحمل آخر مواجهة مع المدير الذاهب، يوم الخميس في ١٥ كانون الثاني/يناير أي قبل خمسة أيام من حفلة التسليم والتسليم. عرض تورنر الأسرار النهائية لريغان وبوش وكايي. ولم يكن الاجتماع بناء لطلب ريفان بل بناء لإصرار تورنر.

كان ذلك الصباح بارداً، وانضم بوش وكايي إلى ريفان في غرفة خاصة في بلير هاوس للاستماع إلى الإيجاز. قال تورنر إنّ أهم عمل خفي هو الدعم الخفي للمقاومة الأفغانية. وكانت الوكالة قد وضعت بعض الخطط لإيران عند الإطاحة بآية الله الخميني، أو إذا بدأ بقتل الرهائن في طهران. وأضاف تورنر أنّ العملية الحقيقية ليست العملية الخفية. الأسرار الحقيقية كانت من المعلومات الحساسة وبعضها كان سرياً جداً وهاماً، وكل يوم مبني ولا تنكشف فيه هذه المعلومات يعتبر يوماً ناجحاً.

أولاً يمكن أن تتعرض المصادر البشرية للموت المحتم إذا انكشفت بعض الأسرار. وكشف عن بعضهم، ومنهم مسؤول كبير في الحكومة الهندية كان مصدراً ثميناً للوكالة، وسر معلومات حول الأسلحة السوفياتية للهند وكان اختصاصه في مجال الدفاع الجوي.

وهناك مصدر بشري هام في الاتحاد السوفياتي يعمل في مؤسسة القضاء السوفياتية واسمه تولكانشيف يعمل في قسم توثيق الخطط والأعمال اليومية لنظام الأسلحة السوفياتية وبعض الأنظمة الأخرى، وكانت معلوماته جوهرة الجواهر وأعطى نظرة هامة عن عالم الأسلحة السوفياتية والتي تمرر الحصول عليها من أي مصدر آخر. صفحات كثيرة حول الطائرات القتالة والقاذفات والصواريخ. وحصلت الاستخبارات على تقارير حول الإمكانيات. والأكثر أهمية كانت التقارير عن مناطق التعرض ونقاط الضعف في الترسانة السوفياتية، وخاصة في مجال الرادارات والتكنولوجيا. وقد قُدِّرَت معلوماته بمليارات الدولارات.

قال تورنر إن ريفان يجب أن يقرر هو ونائبه ومدير المخابرات المركزية من يجب أن يعرف أن هذا المصدر موجود.

وهناك نوع آخر من التجسس وهو التجسس على الأصدقاء والحلفاء وهي مشكلة مزمنة. كان رأيه أن هذه العمليات ضرورية، وتم تطوير الوسائل التقنية وصور الأقمار الاصطناعية وتسجيلات من ميكروفونات تركب في أمتعة حساسة. إن خطر التعرض والانكشاف يأتي من وجود عمل داخل إحدى وكالات الاستخبارات. إن عناصر الجمع وهي فرق مؤلفة من عنصرين أو ثلاثة من وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي في عشرات السفارات قدمت معلومات مذهلة. . وقدم تورنر بعض الأمثلة. وكان كايسي قد قام ببعض الأبحاث وفوجئ بأن عدد عمليات جمع المعلومات بالميكروفون أو بالمصادر البشرية كان قليلاً، وحسب تعداده كان ٣٦ فقط.

وهناك فئة ثالثة من العمليات الخاصة اشتركت فيها مصادر هامة واستخدمت أساليب حيوية يؤدي فقدانها إلى خلل في الأمن القومي. وشرح تورنر بالتفصيل عمليات التسجيل بكابل الغواصة في إطار برنامج السيطرة البحري الخاص. عندما كان بوش مديراً للمخابرات المركزية كان على الغواصات أن تبقى مباشرة فوق الكابل، وذلك كان يزيد من الاخطار ويعرض الغواصة للخطر لعدة أسابيع. والآن هناك معدات تكنولوجية متطورة في البحرية يمكن تركيزها على الكابلات البحرية، وترك لمدة أسابيع أو أشهر حيث تسجل جميع المكالمات ثم تسترجع. ويتم ذلك بواسطة غلاف ولولب وليس من الضروري أن تتصل مادياً مع أسلاك الاتصال داخل الكابل الكبير. وإذا نزع السوفيات الكابل للفتيش أو للصيانة فإنهم لن يعمروا على أي أثر أو دليل يوحى بأن الكابل تعرض للتسجيل. هذا ويجب أن يقر الرئيس كل عملية تهمس داخل المياه الإقليمية السوفياتية. وقد استعملت وكالة المخابرات المركزية وكالة الأمن القومي أجهزة التسجيل هذه على الأرض لتسجيل المكالمات وذلك بوضعها إما قرب السلك الظاهر بين مراكز الهاتف أو حول الكوابل المظومة.

إن عملية حل الشيفرة في وكالة الأمن القومي كانت حساسة. وإمكانها حل الشيفرة لعشرين دولة اعتبرت أهدافاً أساسية، وذلك لبعض الوقت وليس بشكل دائم. قال تورنر إن هناك عشرات البلدان التي لم تكن أهدافاً أساسية، واستطاعت الوكالة حل شيفرتها. والمتاح هنا كان تسجيل الإشارات والاتصالات لمختلف البلدان وخاصة الاتحاد السوفياتي. ولم يتوقع أحد أن تكون الولايات المتحدة قادرة على الوصول إلى الكوابل البحرية. وخلاصة الحديث، قال تورنر، إن هناك فرصاً لا حصر لها وقد استغلينا الكثير منها والأكثر من نتخيله بعد.

غادر كايسي وهو يشعر أن هذا لم يكن كافياً. لماذا؟ ولماذا تبقى هذه الآلة الاستخبارية الكبيرة بحالة ترقب وحذر؟

(٤)

في ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨١ وهو اليوم ٤٤٤ على أزمة الرهائن الأميركية في إيران، كان اثنان يراقب المعلومات حول آخر مهلة أعطاها الإيرانيون للرئيس كارتر الذي كان في طريقه إلى حفلة التسلم والتسليم. وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثلاثين ظهر أياً بعد نصف ساعة من تسلم ريفان مقاليد الرئاسة، غادرت طائرتان مطار مهرباد في طهران وعلى متنها الرهائن.

في اليوم التالي رتب كايسي اتصالاً من الرئيس بالأميرال اثنان، وكان صوت ريفان مسرحياً ناعماً، وقال له إن كايسي والجميع في مجموعة الاستخبارات يريدونه نائباً لمدير المخابرات المركزية، ثم قال ريفان وهو القائد الأعلى بلهجة جيمة: «أنا أحتاج إليك». وسرعان ما وجد اثنان نفسه يقول: «سيكون لي الشرف» مأخوذاً بالطلب الشخصي من الرئيس. وفي نفس اليوم أي في ٢١ كانون الثاني/يناير ١٩٨١ وهو أول يوم عمل كامل لإدارة ريفان، حدد كايسي الشخص الذي يمثل القطب المعاكس لإثمان، لأن تنظيم الوكالة يتطلب تنوعاً في الأشخاص، فإنما كان من داخل المجموعة الاستخبارية لذلك كان كايسي بحاجة إلى شخص من خارج الاستخبارات. إنه ماكس هوغل الذي ذكره ليروس منذ أسابيع.

وهوغل هذا، هو رجل أعمال من بروكلين عمره ٥٦ سنة وكان أقصر من كايسي بنصف قدم، ويتمتع بنفس القدرة والحيوية. وشعر كايسي بانجذاب نحوه لأنه كان يتكلم قليلاً وإنما بسرعة وبجزم. هو مقول اعتمد على نفسه، ومثل كايسي، كان يعجن كلامه عنجاً غير آبه بقواعد اللغة، ويغطي دائماً في لفظ الكلمات الصغيرة. وكسب هوغل الملايين لأنه كان سريعاً أكثر من غيره في تنفيذ أعماله. وعينه كايسي مساعدته الخاص في وكالة المخابرات المركزية.

خلال حملة ١٩٨٠ تقاسم الاثنان العيش في شقة في مارينا ديل راي، وهي ملاذ للمازين، وهواة اليخوت. وكان هوغل يستيقظ الساعة الخامسة صباحاً ليتلقى الاتصالات الهاتفية من الساحل الشرقي حيث تكون الساعة الثامنة صباحاً. وكان كايسي وهوغل يعملان حتى ساعة متأخرة من الليل. وشكلاً منظمة من المؤيدين لريفان من ثلاثين مجموعة، لكل منها مصالحها الخاصة من دينية ومهنية وعرقية. كان كايسي وهوغل نشأياً

جيمس باكر الذي كان مديراً لحملة جورج بوش الانتخابية كان قوياً ومديراً جيداً بعكس ميز الذي يمكن أن يتخفى أي شيء داخل حقيقته! وعرف كايسي ديفر جيداً من خلال الحملة الانتخابية. وكان ميز وبارك وديفر ترويكاً سيطرت على البيت الأبيض. وكان لكايسي خطوط مع الثلاثة وسهّلوا جميعاً اتصالاته، والأهم من ذلك أنه كان بإمكانه أن يأخذ موعداً للقاء الرئيس مباشرة. وكانت علاقاته مع هيلم وواينبرغر جيدة، ولم ينافس أيّاً من الوزراء الأساسيين على وظيفته. واتسمت سياسة وزير الدفاع والخارجية بالضراوة والاقتحامية في الأعمال المضادة للشبوعية ونفذت من خلال الاستخبارات.

عقد كايسي اجتماعاً مع اثنان لوضع الخطوط العامة لخطة العمل. قال كايسي: أريد فرض سيطرتي على مديرية التحليل لتحسين التقارير والتقديرات، وكذلك على مديرية العمليات. إن العمليات الخفية معقدة جداً. وفوجئ اثنان بذلك لأن المديريتين كانتا القسمين الرئيسيين في الوكالة.

أما الناحية العلمية والتقنية في الوكالة فكانت لايمان إذا أراد ذلك، بالإضافة إلى أعمال الإدارة والأشخاص والقضايا التي لم يتم كايسي بها.

مدير المخابرات المركزية المنسق للعالم للاستخبارات في جميع أجهزة الحكومة كان ينظر إليه على أنه «رجل الخارج». إلا أن كايسي كان «رجل الداخل»، وأطلع على جميع التقارير، وكانت شخصيته ثابتة وحازمة، وكان له حضور قوي وطلّة وهيبة.

سيطر كايسي على مؤسسة وكالة المخابرات المركزية، وعهد إلى اثنان بالقضايا الداخلية في جميع الوزارات والدوائر ما عدا البيت الأبيض الذي تولى شؤون شخصياً، وسوّى نفسه ضابط استخبارات الرئيس، وهو الشخص الذي يزوده بالمعلومات ويتأكد من أنه على اطلاع دائم. لذلك أصيب اثنان بنوع من خيبة الأمل.

في ٢٦ كانون الثاني/يناير وهو أول نهار إثنين للإدارة الجديدة، استدعي أعضاء الحكومة إلى البيت الأبيض، واستدعي كايسي كمنسق للمخابرات المركزية، واثنان كمدير لوكالة الأمن القومي، لأن الكونغرس لم يكن قد ثبت تعيينها، وكان الموضوع: الإرهاب. وزير الخارجية المثير الذي سبق له العمل تحت رعاية كينسجر، ثم عمل قائداً لقوات حلف الأطلسي، ودعي بعرّاب سياسة التشدد، تكلم بانفعال عن الإرهابيين. كانت إيران المثل. وقال هيلم إنه يجب إظهار حزم الإدارة الجديدة، وكان إلى جانبه خبير الإرهاب في وزارة الخارجية أنطوني كويتون الذي قال: «من المحتمل أن يضرب الإرهاب في داخل الولايات المتحدة. إن الولايات المتحدة معرّضة جداً».

كانت لحظة مكهوبة، لأن البعض اعتبر أن مشكلة الإرهاب انتهت بعد إطلاق سراح الرهائن. وأثار ميز بعض ما ورد في خطابات الحملة: كارتر وتورنر زادا من مشاكل الاستخبارات ووضعا قيوماً على عمل جميع وكالات الاستخبارات حول الإرهاب ومكافحة

غريباً. في بدء الحملة لم يدر أحد كيف يبدأ العمل، ووجد كايسي في هوجل المتأثرة والتكريس وكان حلو المعشر ويجب الموز كثيراً! وذات مرة طُرت هبة نسيم قبعة كايسي من على رأسه فجري هوجل وراها وأمسك بها، وفي هبة أخرى أمسك بخصلة من الشعر المستعار الذي وضعه كايسي على رأسه! كان هذا من ذكريات الحملة.

عمل هوجل في الاستخبارات العسكرية للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، يجيد اليابانية وله عشرون عاماً من الخبرة في الأعمال التجارية مع اليابان ومع المصانع التي تنتج آلات الحياكة وآلات الطباعة. وسرعان ما بدأ هوجل بملا كمية كبيرة من التساؤلات والكلمات الشفرة، وأخضع كل مظهر من حياته للتحقيق. وبراعة الذمة كانت تحتاج لاختبار كشف الكذب على آلة البوليفراف.*

بعد بضعة أيام جلس هوجل أمام آلة كشف الكذب ووضع الأسلاك على جسمه. وبدأ المحقق أسئلته المدروسة. سأل المحقق: هل سبق أن سرقت مالا؟ أجاب هوجل: كلاً. وكان يعرف كيف يحدد أجوبته بنعم أو لا. - هل سبق وأن تورطت بنشاط من الشذوذ الجنسي؟ - كلاً.

- هل سبق أن تعاطيت المخدرات من الماريوانا والكوكايين؟ - كلاً. وتخلّ أنه إذا كذب فإن الإبرة الصغيرة في الآلة، والتي ترسم البيان، سوف تقفز فوق الخط.

- هل سبق أن ابتزك أحد؟ - كلاً. كانت الأسئلة كثيرة. وذهبت بعيداً نحو الماضي وشملت كل المواضيع، واقتضت أجوبة محددة بنعم أو لا.

استعتمدت الوكالة على نتيجة هذا الاختبار. إلا أن المحاكم لا تقبل بها كإثبات. وأخيراً قال له المحقق إنه اجتاز الاختبار بتفوق.

بدأ كايسي عهده فوق أمرأطورية التجسس الأميركية. وظهرت بعض الملامح المهمة في الإدارة الأميركية الجديدة. كان مستشار الأمن القومي ريتشارد آلن يفيد ريفان من خلال ميز وهو المستشار الجديد للبيت الأبيض، ويعتبر هذا انتفاصاً من صلاحيات مستشار شؤون الأمن القومي. وتم تعيين جيمس باكر المحامي من تكساس، والذي كان نائباً لكايسي في إدارة الحملة الانتخابية، رئيساً لأركان البيت الأبيض، مما يدعم نفوذ كايسي.

(*) هي آلة تشبه آلة تخطيط القلب، ترسم بياناً بالانفعالات العصبية تجاه كل سؤال، يمكن من خلال البيان استنتاج صدق أو كذب الشخص موضوع الاختبار. (المترجم).

التجسس. مدير مكتب التحقيق الفدرالي FBI وليم بيستر قال إنه لا يوافق على ذلك، وهو قاض سابق، أسلوبه مرح وله هيئة صغيرة. ركّز بيستر على أنه من المهم أن نعرف ما جرى داخل الولايات المتحدة من أجل وقف الأعمال الإرهابية، والقبض على الجواسيس. تكلم بنعمه وكان جهازه، مكتب التحقيق الفدرالي، موجهاً بمهمة مكافحة الإرهاب والتجسس داخل الولايات المتحدة، وله الأدوات اللازمة لذلك ويعمل وفقاً لقواعد وقوانين مرعية الإجراء، فاطفاً بذلك نار حلة ميز.

ساند اتمان بيستر وقال إن المشكلة أكبر من مشكلة مصادر، وأهم شيء هو كيف نوصل المعلومات إلى الذين يحتاجونها وفي الوقت المناسب.

لم يكن لكايبي الكثير ليقوله، ولم يكن بيستر واغان من نخبة المجتمعين. أراد أن يعالج الإرهاب كمسألة استخبارية أساسية. وفي نهاية الاجتماع تم الاتفاق على أن يدرس كايبي أمر كارتير التنفيذي حول الاستخبارات والذي كان مستمداً من القوانين، ويرى ما إذا كانت هناك حاجة إلى تغييرات، وما إذا كانت كبيرة، ليصدر الرئيس ريجان أمر استخبارات جديداً ومعدلاً.

في اليوم التالي أقرّ مجلس الشيوخ تعيين كايبي مديراً للمخابرات المركزية بأغلبية 95 صوتاً ضد لا أحد. وأقسم اليمين في اليوم التالي. ولكن هينغ كان نجم الأخبار في ذلك اليوم ووقف أمام الصحافة بثبات في أول مؤتمر صحفي كوزير للخارجية واتهم الاتحاد السوفياتي بتدريب وتمويل وتجهيز الإرهابيين الدوليين. وتهكم على إدارة كارتير قائلاً: إن الإرهاب الدولي حل مكان حقوق الإنسان، وهو أكبر مشكلة في حقوق الإنسان! وأضاف إن السوفيات متورطون في سياسة جديدة وبرامج لدعم النشاطات الإرهابية.

كان هذه القنبلة وقع إعلامي كبير وأخذ بعض كبار مساعدي هينغ يكثرون من كلامهم، وقال له رونالد سبيرز رئيس قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية إن تصريحاته لن تقف في وجه تقارير الاستخبارات الأخيرة.

- «انتظر» قال هينغ، وأضاف: لقد قرأت عن الدور السوفياتي في مسودة كتاب ما زال قيد الطبع حول شبكة الإرهاب، ومؤلفه كلير سترلنغ وهو مراسل صحفي أميركي في إيطاليا. وقد اتهم سترلنغ الروس مباشرة. واعتقد سبيرز بأنه محتمل أن يكون هناك جديد في هذا المجال، وبأن المشكلة تستحق الاهتمام، لذلك أرسل طلباً رسمياً إلى كايبي لوضع «تقدير استخباري قومي خاص»، وهو يعطي التقدير الأفضل لكل ما تعلمه وتتوقعه أجهزة الاستخبارات.

رحّب كايبي بالطلب، فهذه التقديرات كانت بمثابة الغذاء المفضل له. والتقدير النهائي يذهب إلى الرئيس ومجلس الأمن القومي والوزراء المعنيين. هذه النشرات كانت جهاز الإنذار المبكر للمجموعة الاستخبارية.

في يومه الثالث، تلقى كايبي في مكتبه تقريراً من اثنتي عشرة صفحة تحت طابع سري نُقِّم قبل أن يقسم اليمين، وعنوانه، ليبيا: الأهداف والأخطار، وهو عبارة عن تقدير لنشاط القذافي في الأشهر القادمة. إهتم كايبي بالقذافي الذي لم يعد مشكلة غامضة. وحمل التقرير عبارة: «تحذير، مصادر الاستخبارات والطرق المتبعة، تقدير صادر عن مدير المخابرات المركزية».

أحكام أساسية: ملخص الاستنتاجات:

أولاً: إن نجاح القذافي الأخير في تشاد يؤكد أن سياسته الهجومية تشكل تحدياً للولايات المتحدة الأمريكية ومصالح الغرب. فمُنذ أشهر أرسل القذافي آلاف الجنود إلى تشاد المجاورة له. وهي جنوب ليبيا، مباشرة وكانت مستعمرة فرنسية لغاية سنة 196٠. وهي واحدة من عدة دول إفريقية جديدة معرضة للحركات الانفلاية. وأشار التقدير إلى أن مشكلة القذافي لن تنتهي، وساد الاعتقاد بأنه سيقيم مزيد من الغارات.

ثانياً: لم تكن المعارضة الداخلية والخارجية لنظام القذافي منظمة أو فعالة. وهذا يعني أن أي عمل خفي يحتاج لأكثر من مال وسلاح. وتعاين المعارضة من مشكلة التنظيم والمعنويات.

ثالثاً: إن سياسة القذافي تحدم الأهداف السوفياتية وذلك بعدائها للغرب، كما أن السوفيات يكسبون العملات الصعبة من جراء بيع السلاح إلى ليبيا، وأشار التقدير في هذا المجال إلى حوالى مليار دولار في السنة. وكانت علاقاته مع السوفيات ممتازة، إلا أنه لم يكن رهيبة لهم.

وأضاف التقدير أن القذافي مارس من قبل التدخل السياسي والنشاط الدبلوماسي والإرهاب وعمليات الاغتيال، وما هو الآن في تشاد يمارس الاحتلال العسكري. وعهدت الوكالة إلى اختصاصيين في علم النفس وإلى أطباء نفسيين لتحليل شخصية القذافي، وزودهم بمعلومات أولية حولت إلى جوانب نفسية على طريقة فرويد. قال التقدير إنه بسبب بعض الظروف الخاصة في طفولته اكتسب القذافي الأخلاق البدوية بشكل واضح، وهي المثالية والتعصب الديني والتكبر والمفاخرة والقسوة وكره الأجانب والاختفاف بهم.

وكان القذافي ابناً لراعٍ بدوي، وعانى، خلال أوائل حياته من التمييز العنصري من قِبَل الأجانب، ومن التمييزين الليبيين. وقما لديه شعور بازدرء شديد للنخبة المهيمنة على البلاد، وتعاطف قوي مع أساليب البدو، وسأوى نفسه بالمسحوقين والمحرومين، فكانت النتيجة كما يقول التقدير، ثورته الشخصية ضد السلطة، ودعمه غير المحدود لقضايا الثوار في جميع أنحاء العالم.

وتابع التقدير غوصه في نظريات التحليل النفسي فقال: زاد القذافي من إحساسه

بالمجد والعظمة والأهمية، وذلك ليدافع عن نفسه سيكولوجياً، ومعى إلى المحافظة على النقاء والبساطة، اللذين كانا موجودين في التاريخ العربي القديم، في بلاده.

وتعطر التقدير إلى بلدان أخرى كان القذافي يتدخل فيها: ولقد تورطت ليبيا في أعمال خفية في إفريقيا السوداء مثل رشوة بعض الزعماء»، وفي تونس التي يتقاسم معها ٢٠٠ ميلاً من الحدود البرية، أفادت المعلومات أنه درّب وجنّد عدداً من المشتكين التونسيين.

وأعلن القذافي منذ سنوات خليج سرت، وهو فجوة بعرض ٢٧٥ ميلاً تفتح مباشرة على البحر المتوسط ويبلغ طوله ٨٠٠ ميلاً، مياهاً إقليمية ليبية، على الرغم من أن الحد الدولي للياه الإقليمية كان ١٢ ميلاً عن الشاطئ. وتساءل المراقبون حول ما إذا كان القذافي يجازف بانتقام الولايات المتحدة. وتابع التقدير: «أعطى أوامر عسكرية واضحة لهاجمة السفن والطائرات التي تخترق ذلك الخط». وقالت وكالات الاستخبارات: «إن فرص حصول حادث بين ليبيا والولايات المتحدة عالية جداً».

وتابع التقدير، أن حوالي ١٠٪ من واردات الولايات المتحدة من النفط تأتي من ليبيا. وتعتبر ليبيا مصدراً رئيسياً للنفط التميز بكثافة قليلة ونسبة قليلة من الكبريت. إن قطع النفط الليبي عن الولايات المتحدة يؤدي إلى أزمة وقود حقيقية على الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

وبالإجمال، قال التقدير إن إمساك القذافي بالسلطة لم يكن شديداً، وهناك دليل على أن محاولة انقلابية جرت في أيار الماضي ومحاولة أخرى في آب الماضي. واعتمد القذافي نظاماً من المخبزين لحماية نفسه. لكن المبعدين في الخارج تلقوا الدعم من مصر والمغرب والعربية السعودية والعراق. وبعض المبعدين لهم قواعد داخل ليبيا، وإذا لم يتعرض القذافي للاغتيال، يمكنه الاستمرار في السلطة لسنوات عديدة.

أتى المقطع ٥١ من التقدير على ذكر وزير الدفاع التشادي السابق حسين حبري. وحبري هذا هو مقاتل صحراوي قاتل القذافي في تشاد (أظهرت ملفات وكالة المخابرات المركزية أن الرئيس السوداني جعفر النميري حثّ الوكالة سراً على دعم حبري لأن النميري كان خائفاً من أن يكون السودان، وهو أكبر دولة إفريقية من حيث المساحة، الشاني على لائحة طعام القذافي). وأضاف التقدير أن المغرب ومصر والسودان وفرنسا قدمت دعماً خفياً لثورة حبري.

رأى كاسبي أنه من الممكن الإطاحة بالقذافي، مع أن ذلك لم يكن بسيطاً. وقد جرت محاولات انقلابية سابقة. وكان التقدير مليئاً بكلمات «يمكن» و «يحتمل» و «من المعقول». وحسب رأي كاسبي كان مكتوباً من مراوغين إلى مراوغين. ولكنه كان مسروراً بكيفية تعبيره عن أخطار محاربة القذافي.

- «في الحقيقة يمكن أن ينعكس التحدي الغربي الواسع للقذافي لمصلحته وأن يحوله

من منبذ إلى شهيد إسلامي». إن الأنظمة العربية التي لا تعارض الأعيال العسكرية الأميركية ضد ليبيا يمكن أن تتعرض لتهديد شعوبها. وخاف الأميركيون من هذا الاحتمال أيضاً عندما هدوا إيران بعمل عسكري.

وجاء في المقطع ٧١ والأخير من التقدير «إن أي عمل يمكن أن ينعكس ضدهم في أوطانهم وفي العالم العربي».

إنها كانت مراوغة. القذافي صرّ الاضطرابات إلى الجميع، إلى الغرب والولايات المتحدة، والدول العربية، إلى الصديق والعدو، وحتى إلى نفسه. وضع التقدير وكرالات الاستخبارات في موقف أمين من الناحية البيروقراطية، بحيث يمكنها وبها حدث، أن تفتت الغبار عن التقدير وتقول: «انظر لقد أخبرناك. وقلنا إن هذا يمكن أن يحدث» واعتبر كاسبي ذلك مثل الذي يقول كل شيء وكأنه لا يقول شيئاً. وأثارت آخر جملة من آخر مقطع إعجابه وهي تعني الدول العربية بالقول: «ومن مظاهر دهايمهم ركز أعداء القذافي الاقليميين، ومن ضمنهم الرئيس السادات على أن ينزف القذافي في أهم وأصعب نقطة: التوسع الكبير في تشاد وما يؤدي إلى أخطار في الداخل». هذه الجملة الأخيرة قرعت الجرس، فإذا تم التركيز عليها يمكن اعتبار التقدير وثيقة هامة ودعوة إلى العمل وتحديد الوسيلة الأقل خطراً. إن مغامرة تشاد كانت علاج آجيل بالنسبة إلى القذافي. يجب محاربته في تشاد. واتفق هذا الكلام مع استراتيجية كاسبي الذي لن يترك وكالة المخابرات المركزية تفك مكتوفة الأيدي.

بعد قليل، تم التخطيط لمشروع دعم خفي لحبري بين وزير الخارجية هيج ومدير المخابرات المركزية كاسبي. وسمي المشروع: الخط الثاني، وذلك لتمييزه عن الخط الأول أي خط الدبلوماسية. وقال هيج: «إن الهدف كان ترغيب أنف القذافي، وزيادة تدفق صناديق الأناس إلى ليبيا»، ودعم كاسبي هذه السياسة. وشكلت الدول المحيطة بليبيا وهي مصر والسودان وتشاد سوراً للمقاومة وكانت بحاجة للدعم.

عقدت اجتماعات بين وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية حول هذا الموضوع، وتوجت باجتماع في البيت الأبيض لوضع القواعد الفلسفية لعمل الكبار. وكان هناك إجماع ليس على عمل خفي فقط، بل على إعادة هيكلة الولايات المتحدة إلى المسرح الدولي. ووقع الرئيس بوش أمر محادثات سمي «التفتيش» صرف بموجبه بضعة ملايين من الدولارات للدعم الخفي لحبري. وكان هذا أول عمل خفي لكاسبي.

وجد كاسبي في الأسابيع الأولى ما توقعه: وكالة المخابرات المركزية مؤسسة مترجمة إلى قوقعتها، وعليه أن يخرجها بلطفة من هذه القوقعة. ولن يستطيع إخراج هؤلاء الناس إلا بسبب وجيه. تم تظهير كفائهم بسبب كارت ووترنر، إلا أن بذور الحرة كانت فيهم، وتقدير ليبيا أكبر مثل على ذلك. كان عليه أن يجدد نقطة الانطلاق لإخراج رجاله. وإذا كان

تورنر يرغب في تقليل الخطر، فما هو يرغب في المجازفة وكسر الجمود ليثبت أن الادارة والرئيس يريدان التحرك.

وصل الجنرال يوجين تاي من القوات الجوية في الموعد المحدد الساعة ١١،٠٠ صباحاً من يوم الإثنين ٢ شباط /فبراير ليلتقي مدير المخابرات المركزية. وكان قد التقى كايبي مرة قبل ذلك في إحدى الحفلات الاجتماعية. وتعلم تاي من خبرة ٣٦ سنة في عمل الاستخبارات أن السياسة والاستخبارات صنوان لايفترقان. وتاي رجل كبير مجعد الشعر يضع نظارتيه وله ابتسامة قوية تستمر طويلاً بعد ضحكاته. واجه في حياته إدارات كثيرة ووزراء دفاع ومدراء غابرات يأتون ويذهبون، وتغيراً في نوع وشكل الاستخبارات. ولكنه وجد أن الخلافات تنشب عندما لا تكون هناك معلومات واضحة وكافية، بينما لا تحصل خلافات بين المسؤولين عندما يكون هناك معلومات.

كان تاي رئيساً لوكالة الاستخبارات الدفاعية حوالي ٤ سنوات خلال عهد كاتر، ورغب البقاء في منصبه، وكانت مهمته تنسيق المعلومات الواردة من استخبارات الجيش والبحرية والقوات الجوية وقوات مشاة البحرية. وأطلع تاي على المعلومات المتقطعة من وكالة الأمن القومي والصورة التي تأخذها الاقمار الاصطناعية التابعة لمكتب الاستطلاع القومي، وهو مكتب سرري جداً، وعلى معلومات وكالة المخابرات المركزية. وكانت مسؤوليته الأولى إعطاء الإنذار المبكر لدى أي تحرك عسكري سوفياتي. قامت وكالة المخابرات المركزية بتدبير الثورات والحركات السياسية والاضطرابات مما يعني أن إنتاجها كان على طاولة البيت الأبيض يومياً، عند أي تور أو أزمة في أي مكان في العالم. كانت هناك ألعاب حرب ومناقشات في دوائر الاستخبارات وفي البيت الأبيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع والصحافة، لكنها كانت نظرية، وهذا ما أثار قلقه، فقسم على أن يجعل الوكالة تتقف على قدميها.

لم يكن تاي من الصيادين. وقلسته كانت بسيطة: كلما علمت أكثر قل خطر الحرب. وعمله كان الحصول على المعلومات التي تمكن الولايات المتحدة من أن تتصرف كدولة مسلة. وأدرك تاي أن وكالة الاستخبارات الدفاعية كانت بمثابة الصنف الخلفي في وكالات الاستخبارات، وهي جهاز له تعقيدات خفيفة. ولكنه كان مهتماً بالعبء الملقى على عاتق وكالته وعلى الـ ٤٥٠٠ شخص الذين عملوا معه. نفذت هذه الوكالة حوالي ٩٥٪ من أعمال الاستخبارات العسكرية، وشمل عملها تحليل المعدات والتجهيزات والتهديدات والنوابا العسكرية والخطط والأهداف السوفياتية. وقدمت معلومات حاسمة «لخطة العمليات المتكاملة المنفردة»، وهي الخطة العسكرية للمعركة النووية الكبرى مع الاتحاد السوفياتي. اعتقد تاي بأن وكالة الاستخبارات الدفاعية كانت الأساس في الاستخبارات العسكرية، فقد اكتشف الرئيس جون كينيدي وزير الدفاع روبرت مكنارا أنه لم يكن هناك هوة في مجال الصواريخ مع السوفيات كما أعلن كينيدي مراراً في حملته الانتخابية عام

١٩٦٠، ولذلك أنشئت في عهدهما وكالة الاستخبارات الدفاعية للتأكد من استخبار ومعالجة المعلومات وعدم إهمالها وإعطاء سلطة متكاملة لوزارة الدفاع التي تعمل بمعزل عن المنافسات الداخلية. الرسالة كانت بسيطة. العرب يهاجمون أو لا يهاجمون. الروس قادمون أو غير قادمين... إلخ.

هذا الإثنين كان الاجتماع الأول لهيئة الاستخبارات الخارجية القومية التي يرأسها كايبي، وأعضاؤها رؤساء وكالة الأمن القومي ووكالة الاستخبارات الدفاعية وبقية وكالات الاستخبارات وقسم الاستخبارات في وزارة الخارجية وقسم الاستخبارات في مكتب التحقيق القدرالي، ويمثل عن وزارة المال. كان هناك حوالي ١٢ رئيساً أو مبعثلاً ينتظرون المدير. شعر تاي بأن مدير المخابرات المركزية يجب أن يكون متحرراً، ولكن بعد تجارب هلمز وكوليبي استنتج أنه لن يصل إلى هذا المنصب أشخاص من الرتب الدنيا. تحرك كايبي بثقل وجلس على مقعده وبدأ عجوزاً. لم تكن مشيته مستقيمة، وبدأ شاحباً بعكس تورنر الشاب وذو المظهر العسكري.

بدأ كايبي بكلام متفائل، كان سعيداً وواضحاً. وأعلن أنه تفهم الاستخبارات وعرف أهميتها، وسيبذل جهده ليبقى على اطلاع دائم على جميع الأمور. شعر تاي بأنها إشارات حسنة. وعلم كايبي الاعتراضات على الطريقة التي كان تورنر يترأس بها اجتماعات الهيئة، إذ كان يحدد مدة ساعة فقط للاجتماع متأكداً أنها تنتهي وفقاً للجدول المحدد. وبما أن تورنر كان الرقم واحد فقد كان بإمكانه المتابعة وحيداً واتخاذ القرارات، وكان في الغالب قاسياً ومذهلاً.

بينما كان كايبي يتابع عرضه، فوجيء تاي بأنه يجيد استعمال تعابير ومصطلحات الاستخبارات، وبأن تفكيره متجانس مع تفكير الآخرين، وخصوصاً عندما قال إنه سيزور كل رئيس وكالة شخصياً.

ذكر كايبي أن عدد الحضور كبير جداً في القاعة، وأنه في بعض القضايا الحساسة سيستثني بعض الأشخاص الذين لا يريد حضورهم من لائحة المجتمعين. وكّرر أن الأمن هو من الأولويات المهمة.

بعد بضعة أيام اتصل كايبي بتاي وسأله: ما رأيك بتناول طعام الغداء عندك؟ وعندما أجابه تاي بأنه لا يوجد قاعة طعام خاصة، اقترح كايبي تناول الطعام في مكتب تاي. وبعد بضعة أيام وصل كايبي إلى مكتب تاي في مبنى وزارة الدفاع المعروف بالبتاغون في الغرفة رقم ٣-٢٥٨. وطلب الاثنان سلطة الفريديس (الجيمبري)، وفي الحال طلب كايبي التفاصيل عن مهام تاي الاستخبارية وكان لديه سؤالان: ماذا تعمل؟ وماذا تعرف عما يجري في العالم؟ وهنا بدأ تاي بجولة أفق.

بدأ تاي من جنوب المحيط الهادئ، وقال إن السوفييات يشترتون الصفوف من

تورنر يرغب في تقليل الخطر، فها هو يرغب في المجازفة وكسر الجمود لثبوت أن الادارة والرئيس يريدان التحرك.

وصل الجزائر بوجين تاي من القوات الجوية في الموعد المحدد الساعة ١١،٠٠ صباحاً من يوم الإثنين ٢ شباط /فبراير ليلتقي مدير المخابرات المركزية. وكان قد التقى كايبي مرة قبل ذلك في إحدى الحفلات الاجتماعية. وتعلم تاي من خبرة ٣٦ سنة في عمل الاستخبارات أن السياسة والاستخبارات صنوان لا يفترقان. وتاي رجل كبير يجعد الشعر يضع نظارتين وله ابتسامة قوية تستمر طويلاً بعد ضحكاته. واجه في حياته إدارات كثيرة ووزراء دفاع ومدراء غابريال باتون ويذهبون، وتغييراً في نوع وشكل الاستخبارات. ولكنه وجد أن الخلافات تنشب عندما لا تكون هناك معلومات واضحة وكافية، بينما لا تحصل خلافات بين المسؤولين عندما يكون هناك معلومات.

كان تاي رئيساً لوكالة الاستخبارات الدفاعية حوالي ٤ سنوات خلال عهد كارتر، ورغب البقاء في منصبه، وكانت مهمته تنسيق المعلومات الواردة من استخبارات الجيش والبحرية والقوات الجوية وقوات مشاة البحرية. وأطلع تاي على المعلومات المنتقلة من وكالة الأمن القومي والصور التي تأخذها الأقمار الاصطناعية التابعة لمكتب الاستطلاع القومي، وهو مكتب سري جداً، وعلى معلومات وكالة المخابرات المركزية. وكانت مسؤوليته الأولى إعطاء الإنذار المبكر لدى أي تحرك عسكري سوفياتي. قامت وكالة المخابرات المركزية بتدبير الثورات والحركات السياسية والاضطرابات مما يعني أن إنتاجها كان على طاولة البيت الأبيض يومياً، عند أي تور أو أزمة في أي مكان في العالم. كانت هناك ألعاب حرب ومناقشات في دوائر الاستخبارات وفي البيت الأبيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع والصحافة، لكنها كانت نظرية، وهذا ما أثار قلقه، فصمم على أن يجعل الوكالة تقف على قدميها.

لم يكن تاي من الصيادين. وفلسفته كانت بسيطة: كلما علمت أكثر قل خطر الحرب. وعمله كان الحصول على المعلومات التي تمكن الولايات المتحدة من أن تتصرف كدولة مبدلة. وأدرك تاي أن وكالة الاستخبارات الدفاعية كانت بمثابة الصف الحلفي في وكالات الاستخبارات، وهي جهاز له تعقيدات خفيفة. ولكنه كان مهتماً بالعبء الملقى على عاتق وكالته وعلى الـ ٥٠٠ شخص الذين عملوا معه. نفذت هذه الوكالة حوالي ٩٥٪ من أعمال الاستخبارات العسكرية، وشمل عملها تحليل المعدات والتجهيزات والتهديدات والنوايا العسكرية والمخطط والأهداف السوفياتية. وقدمت معلومات حاسمة ولحظة المعلومات المتكاملة المفردة، وهي الخطوة العسكرية للمعركة النووية الكبرى مع الاتحاد السوفياتي.

اعتقد تاي بأن وكالة الاستخبارات الدفاعية كانت الأساس في الاستخبارات العسكرية، فقد اكتشف الرئيس جون كينيدي وزير الدفاع ووبرت مكنارا أنه لم يكن هناك هوة في مجال الصواريخ مع السوفيات كما أعلن كينيدي مراراً في حملته الانتخابية عام

١٩٦٠، ولذلك أنشئت في عهدهما وكالة الاستخبارات الدفاعية للتأكد من استخبار ومعالجة المعلومات وعدم إهمالها وإعطاء سلطة متكاملة لوزارة الدفاع التي تعمل بمعزل عن المنافسات الداخلية. الرسالة كانت بسيطة. العرب مهاجون أو لا مهاجون. الروس قادمون أو غير قادمين... إلخ.

هذا الإثنين كان الاجتماع الأول لهيئة الاستخبارات الخارجية القومية التي يرأسها كايبي، وأعضاؤها رؤساء وكالة الأمن القومي ووكالة الاستخبارات الدفاعية وبقية وكالات الاستخبارات وقسم الاستخبارات في وزارة الخارجية وقسم الاستخبارات في مكتب التحقيق الفدرالي، وممثل عن وزارة المال. كان هناك حوالي ١٢ رئيس وكالة أو ممثلاً ينتظرون المدير. شعر تاي بأن مدير المخابرات المركزية يجب أن يكون متخصصاً، ولكن بعد تجارب هلمز وكوليبي استنتج أنه لن يصل إلى هذا المنصب أشخاص من الرتب الدنيا. تحرك كايبي بشغل وجلس على مقعده وبدأ عجوزاً. لم تكن مشيته مستقيمة، وبدا شاحباً بعكس تورنر الشاب ودو المظهر العسكري.

بدأ كايبي بكلام متفائل، كان سعيداً وواضحاً. وأعلن أنه تفهم الاستخبارات وعرف أهميتها، وسيبذل جهده ليبقي على اطلاع دائم على جميع الأمور. شعر تاي بأنها إشارات حسنة. وعلم كايبي الاعتراضات على الطريقة التي كان تورنر يترأس بها اجتماعات الهيئة، إذ كان يحدد مدة ساعة فقط للاجتماع متأكداً أنها تنتهي وفقاً للجدول المحدد. وبما أن تورنر كان الرقم واحد فقد كان بإمكانه المتابعة جيداً واتخاذ القرارات، وكان في الغالب قاسياً ومذهلاً.

بينما كان كايبي يتابع عرضه، فوجيء تاي بأنه يجيد استعمال تعابير ومصطلحات الاستخبارات، وبأن تفكيره متجانس مع تفكير الآخرين، وخصوصاً عندما قال إنه سيزور كل رئيس وكالة شخصياً.

ذكر كايبي أن عدد الحضور كبير جداً في القاعة، وأنه في بعض القضايا الحساسة سيسبتي بعض الأشخاص الذين لا يريد حضورهم من لائحة المجتمعين. وكرر أن الأمن هو من الأولويات المهمة.

بعد بضعة أيام اتصل كايبي بتاي وسأله: ما رأيك بتناول طعام الغداء عندك؟ وعندما أجابه تاي بأنه لا يوجد قاعة طعام خاصة، اقترح كايبي تناول الطعام في مكتب تاي. وبعد بضعة أيام وصل كايبي إلى مكتب تاي في مبنى وزارة الدفاع المعروف بالبنياغون في الغرفة رقم ٣٠٢٥. وطلب الاثنان سلطة الفريديس (الجمبري)، وفي الحال طلب كايبي التفاصيل عن مهمات تاي الاستخبارية وكان لديه سؤالان: ماذا تعمل؟ وماذا تعرف عما يجري في العالم؟ وهنا بدأ تاي بجولة أفق.

بدأ تاي من جنوب المحيط الهادئ، وقال إن السوفيات يشتركون الصوف من

نيوزيلاند، وهي طريقة سوفياتية، ويستخدمونه لوضع أقدامهم في البلاد. شبال المحيط الهادئ كان الموقف في كوريا سيئاً، فقد توقفت مصادر الاستخبارات عن عملها عندما زاد الكوريون الشماليون من عدد قواتهم المسلحة. وحاول السوفييات زيادة نفوذهم في كل مكان تنسحب منه الولايات المتحدة، وخصوصاً في جنوب شرقي آسيا وفييتنام.

سحب كايبي من جيبه بطاقة ملاحظات صغيرة وبدأ يكتب ويشجع تاي على المتابعة. كوريا، فيتنام، المشاكل القديمة، الحروب القديمة التي لا يمكن أن تنتهي. لم يحل المشكلة انفتاح نيكسون وكينجسجر على الصين. ويمكن للسياسة الصينية أن تتغير ١٨٠ درجة في ليلة واحدة. إن الأسلحة النووية الصينية والغواصات والأقمار الاصطناعية والصواريخ العابرة للقارات تجعل من الصين قوة عالمية. هناك خطأ جسيم في نظرتنا إلى الصين واعتبارها قوة عملاقة في العالم الثالث، والتركيز عليها كمصدر تهديد سكاني. تعتبر مراكز التنصت التي سمح الصينيون للأميركيين بتركيزها على الحدود الصينية علامة صداقة، ولكن لا توجد ضمانة هذه الصداقة.

أضاف تاي أن المكسيك مصدر قلق كبير. هناك ثورة في الريف. في مدينة مكسيكو العاصمة يسيطر البوليس المحلي على بعض الأحياء، ولا تستطيع القوات المركزية الحكومية دخولها. ويسود البلاد فقر مدقع لدرجةٍ يجعل معها أن يظهر زعيم آخر مثل الحميني. إن أميركا الوسطى هي بحر من عدم الاستقرار وأرض خصبة لليسار. كوبا تتقدم ومن المحتمل أن تبسط سيطرتها على مناطق إقليمية أخرى.

في الشرق الأوسط تسير الأمور نحو الأسوأ. لم تشهد إيران في ظل قيادة الإمام الخميني حرباً أبداً بعد ولكن لا يمكن تجنب هذه الحرب. والوساطة الأميركية في الشرق الأوسط تجلب لنا المتاعب.

اهند بلد هام والسلطة هناك منقسمة بين حكومة غاندي ووزارة الدفاع التي يهيمن عليها السوفييات. وهذه الحكومة المنقسمة تجعل الأمور صعبة بالنسبة إلى الولايات المتحدة. هناك عامل حيوي وأساسي: البيت الأبيض لا يصغي غالباً، بصراحة كان من الممكن أن يصغي الرئيس كارتر للمخابرات وهي تطلعه على أن السوفييات كانوا يحضرون لغزو أفغانستان. قبل الغزو بسنة أشهر نُقل جنرال سوفياتي معروف بخبرته في التمدد العسكري من فيتنام الشمالية إلى أفغانستان. وحاول تاي الاتصال بالرئيس كارتر في البيت الأبيض شخصياً ليحذره. وبدأ كان لا يمكن أحد في ذلك البيت! لم يصغ إليه أحد. صور الأقمار الاصطناعية وإشارات المخابرات جميعها أوضحت النوايا السوفياتية. وكان البيت الأبيض واقفاً تحت وطأة الهواجس في إيران ولم يرغب في أي مشاكل أخرى. والأنا وبعد أكثر من سنة، ما زال الخطر السوفياتي موجوداً في أفغانستان.

- وأنظر! قال كايبي، ونقل عينيه بين بطاقاته، «إذا كانت لديك أية رسالة تريد

توصيلها فتنال إلى مباشرة وسندخل». وكان متحمساً في ذلك.

أضاف تاي: إنَّ للعسكريين نفوذ هام في الاتحاد السوفياتي لا يدركه الكثيرون، وإنَّ تحليلات الاستخبارات وخصوصاً وكالة المخابرات المركزية لم تعظم الحظ باستلام السلطة. كان الجنرالات السوفييات يستعدون لعصرهم. كان الإصلاح أداتهم وظهروا أكثر حداثة وعصرية. كما أفادت تقارير الاستخبارات أنَّ جناحاً من العسكريين كان ضد معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية سالت ٢.

وافق كايبي على أنَّ الروس غشاشون ولا يمكن الوثوق بهم. وأضاف تاي: بل أسوأ من ذلك لأنَّ القيادة السوفياتية بدأت تصبح عدوانية شيئاً فشيئاً. والروس صاروا طبقة في المجتمع السوفياتي. كان هناك حوالي ثلاثة آلاف عائلة من النخبة الذي أرادوا أن يتقوا نخبة ويحافظوا على امتيازاتهم. كانت لهم املاكهم الخاصة وقصودهم الريفية التي يمكنهم أن يورثوها إلى أولادهم. وهم لن يتخلوا عن هذه المكتسبات.

لم يثق السوفييات بال قوة العسكرية لدول أوروبا الشرقية ربما باستثناء بلغاريا. وساد الاستياء في أوروبا الشرقية عندما ألزم الروس قاذفة هذه الدول بشراء المعدات العسكرية الروسية القديمة. وكان الوجود العسكري السوفياتي يتنامى في أوروبا الشرقية وبشكل مصدر تهديد هام.

وأضاف تاي إنَّه زار تركيا منذ فترة وجيزة ووجد أنَّ الاضطرابات تختمر.

في كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٨ أي قبل ستة أسابيع من الإطاحة بشاه إيران زار تاي طهران. وكان رئيس المحطة في طهران يطلب عملاء للمحطة يجيدون اللغة الفارسية ولم يلبَّ أحد طلبه. ولم يستطع أحد أن يعرف ما يجري. وارتدى تاي لباساً مدنياً وزحف على شبك السفارة ونزل أرضاً إلى الشارع وتمشى لمدة ثلاث ساعات. في الحادية عشرة صباحاً فتحت جميع المحلات وعند الظهر أُنقُلت وتدفق مليون متظاهر إلى الشوارع وبدأوا بالهياج والفتنات ضد الأميركيين. وكان عرضاً مشيراً أظهر انفعالاً قوياً، أو دقة في التخطيط، أو الأمرين معاً، وكان واضحاً أنَّ إعصاراً سيضرب المنطقة.

اجتمع تاي مع رئيس السافاك، أي الاستخبارات السرية الإيرانية، الجنرال ناصر موعادوم لمدة ثلاث ساعات. كيف كان الاتصال بين الحكومة الإيرانية وحكومة الولايات المتحدة؟ كانت العلاقات معقدة ويسودها الشلل. وكان لإيران استخبارات فاشلة.

أخى كايبي رأسه موافقاً وغادر بعدها بقليل باتجاه الممر إلى سيارته. يا لعنة! كان هناك الكثير للعمل، كوريا، فيتنام، الصين، المكسيك، بقية دول أميركا الوسطى، الشرق الأوسط، الهند، الاتحاد السوفياتي وإيران طبعاً.

إنَّ صورة مدير الاستخبارات الدفاعية يزحف على شبك السفارة الأميركية في طهران تدعو إلى التعجب. قرر كايبي أنَّ هناك طريقة واحدة للقيام بوظيفته وهي أن ينظم لائحة

بالبلدان الرئيسية ويقوم بجولة تفتيشية ويزور محطات الوكالة بنفسه ويرى ماذا يفعلون وماذا يعرفون.

بحث كايسي وجون بروس في الملفات الشخصية عن سكرتير تنفيذي لكايبي وأخيراً تم اختيار روبرت غايتس الذي كان يقوم بوظيفة ضابط استخبارات الأمن القومي لشؤون الاتحاد السوفياتي كانت علاقته مباشرة مع مدير المخابرات المركزية. كانت وظيفته حساسة ومن المراكز الرئيسية الأولى. ولكن بالنسبة إلى كايسي، كانت خبرة غايتس في البيت الأبيض هي الأكثر أهمية، فقد كان منذ ربيع ١٩٧٤ إلى كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩ في أركان مجلس الأمن القومي وعرف حسناً الاستخبارات وكيف أسيء استعمالها في عهد نيكسون وفورد وكارتر. وكان غايتس قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره، وله خبرة ١٤ سنة في وكالة المخابرات المركزية وهو قصير القامة، رمادي الشعر، لامع، ذو ابتسامة قصيرة. إنه الشخص الذي يبحث عنه كايسي.

في عهد كارتر عمل غايتس في مكتب نائب بريجنسكي في مجلس الأمن القومي ديفيد هارون الذي ساء غايتس «إورث ستراسبورغ» لأنّ قدمه تثبت في الأرض وهو يركز على المسائل المطروحة أمامه. وبعد جلسات بعد الظهر قدم غايتس لهارون آخر معلومات الاستخبارات واستخلص القرارات المطلوب اتخاذها خلال النهار.

تحقق كايسي من حياة غايتس. عندما عين للعمل في وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٦٦ كان يشكو من أنّ الوكالة مليئة بعناصر الحرب العالمية الثانية وقدمى مكتب الخدمات الاستراتيجية الذين لم يجدوا طريقاً أمامهم للوصول إلى القمة إلاّ بإجراء اتصالات سياسية. ووجد غايتس طريقه بعد أن اشترك في زميله في وكالة المخابرات المركزية وهو ضابط يدعى جون سميث وكان والده جيرالد سميث كبير مفاوضي نزع السلاح في عهد نيكسون. تعرف غايتس إلى سميث الكبير وبعد وقت قصير عين محلاً في وكالة المخابرات المركزية وعضواً في وفد نزع السلاح. والأكثر أهمية أنّه كان لغايتس بعض الملاحظات التي وجدها كايسي جذابة. ومع أنّه كان حائزاً على شهادة الدكتوراه في الأدب الروسي، فقد كان يقول إنّ وكالة المخابرات المركزية أكاديمية في عملها بشكل كبير لدرجة أنها خجلت من المواجهة. وإذا لم يدل أحد بأيّ هراء حول ما تقولوه التحليلات فلن يكون هناك مواجهات ولا ضغوطات ولا اهتمام. المواجهة والضغط جعلتا عملي الوكالة أقرب إلى صانعي السياسة. على رجال المخابرات أن يفهموا قلق صانعي السياسة لا أن يحيكوا تقديراتهم لتلائم البيت الأبيض، وعليهم تحديد العوائق وإعطاء الإنذار المبكر.

مع أنّ غايتس كان محلاً، فإنّه قد خاض تجربة عملانية واحدة أظهرت رغبته في عدم اتباع قواعد العمل المألوفة، وكان كايسي يحب هذا الأسلوب. أراد البيت الأبيض أن يقيم علاقة مع كوبا وأوفد ديفيد هارون ليعقد اجتماعاً سرّياً مع اثنين من كبار ضباط مخابرات

كاسترو. واعتقاداً منه أنّ الواقعة كانت أفضل غطاء، اجتمع هارون وغايتس بالكويين في مطعم فرنسي في الجادة الخامسة. ووافق غايتس على أن يضع آلة تسجيل في ثوب قدمه له مكتب التحقيق الفدرالي. وبينما كان هارون يتناقش مع الموفدين الكويين حول الوجود العسكري الكوبي في انغولا وأنشوبيا جلس غايتس صامتاً وعمل كميكروفون بشري.

اجتمع كايسي مع مدير العمليات في عهد تورنر جون مكماهون لبعض الوقت يتناقشان. كان مدير العمليات منصّباً حساساً ومديرية العمليات كانت أداة التغيير، ومكماهون الإيرلندي ذو الشوارب القديمة على طراز الستينات خدم في الوكالة ثلاثين سنة، وعينه تورنر مديراً للعمليات ليسيّط على المديرية التي لم يثق بها. انخرط في الوكالة عام ١٩٥١ بصفة محلل شيفرة وشق طريقه من خلال الأعمال الإدارية وعمل ضابطاً مسؤولاً عن طياري 42. وحين تأثرت سمعة الوكالة في السبعينات رقي مكماهون وعين مديراً لمكتب الاستخبارات الالكترونية وهو نوع غامض وهام من الاستخبارات ويعمل بواسطة الرادارات والتفكير في التقاعد. والمعروف عنه أنّه رجل حذر. منذ بضعة سنوات عندما وضعت الوكالة يدها على ما اصطلح على تسميته «من يدعم ويمول عشرات المجموعات المعادية لوكالة المخابرات المركزية» وعلى بعض المنشورات مثل نشرة «المعلومات حول الأعمال الخفية» التي حاولت كشف عمليات وعملاء وكالة المخابرات المركزية، ثار مكماهون «أغبياء! أبناء الكلاب!» ودعا إلى اجتماع على مستوى عال وبدا عصياً وقال: «نتجنس على الأميركيين... وإذا تمسك أحدهم بهذا... ألا ترى؟ ما هذا المفاهيم؟»

ولم يحب كايسي مكماهون شخصياً مع أنّه كان يبدو مفتحاً ومطيعاً للأوامر.

سأله كايسي: ما رأيك بالغطاء غير الرسمي؟ مثل إرسال بعض الشباب كرجال أعمال ومستشارين وإخراجهم من السفارات. واعترض مكماهون: الأمن والسيطرة وحاجة ضباط الوكالة إلى غطاء دبلوماسي.

- ما رأيك بعملية أفغانستان؟

- إنها عملية مشتركة لشحن الأسلحة عبر مصر. إنّ باكستان هي طريق المقاومة الأفغانية، والعربية السعودية قدمت المساعدات أكثر من وكالة المخابرات المركزية.

قال كايسي: إنّهُ يعتقد بأنّها أهم عملية في عهد كارتر. وبأنّ الرئيس ريفان يريد الاستمرار فيها وتعزيرها، وبأنّها كانت نقطة احتكاك مع السوفيات.

- نعم، قال مكماهون بجفاف، كان الغزو السوفياتي خطأ جسيماً، ولكنه تعجب من أن تكون سياسة الولايات المتحدة بحاجة إلى إعادة تقييم؟ الجيش السوفياتي لن يهزم وكل حركة أميركية ستواجه بحركة سوفياتية مضادة. هل تنجح السياسة الأميركية التي صممت

لتنسرف السوفيات؟ هل يمكن دعمها؟ هل نمارس ضغطاً دبلوماسياً على السوفيات لينسحبوا من أفغانستان؟

كلف كايبي زميله في الحملة الانتخابية ماكس هوغل بمهمة تقصي الحقائق وحضور المحاضرات وبأن يتعلم منها ما أمكن. وبعد ثلاثة أسابيع سأله كايبي. حسناً ماذا تريد أن تفعل؟ أجاب هوغل: سأترك ذلك لك. قال كايبي: هذا ما أريدك أن تفعله: مدير الشؤون الإدارية، وهو أحد المراكز الرئيسية الثلاثة: العمليات والتحليل والشؤون الإدارية. ١٣ شباط/فبراير أعلن تعيين هوغل مديراً للشؤون الإدارية، وسرعان ما تبين له أنَّ هذه وظيفة رجل أعمال تنحصر مهماتها بالإمداد واللوجستية والاتصالات بين مركز قيادة الوكالة ومحطاتها في الخارج. إنَّها وظيفة هامة إلا أنَّها لم تكن عمل مخبرات بالمعنى الحقيقي. في أواخر شباط/فبراير حضر كايبي جنازة لصديق قديم هو ريموند ديكي وهو جمهوري قديم ومحام في واشنطن، وبعد الجنازة عاد إلى سيارته وأرسل أحد حراسه ليطلب من أحد المعزين وهو ستانلي سيوركين أن يحضر لمقابلته.

كان سيوركين رجلاً بديناً أشعث الشعر، ولما حضر فتح سيارة المدير، فبادره كايبي: ستان شكراً على رسالة المديح والإطراء التي أرسلتها إلى لجنة استخبارات مجلس الشيوخ لم لا تعود معي في السيارة؟

قال كايبي: «أنظر، لقد خذلتني مرتين» - وهو يقصد عرضين لوظيفتين قدمهما له عندما كان في بنك الاستيراد والتصدير عام ١٩٧٤ و١٩٧٥ - ولأن أريدك أن تعمل في وكالة المخابرات المركزية بوظيفة مستشار. وافق سيوركين بكل سرور وقال إنَّه ملئ الخدمة في جهاز الأمن والتبادل بعد ١٩ عاماً.

قال كايبي: «إنَّ عمليات الاستخبارات مختلفة، هي قاسية وفيها سفك دماء».

قال سيوركين: «لماذا تفعل ذلك؟»

قال كايبي: «هذا ما أريد أن أفعله. لا أريد أن أكسب بضعة ملايين أخرى من الدولارات. وإذا رأيت شيئاً تعترض عليه، مخالفاً لمبادئك فلا تفعله. نريد أن نعيد المياه إلى مجاريها بهدوء وعناية».

وصلت السيارة إلى مبنى قيادة الوكالة، وبعدما نزل كايبي أعادت سيوركين إلى الكنيسة. أحب كايبي سيوركين الذي كان معروفاً بنشاطه الكبير، وسأله مرة عندما كان رئيس جهاز الأمن والتبادل سؤالاً بسيطاً: ستان، ماذا تحتاج لتقوم بوظيفتك؟ وكان يريد إبقاء أو إنهاء تحقيقات جهاز الأمن والتبادل وأعطي السلطة لذلك. وبالنتيجة، كشف سيوركين عن رشاش وأخطاه في الأعمال التجارية في ما وراء البحار.

وبرصانة واضحة قلل سيوركين من عدد أعضاء فريق محاميه في بارك أثنيو. وأعجب كايبي بالطريقة التي كان سيوركين يدير بها جلسات المفاوضات. كان ينحني على

كرسيه ويغمض عينيه ثم يفتحها، ويقف ثم يجثأ في أنحاء القاعة ويرفع أصابعه ويصرخ: «لا يصدق!» ثم ينسل إلى الظلمة ويحدق ويشتم. وبعددها إلى طريقة التحري كولومبو الذي يسأل أسئلة بسيطة ويظهر أنَّه مرتبك. إنَّه مسرح حقيقي عرفه كايبي.

كانت الأسابيع الأولى لكايبي رائعة. وعومل كأحد عناصر مكتب الخدمات الاستراتيجية الذي عاد مظفراً ولم يعرف أحد أنَّه كان يرغب في وزارة الخارجية. ونظر الجميع إليه في الوكالة على أنَّه كان مدير حملة الانتخابات وأنَّ بإمكانه اختيار أية وظيفة. وتناداه عناصر الوكالة «المدير» أو «المدير كايبي» أو «مدير المخابرات المركزية مختصراً DCI» أو «سيدى». وهكذا كان سياق العمل. كان الموظفون يشاهدونه في المرات ويترجمون من طريقة ويحجون عن قرب.

وفي كل يوم كان المزيد من المواد المترجمة والرسائل في مركز عمليات لانغل يُلقى الأضواء على ما حدث في الليلة الماضية، ويُقدم إليه في ملف خاص، وكان هناك ملف آخر - يحتوي على تقارير السفارات ومحطات الوكالة كان عليه أن يوليه اهتماماً.

وكانت هناك نسخة مطبوعة عن الإيجاز اليومي للرئيس من عشر صفحات تحتوي على أفضل المعلومات، وترسل يومياً إلى ريغان وهيغ ووايبنرر وهيغ «ويومية الاستخبارات القومية» وهي نشرة سرية جداً ومشفرة إلا أنَّها أقل حساسية وتعمم على مئات الموظفين في الحكومة.

وكانت ملفات هراء كبيرة ترد إليه تحت طابع «سري جداً حساس ومهم» وهو الاسم المشفر لأعمال المراقبة، وتحتوي على التقارير الواردة من الأقبار الاصطناعية وبعض الاستطلاعات المصنوعة الأخرى. ومعظم تقارير الاستخبارات كانت ترد من عدة مصادر وهذا يعني أن بعضها يرد من صور الأقبار الاصطناعية ومصادر بشرية لؤذي مع تقارير أخرى إلى استنتاج واحد.

حدث انقطاع مفاجئ في الأوراق وتعجب كايبي لذلك. وسأل: ما يجري هناك؟ وهناك تعني محطات الوكالة في الخارج. وأظهرت التقارير أن محطات كثيرة قدمت معلومات مهمة حول الدولة المضيفة والسفارة السوفياتية فيها. ولكن بعض المحطات أرسلت هراء. وزاد شوقه وتلهفه لزيارة محطاته.

في أوائل آذار/مارس طار كايبي إلى الشرق الأقصى وزار محطاته هناك، التي وضعت أنظمة مراقبة للوجود السوفياتي المتزايد. ورصدت المحطات بدقة دخول وخروج جميع المواطنين السوفيات وذلك عن طريق استخدام البوليس المحلي والجارك والأمن العام والمخابرات الصديقة. وكانت المحطات تحصل على صور عن جواز سفر كل سوفياني. وكان فريق مراقبة بلاحق ويواقب الأشخاص المهيمن. وأمَّن ذلك معلومات مهمة عن تحركات المسؤولين السوفيات. وعملوا على مراقبة الاتصالات الهاتفية للسوفيات وتسجيلها. وكان للمحطات عملاء يعرفون الأهداف السوفياتية. وبعض المحطات كان لها قيادات كبرى في

الحكومة المضيفة. لكن الاستخبارات السياسية كانت هزيلة.

وتدرج تقسيم ضباط العمليات من ممتاز إلى مقبول ولم يرغب أحد منهم القيام بدور كبير، ولم يبذل أي منهم جهداً في تنظيم لوائح بالأهداف المحددة أو في تجنيد عملاء بشريين وتركيز معدات تخمس ألكترونية. كانت المحطات تنتظر الفرص دون أن تبحث عنها. وسادها الشك والتردد. وفي كل مكان ذهب إليه اجتماع كايبي برئيس المحطة وضباط الأمن وقنوات الاتصال الخاصة. أراد كايبي أن يضرب المثل ويعطي الانطباع بأنه كرئيس لحملة ريغان الانتخابية، يمثل ريغان في سياسته الدفاعية والخارجية.

عاد كايبي إلى الوطن بانطباع مهم: إن حلفاء الولايات المتحدة وأصدقاءها يطلبون منها أن تتولى القيادة. وعطائه كانت تتطلع إليه بأمل كبير.

- ٥ -

قرأ كايبي جميع المستندات المتعلقة بإيران في الوكالة منذ أن كسر كارتير وتورنر كرة الثلج فيها. وتعجب مثل الكثيرين. ماذا كانت تفعل وكالة المخابرات المركزية؟ هل فشلت المخابرات الأمريكية كما قال مدير وكالة الاستخبارات الدفاعية تاي؟ ألم تعلم الوكالة شيئاً عن وضع الشاه المتقلب وحالته الصحية؟ إن واحدة من مهمات كايبي الأساسية تجنب حدوث مثل ذلك في إيران وفي سائر أنحاء العالم.

درست الوكالة عملية الإنقاذ الفاشلة للرهائن في ربيع ١٩٨٠ عندما أدى عطل في طائرات الهليكوبتر إلى وقف العملية. إن صور الحطام في الصحراء كانت رمزاً لضعف إدارة كارتير. ولم يكن من المفترض أن تنفذ هذه العملية. جون مكماهون مدير العمليات في الوكالة أرسل ستة عملاء إلى داخل إيران للمساعدة، وكان هذا العدد برأي كايبي قليلاً. وبعد مضي ستة أشهر على احتجاز الرهائن لم يكن لدى الوكالة عدد أكبر من العملاء داخل إيران كما كان ينبغي. قدم كايبي تقريراً سريعاً جداً إلى الرئيس ريغان حول عملية الإنقاذ أظهر عدم كفاءة المصادر البشرية.

وهناك دراسة أخرى تحت طابع سري جداً اقتصر تجميعها على تورنر وعدد قليل من معاونيه بعنوان «إيران بعد الوفاة». كانت عبارة عن تحليل من مائة صفحة وموضوعها كيف ولماذا خسرت الوكالة الثورة الإيرانية.

نظم هذه الدراسة روبرت جرفيس وهو باحث في الوكالة وخريج جامعة كولومبيا في العلوم السياسية. وسمح له بالأطلاع على كل ما لدى محلي الوكالة من تقارير من المصادر البشرية واتصالات وزارة الخارجية وصور والتقاطعات وكالة الأمن القومي. وأضى مدة شهرين بين أدراج الملفات، وقابل أربعة محللين رئيسيين في الوكالة من الذين أعدوا تقارير الاستخبارات التي كانت تعمم على البيت الأبيض ووزارة الخارجية وغيرها.

بدأت دراسة «إيران بعد الوفاة» بنقطة ناعمة. كانت إيران حالة صعبة ومن الممكن بسهولة لأي شخص أن يقع في الخطأ. لم يكن هناك مجال آخر لأن ثواراً غير مسلحين أطاحوا بحاكم قوي هو شاه إيران وقوته العسكرية والأمنية. ثم تابعت الدراسة طرحها لطريقة معالجة الوكالة للوضع في إيران، مشاكل المخابرات:

- لم يتسن للوكالة أن تقفز فوق الأوضاع المتحركة والسريعة ووقع المحللون في شرك تلخيص الاتصالات اليومية الملتقطة والتي تنشر في «يومية الاستخبارات القومية» وإيجاز الرئيس اليومي».

- قال المحلل الرئيسي لإيران وهو أرنست أوني إنه سمع أربع ملاحظات أو خمس من بعض من قرأوا التقارير ولكنه لم يتلق أي سؤال. لم يكن هناك جو مشكلة تحتاج إلى حل. وتراجعت الاستخبارات إلى عملية الفتش على بعض الوقائع ورميها للناس. وإذا كانت مهمة الاستخبارات أن تتوقع ما يحصل في المستقبل فعليها أن تطرح بعض الافتراضات وهذا لم يحصل، بل اقتصر العمل على تخمينات دون أي أساس.

- اكتفت وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية بتقارير الصحف اليومية ونشرات التلفزيون. ولكن بعض الصحف مثل لوموند الفرنسية وأيكونوميست البريطانية كانت تخميناتاً أفضل وأكثر، إلا أنها وصلت إلى الوكالة بالبريد العادي متأخرة أسبوعاً واعتبر ما نشر فيها أخباراً قديمة ولم يكثر بها أحد. كانت عناصر قليلة تجذب انتباه المحللين ولم يظهر هناك ما يشير إلى أنهم على الطريق الخطأ.

- كانت محطة وكالة المخابرات المركزية في طهران منقسمة حول نفسها بشأن ما يجري في إيران، إلا أن هذه الانقسامات لم تظهر في التقارير التي كانت ترسلها.

- كانت الأولويات الرسمية لمحطة إيران أولاً السوفيات، وثانياً جهود إيران للحصول على أسلحة نووية، وأخيراً الوضع السياسي الداخلي، وقبل التغيير ببضعة أشهر بدأت الوكالة بتغيير الأولويات ولكن كان هناك شعور بأن ثورة سياسية تأخذ طريقها.

- لم يكن هناك أدوات تنصت إلكترونية في مكتب شاه إيران. ولم تنصت الوكالة على اتصالاته الهاتفية. ولم يكن هناك معدات استخبارات ذات تقنية عالية داخل إيران ورفض السفير الأميركي وليم سوليفان اقتراحاً لوكالة الأمن القومي بتركيز مركز تنصت متطور في السفارة على أن تدفع الحكومة الإيرانية ثلث تكاليفه لأنه كان يعتقد بأنه لن يتلقى معلومات مهمة من التنصت على الشاه، ويأن السافاك كان يمتثل بديه ويؤمن معلومات مهمة. لم يكن لوكالة المخابرات المركزية أي عميل براتب شهري! وكان هذا وضعاً خطيراً.

- اختارت الوكالة مجموعات من المعارضة بشكل خاطئ لتجمع منهم المعلومات، وكان لها عملاء في جبهة المعارضة الوطنية التي ينتمي عناصرها للطبقة المتوسطة. وفشل الأميركيون في فهم ضعف هؤلاء المعتدلين. والسؤال الذي كان يجب أن يطرح هو كم كانت قوة المعتدلين؟ ولو طرح هذا السؤال لاستطاع عناصر المحطة الوصول إلى رجال الدين وهم المعارضة القوية الحقيقية.

- كان هناك الكثير من الاتصالات داخل وكالة المخابرات المركزية وداخل وكالة الأمن القومي وداخل أجهزة الاستخبارات العسكرية حول إيران، بينما كانت الاتصالات قليلة

جداً بين وكالة الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية مثلاً، حول إيران. - لم يكن هناك أي تفسير بديل للبيانات والتقارير ولم يجبر المحللون على إظهار الدليل الذي يدعم البدائل. ولم يكن هناك مراجعة صحيحة لأي دليل ولم يكن هناك نظام لمناقشة الافتراضات.

- افترض عناصر محطة الوكالة في طهران أنه في أيامنا هذه لا يمكن للمعارضة الدينية أن تتحول إلى معارضة سياسية. ولم يتوقع السفير الأميركي في طهران أو محطة الوكالة أن يتحول الشعور القومي في إيران إلى شعور ضد الولايات المتحدة. مع أنه كان يمكن التوصل إلى هذا الاستنتاج من خلال رجال الدين الذين اعتبروا أن الشاه من صنع الولايات المتحدة بنسبة ١٠٠٪ وأنه دمية تحركها واشنطن ووكالة المخابرات المركزية.

- اعتمد تحليل الوكالة الطريقة الدائرية. بدأ بواقع أن الشاه يملك القوى الأمنية والعسكرية. مفترضاً أنه يمكنه أن يستعمل هذه القوة عندما يجد ذلك ضرورياً، ولأن الشاه لم يستعمل هذه القوة، اعتبرت المعارضة غير مهمة ولا تشكل أي تهديد. وهذه دائرة منطقية لا يمكن اختراقها. واعتبر فشل الشاه في أن يقوم بعمل حاسم دليلاً على أن الأمور تجري على ما يرام. أما السؤال المطروح، فقد كان: ما الذي منع الشاه من استعمال القوة ليحافظ على سلطته؟ فشلت وكالة المخابرات المركزية في أن تعلم أن الشاه كان مصاباً بالسرطان، وأنه كان يأخذ علاجاً أدى إلى الحد من قدرته على اتخاذ القرار. وكان هذا جزءاً من المشكلة.

- كانت الكلمات والتعابير التي استعملت في التقارير تعني أشياء مختلفة، مثلاً عبارة «سيقوم الشاه بعمل حاسم» تعني للبيض أنه سيستعمل القوة لقمع أي انتفاضة شعبية، وتعني للبيض الآخر أنه سيجري إصلاحات في النظام ليحد من حكمه الاستبدادي!

- ورد في أحد تقارير وكالة المخابرات المركزية في آب/ أغسطس عام ١٩٧٨: «إن إيران ليست في وضع الثورة أو في وضع ما قبل الثورة»، وتوصل تقرير آخر في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٨ إلى نتيجة عكسية «أن الشاه لم يصل إلى مرحلة الشلل وعدم تمكنه من اتخاذ القرار» وأنه كان بشكل عام «على اتصال وثيق بالواقع» وبينما بدأ الوضع في إيران ينهار لم يكمل أي تقدير استخباري قومي في تلك السنة. إلا أنه ورد تعليق لتورنر يقول: «ماذا يحدث إذا غزا الاتحاد السوفياتي إيران؟».

ما حدث في إيران، كان بمثابة إثبات لصحة وجهة نظر كاييبي وهي أنه لا يجوز للاستخبارات أن تبقى كسولة، ويجب بذل جميع الجهود لحث صانعي القرار السياسي على التحرك. أراد مستشار الأمن القومي زغبينو بريجنسكي من الشاه أن يستعمل القوة ليقمع ثورات وانتفاضات الشوارع، إلا أن وزير الخارجية سايروس فانس عارض استخدام القوة. ولم يستطع الرئيس كارتر أن يتخذ قراراً. والمحير في هذا الوضع أن شاه إيران كان ينتظر الإشارة من رئيس الولايات المتحدة، ليقول له ما يفعل. إن تردّد كارتر وتردّد الشاه كانا كل ما يحتاج إليه الثوار لتحقيق انتصارهم.

قال كايبي إن الجانب التحليلي في الوكالة بحاجة إلى هزة ويجب قطع بعض الرؤوس ودمجها. كان عليه أن يغير مدير العمليات جون مكاهون لأن طريقته في إدارة العمليات لم تكن تتناسب مع ما يريده البيت الأبيض. في اجتماع بين مكاهون وريتشارد آلن ومساعدته باد نانس وهو أميرال بحري متقاعد، اقترح نانس على الوكالة أن تقوم بعملية خفية لنسف وتدمير حوض عائم لبناء السفن في أثيوبيا، لأن صور الأقمار الاصطناعية أظهرت أن لدى الاتحاد السوفياتي مدمرة أو طراداً في الحوض. أجاب مكاهون: لن نتورط في ذلك أبداً، إنه عمل حربي. وبعد الاجتماع قال آلن لنانس: «لقد أصبح القليل البري صوصاً». وقرّر كايبي فصل مكاهون للقيام بمهام مديرية التحليل.

كان الخميني موضوع تداول في أحداث البيت الأبيض وكان هناك شعور بوجود الإطاحة به. وبعد مباحثات مع الرئيس، الذي أبدى اهتماماً بالموضوع، طلب من كايبي ما إذا كان هناك خطة للإطاحة بالخميني وإحلال رضا بهلوي ابن الشاه مكانه. وعندما عرض كايبي هذه الفكرة في لانغل امتعض الجميع. «كانت إيران طفلاً ملوثاً». إن عائلة بهلوي كانت أسوأ. ولم يوافق أحد في مديرية العمليات على القيام بذلك. وعارضت وزارة الخارجية أيضاً. ولكن كايبي الذي كان يعرف ماذا يريد الرئيس شعر بأن على الإدارة الأمريكية أن تقوم بعمل ما. وأفضل عمل هو الاتصال بالجاعات المعادية لنظام الخميني وإجراء مفاوضات معهم لمعرفة ما يمكن أن يقوموا به من أفعال معارضة. قدّم كايبي هذا الحل للرئيس ريفان وحظي بالموافقة عليه.

قرأ كايبي بإيمان معلومات المخابرات والملفات القديمة التي طالما أحب قراءتها واسترعى انتباهه الدولة الزراعية الصغيرة والفقر: السلفادور. السلفادور أي «المخلص» كما سبها الفاتحون الأسبان يبلغ عدد سكانها ٤,٥ مليون نسمة وهي أصغر دولة في أمريكا الوسطى ويحجم وشكل ولاية ماساتوشوستس تقع على ساحل المحيط الهادئ وتبدو غنية في بطن اميركا الوسطى ولم تكن إلا عبر قناة باناما. وكان فيها ثورة شيوعية متنامية. ومن غير السموح، كما قال الرئيس ريفان، أن نخسر ساحتنا الخلفية والإمامية.

أراد كايبي أجوبة. من يدعم الثورة اليسارية في السلفادور؟ ما مصدر الدعم العسكري والدعم السياسي؟ أين كانت خطوط مواصلات هذا الدعم؟ كيف يحصل ذلك رغم أنف الولايات المتحدة؟ وكيف يمكن وقفه؟

أمر ريفان بزيادة عدد الخبراء العسكريين الأميركيين في السلفادور من ٢٠ إلى ٥٠ وذلك لمساعدة الحكومة السلفادورية. وركزت الصحافة على الرقم، وكأما تم قياس درجة حرارة وحاسة الإدارة، غير أن حرارة الأرقام كانت عاملاً يثير المخاوف وينذر الولايات المتحدة بشتائم جديدة.

لم تكن هذه هي المسألة بالنسبة إلى كايبي، فقد أظهرت التقارير أن ثوار السلفادور

يتلقون الأسلحة من جارتهم نيكاراغوا. وكان الدليل واضحاً في التقارير التي كان يتلقاها الرئيس كارتر. وقبل يومين من تركه الرئاسة كان هناك مذكرة تحتاج إلى توقيع وتقتضي بوقف المساعدات الأمريكية إلى نيكاراغوا لأنها كانت تدعم ثوار السلفادور. والدليل كان تسرب مفكرة وأوراق الأمين العام للحزب الشيوعي السلفادوري شفيق حنظل. وتبين من المفكرة أن ثوار السلفادور ذهبوا عدة مرات إلى الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية وكوبا وعقدوا اتفاقات لتموينهم بالذخيرة والمساعدات الطبية، التي شحنت عبر كوبا ونيكاراغوا. وصدورت من ثوار السلفادور بنادق أمريكية الصنع من طراز م ١٦ تبين من أرقامها أنها فقدت في فييتنام الشمالية خلال الحرب. وتكونت صورة واضحة عن مؤامرة شيوعية، وظهرت أيدي الاتحاد السوفياتي وكوبا وفييتنام وأوروبا الشرقية ونيكاراغوا في إمداد ثوار السلفادور.

لم يوقع كارتر المذكرة وترك البت بالقضية للرئيس ريفان. في السنة الأخيرة، تمكنت الإدارة الأمريكية من الحصول بصعوبة على موافقة الكونغرس على تقديم مساعدة لنيكاراغوا بقيمة ٧٥ مليون دولار. ولكن الكونغرس ذكر في موافقته أن على الرئيس أن يتأكد من أن نيكاراغوا لا تساعد ولا تدعم الثورات في أمريكا الوسطى.

تحول الاهتمام الرئيسي إلى نيكاراغوا وفيها حكومة ماركسية عمرها ١٨ شهراً. وكان القادة النيكاراغويون أعضاء في الحزب السانديني والذي سمي بهذا الاسم تخليداً للذكرى الشهيد القائد الثائر أوغستو ساندينو، الذي قتل على يد أول حاكم من عائلة سوموزا. وتمتع نيكاراغوا بموقع استراتيجي إذ إن لها سواحل على المحيط الهادئ غرباً وساحل على البحر الكاريبي شرقاً وتبلغ مساحتها سبعة أضعاف مساحة السلفادور.

اهتم كايبي بالأطلاع على المذكرة التي وقعها الرئيس كارتر بعد ستة أشهر من سيطرة الساندينيين على الحكم والتي تسمح لوكالة المخابرات المركزية بتقديم الدعم السياسي والمالي لمحاربي الساندينيين، وتقديم الأموال اللازمة للمحافظة على استمرار إصدار صحيفة لابريسا. وكان هذا تحركاً ضد حكم الحزب الواحد وعملاً سياسياً وبرنامجاً لدعم القوى الديمقراطية تمهيداً لطرحها بديلاً للساندينيين.

كان الهدف من الأعمال الخفية بناء علاقات وروابط للوكالة، والتأكد من أن لها اتصالات واصداً بين القادة الجدد والحكومة الجديدة، وأنفقت آلاف الدولارات بصورة سرية لهذا الغرض مما يظهر أن الإدارة السابقة انتهت لخطر الساندينيين.

تبين لكايبي أنه ليس لدى وكالة المخابرات المركزية اختراقات أو مصادر بشرية بين الساندينيين. أما الدكتور البييني انشازو سوموزا فقد كان لجهاز مخبراته اختراقات بينهم، ولكنه ترك ملفات المخابرات وفرّ إلى خارج البلاد، ووقعت هذه الملفات في أيدي الساندينيين. عندها تحصل الساندينيون من المتعاونين مع سوموزا والذين كانوا المصدر الأساسي لمعلومات وكالة المخابرات المركزية.

الإصلاح الزراعي جيم ديوك وهو عضو مجلس قيادة البلاد والذي قال لبوزيلو: «إنه ليس من شغلك».

أجابه بوزيلو: «أنظر». أريد أن أتكلم بصراحة تامة» وما هو يسحب العصا: «لقد أمضيت عشرة أشهر أحارب من أجل ذلك المبلغ الملعون من المال (٧٥ مليون دولار) وإذا كان ذلك موقفكم فإني أطلب منكم أن تتوقفوا عن ذلك».

وأجاب ديوك بأن نيكاراغوا الحق بأن تكون لها سياستها الخارجية الخاصة، يجب أن لا تستعمل المساعدة الأمريكية كابتزاز. وكان ديوك حسب رأي بوزيلو الأكثر ثقافة وتعلماً في القيادة الساندينية، ولهذا كان له نفوذ داخل الحكم.

يؤري بوزيلو أن ديوك كان المتضرر الأكبر. وأضاف قائلاً له: لك الحق في أن تفعل ما تريد ولنا الحق في أن نفعل ما نريد، فلا تعطيكم المال.

وشعر بوزيلو بأن محطة الوكالة كانت في حوار معه ومع لانغلي كما لو كان هناك شيء يشبه الديك ويحيى مثل الديك فهذا يعني أنه الديك. ولذلك إذا كانت الساندينية حركة شيوعية فسكنو حتماً تحت سيطرة كوبا وموسكو. وكانت معلومات الاستخبارات الأولية عام ١٩٨٠ حول الثورة الساندينية ومدى انتشارها ما وراء الحدود متفاوتة. لا مصادر محددة. لاصور. لا وثائق.

بعد انتصار ريغان في الانتخابات الرئاسية وعندما وقعت مفكرة زعيم الحزب الشيوعي السلفادوري حنظل في أيدي وكالة المخابرات المركزية، ذهب بوزيلو إلى وزير الداخلية النافذ توماس بورج وسأله عن مدد دعم ثوار السلفادور؟

أجابه بورج: «أنت تعرف يا بوزيلو أن هؤلاء أصدقاء» وصرخ بوزيلو: «أصدقاء؟!...». وبدأت بينهما مشادة كلامية وحاول بوزيلو أن ينتزع اعترافاً من الساندينين بأنهم كحكومة متورطون في دعم ثورة السلفادور، ثم بدهم بورج نتائج هذا العمل. إن تورطهم هناك يعتبر خطيئة جسيمة بالنسبة إلى إدارة ريغان الجديدة وانحيازاً يعضهم في مصاف الروس والكوبيين.

في منتصف شباط/ فبراير استدعى وزير الخارجية الكسندر هينغ بوزيلو إلى واشنطن للتشاور، وأبلغه أنه قد جدد مبلغ ١٥ مليون دولار الباقي من المساعدة لكنه لم يبلغ. وكان برأي بوزيلو أن هذا الإجراء يمكن أن يجذب انتباه الساندينين. وأطلع بوزيلو في واشنطن على بطاقة اختيار سرية في وزارة الخارجية تضمنت ثلاثة خيارات دعت جميعها إلى إلغاء المساعدة. قال بوزيلو هينغ إن الخيارات الثلاثة مماثلة لبعضها البعض وطلب البحث عن خيار آخر. واقترح الخيار صفر أي عدم تغيير الوضع الراهن ثم زيادة الضغط الدبلوماسي والمحافظة على شدته. وردت بعض الأشارات إلى أن تدفق السلاح إلى السلفادور قد توقف. وبعد مناقشة طويلة قال هينغ: «فليكن الخيار صفر».

هذا الوضع ذكر كايبي باعتياد وكالة المخابرات المركزية على السافاك في إيران. واكتشف أن الوكالة كانت تدعم أجهزة مخبرات الدول في العالم الثالث وتعتمد عليها. كان يريد مصادر بشرية خاصة بالوكالة، تدفع لها وتحكم بها. يريد أشخاصاً لا يُعزَّون بثروات السلطة وخاصة في الأنظمة غير المستقرة في أمريكا اللاتينية وإفريقيا.

أظهرت معلومات الاستخبارات أن كوبا اخترقت الحكومة الساندينية. وكان هناك نحو ٥٠٠ كوبي يتولون مناصب عسكرية واستخبارية ويشرفون على مراكز الاتصال الهامة. وكانت منظمة التحرير الفلسطينية فاعلة في البلاد وزار رئيسها ياسر عرفات نيكاراغوا. وتبين لكايبي كذلك أن كل العالم الشيوعي: السوفييت والكوريون الشماليون ودول الكتلة الشرقية، كان له حضور فاعل.

هكذا أصبحت نيكاراغوا ملاذاً للثوار السلفادوريين فتمكنوا من ممارسة نشاطهم بصورة طبيعية داخل البلاد وكانت لهم مراكز استراحة وتجمع وملاجئ وقواعد انطلاق إلى داخل السلفادور للقيام بعمليات عسكرية ينسحبون بعدها.

بعد شهرين من انتصارهم عقد القادة الساندينون جلسات متواصلة لمدة ثلاثة أيام لوضع الخطط العامة. وانتهت هذه الاجتماعات بتقرير داخلي من سبع عشرة صفحة عرف بوثيقة الـ ٧٢ ساعة. وردت فيه تعابير «الصراع الطبقي»، و «الحزب الطبقي»، و «البورجوازية الخائنة»، و «الثورة الأممية» بكثرة. وكان الساندينون يناقشون ضد «الامبريالية الأمريكية عدوة الشعوب المناهضة من أجل التحرير»، وتضمنت هذه الوثيقة تصريحاً هاماً من الساندينين بأنهم سيواصلون حركات التحرر الوطني في أمريكا الوسطى. وكان لديهم، حسب رأي كايبي، العقيدة والإيمان والوسائل لتحقيق ذلك.

في ماناغوا عاصمة نيكاراغوا رأى السفير الأمريكي بوزيلو أنه يمكن التحكم بالمشكلة الساندينية وحلها دبلوماسياً. بوزيلو دبلوماسي محترف عمره ٥٥ عاماً، اعتبر أن الساندينين مجموعة من الأولاد غير قادرين على حكم زاوية في محل تجاري. وكان معظم القادة الساندينين من المراهقين عندما تطوعوا للقتال ضد سوموزا. وحققوا انتصاراً لم يتوقعوه وتسلّموا السلطة دون مخطط عمل. وكان بوزيلو يعلم، وهو اختصاصي في شؤون أمريكا اللاتينية، أن معظم الانتلجنسيا في أمريكا اللاتينية لها ميول ماركسية. ولكن يمكن التعامل معهم. من المهم بالنسبة إلى الدبلوماسي أن لا يحمل ادعاءاتهم الثقافية والأدبية على حمل الجهد. وعلى الولايات المتحدة أن تكون متساهلة بأديانها وإعلامها، وخصوصاً ما كان يصدر عن وزير الخارجية الجديد هينغ. وشبه بوزيلو مشكلة الساندينين بالعصا والجزرة. وضغط بشدة عام ١٩٨٠ من أجل منع مساعدة أميركية بقيمة ٧٥ مليون دولار، فاعطاهم بذلك الجزرة. وراقب عن كثب تقارير وكالة المخابرات المركزية، ولم يكن هناك أدنى شك في أنهم يساعدون الثورات في أمريكا الوسطى وخصوصاً ثورة السلفادور. وتحدث في ذلك مع وزير

اصطحب هيغ السفير بوزيلو إلى البيت الأبيض حيث تباحث مع ريغان وقال له إنه ما يزال ممكناً التعامل مع الساندينين، وشجعه الرئيس على ذلك. واقتطف ريغان حديثاً لصديق مكسيكي قال له: «لا ترتكب غلطة أمركة مشكلة أميركا الوسطى».

فيما بعد قال بوزيلو هيغ إنه يجب عدم الاختباء من الحقائق الأساسية. شعر الساندينينيون بأنهم قريبون من ثوار السلفادور وهذا لن يتغير. لن يبيع الساندينينيون صداقتهم بمبلغ ١٥ مليون دولار. ولكن يمكن للولايات المتحدة أن تغير موقفها وتعمل لوقف دعم الثوار بالسلاح. قال هيغ إنه تفهم الوضع.

أضاف بوزيلو: يلزم مجهود كبير للإطاحة بهؤلاء الصبية. وكان يلزم إلى البديل وهو عمل شبه عسكري وخفي للإطاحة بالنظام. ولكي تقوم بذلك عليك أن تتحمل مصاعب كبيرة. إنهم صبية قساة وعليك أن تقوم بعملية جهنمية للإطاحة بهم، ولا اعتقد أن بإمكاننا ذلك. ثم أضاف أن رصيد الإدارة الجديدة المحافظ والمعادى للشوعية له تأثير كبير. واقتنع الساندينينيون أن الولايات المتحدة جادة ولن تنحني.

هيغ الذي تدرب على أيدي نيكسون وكيسنجر عرف أصول لعبة الاستمرار. وشهد وهو ضابط صغير تثر الولايات المتحدة في كوريا وبعدها في فيتنام. يمكن أن تكون معلومات الاستخبارات ضعيفة والصالحات فارغة ولكن المشكلة الحقيقية كانت في إهمال الإدارة. والآن ما هو الموجه لرئيس غير ملم في الشؤون الخارجية. يجب فرض آرائه على الرئيس.

كان هيغ ينظر إلى ما وراء نيكاراغوا وكان يقول إنه يجب القيام بشيء ما من أجل وقف تصدير السلاح من كوبا. أراد حظراً وكما قال في أحد اجتماعات البيت الأبيض: «عد إلى المصدر».

قلق مساعدو ريغان ميز وباكر وديفر من أن هيغ ربما يخلق حمى حرب ويغيف الرأي العام ويدفعه إلى الاعتقاد بأن ريغان سيورط الولايات المتحدة عسكرياً في أميركا الوسطى. أرادوا أن تبقي عين الرئيس على الكرة المحلية. الإصلاحات الاقتصادية وإصلاحات الضرائب. إن أي أزمة خارجية أو مواجهة عسكرية وخصوصاً مع كوبا، مع كل ما تعنيه أزمة الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢، ستؤدي إلى وقف العمل في البرنامج الداخلي.

أن الألوان لاتخاذ إجراء معتدل. اقترح كايبي شيئاً ما في الوسط، بين عدم القيام بأي شيء والعمل العسكري، كالحظر البحري على كوبا. وأعد العمل الخفي لهذا الغرض ببطء وقوة وحزم وسرية. وحصل على مسودة نتيجة بحث، لم تكن موجهة نحو مركز الاضطرابات أي كوبا، ولا حتى نيكاراغوا، بل نحو الدولة المهددة وهي السلفادور. ودعت نتيجة البحث إلى حملة دعم إعلامي وسياسي ومالي للديمقراطيين المسيحيين وضباط الجيش في السلفادور.

في ٤ آذار/مارس وقع الرئيس نتيجة البحث تحت طابع سري جداً. واقترحت الوكالة

مهندساً مدنياً يبلغ ٥٥ سنة من العمر كان قد درس في الولايات المتحدة في جامعة نورثدام ويدعى جوزيه نابليون دوارت لوضعه على لوائح الوكالة كشخص مهم مع إعطائه اسماً مموهاً. وكان الأشخاص المهمون في الوكالة يتدرجون من مخبرين عاديين قد لا يعرفون بأنهم يعطون معلومات لها عبر أنظمة لهم سيطرة تامة عليهم. وكان هناك فجوة واسعة بين الواقع وبين ما هو عليه دورات. كان مصدرًا ممتازاً للمعلومات خلال ستين عديدة ولكنه كان مستقلاً يصعب السيطرة عليه، ومن المحتمل أنه لم يكن يعرف أنه يعطي معلومات لوكالة المخابرات المركزية. وفضل كايبي هذه الطريقة. زعيم قوي يُحرَّك من مكتب الوكالة. وفيما بعد ترأس دورات المجلس العسكري المدني الذي حكم السلفادور والذي دعمته الولايات المتحدة.

في لاندن تركز الأدميرال بوبي اتمان في مكتب نائب المدير في الطابق السابع قرب مكتب المدير. وكان المكتبان يشرفان على ريف فرجينيا الأخضر. كل ما حولك أخضر ويوحى بأن الوكالة معزولة وسط غابة كثيفة.

صباح الثلاثاء في العاشر من آذار/مارس اهتم اتمان بعنوان الصفحة الأولى لصحيفة نيويورك تايمز: «المجموعات الاستخبارية تبحث عن صلاحية لتحصل على معلومات عن المواطنين الأميركيين». وتحدث الخبر عن مشروع أمر تنفيذي لرفع بعض القيود عن الوكالة حول التجسس ومكافحة التجسس في الوكالة المتحدة. تسرب مشروع أمر تنفيذي من ١٦ صفحة وضعت مسودته في وكالة المخابرات المركزية وأطلع عليه اتمان في اليوم الماضي. لقد كانت هذه المسودة برأيه كارثة. وخلال الأيام الأولى لتسلمه الإدارة كلف كايبي المشائرين القانونيين في الوكالة العمل على إصدار أمر تنفيذي جديد. وكانت هذه أول مسودة اقترحت إلغاء بعض القيود على أفعال الوكالة كان قد فرضها فورد وكارتر. ألغت المسودة دور وزارة العدل في مراجعة العمليات السرية وأعطت لوكالة المخابرات المركزية الصلاحية في إدارة الأعمال الخفية داخل الولايات المتحدة. وعرف اتمان أنه ليس من السهل تمرير هذه المسودة لأن دعاة الحقوق المدنية كانوا يوقعون بالمرصاد وهذا ما يدفع بعض المتشددين في الإدارة إلى التمسك بمواقفهم.

شاهد اتمان كوماً من الأوراق على مكتب كايبي في الغرفة المجاورة. كما تبين له أن كايبي وقع بالأحراف الأولى على مسودة الأمر التنفيذي مما يعني أنه قد اطلع عليه وأقره. أولَّم يُخَفِّف المدير قلقه من أن الأوامر التنفيذية القديمة كانت تستخدم أوصافاً مثلاً مثل «فضائح» و«سرية» لوصف نشاطات الوكالة؟ أراد استعالم كلمات إيجابية. وقرع اتمان أن يتصرف بناءً على أن المسودة ذهبت بعيداً في طروحاتها، وأنه سيستقبل إذا أُقرت. لا يمكن القضاء على مسودة الأمر إلا بموقف دراماتيكي عام من عناصر الوكالة. كان كايبي في الشرق الأقصى واثمان يقوم بوظيفة مدير بالوكالة، وهكذا، ودون أن يستشير أحداً، دعا الصحافيين إلى لاندن لحضور مؤتمر صحفي نادر الحصول.

ظهر اثنان مرتدياً ملابس العسكرية وتناول المسودة وقال للصحافيين إنه لا يوجد نية للتعاينة تحت هذا الخط. وتخوف مستشار شؤون الأمن القومي ريتشارد آلن من ذلك وأعلن ميز أن الإدارة لا تنوي أن تكلف وكالة المخابرات المركزية بالتجسس داخل البلاد، متفقاً مع اثنان في ذلك. واستنتج اثنان أن ميز هو أفضل حليف له في الإدارة. ولما عاد كايبي من رحلته، لام اثنان لعدم الاتصال به، حول مسألة المؤتمر الصحافي. وكان اثنان يعتقد بأنه يحاول التأثير على الجماهير بواسطة الصحافة وذلك بإظهار قلق وكالة المخابرات المركزية من التجسس على الأميركيين. وأضاف أنه لم يرغب في القيام بأي عمل لأن التجسس على الأجانب لا يكن كافياً.

في ١٧ آذار/مارس ألقى كايبي خطاباً في يوم القديس باتريك في نيويورك حول الله والعواطف والوطنية. وصرح بأن «هناك أشياء صحيحة وأشياء خاطئة، صحيحة إلى الأبد وخاطئة إلى الأبد».

اعتقد جون بروس الذي كان ما يزال يساعد كايبي بأنه كان يعني ما يقول. هناك لحظة يتكلم فيها الإنسان بعقله ولحظة يتكلم بعقله ولحظات نادرة يتكلم بالاثنتين معاً. وأدرك بروس أن تلك كانت طريقة كايبي. إن الإيرلندي القاسي والبارد كان يعرف الصواب من الخطأ.

بعد أيام دعا كايبي بوزيلو الذي حضر مرة ثانية إلى واشنطن، إلى مكتبه للحديث حول الساندينين. وكان بوزيلو قد أبلغ بأن المساعدات الأميركية لنيكاراغوا ستقفل نهائياً. ولم يكن سعيداً بذلك. وأعلن في جولته في وزارة الخارجية أن الولايات المتحدة تبعد أوراقتها وأن إقتال باب المفاوضات كارثة. أراد كايبي التحدث إليه لأنه أكثر من عرف الساندينين وأميركا اللاتينية.

عندما وصل بوزيلو إلى مركز قيادة وكالة المخابرات المركزية استقبله جون مكماهون الذي كان ما يزال مديراً للعمليات ونستور سانشير الخبير بشؤون أميركا اللاتينية وهو من دبلوماسي السفارة الأميركية في ماناغوا وعمل رئيس محطة الوكالة في السفارة.

قال سانشير لبوزيلو إن المدير نادراً ما يصرف أكثر من ١٥ دقيقة من وقته في هذه الإيجازات، لذلك قل ما عندك ببساطة فإنه قد يفقد صبره وينزعج، وإذا تابعت فإنه سينسحب.

هل نستطيع العمل مع الساندينين؟ ماذا يشهون؟ قال كايبي. وأجابه بوزيلو نعم. . . أنهم يستجيبون لضغوطاتنا ولكنهم مراوغون. إن القيادة الساندينية غير مستقرة ويمكن استغلال خلافاتهم الداخلية.

قال كايبي: إذا كنت كاسترو من كنت تدعم داخل الفريق الحاكم؟ أجابه بوزيلو: الإخوة أورتيجا وهو يعني دانييل أورتيجا وشقيقه هيرتو أورتيجا وزير الدفاع.

وكان الكوبيون يحيطون ببورغ وهو رجل فاسد ومقلب الرأي حسب قول بوزيلو. الكوبيون كانوا في كل مكان. إنهم مثل «مرض المؤخرة» ولكن كانت تعوزهم البراعة. واشتكى بورغ مرة لبوزيلو حول وضع الكوبيين وهزئ بهم. وعندما حضر أحد أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي إلى ماناغوا احتج بورغ إليه من أنهم كانوا يتلقون الأوامر مثل أي أداة حزبية.

سأل كايبي: ماذا يريد الساندينين؟

أجاب بوزيلو: إنهم يريدون إقامة علاقات طبيعية مع الولايات المتحدة والدليل هو أن تدفق السلاح إلى السلفادور قد توقف. سأل كايبي: هل توقف فعلاً؟

أجاب بوزيلو: بكل تأكيد، لم يخرج أي شيء من حدود نيكاراغوا منذ إغلاق المطار الرئيسي. ولم يسمح للطائرات بالهبوط، كما أن مجموعة الطيارين الكوستاريكيين تفرقت. ووافق مكماهون وسانشير ورئيس محطة الوكالة على ذلك.

أحد الطيارين الكوستاريكيين الذي تحطمت طائرته ونجا، كشف الكثير عن عمل شبكة التموين. ورحل المسنق الكوبي للشبكة، والأثر الوحيد الباقي كان إحدى شبكات الراديو التي ما زالت تعمل وربما وضعت في مكان غير ظاهر.

انزعج بوزيلو وقال إن وكالة المخابرات المركزية لم تظهر في تقاريرها أي شيء يتحرك أو يتقل برأ أو بحراً أو جواً. وافق الجميع ومن ضمنهم كايبي على ذلك إلا أن بوزيلو قال. لا أريد أن أمزج معكم، ستبقى قلوب وعواطف الساندينين مع ثوار السلفادور. سيفتقون معهم ويؤمنون لهم الملاذ والعناية بالمرضى والانتقال عبر نيكاراغوا إلى كوبا وبالعكس، وبالنسبة إلى تدفق السلاح فإنه يمكن أن يبقى متوقفاً إذا استمرينا بدفع الثمن.

قال كايبي: إن هذا البلد يتحول إلى عش للسوفييات وللكوبيين. . . وهذا مصدر القلق.

يجب أن نحافظ على برودة أعصابنا، قال بوزيلو ثم أضاف: كما يجب أن نقوم بما قلناه علينا مصطلحتنا دون أن ننأثر بالخطابات الرنانة من عندنا أو من عندهم.

سأل كايبي: ما هو مدى سيطرة الساندينين؟

أجاب بوزيلو: إنها تتهاوى وتتآكل ولكن ذلك في مجال السيطرة على الثورة، ولكن من بعض القادة الذين فقدوا احترام الناس. ويخطئ من يعتبر الثورة غير شعبية فللثورة شعبيتها القوية، وهؤلاء الرفاق يستخدمون الثورة غطاء لهم، وكلما هوجمت الثورة ازدادت قوتها. إن عهد سوموزا هو عهد الذل والهموان. وانتقاد الولايات المتحدة للثورة يفسر على أنه دعم للماضي أي لسوموزا. لذلك كان الساندينون على استعداد لأن يدافعوا عن أنفسهم ضد أي ثورة مضادة. إنهم حذرون. إنهم جنود. لقد كان تسليحهم ضعيفاً في السنوات الماضية، ولذلك أحبوا الديبالات والمدفعية كثيراً لأنّها تشعّرمهم بالأمان. أرادوا أن يزيدوا من قوتهم. أقتنعهم الكوبيون بأن ذلك هو الطريق الصحيح، طريق المحافظة على الثورة.

سأل كايبي بوزيلو: هل نزيح هؤلاء الصبية؟ وهل تؤيد أي عمل خفي للإطاحة بهم؟

كرر بوزيلو ما قاله ليخ. «إذا مشيت في هذا الطريق فإنيك ستضيق أكثر مما تظن. الساندينيون هم أفضل المقاتلين في أميركا الوسطى».

بعد حوالي ساعة أشار كايبي إلى أنه سمع بما فيه الكفاية. غادر بوزيلو. أبدى مكهاون سروره، كان مسروراً لأن كايبي أبدى سروره. لم يجهذ مكهاون أي عملية خفية، وبعض آراء بوزيلو كانت من ضمن الأفكار التي يؤمن بها. اعتقد بوزيلو بأن كايبي كان مستمعاً جيداً وأدرك أن المعلومات الأولية يمكن أن تؤدي إلى استنتاجات خاطئة. ما قيل في تلك الجلسة، أثار قلق كايبي حول الوجود الكوبي في نيكاراغوا. وأعطيت توجيهات لوكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي ووكالات الاستخبارات العسكرية بجمع المعلومات حول هذه المسألة.

في بعض الأحيان، يؤدي عمل المخابرات إلى استنتاجات خاطئة. مثلاً كان عدد الكوبيين كبيراً، ويجب التحقق منه. بعد إيران لم يرغب أحد بكارثة تالية. عاد بوزيلو إلى ماناغوا وأعلنت وزارة الخارجية وقف المساعدات الأميركية لنيكاراغوا، ومع ذلك أضافت وزارة الخارجية بوقف تدفق الأسلحة إلى السلفادور.

أثار وقف المساعدات الأميركية العداء للولايات المتحدة. واعتبرت صحف الساندينيين القرار بأنه: «اعتداء اقتصادي ياتكي (*)» وقال تلفزيونهم «إن الهدف النهائي لثوري الحرب هو إنهاء السلطة الشعبية في بلاده». واعتقد بوزيلو بأن الإدارة الأميركية أزلت نفوذها بهذا القرار وأنه لم يعد هناك مبرر لوجوده، ولم تعد أمامه أي فرصة للعمل.

بعد شهرين وعشرة أيام من تسلمه الرئاسة، أطلق جون هينكل النار على ريغان وأصابه بطلقة استقرت على بعد إنش واحد من قلبه وأزيلت بعملية جراحية. وقال ريغان لزوجته فور إصابته «يا عزيزتي نسيت أن أخفي رأيي». وقال للأطباء: «أرجوكم قولوا لي هل أستم جمهوريون». وقد أكسبه مظهر الشجاعة ورباطة الجأش ثناء واحتراماً عالياً وعالمياً. وبعد أسبوعين أي في ١١ نيسان/أبريل غادر المستشفى وسمح للصحافيين بتغطية أنباء الشفاء العجيب للرئيس البالغ من العمر ٧٠ سنة. وكان وجهه أنحف إلا أنه بدا مشرقاً. وكان يرتدي كنزة حمراء ووضع يده على يد نانسي ورفعها عالياً. في مثل هذه الليلة منذ تسعة أشهر تقرر تسمية الحزب الجمهوري لرونالد ريغان مرشحاً لرئاسة الجمهورية. الانتماسة الشهيرة كانت سليمة كما كانت الرئاسة تماماً.

في صباح اليوم التالي قام الرئيس من غرفة النوم إلى الغرفة المجاورة ومضى ببطء

(*) تعبير عامي يعني الأميركي الشمالي.

ويخطوات مترددة. كان شاحياً وبدا ضائعاً وتحوف الذين راقبوه من وضعه وعُرج على المكتب البيضاوي الأصفر ولما هم بالجلوس وقع في منتصف الطريق وانهار على كرسي.

تكلم كلمات قليلة وكان يصدر معها صغيراً مزعجاً. كان يتوقف ليلته. وأمسك بجهاز التنفس الموجود إلى جانبه وتنشق الأوكسجين وعلا صغيره في الغرفة. لم يستطع ريغان تركيز تفكيره إلا بضع دقائق ليتعب بعدها عقلياً وجسدياً. وكانت رثته المجروحة تعتمد على جهاز التنفس. وفي الأيام التالية أصبح قادراً على العمل أو البقاء بحالة انتباه دأتم لمدة ساعة واحدة فقط في اليوم. وقلق ميز وباكر وديفر من وضعه وهم من بين القلائل الذين سمح لهم بالدخول إليه. من المفترض أن يكون ذلك بداية لرئاسة ريغان ولكن بدا للحظات أنها نهاية لرئاسة ريغان أي ريغان الذي عرفوه. عندما يشتد عليه الألم كان يصيح وينطق بكلمات غير واضحة. وساور القلق مساعديه من أن تصيح الرئاسة مشلولاً!

كان في نية جميع المساعدين الكبار المحافظة على السر الحظير، وذلك حتى يصيح بالإمكان التكهّن حول وضعه الصحي. وشعر هؤلاء بضرورة اتخاذ جميع الإجراءات للحفاظ على البلاد ومؤسساتها. وأحسوا بأن الذي جرح يتجاوز شخص الرئيس ويمتد إلى الوطن بكامله.

في يوم محاولة الاغتيال ٣٠ آذار/مارس ١٩٨١ تعطلت أشياء كثيرة وسأل أحد الصحافيين على التلفزيون: من يدير الحكومة؟ فاجابه لاري سييكس الناطق باسم البيت الأبيض: لا أستطيع أن أجيب الآن. أما هينغ الذي كان يراقب الأوضاع فشئ أمام الكاميرا وقال واضعاً نفسه في سلسلة نواب الرئيس، أنا أتولى الحكم هنا في البيت الأبيض، مخالفاً بذلك الدستور الأميركي.

في المستشفى حيث كان يعالج الرئيس ريغان، خاض المساعد العسكري للرئيس وضابط الأوامر في الحرب الطائرة الذي كان يحمل الشيفرة والأوامر التي يستعملها الرئيس ليطلق الأسلحة النووية، معركة خاسرة مع رجال مكتب التحقيق الفدرالي حول مصادرة ثياب ريغان ومحتوياتها لاستعائها كدليل جرمي. وحمل عناصر مكتب التحقيق الفدرالي بطاقة الشيفرة الخاصة بالرئيس والتي كانت في محفظته. وتحوي هذه البطاقة على الشيفرة التي تستعمل لإصدار الأوامر لضربة نووية في حالة الطوارئ. وأصر المسؤولون الرسميون في إعلامهم على أنه لم تفقد السيطرة على الأسلحة النووية الأميركية، ولكن كان هناك ارتباك في إدارة الأسلحة.

وساد القلق حول وضع السلطة التنفيذية بعد الحادث. وبعد عشرة أيام من الاستراحة في البيت الأبيض، والتي كانت مفيدة أي في ٢٢ نيسان/أبريل أدلى ريغان بحديث يعرض فيه خطته لخفض الضرائب. وفي اليوم التالي سمح لكبار المراسلين بمقابلته، وبدا بحالة جيدة، ولكنه لم يستطع أن يتحمل كثيراً واستمر مساعده في القلق على وضعه الصحي.

يوم السبت في ٢٥ نيسان/أبريل ذهب آل ريغان إلى كامب ديفيد في ولاية ماريلاند لتمضية عطلة نهاية الأسبوع. وأيام الربيع في الطبيعة تصنع المعجزات! وعندما عاد إلى واشنطن بدا لاذعاً في كلامه وكان الأزمة قد انتهت.

لم تكن رئاسة ريغان طبيعية من الداخل. كان هناك إحساس بالخطف من أي شيء يمكن أن يطرأ (الإرهاب، السوفيات) وأصبح ذلك علامة مميزة لسياسة ريغان. أدرك كايبي أن جزءاً من عمله كان حماية الرئيس، وكان يتابع كل تقرير يتلقاه حول مؤامرة مديرة ضد ريغان مهما كان ناهضاً، على الرغم من أن المحللين وضباط العمليات أشاروا إلى أنه يجب أن لا تحمل هذه الأخبار على محمل الجد. وبشكل عام، كان يقال: هناك صبي في ملهى في نازانيا يريد أن يقتل ريغان.

بعد كل تقرير كان كايبي يقول: «أريد فريق عمل حول هذا التقرير». أجرى كايبي تدقيقاً في ملفات الوكالة حول جون هينكلي. بعد عشرين عاماً على اغتيال جون كينيدي طرحت أسئلة حول علاقة في هارفي أوزوالد بالمخابرات السوفياتية. أراد كايبي أن يتأكد الآن. لم يكن هناك أي شيء. وجعلت محاولة الاغتيال هذه كايبي أكثر قلقاً في عمله وخصوصاً بلغة تنظيم تقدير خاص حول السوفيات والإرهاب. وتأكد من أن الوكالة لم ترك أي حجر دون أن تقلبه حول ذلك الموضوع.

وتأثر كايبي بمقال نشرته صحيفة نيويورك تايمز في ١١ آذار/مارس عنوانه: «الإرهاب: تقصي الشبكة الدولية» بقلم كلير سترلنغ مقيس عن كتابه حول شبكة الإرهاب وهو الكتاب الذي تأثر به هيغ. وبدأ المقال بمقتطف من كلام هيغ يؤكد فيه تورط السوفيات في الإرهاب الدولي.

قال سترلنغ إن خبراء وكالة المخابرات المركزية اعتبروا أن تهم هيغ لم تكن أكثر من «نشد المحارب» ولم يكن فيها أي دليل. وذهل كايبي لاستنتاج سترلنغ «إن هناك دليلاً قوياً على أن الاتحاد السوفياتي وأتباعه قدموا الأسلحة والتدريب والملاذ للإرهابيين الدوليين خلال العقد الماضي بهدف زعزعة استقرار المجتمع الديمقراطي الغربي»، وحدد الإرهاب الدولي بأنه الكيويون والمخابرات السوفياتية والفلسطينيون والألوية الحمراء الذين تعاونوا في مؤامراتهم وعقدوا المؤتمرات والاجتماعات وكانت لهم نخبات تدريب مختلفة.

أخذ كايبي نسخة عن المقال وطلب من جون بروس أن يعلق على الموضوع. وبدأ أن استرلنغ قد احتفظ بالأسماء والتواريخ وعاون أولئك الذين خططوا ونفذوا عمليات القتل وتفسير القنابل وأن الحالات الثلاث التي اعتمدت عليها الدراسة كانت الإرهابيين الأثراك والجيش الجمهوري الإيرلندي والألوية الحمراء الإيطالية وتبين أن للمخابرات السوفياتية صلة مباشرة بكل منها.

وجاء في المقال أن الصحافة سبقت وكالة المخابرات المركزية في هذا المجال. وطلب

كايبي من خبراء الوكالة أن يضعوا شرحاً وافياً للمقال. ووضع الخبراء خطوطاً تحت المقاطع المهمة للصفحات التسع وحاولوا أن يعرفوا ما كان منها موجوداً في ملفات وكالة المخابرات المركزية وأن يخترقوا بذلك طريقة سترلنغ.

كتب سترلنغ: هناك مدرسة لتدريب عناصر الإرهاب الدولي في اليمن الجنوبية. والعناصر الأجانب في المدرسة كانوا من الألوية الحمراء. وكانت اليمن الجنوبية عبارة عن قمر اصطناعي سوفياتي تتحكم به المخابرات السوفياتية. وكان واضحاً أن الألوية الحمراء تدور في الفلك السوفياتي.

وعثر في ملفات الوكالة على تقرير يفيد بأن أحد أعضاء الألوية الحمراء زار معسكراً في اليمن الجنوبية. وأكد مقال سترلنغ أن الألوية الحمراء على صلة بالمخابرات السوفياتية أين؟ كيف ومتى؟ إن زيارة أحد عناصر الألوية الحمراء تدل على ذلك. إلا أنه لم يكن هناك أكثر من ذلك. وكانت النتيجة صفراً. ليس أكثر من صبياناً ثغيفاً في الطريق أو على الطاولة نفسها في البار. وبقيت الأسئلة حول الإرهابيين. ماذا يفعلون؟ ماذا يقولون؟ والأهم، ماذا يخططون؟

في هذه الأثناء أنهى ضابط الاستخبارات القومية لشؤون الاتحاد السوفياتي وهو أعلى محلل للشؤون السوفياتية في وكالات الاستخبارات مسودة تقدير حول تورط السوفيات في الإرهاب. وجاء في المسودة عكس ما جاء في مقال سترلنغ. وتعجب كايبي وقال: «أقرأوا كتاب سترلنغ»، وانسوا هذا العمل الواهي. ثم أضاف متهمكاً بشكل لاذع: «لقد دفعت ١٣,٩٥ دولار ثمن هذا الكتاب وأخبرني أكثر منكم أيها الأوغاد الذين أدفع لكم ٥٠ ألف دولار في السنة. وقال إن البد السوفياتية لم تظهر مباشرة كدليل يقدم إلى المحاكم. وانظروا من تصاريح بعض المسؤولين السوفيات حول التية في دعم الإرهابيين وأن الإرهاب قد أربك الغرب فعلاً فإنه كما قال كايبي يعتبر هراء أن نفكر في أن الدليل يقدم على طبق من فضة. واتفق معه اتمان واعتقد بأن مسودة الوكالة كانت خاطئة. تلقى كايبي رسالة من رئيس الاستخبارات الدفاعية تشكو من هذه المسودة. إعتقدت تاي بأن السوفيات متورطون في الإرهاب ولو لم يثبت ذلك عليهم. وبالنسبة إلى تاي، كان هذا سبباً لاستنتاج العكس. وأضاف تاي بأن هناك مشكلة مكافحة تحبس حقيقية. لماذا نصدق المصادر التي تقول إن السوفيات غير متورطين؟ هل لدى هذه المصادر أسباب لتبعد ذلك عن السوفيات؟ أعجب كايبي بخط تاي المتشدد. مع أنه ليس هيئة محكمة ولا يوجد أي سبب لافتراض براءة السوفيات. وطلب كايبي من الجنرال تاي أن تعد وكالة الاستخبارات الدفاعية مسودة حول ذلك. وأبدى تاي سروره وكلف أحد المحللين المشددين بتنظيم المسودة. وهكذا تحفظ كايبي، هناك مسودتان متناقضتان. وكالة المخابرات المركزية ترى أن السوفيات غير متورطين، ووكالة الاستخبارات الدفاعية أعلنت أنهم مذنبون! وبعد عدة أسابيع تلقى

كايسي مذكرة من لNKولن غوردن وهو رئيس سابق لجامعة جونز هوبكنز وكان أحد ثلاثة أعضاء من لجنة دراسات عليا في الوكالة.

كتب غوردن أن مسودة الوكالة أعطت تعريفاً ضيقاً للإرهاب وتعاملت فقط مع الإرهابيين الصرف مثل عصابة بادرمانيهوف في ألمانيا الغربية والألوية الحمراء في إيطاليا والجيش الأحمر الياباني. هذه المجموعات تحب العنف وكانت تتألف من عناصر عبثية. إن محاولة تعريف الإرهاب بواسطة دوافعه لم تكن كافية. وقال إنه يجب تعريف الإرهاب بالأعمال. إن انفجار قنبلة لم إحدى ساحات باريس كان مشكلة استخبارية، هل قام بذلك البعثيون؟ أو هل تدخل في الصراعات الداخلية في منظمة التحرير الفلسطينية؟ أو إنها نفذت لتحقيق أغراض دعائية أو لأهداف سياسية. في المقابل قال غوردن، ورد في مسودة وكالة الاستخبارات الدفاعية أن أي عمل عنف ضد سلطة شرعية يعتبر شكلاً من أشكال الإرهاب، وهذا يعني أن جورج واشنطن وروبرت لي كانا إرهابيين!

طلب كايسي من غوردن أن يتولى تنظيم مسودة تقدير حول الإرهاب السوفياتي. وجمع غوردن كل المعلومات الأولية ومحص فيها، ومعظمها ورد من وكالة الأمن القومي، وكانت عبارة عن التقاطات لاتصالات هاتفية ورايوية وعن حل الشيفرة. وأعطيت المعلومات الواردة من حل الشيفرة لقب أمبرا وكانت الأكثر حساسية. وكذلك الاستخبارات التقنية ومن ضمنها صور الأقمار الاصطناعية، إنما لم تقدم مساعدة بشكل كبير. تبين لغوردن أن الاستخبارات البشرية كانت ضعيفة، ومن الصعب الحصول على مصداقية المخبرين، وكثير منهم يقبضون أجراً عن معلوماتهم. واعتمد قاعدة عدم تصديق أي خبر إلا بعد تأكيد من مصدر ثان أو ثالث. ووردت حالات كثيرة عن مخبرين يعطون معلومات غير صحيحة.

في ١٣ أيار/مايو أطلقت النار على البابا يوحنا بولس الثاني وأصيب بجراح وذلك في ساحة القديس بطرس. إشماز كايسي الكاثوليكي من محاولة اغتيال قداسة البابا. منذ العام ١٩٧٨، عندما انتخب الكاردينال كارول ويثيام من بولونيا بابا للكنيسة الكاثوليكية في العالم لم يظهر أي رمز مضاد للشوعية أكثر منه. إن روح يوحنا بولس الثاني زرعت البذور التي أدت إلى إنشاء التضامن في آب/أغسطس عام ١٩٨٠.

في اليوم التالي ١٤ أيار/مايو جمع كايسي هيئة الاستخبارات القومية الخارجية في مركز القيادة في شارع [ف] في قلب مدينة واشنطن قرب البيت الأبيض، وكان موضوع الاجتماع التقدير المنتظر حول السوفيات والإرهاب. أراد جواباً. إن محاولتي الاغتيال للرئيس ريغان وللبابا في فترة ستة أسابيع أثارت القلق من تعرض زعماء آخرين للإرهاب. ماذا كان يجري؟ لم يكن هناك أي دليل على أي رابط بين الحادثتين. أو أن للسوفيات دوراً فيها. ولكن شيئاً ما كان يثير الريبة. أراد أن يتأكد أن الاستخبارات كانت فوق كل احتيال. وأمر بإعلامه عن كل صلة أو احتيال صلة بأحد ومتابعته وملاحقتها على الفور.

أراد كايسي أن يعرف ما إذا كان السوفيات يحضرون لشيء ما، وإذا كان ذلك صحيحاً فإنه سيكون مشكلة كبيرة أمام صانعي السياسة في البيت الأبيض.

عممت نسخ عن مسودة غوردن الجديدة وتقع في حوالي عشرين صفحة، واستدعي غوردن لتقديم إنجاز للهيئة. وسعى غوردن مسودته SNIE وهي الحروف الأولى من كلمات: الدعم السوفياتي للإرهاب الدولي، وتوصل إلى منزلة بين تقدير وكالة المخابرات المركزية وتقدير وكالة الاستخبارات الدفاعية، وقال إن جزءاً من المشكلة كان الارتباك الحاصل حول تعريف الإرهاب.

وبكلام أوضح فقد دعم الاتحاد السوفياتي شعوب العالم الثالث في كفاحها ضد الأنظمة الاستبدادية والأوتوقراطية أو الأنظمة المتعاطفة مع الغرب. إن استعداد السوفيات لتأمين المال اللازم للسلح والتدريب والمساعدات الأخرى يعني أنه سيكون هناك عنف وإرهاب. وبالتأكيد فإن الإرهاب يقل إذا أرادت القوة الكبرى السوفياتية وقف تصدير الثورات إلى الخارج. لكنه قال إن الاستخبارات لم تقدم أي دليل على أن السوفيات كانوا يلعبون دور وريثز العظيم في الإرهاب. كان هناك بعض الحالات لم يشجعوا فيها على الإرهاب. لقد حذر السوفيات سفير الولايات المتحدة في النيبال من أن أربعة من العرب كانوا يخططون لحطفه. وسمح البلغاريون لبوليس ألمانيا الغربية بأن يلقى القبض على أحد أفراد عصابة بادرمانيهوف عام ١٩٧٨. وظهر في بعض الأوقات أن السوفيات قرروا منع الإرهاب، وفي أوقات أخرى قدموا مساعدة من خلال الأقمار الاصطناعية لألمانيا الشرقية وبلغاريا اللتين كانتا تساعدان العناصر المتطرفة مثل منظمة التحرير الفلسطينية.

ما قاله غوردن، يعني أن السوفيات لم يستعملوا الإرهاب لزعزعة استقرار العالم الثالث والدول الغربية. وشعر غوردن بأن الانطباع العام كان حصداً لتهم هيب العنينة ولقالة ستيرلنج. لم يكن هناك أي دليل. لم يقتنع تاي الذي حضر ومعه عدد من الرقيات التي ورد فيها أن هناك دوراً للسوفيات في عشرة أو اثني عشرة حادثة إرهاب غلص غوردن منها وبعضها حدث منذ وقت قصير.

شعر غوردن بأنه قد أثم بإهمال الدلائل. وأعقب ذلك نقاش حاد، وقال كايسي: «لا أعرف ما إذا كان ذلك يؤثر على الاستنتاج» وأضاف «دعنا نراجعها» ولم تقر مسودة غوردن ولم تقطع، وودت لإعادة صياغتها.

بعد أربعة أيام في ١٨ أيار/مايو، دعا غوردن فريق العمل في كل وكالة إلى اجتماع، وتفحصوا بدقة التقارير التي اعتمدتها وكالة الاستخبارات الدفاعية، ورفضت جميع التقارير بعد مراجعتها ما عدا ثلاثة لأنها كانت تعتمد على مصدر واحد فقط.

في ٢٧ أيار/مايو عمم التقدير السري على البيت الأبيض والوزارات وورد فيه أن السوفيات لم يكونوا اليد الخفية وراء الإرهاب الدولي. وفي النهاية وضعت لوائح بحاجة

الاستخبارات في المستقبل. وورد في الاستنتاج أنه يجب تقوية الاستخبارات البشرية ويجب اختراق منظمات الإرهاب.

شعر غوردن بأن كايبي كان منفتحاً على المسألة ولم يدع أية ايدولوجية تتحكم بالاستنتاج. وكان واضحاً أنه لم يصب بخيبة أمل من التقدير لأنه رأى آثاراً سوفياتية على منظر الإرهابيين.

اكتشف غوردن مفارقة طريفة، وهي أن قسماً من معلومات كلير سترلنغ كان يستند إلى مقال نشر في صحيفة إيطالية حول الألوية الحمراء، وهذا المقال كان جزءاً من حملة إعلامية خفية لوكالة المخابرات المركزية. والظاهر أن كلير سترلنغ اقتبس عنها كتابه! وجد غوردن النتيجة، من حملة إعلامية خفية للوكالة إلى كتاب سترلنغ، إلى قراءة هيغ لهذا الكتاب، إلى مؤتمر هيغ الصحافي، إلى تعليقات هيغ حول ما نشر في صحيفة النيويورك تايمز بقلم سترلنغ. في النهاية شعر غوردن بأن الوكالة كانت تعمل بحكمة وتعقل، ووضع هذا التقدير تحت طابع سري، ولم يعلن شيئاً عنه ولا عن نتائجه. ولأن الموضوع يتعلق باهتمامات الجمهور الأمريكي، فإن السوفيات يبرزون في الحملات الإعلامية كما وصفهم وزير الخارجية داعمين للإرهاب. هذه الاسطوانة لم تصحح.

تساءل غوردن متعجباً: ما موقف السوفيات من كل هذا؟

كم من التآكل كان يسود العلاقات الأمريكية السوفياتية؟ وما كان موقف السوفيات من التصاريح العلنية للولايات المتحدة؟ هل أن الحرب العلنية بين القوتين العظميين تعني الكثير، وما الثمن الذي دفع من أجل المصادقية إذا كان هناك ثمن؟

٦

غادر كايبي واشنطن في رحلة إلى محطات الشرق الأوسط وكلف رئيس المحطة في السعودية بأن يؤمن له حضور قداس كاثوليكي يوم أحد الفصح. وأعد القداس بحراسة الاستخبارات السعودية. هنا وحدة الاستخبارات تقوم بكل شيء، تنفق الأموال للاستخبارات وللعمليات. في إسرائيل كان كايبي معجباً بالموساد وهو جهاز الاستخبارات لأنها كانت مفيدة جداً. ويعتبر المصدر البشري بمثابة المراقب ٢٤ ساعة يومياً ويعطي الانذار المبكر. إن وحدات الاستخبارات مع مصادرها البشرية ليست بحاجة إلى تضيق الترددات! أو إلى قناة اتصال في اللحظة المناسبة أو انتظار وصول القمر الاصطناعي إلى النقطة الملائمة. كما أن المصدر البشري يستطيع أن يقم المعلومات.

عندما عاد إلى واشنطن قرر كايبي أن يركز على اختيار مدير جديد للعمليات أي الرجل الذي يدير الجواسيس. وتبين له أن عناصر مديرية العمليات أكاديميون أكثر من اللازم (معظمهم من يجرى هارفرد ويال وبرنستون)، ثياهم أنيقة أسلوبهم صاف. كانوا أشخاصاً متميزين كرسوا أنفسهم للخدمة، غير أنه وجدهم محدودين ولم يكن هناك نار في داخلهم لتحركهم.

لم يكن لأحد منهم خبرة واسعة في الشؤون الدولية أو أي تفهم لعصر الحرب العالمية الثانية. ولم يضع كايبي اسماً في تصوره. إلا أن ماكس هوغل قال له إنه يريد عملاً أكثر من مدير الشؤون الإدارية. وألح إلى أن أحداً اقترح عليه أن يكون مديراً للعمليات وأن بإمكانه أن يقدم الكثير من المساعدة.

قال كايبي إنه سيقرب قريباً. وتكلم مع جون بروس حول تعيين ماكس هوغل. عارض بروس بشدة، وكان بروس سابقاً في مديرية العمليات وقال له: «صدقي إنه شيء خفيف لا يمكن لأحد من الخارج أن يفهمه».

طلب منه بروس أن يستشير ريتشارد هلمز. وافق هلمز على الحضور وإعطاء رأيه شخصياً لكايبي. قال كايبي لهلمز إن ماكس هوغل هو الرجل المناسب لهذه الوظيفة فهو يجيد اللغة اليابانية وله تجارة واسعة في اليابان، وسبق له أن اخترق ثقافتهم واستورد الآلات الكتابية وآلات الحياكة.

الاستخبارات في المستقبل. وورد في الاستنتاج أنه يجب تقوية الاستخبارات البشرية ويجب اختراق منظمات الإرهاب.

شعر غوردن بأن كايبي كان منفتحاً على المسألة ولم يدع أية إيديولوجية تتحكم بالاستنتاج. وكان واضحاً أنه لم يصب بخيبة أمل من التقدير لأنه رأى أثراً سوفياتية على منظر الإرهابيين.

اكتشف غوردن مفارقة طريفة، وهي أن قسماً من معلومات كلير سترلنغ كان يستند إلى مقال نشر في صحيفة إيطالية حول الألوية الحمراء، وهذا المقال كان جزءاً من حملة إعلامية خفية لوكالة المخابرات المركزية. والظاهر أن كلير سترلنغ اقتبس عنها كتابه! وجد غوردن النتيجة، من حملة إعلامية خفية للوكالة إلى كتاب سترلنغ، إلى قراءة هيغ لهذا الكتاب، إلى مؤتمر هيغ الصحافي، إلى تعليقات هيغ حول ما نشر في صحيفة النيويورك تايمز بقلم سترلنغ. في النهاية شعر غوردن بأن الوكالة كانت تعمل بحكمة وتعقل، ووضع هذا التقدير تحت طابع سري، ولم يعلن شيئاً عنه ولا عن نتائجه. ولأن الموضوع يتعلق باهتنامات الجمهور الأمريكي، فإن السوفيات يبرزون في الحملات الإعلامية كما وصفهم وزير الخارجية داعمين للإرهاب. هذه الاسطوانة لم تصحح.

تساءل غوردن متعجباً: ما موقف السوفيات من كل هذا؟

كم من التآكل كان يسود العلاقات الأمريكية السوفياتية؟ وما كان موقف السوفيات من التصاريح العلنية للولايات المتحدة؟ هل أن الحرب العلنية بين القوتين العظميين تعني الكثير، وما الثمن الذي دفع من أجل المصادقة إذا كان هناك ثمن؟

٦

غادر كايبي واشنطن في رحلة إلى محطات الشرق الأوسط وكلف رئيس المحطة في السعودية بأن يؤمن له حضور قداس كاثوليكي يوم أحد الفصح. وأعد القداس بحراسة الاستخبارات السعودية. هنا وحدة الاستخبارات تقوم بكل شيء، تنفق الأموال للاستخبارات وللعمليات. في إسرائيل كان كايبي معجباً بالموساد وهو جهاز الاستخبارات الخارجية وكان له اختراقات بشرية هامة. وعرف كايبي أهمية الاعتماد على المصادر البشرية لأنها كانت مفيدة جداً. ويعتبر المصدر البشري بمثابة المراقب ٢٤ ساعة يومياً ويعطي الانذار المبكر. إن وحدات الاستخبارات مع مصادرها البشرية ليست بحاجة إلى تضيق الترددات! أو إلى قناة اتصال في اللحظة المناسبة أو انتظار وصول القمر الاصطناعي إلى النقطة الملائمة. كما أن المصدر البشري يستطيع أن يقيم المعلومات.

عندما عاد إلى واشنطن قرر كايبي أن يركز على اختيار مدير جديد للعمليات أي الرجل الذي يدير الجواسيس. وتبين له أن عناصر مديرية العمليات أكاديميون أكثر من اللازم (معظمهم من خريجي هارفرد ويال وبرنستون)، ثياهم أتيقة أسلوبهم صاف. كانوا أشخاصاً ممتازين كرسوا أنفسهم للخدمة، غير أنه وجدهم محدودين ولم يكن هناك نار في داخلهم لتحركهم.

لم يكن لأحد منهم خبرة واسعة في الشؤون الدولية أو أي تفهم لعصر الحرب العالمية الثانية. ولم يضع كايبي اسماً في تصوره. إلا أن ماكس هوغل قال له إنه يريد عملاً أكثر من مدير الشؤون الإدارية. وألح إلى أن أحداً اقترح عليه أن يكون مديراً للعمليات وأن بإمكانه أن يقدم الكثير من المساعدة.

قال كايبي إنه سيقرب قريباً. وتكلم مع جون بروس حول تعيين ماكس هوغل. عارض بروس بشدة، وكان بروس سابقاً في مديرية العمليات وقال له: «صدقي إنه شيء خيف لا يمكن لأحد من الخارج أن يفهمه».

طلب منه بروس أن يستشير ريتشارد هلمز. وافق هلمز على الحضور وإعطاء رأيه شخصياً لكايبي. قال كايبي لهلمز إن ماكس هوغل هو الرجل المناسب لهذه الوظيفة فهو يجيد اللغة اليابانية وله تجارة واسعة في اليابان، وسبق له أن اخترق ثقافتهم واستورد الآلات الكتابية وآلات الحياة.

قال هلمز: «دعه يصبح عضواً في الفريق أولاً»، إن مدير الشؤون الإدارية منصب هام لماذا لا يبقى فيه سنة أو سنتين وترقيه بعدها إلى مدير عمليات؟ لماذا السرعة؟ وذكره بأن مدير العمليات في الماضي كان يمتن من داخل المديرية. ومكايهون له خبرة ٣٠ سنة في الوكالة، وعمل كاسبي أن يتم بالخطة والأمن ليس لأن هوغل لا يوثق به بل لأنه بدون خلفية. الأمن كان من طبيعة المحارب القديم في مديرية العمليات. أتضع كل هذه الأسرار في يد هذا الميتد؟

شعر كاسبي بأن هلمز تركه وهو يظن أنه غير رايع.

صباح ١١ أيار/مايو قال كاسبي لبروس إنه ما زال يدرس بجدية تعيين هوغل لتلك الوظيفة، واستمر بروس في المعارضة ولكنه شعر بأن هذه هي المسألة الوحيدة التي لن يصني إليه كاسبي بشأنها. في نهاية ذلك النهار أعلن كاسبي في اجتماع مع كبار معاونيه تعيين ماكس هوغل مديراً للعمليات دون شرح أو تفسير. كان هناك حوالي ١٤ شخصاً في قاعة الاجتماعات. وساد صمت غريب بحيث يمكن سماع صوت منفض المعدة! فهم بالكاد تقبلوا هوغل مديراً للشؤون الإدارية. لم يلفظ أحد أي كلمة. ماذا كان هناك للقول؟ لم يفسح كاسبي المجال لأحد للتعليق. ضرب ضربة واحدة ثم انتقل إلى الموضوع التالي.

هناك دعابة في كواليس الوكالة تقول إن هوغل يقول لكاسبي كل صباح: «رئيسي رئيسي الطائرة الطائرة»، مثل القزم تاتو في برنامج تلفزيوني عن جزيرة الخرافات الذي كان ينذر ريكاردو مونتيان عن الزائرين الجدد. بعد الاجتماع انتشر كلام في لانغلي: كاسبي عين بائع آلات حياكة وآلات طباعة مديراً للعمليات.

في يوم عمله الثاني دعا هوغل كبار مساعديه في مديرية العمليات إلى اجتماع وحضر النقاط الرئيسية لخديته. دعا إلى العمل من أجل المديرية وبنائها ودعمها. قال إن ورايتهم قليلة وأنه يريد زيادتها وذكّرهم بأن كثيراً من زملائهم ترك الوكالة لأنه لم يتحمل نفقات تعليم أبنائه في الجامعات باهظة التكاليف.

اعتبر المساعدون أن هذا وعداً كلامياً، فالكونغرس حدّد الإنفاق الحكومي ولا يمكنه الحصول إلا على القليل لا سيما أنه معاون لمدير الوكالة.

قال هوغل إن الناس يجب أن تتقدم فقط عندما تستحق ذلك، وأنه يجب إعطاء فرصة للصغار. وإنهم بحاجة إلى تدريب على اللغات الأجنبية، وإلى مزيد من الاستخبارات البشرية وفعالية أكبر في مكافحة التجسس.

عندما أنهى كلامه لم يكن هناك ردة فعل. نظر هوغل في الغرفة. كل هؤلاء عرفوا كيف ينفخون نواياهم ومشاعرهم. لم تظهر أي علامة على وجوههم. هاي صرخ هوغل، هل قلت شيئاً خطأ؟ لكن هؤلاء الناس اعتبروا أن عدم التعبير كان فناً بعد ذاته. واجه هوغل التحدي بيزيد من العمل، وأعطى اسماً مشفراً وهاتفاً آمناً وسيارة وسائقاً

ومتزلاً آمناً يمكنه أن يحفظ فيه الوثائق السرية. وعندما تفحص تقارير العملاء السريين والخطوط العامة لبعض العمليات تبين له أن معظم المعلومات السرية كان مصدرها أشخاص يخونون بلادهم. لم يكن ذلك سهلاً. وسأل لماذا هؤلاء الناس يبيعون المعلومات؟ وهل يمكن الوثوق بها؟

أجرى هوغل مكالمة مجاملة مع السناتور غولدووتر رئيس لجنة استخبارات مجلس الشيوخ. ثم حضر إليه، وكان واضحاً أن غولدووتر لا يعرفه. جلس ولم يسأل غولدووتر أي سؤال، ثم ترك هوغل وهو يشعر ببرود. لم يحصل أي تقدم في علاقة الوكالة مع الكونغرس وطريق هوغل لم تكن معبدة.

في ١٥ أيار/مايو وبعد أربعة أيام على تعيينه تناول هوغل صحيفة واشنطن ستار وفيها زاوية يكتبها كورد ماير الذي سبق أن خدم في وكالة المخابرات المركزية ٢٦ عاماً، وهو معادٍ للشيوعة وصديق جون بروس وخريج جامعة يال. وكان محارباً قاسياً، وخسر إحدى عينيه خلال الحرب العالمية الثانية. وترقى في وكالة المخابرات المركزية ليصبح الرجل الثاني في مديرية العمليات قبل أن يترك الوكالة عام ١٩٧٧. وكان يعكس تفكير القدامى في تعلقاته. كان يتلقى الكثير من المكالمات ودعوات الغداء من قبل المتقاعدين الذين لم يتركوا واشنطن.

قرأ هوغل عنوان زاوية ماير بدهشة: «كاسبي يعين هاواي في أهم منصب حساس في وكالة المخابرات المركزية» قرأ هوغل: «رفض كاسبي نصائح قدامى رجال المخابرات» وذلك حول تعيين هوغل مديراً للعمليات. وأضاف: «إن هذه الوظيفة الحكومية وصفها مرة أحد المعلقين ستورات السون بشيء من المبالغة قائلاً إنها أصعب وأخطر عمل بعد رئاسة الجمهورية».

آلن دالاس، ريتشارد هلمز، وليم بكلي عملوا في هذه الوظيفة قبل أن يصبح كل منهم مديراً للمخابرات المركزية، وترقوا بعد سنوات من عملهم في المخابرات، وأضاف: «سيجد رئيس المخابرات السوفياتية KGB ذلك غير معقول».

ولاحظ ماير أن هناك حالة واحدة عين فيها مدير العمليات من الخارج وذلك عندما عين ريتشارد بيسيل وهو اقتصادي لامع مديراً للعمليات. وأصبح المهندس الفاشل لعملية خليج الخنازير. إن تعيين هوغل مقامرة مثيرة وقد تدفع البلاد ثمناً باهظاً إذا أخطأ كاسبي. وشعر هوغل بالأذى العميق من جراء هذا المقال.

في اليوم التالي كان عنوان الصفحة الأولى في واشنطن بوست «سيد الجواسيس»، وكتب جورج كارفر وهو أحد قدامى الوكالة وخريج جامعة يال: «إن هذا التعيين يشبه تعيين فتى لا يجيد السباحة رئيساً للعمليات البحرية». إنه مثل تعيين شخص عادي لا يفهم بالقطب مسؤولاً عن وحدة مراقبة القلب في مستشفى رئيسي!

قال كايسي مدافعاً عن هوغل: إن الانتقاد أتى من مجموعة رفاق يظنون أنه بإمكانك فهم العمل فقط إذا أمضيت ٢٥ سنة هنا. وهاجت صحيفة نيويورك تايمز تعيين هوغل في مقال بعنوان: «الشركة التي يحافظ عليها كايسي».

بحث كايسي الموضوع مع هوغل وقال إن الوضع على ما يرام. وأن ما يجري هو تمجيد للوضع القائم. وكتب كايسي رسالة إلى صحيفة نيويورك تايمز نشرت في ٢٤ أيار/ مايو يمدح فيها هوغل ويصفه بأنه واضح التفكير ويتمتع بقدرات تنفيذية هائلة. وبينما كان تورنر في منزله يمارس حياته الجديدة ككاتب، قرأ المقالات وتفهّم تهجم القدامى، وشعر بالتعاطف مع كايسي ثم كتب مقالة إلى الواشنطن بوست نشرت في ٢٥ أيار/ مايو يدعم فيها كايسي في قضية تعيين هوغل: «إن السيد كايسي هو المسؤول كلياً عن عمل مديرية العمليات وهو مكلف باختيار فرقة الخاص ويكون الحكم عليه من خلال النتائج وليس من خلال التعيينات».

«عام ١٩٧٧ تلقت انتقادات كثيرة عندما أجريت تغييرات في مديرية العمليات أظهرت فيها بعد نجاحها. دعونا نعطي المدير الجديد كايسي فرصة دون انتقادات». في البيت الأبيض قلق ميز وديكر من الانتباه الذي تركّز على رجل كايسي ماكس هوغل الذي كان ما يزال في أول الطريق في عمل المخابرات الحساس. وإذا كان هوغل سيئاً فإنه يمكن أن يجلب المتاعب لريغان. لقد كانوا مرتابين من عمل كايسي وهوغل في الحملة الانتخابية وتسألوا هل أن الهرجين يديرون الوكالة؟

كتب كايسي رسالة شخصية إلى الرئيس يذكر فيها أن هوغل يتمتع بكفاءات عالية في العمل، ويلمح إلى جهوده في الحملة الانتخابية وخصوصاً في تنظيم المجموعات الخاصة والمجموعات الاثنية (العرقية).

قرر مساعدو ريغان أن لا مجال ولا مبرر للتدخل في هذا الموضوع.

استقبل الرئيس ريغان توماس أندرز معاون وزير الخارجية لشؤون أميركا اللاتينية بحضور كايسي وهو رجل بطول ستة أقدام، قدم عرضاً عن الوضع: قال الرجل بصوت واثق: «السيد الرئيس، لقد كنا نعتمد الايديولوجية الدفاعية ثم تابع كلامه حول السلفادور: من الصعب أن ندافع عن المجلس العسكري الحاكم، الذي تدعمه الولايات المتحدة. هناك خرق كثير لحقوق الإنسان على الرغم من أن دوارت كان يبذل جهده لمنع ذلك. على الإدارة الأميركية أن تعود للهجوم ليس برنامج عسكري أو سياسي بل بإجراء انتخابات حرة في السلفادور. كما أن التقدير الانتخابي القومي الخاص الذي صدر في ذلك الشهر عن المدير كايسي استنتج أن هناك مأزقاً عسكرياً بين المجلس العسكري والثوار

وإن المجلس العسكري بحاجة إلى مدة سنتين ليكسب الحرب. لذلك يجب أن تكون الديمقراطية هدفاً».

وشاهد كايسي الرئيس يتنهد ويتحرك على كرسيه ثم يقول: «إنها فكرة بسيطة وبالتأكيد بعيدة في المستقبل دعنا نعتمد هذا المشروع».

تأثر كايسي بهذا العرض وكان أندرز قد تسلم مسؤولية دبلوماسية وسياسية منذ أشهر في منطقة أميركا اللاتينية وأظهر رغبة واندفاعاً في العمل. وتفهم الخلافات داخل الإدارة حيث سعت كل من وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ومجلس الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية لفرض نفوذها. ووفقاً للتقليد ترأس اجتماعات الممثلين العاديين التي سميت بمجموعة «القلب» وكانت تعتقد يومياً وربما مرتين في اليوم وعلم أندرز أنه كان بحاجة إلى إجماع وكان يعمل على إعداد خطة متناكسة.

عرف كايسي أندرز من مجلس الأمن والتبادل ووزارة الخارجية. وهو أفضل عناصر الساحل الشرقي وخريج جامعة يال، والداه أوسترودم أندرز وأليس دادلي تالكوت من كونكتيكت، عمره ٥٣ سنة. عندما عين معاوناً لوزير الخارجية لم يكن أندرز يعرف اللغة الإسبانية ولكنه استطاع تعلمها في بضعة أشهر. كان له أسلوب مميز ولكنه كان نافذ الصبر ويحاول دائماً أن يخفي ذلك، وكان موضع شك من اليمين واليسار معاً. من اليمين لأنه كان من اتباع كسينجر ومن اليسار لدوره في حرب فيتنام وفي سفارة الولايات المتحدة في كمبوديا. وهو الذي طلب الاذن «بتنفيذ عملية» للفاذات الثقيلة.

اجتمع كايسي وأندرز وشكا له أندرز: «لا يوجد هيكلية لصنع القرار في البيت الأبيض»، لقد حاول رئيسه هيغ أن يسيطر ولكنه فشل ولم يربح أحد. هنا سجل كايسي بعض الملاحظات.

وأضاف أندرز: «لكني أستطيع أن أجعل فريق «القلب» الداخلي يعمل».

أجاب كايسي أن وكالة المخابرات المركزية ستعاون ولن تكون هناك خلافات جانبية معه. ولكنه تعجب مما إذا كان هذا الطرح حول السلفادور كافياً. الانتخابات الحرة والديمقراطية كانت البداية. الإدارة بحاجة إلى خطة لجميع دول أميركا اللاتينية وفي الحقيقة إلى خطة لجميع دول العالم.

وافق أندرز. إن توزيع الصلاحيات في السياسة الخارجية يجعل الأمور صعبة: «الجميع يصرخ ولا أحد يقدم خطة للعمل».

انغمس كايسي في الاطلاع على مذكرات الوكالة. الملفات والابحازات. وسر اغوار كبار الموظفين وكان يدون ملاحظاته على بطاقة صغيرة. لقد سادت في السنوات الست الماضية نزعة سيطرة السوفييات. كسب السوفييات نفوذاً جديداً. وحققوا نفوذاً كاملاً في تسعة بلدان. فيتنام الجنوبية، كمبوديا، لاوس في جنوب شرقي آسيا. أنغولا والموزمبيق واثيوبيا

في افريقيا. اليمن الجنوبية وأفغانستان في الشرق الأوسط وجنوب آسيا. ونيكاراغوا. كيف تم هذا؟ من الواضح أن السوفيات استغلوا مرحلة ما بعد الانسحاب الأمريكي من فيتنام واستعملوا الثورات والانقلابات العسكرية.

هل هناك طريقة للرد على الشيوعيين؟ ليس بالتقرب البطيء مثل استغلال غزو أفغانستان لدعم الثوار أو الارتقاء بالديمقراطية في السلفادور.

في السنوات الست نفسها خسر السوفيات نفوذاً هاماً في ستة بلدان هي بنغلادش - غينيا - الهند - الصومال - العراق - الكونغو ولكن هذا كان غامضاً حسب رأي كايبي الذي سعى إلى انتصار واضح ونظيف!

أين يمكن أن نرد؟ سأل هينغ.

أريد أن أكسب واحدة؟ قال الرئيس.

أدرك كايبي أن هذا الكلام يعني شن حرب عصابات وكان مطلعاً على حرب العصابات ويعرف أهميتها وذلك منذ خمس سنوات حين كان يبحث في تأليف كتابه عن الحرب الثورية الأمريكية الذي صدر عام ١٩٧٦ وعنوانه «كيف ومتى نخوض الحرب؟» وجاء الكتاب بعد مطالعات مكثفة. واستعان في تأليف كتابه بمجلدات دوغلاس فريمان السبعة حول جورج واشنطن. قال كايبي إنه لا غنى عن المجلدين الثالث والسابع. وهو قارئ سريع يقرأ عدة صفحات في الدقيقة، ويفهم المبادئ، وجهات النظر بسرعة، ويتأبطأ عندما يريد ويتصفح بسرعة عندما يفقد الرغبة. وسماه أصدقاؤه «لص الكتب» لأنه يستعير الكتب ولا يردّها. وكان لديه كوماً من الكتب، أدبيات عمليات الاستخبارات الثورية وحروب الخداع والكتب السياسية. من هذه الكتب «جواسيس الجنرال واشنطن» تأليف نينسيانو والخدمات الخاصة» لفورد و«التاريخ السري للثورة الأمريكية» لكارل فان دورين.

كان يستمتع بأبحاثه في عقل نهايات الأسبوع حيث قام برحلات في الطبيعة مع صوفيا وبرناديت وظلما أحب السفر مع زوجته وابنته. كانوا ثلاثياً مرحاً. ومرة في يوم خميس قاموا برحلة جوية في الليل إلى ولاية ماين وتابعوا خلال أربعة أيام في طريق بندكس ارنولد عبر النهر إلى كويك وبعدّها عبر سان لورنس إلى مونتريال ثم ريسيليو وبحيرة شامبلين. ومرة أمضى عطلة نهاية الأسبوع ثلاثة أيام حيث أقتنى أثر رحلة جورج واشنطن من وادي فورج عبر ديلاوار إلى أماكن معارك نيوجرسي وبوسطن وفيلادلفيا ونيويورك وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وجورجيا وفي جولة أخرى من انابوليس إلى بورتكاون حتى خليج شيسبيك وكان كايبي يصطحب معه كتبه وملاحظاته والخرائط المصورة وكتاب يوردز: «علامات حدود الثورة الأمريكية». لقد صعد إلى أعالي التلال ومشى على الطرق غير المعبدة، ونظر إلى الآثار بعناية وتبعته برناديت وصوفيا في كل خطوة.

كتب كايبي: لقد شعرت بالحيرة لكوني هناك وكنت أرى المدلول التكتيكي والاستراتيجي لطريق ارنولد. أراد كايبي دائماً الذهاب إلى البقعة المحددة. تعرف على جغرافية الثورة التي كانت غمّة غالباً تحت المدن الكبيرة والأرصعة.

في رحلاته القصيرة وبينما كان كايبي يطالع كتبه طرح السؤال الأساسي: كيف ولماذا ربح الأميركيون؟ كيف تسبى هذه المجموعة من الرعاع أن تهزم قوة عظمى مثل بريطانيا؟ انتصر الثوار لأنهم اعتمدوا على حرب العصابات وحرب الانصار. لقد كانوا مثل الفيتكونغ أو مثل ثوار أفغانستان. الروح والبادرة والتكتيكات كانت بجانب القوى غير النظامية. يمكنك أن تثنى المقاومة الوطنية. إنه كان الجانب الذي يجب أن يكون فيه. وكان هذا نقطة استمرار بين القرن الثامن عشر والقرن العشرين. ولأن عليه أن يطبق ذلك عملياً فإذا لم تأت المقاومة الوطنية لتفزع باب وكالة المخابرات المركزية كما فعل الأفغان عندها على الوكالة أن تبحث عنها وتكتشفها.

ولتجنب المزيد من المفاجآت بدأ كايبي بفحص عن شخص آخر من الخارج. أراد رجلاً يكون بمثابة جهاز إنذار ينذر به الكوارث الخارجية. ربما كان واحداً من عملي الوكالة. دعا إلى مكتبه الدكتور قسطنطين منج وهو رجل طويل القامة يرتدي نظارات ويبلغ ٤١ عاماً من عمره ويعمل في مؤسسة هدسون. ساعد في حملة ريغان الانتخابية ويتمتع بصوت إذاعي ويتكلم بلهجة اللواتي من نفسه.

عندما سألّه كايبي عن المشاكل الرئيسية في السياسة الخارجية أبرز له منج نسخاً عن مقالات صغيرة نشرها في صحيفة نيويورك تايمز. في مقاله عام ١٩٨٠ تحدّث منج عن الأحداث في إيران وأفغانستان ونيكاراغوا ولا حظ نقطة تحوّل في الحرب الخفية بين القوى الراديكالية والقوى المعتدلة وذلك للسيطرة على النفط وعلى الشرق الأوسط وأميركا الوسطى. في مقالة أخرى بعنوان: «الديمقراطية لللاتينيين» دعا إلى إعداد استراتيجية شاملة لحزيمة السوفيات في أميركا اللاتينية، عن طريق الارتقاء بالديمقراطية. إن دعم الأنظمة الدكتاتورية اليمينية وحده لن يؤدي إلى أي نتيجة. وفي مقالة أخرى: «المكسيك الباب المجاور لإيران» توقع منج المشاكل من الجنوب.

نظر كايبي إلى هذه المقالات التي أظهرت تفكيراً استراتيجياً وربطاً للأحداث التي تجري في أجزاء مختلفة من العالم. لقد حسب منج حساباً للتعدد الشيوعي وأحضر ورقة من صفحتين ووصف كيف أن الشيوعيين ساهموا مع الآخرين في ما يسمى «حلف زعرقة» الاستقرار.

الحرب السياسية وشبه العسكرية ضد الولايات المتحدة
المصالح في ثلاث ساحات استراتيجية
التحالف لزراعة الاستقرار

البلد الهدف
- أمريكا اللاتينية

كولومبيا

فنزويلا

أمريكا الوسطى

باناما

بليز

المكسيك*

- الشرق الأوسط

إسرائيل

مصر

إيران (بعد الخميني)

عُمان

اليمن الشمالي

دول الخليج الفارسي

العربية السعودية*

- إفريقيا

زائير

المغرب

السودان

ناميبيا

جنوب إفريقيا*

قرأ كايي مقالات في ما بعد ودعا منج إلى لقاء آخر حيث طلب منه أن يكون صريحاً. قال منج إنه قلق حول كفاءة وكالة المخابرات المركزية بمجملها وهي مثل أي بيروقراطية تتجنب الثواب والعقاب. في السبعينات كان معاون مساعد وزير التعليم وعمل (*) هذه الإشارة تحدد الهدف الاستراتيجي الأساسي. كانت هذه أهداف استراتيجية شاملة لكن منج قال إن الشيوعيين ليس لديهم ترتيب زمني، وكانوا صبورين.

لدى فرانك كارلوتشي الذي كان نائباً لوزير التعليم والصحة والرخاء. عندما انتقل كارلوتشي إلى منصب نائب مدير الوكالة عام ١٩٧٨ حذر منج من المشاكل في إيران لكنه لم يصغ إليه. عام ١٩٧٩ أي قبيل الثورة الساندينية توقع مشاكل يسارية في نيكاراغوا ومرة أخرى ذهب إلى كارلوتشي وإلى وكالة المخابرات المركزية حيث دحضوا وجهات نظره. ثم عمل على نشر مقالات في الصحف واحدها بعنوان: «صدى كوبا في نيكاراغوا» في حزيران/يونيه قبل أن يطيح الساندينيون بسوموزا. وتوقع أن يظهر الساندينيون باعتدال ويشكلوا حكومة ائتلافية قبل أن يكشفوا عن وجههم الماركسي اللينيني.

جاء في المقالة: «هذا النجاح يمكن أن يخلق قاعدة سياسية وزخماً للبدء بحرب ثورية في المكسيك خلال أوائل الثمانينات». قال منج لكايي إن الذي أزعجه ليس طريقة التعامل مع أفكاره بل هو الفشل الذريع لوكالة المخابرات المركزية في استباق الأحداث وتفادي حصول الأزمات. وعرض كايي على منج وظيفة ضابط الاستخبارات القومية لأمريكا اللاتينية يمثل المدير في الاجتياحات داخل الوكالة حول هذه المنطقة ويشرف على تنظيم التقدير الاستخباري القومي ويرأس اجتماعاً تحذيرياً شهرياً حول التهديدات المهمة ويوصي بالرد الأمريكي.

- «انظر» قال كايي: أنت مهتم كثيراً بهذه المواضيع وكنت تحذر إدارة كارتر لثلاث سنوات حول إيران ونيكاراغوا والآن أطلب منك أن تأتي وتخدم، ماذا تنتظر؟ وقبل منجا.

فوجئ كايي بأن الوكالة كانت تقدم إنجازات بشكل منتظم للمراسلين الصحافيين الذين يذهبون إلى مهات في ما وراء البحار. وطلب من هيرب هيتو وهو رجل تورط للعلاقات العامة والذي ما زال يعمل في الوكالة أن يوقف جميع هذه الإنجازات في الحال. وكان هيتو يعتقد بأن الإنجازات تؤمن اتصالاً مع الأوساط الصحافية المهمة، وحاول الاحتجاج قائلاً: «ولكن» وقاطعه كايي: «لم أطلب منك من أجل الشرح والمناقشة. نفذ فوراً».

ذات مساء وفي أوائل تموز/ يوليو تلقى مستشار الوكالة سيوركين مكالمة غريبة في منزله، عرف المتكلم عن نفسه بأنه ماكس وطلب الاجتماع به في الحال لسبب طارئ. وتأكد سيوركين أنه هوغل. بعد ساعة التقى الاثنان في مركز القيادة. قال هوغل إنه يطلب المساعدة من سيوركين، فقد اتهمه اثنان من شركائه السابقين من نيويورك توماس مكينيل وشقيقه صمويل مكينيل بأن لديها تسجيلات سرية تثبت أن هوغل كان يسرب معلومات داخلية عن الشركة التي كان يعمل فيها بروز أترناشوتال منذ ست سنوات أو سبع. في يوم الجمعة ١٠ تموز/يوليو اتصل سيوركين بصحيفة الواشنطن بوست وتحدث مع

أحد المحررين باتريك تايلور وتلقيت أنا نسخاً عن ١٦ شريط تسجيل هوغل. قال لي سيوركين إنه يريد الاستماع إلى التسجيلات. قلت إن الأمر لم ينضج بعد. رد سيوركين أنه إذا كان أحد في الوكالة قد ارتكب خطأ ما يجب أن يعرف هو وكابسي. وأخيراً وافقت أن يحضر سيوركين ويستمع إلى التسجيلات ووافق سيوركين على الحضور بعد الظهر. أراد كابسي أن يعرف عن القضية بأسرع وقت.

وبعد بضع ساعات اجتمع أكثر من ١٢ شخصاً حول طاولة في غرفة الاجتماعات في الطابق الثامن من مبنى صحيفة واشنطن بوست. سيوركين وهوغل وعدد من المحامين الشخصيين ومنهم جودابست وهو محام من واشنطن مثل نائب الرئيس السابق سيرو أغنيو، وبنجامين براندلي رئيس تحرير واشنطن بوست وتايلور وأنا ومحاميان من واشنطن بوست وهما خبيران في القضايا الأمنية وأربعة محررين آخرين من واشنطن بوست.

كان هوغل يرتدي بزة بنية وربطة عنق وقيصاً فاتحاً وكانت ابتسامته دافئة. قال سيوركين: أنا لا أعرف ما يجري بحق الجحيم! وأضاف إنه يمثل وكالة المخابرات المركزية وليس هوغل شخصياً. طرحنا بعض الأسئلة العامة. هل أعطى هوغل معلومات داخلية للأخوين مكينيل، هل هدد بقتل أحد محامي مكينيل؟ هل كان يعرف أن المال الذي أقرضه لأحد أفراد عائلة مكينيل كان الهدف منه التسلل إلى مؤسستهم الأمنية التي كانت تضغط في البورصة لصالح شركة هوغل؟

طلب محامو هوغل الإجابة قبل إذاعة أي تسجيل. غير صحيح أبداً لأنه كان يعرف أن المال كان يذهب إلى مؤسسة الأمن. أنكر كل شيء وكان الجواب لا... لا... وكان صوته جليلاً عندما طلب الكلام. «نعم أراد أن ترتفع بورصته. طبعاً أراد أن ترتفع بورصته». «وإذا سجل أحد الأشخاص مكانته على الجانب الآخر من الهاتف» قال هذا وانظر أن يتفهمه أحد من الجالسين إلى الطاولة ثم تابع: «لا أعرف نص السؤال أو ماذا يقول وإذا كنت لا تعلم أنهم يسجلون ذلك فيمكن أن تتعرض لأي شخص». وأضاف هوغل «وهذا شيء غير جيد».

قاطعه سيوركين: «لن أهتم إذا أمضيت الليلة هنا ولكن إذا قلت هذا المراء على الشريط فعلى أن أحفظه به وأن أقول لك إنني سأبقى هنا حتى ينتهي هذا الجحيم. وأريد أن أسمع ذلك وأقدم توصياتي».

أضاف سيوركين: «إنها تهم خطيرة، أعني بعضها خطير وبعضها الآخر وئاه لخبثي السابقة هراء». ولكن عندما تتكلم عن التحكم بالسوق فإن ذلك يعتبر خطيراً. وضرب إصبعه على الطاولة وقال: «إنها تهمة خطيرة، وإذا كان لديك دليل يجب أن أراه بكل وضوح».

(●) المؤلف

وضع تايلور في آلة التسجيل شريطاً مسجلاً منذ ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٤ لمحادثة هاتفية يحدد محامي مكينيل فيها هوغل بإقامة دعوى قضائية عليه. وسمع صوت هوغل يوضح يقول: من له الجراءة والأعصاب ليهديني بدعوى ملعونة... إنها قلة لياقة مني... إنني جاهز لأرميها... ما هذا النوع من المراء. دع هذا الجحيم... سأضع هذا الوعد في السجن... سأقتل هذا الوعد.

أوقف تايلور المسجلة.

قال هوغل وهو يتكلم كالذليل: هل هناك شيء للتعليق. ها هي.

- هل هذا صوتك وهل تذكر المحادثة.

- نعم.

- ولكنك قلت سابقاً إنك... .

- بكل وضوح لقد خاتمتي ذاكرتي، قال هوغل ذلك وهو يواجه التناقض بشجاعة. إن الشريط هو ما هو. وطلب أن يستمع إلى الشريط الثاني.

ثم وضع الشريط الثاني وسمع هوغل يقول يقول مكينيل:

«أحضر ورقة وقلماً، إن ما أعطيتك إياه هو موثوق به»، كان تسجيلاً طويلاً وواضحاً وديقاً أعطى فيه هوغل معلومات عن عمليات البيع.

- هل هذه معلومات داخلية؟

- لا أستطيع الجواب على هذا السؤال.

وتردد الجواب وسُمع المزيد من التسجيلات.

- ماذا عن الأوضاع الداخلية؟

- أنت تعلم. أنت تعود بي إلى عام ١٩٧٤.

- إن السبب الوحيد الذي جعلني أقوم بذلك كرجل أعمال متحمس بجامل شركته ويقول ما يحصل. هذا هو السبب الوحيد الممكن. أنا فني متحمس. أنا فخور بما أعمل.

- إذا كنت فخوراً بما تعمل لم تبقه سرّاً وموضع ثقة؟

حسناً، قلت موضع ثقة. هذا ما تقوله التسجيلات. أه يا للجحيم... إنها أسلوب... يا يسوع... لماذا سجل الرجل حديثي؟ ولم يبد هوغل تفسيراً لهذه النقطة. ما الغرض من ذلك؟

قال سيوركين إن العنصر المفقود هو الدليل على أن هوغل ربح من جراء كشفه للمعلومات وكان هذا العامل ضرورياً ليحصل من فعله جريمة.

قال سيوركين: أنا أنفكك، لا يوجد منا من لا يقول شيئاً على الهاتف، يؤدي إذا ما سُجِّل إلى مشاكل. وأوماً الكثيرون برؤوسهم موافقين.

طلب سيوركين من هوغل وعامي أن يتركوا الغرفة وبعدها قال سيوركين: «أنت تعلم

يكون ذلك قراراً صعباً. أستطيع أن اتخذ قراراً سهلاً. هناك قرار سهل أستطيع أن أخذه.

قال برادي: التوقف؟

أجاب سيوركين: «نعم ولا أدري ما إذا كان هو الصحيح». أراد أن يستمع إلى جميع التسجيلات ثم يقوم الوضع ويعرضه على كايسي.

قال برادي: وليس من مهمتنا أن نساعدك على اتخاذ القرار، ولكن يجب إعطاء فرصة لهوغل بأن يجيب على أي سؤال قبل تسجيله خطأً.

قال سيوركين: لا أعلم ما إذا كان لديك قبلة مدخنة هناك أم لا.

ثم عاد هوغل وقال إنه سيؤجل رحلة إلى الخارج كمدير عمليات وذلك لسبب هام. إنها قضية خاصة وسمعي الشخصية على المحك. وأريد أن أرى ذلك ينتهي قريباً.

يوم الأحد بعد الظهر في ١٢ تموز/يوليو عاد كايسي من رحلة لمدة ثلاثة أيام في الخارج ودعا إلى اجتماع في لانغلي بحضرة اثنا عشر سيوركين ويوب غايس. قال سيوركين إن المعلومات ما تزال مجزأة وأنه لم يكن واضحاً ما إذا كان هناك مخالفات أو معالجة لوضع البضائع في الشركة. قال إغان لكايي إنه عندما تظهر مثل هذه المشكلة فهذا يعني أن هناك اعتبارين: الأول يجب أن لا يكون هناك تغطية أو مظهر تغطية، والثاني يجب عزل المشكلة الأساسية أي منح هوغل إجازة إدارية وإذا تبين أنه لا يوجد أي شيء يعود إلى مكتبه وإذا ثبت عليه شيء ما يبقى خارج الوكالة. قال سيوركين إنه يعارض الإجازة الإدارية. ما الذي يمكن أن يتغير في المستقبل؟ لماذا نقول إنه لا يوجد أي شيء؟ هذه التهم يمكن أن تعلق لعدة أشهر.

كان كايسي ينفر من منح هوغل إجازة إدارية. يمكن أن يكون تدبيراً عاطلاً. هذه التهم غالباً ما تؤدي إلى لا شيء. وفي القريب العاجل يمكن أن يتلوث مجرى حياته أو اسمه. أراد كايسي أن يعرف أسوأ احتمال لهذه القضية. قال سيوركين: التسجيلات واللحظة والاتصال مع معلومات مسبقة.

وشعر كايسي بأن كبار الضباط التنفيذيين كانوا يتصلون بعمالهم في البورصة. قال سيوركين: ستكون مشكلة إذا سجل حديث لمدير العمليات يقول فيه كلمات خشنة. على أحد الأشرطة قال هوغل لعمله في البورصة: «سوف أبقر بطنك، سأحضر عصايتي الكورية وأجري وراءك، ولن تبدو جيداً عندما أبقر بطنك».

قال سيوركين لهوغل بينما كانا لوحدهما: بدأ العمل بقانون الحصانة ولكن على الرغم من ذلك عليك أن تترك.

لماذا؟ سأله هوغل.

قال سيوركين. أترك. أذهب إلى الكونغرس وادل. بشهادتك، سيأكلونك حياً... المشكلة كانت كما عرضها سيوركين الحث باليمين وعن غير قصد. يمكنك أن تختار إجاباتك. ولكن لا يمكنك أن تناقش في هذه التسجيلات. نريد خبراً واحداً يأتي نتيجة

لهذا، وهو خبر استقالتك. عندها سيترك الكونغرس وحيداً وتصبح من التاريخ. لقد طلبت نصيحتي كمحام وكصديق. إنها هي. إنها لصالحك ولصالح الوكالة ولذلك أستطيع قولها لك وللمدير.

ذلك المساء دعا هوغل كايسي وسيوركين إلى منزله لتناول طعام العشاء. شعر هوغل بأن كايسي أراد أن يفرضه مديراً للعمليات غير آبه بالمعارضة الداخلية القوية. وكان شديد الاهتمام بالمشاكل الناشئة عن تعيينه. والثلاثة جدد في الوكالة وهم خيرة أقل من سنة. قال هوغل لأن التهم كانت كذبة مدوية.

وحضور كايسي كان موقف سيوركين حيادياً. قال كايسي إن إغان اقترح إجازة إدارية غير محددة لهوغل حتى تتوضح القضية.

قال هوغل: لا يجوز أن أحضر إلى واشنطن لأضرب على وجهي كل يوم. وفي وظيفة معروفة كمدير عمليات لا يرى كيف يستطيع أن يكسب المعركة ليحافظ على اسمه. سوف تقيد بداه. لا يستطيع أن يكسب المعركة كموظف والطريقة الوحيدة التي يمكن أن يكسب بها هي أن يعود مواطناً عادياً.

قال سيوركين إنه متأكد أن الخبر سيشر قريباً في الصحف، قال هوغل لكايي: إذا كان الخبر مؤدياً للوكالة أو لي، سوف أقدم استقالتي.

لم يحزم كايسي أمره. الإجازة الإدارية لم تكن حلاً إلا أنها أفضل من الاستقالة. قال هوغل: إذا نشرنا خبراً مدعراً، عندها لا أريد إيداع الوكالة، لن أؤذيك ولن أؤذي الرئيس، سأستقيل.

قال كايسي: أنظر لي ماكس. إنها ضرتك.

وفي صباح اليوم التالي اتصل محامي هوغل جودا بست بصحيفة الواشنطن بوست وطلب اجتماعاً ثانياً.

أحضر بست ١٦ وثيقة من ملفات أعمال هوغل ورسالة تقول إنه يحتاج إلى جمع المزيد من المعلومات.

وفي ذلك اليوم بعد الظهر اجتمعت المجموعة نفسها في الطابق الخامس في غرفة المؤتمرات الصحافية وظهر هوغل عصبياً. نقول إننا نريد أن نتجنب إعادة ما ورد في اجتماع الجمعة الماضية عندما أنكرو قيامه بأعمال ثم وجهه بالإثباتات على شريط التسجيل.

قال سيوركين: أصح إلى السؤال وإذا كنت لا تعرف قل فقط لا أعرف.

قلنا في الصحيفة، إننا قررنا نشر الخبر في اليوم التالي وأنه سيضمّن أي كلام يقوله هوغل اليوم.

قال سيوركين بفاغ الصبر: لي طلب، أريد الاستماع إلى التسجيلات. ثم استمعوا

إلى المزيد وذهب أثناءها هوغل مرتين إلى الحمام. وقال: أريد أن أعتمد عن أجوبي المتسرعة يوم الجمعة الماضي.

كان يمكن لأجوبي أن تكون أفضل. لا أنوي الإذلاء بإفادات ضالة أو خادعة، وكان يشير بيديه، ويعني ظهره. قال إنه لم يكسب من هذه الصفقات في البورصة وكان من الممكن أن يتحول إلى مبتدئ أو يكون ساذجاً، ولكنه بدأ بشركة من لا شيء وتركها تعمل بمبلغ ٧٠٠ مليون دولار في السنة أعمالاً تجارية. وحصلته كانت سبعة ملايين دولار.

توقف هوغل ثم قال إن فصلاً في كتاب صدر عام ١٩٥٧ عنوانه «التجاف في التجارة والأعمال» كُرس له ولتجافه في الأعمال التجارية في شركة برذرز اترناشونال. وكتب اسمه على الغلاف الخارجي لمجلة كورونيت. كنت أحاول الحصول على نسخة وأرسلها إليكم اليوم. أنا فخور بما عملت وفخور به الآن.

ثم عدد كفاءاته، وذكر أنه يجيد اليابانية، وتحدث عن خبرته في الأعمال التجارية الخارجية، وقدرته على التعامل مع الأجانب. لقد قبلت بهذه الوظيفة لأنني أريد أن أخدم بلادي بعد تضحية مالية كبيرة. إن كل حياتي وسمعتي على المحك. قال ذلك وعيناه تغرقان بالدموع. سيكون ذلك مضراً لي ولعائلتي البرية تماماً، يجب أن لا نعاملهم بهذه الطريقة، إنه من العار. قال ذلك وهو يرفع صوته بطريقة دراماتيكية. هناك شخص يرضى بالتخلي عن المكتسبات المالية فقط من أجل أن يأتي ويخدم بلده، فقط يحاول أن يفعل ذلك، يدينه أناس مثل هؤلاء حول معلومات تعود لسبع أو ثمان سنوات.

قال هوغل: من الصعب في المستقبل أن تأتوا بالناس إلى واشنطن ليقبلوا بالوظائف.

أنا اعطيكم ما بداخلي وقلبي. ازداد قلق كايي وهو في مكتبه في مبنى الوكالة لأن سيوركين لم يتصل به. وظن أنه من الأفضل له أن يأخذ نصيحة لجنة الاستخبارات في الكونغرس. واتصل كايي بإدوارد يولاند من لجنة استخبارات مجلس النواب، ولم يستطع الاتصال بغولدوتير. فبما بعد أصدر محامو هوغل بياناً من ثلاثة مقاطع ينفي ارتكاب أي خطأ من موكلهم ويظهر أنهم أصيبوا بخيبة أمل عميقة من احتمال نشر الخبر، وأضاف أن هوغل سيتابع خدمة بلاده طالما محتاج إلى خدماته.

ظن هوغل أنها الثالثة صباحاً عندما أيقظه سيوركين. قال سيوركين: نشر الخبر، وقرأ له العنوان: مسؤول كبير في وكالة المخابرات المركزية متهم بأعمال غير مشروعة في البورصة، وتابع: ماكس هوغل الذي يحتل أهم مركز حساس في إدارة ريفان كرئيس للعمليات السرية متورط في أعمال غير مشروعة في البورصة.

قال هوغل: هذا شيء مرفق. وقرأ سيوركين وهو يعدد الادعاءات وفيها أن هناك مقاطع هامة من التسجيلات.

قال هوغل: أو كي، هذه هي، لا تقرأ المزيد. أنا أستقيل. وبعد شروق الشمس بقليل، اتصل هوغل بكايي وقال له: لقد عملوها وما أنا أستقيل.

قال كايي: هذا غير جيد أبداً، ولم يحاول أن يغير من تفكير هوغل. في الساعة التاسعة والدقيقة الأربعين اتصل كايي بغولدوتير ليقول له ما كان السنانور قراه في الصحيفة. كان غولدوتير غاضباً. لماذا تأخر مدير المخابرات المركزية في إعلامه. لقد سمع إشاعات من مصادر موثوقة بها تقول إن الخبر سينشر. في البيت الأبيض قلق رئيس الأركان جيمس باكر والمستشار فريد فيلدنغ وطلباً لتحديد الضرر حالاً، وضغط فيلدنغ من أجل استقالة هوغل الفورية، ووضع الكورة في ملعب كايي. اتصل باكر بكايي.

قال كايي إن ماكس سينتجى جانباً. فوجئ باكر وارتاح لأن ذلك جرى بسرعة. وعندما أخبر باكر الرئيس ريفان في ذلك الصباح، فوجئ أيضاً. ولاحظ باكر أنه لم يتأكد مما إذا كان هوغل قد ارتكب أي خطأ. قرأ هوغل الخبر وكانت صورته على الصفحة الأولى. كانت صورة بشعة، إلى جانب عواميد من التسجيلات مليئة بالشتائم والكلام النابي. لم يتروكا أي شيء. شعر هوغل بأنهم أذكياء لكنهم قذرون.

إرتدى ثيابه، وأقله سائقه إلى مركز قيادة الوكالة، وكان منظره مؤثلاً في الممرات، وعندما سار إلى مكتبه، كانت كل العيون عليه، وبدا الالم والحزن على بعض الوجوه، وبعضهم لم يستطيعوا أن يقولوا ما في داخلهم، وشعر هوغل بأن عدداً كبيراً سرراً لاستقائه. الذي جاء من الخارج رحل الآن. وكان البعض بارداً. كتب إلى كايي رسالة تأثر بها. لقد كان فراقاً صعباً. أما رسالة كايي فقد قبل فيها الاستقالة بأسف عميق. عاد هوغل إلى مكتبه، حمل حقبيته ومشى.

عثر كايي جون شتان مديراً للعمليات. وهو يبلغ ٤٨ عاماً من العمر. خريج جامعة يال وعمل ٢٠ سنة في الوكالة، رتب خلالها محطة في كمبوديا وليبيا في السبعينات. كان شتان عاملاً بارز ويعمل بجهد. رأى كايي أنه قد حان الوقت لإسداد الستار على مديرية العمليات وقرر أن يضرب المثل. تحدثت إحدى محطات الوكالة في الشرق الأوسط عن وضع جهاز تنصت في مكتب أحد كبار المسؤولين وهو شخصية كبيرة وتؤمن أحاديثه معلومات مهمة للمحطة. كان هناك تردد في تنفيذ العملية بسبب غاظرها. وحصل جدال حول كيفية الدخول إلى المكتب ولم يتوصل عناصر المحطة إلى حل. عرف كايي بالموضوع وقال: إني سأنفذ ذلك بشخصي، مع أن ذلك ضد شروط ومقتضيات المهنة. وأصر على وضع الجهاز خلال زيارة بجمالة رسمية، وذلك خرق آخر لقواعد المهنة وضع الجهاز - عن ميكروفون

رفيع وقصير وجهاز إرسال بحجم الإبرة الكبيرة - في جلدته كتاب قدمه كايبي هدية لذلك المسؤول. أحد كبار المسؤولين شكك في صحة هذه الرواية ولكن البعض قال إنها صحيحة، ولكنه حلق بي متأثراً عندما ذكرت له اسم البلد واسم المسؤول وقلت إن ذلك يجب أن لا يتكرر.

- ٧ -

على الصفحة الأولى من صحيفة نيويورك تايمز ظهر خبر استقالة ماكس هوغل ونجت الخبر عنوان صغير: القاضي يؤكد أن كايبي، مدير المخابرات المركزية، ضلّل زبائن البورصة عام ١٩٦٨. وجاء في الخبر: منذ شهرين حكم قاضٍ فدرالي بأن وليم كايبي أضلّ، عن سابق تصور وتصميم، المستثمرين في شركة نيو أورليانز للأعمال الزراعية وتدعى ملتينيوك والتي ساهم كايبي في تأسيسها عام ١٩٦٨. وحكم القاضي بأن مجلس إدارة ملتينيوك والذي كان كايبي عضواً فيه لم يكشف للمستثمرين أن هناك ديناً وروهنات على المؤسسين ومن ضمنهم كايبي. وكانت أسهم كايبي تساوي ٣٠١,٠٠٠ دولار وصرّح لإدارة الضرائب عن خسائر بقيمة ١٤٥,٠٠٠ دولار. لكن القاضي حل المسؤولية لمجلس الإدارة وكايبي الذي قال عنه القاضي إنه حذف بعض الوقائع وعرضها بشكل خاطئ.

تحرّر باري غولدوتتر من الوهم تجاه كايبي بعد ستة أشهر من تعيينه مديراً للمخابرات المركزية، وشعر بأنه غيّر طريقه ولم يتفهم أبداً تعيين هوغل. أنت تعلم، قال غولدوتتر لصديقه كوين، إذا كان كايبي يريد أن يعيّن شخصاً مثل هذا فعلى الرئيس أن يطرده. إن إعلان الوكالة عن ماضي هوغل المستقيم كان تافهاً، فإما أن كايبي كان يعلم عن ماضي هوغل ويغطيه، أو أن مراجعة وضعه كانت واهية للدرجة يجب معها تغيير كايبي لعدم أهليته.

إزداد تخوف غولدوتتر من تفكك كايبي. يجب على مدير المخابرات المركزية أن لا يتكلم. وكان غولدوتتر يشعر بأن هناك شيئاً ما غريباً. إن تكلم كايبي. وكثيراً ما سأل أحد أعضاء اللجنة: هل فهمت ما قاله؟ ووصف كايبي بالمتقلب. واعتقد بأن كايبي لم يبذل أي جهد في الوكالة. كايبي الملعون لم يكن عنده لياقة ليحذر اللجنة قبل نشر الخبر عن هوغل. لقد جاء التحذير من رئيس تحرير الواشنطن بوست برادلي في نهاية الأسبوع السابق لنشر الخبر. لماذا يسمع غولدوتتر بهذه الأمور من رجال الصحافة؟

إتصل كوين بكايبي وقال له: «بيل لا تفاجئ مرة ثانية. اتصل به. من المهم أن تتصل به. وأترح عليك أن تدخل معه إلى قلب الأمور وتوضح له، فإنه حتى سيتفهم». في يوم الجمعة ١٧ تموز/يوليو بعد ثلاثة أيام من استقالة هوغل دعا غولدوتتر لجنة الاستخبارات في الكونغرس للاجتماع. وبعد جلسة سرية استغرقت ساعتين تم الاتفاق على

المخابرات المركزية من جرّاء تعيين هوغل كفي للسيد كايبي كي يستقيل أو للرئيس ريغان كي يطلب منه الاستقالة.

حصلت الأوساط الصحافية على خبر جديد أكثر دراماتيكية. الرسالة التي سُرّبت بطريقة خاصة، أصبحت الآن عنواناً رئيسياً. إن ضمير جماعة «الرئيس» يقول إن هوغل خطر وإن على كايبي أن يرحل.

وكان هناك المزيد. قال غولدوتور: توجد شكوك حول فقدان سجلات لبعض معاملات كايبي التجارية. وهناك تناقضات أخرى، وتقرير يفيد بأن كايبي كسب أكثر من ٧٥٠ ألف دولار من صفقات ملتينيوك ولم يخسر ١٤٥ ألف دولار كما ادّعى.

توجد غولدوتور إلى شقة كوين في شارع كونتيكت للشاه. قال كوين: «باري لا يجدر بك أن تقول ذلك». ووافقت بيت كوين: «لم يكن عليك أن تفت على الجراح بهذا الشكل». قال غولدوتور: حسناً أنا فعلت وعلى الزمن أن يحوها، لقد كان أسوأ طويلاً من النزاعات بين الولاء للحزب والولاء للشعور العام.

كان كايبي نائماً في منزله عندما أذيع تصريح غولدوتور. دق جرس الهاتف وكان سيوركين على الخط.

قال سيوركين: هل سمعت ما قاله ابن الكلب غولدوتور؟

- لا، أجاب كايبي، فأطلعه سيوركين على ما جاء في تصريح غولدوتور.

قال كايبي: لا تقلق منه.

- ماذا تعني لا تقلق؟ تعجب سيوركين.

قال كايبي: «أنا عائد إلى الفراش»، وأقفل الخط.

حوالي الساعة ٣:٣٠ صباحاً استيقظ كايبي. ارتدى روب الحمام وذهب إلى الطابق الأسفل. كان من عادته أن يستيقظ ليلاً مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، حيث يسود الهدوء الشامل في ذلك الوقت. وغالباً ما كان يقرأ في الفراش لكنه كان يعلم أن الضوء يزعج صوفي وأنها من الأفضل الانتقال إلى غرفة مجاورة. ذلك الصباح لم يقرأ كايبي. إتصل بسيوركين وأيقظه ليسأله عما قال غولدوتور. وأعاد عليه سيوركين. ما شاهد وسمع على التلفزيون في آخر الأخبار. كان غولدوتور واقعاً أمام الصحافيين في مؤتمر صحافي يطلب فيه رأس كايبي.

إتصل كايبي بغولدوتور في منزله وقال له: «أنا لا أصدق أنك قلت ذلك» قال هذا وهو يوقف رئيس لجنة الاستخبارات وفي صوته زين الخداة ولم يكن هناك أي غمغمة في لهجته. أجاب غولدوتور وهو نصف نائم: «الأفضل أن تصدق لأن ذلك ما قلته».

توقف كايبي عدة ساعات وحاول أن يقرأ ولكنه كان يطيل التفكير. وحوالي السادسة صباحاً عاد إلى الفراش. تلك كانت أفضل ساعات النوم بالنسبة إليه.

إجراء مراجعة روتينية وليس تحقيقاً في قضية هوغل وجميع المسائل المتعلقة بأعمال كايبي الخاصة. وقال بعض أعضاء اللجنة إنه من غير المنطقي أن يُجاسب هوغل على عمل قام به منذ سبع سنوات ولا يُجاسب كايبي مثله. قال السناتور بايدن إنه إذا لم يكن هناك توضيح لقضية ملتينيوك فيجب «أن نطلب من كايبي أن يقوم بالعمل الأفضل لمصلحة الوكالة والبلاد وأن يتنحى جانباً»، ولكن غولدوتور قال للصحافيين إنه إذا لم يكن هناك أكثر من ذلك فإنه لا يجد أي سبب يدعو كايبي إلى الاستقالة.

الثلاثاء التالي في ٢١/يوليو عقدت لجنة استخبارات مجلس الشيوخ جلسة استماع حول طلب وكالة المخابرات المركزية استثناءها من قانون حرية المعلومات. إنتهز مونيها الفرصة وكان مدير أسئلة اللجنة حول كايبي.

قال مونيها: «في اليومين الماضيين كنا نحاول أن نعرف ما إذا كان مدير المخابرات المركزية متورطاً في نشاطات غير مشروعة يجعله غير مؤهل لشغل منصبه» ثم رفع صوته عالياً: «لقد اتصلنا بالبيت الأبيض ثم اتصلنا بالبيت الأبيض واتصلت بوزير العدل. ربما لم يعرف من أنا أو أنه لا يعرف ماذا يجري هنا لنستحق اهتمامه». وأضاف: «حسناً إنه مهم ويستحق الاهتمام، ومن الأفضل لهم أن يساعدونا على معرفة ما إذا كان على مدير المخابرات المركزية أن يستقيل أم لا، وإذا أرادوا أن يغطوا فإنهم سيخسرون أنفسهم ومدير مخابرتهم سريعاً».

وبعد أقل من ساعة ترك مونيها الجلسة ليتلقى مكالمتين سريعتين الأولى من وزير العدل ولیم فرنش سميت والثانية من مستشار البيت الأبيض فريد فيلدنغ. كان كايبي خارج المدينة، وكان ازدراؤه للكونغرس واضحاً. أما غولدوتور فإنه كان يتذمر في مجالسه الخاصة ويقول من الأفضل للجميع أن يستقيل كايبي.

مساء الخميس ذكرت شبكة إن. بي. سي. N.B.C. التلفزيونية أن غولدوتور قال ذلك لكايبي أي طلب منه الاستقالة. إنها كذبة ملعونة تخوف منها غولدوتور. كان ظهره يؤله وقرر أولاً أن لا يتكلم، ولكنه لم يستطع السيطرة على غضبه، ودعا إلى مؤتمر صحافي في قاعة الإذاعة والتلفزيون في مجلس الشيوخ كي ينفي الخبر فوراً قبل أن تأخذ الضجة مداها. سئل عن شعوره الشخصي تجاه كايبي، ولم يكن غولدوتور مترشحاً إلى أن يكذب عليهم أو يقول لهم نصف الحقيقة لأنه يجب أن يوفر قول نصف الحقيقة للمسائل المهمة، وهذه لم تكن مسألة مهمة.

غضب غولدوتور من كايبي لأنه «عين رجلاً دون خبرة ليكون أعلى جاسوس في الولايات المتحدة وهذا سيئ بما فيه الكفاية». يجب أن أقول ذلك كرجل له علاقة قديمة بمسائل الاستخبارات، إنها كانت غلطة سيئة جداً، ويمكنني القول إنها خطيرة لأنها تتناول الرجل المكلف بمهام سرية. وهذا كان الأسوأ، فالضرر الذي أصاب معنويات وكالة

يوم الجمعة بدأ كايسي جولة من الاجتماعات الثنائية مع كبار أعضاء مجلس الشيوخ في لقاء لمدة ٢٠ دقيقة مع السناتور هوارد باكر زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس الشيوخ ناشد كايسي الكونغرس أن يستمع بطريقة أفضل وبدت عليه إمارات التوتر. قال إنه لم يكسب أبداً ٧٥٠ ألف دولار من الملتينيك وكان قادراً على إثبات ذلك بل وأراد ذلك. قال باكر إنه موافق من حيث المبدأ ولكن عليه أن يدعم رئيس لجنة الاستخبارات، ومن الأفضل لكاييسي ولبيت الأبيض أن يأتيا بشيء جديد خلال ٢٤ ساعة.

لم يكن هناك أي طريقة لوقف الجمهوريين الآخرين الذين تلقوا الإشارة من غولدوتور. وإذا نخل ياري عن الموضوع فيصبح الوضع خطيراً قال السناتور تدستيفز نائب زعيم الأغلبية الجمهورية ومن ولاية الاسكا وأضاف: إن السيد كايسي يكون حكماً لو قبل نصيحة السيد غولدوتور. وأضاف إن غولدوتور لا يعطي هذه التوصيات بحفة. إن مصالح وكالة المخابرات المركزية في قلبه.

السناتور وليم روث من ديلاوار وهو واحد من ثمانية جمهوريين في لجنة الاستخبارات ذهب إلى أبعد من ذلك وقال: هذه التهم حطمت رصيد السيد كايسي في لجنة الاستخبارات لدرجة أنه من غير الممكن له أن يقوم بوظيفته بفعالية، وعليه أن يرحل الآن.

دُخل البيت الأبيض من هجوم حلفاء كايسي الطبيعيين. وصدر بيان باسم الرئيس يقول: «أنا لم أغتر رأيي بوليم كايسي». وبدا ذلك فاتراً. قال كايسي للصحافيين الذين لحقوا به من مكتب إلى آخر في مجلس الشيوخ، أشعر بأنه عندما تظهر جميع الحقائق سيكون واضحاً أنني مؤهل لقيادة المخابرات المركزية. وظهر في هذا التصريح أنه يسلم بأنه لم يبدأ بعد بقيادة المخابرات المركزية مع أنه في المركز منذ ستة أشهر.

مساء الجمعة حصل هوارد باكر على موافقة غولدوتور على عقد جلسة خاصة لمعالجة قضية كايسي. واختار لذلك فريد تومبسون الذي كان مساعد باكر عندما كان نائب رئيس لجنة مجلس الشيوخ لمعالجة قضية واثرغيت عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤.

قال باكر لتومبسون إنه حاول تهدئة الجميع، لكن من الواضح أن كايسي لم يكن عبقياً، وإذا لم يغير سلوكه فعليه أن يرحل. طالب الجميع بعقد الجلسة بسرعة، وراجع تومبسون السجلات والوثائق وإفادات الكشف المالي. وكان الوضع المالي لوليم كايسي أعقد بقليل من وضع أرسطوطاليس أوثانيس. قال تومبسون بلهجة أهالي تنسي: وأنا أحب وليم كايسي ولكن هناك طريقاً واحداً فقط: التحقيق الشامل.

في الطابق الثاني والعشرين من البناية ٩ شارع بارك أفنيو في نيويورك، جون شاهين رجل نفط غني ومحارب قديم في مكتب الخدمات الاستراتيجية وصديق كايسي منذ ٣٥ سنة، قرأ الاتهامات في وسائل الإعلام ولم يصدقها. كان للحزب الجمهوري هالته لدى شاهين كما عند كايسي.. فلا معنى أن يطلب غولدوتور الجمهوري رأس كايسي. وظهر الوضع وكان

قيادة الاستخبارات الأمريكية من الجنرال دونوفان إلى كايسي في خطر. في الخميسات كان شاهين وكايسي في مجموعة واحدة مع دونوفان. وكان يتصل بهما إذا لم يتصلا به. وأصيب دونوفان بمرض في الدماغ ودخل مستشفى والتر ريد في واشنطن.

في ٨ شباط/فبراير ١٩٥٩ توفي دونوفان وطار كل من شاهين وكايسي إلى واشنطن وكان الجو كثيباً وغيماً. في النهار كان كايسي يتحرك ببطء وكان قليل الكلام. كان خدراً يستعيد ذكرياته ويتمشى ويترأس خيلاً وعيناه تحذفان.

كان تعيين كايسي مديراً للمخابرات المركزية موضع ترحيب وابتهاج من قبل أبناء دونوفان. لقد كان استمرراً لتجارب الحرب التي لم يعثر عليها أي منهم في حياته. ووجود كايسي على رأس وكالة المخابرات المركزية يعني الكثير. ويعني أن عملهم لم يتوقف. اتصل شاهين بكاييسي في لندن. قال كايسي إنها ضربة رخيصة والقضية بجمعها رديئة.

قال شاهين: لكن كايسي وغولدوتور في جانب واحد.

قال كايسي: إنها عاصفة في فتنان شاي.

- «اسمع» قال شاهين، «إنه كلام صديق، إذا لم تقم ببعض اللياقات مع لجنة استخبارات مجلس الشيوخ فلنك ستتمشي على ألواح خشبية».

اتصل شاهين بجيوفري جونز رئيس رابطة قدامى محاربي مكتب الخدمات الاستراتيجية، وكان أحد الشخصيات الرئيسية في المكتب طويل القامة، أنيقاً، دمثاً، يرتدي داتلاً بزة كاملة. وكان قد حول «نادي المغرب» إلى نادي خاص وأداره مدة خمس سنوات. لم يكن العمل في رابطة قدامى محاربي مكتب الخدمات الاستراتيجية من هويات جونز إلا أنه وضع لوحة إعلان للأخبار الخاصة وسجل لقاءات المحاربين القدامى، ومسك سجلاً للمناوين وحافظ على روابط النادي ومبادئ رجال المخابرات. اتفق شاهين وجونز على أن كايسي بحاجة إلى مساعدة واعتبره رفيقاً سقط في أرض عدوة هي كونغرس الولايات المتحدة.

كانت الخطوة الأولى إظهار الدعم الشعبي. أرسل حوالي ٤٠٠ بركة تطلب مساهمة من قدامى مكتب الخدمات الاستراتيجية. ونظمت في نيويورك لقاءات على مواعيد غداء لدعم كايسي، وتكلم عدد من الشخصيات بينهم جورج شولتز ووليم سايمون وهما وزيران سابقان للبالية وجمهوريان وهي لفئة تتماز في خصم الإدعاءات المالية.

في أول أشهر مضت على سبوركين في الوكالة، كان شيع السناتور فرانك تشرش وتحقيقاته يطارد قاعات مبنى وكالة المخابرات المركزية. كل واحد كان خائفاً ويفتش عن أسباب كي لا يقوم بأي شيء. وسمى سبوركين هذا الوضع «اللاظاهرة» وكان ينوي توضيح بعض الأعمال الخفية الحساسة وعملجات جمع المعلومات الحساسة. وكان من الممكن معارضة

ذلك قبل وصوله إلى مكتب كايبي، لذلك عمل سيوركين على إنشاء نظام إنذار مبكر لكايبي. كان سيوركين يرى أنه إذا استقال كايبي الآن، فلن يستطيع أحد أن يحرك وكالات الاستخبارات مرة ثانية، وإذا لم يتحرك كايبي فإن سيوركين سوف يتحرك. سيضع جميع أعمال كايبي القديمة أمام الجمهور لتقديرها. في اليوم التالي السبت ٢٥ تموز/يوليو عقد سيوركين واثان من أصدقاء كايبي مؤتمراً صحافياً في فندق ماي فلور في قلب مدينة واشنطن.

لم يدافع سيوركين عن الوضع القانوني لكايبي فقط، بل ذهب في خطوة غير عادية لمحام يشهد على سلوكه. «إنّ خسارة مواهب هذا الرجل مأساة للبلاد. أنا أعرف خدعة الأمن عندما أراها. وفي هذه الحالة لا أراها» وكان سيوركين يتكلم كمسؤول سابق في جهاز الأمن والتبادل.

وتحدث السناتور بول لاسكايت وهو جمهوري من ولاية نيفادا وصديق مقرب من الرئيس ريغان وزوجته ناسي. أظهر تقديراً واحتراماً لكايبي وخاصة خلال حملة الانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٠. وفي مطالبة سياسية واضحة قال لاسكايت: «أعتقد بأنه لولا بيل كايبي لما كان رونالد ريغان رئيساً للبلاد».

استنتج جونز أنه قد حان الوقت للظهور على المسرح. طار إلى واشنطن وأنشأ مركزاً له في فندق ماديسون وجمع فريقاً من اثنين من المحاربين القدامى، وكلفهما مهمة واحدة. الدكتور جيمس كيليس وهو أحد أبطال الحرب العالمية الثانية، خاضر بحياته عمليات كانت جزءاً من اختصاص مكتب الخدمات الاستراتيجية، وعضو الكونغرس السابق جون بلاتنيك وهو ديمقراطي ليبرالي عمل عضواً في الكونغرس لمدة ٢٨ سنة وترأس لجنة الأشغال العامة من عام ١٩٧٠ ولغاية العام ١٩٧٤.

وأول تحرك كان باتجاه السناتور دانييل اينوي وهو أحد الديمقراطيين السبعة في لجنة الاستخبارات. عمل في لجنة مجلس الشيوخ للتحقيق في فضيحة واوترغيت. وكان أول رئيس للجنة استخبارات مجلس الشيوخ عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧ مباشرة بعد تحقيقات تشرش. كان قد فقد يده اليمنى خلال الحرب العالمية الثانية. تحدث كيليس عن إعجابه بأعمال كايبي في مكتب الخدمات الاستراتيجية. وأشاد بجهوده المخلصة لتحسين وضع الوكالة، وبإخلاصه وولائه. نعم، كايبي لم يربح في سباقه مع الكونغرس ولكن على الجميع أن يتفهموا عناد كايبي الإسرائيلي.

استمع اينوي بانتباه وقال أخيراً: «إذا كان جون بلاتنيك يثق بوليم كايبي فانا أتق

٤٥»

قابل فريق كيليس - بلاتنيك اثني عشر سناتوراً من اللجنة وعدداً من الأركان الآخرين.

حوالي الساعة الثانية من بعد ظهر الأحد أرسل كايبي عشرة مجلدات وما ساكنه قدما من المستندات للجنة مجلس الشيوخ لإظهار رغبته في الإجابة على أربع صفحات من الأسئلة. كان هناك عشرون نسخة في عشرين علبة، لكل سناتور علبة واحدة. كما بعث برسالة إلى غولدووتر تقول إنّ كايبي سيكون سعيداً لثقله أمام اللجنة. وفي يوم الاثنين عمّم كايبي تقريراً يبيدي فيه سروره أمام مئات من موظفي الوكالة. وقال إنه تعجب من أن تظفروا على السطح عدة إدعاءات في أسبوع واحد. وطلب منهم أن يتحملوا المسؤولية معه لأنه كان واثقاً من أنه لم يرتكب أي خطأ، ويريد أن يبقى مديراً. وذكرت الصحافة حاسنتهم البالغة. ذهب كايبي إلى بوبي اغان وقال إنّ له طلباً شخصياً؟ هل يدلي اغان بتصريح علني لمصلحة كايبي؟

رأى اغان أنّ هذا أصعب طلب لكايبي. ووافق في الحال. وقبل دعوة للظهور في برنامج إخباري لشبكة أي. بي. سي. ABC التلفزيونية مع تيد كويل. كان اغان يعلم ضمناً أنّ صراع كايبي - غولدووتر يعود إلى العام ١٩٦٦ عندما تشرع كايبي لتسمية الحزب الجمهوري لعضوية الكونغرس ضد أحد أتباع غولدووتر وهو ديرونيان.

وشعر اغان بأنّ هذين الرجلين لا ينسيان هذه النزاعات رغم مرور ١٥ سنة عليها. قام كايبي بعدها بجولة ثانية على أعضاء مجلس الشيوخ. لقد كان يعرف عن أعماله وتوظيفاته المالية حتى آخر ملهم. لم يرتكب لكونه رأسالياً مغامراً يركب المخاطر. والمخاطر غالباً ما تؤدي إلى الفشل والمشاكل والدعاوى القضائية. لكنه لم يُتهم بشيء غير قانوني. وفيما يتعلق بملتيبونيك، نعم لقد كان في مجلس الإدارة، ولكن كان هناك أعضاء آخرون ولم يكن مكلّفاً بإعداد الوضع القانوني للبروصة. حقاً، إن المديرين يتعرضون للشكاوى في بعض الأحيان لكن هل يعني هذا أن يتحمل مسؤولية جميع الأعمال. يمكن أن تكون الشركة مسؤولة عن الحسائر المالية إذا ارتكب خطأ معيناً في عمله ولكن القضية عُرضت في وسائل الإعلام على أنّها جريمة أو خطأ أخلاقي. إنه هراء. وكل من له مصالح وأعمال تجارية يجب أن يفهم ذلك.

السناتور لويد تيسنون وهو ديمقراطي من تكساس وشرى، تفهم الوضع بسهولة. عرف تيسنون الحواجز الصعبة في عالم الأعمال. قال تيسنون بعد لقائه مع كايبي: «لم يضعون قفازات عليه. أريد أن أسمع وأن أرى إثباتاً مقبولاً يجعلني أعتقد بأنّ على السيد كايبي أن يستقيل».

حاز كايبي على ثقة متزايدة وهو ينتقل من مكتب إلى آخر في مجلس الشيوخ. لقد انتهى من قهر الريميل. قال لمجموعة من الصحافيين خارج أحد المكاتب، «لا يوجد أي شيء هنا أنتم تعلمون، أنا غير قلق وحياتي كتاب مفتوح وأنا جاهز لأشرح أي قسم منه».

في ذلك الاثنين قالت أسبوعية النيوزويك إن البيت الأبيض وضع لائحة بمروحيين خلافة كايبي إذا كان ذلك ضرورياً. وكان اسم اثنان غائباً عن هذه اللائحة. وهكذا أوضح مساعدو البيت الأبيض أنه إذا كان غولدووتر يريد الإطاحة بكايبي فإنه لن يأتي بصديقه اثنان.

قال اثنان في البرنامج التلفزيوني، إن وليم كايبي هو الرجل المناسب ليكون مديراً للمخابرات المركزية. واستطاع المحاربون القدامى أن يحضروا المدير السابق للمخابرات المركزية كولبي في برنامج «تقرير مكثيل وحرير» ليدافع عن كايبي. قال كولبي: «إن أسوأ ما يمكن أن يحدث الآن هو استقالة وليم كايبي لأن ذلك يظهر أنه ما عليك إلا اخلاق قصص واهية ليستقبل مدير المخابرات المركزية».

الأربعاء في ٢٩ تموز/يوليو، أي بعد ١٥ يوماً من استقالة هوغل، وصل كايبي إلى الكونغرس لحضور جلسة مغلقة أمام لجنة مجلس الشيوخ في غرفة الاستماع الآمنة للطابق الرابع من مبنى الكابيتول. وبكل مرح رفع يديه قبل دخوله إلى المصعد وقال: «إنها نزهة تعودت عليها، فلقد سبق لي أن تعرضت لمثل هذا» وشعر كايبي بالثقة المتزايدة، فالديمقراطيون في اللجنة كانوا إلى جانبه. وهوغل رحل مع جميع القضايا المالية التي تتعلق بالاستخبارات المغامرة قبل عام ١٩٧١.

أول كايبي بشهادته بعد قسم اليمين وأجاب عن جميع الأسئلة. حول الاستخبارات الضعيفة في الشرق الأوسط وحول اللهجة السياسية في تقارير المحللين. وأقر بأن هوغل تحول إلى اختيار خاطئ وتحت ضغوط الاستخبارات القاسية قال: نعم كان تعيين هوغل خطأ.

ويحذر كما فعل اثنان صرح بأنه لا يريد تسييس الاستخبارات. نعم إن الوكالة ليست في حاجة لأن تدخل في خصم التجسس الداخلي وأنه سيساعد اللجنة في عملها. شهد مثوله أمام اللجنة لحظات غزيرة، سناتور وراء سناتور وكل واحد يختار موضوعه المفضل: شكوى حقيقية أو وهمية أو تقارير صحافية. السناتور بايدن لم يترك كايبي وطرح جميع قضايا المالية واحدة تلو الأخرى.

حين انتهى هؤلاء من إثارة موضوعاتهم جلس كايبي وقال إنه كان رجل أعمال وفي التقليد الأمريكي عليه أن يجازف. وفي الرأسمالية المغامرة، بعض الأعمال لا تعطي نتائج جيدة بل تؤدي إلى مشاكل ودعاوى قضائية وخلافات. وإذا كان ذلك لا يعجب الشيوخ فإنها مشاكلهم وليست مشكلته.

اقترح الديمقراطي هنري جاكسون وتيسنون على اللجنة أن تمنح ثقتها الكاملة وتعوض عن الضرر الذي أحدث خلال الأيام الماضية. ولكنها لم تستطيع تأمين الأغلبية لانتصار مشروعها. وبعد نقاش طويل اتفق الشيوخ بالإجماع على إصدار بيان يقول: «إنه لم

يُشر على أي سبب يجعل السيد كايبي غير ملائم ليكون مدير المخابرات المركزية». وترك كايبي مجلس الشيوخ بعد خمس ساعات رافضاً الإجابة عن أسئلة الصحافيين.

في البيت الأبيض كان الرئيس ريفان يحضر تصريحاً حول انتصاره في موضوع خفض الضرائب، وهو إنجاز هام في كونغرس يسيطر عليه الحزب الديمقراطي. وكان ذلك أكبر انتصار لريفان منذ انتخابه، وركز عليه البيت الأبيض لعدة أشهر لأنه كان بمثابة المؤشر الرئيسي على تحمكه بروزمنة العمل السياسي للأمة.

- «نعم أنا أعرف» قال ريفان وهو يرفع يديه، ولكن هل رأيت ذلك التقرير عن كايبي؟ إنه كان بالإجماع.

في لاغلي راقب كايبي عملية تشاد الخفية التي بدأت ببطء، وصمم على دعم وزير الدفاع السابق حسين حبري لتسلم السلطة وتشكيل حكومة انتقالية للوحدة الوطنية. (عرفت بالتسمية الفرنسية Gunt) وعلى أن يجرر التشاد من نفوذ القذافي، وهذا يتطلب دعماً بالسلاح والمال.

من الممكن أن يكون ذلك سهلاً من الناحية التقنية، وهذا يعني الدخول على الخط المالي الذي تعتمد فرنسا التي أنفقت مائة مليون دولار خلال الأعوام الماضية لتحقيق الاستقرار في مستعمراتها القديمة.

لم يكن لمديرية العمليات معلومات كافية عن سوق السلاح الدولي، عن أفضل البنادق وأحسن الأسعار، وطرق المواصلات والمعاملات المصرفية. وتردد كايبي لأن الوكالة كانت تركز على السليبات وتصّر على أن لا يستعمل حبري هذا الدعم ضد معارضيه السياسيين. وهذا يعتبر تدقيقاً في مسألة حقوق الإنسان التي كانت قضية كبيرة في لجان الكونغرس.

اللغة، قال كايبي متعجباً: هل يريدون ملاحظة أو إشارة من والده حبري؟ كان حبري قاسياً، هل قرأوا تقاريرهم؟ أين كانت الواقعية؟

أثارت هذه العملية الصحافيين، وأظهر بعض التقارير غباء وكالة المخابرات المركزية. قبل استقالته من مديرية العمليات كان ماكس هوغل قد قدم مذكرة حول عملية تشاد إلى لجنة مجلس الشيوخ. وقلق عدد كبير من أعضاء اللجنة من إمكانية استخدام الكلمات الهامة في المذكرة كتبرير للملاحقة القذافي. وتساءل بعض أعضاء الكونغرس حول ما إذا كان حبري هو الشخص المناسب ليتلقى المساعدة. من اليسار وردت أسئلة حول تورطه في المجازر، ومن اليمين أعاد البعض إلى الأذهان تصاريعه حول إعجابه بجاو وكاسترو وهوشي منه. وكان في السابق يدعو إلى ثورة تشمل إفريقيا بأكملها. بالإضافة إلى هذه المشاكل، كان لحبري ومنذ سنوات قليلة، روابط متينة مع القذافي وتلقى السلاح منه. لكن هل نجد وكالة المخابرات المركزية شخصاً معادياً للقذافي أفضل منه؟

زود كايبي أعضاء اللجنة بنسخة عن التقرير الشامل المفصل الذي تضمن أنواع

الأسلحة التي يجب تأمينها وأجهزة الاتصالات والتمن المقدّر والوقت اللازم. أرسل أعضاء اللجنة رسالة سرية إلى الرئيس ريغان يمتحنون فيها على العملية وتسربت أثناء هذه الرسالة، وجاء في الأخبار أن مجلس الشيوخ اعترض على عملية في بلد في إفريقيا ولم يذكر اسم ذلك البلد.

النائب كليمنت زابلوسكي رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب وعضو لجنة الاستخبارات، راجع مذكرة عملية تشاد والرسالة الموجهة إلى ريغان. وهو رجل قانون يبلغ من العمر ٦٩ عاماً، سرب إلى مجلة النيوزويك خبراً بعنوان: «خطة للإطاحة بالقذافي» يذكر فيه أن وكالة المخابرات المركزية على وشك البدء بمشروع واسع النطاق ومرنفع الثمن، للإطاحة بنظام القذافي. ورأى بعض أعضاء مجلس النواب الذين راجعوا الخطة في ذلك محاولة لاغتيال القذافي.

تخوف كايبي من هذا التقرير لأن الوكالة وضعت خطة لها حظ قوي من النجاح، فلقد كانت حليفها الولايات المتحدة، مصر وفرنسا جاهزين للاشتراك بالعملية. يجب نفي ذلك علناً وبسرعة لأن المخاوف من خطة اغتيال القذافي سوف تعزز من جنون العظمة عنده. ولذلك أصدر البيت الأبيض نفياً لما جاء في خير النيوزويك، مع أنه أكد أن هناك رسالة احتجاج من لجنة مجلس النواب ضد بعض العمليات.

بدأ التفتيش عن البلد الذي لم يذكر اسمه في المعلومات وقرر بعض مسؤولي البيت الأبيض أنه من الأفضل أن يسبروا الاسم الحقيقي للبلد فيصبح نفهم ليبيا صحيحاً. في هذا الوقت وقع الرئيس ريغان مذكرة جديدة سرية جداً بناء لطلب وزارة الخارجية، وذلك لتأمين الدعم السياسي والمالي لقائد موريشوس الموالي للغرب وهي جزيرة حيوية بالنسبة إلى الولايات المتحدة. تقع في المحيط الهندي قرب ساحل مدغشقر وعلى طريق نقل النفط. هذا القائد هو رئيس الوزراء رامغولام وهو طبيب يبلغ الثمانين من العمر استمر في الحكم منذ ثلاث عشرة سنة ويواجه معركة عنيفة ضد حركة عسكرية ماركسية وهو بالتاكيد سيخسر هذه المعركة دون مساعدة خارجية. من الممكن أن تصبح هذه الجزيرة قاعدة سوفياتية بحرية. تجل هذا النوع من الأعمال الخفية بالدعم السياسي والمالي للمحافظة على أحد أصدقاء الولايات المتحدة في السلطة. كان الثمن ضئيلاً والربح كبيراً. ولا يعترض أحد عادة في الكونغرس على دعم من هذا المستوى. وكانت خطة وزارة الخارجية إعطاء بعض المال لزعيم اجنبي صديق في بلد صغير حيث حفنة من الدولارات تمكن من شراء الانتخابات وكسبها.

لكن مساعدتي البيت الأبيض غير المتألفين مع المشاكل العالمية ارتبكوا وسربوا أن البلد المهدف هو بلد له الأحرف الخمسة الأولى نفسها لموريتانيا (Mauritius and Muritania) وموريتانيا بلد كبير في شمال غرب إفريقيا، أصبح في الواجهة في اليوم التالي كهدف لوكالة المخابرات

المركزية في إفريقيا. وساد شعور بأن الولايات المتحدة تريد الإطاحة بالحكومة. إسماع كايبي من خداع البيت الأبيض وشك في جهله وكان ذلك سخيلاً لأن الجميع يعرف أن الولايات المتحدة تقيم علاقات جيدة مع الحكومة العسكرية الإسلامية في موريتانيا. ولتغطية هذه السخافة قالت تقارير وكالة المخابرات المركزية إن ليبيا كانت متورطة في محاولة انقلابية فاشلة في كانون الثاني/يناير الماضي.

ثم حصل ما حصل. أصيب الموريتانيون بخيبة أمل وقدموا احتجاجاً. وقال المسؤولون الرسميون الأميركيون للموريتانيين إنه ليس بإمكانهم أن يبحثوا في أخبار صحافية عن عمليات خفية يفترض حصولها. إذا كانت خاطئة لماذا لم يقل ذلك الناطق باسم البيت الأبيض كما قال في حالة ليبيا؟ إن الصمت الإعلامي الرسمي ما هو إلا تأكيد للتقارير الصحافية. وأخيراً حاولت وزارة الخارجية إقناع الموريتانيين بأن تقارير الصحافة كانت خاطئة، ولكن هذا يتطلب إعلان الاسم الصحيح للهدف.

في النهاية تمّ نفي عملية موريتانيا وتسربت معلومات حول الهدف الصحيح، جزيرة موريشوس، بسرعة. ولكن النقطة المهمة تجلت في أن العملية كانت دعماً للقيادة الحالية وليست للإطاحة بها.

إستاء كايبي من ذلك. ألم يكن أحد يفكر؟ والأهم هو حاجة صانعي السياسة في البيت الأبيض لتعلم السياسة الخارجية والتي لا يميز إدارتها مثل الحملات السياسية الخطافية والتسريب والتوضيح. إنه هراء. الكونغرس والبيت الأبيض ووزارة الخارجية والصحافة جميعاً كانوا على علم بالعملية. وفي لقاء في البيت الأبيض مع الرئيس ريغان احتج كايبي على التسريبات لأنه يجب أن تبقى جميع التفاصيل سرية. وقد أعطت الأخبار الأخيرة انطباعاً بأن عمليات خفية ستبدأ في إفريقيا وموريشوس وموريتانيا وليبيا. هل يعرف أحد ماذا يؤثر الخبر الصحافي عن عمل خفي في بلد ما على حملة الوكالة هناك؟ يمكن أن يتعثر جمع المعلومات وأن تصاب العلاقات مع أجهزة الاستخبارات المحلية بنكسة.

سأل محررو النيوزويك رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب زابلوسكي عن خطة ليبيا فنفي علمه بشيء. وألح زابلوسكي لأركان المجلس بأنه وراء معلومات النيوزويك. لقد كان مستقياً ولكن رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب قرر أن لا يقوم بأي إجراء ضد زابلوسكي لأن التسريبات كانت شائعة.

في يوم الأحد ٧ حزيران/يونيه ١٩٨١ تلقى اثنان معلومات مفادها أن إسرائيل استخدمت الطائرات الأميركية المزودة بها لكصف وتدمير المفاعل النووي العراقي الذي يقع على مسافة ١٠ أميال خارج مدينة بغداد. تحقق من ذلك وتبين له بنتيجة اتفاق تبادل المعلومات مع إسرائيل الذي أقره كايبي أنه كان يسمح لإسرائيل بالاطلاع على صور الأقمار الاصطناعية وأنها استخدمتها في التخطيط للغارة. وكانت الإدارة الأميركية تمشي على حبل

اليهودا بين العرب وإسرائيل ولكن اثنان لم يقتنع كيف تستطيع الولايات المتحدة أن تحافظ على سياسة متوازنة إذا سمحت لإسرائيل بإلقاء القنابل فوق جميع بلدان الشرق الأوسط وبمساعدة الاستخبارات الأميركية. ووضع بسرعة قواعد جديدة من شأنها أن تسمح لإسرائيل بالاطلاع على المعلومات الحساسة والصور من أجل الدفاع فقط. وسمح للإسرائيليين بالاطلاع على صور البلدان التي تشكل تهديداً مباشراً أو على الحدود الإسرائيلية فقط. وكانت بغداد على مسافة ٥٠٠ ميل خارج الالامحة.

تابع كايبي الموضوع وكان مسروراً لأن الإسرائيليين تخلفوا عن المشكلة وأعجب بهورهم ووقاحتهم. وعندما عبّر البيت الأبيض عن صدمته وفرض حظراً على إسرائيل بوقف تسليم طائرات ف ١٦، شعر كايبي بأنه من الممكن أن يكون هذا ضرورة دبلوماسية إلا أنه ساءه في مجلسه الخاصة بالهراء. سبق للإسرائيليين أن طلبوا من إدارة كارتر الضغط على العراقيين كي يختصروا برنامجهم النووي. وهددوا بأنهم سيتحركون إذا لم يتخذ أي إجراء. إستطلع الموساد إمكانية قيامه بعملية تخريب ولكن الضربة الجوية كانت الأصح لأن خسائرها أقل لكل من الإسرائيليين والعراقيين، والجدير بالذكر أنه قتل شخص واحد فقط في الغارة وهو فيني في المفاعل النووي.

رأى كايبي أن للاستخبارات الإسرائيلية شكوك حول عمل وكالة المخابرات المركزية. قبل العام ١٩٧٤ أدار رئيس قسم مكافحة التجسس في الوكالة جيمس أنغلون المكتب الإسرائيلي في الوكالة. وأشرف على جمع المعلومات الحيوية الواردة من مجلتي ورجل العمليات في الشرق الأوسط. بعد طرد أنغلون اقتصر نشاطات المخابرات الإسرائيلية لعدة سنوات على إطلاق العنان للموساد وذلك للقيام بأعمال تقدم أهداف إسرائيل وسياساتها.

كان للموساد مصادر بشرية جيدة في ثلاث مناطق حيوية هي لبنان وسوريا والاتحاد السوفياتي. وعلى كايبي أن يقوم بما يسعى لجعل الموساد موضع اعتبار.

أخطأت إسرائيل في بعض مسائل الاستخبارات المهمة فقد كان لوكالة المخابرات المركزية مصادر سرية داخل منظمة التحرير الفلسطينية أمنت في بعض الأحيان تفاصيل عن هجمات محتملة للمنظمة ضد إسرائيل. واقتنع مدير العمليات بأنه لا يجوز إرسال هذه المعلومات إلى إسرائيل لأن إرسالها يجعل المصادر غير فعالة ويعرضها للخطر. كانت لعبة قاسية. وأعجب كايبي بالطريقة التي قبلت فيها إسرائيل بقواعد العمل. يجب حماية المصادر مهماً كان الثمن. كان لهم عقدة حول ذلك. ألم تكن هناك علاقات حيوية سرية لا يمكن لأحد أن يعرفها؟ قال كايبي نعم فالمحافظة على المصدر وعلى هويته تؤثر على قيمة المعلومات. إن قصف المفاعل النووي العراقي كان له الفضل في المحافظة على العلاقات الطويلة الأمد مع المخابرات الإسرائيلية. بعد شهر من قصف المفاعل زار الجنرال يوشا ساغي رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية كايبي. وشعر كايبي بأن ساغي موضع

ثقة، واتفقا على التعامل مع بعضها البعض في المواضيع المهمة.

جرت العادة أن يكرس المدير قسماً من يوم عمله للاتحاد السوفياتي. وكان يطلب أدق المعلومات حول العدو رقم واحد. واستنتج أن الدعاية السوفياتية على الرغم من تعقيداتها لم تكن واضحة. وحث مدير العمليات على أن يتفهم هذه الحالة ويحصل على معلومات واسعة عنها.

في تموز صدر تقرير سري بعنوان «التدابير الإيجابية السوفياتية»، وعمم منه حوالى ثلاث آلاف نسخة، ولعله أكبر تعميم لتقرير صادر عن الوكالة. وصف التقرير التدابير الإيجابية بأنها معرفة وجهات نظر السياسة السوفياتية في العالم ليس فقط بالأصالح الخفية والإعلام بل بالتدابير الإيجابية التي تدرجت من معالجة الأعمال السرية إلى العمليات العسكرية على الاستعمال العلني لمسائل «نزع السلاح» و«السلام» وحتى «الاعتراض» و«التعقل» في مختلف المجالات. هذه التدابير الإيجابية كانت من أهم أدوات السياسة الخارجية السوفياتية.

جاء في نص التقرير: «علم من مصدر موثوق أن ليونيد بريجنيف أمين عام الحزب، كان يوقع شخصياً بعض التوجيهات المحددة، حول التدابير الإيجابية».

بعض الخصوصيات في هذا التقرير المؤلف من ثلاثين صفحة كان السيطرة المادية على صحتين يوميتين رئيسيتين في غانا عن طريق مسؤولين في المخابرات السوفياتية KGB دفعوا بمبالغ مالية للمحررين، وكذلك تزوير المخابرات السوفياتية لآخر وصية وشهادة لرئيس الوزراء الصيني الراحل شوان لاي عام ١٩٧٦ والتي جاء فيها أن الثورة الثقافية كانت غلطة كبيرة. (قال أحد عناصر المخابرات السوفياتية إن قيادة المخابرات السوفياتية اعتبرت هذا التدبير الإيجابي أفضل نجاح تحققه). وساهمت المخابرات السوفياتية بمبلغ ٨٥ ألف دولار لدعم مرشح يساري في نيجيريا. ونظمت حملة لتعديل معاهدة سالت ٢.

هذا ولا ننسى الدعم السوفياتي للثورة اليسارية في السلفادور، والعمل من خلال جبهة سياسية ولجان التضامن (سبعون مظاهرة في أول ستة أشهر من عام ١٩٨١)، والتعاطي البار مع المظاهرات الدولية وخصوصاً الأمم المتحدة.

ركزت بعض مقاطع التقرير على الباكستان، والجهود المبذولة لخلخلة العلاقات المصرية الأميركية، والجهود في موزمبيق لإقامة نظام موال للسوفيات (كانت وكالة المخابرات المركزية تؤمن الدعم الحفي للحكومة الموالية لوانتنطن في هذه الجزيرة في المحيط الهندي).

إستنتج اثنان أن كايبي كان يضاعف سرعته ويستعمل تقرير التدابير الإيجابية من أجل الخلط الأيديولوجي مثل خلط التفاح بالبرتقال. وردت اتهامات خاطئة حول سياسة الولايات المتحدة في السلفادور ونشرت في صحيفة الرافدا والأرفستيا وكالة تاس وأذاعها راديو موسكو. وحكم اثنان على معظم العناصر الدقيقة في التقرير بأنها ضرورية، وتركز

على معلومات من مصادر بشرية جيدة. لم تكن الحملة السوفياتية شيئاً ملفقاً من خيال كايبي، ولكن من الضروري التمييز بين تزوير وصية شوان لاي وغزو أفغانستان.

كان الهدف من التعميم الواسع للتقرير زيادة الاهتمام، واقتراح عمل ما من وكالة المخابرات المركزية لمواجهة السوفيات. ولكن بسبب خيبة أمل كايبي لم تكن الوكالة قادرة على حساب تكاليف هذه التدابير بالنسبة إلى السوفيات. حللت الوكالة الجهود السوفياتية الهادفة إلى تحريك المعارضة لحطة الولايات المتحدة لبناء القنبلة النووية. وهي السلاح الإشعاعي الذي يقتل الأشخاص ولا يؤثر على المباني. جاء في تقرير الوكالة أن هذه الدرجة من الجهود السوفياتية يمكن قياسها منطقياً. إذا حسبنا أن الولايات المتحدة بصدد تنظيم حملة بحجم حملة السوفيات على قنبلة النيوترون فسيتكلف ذلك أكثر من مائة مليون دولار. وقال كايبي عن هذه الأرقام أنها غير دقيقة. على الرغم من ذلك وفي ١٣ آب/أغسطس وبعد شهر من تعميم تقرير وكالة المخابرات المركزية، ألح الرئيس ريغان للصحافيين بأن لدينا معلومات تدل على أن الاتحاد السوفياتي أنفق حوالي مائة مليون دولار في أوروبا الغربية وحدها منذ إعلان اختراع قنبلة النيوترون، ولا أعلم كم ينفقون الآن، ولكنهم يقومون بالحملة الإعلامية نفسها.

شعر اتمان أن لا فائدة من أن يعمم رئيس الولايات المتحدة معلومات غير صحيحة. ولكن كايبي لم ينزع. لقد كذب السوفيات في جميع الأوقات. وكان تقرير وكالة المخابرات المركزية قريباً جداً من الصحة.

- ٨ -

بحلول شهر آب قرر بوزيلو أن يستقيل من منصبه كسفير في نيكاراغوا، وكان قد أوقف تدفق الأسلحة إلى شوار السلفادور لمدة ثلاثة أشهر على الأقل آذار/مارس ونيسان/أبريل وأيار/مايو ولكن قرار الإدارة بإلغاء المساعدات لنيكاراغوا تركه دون فعالية. وعادت الأسلحة تنتقل من جديد. وأقنع بوزيلو معاون وزير الخارجية أندرز - وهو صاحب نفوذ في الإدارة - بالحضور إلى نيكاراغوا والاجتماع مع الساندينين.

في ماناغوا تحدث أندرز بصراحة مع بوزيلو، وأدرك كل منهما قلق واشنطن من تقارير وكالة المخابرات المركزية حول تدفق السلاح من جديد إلى السلفادور. وكانت وكالة الأمن القومي تلتقط ما بين ٦٠٪ و ٧٠٪ من الاتصالات الراديوية من ماناغوا إلى مراكز الثوار في السلفادور مما يدل على أن ماناغوا متورطة بشكل كبير. وبدأ بناء القوة المسلحة للساندينين في بلادهم يثير قلق جيران نيكاراغوا وخاصة الهندوراس في الشمال. قال أندرز إن السياسة في واشنطن كانت تنوي البدء بالأعمال التي تؤدي إلى صدام.

واقترض بوزيلو أن ذلك يعني عملاً خفياً إلا أن أندرز قال: أريد أن أمتنع ذلك فمن الممكن للدبلوماسية أن تقوم بدورها.

وهكذا عقد أندرز وبوزيلو جولة من المحادثات مع القادة الساندينين. وأبدى هؤلاء دائماً رغبة في اللقاء والحوار ولكنهم أوضحوا أنهم لن يسمحوا لأحد ببلزاحتهم وأنهم سيدافعون عن أنفسهم حتى آخر واحد منهم.

وشكا أندرز من أنهم كانوا يضايقون الكنيسة والصحافة ونقابات العمال كما شكا من استبعاد غير الماركسيين عن الحكومة وقال إن الإدارة الجديدة في واشنطن تريد أن ترى الديمقراطية تسود أميركا الوسطى.

وكان جواب الساندينين أن هذه شؤون داخلية.

وقال لهم أندرز إن بلادهم صغيرة ويمكن للولايات المتحدة أن تضرها بسهولة. وأضاف: لا تكونوا وقحين، نحن نتكلم عن الحياة، عن حياتكم وهانذا أعرض عليكم اتفاقاً مع الولايات المتحدة. وفكر الساندينين جدياً في ذلك.

رأى بوزيلو أن أندرز لم يكن يهدف في كلامه لكنه تحدث بصراحة وحذرهم بطريقة واقعية، غير أنه ذهب خطوة نحو الأمام في الدبلوماسية العنيفة.

أراد الساندينيون خصوصيات لهم.

قال أندرز أن يتعهدوا بتحديد قوتهم العسكرية، وطالبهم بعدم التدخل في الشؤون الداخلية والخارجية للدول المجاورة، كان يريدون أن يوافقوا على عدم تصدير الثروة. وبالمقابل تعطي الولايات المتحدة وعداً بعدم دعم الحرس الوطني السابق لسموزا الذي كان يعمل ضد الساندينين. وأفادت التقارير أن هؤلاء المسمون كونترا (من الكلمة الإسبانية كونترا ريفوليوشناري) ينظمون صفوفهم على الأراضي الأميركية. بالإضافة إلى ذلك قال أندرز إن الولايات المتحدة مستعدة للتوقيع على معاهدة عدم اعتداء أو دفاع مشترك مع نيكاراغوا. وقال: «نحن لا نحب نظامكم» ولكن لا يوجد لدينا سبب للتدخل عليكم أن تخرجوا من السلفادور.

قال أورتيجا: لا، ثورة السلفادور هي دعنا وتعطي الأمان لثورتنا.

بعد عودته إلى واشنطن، راجع أندرز القانون الدولي الذي هو في صالح النظام الموجود في أي بلد. إن الطريقة الوحيدة للولايات المتحدة لكي تفعل شيئاً ما كانت الأعمال الخفية، وفوق كل هذا، قرر أندرز أن على الإدارة الأميركية أن تزيح اهتمام الرأي العام عن السلفادور.

أرسل أندرز مذكرة سرية إلى هيج يلخص فيها رحلته، ويستنتج أنه، إذا لم تحصل تغييرات كبيرة، فإنه يأمل بتحقيق اتفاق مع الساندينين.

أعاد هيج المذكرة مع ملاحظة على الهامش: لا أؤمن إلا بعد أن أرى، وفي هذه الأوقات دعنا نتابع العمل في بقية الخطط.

رأى أندرز في مشروع الاتفاق مع الساندينين أنه من العيب والوقاية أن نطلب منهم أن يتنازلوا عن ثورتهم وعن مبادئهم.

بقي كايبي قلقاً تجاه القذافي وذلك بسبب تقرير نشرته أسبوعية نيوزويك من أن وكالة المخابرات المركزية تخطط للإطاحة به أو لاغتياله. لقد تمّ حل الشيفرة الدبلوماسية والاستخبارية اللبية، وغالباً ما كان القذافي يتكلم على خطوط هاتفية غير مؤمنة، وأعطى كل ذلك الولايات المتحدة صورة واضحة عن مشاريعه التدميرية.

وأحد أدوات القذافي كانت شركة الطيران الإفريقية المتحدة، وهي شركة طيران لنقل الركاب والبضائع دون برنامج عمل محدد. وأظهرت معلومات وكالة المخابرات المركزية أنها كانت مؤسسة النقل الجوي للقوات المسلحة اللبية وكان عناصر المخابرات اللبية يشرفون على إدارة الرحلات الجوية وعلى حركة الركاب والبضائع.

جاء في تقرير صدر في آخر آب/أغسطس أن القذافي أمر شركة الطيران الإفريقية المتحدة بفتح ١٨ مكتباً جديداً في إفريقيا بكلفة ٣٠ مليون دولار. وزرعت هذه المكاتب شبكة استخبارات واتصالات وشحن ونقل بريد وركاب. واستناداً إلى معلومات وكالة

المخابرات المركزية، فقد انتحل بعض عملاء المخابرات اللبية صفة الطلاب، وقدم محاسن الشركة رشاوى خيالية لنقل المدفعية والذخيرة وسيارات الجيب والأسلحة والأغنام إلى تشاد. كما تمّ نقل الزيمبابويين المدربين في ليبيا جواً إلى سالزبوري، واستعملت هذه الشركة أيضاً لشحن صواريخ أرض-جو السوفياتية الصنع إلى سوريا.

وضع القذافي خططاً للحصول على السلاح النووي. وفي كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٠ قدم السوفيات ١١ كلف من اليورانيوم الفنى إلى مركز أبحاث خارج العاصمة اللبية طرابلس إلى تاجورا. مع أن هذه الكمية لا تكفي لإنتاج قنبلة (ولن يكون له ما يكفي قبل عام ١٩٩٠ حسب تقديرات وكالة المخابرات المركزية) فإن كمية الـ ١١ كلف زادت عن الكمية التي يقدمها السوفيات عادة مرة واحدة.

وأشارت تقارير أخرى إلى أن اليورانيوم كان يأتي عبر النيجر، وهي دولة في وسط إفريقيا إلى الجنوب من ليبيا، على متن شركة الطيران الإفريقية المتحدة. في ٥ تموز/يوليو ١٩٨١ صدرت مذكرة سرية عن وزارة الخارجية بعنوان «هدف ليبيا التالي»، ورد فيها أنه كان للقذافي طموحات في النيجر.

واستناداً إلى تقرير آخر، فقد أجرت شركة ألمانية غربية تجارب على صاروخ في ليبيا. وكانت الإدارة الأميركية على وشك القيام بمراجعة كبيرة لسياستها.

وعلم كايبي أن تقارير الاستخبارات صيّبت الزيت على نار السياسة. وكلما زادت تقارير الوكالة إلى البيت الأبيض زاد التحرك نحو العمل وخصوصاً بالنسبة لريغان وهيج.

وافق كايبي على قرار لتحدي القذافي الذي أعلن سيادته على خليج سرت وذلك بإجراء مناورات للبحرية الأميركية في الخليج المذكور. إنها حركة محدودة وغير مثيرة، كما أن المجموعة الدولية شاركت الولايات المتحدة في الهزء من ادعاء القذافي بأن سرت بحر ليبي.

حوالي الساعة السابعة صباحاً من يوم الأربعاء ١٩ آب/أغسطس وبينما كانت طائرتان من طراز ف ١٤ تابعتان للبحرية الأميركية تحلقان في دورية حوالي ٣٠ ميلاً داخل أجواء المياه الإقليمية المزعومة، اعترضتها الطائرتان المقاتلة اللبية، وجرى اشتباك جوي أدى إلى إسقاط طائرتين ليبيتين.

ذلك الصباح حيا الرئيس ريغان كبار مساعديه بطريقة الوسترن السينيائي. وبعد ثلاثة أيام في ٢٢ آب/أغسطس وصل القذافي إلى عاصمة إثيوبيا أديس أبابا واجتمع مع الكولونيل منغستو هاييلي مريام وهو شاب ماركسي متحمس. وأثناء الاجتماع كان في الغرفة أحد كبار المسؤولين الإثيوبيين وهو مصدر سري لوكالة المخابرات المركزية للقضايا الحساسة وكانت تقاريره ترسل مباشرة إلى لائحة «بيجوت» الحساسة. وقيمه مدير العمليات بأنه «صادق بشكل عام إلى مئذاه». خلال الاجتماع صرح القذافي بأنه يريد قتل الرئيس ريغان.

وعندما وصل التقرير إلى واشنطن حل التقييم التالي: «اقتنع منغستو بأن القذافي

جدي وينوي ذلك فعلاً وبأنه يجب حمل التهديد على عمل الجدة.

بعد فترة قصيرة التقطت وكالة الأمن القومي إحدى عمادات القذافي حيث قال الشيء نفسه. ريجان كان الهدف. وذكر التقريران في الإيجاز اليومي للرئيس. اقنع كايبي بأن هذا أفضل ما توصلت له المخابرات، أي التقاط مكالمات مع تقرير مصدر بشري. يجب حل كلام مديرية العمليات على عمل الجدة. وناقش كايبي الموضوع مع الجميع، يجب أن نفعل أي شيء ولكن ماذا؟ إنهم لا يستطيعون إطلاق النار على القذافي. وبعد مضي أسبوع دون أي محاولة صد حياة الرئيس برد الجميع. إلا أن كايبي لم يبرء. وأمر جميع وكالات الاستخبارات بالإفادة عن أي همسة إليه شخصياً. ولكن البيت الأبيض أصر على عدم القيام بعمل مباشر.

في أواخر صيف ١٩٨١ تأكد كايبي أن وكالة المخابرات المركزية دوراً كبيراً في إفريقيا الوسطى، كانت لها المصادر والرجال الملائمون. ولم يكثر كايبي لأفكار رئيس فرقة مديرية العمليات في أمريكا اللاتينية ستور سانشيز الذي كان حارباً قديماً منذ ٣٠ سنة والذي أمضى وقتاً طويلاً في المنطقة وكان صعباً جداً في العمليات الخفية. تقاعد سانشيز في آب/أغسطس وساعده كايبي على أن يعين كمعاون لمساعد وزير الدفاع، ليساهم في الجانب العسكري لسياسة الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية، وكان كايبي يفكر في استبداله.

كان رؤساء الفرق أسياداً وأيديهم طويلة، ويديرون العمليات اليومية للوكالة. يجب على السيد أي البارون الذي تمنح ثقة القمة وتُطلق يده في العمل أن يحقق أهدافه. عندما ذهب كايبي إلى باريس ليجتمع مع رؤساء المحطات في أوروبا الغربية منذ أشهر، لفت انتباهه رجل هو ديوان كلاريدج المعروف بدبوبي رئيس محطة الوكالة في روما، الذي رتب عشاء فخماً لكايبي في باريس وتبته جميع التفاصيل وحتى للصلصة الخاصة التي يجيها كايبي. كان لكلاريدج من العمر ٤٩ عاماً وله خبرة في آسيا وأوروبا فقط، إلا أن كايبي عينه رئيس فرقة أمريكا اللاتينية. وكان لكلاريدج مزيجاً من الدم القديم والدم الجديد في الوكالة.

وسرعان ما كان لكلاريدج قناة اتصال خاصة مع المدير دون المرور بشتان أو أمغان. وكان كايبي جاهزاً لأي لقاء أو مكالمات وفي أي وقت، وإذا كان كايبي خارج لانغلي، يجيب عنه مركز العمليات ليلاً ونهاراً وسبعة أيام في الأسبوع، وكانت الوسائل تصل بانتظام ومن ضمنها رسائل كلاريدج وكان كايبي يصل إلى الخط بسرعة ويسأل: ماذا لديك؟

في ٦ تشرين الأول/أكتوبر تلقى كايبي تقريراً فوراً يفيد بأن النار أطلقت على الرئيس المصري أنور السادات بينما كان يشهد عرضاً عسكرياً بمناسبة ذكرى حرب تشرين الأول/أكتوبر. ووردت تقارير من محطة الوكالة في القاهرة ولمدة ثلاث ساعات تؤيد

الإعلان الحكومي المصري الرسمي من أن السادات لم يصب إصابة بالغة، ومع ذلك أفادت تقارير التلفزيون الأمريكي بأن الرئيس المصري قد مات.

وكانت المساعدة الأمريكية للسادات من أجل بقاءه في السلطة عملاً تاريخياً لإدارة ووكالة المخابرات المركزية التي أمنت مساعدة في الأمن السري والاستخبارات.

ومنذ اتفاقات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩ عزل السادات في الشرق الأوسط عن محيطه العربي ولم يعد معترفاً ببلاده. وكانت زوجته جيهان السادات ترتدي ثياباً غريبة وتجذب فكرة استقلال المرأة التي كانت محرمة عند العديد من الأصوليين المسلمين. زودت وكالة المخابرات المركزية السادات بمعلومات دائمة عن مدى تعرضه للخطر وعن القوى المعادية له.

ففي الشهر الفائت وفي إيجاز شخصي، تلقى السادات معلومات مفصلة حول تهديدات من ليبيا وإثيوبيا وسوريا وإيران.

بعد ثلاث ساعات من التقرير الأولي حول حادث إطلاق النار على الرئيس السادات أكدت محطة الوكالة في القاهرة أن السادات قد مات. لقد مات على الفور متأثراً بإصابته بطعنات عديدة.

شعر كايبي بالحجل والخزي بعدما أكد للرئيس ريجان الذي أمضى الصباح في المكتب البيضاوي أن تقارير التلفزيون كانت خاطئة. وقلق كايبي وأمان من احتمال أن تشككي الحكومة المصرية أو تقدم احتجاجاً لأن وكالة المخابرات المركزية دربت الحرس الشخصي للسادات وفشلت في تحذيرهم. ولم يحصل أي شيء ولم تقدم أية شكوى.

وتبين أن الفاعلين هم مجموعة أصولية غلية في حين كانت وكالة المخابرات المركزية تركز على اختراق الحكومة المصرية وتحذير السادات من التهديدات الخارجية ولكنها أهملت القوى الداخلية في مصر. وكان هذا مشابهاً للاجياز الذي حصل في إيران. وهنا جاء دور كايبي. كانت الوكالة بحاجة إلى مزيد من الأتقنة المستقلة في مصر. لم تكن هناك أية حدود لجمع المعلومات وخصوصاً في الشرق الأوسط المتقلب وفي مصر. أراد المزيد من المصادر البشرية والالكترونية وعلى أعلى المستويات في حكومة مبارك الجديدة. وأعطى أوامره لوضع بعض الناس في الشوارع ليرى ما إذا كان أحد سيطلق النار على مبارك!

كان كايبي ضد الاجتماعات الموسعة في البيت الأبيض ولم يكن يتكلم فيها إلا قليلاً. وإذا تكلم فإنه لا يلفظ كلماته بوضوح، حتى إن أحد الحضور كان يحاول أن يترجم أو يفسر كلامه إلى الرئيس ويقول: كما كان يقول المدير كايبي، أو كما قال بيل، وذلك لعدة مرات. ولأحظ كايبي أن جيمس باكر يتضايق من هذا.

كانت قناة اتصاله بالرئيس ريجان مفيدة. وعندما كان لديه شيء مهم كان يتصل بالمكتب البيضاوي. ذات جمعة حضر إليه أمير سعودي مهم وطلب منه أن يقابل الرئيس،

فاصله لمقابلة الرئيس ريغان. وعندما عرف هيج بذلك أبدى انزعاجه، ولكن كايسي كان يؤمن بأن بعض العلاقات الحساسة يجب أن تبقى بعيدة عن أنظار وزارة الخارجية حيث يمكن أن تتسرب ويحصل ما لا تحمد عقباه.

وكان لوكالة المخابرات المركزية علاقات خاصة في معظم أنحاء العالم العربي وأبرزها مع الحسن الثاني ملك المغرب. فبعد أن شق بعض الثوار المدعومين من ليبيا طريقهم إلى حامية مغربية في ١٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١ في الصحراء الإسبانية سابقاً، طلب الحسن الثاني المساعدة، وحمل كايسي طلبه مباشرة إلى الرئيس ريغان وقال نريد أن نساعد. وسرعان ما تشكل فريق من ٢٣ شخصاً من وزارة الدفاع ووزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية وأودع إلى المغرب. ومرة ثانية تجاهل البيت الأبيض هيج ووزارة الخارجية. في غضون ذلك، كان غولدوتير لا يزال ينتظر خريف ١٩٨١ لينتهي من سير أغوار

قضايا كايسي المالية. وتم مراجعة حوالي ٣٨ ألف صفحة من المستندات ومقابلة حوالي ١١٠ أشخاص. وفشل كايسي في أن يعدد عشرة استخبارات تزيد قيمتها عن ٢٥٠ ألف دولار وديوناً شخصية والزامات بحوالي ٥٠٠ ألف دولار وأربع دعاوى مدنية إضافية كان متورطاً فيها، وأكثر من ٧٠ زبوناً قانونياً مثلهم في السنوات الخمس الماضية، ومن بينهم حكومتان أجنبيتان: كوريا وأندونيسيا.

تشام المستشار الجديد في لجنة الاستخبارات إيرفين ناتان وهو موظف كبير سابق في وزارة العدل من أوضاع كايسي المالية، مع أنه لم يستطع الاطلاع على المستندات، ولم يحصل على تقارير الضرائب الخاصة بكاييسي، ولم يسمح له بمقابلته. وحرر تقريراً من تسعين صفحة يتضمن الأسئلة التي لم تتم الإجابة عنها. وكان كايسي قد لوث قدمه بالكسل الأبيض من جراء اللعب على مقربة من خط الجراء طول حياته.

اختار غولدوتير أحد قدامى وكالة المخابرات المركزية وله من العمر ٣٨ عاماً عمل مدة عشرة سنوات في مديرية العمليات، روب سيمونز، ليكون المدير الجديد للجنة استخبارات مجلس الشيوخ. وكان سيمونز قد عمل في تايوان عميلاً لوكالة المخابرات المركزية من العام ١٩٧٥ حتى العام ١٩٧٨ وأشرف على العمليات التي منعت الحكومة التايوانية من الحصول على المواد اللازمة لصناعة الأسلحة النووية. ودبر سرقة خطة الحكومة التايوانية لصناعة القنبلة النووية ومحاولتها شراء أجزاء حساسة من السلاح النووي. وأول مهمة للجنة مجلس الشيوخ كانت إنهاء التحقيقات المتعلقة بكاييسي.

قال غولدوتير وهو يطلب التقرير النهائي: «لا أريد أكثر من صفحة واحدة». توصل سيمونز إلى تقرير من خمس صفحات أكد حكم اللجنة السابق من أنه لم يعثر على مستندات أو أسباب يستتج منها أن السيد كايسي هو غير ملائم ليكون مديراً للمخابرات المركزية. ذهب سيمونز إلى لانغلي في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر مصطحباً معه

نسخة عن التقرير. وفي مكتب كايسي في الطابق السابع الذي جهز بديكور وأثاث من النمط الفرنسي، شعر مدير لجنة مجلس الشيوخ بأنه ضابط صغير يسلم تائب القيادة إلى ضابط برتبة جنرال. ولكن سيمونز أوضح أن تقريره كان إنجازاً، ومن الأفضل أن تدفن المسألة وتنتهي مع أن هناك أناساً أرادوا تقريراً من ٨٠ إلى ١٠٠ صفحة.

احتج كايسي وقال إنه نظيف.

قال سيمونز إن أي نزاع حول هذا الحل الوسط الذي يقدمه يمكن أن يؤدي إلى معركة طويلة مع اللجنة لأن هناك عدداً من الأعضاء لا يسرهم إنهاؤها. وألح سيمونز إلى أن المعركة يمكن أن تكون دموية وتؤدي إلى نزاع طويل وربما إلى رحيل مدير المخابرات المركزية. قال كايسي: لن يستطيع أحد أن يتزعم مني وظيفتي، أنا أعمل لصالح الرئيس ريغان. قال سيمونز: هذا الحل الوسط نهائي.

- «حسناً» قال كايسي «سحاربه».

نُظِم التقرير في كانون الأول/ديسمبر عندما كانت الأخبار قديمة ولم تبدر أية سلبية من كايسي الذي قال لأصدقائه ولصوفيا: «جميع هذه الأمور التي تظهر في الصحافة ووسائل الإعلام تؤذي ليوم واحد فقط».

أدرك سيمونز أن كايسي لا ينوي الذهاب أبعد من ذلك.

ما انفك كايسي يطالب بوضع خطة شاملة للعمل في أميركا الوسطى ولكن لم يكن هناك إجماع داخل الإدارة. وكان الرئيس يطلب اتفاق مستشاريه الكبار وعندما لا يحصل ذلك لا يتخذ قرارات. أما هيج فقد انتابته هواجس كوبا، وتخوف وينرغر من شبح فيتنام والاتزامات الكبيرة، ولم يرغب بزعج الأولاد الأميركيين في فخ حرب أدغال جديدة. أما باكر والأخرون في البيت الأبيض فعلموا لكي يحافظ ريغان على روثانته المحلية. لم يكن هيج متأنفاً مع نزعة ريغان الشعبية. كان أحياناً يتعلق الرئيس وأحياناً أخرى يتغلس ويقول إن سياسة ريغان الخارجية تتوقف على نوع التوجهات التي يعطيها هو، أي هيج!

كان كايسي هو المسؤول الوحيد في الإدارة الذي انسجم مع هيج. وكان لها تطور منتظم كل نهار ثلاثاء، مصحوبين غالباً بمساعديهما، وذلك بشكل متتابع مرة في وزارة الخارجية ومرة في وكالة المخابرات المركزية. اعتقد كايسي بأن هيج تفهم السياسة الخارجية وكان متأنفاً مع العالم الخارجي وكانت وجهة نظره متصلة مثله.

وإذ أراد كايسي أشياء ملموسة لتخليص السلفادور كان يتلاعب على رغبات هيج، وينرغر وأركان البيت الأبيض. كانت الجهود لارتقاء بالديمقراطية في السلفادور ممتازة إلا أنها لم تكن كافية.

إتفق هيج واندروز على زيادة الأعمال الخفية وأن على الولايات المتحدة أن تشتري أي عملية يقوم بها الغير مثلما استغلت العملية الفرنسية في تشاد.

توجه كلاريدج إلى بوينس آيرس حيث كان المحطة وكالة المخابرات المركزية علاقات وثيقة مع الجنرالات الذين حكموا البلاد. صعدت المخابرات الأرجنتينية من عدائها للشيوعية ونفذت برنامجاً عقائدياً معادياً للماركسية. وكان الجنرالات قلقين من وضع المونتيروس وهم الشوار المعادون للدكتاتورية والذين عملوا خارج نيكاراغوا. وكانت الأرجنتين تدعم المقاومة ضد الساندينين، وتُدرَّب أكثر من ألف شخص في الهندوراس شمال الحدود مع نيكاراغوا. عرض كلاريدج هذا الوضع لاندروز ومجموعة «القلب»، والديبل الوحيد العمل من خلال تشلي إلا أن الدكتاتورية هناك كانت أسوأ ومكتشفة أكثر.

سأل اندروز بتمعجب: هل يقوم بذلك الإسرائيليون؟ اجاب كلاريدج: هذا غير عملي لأن الأرجنتينيين كانوا في المنطقة نفسها. ووضع اندروز الخطوط العامة لعمل خفي محتمل وقدمه إلى هيغ. قال هيغ هذا غير كاف وأراد تحديد مكان التعرض بالضبط. وأضاف: بما أن البيت الأبيض لن يوافق على ضربة مباشرة لكوبا فإرأيك بضربة على معسكر كوبي في أنغولا دون تحذير؟

لم يوافق أحد على اقتراح هيغ ولا حتى في وزارة الخارجية. وتخوف من أن تؤدي عملية نيكاراغوا إلى تحول خطر، وعندها إذا لم تتحرك الولايات المتحدة فسوف تخسر حقاً. وهذه العملية هي الوحيدة التي تلقى دعماً وتأييداً في البيت الأبيض ووزارة الدفاع وفي وكالة المخابرات المركزية.

يوم الإثنين في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر الساعة الرابعة بعد الظهر جمع ريغان مجلس الأمن القومي في غرفة الاجتماعات الحكومية. قال اندروز الذي نال موافقة مجموعة «القلب» إنه يجب أن نتابع البرنامج السياسي للسلفادور نحو الديمقراطية. ويجب أن توضع المؤسسات الديمقراطية في العمل هناك وفي جميع أنحاء أميركا الوسطى. وهذه هي الطريقة الوحيدة لاكتساب الشرعية لهم ولنا.

يجب زيادة المعونات المالية والعسكرية حوالي ٣٠٠ مليون دولار للمنطقة وللبحر الكاريبي. وأضاف: يجب أن نجد طريقاً لإعادة المفاوضات مع نيكاراغوا، أو علينا أن نوجه قواتنا نحو المصدر، كوبا، التي كانت صندوقاً فارغاً. يجب تحويل الصراع في نيكاراغوا نحو الأعمال الخفية. وأضاف اندروز: إن عملية دعم المقاومة لن تطيح بالحكومة الساندينية «إنها يمكن أن تترك الحكومة وتضيّعها».

كان هيغ هو الصوت المعارض الوحيد، وعبر عن شكوك وليس عن معارضة تامة. ووافق الرئيس من حيث المبدأ. وعرض مجموعة واسعة من الأعمال والإجراءات، إلا أنه علق موافقته على خطة سرية لوكالة المخابرات المركزية لدعم الأرجنتين.

كان هيغ يصدد القيام بأخر محاولة دبلوماسية، وبعد ستة أيام، طار إلى المكسيك سراً

ليجتمع مع نائب الرئيس الكوبي كارلوس رافاييل رودريغز. ولم يسفر الاجتماع عن أية نتيجة، ولم يجد هيغ أساساً صالحاً للتفاهم مع الكوبيين.

يوم الثلاثاء في ١ كانون الأول/ديسمبر تناول هيغ وكايبي طعام الفطور المنظم، وبعد الظهر التقيعا مع ريغان لمدة ٤٠ دقيقة ضمن مجموعة تخطيط الأمن القومي في غرفة الأوضاع في البيت الأبيض. وكانت هذه المجموعة هيئة عالية المستوى تعالج المسائل السياسية الخارجية. وكانت تضم الرئيس ونائب الرئيس وميز وباكر وديفر وهيغ ووينرغر وكايبي، ويحضر أحياناً أحد المساعدين. وكان مستشار شؤون الأمن القومي ريتشارد آلن قد أخذ إجازة، وذلك بسبب التحقيقات التي أقر واعترف فيها بأنه قُبل مبلغ ألف دولار من الصحافي اليابانيين، واحتفظ بها في البيت الأبيض.

عرض كايبي الخطة الخفية. طلب مبلغ ١٩ مليون دولار لمساعد الأرجنتين على إنشاء قوة من خمسمائة عنصر كنواة للمقاومة ضد الساندينين، على أن تعمل من مخيمات في الهندوراس. وقال إنه سيحتاج إلى مزيد من المال في المستقبل وإن قوة الخمسمائة رجل ستتمو وتكبر حقاً.

واقفه على ذلك ثلاثي البيت الأبيض أمّا هيغ فاعتبر أن هذا هو نصف تدبير. وكان وينرغر سعيداً لأن الخطة أبعدت أي دور لوزارة الدفاع. وكان بوش سعيداً أيضاً بإعادة إحياء الإمكانات شبه العسكرية لوكالة المخابرات المركزية.

في ذلك اليوم وقّع ريغان مذكرة سرية جداً تسمح فيها بعمليات سياسية وشبه عسكرية لوقف دعم الساندينين لسائر الحركات الثورية في أميركا الوسطى ومن ضمنها السلفادور.

الجنرال ديفيد جونز رئيس الأركان المشتركة وهو أعلى عسكري في البلاد، والوحيد الباقي من إدارة كارتر في مجلس الأمن القومي، نظر إلى الموافقة على عملية نيكاراغوا بشيء من التخوف. ومن خلال إطلاعه على معلومات الاستخبارات لم يكن واضحاً ما إذا كانت جميع الاضطرابات في أميركا الوسطى بإيعاز من كوبا أو من الاتحاد السوفياتي. كان كايبي يراها في إطار الصراع بين الشرق والغرب، وكان المشاكل تنتهي إذا انتهى الشيوعيون. وبالنسبة إلى جونز بدت المشاكل الاجتماعية والاقتصادية أكبر، وجعلت من بلدان أميركا الوسطى أرضاً خصبة للحركات الثورية الماركسية. ورأى أن كبار المسؤولين في إدارة ريغان يتقنون بعض المعلومات ويجمعونها ليشتوا سير الأحداث. كان جونز يعرف الاستخبارات جيداً وأدرك أنه من السهل جمع المعلومات واستعمالها للتأكيد على الدور الشيوعي.

ولكن أسوأ تدبير كان اختيار الأرجنتين، وأدرك جونز أن الأرجنتينيين معادون للشيوعية، ولكنهم لا يفعلون الكثير. وكانت نيكاراغوا على بعد أكثر من ٢٥٠٠ ميل عن الأرجنتين. من العاصمة بوينس آيرس إلى العاصمة ماناغوا كانت المسافة ٣٧٠٧ أميال

جراً. ولماذا القلق من مجموعة ثوار المونتنيروس واقتراس أنها تهدد النظام الأرجنتيني من على بعد قارة؟ لا يوجد أي معنى لهذا. إلا أنه يمكن التأثير على الأرجنتينيين لكي يقوموا بأي عمل يطلبه منهم الولايات المتحدة.

في البيت الأبيض، كان التقييم أن الإدارة لا تستطيع الحصول على دعم الكونغرس أو على الدعم الشعبي إذا كان دور الولايات المتحدة علنياً. وانتاب شبح فيتنام كل من جلس إلى الطاولة في تلك الاجتماعات. أراد جونسون وبعض المسؤولين أكثر من ٥٥ خبيراً في السلفادور وهو حد أقصى وضع في البيت الأبيض، ولكن جونسون قلق من أن الإعلان عن زيادة عدد المستشارين يمكن أن يحرك الخطابات. وهكذا دخلنا إلى فيتنام. و «لقد وضعنا قدماً على الباب»، وهذا «هو الجزء الأول من التصعيد».

نظر اثنان بارزين إلى الموافقة على العمل الخفي في نيكاراغوا. صحيح أن الدعم الخفي لعملية أرجنتينية شبه عسكرية كان الحل الوسط والأكثر اعتدالاً من بعض أفكار هينغ، ولكنه كان واضحاً أن الإدارة لا تريد أن تستهلك رصيدها السياسي في الكونغرس لتحظى بالموافقة على هذه السياسة. وسوف يثير الطلب العلني من الكونغرس للتمويل ضجة شعبية. وبالنسبة إلى اثنان فقد رأى أن الاهتمامات السياسية المحلية كانت توجه الأعمال الخفية ولكن كان لديه القليل ليفعله. وكان كايبي قد أوضح أنه أنه سيدير هذه العمليات بنفسه، وأن خط الصلاحيات ينطلق من كايبي إلى مدير العمليات، وفي هذه الحالة إلى رئيس فرقة أميركا اللاتينية ديوي كلاريدج.

تبين لأثنان أن هناك مشاكل آخر لهذه العملية. وكان من المقرر أن يبدأ العمل الخفي عندما تُحط الجهود الدبلوماسية للبيت الأبيض ووزارة الخارجية. هذه هي المشكلة. الطريق الدبلوماسي لم يكن ناجحاً. كما أن العملية الدبلوماسية - خطوات المفاوضات والاجتماعات التي لا نهاية لها والاقتراحات والاقتراحات المعاكسة - كانت متعبة فعلاً. العمل الخفي يختصر الطريق، ويؤمن للإدارة الجديدة راحة في العمل وشعوراً بأن هناك طريقاً خفياً للقيام بأي عمل، وبأن هناك سياسة خفية خارجية تدفع بمصالح الولايات المتحدة إلى الأمام. تعجب اثنان حول هؤلاء غير الأميركيين الذين تريد أن تدعمهم بلايين الدولارات. من هم هؤلاء؟ وما كانت أهدافهم؟ هل هي نفس أهداف ومبادئ الأمم المتحدة؟ هل يمكن السيطرة عليهم؟

إذا كان الهدف الحقيقي وقف تدفق السلاح من نيكاراغوا إلى السلفادور، فقد توقع ذلك فعلاً. هناك خطأ ما. ليس من الضروري أن يكون منع السلاح عملاً خفياً. لم تكن هناك حدود مشتركة بين البلدين والطريق البرية الوحيدة كانت عبر الهندوراس. ومن حق الولايات المتحدة أن تدعم وبشكل علني الهندوراس والسلفادور لمنع تدفق الأسلحة من

نيكاراغوا. وهذا يصبح أكثر فعالية عندما ينفذ علناً. ولكن لا يريد أحد أن يبذل أي جهد ليعيد ذلك للكونغرس.

كانت أسهل طريق بحرية لنقل السلاح من نيكاراغوا إلى السلفادور عبر خليج فونسكا وهو على بعد ٢٠ ميلاً. وكان الملحق البحري الأمريكي في السلفادور والأخرون يراقبون الخليج كالصقور. ولم يسجلوا أي عبور لهذا الخليج.

حاول اثنان أن يجد طريقاً ليعالج شكوكه حول الوكالة برفق. سأل كايبي ما إذا كان مدير العمليات جون شتان يؤيده في هذه العملية، وذلك ليتأكد مما إذا كان أحد المحترفين، والذي يعلم بكل خطوة، قد وافق، أو طرح أسئلة، ولكن كايبي كان نافذ الصبر وقتم قائلاً: ياه، ياه وهو بذلك يعطي الانطباع بأنه ليس بحاجة إلى وجهات نظر اثنان.

وكما هو معروف يجب إبلاغ لجنتي الاستخبارات في مجلس النواب ومجلس الشيوخ بمضمون مذكرة الأعمال الخفية. وكان غولدمور رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ في طور الإبلاغ من عملية جراحية في وركه ولذلك ترأس مونيهان اجتماع اللجنة. وعندما تُبئت المذكرة والملاحظات، لم يصدق مونيهان. قال: إذا أرادوا أن يضغطوا على الساندينيين فإن ذلك يمكن تفهمه، ولكن لا تستخدموا جنرالات الأرجنتين. كان الأرجنتينيون رمزاً للدكتاتورية اليمينية، وكان الارتباط بهم يعني أن الولايات المتحدة تبارك قوى الثورة المضادة. ولقد كان سوموزا أكثر بقليل من جنرال أرجنتيني. إنها حقا تظهر عدم رشاقة سياسية، ولم يستطع مونيهان أن يسأل ويقول أكثر من ذلك.

جاء في القوانين النافذة أنه يجب إعلام اللجنة بالانشغاطات الاستخبارية الكبرى قبل المباشرة بتنفيذها. إن إدارة السياسة الخارجية والسياسة الدفاعية وسياسة الاستخبارات كانت يحكم الدستور بيد الرئيس. يجب أن ينتبه الرئيس، أي رئيس، وخصوصاً ريغان هذه القوى ويجذر منها. لم يعترض مونيهان، ويمكن للجنة أن تفعل القليل إلا في حال قررت عدم منح المال اللازم لتنفيذ العملية. ولكن الرئيس لديه احتياطي يبلغ ٥٠ مليون دولار للطوارئ، ومن الصعب الإمساك بهذا الاحتياطي.

وهناك مشكلة أخرى، لقد أقسم أعضاء اللجنة اليمين للمحافظة على سرية المواضيع، ولا يجوز الحث في اليمين. إن صمت أعضاء اللجنة خارج القاعة تحول إلى إذعان مفروض. يمكن لعضو منفرد أن يأخذ على عاتقه النسخ عالي، أو أن يسرب بطريقة الخاصة، ولكن يجب أن يتأكد هذا العضو من أن ما يقوم به هو صحيح من الناحية الأخلاقية. وشعر مونيهان بأن اللجنة قد حشرت، لكن ذلك لم يكن بالغ الصعوبة. من الأفضل أن لا يعرف، ويمكن أن يطرح أسئلة بينما تكون العملية في مجرى تنفيذها.

على صعيد لجنة مجلس النواب تقدم كايبي شخصياً من اللجنة، وقال إن العملية بدأت فعلاً. وبدأ بها الأرجنتينيون واشترأها الأميركيون، وأعدت الخفيات في الهندوراس

وتمجندوراسيون للأرجنتينين باستعمال أراضيهم كقاعدة انطلاق.
للقيام ماذا؟

لضرب أهداف داخل «نيكاواوا» قال كايبي ذلك وهو لم يستطع أن يلفظ نيكاواوا بشكل صحيح. وعندما كان يصل إليها كل مرة كان يتوقف ويحاول أن يلفظها جيداً إلا أنها كانت تصدر منه «نيكاواوا». وعلى أي حال، قال كايبي إن مجموعات المقاومة من الكونترا كانت تريد ضرب أهداف محددة، وهي منشآت كويبة لدعم الثورات.
كيف؟ ومتى؟

عمليات كوماندو تتجلى في عبور الحدود وضرب الأهداف في منتصف الليل ثم الانسحاب إلى الهندوراس.

بدا عدد كبير من أعضاء لجنة استخبارات مجلس النواب وكأنهم يقفزون من تعجبهم! لم يتوقعوا عملية شبه عسكرية بهذه الدرجة. وطرحنا أسئلة عديدة. ماذا يحدث إذا تبين أنكم تدربون في الهندوراس؟ ماذا يحدث لو توجه الساندينوني نحو الهندوراس كرد فعل؟ وهل هذا يثير العدواة بين البلدين؟ ماذا يحصل إذا كان رد فعل الساندينوني طلب المزيد من المساعدات من كوبا؟

قال كايبي إنه لا يمكنه الإجابة عن هذه الأسئلة بدقة.

تعجب النائب لي هاملتون الديمقراطي، من ولاية انديانا، وتساءل هل هذه العمليات مشروعة في القانون الدولي وفي مضمون سائر المعاهدات الإقليمية؟ إن الولايات المتحدة تضع نفسها في وضع عدواني ضد بلد تربطها به علاقات دبلوماسية، كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ أجاب كايبي أن الكوبيين والنيكاواغيين هم عدوانيون، ويدعمون الثورات، ولكنه لم يوضح ولم يفصل في ذلك.

كانت طريقته تتمثل في أن لا ينحني لأحد وحتى للأعضاء الجمهوريين في اللجنة. النائب كينيث روبنسون وهو محافظ من فرجينيا وصديق الإدارة ألقى نظرة سريعة على كايبي وقال بجد: «لم تفكر من خلال ردة الفعل؟»

راقب كايبي تدفق المعلومات من الكولونيل البولوني والدسلو كوكلسكي وهو مصدر لوكالة المخابرات المركزية في الأركان العامة البولونية. وكانت معلوماته صحيحة ودقيقة، وقد أعد نظاماً خاصاً في الاتصالات لتأمين وصولها بشكل منظم. أفاد الكولونيل عن خطة لفرض الحكم العرفي على نقابات التضامن المستقلة من قبل السلطات البولونية. تأكد كايبي من وصول هذه المعلومات مباشرة إلى الرئيس. وكان هذا إنجازاً كبيراً لوكالة المخابرات المركزية، وما نقص من الخطة كان تاريخ التنفيذ.

في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر تلقت لانغلي طلباً عاجلاً من عطنها في وارسو. أعطى الكولونيل كوكلسكي إشارة عاجلة تعني أنه على وشك أن ينكشف وأكد السوفييات في

اجتماع في ذلك النهار أن الخطط السرية كانت تسرب إلى الولايات المتحدة، وساهم كوكلسكي في التعبير عن استنكاره وذلك ليغطي نفسه. وأبدى رغبة في الرحيل. ووصلت هذه العبارات: «وعنده وكالة المخابرات المركزية بالجوه السبامي عندما يرى ذلك ضرورياً» وصدق كايبي على أمر تسلسل خارجي يسمح لمحطة وارسو بأن تسحب الكولونيل وزوجته وأحد أبنائه بسرية وسرعة. وكانت عملية متقنة ومكلفة وخطرة، وذلك بإنشاء طريق تحت الأرض لثلاثة أشخاص. وفي ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر كان الثلاثة خارج بولونيا في طريقهم إلى حياتهم الجديدة في الولايات المتحدة.

إن خسارة معلومات الكولونيل البولوني فادحة. عندما بدأ البوليس الخاص حملة اعتقال خمسة آلاف من البارزين في نقابات التضامن في ساعات الصباح الأولى من يوم ١٣ كانون الأول/ ديسمبر، أصيبت وكالة المخابرات المركزية بمفاجأة. لقد انتهت أول نقابة مستقلة في دولة شيوعية.

كان ائمان يزداد تدمراً. كانت الأعمال الخفية برأيه تبعد عن المهام الحقيقية لوكالات الاستخبارات. الاستخبارات هي جمع معلومات أو ما كان يسميه ائمان الاستخبارات الإيجابية أي المعلومات عن البلدان الأجنبية وتقديمها لصانعي السياسة.

ركز ائمان على «الائتمات والتحذيرات» في نشاط الحكومات. وهذا يعني دعم الاستخبارات البشرية واستثمار الأتقار الاصطناعية لتأمين ثنائية المصدر واستمرار تدفق المعلومات ودعا إلى خطة طويلة الأمد، تنظر نحو المستقبل بمقدار خمس سنوات أو سبع، ولكنه كان يعرف أن الإدارة لا تهتم بالمستقبل البعيد، وأن المشاكل الآتية استهلكت ٧٩٩٪ من مجهود الإدارة. شن ائمان حملة على نمط رحلات كايبي نحو المستقبل، وأمر بإجراء الدراسات وعقد الاجتماعات. في ٥ آذار/ مارس أقيم مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي ريتشارد آلن أن يطلب من كل وزارة ووكالة أن تدرس وتعدد مشاكل العالم التي تتوقع أن تتعامل معها في الفترة ما بين ١٩٨٥ - ١٩٩٠، بما في ذلك جميع النشاطات السوفيياتية والانتفاضات السياسية، والوضع الاقتصادي العالمي، والارهاب، وزيادة الأسلحة النووية. ساعد ائمان باتصالاته البحرية على توجيه طلب دراسة إلى رئاسة الأركان المشتركة.

طلب البيت الأبيض من كايبي أن ينسق المجهود ولكنه، كما توقع ائمان، حوّل العمل إلى نفسه بسرعة. طلب ائمان من كل وزارة أن تقيّد عن حاجتها من الاستخبارات، ولم يعارض ذلك أحد لأنه كان غير مؤثر من الناحية البيروقراطية. في غضون بضعة أشهر حصل ائمان على لائحة رغبات يحتمل أن يوافق عليها الجميع لأنها لم تُطع أفضلية لأي موضوع. وسأل كل وزارة أو وكالة أن تفيد بما تفكر أن تفعله في كل منطقة. وسأل الجميع ماذا يتوقعون أن تفعل بقية الوزارات والوكالات.

وعندما انتهى ائمان من ذلك، كانت الصورة واضحة. فقد ظهرت الحاجة إلى تطوير

الاتصالات بين العملاء السريين. واستقدمت الوكالة للعمل ما يسمى «جهاز الإرسال المتفجر» وهو يرسل رسالة طويلة بسرعة كبيرة في ثوان معدودة، ويقفل من احتياض التعرض والانكشاف. كان التطور التكنولوجي مذهلاً ومكلفاً. أما الكتابة بأحرف صغيرة جداً فقد كانت مشكلة تطلبت أن تكون المعدات الالكترونية ومن ضمنها أدوات الأقمار الاصطناعية صغيرة جداً لتلائم المسطحات الفراغية، أو لكي تخبأ في بلدان الساتر الحديدية (البلدان الشيوعية). وكان عليها أن تعمل لسنوات دون صيانة.

تأكد اثنان من أن جمع المعلومات أهدل للحالات الصعبة أي للأزمات أو للحروب. وهذا يتطلب إمكانية الاتصال ونقل كمية كبيرة من المعلومات بأمان، من وإلى الأماكن التي ليست بالضرورة أماكن ساخنة.

كانت الاستخبارات الأميركية بحاجة أيضاً إلى أجهزة دعم ومصادر بديلة، وإلى تغطية أكبر لترددات صور الأقمار الاصطناعية، وإلى جدول زمني لتطوير المعلومات. وبحلول خريف ١٩٨١ انتهى اثنان من إعداد أول مسودة للخطة وعنوانها: «إمكانيات الاستخبارات من العام ١٩٨٥ إلى العام ١٩٩٠». تفحصها كايسي وطرح أسئلة كثيرة، وطلب إجراء بعض التعديلات، ولكنه بشكل عام أحب هذا المشروع. حققت إجماعاً فيما يتعلق بالاحتياجات، وحددت كيفية إمكان توفيرها.

وكان السؤال الأساسي: هل هذه الزيادة بمليارات الدولارات في الموازنة، تلحظ كجزء من خطة ريغان للبناء الدفاعي أو بشكل منفصل؟ وتؤكد اثنان أنه لن يستطيع أن يبيع البرنامج لوزارة الدفاع. أما مساعد وزير الدفاع فرانك كارلوتشي فحضر بأن جمع المعلومات كان خط الدفاع الأول وأن التحسينات المطلوبة مكلفة وبحاجة إلى مليارات الدولارات في ميزانية الدفاع وعلى المدى الطويل.

حصل كايسي على موافقة جميع الوزارات والوكالات، ثم قدم الخطة للرئيس تحت طابع سري جداً. وكان هناك عدد قليل من الوثائق الأكثر حساسية في الحكومة الأميركية. إنها كانت خريطة لمستقبل الاستخبارات. اجتمع الرئيس ريغان بمجموعة تخطيط الأمن القومي لمناقشة خطة الاستخبارات للسنوات الخمس القادمة.

كانت هذه المجموعة منبراً للسياسة الخارجية، وكانت تراجع جميع القضايا. وأظهرت خطة اثنان أن ميزانية المخابرات التي كانت ٦ مليارات دولار عام ١٩٨٠ سوف تصل إلى حوالي ٢٠ مليون دولار في عام ١٩٨٥. وفي سبيلولوجية السلم، كان جمع المعلومات هو الدعامة الأساسية، وبناء لطلب من الرئيس ريغان استغل الجانب الأميركي التكنولوجي والفناء والالكترونيات.

بعد الاجتماع والناقشة قال الرئيس: «لا أرى كيف نتحمل ألا نقوم بهذا».

- ٩ -

زاد قلق البيت الأبيض لأن تقارير الاستخبارات اعتبرت أن تهديدات القذافي بقتل ريغان أو بشن هجوم إرهابي ضد الولايات المتحدة كانت جدية. واعتبر كايسي ذلك أنه الموزاييك الكلاسيكي أي القطع الصغيرة التي تشكل الصورة الكبيرة الواضحة.

بدأ الملف يكتمل. في أواخر آب/أغسطس أفاد أحد مصادر وكالة المخابرات المركزية وهو أوروبي بأن مسؤولاً فلسطينياً رفيع المستوى اجتمع مع أحد الأركان الليبيين واتفق معه على عمل مشترك ضد ريغان. وجاء في تقريره على لسان مسؤول فلسطيني آخر أنه أعيد نشاط المجموعة التي تعمل في الظل والمعروفة بأيلول الأسود لتعمل ضد أهداف أميركية وإسرائيلية. يضاف إلى ذلك المصدر الإثيوبي الذي أفاد عن تهديدات القذافي في أديس أبابا. في أوائل أيلول كتب أحد أقارب دبلوماسي ليبي في نيودهي رسالة دون توقيع إلى السفارة الأميركية في نيودهي يقول فيها أن ليبيا تخطط لاعتقال ريغان. هل هذه صرخة ضمير ويجب حملها على عمل الجدا؟ برأي كايسي يجب الانتباه إلى معلومات المصادر غير الموثوق بها، والتحقق من أنها خاطئة أو صحيحة.

بعد ذلك قدم أحد المخبرين وهو على علاقة مع أحد الضباط الليبيين تقريرين: الأول أن ليبيا كانت تحضر لضرب المصالح الأميركية في منطقة البحر المتوسط والآخر أن الليبيين في روما يخططون لخطف أو اغتيال السفير الأميركي في إيطاليا مكسويل راب. في ٩ أيلول/سبتمبر أفادت إحدى وكالات الاستخبارات الأوروبية أن السلطات الإيطالية أوقفت وأبعدت عدداً من الليبيين المشتبه بأنهم متورطون في خطة ضد السفير راب. وبعد أسبوع أكدت الوكالة نفسها أن مجموعة فلسطينية وافقت على مساعدة ليبيا لمهاجمة ريغان وأهداف أميركية أخرى.

في ١٩ أيلول/سبتمبر أفاد تقرير بأنه يحتمل أن تشن ليبيا هجوماً على حاملة الطائرات الأميركية نيميتز التي كانت على مقربة من الساحل الليبي في البحر المتوسط. في ٩ تشرين الأول/أكتوبر أفاد تقرير آخر من وكالة استخبارات أوروبية بأن القذافي خلال رحلة إلى سوريا منذ شهرين، اجتمع مع زعماء أربع مجموعات إرهابية، عرضوا تعاونهم من أجل مهاجمة أهداف أميركية في أوروبا.

في ١٧ تشرين الأول/أكتوبر أفاد أحد المصادر الذي كان على علاقة مع مسؤول كبير

الاتصالات بين العملاء السريين. واستقدمت الوكالة للعمل ما يسمى «جهاز الإرسال المتفجر» وهو يرسل رسالة طويلة بسرعة كبيرة في ثوان معدودة، ويقتل من احتيا التفرص والانكشاف. كان التطور التكنولوجي مذهلاً ومكلفاً. أما الكتابة بأحرف صغيرة جداً فقد كانت مشكلة تطلبت أن تكون المعدات الالكترونية ومن ضمنها أدوات الأقمار الاصطناعية صغيرة جداً لتلائم المسطحات الفراغية، أو لكي تخبأ في بلدان الستار الحديدية (البلدان الشيوعية). وكان عليها أن تعمل لسنوات دون صيانة.

تأكد اثنان من أن جمع المعلومات أعد للتحال الصعبة أي للأزمات أو للحروب. وهذا يتطلب إمكانية الاتصال ونقل كمية كبيرة من المعلومات بأمان، من وإلى الأماكن التي ليست بالضرورة أماكن ساخنة.

كانت الاستخبارات الأميركية بحاجة أيضاً إلى أجهزة دعم ومصادر بديلة، وإلى تغطية أكبر لتتدفقات صور الأقمار الاصطناعية، وإلى جدول زمني لتطوير المعلومات. وبحلول خريف ١٩٨١ انتهى اثنان من إعداد أول مسودة للخطة وعنوانها: «إمكانيات الاستخبارات من العام ١٩٨٥ إلى العام ١٩٩٠». تفحصها كايسي وطرح أسئلة كثيرة، وطلب إجراء بعض التعديلات، ولكنه بشكل عام أحب هذا المشروع. حققت إجماعاً فيما يتعلق بالاحتياجات، وحددت كيفية إمكان توفيرها.

وكان السؤال الأساسي: هل هذه الزيادة بمليارات الدولارات في الموازنة، تلحظ كجزء من خطة ريغان للبناء الدفاعي أو بشكل منفصل؟ وتؤكد اثنان أنه لن يستطيع أن يبيع البرنامج لوزارة الدفاع. أما مساعد وزير الدفاع فرانك كارلوتشي فشرح بأن جمع المعلومات كان خط الدفاع الأول وأن التحسينات المطلوبة مكلفة وبحاجة إلى مليارات الدولارات في ميزانية الدفاع وعلى المدى الطويل.

حصل كايسي على موافقة جميع الوزارات والوكالات، ثم قدم الخطة للرئيس تحت طابع سري جداً. وكان هناك عدد قليل من الوثائق الأكثر حساسية في الحكومة الأميركية. إنها كانت خريطة لمستقبل الاستخبارات.

اجتمع الرئيس ريغان بمجموعة تخطيط الأمن القومي لمناقشة خطة الاستخبارات للسنوات الخمس القادمة.

كانت هذه المجموعة منبراً للسياسة الخارجية، وكانت تراجع جميع القضايا. وأظهرت خطة اثنان أن ميزانية المخابرات التي كانت ٦ مليارات دولار عام ١٩٨٠ سوف تصل إلى حوالي ٢٠ مليون دولار في عام ١٩٨٥. وفي سبيلولوجية السلم، كان جمع المعلومات هو الدعامة الأساسية، وبناء لطلب من الرئيس ريغان استغل الجانب الأميركي التكنولوجي والقضاء والالكترونيات.

بعد الاجتماع والمناقشة قال الرئيس: «لا أرى كيف نتحمل ألا نقوم بهذا».

- ٩ -

زاد قلق البيت الأبيض لأن تقارير الاستخبارات اعتبرت أن تهديدات القذافي بقتل ريغان أو بشن هجوم إرهابي ضد الولايات المتحدة كانت جدية. واعتبر كايسي ذلك أنه الموزاييك الكلاسيكي أي القطع الصغيرة التي تشكل الصورة الكبيرة الواضحة.

بدأ الملف يكتمل. في أواخر آب/أغسطس أفاد أحد مصادر وكالة المخابرات المركزية وهو أوروبي بأن مسؤولاً فلسطينياً رفيع المستوى اجتمع مع أحد الأركان الليبيين واتفق معه على عمل مشترك ضد ريغان. وجاء في تقريره على لسان مسؤول فلسطيني آخر أنه أعيد نشاط المجموعة التي تعمل في الظل والمعروفة بأيلول الأسود لتعمل ضد أهداف أميركية وإسرائيلية. يضاف إلى ذلك المصدر الإثيوبي الذي أفاد عن تهديدات القذافي في أديس أبابا. في أوائل أيلول كتب أحد أقارب دبلوماسي ليبي في نيودلهي رسالة دون توقيع إلى السفارة الأميركية في نيودلهي يقول فيها أن ليبيا تخطط لاختطاف ريغان. هل هذه صرخة ضمير ويجب حملها على عمل الجذب؟ برأي كايسي يجب الانتباه إلى معلومات المصادر غير الموثوق بها، والتحقق من أنها خاطئة أو صحيحة.

بعد ذلك قدم أحد المخبرين وهو على علاقة مع أحد الضباط الليبيين تقريرين: الأول أن ليبيا كانت تحضر لضرب المصالح الأميركية في منطقة البحر المتوسط والآخر أن الليبيين في روما، يخططون لخطف أو اغتيال السفير الأميركي في إيطاليا مكسول راب.

في ٩ أيلول/سبتمبر أفادت إحدى وكالات الاستخبارات الأوروبية أن السلطات الإيطالية أوقفت وأبعدت عدداً من الليبيين المشتبه بأنهم متورطون في خطة ضد السفير راب. وبعد أسبوع أكدت الوكالة نفسها أن مجموعة فلسطينية وافقت على مساعدة ليبيا لمهاجمة ريغان وأهداف أميركية أخرى.

في ١٩ أيلول/سبتمبر أفاد تقرير بأنه يحتمل أن تشن ليبيا هجوماً على حاملة الطائرات الأميركية نيمتز التي كانت على مقربة من الساحل الليبي في البحر المتوسط.

في ٩ تشرين الأول/أكتوبر أفاد تقرير آخر من وكالة استخبارات أوروبية بأن القذافي خلال رحلة إلى سوريا منذ شهرين، اجتمع مع زعماء أربع مجموعات إرهابية، عرضوا تعاونهم من أجل مهاجمة أهداف أميركية في أوروبا.

في ١٧ تشرين الأول/أكتوبر أفاد أحد المصادر الذي كان على علاقة مع مسؤول كبير

في المخابرات الليبية بأن عددًا من الليبيين غادر إلى أوروبا للاشتراك في هجمات ضد السفارتين الأمريكيتين في روما وفي باريس. وبعد ستة أيام أخاف نفس المصدر على اللاحقة السفارات الأمريكية في أثينا وبيروت وتونس ولندن ومديرد كاهداف محتملة. وفي غضون أسبوع ورد تقرير من أحد مصادر وكالة المخابرات المركزية وهو أيضاً على علاقة ببعض المسؤولين في المخابرات الليبية يفيد بأن خمسة ليبيين بمحتمل أن يكونوا أعضاء في فريق الهجمات وصلوا إلى روما. وعلى الفور استدعي السفير راب إلى الولايات المتحدة بينما كان في رحلة إلى ميلانو في ٢١ تشرين الأول/أكتوبر وذلك للحفاظ على حياته، فغادر إيطاليا دون أن يبذل ثبايه.

في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر أفادت الاستخبارات الإيطالية وكالة المخابرات المركزية بأن فريق الهجمات غادر روما إلى بلد غير معروف. في ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر أطلق مسلح النار في باريس على القائم بالأعمال الأمريكي كريستيان شامبان ثم توارى عن الأنظار وساد الاعتقاد بأن ليبيا كانت وراء هذا الهجوم. في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر وصل أحد المخبرين إلى عطلة وكالة المخابرات المركزية في إحدى السفارات الأمريكية في الخارج وادعى أنه ترك أحد غيبيات التدريب العائدة للذفائي. وعرض وصفاً مفصلاً لتدريباتهم مثل كيفية إطلاق النار على سيارة أمريكية فخمة. واجتاز المخبر اختبار كشف الكذب على آلة البوليفراف بنجاح. وأضاف أنه إذا كان الرئيس ريغان هدفًا صعباً، فسيعد الليبيون إلى مطاردة نائب الرئيس جورج بوش، أو وزير الخارجية هيج، أو وزير الدفاع وينبرغر، كاهداف بديلة.

كان كايي يجمع معلومات سرية تثبت أن القذافي كان في بداية تحركه. وبالعودة إلى ١٩ آب/أغسطس يوم حادثة خليج سرت عندما فقد القذافي طائرتين، كانت ليبيا قد وقعت معاهدة تعاون مع إثيوبيا واليمن الجنوبية. وكان هذا تحالفاً لثلاث من أكثر الدول واديكالية في إفريقيا، ووضع خليفي الولايات المتحدة مصر والسودان بين ليبيا في الغرب وإثيوبيا في الشرق. أما اليمن الجنوبي وهو على طرف شبه الجزيرة العربية فكان خصماً شديداً للسلعودية. وتابعت وكالة المخابرات المركزية في عهد كايي تنفيذ الأعمال الخفية والدعم شبه العسكري للمعارضة، والذي بدأ في عهد كارتر. ووعده القذافي حلفاءه بحوالي ٨٥٥ مليون دولار وقدم دفعة أولى قيمتها ١٥٠ مليون دولار كبادرة لإظهار جديته، مما أثار قلق كايي ومحلليه.

استحصلت وكالة المخابرات المركزية على بضعة ملحقات عسكرية سرية لمعامدة التعاون بين ليبيا وإثيوبيا واليمن الجنوبية. وافقت الدول الثلاث على إنشاء قوة من خمسة آلاف لبي وخمسة آلاف يمني جنوبي وخمسين ألفاً من الاحتياطيين الإثيوبيين على نفقة ليبيا. وعلى أن يذهب إلى ليبيا ٢٠ ألف جندي إثيوبي. وأفادت تقارير الوكالة أيضاً أن الدول

الثلاث اتفقت على تنسيق عمل الثورة في الصومال، إلى الجنوب الشرقي من إثيوبيا. وأظهرت الاستخبارات أن كوبا لديها ما بين ١١ و١٣ ألف شخص في إثيوبيا. وكان هناك حوال ٥٠٠ مستشار لبي في جنوب اليمن.

وعده القذافي بتقديم مساعدات عسكرية واقتصادية في سائر أنحاء العالم بقيمة ٣،٣ مليار دولار من العام ١٩٧٥ إلى العام ١٩٨٠.

أخيراً صدر أمر بتنظيم تقديري استخباري قومي خاص حول المعاهدة، وأكمل في ٤ تشرين الثاني/نوفمبر وجاء فيه أن هدف الدول الثلاث هو هزيمة سياسة الولايات المتحدة في تلك المنطقة. شعر كايي بأنه يجب مواجهة مشاريع القذافي وإحباط أي مغامرة داخل الولايات المتحدة بأي ثمن وفوراً. والأفضلية الأولى كانت حماية الرئيس ريغان. وانهمرت المعلومات على البيت الأبيض حول هذا الموضوع في «يومية الاستخبارات القومية»، وإنجاز الرئيس البومي، وفي بعض الأوراق الخاصة. ولم يرض كايي بأن يؤخذ وهو نائم، ومن الأفضل أن يفعل الكثير لتفادي أي هجمة.

اتخذ مساعدو البيت الأبيض تدابير أمنية من ضمنها تسير سيارات فخمة خادعة حول واشنطن بينما كان الرئيس ينتقل بسيارات عادية. وأدت هذه التهديدات وتدابير الحيلة إلى بلبلة في الأوساط الحكومية. وذكر كايي زملاءه في الإدارة بمحاولة اغتيال ريغان شبه الناجحة، وإطلاق النار على البابا، واغتيال السادات.

في ٤ كانون الأول/ديسمبر ورد في صحيفة نيويورك تايمز أن فريقاً ليبيا من خمسة عناصر دخل إلى الولايات المتحدة. وبعد ثلاثة أيام أفادت التقارير أنهم عشرة أشخاص. أرسلت دائرة الهجرة مذكرة من سبع صفحات تحت طابع «حساس جداً» إلى نقاط العبور الرئيسية وإلى المطارات. وعرضت صور تقريبية لحسمه من عناصر الفريق المزعوم على شاشة التلفزيون.

في هذا الجو المضطرب اعتقد مساعدو ريغان ميز وباكر وديفر بأنه يمكن أن يكونوا هم أيضاً أهدافاً للإرهاب فعبّئوا حرساً لهم، وكلفت سيارة حراسة سرية بمواكبة الأوتوبيس الذي ينقل ابنة ديفر كل يوم من وإلى مدرستها الخاصة هولتون أرمز.

كلف هيج روبرت مكفرلين وهو كولونيل سابق في مشاة البحرية، والذي كان مستشاراً في وزارة الخارجية، بمهمة تنسيق السياسة نحو ليبيا. أعد مكفرلين مذكرة عمل سرية وحساسة من عشر صفحات وقدمها لهيج. في الصفحة التاسعة رأى هيج النقاط الرئيسية لخيائه: العمل مع وزارة الدفاع وكالة المخابرات المركزية لتنظيم ردود الفعل على التحرش الليبي، وذلك بتنفيذ عمليات جوية تكتيكية وعمليات كوماندو، وهذا ما يورط الولايات المتحدة ويورط أيضاً القوات المسلحة المصرية سراً. ولم يمتد تنفيذ عملية برية واسعة. الولايات المتحدة لا تريد غزو ليبيا ولكن هيج أراد أن يستكشف جميع الخيارات.

اتخذت توصية بإعداد مجموعة من طائرات س ر ٧١ و ٢٠ للمراقبة الجوية، التي تكلف ٢٠٠ ألف دولار لكل مهمة تستغرق خمس ساعات. وفي اجتماع سري لمجموعة الأمن القومي طلب الرئيس ريفان وضع خطط «لرد فعل عسكري ضد ليبيا إذا حاولت اغتيال مسؤولين أميركيين أو هاجمت منشآت أميركية». في ٥ كانون الأول/ديسمبر تسلم الرئيس مذكرة طويلة سرية جداً حول: «التخطيط ضد الإرهاب الليبي» من هيغ وكارلوتشي (نائب وينغريز) وكايسي، وتضمنت كل شيء ابتداء من التعامل مع الكونغرس والأوساط الإعلامية إلى فرض عقوبات اقتصادية على ليبيا. والمهم كان العمل العسكري في حالة الطوارئ. واتفقت وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية على توصية إلى الرئيس تقول إنه «يجب الإيعاز إلى رئيس الأركان المشتركة بالاستعداد لتنفيذ عمل عسكري ضد ليبيا في حالة الدفاع عن النفس وبعد أي تحرش لبي». «

حددت وثيقة سرية خمسة ردود فعل بالتدريج: الأول هجوم مباشر على مواقع تدريب الإبراهيمين في ليبيا، وحددت الآثار الاصطناعية ووكالات الاستخبارات ١٦ هدفاً محتملاً منها ثلاثة عشر على الساحل. ويمكن تنفيذ ذلك بواسطة البحرية (قاذفات حاملات الطائرات التي لها حظ كبير في النجاح). ويبدأ رد الفعل بعد صدور أمر الرئيس بـ ٤٨ ساعة. وكانت قاذفات ب ٥٢ بدلاً ثانياً، لكنها ذات حظ أقل من النجاح لأنها تظهر بشكل واضح على شاشة الرادار ويبدأ رد فعل هذه القاذفات بعد ٢٨ إلى ٤٠ ساعة من صدور أمر الرئيس. وهناك بديل ثالث هو طائرات س ١٣٠ ولها حظ معتدل من النجاح. لم تشجع وزارة الدفاع هذه العمليات ولم تتعامل بنجاحها.

رد الفعل الثاني كان ضربة للمطارات الليبية، والثالث ضربة للمنشآت البحرية، والرابع ضربة لاستودعات الأسلحة، والخامس هجوم على المراكب البحرية في الموانئ بواسطة فرق بحرية خاصة. وهذا الأخير كان له فرصة لنجاح من معتدلة إلى عالية. ولكن رد الفعل لحضرة البحرية الخاصة يبدأ بعد ٤٨ إلى ٧٢ ساعة من صدور أمر الرئيس وبعد تحضر يستغرق من أسبوع إلى أسبوعين. هذا الهجوم ينفذ بطريقة سرية وهو الوحيد الذي له حظ من النجاح يتجاوز الـ ٥٠٪.

يوم الأحد في ٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨١ ظهر القذافي في مقابلة حية على شبكة التلفزيون أي بي سي ABC في برنامج هذا الأسبوع مع ديفيد برنكل. وكان يتكلم من مكتبه الخاص في طرابلس. نفى القذافي بشدة أن يكون قد أرسل أي فريق للضرب أو للاغتيال.

ونحن نرفض اغتيال أي شخص، قال الزعيم الليبي ووضع يديه تحت ذقنه ونظر عالياً. «إن ذلك سلوك أميركا التي تحضر لاغتيالي ولتسميم طماحي، لقد حاولوا الكثير». وتحدى الإدارة أن تظهر أي دليل. قال القذافي: «كم أنتم شعب سخيف أسوأ

الأميركيون... إدارة سخيقة ورئيس سخييف يجب على أميركا أن تتخلص من هذه الإدارة وتسقطها كما فعلت مع نيكسون». وتحت تأثير الأسئلة قال القذافي الذي كان يتكلم عبر مترجم: «سيبتين لكم أن ريفان كذاب وأن إدارته تمارس الإرهاب ضد ليبيا عسكرياً واقتصادياً وسيكولوجياً. نحن جاهزون للتحقيق. ولنرى الدليل. إننا متأكدون أننا لم نرسل أي فريق لقتل ريفان أو أي شخص آخر في العالم ونريد أن نكشف هذه الأكاذيب». تعليقاً على ذلك قال نائب رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ مونتانا إن القذافي هو الكذاب وهو دكتورا متجنون «لدينا دليل قوي على أن هناك مسؤولين أميركيين كانوا أهدافاً للإرهاب» وقال إن هذا الدليل صحيح بنسبة ٨٠٪. في اليوم التالي صرح ريفان: «لن أصدق أي كلمة يقوها، لدينا الدليل وهو يعرف ذلك».

ولكن مبدأ العن بالعين لم يكن كافياً بالنسبة إلى الإدارة. وأرسل الرئيس ريفان رسالة إلى القذافي بواسطة البلجيكيين لعدم وجود علاقات دبلوماسية بين البلدين. وجاء في الرسالة: «أُطلعت على التفاصيل وتحققت من المعلومات حول خطط أعدت بإشراف ليبي لاغتيال مسؤولين في الحكومة الأميركية ومهاجمة منشآت أميركية داخل الولايات المتحدة وخارجها. أي عمل عنيف يوجه من ليبيا أو عملاتها ضد مسؤولين أميركيين في داخل الولايات المتحدة أو خارجها سوف ينظر إليه من قِبَل الحكومة الأميركية على أنه هجوم مسلح على الولايات المتحدة وسوف يواجه بجميع الوسائل الضرورية للدفاع عن هذه الأمة استناداً إلى المادة ٥١ من شرعة الأمم المتحدة».

والمادة ٥١ سمحت للدول الأعضاء في الأمم المتحدة باتخاذ الإجراءات اللازمة للدفاع عن نفسها. وأعطيت الصحافة الأميركية بعض المعلومات حول الإنذار. وبالإضافة إلى ذلك أخبر المسؤولون الأميركيون الصحفيين «النتائج الأكثر جدية».

في ١٠ كانون الأول/ديسمبر طلب الرئيس ريفان من ١٥٠٠ مواطن أميركي يعيشون في ليبيا أن يغادروها، وأوقف منح جوازات السفر إلى ليبيا في المستقبل. ولكن لم يتخذ أي إجراء لوقف دفع مبلغ ١٠ مليارات دولار ثمن النفط الذي باعته ليبيا للولايات المتحدة. أعطى الإنذار نتيجته، ففي الأسبوع التالي وصل إلى الولايات المتحدة مبعوث ليبي هو أحد كبار المسؤولين في المخابرات الليبية، وقال إن القذافي يرغب بفتح قناة اتصال مع الولايات المتحدة، وتعهد بأن لا تحصل أية عملية إرهابية أو عملية اغتيال.

في ١٨ كانون الأول/ديسمبر أصدرت وكالة المخابرات المركزية تقريراً سرياً حول المخطط الزعمية لاغتيال كبار القادة الأميركيين. وذكرت أن التهديد الأول كان لريفان. وصدر هذا التهديد أثناء اجتماع القذافي مع الرئيس الأنثوي في ثالث أسبوع من شهر آب/أغسطس وورد هذا الخبر من مصدر ممتاز. وتابعت التقارير حول خطط حقيقية لتنفيذ

هجمات ضد كبار المسؤولين الأمريكيين وردت من مصادر لها علاقات غير مباشرة وغير موثوق بها. ومن المحتمل أن بعض التقارير وردت لأن المخبرين أدركوا أننا نسعى وراء هذه المعلومات.

جاء في تحليل سري لوزارة الخارجية أجرته دائرة الاستخبارات فيها ما يلي: «أظهرت سجلات وكالة المخابرات المركزية أن مصدر أحد التقارير التي تفيد بأن ليبيا تنوي مهاجمة الأسطول السادس كان له في السابق اتصالات وثيقة مع دبلوماسي سوفييتي». أما التقارير الأخرى حول خطط لمهاجمة الولايات المتحدة فإنها أهملت في ما بعد. وجاء في التحليل أيضاً أنه «من المحتمل أن التقارير تولد التقارير حيث يعتقد بأن هناك مصالح للولايات المتحدة»، وبالإجمال أورد التحليل احتمالاً بأن تكون جميع التقارير المتعلقة بفرق الهجمات خاطلة. تمت ملاحظة كثير من هذه المعلومات، ومحاولة معرفة مصدرها، وتم التوصل إلى شكل غامض من ارتباطات بأجهزة الاستخبارات الإيرانية والإسرائيلية. رأى مونتور غور بانينغار وهو تاجر سلاح ثري إيراني، وكان مصدراً سرياً للمخابرات المركزية، أن تقارير فرق الهجمات أتاحت فرصة لإنارة المناصب للليبيين. وبقيت القضية حيّة لعدة أشهر. وسرعان ما صرحت وكالة المخابرات المركزية رسمياً بأن غوربانينغار هو «مختلق».

في مقابلة تلفزيونية مع شبكة سي بي أس CBS سال دان راثر الرئيس ريغان عما إذا كانت التقارير عن فرق الهجمات الليبية غير صحيحة.

- لا، أجاب ريغان. لدينا معلومات كثيرة من مصادر متعددة ولدينا وقائع ثابتة.

حاولنا أن نوهبهم وحاولنا أن نحافظ على الهدوء. ولكن معلوماتنا صحيحة.

عضو الكونغرس مايكل بارنز وهو ديمقراطي عن ولاية ماريلاند ويبلغ ٣٨ سنة من العمر سمع إشاعات في شتاء ١٩٨١ - ١٩٨٢ بأن هناك خطأً سرية أعدت لأمريكا الوسطى. وكان بارنز رئيساً للجنة الفرعية للشؤون الخارجية لنصف الكرة الغربي، والتي كانت أمريكا الوسطى ضمن نطاق مسؤوليتها، ولم يعرف شيئاً عما يحدث لأنه لم يكن عضواً في لجنة الاستخبارات. وكان بارنز نائفاً في وزارة الخارجية، وخصوصاً مع معاون وزير الخارجية لشؤون تلك المنطقة نوم أندرز. واعتقد بأنه لا يمكنه ممارسة عمله في رئاسة اللجنة الفرعية إذا لم يعرف شيئاً عن العمليات الكبرى لوكالة المخابرات المركزية. إتصل بارنز بأنندرز وقال له: «أريد أن أتحدث معك في موضوع، ولا أريد أن أتكلم على الهاتف، وافق الإنسان على تناول طعام الفطور في هاي أدامز وهو فندق في قلب المدينة، ويمتاز مطعمه بأن الطاولات فيه بعيدة عن بعضها البعض، وتسمح بالأحداث الخاصة.

بعد تقديم الفطور قال بارنز: «لدي معلومات بأن وكالة المخابرات المركزية تستخدم المرتزة لنسف الجسور مع نيكاراغوا».

أجاب أندرز: «عليك أن تذهب إلى لجنة الاستخبارات». وكان الاثنان يعرفان أصول

وقواعد العمل. وأدرك بارنز أن عدم نفي أندرز للمعلومات يعني أن فيها شيئاً من الصحة. بحث بارنز عن رئيس لجنة استخبارات مجلس النواب أودارد بولاند وهو من ماساتشوستس ويبلغ السبعين من العمر وصديق وزميل لرئيس مجلس النواب توماس أونيل. لم يشارك بولاند الجيل الجديد في تشكيكه بالاستخبارات ولكنه شعر بأن بارنز يجب أن يعرف ما يجري في منطقة هو مسؤول عنها. ولهذا شرح لبارنز خطة وكالة المخابرات المركزية لاستعمال الأرجنتين لتدريب خساسة من نوار الكونترا وذلك لمنع تدفق الأسلحة من نيكاراغوا إلى السلفادور.

ذهل بارنز، وكان يعرف لاعبي أمريكا اللاتينية. لن يستطيع أحد، وحتى وكالة المخابرات المركزية، أن يضبط الأرجنتينيين المعروفين بقساوتهم. ويحتمل أن تكون الوكالة قد اختارت الرئيس الشيلي أوغوستو بينوشيه.

قال بولاند إنه من المقرر أن لا تجري أية أعمال إرهابية، أو إحراق مزارع أو ما شابه. وقد وضعت حدود لأعمال وكالة المخابرات المركزية. طلب بارنز من أندرز اجتناعاً آخر، واتفقا على أن يلتقيا على الغداء في نادي المتروبوليتان. وبدا بارنز عند اللقاء قوياً وقال: «إنها خطة غبية وسوف تؤدي إلى مقتل الكثيرين».

عرف أندرز كيف يضغط على الزر الصحيح عند بارنز. لقد وافق على عمل خفي محدد. وهكذا يجب أن يفعل بارنز، يجب أن لا تكون هناك اغتيالات. العملية مضبوطة كلياً ولن يكون هناك خرق لحقوق الإنسان. لم يقتنع بارنز. إن عملية وكالة المخابرات المركزية تعطي للسائدين الأعذار المقولة للضغط على الصحافة والحركة العالية والمعارضة السياسية وتعطيهم أيضاً سبباً لاستخدام المزيد من الكويين.

أجاب أندرز: «وثق بي كمعاون لوزير الخارجية. أنا أساهم مباشرة، وسينفذ هذا بطريقة صحيحة». وشعر بارنز بأن يديه قد قيدتا. كان لمجلس الشيوخ القوة الحقيقية في الشؤون الخارجية وله صلاحية المصادقة على المعاهدات والمواقفة على التعيينات في المراكز التنفيذية. أما لجنة مجلس النواب للشؤون الخارجية فقد كانت مجعاً للمناقشة والتداول في أحسن الأحوال. ولن يكون هناك دور لهذه اللجنة من دون الأطلاع على العمليات الخفية. في اجتماع علي مع اللجنة رفض هينغ أن يأمر بعمل خفي ضد نيكاراغوا وأضاف: «لكن ذلك يجب أن لا يفسر على أنه ربط لسياستنا بطريق أو بأخر». قال له بارنز: «لو كنت نيكاراغواي وسمعت أجوبتك فسأني ملاحئ ضد النقيب».

السناتور كريستوفر دود من كونكتيكت شعر كذلك بأنه مقيد في قضية أمريكا الوسطى على الرغم من أنه عضو في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ. دود وهو ديمقراطي وليبيرالي يبلغ ٣٧ سنة من العمر أمضى سنتين كمنقطع في وحدات السلام في القرى الجبلية الصغيرة في جمهورية الدومينيكا، كان يتكلم الإسبانية بطلاقة وسمع إشاعات عن أعمال

وكالة المخابرات المركزية ولكنه لم يستطع أن يعرف ماذا يحدث.

حضر دود اجتماعاً للجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ في ١٠ كانون الأول/ديسمبر، وسمع إيجازاً من ضابط وكالة المخابرات المركزية لشؤون أمريكا اللاتينية قسطنطين منج. وعلم أن منج كان رجل كايي وأنه مفتاح المعلومات، إن لم يكن حول العمليات فعل الأقل حول الموافقة.

تحول الإيجاز إلى خطاب سياسي ضد هافانا. وبدأ مثل خطابات رونالد ريغان، يهاجم الشيوعية ويرد ويلات ومصائب الوسطى إلى موسكو والمركسية. كتب دود بالاشتراك مع اثنين من زملائه رسالة احتجاج إلى كايي على سلوك منج. وكان اتجاه الأحداث واضحاً حتى ولو لم يستطع دود أن يشبهه. ولكنه لو استطاع، فلن تكون له حرية التعبير عن وجهة نظره.

رأى كايي في الصفحة الأولى لصحيفة واشنطن بوست في ١٤ شباط/فبراير خيراً حول خطة لوكالة المخابرات المركزية بـ ١٩ مليون دولار حول نيكاراغوا وارتاح عندما قرأ: «ولم نعلم ما إذا كان اقتراح وكالة المخابرات المركزية قد صدّق عليه أو نُقذ».

بعد ظهور اليوم التالي قدم كايي تقريراً خاصاً سرياً إلى الرئيس ريغان في غرفة الأوضاع من الساعة ٢،٣٠ ولغاية ٣،٤٥. أفاد كايي أن ديوان كلارينج نجح في تنظيم بعض المقاتلين في المقاومة ضد الساندينين في الهندوراس. وإن عمليات عبور الحدود إلى نيكاراغوا ستبدأ قريباً، وهذا العمل سوف يجد من إمكانية نيكاراغوا في تصدير الثروات والمشاكل.

في أواخر شباط/فبراير وافق أحد المسؤولين الذي كان على اطلاع على المعلومات التي كانت تتلقاها الإدارة، والعمليات التي بدأ تنفيذها، على الكلام أثناء زهرة سيراً على الأقدام في ضواحي واشنطن. قال إن هناك قلقاً حول التقارير التي تفيد بأن السوفييات يدربون النيكاراغويين على طائرات ميغ المتطورة. ويعتبر هذا إنذاراً لأن الطائرات يمكن أن تغطي تحركاً عسكرياً ساندينياً دراماتيكياً لتوسيع حرب التحرير إلى داخل بلدان أمريكا الوسطى وبخاصة السلفادور. واستناداً إلى الحسابات الاستراتيجية لميج وكايي والآخرين في الإدارة يمكن أن تعطي طائرات الميغ لنيكاراغوا تأثيراً قوياً على الممرات المائية في البحر الكاريبي وعلى مقربة من قناة باناما. والولايات المتحدة لا تسمح أبداً بهذا الوضع.

قال المسؤول: في نيكاراغوا الآن حكومة يديرها السوفييات بالطريقة نفسها التي أدركنا فيها جنوب فيتنام خلال الحرب. وأضاف أن مفتاح المنطقة هو نيكاراغوا وليس السلفادور. هناك تركيز أكثر من اللازم على السلفادور. وأضاف إذا وصلت الميغ الجديدة إلى نيكاراغوا، يجب على ريغان أن يتخلص من الساندينين بعمل خفي. لن يستطيع ريغان إرسال وحدات

عسكرية إلى أمريكا الوسطى، ولن يصرح ريغان بذلك علناً. نعم، لن يرسل ريغان آلاف المستشارين.

ماذا عن العمل الخفي الآن؟ مهما كانت العوائق كبيرة كما يقول، يمكنه القيام بعمل خفي لأنه أعلن في حملته الانتخابية عن دعم وكالة المخابرات المركزية وتأييد الأعمال الخفية. ورفض الإجابة عن الأسئلة.

في ١٤ آذار/مارس ألقى جيم ويلوك أحد المسؤولين الساندينين خطاباً في واشنطن قال فيه إن عملية وكالة المخابرات المركزية باتت على وشك البدء بتنفيذها. وأضاف أن هناك أشياء كثيرة تحدث في آن واحد وتبدو ظاهرياً كأنها صدفة، ويستنتج منها أن وكالة المخابرات المركزية هي القوة الوحيدة القادرة على القيام بهذه الأعمال. من الصعب أن نثبت ذلك بالتحديد ولكن الآثار تدل على ذلك.

يوم الإثنين في ١٨ آذار/مارس اتفقت مع رئيس التحرير برادلي على تناول طعام الفطور الساعة التاسعة صباحاً، قال برادلي، الآن حصلنا على المعلومات من ثلاثة مصادر، لقد أقر الرئيس عملية نيكاراغوا وهو يريد أن ينفذها ببطء، والمناخ السياسي الآن يختلف عن السبعينات. لم يعد الكشف عن عمليات وأسرار وكالة المخابرات المركزية عملاً حسناً أبداً، لا بل هو عمل سيئ. سأل برادلي: «ما هو سبب نشر الخبر، أريد أن أسمع السبب، أخبرني عن السبب الحقيقي».

أجبت: هل تؤدي هذه العملية أو هذا النوع من الحرب إلى نتيجة؟ وهل يمكن أن تبقى سرية؟ وهل يجب أن تبقى سرية؟

قال برادلي: «لا أستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة». وأضاف: هل أفلتت وكالة المخابرات المركزية من زمام الإدارة؟

قلت: لا أظن ذلك لأن ريغان أمسك بها جيداً.

قال برادلي: يجب أن يكون هناك سبب وجيه للنشر لأن إدارة ريغان يمكن أن تتخذ تدابير لحماية الأمن القومي. وهذا يفتح باب المفاجآت والله يعلم ما يمكن أن يحدث... - هل تريد أن تكشف عن مصادرك؟

قلت: إنهم يدركون أن ذلك يمكن أن يكون خطوة غير صحيحة.

سأل برادلي: لماذا لا يعرضون ذلك علناً وهذا بالتأكيد يسهل الأمور.

قلت: لم يتأكدوا بعد من رغبتهم في هذا العمل.

قال برادلي: «هراء».

فما بعد اتصل برادلي بغولدوتر الذي كان من المفترض أن يكون على اطلاع، وذلك

عملاً بالأنظمة الجديدة للكونغرس. قال غولدوتتر إنه لم يسمع أبداً عن هذه العملية المزعومة، ولا كلمة واحدة. وقال برادلي إنه يثق بأن غولدوتتر لا يكذب عليه.

وفي خلال دقائق معدودة تلقى برادلي مكالمة. قال: «غولدوتتر اتصل ثانية، وقال إن كايسي ينتظر في مكتبه الخارجي وهناك شيء ما حدث».

أحس برادلي بأن غولدوتتر يعرف شيئاً ما أو على وشك أن يعرف. لقد استعجل كايسي بالقدوم إلى مكتب غولدوتتر ليشرح ما كان يحدث، لأنه (أي غولدوتتر) كان قد شفي من الجراحة التي أجريت في ركه منذ أشهر، والتي أدت إلى تغيبه عن بعض الإجازات. في اليوم التالي (الثلاثاء ٩ آذار/مارس)، تناول كايسي وبرادلي طعام الغداء معاً في مبنى وكالة المخابرات المركزية. وعاد برادلي حوالي الساعة ٢،٣٠ بعد الظهر أي قبل المؤتمر الصحفي اليومي للواشنطن بوست. كان الخبر على وشك أن ينشر لكن برادلي لم يسمح بذلك، وكان يمز برأسه. قال: هناك غموض في كل ما يحيط بكايي، كلامه غير واضح عندما كان يلوك طعام الغداء وكأنه يحرق أو يشتره الكلام.

سأل محررو الواشنطن بوست: هل أكد كايسي الخبر أو نفاه؟

قال برادلي: لا هذا ولا ذاك، لكنه تحدث عن قوة من خمسمائة رجل موجودة، أو على وشك إنشائها، وأنها ستتم. ولم يوضح ما إذا كانت هذه القوة أرجنتينية أو تابعة لوكالة المخابرات المركزية. وقال كايسي إنه سيقوم بأي عمل لمنع تدفق الأسلحة من نيكاراغوا إلى السلفادور. وأضاف أن هذه القوة لن تتعرض للمنشآت المدنية مثل محطات الكهرباء والجسور، وأن جميع أعمال وكالة المخابرات المركزية قانونية ومرخص بها منذ ثلاثة أشهر أو أربعة، أي في تشرين الثاني/نوفمبر.

هل يعتبر هذا نوعاً من التأكيد؟

قال برادلي: نعم ولا. لم يكن مرتاحاً، ونظر من نافذة مكتبه إلى الخارج، واستعاد حديث الغداء «هناك نقطة مفقودة أو أنهم يحاولون أن يبطئوا عزائمتنا فقط دون إخافتنا. لم يقل كايسي لا تنشر القصة لأنه بذلك يخيفني، أنا مسرور لأنني لا أمشي على الضوء الأحمر».

هل أجرى معك كايسي مناقشة أمنية لذلك الوضع؟

قال برادلي: لا.

هل مسودة الخبر جاهزة، هل ينشر؟

قال برادلي: لا أعرف.

وفي نفس اليوم ٩ آذار/مارس، دعا اثنان رجال الصحافة في ياحة وزارة الخارجية لإعلان غير عادي. بدأ كلامه بتهمج. أنا بوب اتمان. إني هنا بعد الظهر لأنني قلق وغاضب. قلق من زيادة القوة العسكرية في نيكاراغوا، وغاضب لأنه تبيّن لي خلال الأسبوعين الفاتحين أنه يصعب على البعض كشف المعلومات والبوح بالأسرار، وذلك من

أجل حياة المصادر، ثم يواجه بالسؤال التقليدي: كيف نصدقك إذا لم تظهر لنا الدلائل بالتفصيل؟! هذا تشكيك أكثر من اللازم. وأضاف أنه يأمل بتزيد من الموضوعية والثقة المتبادلة.

جون هوغ نائب مدير وكالة الاستخبارات الدفاعية والذي كان قد عرض صور الإثبات في أزمة الصواريخ الكوبية منذ عشرين سنة، بدأ يعرض الوضع في نيكاراغوا وتقدم بضع خطوات إلى الأمام وهو يحمل عصا للدلالة وأشار إلى صور كبيرة بحجم الحائط وهي عبارة عن صور فوتوغرافية جوية لنيكاراغوا (التقطتها طائرات التجسس يو ٢ س ر ٧١) ظهر فيها أن الساندينين أنشأوا ستاً وثلاثين قاعدة عسكرية في الستين الآخرين. عام ١٩٧٩ أي أثناء الثورة كان الساندينون عصابة من خمسة آلاف رجل، وهم الآن جيش مؤلف من سبعين ألف رجل. وأشار هوغ إلى المعدات السوفياتية الصنع، ومن ضمنها دبابات ومدافع ميدان صغيرة ومدافع هاوتزر. قال هوغ إن هذه ليست قوة دفاعية بل هي بصيات كوبية، إنها تكتنص مصممة بأسلوب سوفياتي وخصوصاً بطريقة إقامة الحواجز أمام الداخل.

بعد العرض تولى اتمان الإجابة عن الأسئلة. سئل عن التقرير الذي نشر في الواشنطن بوست في شباط/فبراير الفائت حول خطة الـ ١٩ مليون دولار السرية لوكالة المخابرات المركزية. نفى اتمان أن تكون الخطة قد صدقت وقال بكل إخلاص: هذه الـ ١٩ مليوناً أو ٢٩ مليوناً لن تشتري لكم الكثير في هذه الأيام.

في اليوم التالي ظهر خبر الإنجاز بشكل بارز في وسائل الإعلام، وكان كايسي يأمل بضجة إعلامية مماثلة للتي حصلت أثناء أزمة الصواريخ الكوبية. وأثار نفى اتمان أن تكون قد صدقت أية عملية سرية بـ ١٩ مليون دولار المتاعب في الإدارة. لم يتقد اتمان برنامج الرئيس ريغان بل كانت لهجته في الإنجاز داعمة لريغان وكايي وجهود أولئك الموظفين لإظهار الخطر في أميركا الوسطى. لقد تأكدنا من الخبر، وبدلاً من أنه من غير المعقول أن لا يدرك اتمان ذلك.

أبدل المحرر المحلي لجريدة الواشنطن بوست بيل غرابندر عبارة حرب خفية محدودة في سياق الخبر، بعبارة عمليات خفية. إلا أن بات تايلر قال إن هذا يضعف النقطة الأساسية في الخبر، فالعمل شبه العسكري هو نوع من الحرب، ولهذا وضع بحذر شديد تعبيراً ملطفاً هو «الحرب الخفية المحدودة».

لم يكن واضحاً ما إذا كان برادلي سيوافق على نشر الخبر، وكان يخشخش بقطع القود في جيبه وهو يخطو نحو مكتبه. استعرض برادلي المحررين وطلب نصيحتهم، وكان غريدر هو الأبرد بينهم مع أنه من المفترض أن يكون أكثرهم حاسماً. لم يقبل بحكومة سرية وخطط سرية وحروب سرية، وقال: إذا عرفنا شيئاً عن ذلك ننشر ما نعرف بكل بساطة، وفي هذه

الحالة لن تكون هناك مفاجآت. لقد وعد ريغان بعمل سري مضاد للشيوعية في حملته الانتخابية، وهذا ما صوّت له الناس، ولا أحد يعرف ما هو الأفضل أكثر من ريغان. أضاف غريدر أنه ربما كان البيت الأبيض سعيداً إذا نشر الخبر، وقال: إننا نركزنا أكثر من اللازم على وكالة المخابرات المركزية وعلى السرية وعلى الجانب الاستراتيجي من العملية. كنا نترقب إعلان الحرب السرية على الساندينين، وسيزيد جمهور ريغان. ذلك حتماً. وأضاف: لم يكن هناك إثبات، والتأكيد الوحيد هو من مهمة الصحافة، وعلينا أن نقوم بذلك ونؤكد من صحة الخبر.

ذكر غريدر الجميع بأنه قد جاء في مشروع الحزب الجمهوري للانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٠ ما يلي: «تأسف للانقلاب الماركسي الساندين في نيكاراغوا وسندعم جهود الشعب النيكاراغواي لإنشاء حكومة مستقلة وحرّة». ووعده المشروع أيضاً بوكالة مخابرات مركزية أكثر هجومية. كان هذا منطقياً، ومعنى آخر فإن ريغان بنفذه ما وعد به خلال الحملة الانتخابية. لم يطلب كاسي عدم نشر الخبر. أضاف غريدر يا للجميل، إنه يريد نشر الخبر. أُبعد نص موجز للخبر. مرّت أكثر من سنة على إدارة ريغان والعلاقة بين الإدارة والأوساط الصحفية غير واضحة، ولم تكن التقارير هجومية. وما زال ريغان بعد سنة من محاولة اغتياله تقريباً يتمتع بشهر عسل مديد، وفي نفس الوقت لم تتعرض الإدارة للأوساط الصحفية بأي طريقة. وكل ما جرى انتقادات عادية للصحافة، إلا أنه لم يحصل أي شيء يشبه عداوة الإدارات السابقة للصحافة كما حصل لإدارة نيكسون. وكان من الواضح أنه ما من أحد، بما في ذلك برادي، يريد أن يطلق الطلقة الأولى التي يمكن أن تبدأ جولة من الحرب مع الصحافة.

حوالي الساعة السادسة بعد الظهر قال غريدر إن برادي قرر أن ينشر الخبر في صباح اليوم التالي، وقال إنه تصرف جيد. لم يكن هناك أي قلق مفرد من أحد. ولكن ساد التردد بشكل عام.

قلت لبرادي: كان تقديري أنك ستنتشر الخبر.

قال برادي: نعم، يمكن أن يكون هذا صحيحاً.

قلت: لماذا قررت أن تنشر؟

قال برادي: لأن معارضة كاسي كانت معتدلة.

نشر الخبر على الصفحة الأولى في عمود واحد بعنوان «الولايات المتحدة تقر خطة سرية

في نيكاراغوا» وذلك من فوق، على الجانب الأيمن، وتحت الخبر المتعلق بإيجاز اغتيال الاستخباري الذي يظهر البناء العسكري في نيكاراغوا. وجاء في الخبر عرض للخطة السرية، لكنه لم يكن مثل الاستعراضات التي كانت الواشنطن بوست تظن أنها تكتشف فيها أسرار خلق الكون!

في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي بثت الإذاعات خبر الخطة السرية في مطلع نشراتها. لم يكن هناك أي ضجة في أوساط الإدارة التي بقيت صامتة خلال النهار. قال هيغ إنه من غير المناسب التعليق على النشاطات السرية إذا كانت موجودة أو إذا لم تكن موجودة. أما وينبرغر فقال: لا أريد أن أعلق، كل هذا لأن الموضوع سري جداً. أما كاسي فلم يُذَلَّ بأي شيء.

في مساء ذلك اليوم أكدت شبكات التلفزيون الأمريكي الرئيسية الخبر. إنه من الواضح أن البيت الأبيض يريد أن يكون قاسياً مع النيكاراغويين، وأنه يريد أن يعلم الجميع بنظرته إلى الأمر كوضع سياسي غير مقبول. لقد كان غريدر على حق. في ١٥ آذار نشرت تايم الأسبوعية حديثاً لغولدوتير يقول فيه إن كل ما ورد في خبر الواشنطن بوست صحيح. لم ينشروا كل شيء ولكن كل ما نشر كان صحيحاً.

ذلك السبت تحدث كاسي في مركز دراسات الرئاسة في واشنطن، وكان يؤمن بالكلام في المناسبات العامة، ويعُدُّ خطاباته بشكل جيد، وغالباً ما كان يكتبها بنفسه. وقد عبّر في ذلك النهار عن المهام التي تضطلع بها الإدارة ووكالة المخابرات المركزية. بدأ حديثه بمقتطفات من كلام الجنرال جورج واشنطن الذي يدعو فيه إلى السرية في عمليات الاستخبارات ويعتمد النجاح في معظم المشاريع على السرية، ثم انتقل بعدها إلى الحديث عن القضايا الدولية. قال إن العالم مصاب بالطاعون وتحيط به قوى تدميرية لزعة الاستقار ونشر الإرهاب والثورات، وهي الأسلحة السوفياتية والقوة البشرية الكوبية والمال الليبي. بعد حرب فيتنام، أي في عام ١٩٧٤ أو ١٩٧٥، اعتمد الاتحاد السوفياتي استراتيجية أكثر هجومية في العالم الثالث، واستخدم الكوبيين لتنفيذ هذه الاستراتيجية. في السبعينات نجح عملاء السوفيات في انغولا ونيوبيا وكمبوديا ونيكاراغوا.

«إن دعم الثورات أسهل بكثير من مقاومتها ويتطلب كلفة مالية أقل نسبياً. بمعنى آخر إن إثارة الاضطرابات وزعزعة الاستقرار السياسي والاقتصادي لبلد صغير تتطلبان عناصر قليلة العدد نسبياً ودعماً مالياً قليلاً.



جون مكاهون يذلي بشهادته خلال
جلسة تثبيت تعيينه كمنائب مدير
المخابرات المركزية في أيار/مايو ١٩٨٧.



روبرت غاتس خلال جلسة تثبيت
تعيينه كنائب مدير المخابرات المركزية.



جون هوتون ضابط الأمن القومي
لاميركا اللاتينية. ترك وظيفته لأنه قال
إن كاسبي ضغط عليه عام ١٩٨٤ في
تقديم استخباري حول المكسيك.



المرشح الرئاسي رونالد ريغان ومدير الحملة الانتخابية كاسبي
يتحدثان على متن الطائرة خلال حملة ١٩٨٠



الأميرال بوبو اثان نائب مدير المخابرات المركزية



ماكس هوغل الذي عينه كاسبي مديراً
للعمليات استقال في تموز/يوليو ١٩٨١
بعد اتهامه بأعمال مشبوهة في البورصة.



وليم كولبي مدير المخابرات المركزية (١٩٧٣ -
١٩٧٦)



وليم. ج. كاسبي في مركز قيادة وكالة
المخابرات المركزية وخلفه صورة جوية شفق
القيادة في لانغلي - فيرجينيا.



ستانفيلد تورنر مدير المخابرات المركزية
(١٩٧٧ - ١٩٨١)



ويتشارد هلمز مدير المخابرات المركزية
(١٩٦٦ - ١٩٧٣)



الزعيم الليبي معمر القذافي
كانون الثاني/يناير ١٩٨٦.



الرئيس المصري أنور السادات، اغتيل في
٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١.



الأمير بندر سفير العربية السعودية في واشنطن والرئيس ريغان في البيت الأبيض عام ١٩٨٣.



الرئيس اللبناني المنتخب بشير الجميل بحراسة مشاة البحرية الأميركية قبل ستة
أيام من اغتياله في ١٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢.



الرئيس الشاذي حسين حيري.



ستافلي سيوركين عمل في جهاز أمن التبادل كان
المستشار العام في الوكالة من عام ١٩٨١ إلى ١٩٨٦



وليم بكلي رئيس حملة وكالة المخابرات المركزية
في بيروت، خطف عام ١٩٨٤ ومات في الأسر.
لم تستطع وكالة المخابرات المركزية أن تحصل
على نسخة عن اعترافاته.



كايبي



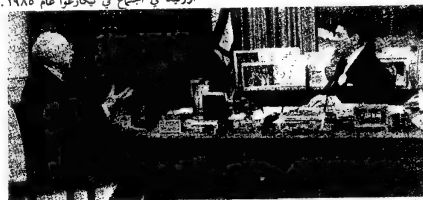
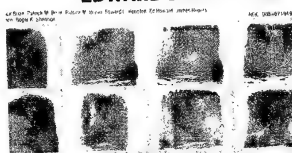
قائد الثوار في أنغولا
جوتاس سافيمبي



جين كيركاتريك سفير الولايات المتحدة
في الأمم المتحدة. من عام ٨١ إلى ١٩٨٥.



ESPIONAGE; INTERSTATE FLIGHT - PROBATION
WANTED BY
EDWARD LEE HOWARD



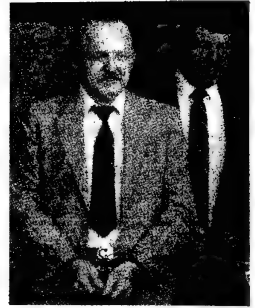
السناتور باتريك ليهي الديموقراطي من ولاية فيرمونت، عضو لجنة الاستخبارات، لاحظ أسراراً قليلة في إنجازات اللجنة ولم يكن مرتاحاً بشكل عام. ومثل السحر في ورق اللعب، تلقى الأعضاء معلومات عامة أو وصفاً لجاسوس محترف أو مقدمة لبنود الموازنة وأحياناً معلومات ضئيلة حول رئيس بلد معين.

يعتبر ليهي ابن وارتغيت، انتخب سناتوراً وعمره ٣٤ عاماً بعد استقالة نيكسون، وهو السناتور الديموقراطي الوحيد في تاريخ ولاية فيرمونت. وكان لديه شكوك حول التركيز السري للسلطة بيد حكومة ريغان، وتلفه للإطلاع على جميع أوراق الاستخبارات. وكان مدعياً عاماً في محافظة تشيدين لمدة ثنائي سنوات عالج خلالها جميع الدعاوى الهامة بنفسه. وكان أسلوبه في معرفة ما يحدث أن يضع يديه وعينه على الدليل. وكان لكل سناتور عضو أركان معين له يدعى «المعين» designee ليرشده في مناهات الاستخبارات المعقدة. وورث ليهي عن سلفه المعين تيد راستون. وقال له راستون إنه إذا أراد أن يتفهم الاستخبارات، عليه أن يأخذ فكرة عن عمل وكالة الأمن القومي والاتصالات اللاسلكية. مثلاً هناك قمر اصطناعي يدعى فورتكس يستهدف مناطق خاصة في العالم ويؤمن إمكانية استماع عمالة لإمكانية استيعاب سفارة أميركية في أي بلد. كانت وكالة الأمن القومي مصدر معظم المعلومات وأفضلها. هذا ويستغرق تفسير الاتصالات ساعات من الاستماع والتفتيش في الترددات، وربط الاتصالات وتحديد الأساليب وحل الشيفرة وتوضيح المعاني. قال راستون إن هذا هو أساس العمل. لقد تحول جمع المعلومات إلى عمل تقني خفيف. يجب أن تعلم ماذا يمكن أن يحدث وكيف وأن تتوقع الأحداث في السنوات المقبلة. اقترح راستون على ليهي أن يزور مراكز وكالة الأمن القومي في الخارج وفي هذا المجال خطط لرحلة تشمل مراكز الوكالة في أوروبا.

كان راستون على علاقة وثيقة بامان عندما كان رئيساً لوكالة الأمن القومي من عام ١٩٧٧ إلى عام ١٩٨١. وكان مكلفاً بمراقبة تنفيذ اتفاقات نزع السلاح من قبل لجنة مجلس الشيوخ، وكان واحداً من ثلاثة أركان في اللجنة يتعاونون مع وكالة الأمن القومي. وعندما رقي اممان إلى رتبة أميرال وعين نائباً لكايي اشترى راستون شارة الرتبة الجديدة وعليها



ضابط المخابرات السوفياتية فيمال
يورثشكو، لحا إلى الولايات المتحدة في
صيف ١٩٨٥



روثالد بيلتون خلال محاكمته
بتهمة التجسس في حزيران/يونيه ١٩٨٦.



آل ريغان مصحوبين بالاب دانييل فاغان في
٩ أيار/مايو ١٩٨٧ في جنازة كايي في لونغ أيلاند



كايي يدلي بشهادته في الكونغرس.

أربع نجوم، وقدمها لكياسي، وكانت العادة أن تقدم عائلة الضابط هذه النجوم عندما يرقى إلى رتبة أعلى.

على مر السنين قاد اثنان والستون في مناهات جمع المعلومات تقنياً، واطلع منه على ما يجري في لجنة مجلس الشيخ وهكذا عندما جال اثنان على الشيخ وقدم إليهم إنجازاً، كان يعرف بماذا يفكر كل واحد منهم. وعملوا مع بعضها البعض مثل قدامى المحاربين، وكان لكل منهما رأي وكان اثنان طبيعياً أمام الشيخ ما سهل عملهما. وكان إيجابياً مع الشيخين جمهوريين كانوا أو ديموقراطيين، وذلك

لمصلحة عمل اللجنة: زار السناتور ليهي والستون مركزاً لوكالة الأمن القومي في هاروغيت على بعد حوالي مائتي ميل شمال لندن في يوركشاير. وطرح ليهي أسئلة حول إمكانية النقاط الاتصالات. كان الروس يمشدون الدبابات على الحدود البولونية وأراد ليهي أن يعرف ما إذا كانت محطة هاروغيت قادرة على النقاط اتصالات من دبابات منفردة.

كم مغاوت قوة هذا الجهاز؟ سأل والستون قبل أن يستطيع أحد من هاروغيت أن يجيب ليهي. ثم سأل والستون أسئلة تقنية كشفت عن معلوماته القوية في هذا المجال. وطرح ليهي أسئلته الخاصة، ولكن والستون لم يسيطر على نفسه وأخذ يتكلم مبدئياً إعجابه بنظام العمل وكيف كان الاتصال يتم مع مركز وكالة الأمن القومي في الجانب الآخر من العالم في باين غاب في أستراليا. قال ليهي: «أسكت ودعني أطرحت أسئلتك». وعندما ذهبوا إلى ألمانيا تضايق منه ليهي وفكر في أن يقذه خارج الطائرة. وفي تركيا أخذ والستون حفته من سبكات السفر الأمريكي من علبه سبكات السفر وقال ليهي فيها بعد لمساعدته الإداري: «لم أعرف ماذا أفعل باين الكلب هذا».

ولدى عودته إلى الولايات المتحدة فكر ليهي ماذا يفعل ثم قرر إقالة والستون. تقدم والستون بطلب إلى وظيفة عضو أركان في مجموعة الاستخبارات في شارع ف، وكانت هذه من المراكز التي تركها كياي لاثان. وكمساعدة سناتور لم يكن على والستون أن يخضع لاختبار كشف الكذب. إلا أن الطلب إلى مجموعة الاستخبارات تضمن اختباراً لكشف الكذب على آلة البوليفراف، وهكذا خضع لاختبار روتيني. وأجاب على مجموعة من الأسئلة تناولت طريقة مسك المواد السرية، وما إذا كان قد اصطحب وثائق سرية إلى منزله. كان من عادة موظفي الحكومة اصطحاب الوثائق إلى منازلهم، عند تراكم الأعمال. والمهدف من السؤال لم يكن كشف الاختراقات أو الانتهاكات غير المؤذية بل كشف الاختراقات الأمنية الخطيرة أو مصادر التسرب أو الجواسيس في حالات نادرة. وكان هذا السؤال مازقاً حقيقياً وسبباً جعل الجميع ينفرون من آلة البوليفراف. كانت الأجوبة محصورة بنعم أو لا، وجمعت القضايا الأساسية مع القضايا الثانوية. وكان الاختيار إما رفض الامتحان أو إجراؤه ومواجهة خطر الإخفاق.

فشل والستون لأنه اصطحب إلى منزله نسخة عن تقرير سري حول ما كانت تقوم به وكالات الاستخبارات الأمريكية في إيران منذ الحرب العالمية الثانية. وكانت مشكلة آلة البوليفراف مدمرة لالستون ولاثان لأنه لن يكون هناك مجال للعمل في أركان أي مجموعة استخبارية دون اجتياز الاختبار بنجاح. وحدث الأسوأ وهو أن مدير الأركان الجديد للجنة الاستخبارات في مجلس الشيخ روبرت سيمونز بدأ تحقيقاً حول قضية والستون. وكان هناك الأكثر. لقد اصطحب والستون إلى منزله أكثر من خمسين مرة من الوثائق التي كان بعضها سرياً جداً. وأعاد بعض الأوراق إلى مدير اللجنة، وبعضها الآخر مباشرة إلى وكالة المخابرات المركزية. ولم تظهر أية أساء في تقرير إيران ولكن يمكن لأي شخص أن يستنتج الأساء من الوثائق. نظم سيمونز لائحة بالوثائق التي اصطحبها والستون إلى منزله وأرسلها إلى وكالة المخابرات المركزية وطلب تقديراً ورتبياً للأضرار. وبعد ذلك بوقت قصير تلقى سيمونز مذكرة من وكالة المخابرات المركزية تقول إنه لا يوجد دليل على أن هذه الوثائق قد انكشفت مع أنها حفظت بطريقة غير صحيحة في منزل والستون. ولا يوجد أي مؤشر يدل على أن أحداًطلع عليها أو تداولها ولذلك لم يحصل أي ضرر. لم يصدق سيمونز هذا التقرير لأن تقديراً الأضرار يعتمد عادة أسوأ الاحتمالات. إن حفظ وثائق كهذه في منطقة غير آمنة يعني أنوثماتيكياً احتمال انكشافها. ولكن هناك شيء ما يثير المشاكل، فقد لاحق سيمونز التقارير والتبويرات الصادرة عن وكالة المخابرات المركزية من صديق والستون وعوايه بوبي اثنان. وظن سيمونز أنه من المحتمل أن يغطي اثنان والستون، ولذلك بدأ تحقيقاً واسع النطاق. وبدأ التدقيق في الملفات وكان بالفعل عملاً مضجراً. وتبين لسيمونز أن والستون وقع على نموذج حول المستندات الهامة والحساسية والتقارير الواردة إلى اللجنة أو من خلالها، وذلك منذ سنوات، واعتبر أنه إذا كان والستون قد قرأها كلها فإنه يعتبر موسوعة لإمكانات وعملات الاستخبارات الأمريكية، ملأاً بالصغيرة والكبيرة في مجال الاستخبارات. وقد علم سيمونز اهدف من ذلك لأن والستون كان جاسوس اثنان في لجنة مجلس الشيخ حول نشاطات اللجنة وخططها. إنها كانت علاقة تجسس غير رسمية وبرأي سيمونز كان التجسس تعبيراً قاسياً جداً. إلا أنه لم يكن هناك أي خطأ أو أي عمل غير مشروع وكان الهدف من ذلك مصلحة اللجنة ووكالة المخابرات المركزية. وكان سيمونز يعرف من تجربته لمدة عشر سنوات كضابط عمليات في وكالة المخابرات المركزية أن بعض أفضل الجواسيس لم يعرفوا ما كانوا يفعلونه، ووقعوا في الشرك، فاعتقدوا بأنهم يجمعون المعلومات لصالحهم، وأفضل الجواسيس كان الغمور في علاقاته لدرجة أن الجميع يرونه قائلاً بعمله فقط. كما أن النشاطات اليومية مثل القراءة والمحادثة والأسئلة تحتوي على كمية كبيرة من المعلومات ويمكن أن تنتشر في الامانة الخطأ. لم تكن قضية والستون أكثر من إشكال بين رجلين.

لخص سيمونز المشكلة وعرضها على رئيس لجنة استخبارات مجلس الشيخ غولدوتور،

الذي قرر عدم إحالة المسألة على وزارة العدل للإدعاء لأسباب عديدة، منها أنَّ الرستون لم يقصد أن يؤذي، ولم يؤدِّ عمله إلى أي ضرر على الأمن القومي، ولم يثبت أي تسرب للمعلومات، وإذا أعلنت القضية فستحول إلى ورطة بشعة، مما يؤثر ذلك سلباً على رصيد اللجنة. وفي النهاية كان هناك ائمان الذي لا يرضى غولدوتير أن يساء فهمه. وتوصل سيمونز إلى حل وهو سحب براءة الذمة الأمنية للرستون.

قال غولدوتير: «جيد، هذا هو العقاب الصحيح». ولم يستطع الرستون الحصول على براءة ذمة عندما حاول أن يحصل على وظيفة لدى مقالير كبير لوزارة الدفاع. وكان بعض أركان اللجنة ما يزالون يشاركون والرستون تناول طعام الغداء، وعندما علم سيمونز ذلك أبلغ جميع الأركان بأن الرستون شخص غير مرغوب فيه ومن الأفضل أن ينسوه في حياتهم.

أما السناتور ليهي فقد دخل عندما طلب منه الرستون شهادة مؤهلات. في تقريره النهائي ذكر سيمونز أنها يمكن أن تكون أكبر عملية كشف لمعلومات مصنفة من الكونغرس، وبالتأكيد هي العملية الأكبر في لجنة مجلس الشيوخ. وطلب مراجعة أمنية لكل شيء في اللجنة، وشمل ذلك آلاف المستندات، وبعد تفتيش دقيق تولا ضباط أمن لكل ملف حكومي تم تحديد ٤٠ وثيقة لم يعرف المسؤول عنها! ومعظمها يعود لسنوات، ومنها ما وقعها أحد الأركان السابقين للجنة. وقرر سيمونز أن لا يتخذ أي إجراء بذلك. وتم استخلاص دروس كثيرة من هذه التجربة.

وعندما اشتكى كايبي فيما بعد من التسرب المزعوم في اللجنة دافع سيمونز عن الأمن والحيلة في اللجنة. سأل كايبي ماذا عن الصبي الذي أخذ الوثائق؟ ولكنه لم يقل أكثر من ذلك ولم يفعل شيئاً.

اعتبر ائمان أنَّ الاقتراح القاتل بأن الرستون جاسوس هو اقتراح سخيف. والمفترض في الجاسوس وسيد الجاسوس، أي ائمان نفسه في هذا السيناريو، أن يعمل ضد مصالح الدولة التي يخدمها. حسناً لم يخدم ائمان أي مصلحة غير مصلحة الاستخبارات الأمريكية وكذلك الرستون. نعم لقد ارتكب الرستون بعض الأخطاء ولكن ذلك لم يؤدِّ إلى أي أذى. واعتبار ذلك تحسباً يدل على مرض بيروقراطي. وعكس ذلك الآراء السائدة في وكالة المخابرات المركزية ولجان المراقبة في الكونغرس من أنَّ كل فريق كان عدواً للآخر ويتعامل معه على أنه جهاز خبايا معاد.

كانت نظرة كايبي للجان المراقبة بسيطة: عندما تصل إلى الأسرار الهامة والكبيرة لا تشرح لهم كثيراً.

بعد رحيل الرستون ودخول غولدوتير إلى المستشفى للمعالجة ومكوته فيه حوالي ثلاثة أشهر، شعر ائمان بالعزلة. ولهم سفير وهو محرر في صحيفة نيويورك تايمز وجه عددًا من

الضربات لاغان وساء «الملقط» الذي تحكم بغولدوتير وعارض الأعيال الحفية. وكان سفير قد انهم في إحدى مقالاته ائمان بأنه كان «يؤلف قصة زائفة مع بعض المحررين تنفيذ بأن إسرائيل هي التي تثير موضوع فرق الاغتيال الليبية في الإعلام وذلك لإيجاد تبرير لضربة جوية توجه إلى المفاعل النووي الليبي».

شعر ائمان بأن هذا الهجوم شخصي لأنه لم يؤلف أي شيء، وكان واضحاً أنَّ أحد المؤيدين لإسرائيل قد سرب ذلك لسفير لأن ائمان أصر على منع إسرائيل من الإطلاع على صور الأقمار الاصطناعية لاستخدامها في أعمال هجومية وإغارات كما حصل عندما قصفت المفاعل النووي العراقي. وشعر ائمان بأن الإسرائيليين سوف يفعلون أي شيء ضد القذافي وليبيا، وقد يقدمون على اغتيال القذافي ليكسبهم ذلك نقاطاً جديدةً في الولايات المتحدة.

كانت لاغان شكوك حول تهجمات سفير، وربما كان كايبي وادها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وعلم ائمان أنَّ هناك قلة اتصال بين كايبي وسفير منذ نحو ١٥ سنة تقريباً. كان سفير قد أدار حملة ترشيح كايبي الفاشلة لعضوية الكونغرس. وهناك دلائل على اتصالات حديثة بين سفير وكايبي وصلت إلى ائمان. اتصل أحد محرري نيويورك تايمز بائمان لسبب طارئ وأخبره أن أرتھر سلزبرغر ناشر نيويورك تايمز كان يحاول الاتصال بكايبي مستمعاً رقم هاتف منزل كايبي غير المدرج على لائحة الاستعلامات في مركز الهاتف ولكنه لم يتلق أي جواب. هل كان الرقم صحيحاً؟ سأل المحرر ذلك وهو يحاول التحقق من الرقم. نعم إنه كان الرقم الذي أعطاه كايبي لعدد قليل من الناس ومن ضمنهم ائمان الذي فوجئ بأن صحيفة نيويورك تايمز تعرفه. وهكذا، قال محرر نيويورك تايمز بأن سفير لديه الرقم الصحيح.

نعم قال ائمان.

لم يتأكد ائمان من أنَّ لكايبي دوراً في تهجمات سفير ولكنه بقي على حذره منه. الساعة الثالثة بعد الظهر في اليوم التالي لرأس السنة التقى ريغان مع ديفر وبيل كلارك في مزرعة والتر ابرغ سبي لاند في لانشو مبراج كاليفورنيا لمدة ساعتين ونصف الساعة، وتحدث الثلاثة في موضوع مجلس الأمن القومي. لقد استقال ريتشارد ألن من وظيفة مستشار شؤون الأمن القومي وقرر الرئيس نقل كلارك من وزارة الخارجية لاستلام تلك الوظيفة. ومنح كلارك حقاً بالتكلم المباشر مع الرئيس واعتبر الناطق الوحيد باسم البيت الأبيض حول الشؤون الخارجية، وذلك استناداً إلى محضر جلسة المحادثات الذي أعده كلارك. وكان كايبي سعيداً لذلك لأن كلارك الذي كان رئيس أركان ريغان عندما كان الأخير حاكماً لولاية كاليفورنيا هو صديق حميم للرئيس ومعاد للشوعية.

بعد إعلان تعيينه، طلب كلارك نصيحة ائمان حول ما يفعله بأركانه في مجلس الأمن القومي. قال له ائمان إن عليه أن ينظفها تماماً، وخاصة ركن مجلس الأمن القومي حول

الاستخبارات كينيث دي غرافينريد. أصغى كلارك بعناية وتجنب التعهد بأي شيء، وأدرك ائمان أنه أعلن الحرب على دي غرافينريد.

كانت مهمة دي غرافينريد مكافحة التجسس، وركز انتباهه نحو السوفيات ولخص جهودهم بحقيقة هي: «التنموية والتظاهر والخداع»، وأراد دي غرافينريد التأكيد من أن بعض المعلومات التي جمعتها الولايات المتحدة ليست جزءاً من خدعة سوفياتية واسعة النطاق، خصوصاً صور الأقمار الاصطناعية والاتصالات المنقطعة. وقال إنه من المنطقي أن يقوم السوفيات بعمليات خداع، وبما أن الولايات المتحدة لم تكشف شيئاً من هذه العمليات فمن المهم أن تتأكد من أنها لم تتعرض لعملية خداع.

كان ائمان يؤمن بأهمية وكالة الأمن القومي في هذه المسائل. نعم لقد كان الشك ضرورياً ربما يكون هناك خداع ولكن الشك البعيد كان ضرباً من الجنون. إذا استطاع السوفيات أن يبنوا «قرى فوتوغرافية والكثرتية» فلن يبقى عندهم لا وقت ولا مال لأي عمل آخر. والمعلومات المأخوذة من الاتحاد السوفياتي تعود لسنتين عديدة لا بل هي مستمرة منذ عقود. استنتج ائمان أن نظرية دي غرافينريد غير معقولة.

لم يكن ائمان سعيداً بأن يحصل دي غرافينريد على هذا التفوذ وهو طيار سابق في البحرية ويبلغ ٤١ سنة من العمر وعمل لمدة سنة واحدة كمترجم في الكونغرس وسنة أخرى في وكالة الاستخبارات الدفاعية. وكان ائمان يعتقد بأن المجموعة الاستخبارية التي أعدت لتخدم الرئيس تعمل لصالح مجلس الأمن القومي ولذلك يستطيع أحد الأركان الأقوياء الذي يدرك حقيقة مركزه أن يجدد أولويات الاستخبارات ويتحكم بسياساتها ويشرف على مواردها.

واقبس دي غرافينريد إحدى طرق ائمان للسيطرة. وأعد دراسة موجزة لمكافحة التجسس على نفس غط الدراسة «الإمكانات الاستخبارية بين عامي ١٩٨٥ - ١٩٩٠» التي نجح ائمان في إجرائها. قال دي غرافينريد إن هناك حاجة لكسر الحواجز البيروقراطية في مكتب التحقيق الفدرالي ووكالة المخابرات المركزية ووكالات الاستخبارات العسكرية، وإنه يجب إنشاء سلطة مركزية لمكافحة التجسس مزودة بملفات مركزية. إن توزيع عمل مكافحة التجسس على حدود الولايات المتحدة (أي وكالة المخابرات المركزية في الخارج ومكتب التحقيق الفدرالي في الداخل) هو شيء غير طبيعي لأنّ جميع الحريات المدنية يقلق عندما تجتمع هذه الأجهزة.

اعتبر دي غرافينريد أن وصول كلارك إلى مجلس الأمن القومي فرصة لتحقيق أهدافه، وعرض عليه مشروع قرار أممي قومي ليقوعه الرئيس يدعو إلى إجراء دراسة عن مكافحة التجسس، وتجسس كلارك لذلك.

أبلغ نائب كلارك باد مكفرلين الذي انتقل معه من وزارة الخارجية، ائمان بأن دي

غرافينريد سيبقى في مجلس الأمن القومي. وسرعان ما تلقى ائمان القرار الأممي القومي موقعاً من الرئيس ريغان، وبموجبه تُوَلِّف مجموعتان رئيسيتان على مستوى عالٍ مع صلاحيات قوية، الأولى برئاسة مدير مكتب التحقيق الفدرالي ويستر، والثانية برئاسة نائب وزير الدفاع كارلوتشي. خسر ائمان في هذه المعركة البيروقراطية، وبدا واضحاً أن دي غرافينريد لن يبقى في مجلس الأمن القومي فقط بل سيزداد نفوذه.

لم يكن كايسي مرتاحاً للقرار الأممي القومي حول مكافحة التجسس، ولإيلائه إلى مكتب التحقيق الفدرالي ووزارة الدفاع. ولكنه لم يعتبر ذلك صفقة كبيرة يؤسف عليها، وتعجب من موظفي الحكومة القدامى لأنهم يأخذون هذه المعارك بجدية.

استنتج ائمان أن كايسي ربما كان على حق وحاول أن يظهر اللامبالاة. كان كايسي مزيجاً من الصعب والسهل. فقد صدر تقرير استخباري قومي حول الشرق الأوسط تضمن أربع وجهات نظر قوية. الأولى من خبراء وكالة المخابرات المركزية والثانية من وكالة الاستخبارات الدفاعية والثالثة من ائمان والرابعة من كايسي شخصياً. هل استعمل كايسي سلطته كمدير مخبرات مركزية ليحكم الجميع ويضع وجهة نظره كاستنتاج رئيسي؟ لا، وببساطة أخذ كايسي وجهات النظر الأربع إلى الرئيس. وعلى صعيد الأعمال الخفية ازداد قلق ائمان لأن كايسي وضع وكالة المخابرات المركزية في صف واحد مع بعض الشخصيات الكريمة في العالم.

استقبل كايسي في مقره في لانغلي وزير الدفاع الإسرائيلي ايريل شارون وهو جنرال سابق ضخم الجسم متوحش متطرف ويعد من الصقور. كانت إسرائيل تقدم دعماً سرياً شبه عسكري للميليشيا المسيحية الرئيسية في لبنان وهي ميليشيا حزب الكتائب الميمشي التي يرأسها بشير الجميل وهو ذو وجه يشبه وجه طفل صغير، قاسٍ ومتحجر ومن زعماء الحرب الأهلية، ويبلغ من العمر ٣٤ عاماً. وقد تطور الجميل وأصبح واحداً من أفضل القادة الموهوبين، وسعى إلى لعب دور قوي في المستقبل. وكان الإسرائيليون مستمرين في لعبتهم إذ طلب شارون مبلغ ١٠ ملايين من الدولارات كدعم شبه عسكري للجميل.

عارض ائمان ذلك، ففي عام ١٩٧٨ شنت قوات بشير هجوماً صاعقاً على منزل طوني فرنجة الصفي، وهو الخليفة السياسي لرئيس الجناح المسيحي المتنافس، وذبحته زوجته وابنته البالغة من العمر سنتين وحراسه وحتى خدمه. وفي عام ١٩٨٠ كانت ميليشيا بشير على وشك سحق ميليشيا الرئيس السابق كميل شمعون. لقد كان بشير قاتلاً متوحشاً.

كان هناك الكثير، وبعضه غيباً في ملفات الاستخبارات. فبالعودة إلى السبعينات، وبعد أن أنهى بشير الجميل دراسة الحقوق والعلوم السياسية في لبنان، حضر إلى الولايات المتحدة ليعمل في مؤسسة قانونية في واشنطن، وتم تجنيده للعمل في وكالة المخابرات المركزية. وكصغير في عائلة من ستة أفراد، كان بشير دون شك يمضي في طريق غامض في

هذه العائلة القوية، والده بيار الجميل رئيس حزب الكتائب، ومن المقرر أن يرث الابن الأكبر زعامة هذا الحزب الذي تأسس عام ١٩٣٦ كحركة شباب رياضية وعسكرية. لم يكن بشير عميلًا لسهل التحكم به على الرغم من أنه قبض مالا من وكالة المخابرات المركزية بشكل منظم وأعطى اسماً سرياً. وكانت تقاريره تعمم دون ذكر هوية المصدر. وكانت المدفوعات بضعة آلاف من الدولارات.

عام ١٩٧٦ تخلى بشير العادات اللبنانية واحتل مركزه في قيادة الميليشيا بدلاً من أخيه الأكبر وزادت أهميته بالنسبة إلى وكالة المخابرات المركزية وزادت مدفوعاتها له. وكان لوكالة المخابرات المركزية وجود قوي في بيروت، التي تعتبر مفرق الطرق في الشرق الأوسط وأكثر عواصم العرب تأثراً بالغرب وتحتشد بالمؤامرات والمكائد. وكان اللبنانيون الأغنياء والنافذون يتجولون في المنطقة العربية ويؤمنون معلومات هامة حول دول عربية يصعب الاقتراب منها. وتوسع دور بشير وزادته أهمية معلوماته وشموها. وسرعان ما اعتبرته وكالة المخابرات المركزية من النافذين في المنطقة ومركز نفوذ رئيسي. وفي الوقت نفسه أصبح زعيماً لبنانياً له تطلعات واسعة ونظرة وطنية شاملة وتحدث عن لبنان الجديد.

اعتقد ائمان بأن بشير ما زال قاتلاً ويأمن على وكالة المخابرات المركزية أن لا ترقص مع هذا الشيطان، وأن لا تؤمن المساعدة ليليشياته، وخصوصاً مبلغ العشرة ملايين دولار. واعتقد بأن الإسرائيليين، وشارون بالتحديد، كانوا يطيحون شيئاً ما. كان لهم نفوذ كبير في لبنان وأرادوا المزيد. دق شارون وهو صديق مقرب لأكسندر هيغ ناقوس الخطر لدى جميع أركان إدارة ريفان، وسرعان ما كان هيغ يضغط لصالح آرائه وطلباته. وكان كايبي يحترم التقارير الواردة من عظمات الوكالة. وكانت محطة بيروت بشكل شاذ معادية لبشير، وانفتحت مع ائمان على أنه بربري ومتلاعب و مختال، واهتمته بأنه يلبس على الأمريكيين وعلى الإسرائيليين، ويتكلى على أي ظهر ليحصل على المساعدات المالية وعلى التجهيزات. كانت محطة تل أبيب تعكس وجهة نظر شارون وإسرائيل، وقالت إن بشير يتحرك بسرعة وهو زعيم جيد يمكن أن يوصل لبنان إلى الاستقرار، ولم تبد إعجابها به فقط بل نصحت باعتباره حقيقة هامة. ففي بعض الأوقات كانت وكالة المخابرات المركزية تعمل مع بعض العناصر غير المرغوب فيهم. كذلك كان بشير معادياً لنظمة التحرير الفلسطينية التي كان كايبي يرى أنها تهديد وجود إسرائيل.

خسر ائمان الجدل ووقع الرئيس ريفان مذكرة سرية جداً، يمنع بموجبها مساعدة ١٠ ملايين دولار لميليشيا بشير الجميل.

بحلول وسط آذار/ مارس ١٩٨٢ قوّم ائمان وضعه الشخصي. فهو سيلعب الخمسين بعد أسبوعين، وقد ترقى بأسرع ما يمكن في البحرية، وكان يسعى إلى منصب مدير المخابرات المركزية ولم يتسنّ له ذلك، وكان يقترع من نقطة اللاعودة في حياته. أراد أن يبدأ

حياة جديدة، وعليه أن يبدأها الآن. إنه لا يحتمل العمل في وظائف مثل مستشار أو بائع أسلحة، ولا يريد أن يشق طريقه نحو مزرعة في ماريلاند على الساحل الشرقي حيث يقام مجمع للضباط المتقاعدين. وابناه قد بلغا سن المراهقة وهما توماس ووليم، وميلدهان إلى الجامعة قريباً. والحقيقة المرّة أن ائمان لا يستطيع أن يسجلهم في الجامعات الخاصة الباهظة التكاليف. وبعد خدمة حوالي ٣٠ سنة في البحرية كان يملك منزله المرهون في ارلنغتون فرجينيا (٨/٨) على ٢٢ سنة لشركة ارلنغتون ترست) وآلاف قليلة من الدولارات في اتحاد البحرية الفدرالي وألفي دولار في رابطة التوفير الأمريكية (كان كايبي يهزأ من الذين يوظفون أموالهم في استثمار ضعيف كهذا ولم يشترك في هذه الرابطة). كذلك اقتنع ائمان بأنه لم يكن متحمساً للعمل في الاستخبارات، وقد كان مفتوناً منذ سنوات بكيفية الحصول على المعلومات، وبعد هذا لم تعد الاستخبارات تعني أي شيء له. ولكن موائد الفطور، التي اصطحبه كايبي إليها مع هيغ وينسبرغر، أثارت تساؤله حول أسلوب استخبار الاستخبارات. تلك كانت السياسة. إنها ما حسبه. لقد عرف الآن أنه في المركز الخطأ.

في آذار /مارس، وعندما أعلن عن عملية نيكاراغوا، برزت مشاكل جديدة في الواجهة. كان كايبي وديوي كلاريدج يديران العمليات. اشترك مدير العمليات جون شتان لائمان من أنه استبعد عن إدارة هذه العملية. وكذلك أبعد ائمان. كانت تجري الأمور من حوله، وكان يجهد ليتعرف على التفاصيل، ولكنها لم تكن تعجبه عندما يجدها. كانت وكالة المخابرات المركزية على وشك تقديم المساعدة السرية إلى ادوين باستورا وهو ساندنيي سابق وزعيم سيء السمعة انفصل عن الساندنيين بعد الثورة. وكان ائمان يشبهه بحيوان الباراكودا وهو مثل بشير الجميل في لبنان. السلفادور كانت شغال نيكاراغوا. وكل ما يجب فعله كان النظر إلى الخريطة لترى أن باستورا يعمل على مسافة أكثر من ثلاثمائة ميل من أي طريق محتملة لنقل السلاح إلى السلفادور. تلك هي الحقيقة البسيطة والواضحة. والادعاءات بأن هدف عملية نيكاراغوا كان منع وصول الأسلحة إلى السلفادور كانت كاذبة. وأدرك ائمان أن مساعدة باستورا كانت تهدف إلى الإطاحة بالساندنيين. إن تعليقات كايبي غير العادلة والمتشاكبة حول النظام النيكاراغوي ألححت لائمان بكل ما احتاج لمعرفته. كلما تطلع ائمان إلى المستقبل قلت ثقته. طرح أسئلة كثيرة وقرأ ملفات كثيرة، وسأل عن الأسباب التي جعلت برنامج نيكاراغوا سرياً، واستنتج أن الإدارة لم تعلن عنه لأنها يمكن أن تدفع الثمن السياسي المحلي. واقتنع ائمان بأن السرية كانت لتجنب الجدل الشعبي حول القضية. ورأى أنه لو أعلن عن العملية لما اهتم بها أحد. من الواضح أن ريفان وكايبي يقرمان بأعمال خفية وعندما تنكشف هذه الأعمال لا يتحملان تبعاتها. وزارة الخارجية والبيت الأبيض وكايبي أرادوا أكثر من ذلك، لأن المجلس الديبلوماسي كان طويلاً، أما المجلس الخفي فقد بدا للوهلة الأولى أرخص وأكثر نجاحاً. اعتبر ائمان أن هذا تفكير ساذج. لم يكن ائمان

معجباً بعناصر مديرية العمليات. وبالعودة إلى عام ١٩٦٥ عندما كان مساعداً للملحق البحري في استوكهولم، فقد كان له مصدر قوي وممتاز يؤمن له معلومات عسكرية هامة حول بلدان أخرى. حاولت محطة وكالة المخابرات المركزية الصغيرة والمعجزة أن تسرق مصدره ولما فشلت حاولت إحراق هذا المصدر وذلك بتسريب معلومات للسلطات السويدية تقول إن عندهم فياً ثرواراً. لم ينس اتمان ذلك أبداً.

تساءل اتمان متى نفذ أي من الخطط السرية شبه العسكرية لمديرية العمليات؟ أبداً، في نظر اتمان. وحتى إذا نُفذ فإن الحكومة الجديدة المدعومة من الولايات المتحدة في البلد الذي تنفذ فيه العملية يمكن أن تتحول بسرعة إلى أسوأ من الحكومة السابقة، وربما لن تستطيع الحكم أو استلام السلطة. بدأ تنفيذ بعض العمليات الخفية في أفغانستان بعد الغزو السوفياتي مما يجعل الروس يدفعون الثمن. يمكن للأعمال الخفية في أفغانستان أن تواجه بفعالية الحملات الإعلامية السوفياتية.

كان اتمان قلقاً حول السرية التي تهيمن على أعمال جمع المعلومات، وهي عمليات الجمع الحساسة، آلات تسجيل المكالمات الهاتفية وآلات الاستماع في الغرف، وتمّ توسيع نطاق العمل بهذه المعدات. وهذا الجمع التقني السري للمعلومات له إغراءاته لأنه يمكن أن يزود البيت الأبيض بضربات استخبارية للمحادثات الشفهية لرئيس وزراء دولة أجنبية. فوجئ اتمان بالتركيز على هذه العمليات، وبأنه لم يؤخذ خطر التعرض والاكتشاف بعين الاعتبار.

إن حياة بعض المعدات تتراوح بين ١٨ شهراً وستين، ويمكن اكتشاف بعض الآلات الصغيرة، ويمكن أن ينتهي مفعول بعض البطاريات الصغيرة، ويمكن أن تتعرض للأطعام. لقد كانت العمليات غير السرية، أي صور الأخبار الاصطناعية وجمع إشارات الراديو وحل شيفرة الرسائل، التي لا تحتاج إلى استعمال آلات صغيرة جداً، أفضل وأصدق وأقل تعرضاً. هذه الطرق المنهجية لا تتوافق مع طبيعة كايبي الذي كان متسرعاً، وناقد الصبر، ويريد دائماً أن يلفت الأنظار في البيت الأبيض.

في عيد الميلاد الثالث سأل ابن اتمان الكبير والده المرحوم والموتور: «ما نوعية هذه الحياة؟» وبقي هذا السؤال يرن في أذنه.

غادر اتمان إلى هاواي لمدة أسبوعين للراحة. وبعد حوالي عشرة أيام عاد إلى لانغلي وأقحم نفسه عمداً مع كايبي وكلاريدج، وكانا مشغولين ببناء جيش الكونترا، وطرح اتمان بعض الأسئلة: إلى أين يذهب الكونترا؟ وإلى أين تتجه وكالة المخابرات المركزية؟ والإدارة؟ هل هناك خطة؟ هل تعلم من هم هؤلاء الناس؟ إنهم لا يقاتلون ليخلصوا السلفادور بل يريدون السلطة أليس كذلك؟ وهذا ما يزيد من مشكلات المذكرات التي سمحت بهذا البرنامج. هل أصبحت الوكالة على شفير الهاوية؟

لم يحب كايبي وكلاريدج ولم تعجبها الأسئلة. هذه هي سياسة الإدارة. هذا ما أراه رونالد ريغان. كان كايبي متأكداً من أنه يقف على أرض صلبة. وبعد نصف ساعة تيسس اتمان وكاد يحترق في داخله. لم يُصغِر كايبي وكلاريدج وكانا غير مباليين. لقد كان اتمان خارجياً بالنسبة إليهما. كان حاجزاً.

وجد كايبي أنَّ اتمان لاعم ولكنه هش، وهو صبي قلق على صورته ولم يرغب بالمخاطرة بها أو بصورة الوكالة لإنجاز عمل صعب وقلق جداً من الأعمال الخفية. وأدرك كايبي أنه من الأفضل أن يكون لديه نائب مدير أقل اهتماماً بقصاصات الورق!

بقي أمام اتمان شكل تقديم الاستقالة فقط. ٢٢ آذار/مارس كتب رسالة من ثلاثة مقاطع إلى الرئيس ريغان يذكره فيها بأنه قبل طلبه السنة الفائتة ليعمل نائباً لمدير المخابرات المركزية وجاء في الرسالة: «لهذا ساكون ممنوناً إذا قبلت استقالي». وقال اتمان مشيداً بجهود رونالد ريغان لإعادة بناء وكالات الاستخبارات: «أنت والمدير كايبي لكما أحر تمنيائي بالنجاح الدائم». وقبل تسليم الرسالة إلى كايبي أرسل نسخاً عنها إلى بوش ووينبرغر وكلاارك مؤكداً أنها نهائية. وانزعج كايبي وقلق من تسرب أنباء الاستقالة وظروفها، لكنه بقي هادئاً، وبدأ يفتش عن البديل.

يوم الأربعاء ٢١ نيسان/أبريل وبعد ستة أسابيع من نشر صحيفة واشنطن بوست الخبر حول العملية السرية في نيكاراغوا توجهت^(٥) للقبالة غولدووتر لأعلم منه ما إذا كانت وكالة المخابرات المركزية قد أخبرت عن العملية قبل حصولها. وكانت مكاتب الشيوخ تكتظ بالناظرين. كانت هناك صور تذكارية وأوسمة معلقة على الجدران وجميع إشارات الحرب. وكان مكتب غولدووتر مرتباً، ولم يكن هناك، حتى قلم رصاص في غير مكانه، والمظهر الوحيد الملفت كان كومة من معدات هواة الاسلحة على طاولة وراء مكتبه. قال غولدووتر وهو يعني برادلي: عندما اتصل بي «بن» حول هذا الشيء المتعلق بأميركا الوسطى، ولم يتكلم أكثر من عشر كلمات، علمت معرفته بالموضوع وقلت له «لماذا لا تتصل ببيل كايبي؟» وأضاف «لقد كنت أكرم معه». لقد أضلنا كايبي ولكنه لم يكذب، وهذا هو المكر والخداع. ثم قال غولدووتر: «اعتقدت بأن الشعب الأمريكي يجب أن يطلع على ذلك إلا أني في الحقيقة ذهلت عندما أعلن عن العملية».

ثم شرح نظريته في الأعمال الخفية لوكالة المخابرات المركزية. كان ذلك جيداً. لا أحد فاجأ ولا صراخ في الشوارع. كانت العملية الخفية أهون الشرين لأنها تجنب إرسال وحدات عسكرية أميركية. وأضاف «يجب أن نعلن عن الكثير من هذه الأعمال، علينا الإعلان عن ٧٥ ٪ من الإنجازات التي نسمعها حول الاستخبارات» نحن لا نأتمر للإطاحة بالحكومات.

(٥) المؤلف وود ورد.

يمكن أن نسب بعض المشاكل الاقتصادية ولكننا لا نطرح أبداً بالحكومات».

سألت: هل كانت الاستخبارات حول الاتحاد السوفياتي جيدة؟
قال غولدوتور: «لا تملك أي عين هناك، علمت أنه منذ اثني عشرة سنة كان لنا
خمس مجموعات من العيون تعمل لصالحنا، ثم قال بشفة واضحة: «لنا الآن أفضل
استخبارات الكترونية في العالم ويمكنها العمل إلى مدى بعيد».

سألت: ماذا عن الأخبار الاصطناعية؟

أجاب: لقد طالت بنشر هذه الصور (أي صور الأقمار الاصطناعية) ولكنهم لم
يوافقوا، لأنها تظهر واضحة في الجملات، وقد يستفيد منها الروس. وأوضح أن الروس قد
يكونون قادرين على حساب إمكاناتنا بدقة. ثم أضاف غولدوتور وهو يعني ظهره ويخفض
صوته: «... لم تعد الصور مهمة ولدينا أشياء جديدة...» توقف قليلاً ثم تابع «لا أستطيع
أن أتكلم عنها أبداً. إنها شبحية. وأنا أرغب أن نقوم معاً برحلة ذات ليلة. إنها متعة،
سترى ذلك من خلال تكنولوجيات متطورة للأشعة تحت الحمراء أو الأشعة الكهرطيسية أو
الرادارات المتقدمة». وبدا واضحاً أن الولايات المتحدة تملك شيئاً أفضل من الصور.

ثم سأله ماذا عن كايبي؟

قال: «رجل جيد، شريف، وجاسوس حقيقي، عمل في مكتب الخدمات
الاستراتيجية، وصبي حقيقي مع...» ثم رفع يده عالياً كأنه يريد أن يضرب بسكين وهمية
على الطاولة وقال: «خنجره ثم ابتم». وتابع وهو يمز رأسه: «لكن نحن نقوم بذلك العمل
بطريقة مختلفة». وأضاف إن مشكلة كايبي هي في كونه غير صريح «وعندما أريد أن أعرف
ماذا يجري كنت أتصل بامان»، ثم توقف وتابع، «أنت تعلم أننا سنخسر الاميرال امغان».
قلت: لا يوجد أي إشاعة حول هذا الموضوع. هل هذا نهائي؟ هل سيرحل امغان؟
أجاب غولدوتور: نعم، وأوضح أنه حاول أن يمنع ذلك دون نتيجة وأنهم يبحثون عن
البديل.

سرب أحد مساعدي غولدوتور للبيت الأبيض أن غولدوتور هو الذي أفشى قصة
امغان. وقبل انتهاء ذلك النهار أعلن البيت الأبيض استقالة امغان، وأصدر بياناً شكلياً
بالموضوع مطبوعاً على الآلة الكاتبة.

بعد يومين صرح السناتور ريتشارد لوغار وهو جمهوري محافظ من انديانا وعضو في
لجنة الاستخبارات بأنه يريد أن يرسل بعض الإشارات العلنية إلى البيت الأبيض حول
استبدال امغان. كان لوغار صديقاً لامغان، عملاً معاً كضابطي استخبارات في أواخر
الخمسينات... قال إذا كان هذا يعني مجلس الشيوخ فإن امغان هو رجلنا. وستتوقف اللجنة
عن العمل إذا لم يعين بديل متعرف، وأضاف: «إن بيل كايبي هو أميركي قادر واتخذ
قرارات جيدة جداً»، ثم هاجمه قائلاً: «هناك تعقيدات في كايبي تمنعنا من معرفة ما يجري».

ولقد صوتنا لكايبي وامغان كشائلي لا يفصل، كايبي لأنه يتمتع بشفة الرئيس وامغان لأنه
يعرف ما يجري».

وكان كايبي يدرك أن مدير المخابرات المركزية هو كيش الغداء، وتوقع أن يسواجه
اعتراضات من الديمقراطيين والليبراليين الذين يشكون بعمل الاستخبارات. لكن لوغار
كان رفيقاً في الحزب الجمهوري وكان لطيفاً بشكل عام، وشك كايبي بامان.

تجنب امغان في مقابلاته مع وسائل الإعلام الحديث عن القضايا التي اختلف فيها مع
كايبي والإدارة وشعر بأنه على حق. لكنها كانت قرارات سياسية اتخذها الرئيس ومدير
المخابرات المركزية. لن يوجه أي اتهامات علنية ولن يظهر عدم ولائه. قال ببساطة إنه خسر
حيوته من أجل معركة بيروقراطية وإن علاقته مع كايبي كانت جيدة ولم تكن وثيقة.
وأثناء الوداع سأله كايبي لماذا لم يكن قريباً ووثيقاً ولماذا قال ذلك للصحافة؟

أشار امغان إلى أن كايبي كان يجماله في أحاديته! وبالنسبة إليه كانت الحقيقة بسيطة
وسهلة: لم يكونا قريبين واختلفا حول الكثير، حول الاستخبارات وحول القضايا الدولية.
حصل امغان على وظيفة رئيس فريق أبحاث في اتحاد شركة ميكرو الكترونيكس
وتكنولوجيا الكمبيوتر، التي كانت تُعد بالاشتراك مع عشر مؤسسات في تكساس مشروعة
لتطوير السور كومبيوتر الذي يصبح قريباً من التفكير البشري والذي يوحد البيانات ويجمعها
ويحل الشيفرة. وكان تيد الستون الركن السابق للجنة استخبارات مجلس الشيوخ من ضمن
موظفي هذه الشركة!

ولم يتكلم كايبي وامغان مع بعضهما بعد ذلك أبداً.

أعطى البيت الأبيض لكايبي مهلة ٤٨ ساعة لاتقترح اسم نائب مدير مقبول من لجنة
مجلس الشيوخ. والاختيار الوحيد كان جون مكماهون وهو مدير العمليات السابق في عهد
تورنر والرئيس السابق للجانب التحليلي، وهو الآن المدير التنفيذي للوكالة وتقنياً الرجل رقم
٣. إنه لا يملك المبادرة ليكون مدير عمليات ناجحاً وقبلاً، وكان يعمل على الحد الفاصل
بين الاستقلال في الرأي والولاء للقيادة، ويستطيع أن يثير جلبة لا داعي لها! ولكنه يعلم
كيف يتلقى الأوامر، التي كان ينفذها دون تذر أو استياء. لم يكن خادماً متزلفاً مثل هوغل
أو خارجياً مثل امغان. كان ذا شكوك، لكنه لم يعترض على الأعمال الخفية.

وكان مكماهون يعتقد بأن على الوكالة أن تعرف «الحقيقة على الأرض»، وذلك إلى
جانب الاستخبارات التقنية والمصادر البشرية، وهذا لا يعني العمل في نقاط بعيدة ومنعزلة،
بل يعني الخروج إلى طواير الناس والكتائن المكثفة وراء الستار الحديدي.

قال أحد الرجال السريين لوكالة المخابرات المركزية، والذي تحول إلى روائي حول
الجواسيس: إن الوكالة تحوي نخبة من ألمع الناس الذي يمكنهم أن يجتمعوا في منظمة، وهم
أناس فهموا جميع البلاد إلا بلدهم.

يمكن أن نسب بعض المشاكل الاقتصادية ولكننا لا نطرح أبداً بالحكومات».

سألت: هل كانت الاستخبارات حول الاتحاد السوفياتي جيدة؟
قال غولدوتور: «لا غم لك أي عين هناك، علمت أنه منذ اثني عشرة سنة كان لنا خمس مجموعات من العيون تعمل لصالحنا، ثم قال بقة واضحة: «لنا الآن أفضل استخبارات الكترونية في العالم ويمكنها العمل إلى مدى بعيد».

سألت: ماذا عن الأقمار الاصطناعية؟

أجاب: لقد طالبت بنشر هذه الصور (أي صور الأقمار الاصطناعية) ولكنهم لم يوافقوا، لأنها تظهر واضحة في المجلات، وقد يستفيد منها الروس. وأوضح أن الروس قد يكونون قادرين على حساب إمكاناتنا بدقة. ثم أضاف غولدوتور وهو يمني ظهره ويخفض صوته: «... لم تعد الصور مهمة ولدينا أشياء جديدة...» توقف قليلاً ثم تابع «لا أستطيع أن أتكلم عنها أبداً. إنها شبحية. وأنا أرغب أن نقوم معاً برحلة ذات ليلة. إنها ممتعة، سترى ذلك من خلال تكنولوجيات متطورة للأشعة تحت الحمراء أو الأشعة الكهرطيسية أو الرادارات المتقدمة». وبدا واضحاً أن الولايات المتحدة غمك شيئاً أفضل من الصور.

ثم سأله ماذا عن كايبي؟

قال: «رجل جيد، شريف، وجاسوس حقيقي، عمل في مكتب الخدمات الاستراتيجية، وصبي حقيقي مع...» ثم رفع يديه عاليًا كأنه يريد أن يضرب بسكين وهمية على الطاولة وقال: «خنجر» ثم ابتسم. وتابع وهو يمز رأسه: «لكن نحن نقوم بذلك العمل بطريقة مختلفة»، وأضاف إن مشكلة كايبي هي في كونه غير صريح «وعندما أريد أن أعرف ماذا يجري كنت أتصل بامغان، ثم توقف وتابع، «أنت تعلم أننا سنخسر الاميرال امغان».

قلت: لا يوجد أي إشاعة حول هذا الموضوع. هل هذا نهائي؟ هل سيرحل امغان؟
أجاب غولدوتور: نعم، وأوضح أنه حاول أن يمنع ذلك دون نتيجة وأنهم يخبثون عن البديل.

سرب أحد مساعدي غولدوتور للبيت الأبيض أن غولدوتور هو الذي أنشئ قصة امغان. وقبل انتهاء ذلك النهار أعلن البيت الأبيض استقالة امغان، وأصدر بياناً شكلياً بالموضوع مطبوعاً على الآلة الكاتبة.

بعد يومين صرح السناتور ريتشارد لوغار وهو جمهوري محافظ من انديانا وعضو في لجنة الاستخبارات بأنه يريد أن يرسل بعض الإشارات العلنية إلى البيت الأبيض حول استبدال امغان. كان لوغار صديقاً لامغان، عملاً معاً كضابطي استخبارات في أواخر الخمسينات. قال إذا كان هذا يعني مجلس الشيوخ فإن امغان هو رجلنا. وستتوقف اللجنة عن العمل إذا لم يعين بديل محترم، وأضاف: «إن بيل كايبي هو أميركي قادر واتخذ قرارات جيدة جداً، ثم هاجم قائلاً: «هناك تعقيدات في كايبي تمنعنا من معرفة ما يجري».

ولقد صوتنا لكايبي وامغان كشئائي لا ينفصل، كايبي لأنه يتمتع بقة الرئيس وامغان لأنه يعرف ما يجري».

وكان كايبي يدرك أن مدير المخابرات المركزية هو كيش الغداء، وتوقع أن يواجه اعتراضات من الديموقراطيين والليبراليين الذين يشكون بعمل الاستخبارات. لكن لوغار كان رفيقاً في الحزب الجمهوري وكان لطيفاً بشكل عام، وشك كايبي بامغان.

تجنب امغان في مقابلاته مع وسائل الإعلام الحديث عن القضايا التي اختلف فيها مع كايبي والإدارة وشعر بأنه على حق. لكنها كانت قرارات سياسية اتخذها الرئيس ومدير المخابرات المركزية. لن يوجه أي اتهامات علنية ولن يظهر عدم ولائه. قال ببساطة إنه خسر حيويته من أجل معركة بيروقراطية وإن علاقته مع كايبي كانت جيدة ولم تكن وثيقة.

وأثناء الوداع سأله كايبي لماذا لم يكن قريباً ووثيقاً ولماذا قال ذلك للصحافة؟

أشار امغان إلى أن كايبي كان يجماله في أحاديثه وبالنسبة إليه كانت الحقيقة بسيطة وسهلة: لم يكونا قريبين واختلفا حول الكثير، حول الاستخبارات وحول القضايا الدولية. حصل امغان على وظيفة رئيس فريق أبحاث في اتحاد شركة ميكرو إلكترونيكس وتكنولوجيا الكمبيوتر، التي كانت تهود بالاشتراك مع عشر مؤسسات في تكساس مشروعا لتطوير السوبر كومبيوتر الذي يصبح قريباً من التفكير البشري والذي يوحد البيانات ويجمعها ويحل الشيفرة. وكان نيد رالستون الركن السابق للجنة استخبارات مجلس الشيوخ من ضمن موظفي هذه الشركة!

ولم يتكلم كايبي وامغان مع بعضهما بعد ذلك أبداً.

أعطى البيت الأبيض لكايبي مهلة ٤٨ ساعة لاقترح اسم نائب مدير مقبول من لجنة مجلس الشيوخ. والاختيار الوحيد كان جون مكماهون وهو مدير العمليات السابق في عهد تورنر والرئيس السابق للجانب التحليلي، وهو الآن المدير التنفيذي للوكالة وتفتي الرجل رقم ٣. إنه لا يملك المبادرة ليكون مدير عمليات ناجحاً وفعالاً، وكان يعمل على الحد الفاصل بين الاستقلال في الرأي والولاء للقيادة، ويستطيع أن يثير جلبة لا داعي لها! ولكنه يعلم كيف يتلقى الأوامر، التي كان ينفذها دون تدمير أو استياء. لم يكن خادماً متزلفاً مثل هوغل أو خارجياً مثل امغان. كان ذا شكوك، لكنه لم يعترض على الأعمال الخفية.

وكان مكماهون يعتقد بأن على الوكالة أن تعرف «الحقيقة على الأرض»، وذلك إلى جانب الاستخبارات التقنية والمصادر البشرية، وهذا لا يعني العمل في نقاط بعيدة ومنعزلة، بل يعني الخروج إلى طوابير الناس والكنائس المكنته وراء الستار الحديدية.

قال أحد الرجال السريين لوكالة المخابرات المركزية، والذي تحول إلى روائي حول الجواسيس: «إن الوكالة تحوي نخبة من ألمع الناس الذي يمكنهم أن يجتمعوا في منظمة، وهم اناس فهموا جميع البلاد إلا بلدهم».

لم يكن هناك طريقة لمعرفة الحقيقة أفضل من إجراء جولات في الكونغرس. وبما أنه يجب إقرار تعيين نائب مدير المخابرات المركزية في مجلس الشيوخ، دعا مكماهون عدداً من الشيوخ إلى الاجتماع في مقر لجنة استخبارات مجلس الشيوخ. وأثناء حديثه معهم وجد أن كايسي هو دائماً الموضوع الرئيسي. كانت الثقة معدومة عند الجميع. وتدرج ذلك من الشيوخ الذين أرادوا أن يتأكدوا من أن مكماهون جاهز دائماً للإجابة عن الأسئلة للشيوخ مثل بات ليهي، الذي أراد تعهداً محموراً على الصخر بأن مكماهون سيصبح نظام الإنذار المبكر لهم. أعطى مكماهون الوعود المطلوبة وفوجئ بأن عدداً من الشيوخ حمل على كايسي. كان مكماهون يعتقد بأن كايسي كان بارعاً بعدم الاكتراف بالشيوخ، ولكنهم أحسوا بذلك. وكان أكثر من نصف الذين قابلهم، وعددهم حوالي خمسة عشر في حالة غضب شديد. قال مكماهون لكاييسي فيما بعد: «يبل يجب أن تبذل بعض الجهد في الكونغرس».

«أوكي، نعم» وافق كايسي.

في ذلك الربيع اهتم كايسي بمنطقة أخرى هي جزر الفوكلاند وهي مستعمرة تابعة للتاج البريطاني، وكانت القوات الأرجنتينية قد اجتاحت هذه الجزر واحتلتها، ونشبت أزمة بين بريطانيا والأرجنتين. حاولت الإدارة الأمريكية في البدء أن تقف على الحياد ثم أعلنت تأييدها وانحيازها إلى الحليف القديم بريطانيا. ووردت تقارير صحافية تفيد بأن البريطانيين استفادوا من صور الأقمار الاصطناعية. وفي الحقيقة أن منطقة جنوب المحيط الأطلسي لم تكن مغطاة بالأقمار الاصطناعية، وفيما بعد أطلقت الولايات المتحدة قمرًا اصطناعياً لتغطية المنطقة وتبعها الاتحاد السوفياتي الذي أطلق قمرين.

كانت هناك مصادر بشرية مقربة من المجلس العسكري الحاكم في بيونيس ايريس تعمل لصالح الاستخبارات الأمريكية. لقد خدع الأرجنتينيون أنفسهم عندما ظنوا أن الولايات المتحدة سوف تلزم الحياد في هذا الصراع، وهكذا أثبت الضباط الأرجنتينيون والمسؤولون الرسميون معلومات غريبة لمحة وكالة المخابرات المركزية وللملحق العسكري الأمريكي في بيونيس ايريس والذي أرسل نسخة عن معلوماته إلى لانغلي وإلى وزارة الخارجية والبيت الأبيض. تأكد كايسي من أن التنسيق كان جارياً بين وكالة المخابرات المركزية ووكالات الاستخبارات العسكرية، وكانت المعلومات التي تجمع تستمر على الفور. وبما أن سياسة الرئيس كانت منحازة إلى بريطانيا، أعطيت المعلومات إلى ذلك الحليف الذي يخوض حرباً حقيقية. وكان قد تعلق بقاء رئيسة وزراء بريطانيا تأثر في الحكم نتيجة الحرب.

ساد التخوف من أن انحياز الولايات المتحدة إلى بريطانيا في حرب الفوكلاند يمكن أن يؤدي إلى تحلل الأرجنتين عن عملية نيكاراغوا، وبذلك تسقط ورقة التوت التي يغطي بها مشروع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. ولكن ذلك كان أفضل برأي كايسي لأنه يطلق يد كلارينج في بناء جيش الكونتزا. وعندما بدأ كلارينج عمله ازداد إعجاب كايسي به فهو

لا ينسى التفاصيل الصغيرة جداً ولا يقف أمام العقبات الكبيرة.

يوم الأربعاء في ٢٦ أيار/ مايو ١٩٨٢ الساعة ١٠:٣٠ مثل مكماهون أمام لجنة استخبارات مجلس الشيوخ في جلسة استماع سرية من أجل تتيته. قال في شهادته إنه كان من دواعي سروره أن يرى لجنة الكونغرس تراقب عمل الوكالة. وهذه المراقبة فرضت الانضباط على وكالة المخابرات المركزية. لم يشأ مكماهون أن تصحح الاستخبارات مشروفاً مظلماً غامضاً يفصل عن العملية السياسية. وفي تقويم غير عادي قال إن اللجان كانت تحميه: «أنا كشخص أشعر بالارتياح عندما أمثل أمام لجان المراقبة في الكونغرس، فبذلك يشاركتنا ممثلو الشعب الأمريكي في تنظيم برامجنا وعقطاناتنا. إن اعتبار الكونغرس شريكاً فاعلاً في هذه البرامج هو حماية في كفرد وحماية للمؤسسات».

أوضح مونيها أن اللجنة أيضاً تحتاج إلى حماية: «يجب أن نصق كل ما نقوله لنا. ليس لدينا مصادر مستقلة للمعلومات. علينا أن نثق بك. إذا تبين أنك أعطيت معلومات خاطئة إلى اللجنة، أي إذا أحبطت اللجنة بمعلومات خاطئة أو مضللة، فإننا نستعبر ذلك مسألة شرف شخصي ومسؤولية مهنية وعليك أن تخبر اللجنة بما يحدث صراحة».

أجاب مكماهون «نعم ياسيدي» وأضاف «لا أستطيع أن أتصور أحداً في المجموعة الاستخبارية في مركز مسؤولية يحاول أن يضل الكونغرس أو يشوه الحقائق والأحداث».

قال مونيها وهو يحدق بمكماهون: «يجب أن نتخيل دائماً وتحتل حدوث شيء عاطل».

أجاب مكماهون: «أنا أستاذ إلى وضع سليم أيها الساتور». وسأل بعض الشيوخ بشكل مباشر عن مدى إخلاص كايسي وطلبوا من مكماهون أن يخون رئيسه ويفر بأن كايسي كان يضل. أجاب مكماهون: «لا أستطيع أن أقبل أي شخص أعلى مني رتبة يفعل ذلك». عندها انتفض مونيها قائلاً: «هناك نقص في التخييل مرة ثانية» وأصر على مكماهون أن يتعامل مع أسوأ الاحتمالات.

أجاب مكماهون: «سوف أفند ذلك أيها الساتور».

في اليوم التالي ظهر مكماهون أمام اللجنة في جلسة علنية. قال مونيها: «إذا أراد أحد أن يعرف ماذا يعني احترامك للاستخبارات في هذا البلد يجد الجواب في إفادة السيد مكماهون حول الكشف المالي الشخصي التي تتألف من ثلاثين صفحة بيضاء» وتعالى الضحك في القاعة.

قال مكماهون: «في النهاية تجد بقايا من علب التنك الفارغة».

وتعالى مزيد من الضحك.

كان راتب مكماهون الصافي ضئيلاً عام ١٩٨١ وهو ٥٢٧٤٩ دولار أما المداخل الإضافية فكانت ٦٥٨ دولار كفائدة من مبلغ ١٠ آلاف دولار في بنك وكالة المخابرات

المركزية، ومنزله في الضواحي قدر بحوالى ١٧٠ ألف دولار منها حوالى ٣٠ ألف دولار رهن لأصهاره.

كان السناتور مالكونم والوب الجمهوري المحافظ والمتشدد من ولاية ويومينغ مقتنعاً بأن محترفي الوكالة مثل مكماهون يهتمون بالمحافظة على سمعة الوكالة أكثر من اهتمامهم بتنفيذ توجيهات ريغان. واعتقد والوب بأن الوكالة هي التي كانت تقود كايسي. وحتى في الأعمال الخفية وهي من اختصاص كايسي لم يتحقق أي مكسب هام. لم يرغب أحد في وضع أموال البلد ورجالها وهيبتها على المحك من أجل أشياء ربما لا تكون حاسمة. ولم يعط العملاء في الخارج الإمكانات اللاكترونية والصلاحيات التي يحتاجون إليها. وكان على رؤساء محطات الوكالة في الخارج الحصول على موافقة القيادة قبل تركيز أية معدات الكترونية صغيرة أو أية معدات تجسس أخرى. وهذا ما أدى إلى حذر غير ضروري. لقد قام رجال الاستخبارات بأعمال تهدف إلى إظهار أنفسهم، وأنفقوا مثلاً ملايين الدولارات لجمع إشاعات متعة ولا قيمة لها عن الحياة الخاصة لبعض زعماء العالم وتحركاتهم أو صور الوجوه للسيارات وخلافها.

قال والوب إن وكالة المخابرات المركزية لم تكن في مستوى الأفكار الجديدة. واستغل الفرصة للتعبير عن سخطه، وحذر بسرعة نحو مكماهون وبدأ يطلق محذراً تعابيراً مثل: «محترفون» و«خيانة بيروقراطية تافهة» و«سياسة استخبارية دون أخطاء!».

جلس مكماهون وتلقى ذلك دون أي ردة فعل. وبدلاً واضحاً أنه مرشح غير محتمل وغير يساري.

سُم غولدوتور من المفاجآت ولذلك كلف أربعة أعضاء من كبار الأركان بقرأة ملفات مكماهون الشخصية والأمنية. وأظهر الملف أن مكماهون نظيف. لم يكن قريباً من مؤامرات الاغتيال وتجارب المخدرات أو التجسس المحلي الذي انتشر في السبعينات. كان هناك مخالفة أمنية وحيدة، فقد وجدت خزانة مفتوحة في مكتبه. إنها كانت غلطة السكرتيرة التي أذنت بوقف تدرج راتبها إذا ارتكبت غلطة أمنية ثانية. كان مكماهون المخلص والمدير دقيقاً.

هكذا رمى غولدوتور فقايق ناعمة على مكماهون، ثم تكلم السناتور بايدن وميدح اثنان، ثم تحول إلى كايسي وقال: «إن أحاديث السيد كايسي للبعض منا لم تكن واقعية، ونحن لم نعتبرها أخباراً حقيقية». ثم ألقى بايدن خطاباً حول الحاجة إلى مكماهون ليكون مرشد اللجنة.

قال غولدوتور إن اثنان كان يتصل به عندما يشعر بأن كايسي قد أخطأ، وأضاف: «أظن أنه إذا حافظ نائب المدير الجديد على عادة الاميرال برقع جواربه عندما يقال شيء ما...»

وسمعت ضحكات كثيرة.

قال بايدن: «أو غيرهما» وأضاف: «إحس كريسك إلى الوراثة، لقد اعتاد على الانحناء إلى الوراثة هكذا».

قال مكماهون: «إذا كان عليّ أن أعلق...» وأضاف «السيد الرئيس حضرة السناتور بايدن، أظن أنه عندما يسمع المدير أو يقرأ ما تقولون فإنه بالتأكيد سيتحرك لتهدئة مخاوفكم، وأظن أنه سيفعل ذلك شخصياً إذا أدلى بشهادة ما في المستقبل»
عندها أقرت اللجنة تعيين مكماهون بالإجماع، وتبعها كذلك مجلس الشيوخ.

في آخر آذار/ مارس ١٩٨٢ أرسلت وكالة المخابرات المركزية فريقاً مبنياً مؤلفاً من ١٣ شخصاً إلى اليمن الجنوبية، وهي دولة في شبه الجزيرة العربية تقع تحت هيمنة السوفيات ونفوذهم، وذلك للقيام بأعمال تخريب، إلا أن سلطات اليمن الجنوبية ألقت القبض عليهم. وكانت واحدة من العمليات شبه العسكرية التي سمح بتنفيذها الرئيس كارتر. وكان التحضير لتنفيذها قد بدأ في عهد كارتر. وتحت التعذيب اعترف عناصر الفريق بأنهم تدربوا بإشراف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. تعجب كايسي لماذا لم يتكروا دور وكالة المخابرات المركزية؟ أين كانت حيلة العملية؟ لقد ورد في الأوراق التحضيرية للعملية الخفية أنه من المفترض أن يتعامل عناصر الفريق مع وسطاء بحيث لا يشعر أحد بأن وكالة المخابرات المركزية متورطة. ولكن الطريقة الوحيدة لكسب ثقة المتطوعين اليمنيين كانت إطلاعهم على دور وكالة المخابرات المركزية.

وتم سحب فريق ثانٍ من اليمنيين كان قد دخل إلى جنوب اليمن، وأوقفت العملية. أدان المدعون العاؤون في اليمن الجنوبية الثلاثة عشر جميعهم بإدخال المتفجرات بطريقة غير مشروعة لتفجير منشآت البترول وبعض الأهداف الحساسة. واعترف هؤلاء برعاية وكالة المخابرات المركزية لهم. وحكم على ثلاثة منهم بالسجن لمدة ١٥ سنة، وأعدم الآخرون. وبالمقابل نجح أول عمل شبه عسكري لكايي، وهو دعم حسين حبري في تشاد ففي ٧ حزيران/ يونيو سيطر حوالى ألفين من رجال حبري على نجامينا عاصمة تشاد وشكلوا حكومة مستقلة. وبهذا تقلص نفوذ القذافي في تشاد وصرّ أنه كما أراد هين وكايي. وكسب الزعيم الليبي عداوة فرنسا، وحكومة مدعومة من الولايات المتحدة على حدوده الجنوبية في تشاد.

كان الجو مناسباً لكسب دعم البيت الأبيض لعملية دعم خفية عديدة للمقاومة المعادية للشيوعية في كمبوديا. وكانت المساعدات للمقاومة في أنغولا قد توقفت بحكم القانون. بينما كانت العمليات في نيكاراغوا وأفغانستان في طريقها إلى التنفيذ.

إن مجرد ذكر النشاط الخفي في جنوب شرقي آسيا يثير التحفظ في جميع أقسام الوكالة. لكن كايسي أصّر على رأيه، واتهم الجميع بأنهم ينظرون إلى الوراثة. قال كايسي إن سياسة

الإدارة يجب أن تكون متواسكة ويجب أن تشمل الجهود لدعم كل المناهضين للشيعوية في جميع أنحاء العالم. لقد دعم السوفيات التخريب في العالم وبإمكان الولايات المتحدة أن تفعل أكثر. والمشكلة أن الحمر كانوا المعارضة الأساسية للنظام الشيوعي في كمبوديا الذي كان دمية تحركها فييتنام. وكان الحمر الحمر شيوعيين أيضاً، وهم مجموعة متوحشة سيئة السمعة. لقد قتل الحمر الحمر مليوناً، ويقال ثلاثة ملايين كمبودي في الفترة التي حكموا فيها البلاد من ١٩٧٥ إلى ١٩٧٩. ولكن كان هناك جبهتان كمبوديتان معاديتان للشيعوية واقترح كايسي تمويلها. وكانت للوكالة مصادر في الجيش التايلاندي يمكن من خلالها إرسال الأموال دون أن تصل إلى الحمر الحمر.

عارض ذلك عدد من مسؤولي وزارة الخارجية وقالوا إن الحمر الحمر اشتركوا في تحالف مع المجموعتين المضادتين للشيعوية، وكانوا مهمتين على هذا التحالف، وإذا دعمنا الجبهتين، نكون بذلك قد دعمنا الحمر الحمر. وقرر كايسي أن يطلب مساعدة غير حاسمة. في خريف ١٩٨٢ وقع الرئيس ريغان مذكرة يسمح فيها بتقديم مساعدة إلى المعادين للشيعوية وذلك لغاية ٥ ملايين دولار، واشترط عدم تخصيص المال لشراء السلاح، إلا أن الأموال الأخرى المتوفرة خصصت لشراء المعدات العسكرية.

في ذلك الربيع اجتمع كايسي مع وزير الدفاع الإسرائيلي شارون الذي كان يقوم بزيارة إلى واشنطن. كان لبنان ومواقع منظمة التحرير الفلسطينية فيه، في عقل شارون. تحدثت عن تحركات مضادة. إذا فعل لبنان هذا فإن إسرائيل ستفعل ذلك. إذا ضربت منظمة التحرير هنا فإن إسرائيل ستضرب هناك. لبنان، قال شارون بلهجة ساخرة وكأنها هذا البلد هو خيال جغرافي. «لا تنفاجاً. سنضع الأوراق على الطاولة. إذا لم تفعل شيئاً ما. نحن سنفعل. نحن لا نريد أن نسامح».

فهم كايسي أن لبنان هو الدولة العربية الوحيدة التي تستطيع إسرائيل أن تبسط نفوذها فيه، وشعر بأن شارون يحاول خلق الظروف التي تبرر عملاً عسكرياً إسرائيلياً. قال شارون: الأشياء ستحدث في لبنان، ولن يكون هناك مجال للاختيار». وبدا أن شارون ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن قد تعرضا لتأثير السحر! وكان شارون يدعو إلى إطلاق النار!

رأى كايسي في شارون مفكراً ومنفذاً في آن واحد، ورجلاً لديه إحساس بالأخطار التي تهدد مصير بلاده.

في ٦ حزيران/يونيه ١٩٨٢ اجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان وأعلنت عن نيتها في طرد إرهابيي منظمة التحرير الفلسطينية إلى خارج جنوب لبنان. وأعلنت في مجال تبرير العملية أنها رد على محاولة اغتيال سفيرها في لندن قبل ثلاثة أيام، وأطلقت على اجتياحها اسم «عملية سلامة الجليل».

سرعان ما أدرك البريطانيون أن هذا السبب كان كاذباً، لأن منفذي عملية السفير الإسرائيلي في لندن كانوا تابعين لجناح «أبو نضال» الذي انشق عن منظمة التحرير الفلسطينية وكان في حالة حرب مع التيار الرئيسي للمنظمة المتمركز في لبنان. كان الإسرائيليون يضربون الفلسطينيين الذين لا ذنب لهم، ولكن من وجهة نظر شارون لم يكن هناك أي فرق بين فلسطيني وآخر. وخلال أيام وصلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي إلى ضواحي بيروت. ورسوم تحليل لوكالة المخابرات المركزية صورة لفرضة عظيمة وخطر كبير. دعا كايسي إلى اجتماع في مكتبه. وكان أحد المواضيع المتداولة هو ما إذا كانت إسرائيل تستعمل الأسلحة الأمريكية. وعبر عدد من المجتمعين عن قلقهم من أن تبذل الولايات المتحدة شريكاً في الجريمة. وتحول البعض من أن يطرح الكونغرس أسئلة حول ذلك.

قال كايسي «أنا لا أكثر ذلك» الوضع مائع ويمكن أن يحدث أي شيء والمسألة الأساسية هو كيف نستفيد مما يحدث من أجل مصلحتنا القومية. هذا ما أريد معرفته. كان رجل وكالة المخابرات المركزية وقائد ميليشيا الكتائب بشير الجميل يلعب دوراً مهماً ومتزايداً في لبنان. وخلال السنوات الماضية بنى بشير علاقة وثيقة مع شارون والموساد الإسرائيلي. ولعبت وكالة المخابرات المركزية دور منظم المباريات ووضعت المسيحيين والإسرائيليين مع بعضهم البعض وأمنت لهم الاتصال ببعضهم وجعلت من بشير شريكاً هاماً للموساد ووكالة المخابرات المركزية.

كانت وكالة المخابرات المركزية منحازة إلى جانب المسيحيين ضد المسلمين في لبنان ولكن عناصر الوكالة القدامى الذين خدموا سابقاً في لبنان كانوا يعلمون أن المسيحيين وخاصة بشير وكتائبه متوحشون. وكانت هذه العلاقة خطيرة.

كان هناك مؤشرات إلى أن بشير كان يطمح للرئاسة. كان قد تخلص من منافسيه في الصف المسيحي، وأعطت علاقاته الحسنة مع الغزاة الإسرائيليين دعماً قوياً له. ونظرت العناصر المؤيدة لإسرائيل في لبنان إلى بشير على أنه ضوء جديد. أما العناصر المعادية لإسرائيل (وهي المسلمون واليساريون الدروز بقيادة وليد جنبلاط) فقد اعتبروا أن بشير هو الشخص الوحيد القادر على سحب الإسرائيليين من لبنان وهكذا أصبح بشير نقطة التقاء الجميع.

وافق كايسي على خطة لوكالة المخابرات المركزية لثمتين علاقاتها الرسمية ببشير الذي كان من الواضح أن لديه أشياء أهم من العمل لصالح وكالة المخابرات المركزية. إن اكتشاف أمر بشير وتعرضه يمكن أن يهدد حياته السياسية إن لم يكن حياته بالذات، وخصوصاً بعدما سلطت عليه الأضواء. وكانت العلاقة مع وكالة المخابرات

المركزية سرّاً يتوجب كتابته والمحافظة عليه، وقد اتخذت جميع الإجراءات لذلك ولكن لم يكن هناك أي ضياع.

في ٢٣ آب/أغسطس، وبعد شهرين من الاجتياح الإسرائيلي، انتخب بشير رئيساً للجمهورية اللبنانية، واستعد لتسلم مسؤولياته في الشهر اللاحق. وشعر القليلون الذين كانوا يعرفون العلاقة الوثيقة بين بشير ووكالة المخابرات المركزية بمزيج من الفرح والرعب. لبنان بلد لا يوجد فيه أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون. الأشياء الكثيرة التي جعلت من بشير الزعيم المحبوب تركت له أعداء كثيرين. كان المسلمون قد شعروا بالفرقة بعد ظهور آية الله الخميني في إيران، ومنظمة التحرير الفلسطينية الغنية بأموالها بقي لها وجود في لبنان على الرغم من إجلاله ١١ ألف من مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية ومن ضمنهم رئيس المنظمة ياسر عرفات إلى خارج لبنان.

إن ربط لبنان بحلف استراتيجي مع أميركا وإسرائيل يمكن أن يقلب موازين القوى في المنطقة. وسوريا القوية إلى الشمال والشرق احتلت وادي البقاع في لبنان منذ العام ١٩٧٦، وفي الحقيقة كانت تعتبر لبنان جزءاً من سوريا الكبرى. ولم يكن حلفاء سوريا السوفيات سعيدين بما حصل.

بواجهة هذا الحشد من الأعداء الداخليين والخارجيين، أرسل بشير رسالة إلى وكالة المخابرات المركزية يطلب فيها تأمين الحماية السرية له، وتأمين مساعدات في مجال الاستخبارات. شعر كايي بأَنَّ وكالة المخابرات المركزية تتعرض على مساعدة بشير، وبأنه لا يمكن تقديم المساعدة علناً، والمطلوب هو عملية سرية واسعة النطاق. ولكي تكون هذه العملية فعالة يجب أن تشترك وكالة المخابرات المركزية مع المخابرات اللبنانية في التنفيذ كما يجب تأمين الأسلحة المدفوعة ومعدات المراقبة الإلكترونية ومراقبة الاتصالات. وأقر الرئيس ريفان مذكرة تسمح بصرف مبلغ فوري بحوالي ٦٠٠ ألف دولار، وكان من المقرر أن يرتفع المبلغ إلى مليوني دولار سنوياً ومن ثمّ إلى ٤ ملايين دولار.

بعد ظهر يوم ١٤ أيلول/سبتمبر وقبل تسعة أيام من استلامه السلطة كان بشير الجميل يتحدث في أحد مكاتب حزب الكتائب في بيروت الشرقية، وكان من المقرر أن يلتقي في الساعة الخامسة مجموعة من ضباط الاستخبارات الإسرائيلية الذين يزورون بيروت، ولكن عند الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة بعد الظهر انفجرت قنبلة أدت إلى انهيار البناء وقتل بشير.

لم يعد لوكالة المخابرات المركزية مجال لتنفيذ برنامج المساعدات السرية ولم يظهر أي دليل على أنَّ علاقات وكالة المخابرات المركزية مع بشير قد تسربت. وعلى الرغم من أنَّ اغتياله كان كارثة لوكالة المخابرات المركزية فقد توقف دفع ملايين الدولارات التي كانت مقررة لعملية الأمن وأُلحقت بالاحتياط المالي للرئيس.

كان الاغتيال حلقة أولى في سلسلة أحداث مشؤومة. فخلال يومين سمحت القوات الإسرائيلية لوحداث من الكتائب بدخول غيحات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت للانقسام. وغتياً صبرا وشاتيلا أصبحا جزءاً من تاريخ المجازر. ووفقاً لإحصاءات المصادر الإسرائيلية كان هناك من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ ضحية فلسطينية معظمهم من النساء والأطفال. صقع العالم المتمدد من أخبار المذابح وكذلك من صور جثث الأطفال الرضع والكبار، حتى الأحصنة والكلاب والقطط ذبحت، وتمّ قطع نهود النساء وقضبان الرجال. وقد حفر صليب مسيحي على جسد أحد الصحايا ومزقت أرحام النساء الجوالين وانتزعت الأجنة من بطونهن. بعد أسبوعين تمركزت قوات مشاة البحرية الأميركية في موقع استراتيجي في ثكنة قرب مطار بيروت في مهمة لحفظ السلام، ولم يكن لهم أي هدف سوى مساعدة لبنان ومراقبة انسحاب القوات الأجنبية.

بدأ الموساد وجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية بتحقيق مشترك لمعرفة قتلة بشير الجميل. وتبين أنَّ واضع القنبلة هو حبيب الشرتوني البالغ من العمر ٢٦ عاماً، وكان أفراد عائلته أعضاء في الحزب السوري القومي وهو حزب منافس لحزب الكتائب وتبين من المعلومات أنَّ الشرتوني كان قد وضع صاعقاً إلكترونياً بعيد المدى، وذلك من أجل تفجير القنبلة.

كان المسؤول عن الشرتوني ضابطاً في المخابرات السورية برتبة نقيب يدعى ناصيف، وقد اتفق الشرتوني بأنَّ القنبلة كانت مُعدّة لتخويف بشير وليس لقتله. وبعد التدقيق في المعلومات مع أفضل عملاء الموساد السوريين وفي تقارير المراقبة والانقطاع الإلكتروني، أكد الإسرائيليون أنَّ ناصيف يرتبط مباشرة بالعقيد محمد غانم الذي كان المسؤول عن الاستخبارات السورية في لبنان. كانت استخبارات الجيش والقوات الجوية السورية على علم مسبق بمخطط العملية، وكذلك كان رفعت الأسد شقيق الرئيس السوري حافظ الأسد الذي يترأس الأجهزة الأمنية السورية على علم بالقنبلة.

اعتقد الإسرائيليون بأنَّ الرئيس حافظ الأسد كان يمسك البلاد بقبضة قوية لدرجة كان يعرف معها أنَّ هناك خطة في طريقها إلى التنفيذ. ولكن لم يكن هناك أي دليل مادي، وأظهرت تقارير الاستخبارات أنَّ اشتراك ضباط الاستخبارات السورية كان سرّاً جداً.

اطلع كايي على هذه التقارير التي وردت من الاستخبارات الإسرائيلية والتي كانت كافية ومقنعة. ولكنَّ من المهم ومن الضروري السؤال: من له مصلحة في موت بشير؟ من أراد لبناناً ضعيفاً؟ من تخوف من بناء علاقة قوية بين لبنان وإسرائيل؟ الجواب كان واضحاً: سوريا. وفي النهاية كان على كايي أن يدعّن لرغبة البيت الأبيض ووزارة الخارجية بعدم الإعلان عن الدور السوري.

كان الجنرال ساعي رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية يعلم أنَّ أي محاولة من

الولايات المتحدة لاستغلال المعلومات المتعلقة بالثورط السوري سيكون لها نتائج عكسية. وكان كايسي في شك حول علاقة بلاده بميليشيا الكتائب، وأدرك أنَّ الولايات المتحدة قد وضعت القرد اللبناني على ظهرها! وأنَّ على الإدارة أن تتعامل مع سوريا لتحقيق أي تسوية للوضع في لبنان. يمكن أن يكون الاهتمام دعاية قوية ولكنه بالتأكيد يمنع التعاون مع سوريا. كان هذا فشلاً استخبارياً لكايسي. إنَّ علاقة وكالة المخابرات المركزية مع بشير، والقرار بوقفها، وطلبات بشير بالحماية، وقرار الإدارة بالموافقة على حمايته، وما تبع ذلك من اغتيال لبشير، كل ذلك كان بالفعل ورحلة بل مأزقاً سريعاً جداً. وبقي سريعاً.

- ١١ -

تلقي كايسي تعليماً تقنياً على أجهزة المراقبة السرية جداً وصور الأقمار الاصطناعية وإشارات الاستخبارات وذلك خلال ثمانية عشر شهراً منذ تعيينه مديراً للمخابرات المركزية. وأصبح ملماً بالتكنولوجيا. ومع أنَّه لم يكن مأخوذاً بأهمية الاستخبارات التقنية إلاَّ أنَّه أدرك أنَّها تشكل قطعاً أساسية في الموزاييك الاستخباري! وكان يمكن لعناصره أن يحصوا عدد الدبابات السوفياتية وذلك من خلال صور الأقمار الاصطناعية. وبعد تظهر الصور بشكل دقيق يمكن تحديد ما إذا كانت الدبابة تعمل بشكل طبيعي ودون أعطال. ويستطيع جهاز الإنذار المبكر أن يكشف أي تحرك للقوات السوفياتية أو أي برنامج أسلحة كبير الحجم. ويمكن للأقمار الاصطناعية أيضاً أن تراقب مشاريع البحث والتطوير في الاتحاد السوفياتي حيث يعمل عدد قليل من الأشخاص بعيداً عن المراكز السكانية أو القواعد العسكرية وبسرية مطلقة.

كان كايسي أمام قرار كبير حول أحد أكثر مشاريع البحث والتطوير أهمية في الأجهزة البالغة السرية والأهم في المجموعة الاستخبارية في الولايات المتحدة. واعتبر أنه أكبر جاسوس تكنولوجي في الثمانينات.

كان الاسم المشفر إندينغو Indigo وأصبح الآن لأكروس Lacrosse وهو قمر اصطناعي يستعمل أكثر أجهزة الرادار تطوراً وتقدماً لتأمين العمل ليلاً ونهاراً وفي مختلف ظروف الطقس. ويعطي هذا القمر صوراً فوتوغرافية بواسطة الرادار وتحسين إشارات الرادار والكمبيوتر، ولم يعد الظلام ولا الغيوم حواجز في طريق عمله. كما أنه يمتثل لتطوير جهاز، في المستقبل، يستطيع أن يرى ما وراء الأبنية!

وكانت كلفة لأكروس أكثر من مليار دولار وهو مبلغ مذهل. وكانت هناك تكاليف كثيرة ومشاكل عديدة في مرحلة التطوير. وكانت شركة مارتين ماريتا هي المقاول الرئيسي وشركة جنرال إلكتريك تقوم بالعمليات الأرضية واستثمار الإشارات بعد وصولها إلى المحطات الأرضية.

كانت هناك حاجة إلى مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لإبقاء لأكروس حيّاً لعام ١٩٨٣، وطلبت شركة مارتين ماريتا المال بشكل فوري. يجب تأمين مئات الملايين من الدولارات وإلا

فإن المشروع سيموت. وكان كايبي يسمي هذه المشاريع المكلفة بالوحيدة لأنه لم يكن هناك حاجة إلا لبناء واحد فقط.

بالنسبة إلى بعض منتقدي كايبي الذين يظنون أن الأفعال الخفية كانت خاطئة فإن مبلغ الـ ٢٠٠ مليون دولار الذي يحتاجون إليه الآن يساوي كل ميزانية الأفعال الخفية. وكان المدير يقدم هذا المبلغ كدفعة أولى لبناء نظام قمر اصطناعي كان يأمل بالا يتسرب شيء عنه.

ومع أن السوفيات كان لديهم رادار يعطي صوراً، فقد أظهرت تقارير الاستخبارات أنهم لا يزالون متخلفين في مجال الكمبيوتر ولا يملكون التعقيدات التقنية اللازمة لإنتاج صور واضحة وبنوعية جيدة. هكذا يستطيع لأكروس أن يعطي الولايات المتحدة جانباً مثيراً من المعلومات.

كان كايبي قد حضر إيجازاً حول تاريخ أنظمة الأقمار الاصطناعية الأميركية. وكانت السنوات الاثنتا عشرة منذ العام ١٩٧١ مميزة، وذلك منذ أن أطلق القمر الاصطناعي المخصص بالتجسس بيغ بيرد (الطائر العملاق) وتبلغ أبعاده ٥٥ قدماً والذي التقط صوراً هامة. وكان فيلم التصوير ينتزع من القمر ويستعاد إلى الأرض ثم يُطهر. وكان يغلف ضمن غلب ذهبية صغيرة لتحميه من الإشعاعات المخلفة في الفضاء. لقد كانت الغلب الذهبية الحكومة في المخازن مثلاً على تكاليف برنامج الأقمار الاصطناعية.

في كانون الأول / ديسمبر ١٩٧٦ قبل وصول كارتر إلى الرئاسة أطلق أول قمر اصطناعي من طراز ك هـ ١١ وكان يصور ويرسل الصور بشكل إشارات تلفزيونية بنوعية جيدة. وكانت صور الاتحاد السوفياتي وخصوصاً صور الدبابات السوفياتية ترد بشكل فوري وتعطي وكالة المخابرات المركزية تفاصيل ما يجري في نفس اللحظة.

كان ك هـ ١١ يرسل الصور بشكل إشارات تلفزيونية أي بوجات لاسلكية، وكان يعتبر برنامج إشارات استخبارية. ولم يشبه السوفيات بأن هذا القمر كان يلتقط الصور الفوتوغرافية! وهكذا فشلوا في تمويه وإخفاء المراكز العسكرية والمعدات وخصوصاً أبواب مستودعات الصواريخ التي كانت تبقى مفتوحة عندما كان يمر القمر الاصطناعي فوقها. وقد أفاد هذا الجهل السوفياتي الولايات المتحدة بشكل كبير.

بقي ك هـ ١١ وإمكاناته سرراً لمدة سنة تقريباً ثم اكتشف. فقد باع وليم كامبيلز وهو موظف صغير في وكالة المخابرات المركزية نسخة عن كتيب ك هـ ١١ السري جداً للسوفيات بمبلغ ٣٠٠٠ دولاراً وعلمت وكالة المخابرات المركزية أن شيئاً ما قد حدث عندما بدأ السوفيات يغلّفون أبواب مستودعات الصواريخ أثناء مرور ك هـ ١١ فوقها. وتم إلقاء القبض على كامبيلز وأدين بالتجسس وحكم عليه بالسجن لمدة ٤٠ عاماً، ولكن الضرر قد حصل.

كان هناك اعتراض واحد لكايبي على لأكروس. هذا النظام وتوايحه يعتبر وسيلة التحقق من اتفاقية نزع السلاح المقبلة إذا كان هناك من إتفاقية! لم يعارض كايبي نزع السلاح كلياً ولكنه شعر بأن التخفيف من عدد الأسلحة النووية كان رمزياً. ولنفتقر أن الأسلحة النووية قد خففت إلى النصف أو إلى الثلث، فإن العالم يبقى معرضاً للتدمير الشامل بما تبقى من أسلحة. كان السوفيات قوة عالمية عظمى بسبب ألهم العسكرية الكبيرة وليس بسبب اقتصادهم أو ثقافتهم أو فطنة رجال أعمالهم؛ الآلة العسكرية وحدها جعلتهم قوة عظمى. وكان كايبي متأكداً أن السوفيات لا يمكن أن يتخلوا أبداً عما أعطاهم هذه المكنة تحت الشمس!

ولكن هذا لم يكن سبباً لوقف العمل بلاكروس. وقرر كايبي أن يمضي قدماً بـ ٢٠٠ مليون دولار في الميزانية المحالة إلى الكونغرس.

عارض رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب بولاند مشروع لأكروس. هذه المشاكل والصعاب بدت وكأنها لا تذلل. لقد أعطى مكتب الاستطلاع القومي الذي يدير أنظمة الأقمار الاصطناعية معلومات كاذبة حول الثمن وتحول ذلك إلى مسألة أخلاقية بالنسبة إلى بولاند.

لقد حشرت نفقات الأقمار الاصطناعية ونفقات ما يسمى وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي السوداء وبقية مشاريع الاستخبارات في موازنة وزارة الدفاع التي شعر الديمقراطي بولاند بوجوب خفضها. وكانت وزارة الدفاع معنية أيضاً بأن لأكروس كان يأخذ الأموال من طريق الاتفاق العسكري. وهكذا خُفّض مجلس النواب التمويل عن القسم السري من موازنة وزارة الدفاع لعام ١٩٨٣.

أما لجنة استخبارات مجلس الشيوخ التي يرئسها غولدوتور فقد وافقت على طلب الـ ٢٠٠ مليون دولار ولذلك اجتمع بولاند وثانيه كين ونيشنون مع غولدوتور وموميهان. كان غولدوتور يشعر بأهمية لأكروس وقال إن خطة التجسس الـ ١٠٢ المشهورة والـ س ر ٧١ للاستطلاع الاستراتيجي الأقل شهرة قد كلفت الكثير ونجح عنها مشاكل ولكنها أضافت طرقاً جديدة لجمع المعلومات كيف يمكن لأحد أن يحسب تكاليف حرب استخبارية سرية تجري في السبائك؟ نعم إنها مسؤولية الكونغرس. وكان الخطر في أن لا يكون هذا المشروع كافياً وفي احتمال التراجع إلى الوراء. وكان نظام التصوير بالرادار يعمل في النطاق التكتيكي ٢٦ في ألمانيا إلى الحدود بين الشرق والغرب حيث كانت المعلومات الفورية ترد من الطائرات وتصل إلى المحطات الأرضية. لم يكن لأكروس كاملاً ولكنه كان أكثر من وعد.

عرض غولدوتور رأيه قائلاً: «سوف نقوم به بأي ثمن» ثم توقف قليلاً وأضاف: «إنه يعمل لمنع نشوب الحرب». واستمر بولاند في معارضته إلا أنه خفف من حدتها. قال غولدوتور: «بما أن الخلاف لم ينته فسترك ذلك للجان القوات المسلحة في الكونغرس».

في مجلس الشيوخ كانت لجنة غولدوتتر تشترك مع لجنة القوات المسلحة في قضايا الاستخبارات ومن ضمنها الموازنة. أما في مجلس النواب فقد كانت لجنة بولاند مستقلة تقريباً. وإنتبه غولدوتتر إلى أن لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ التي يرئسها السناتور جون تادر وهو جمهوري من تكساس كانت تجتمع في القاعة الرئيسية وكان متأكدًا من أن تاور كان سي طرح موضوع لأكروس. عندها دفع غولدوتتر بكروسيه نحو الخلف ووقف وتوجه نحو القاعة الرئيسية وبدأ أنه مصمم على إحالة الموضوع إلى جون تاور. أدرك بولاند أنه لا يستطيع أن يواجه مجلس الشيوخ بكامله وأنه إذا استعملت لجنة القوات المسلحة نفوذها، وهي التي تمسك بزمام ميزانية تزيد قيمتها عن ٢٠٠ مليار دولار، فإنها حتى ستوافق على طلب رئيس اللجنة بمشروع قيمته ٢٠٠ مليون دولار أي واحد على ألف من جميع حبات الفستق!

وارتبك بولاند عندما بدأ غولدوتتر بالسير المتصل في ممشى الكونغرس، واندفع نحو زميله الديموقراطي مونيهان وقال له: «حسنًا ماذا علينا أن نفعل». إنه لم يلاحظ أن الديموقراطيين لم يوافقوا على هذا المشروع. وكانت المسافة إلى القاعة طويلة وشعر غولدوتتر بالحم في روكه. وبدأ من الواضح أن على لجنتي الاستخبارات حل هذه المسألة لوحدها. - «أنا أتراجع» قال بولاند بشكل مفاجئ. و «أوافق على تمويل» لمدة سنة واحدة. - «قف ياغولدوتتر!» صرخ أحد المساعدين الذي كان قد أرسل إلى القاعة وقال: «لقد انسحبوا». لقد نجحت المناورة التكتيكية. واعتقد غولدوتتر أن أحد أكبر برامج الاستخبارات كان في طريقه للتنفيذ. توقف وأبتم ثم سار وهو تعب نحو الخلف. استقبلت شركة مارتن مارينا النبا بابتهاج كبير. ويعلمنا تم التغلب على مشاكل العمليات الأرضية أعد لإطلاق لأكروس إلى الفضاء بواسطة مهمة فضائية مكوكية وهي أحدث إنجاز لوكالة الفضاء القومية الأميركية (ناسا). وكانت هناك عملية نيكاراغوا الخفية التي لن يتراجع فيها بولاند. لم تعجبه هذه العملية، كذلك لم تعجب صديقه رئيس مجلس النواب أونيل.

كانت عمة أونيل من راهبات المارينول وتدعى أونيس تولان وتوفيت في السنة الماضية عن عمر يناهز ٩١ عاماً. وقد تأثر أونيل كثيراً براهبات ومبشري المارينول. وبعد رحيل عمته بقي أونيل على علاقة مراسلة مع راهبة من المارينول تدعى بيغي هيلي ومركزها في نيكاراغوا. رسمت له بيغي صورة عن نيكاراغوا الممزقة بالحرب الأهلية، أي الحرب التي شجعتها ودعمتها وقادتها وكالة المخابرات المركزية. كانت السياسة عالمًا من الرمال المتحركة والولاء والقيم، ولكن أونيل كان يعتقد أن الراهبات والرهبان يقولون الحقيقة دائماً. - «أنا أصدق كل كلمة» قال أونيل ذلك لأحد مساعديه بعد لقاء لمدة ساعتين مع الأخت هيلي. لقد أعادت الحرب الخفية إلى الأذهان صورة الأمريكي البشع وصورة وكالة

المخابرات المركزية المكروهة. لقد أظهر الدعم الخفي للكونترا الولايات المتحدة في صورة المستعمر القديم والمستغل.

كان باستطاعة بولاند أن يفهم هدف الإدارة بمنع نيكاراغوا من تصدير السلاح إلى السلفادور. ولكن من الواضح أن وكالة المخابرات المركزية كانت تدعم الميخيات اليندوراس التي كانت تنطلق منها عناصر الكونترا إلى نيكاراغوا لتنفيذ مهمات الضرب والغرب. كان أونيل وبولاند قد اختارا بعناية أعضاء اللجنة المؤلفة من تسعة ديموقراطيين وخسة جمهوريين بحيث كانت تمثل الفل الاستراتيجي لمجلس النواب، وبالتالي فإن المجلس يكامل أعضائه، سيوافق حتى على أي قرار يصدر عن هذه اللجنة. وكان بولاند يريد قطع التمويل عن عملية نيكاراغوا وأبده في ذلك أعضاء اللجنة. وكان غولدوتتر يبحث عن حل وسط بين بولاند والتمويل الكامل.

في المؤتمر المشترك لمجلسي النواب والشيوخ في آب / أغسطس ١٩٨٢ تمت الموافقة على وضع نص بمنع وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع من تقديم المعدات العسكرية أو التدريب أو الدعم لكل من يحمل من أجل الإطاحة بحكومة نيكاراغوا. وبقي هذا النص سرياً في وثيقة الصلاحية وتمت المصادقة عليه من قبل مجلس الشيوخ والنواب. ولكن في ١ تشرين الثاني / نوفمبر قرأ بولاند مقالاً في النيويورك حول: «الحرب السرية في أميركا: الهدف نيكاراغوا» وجاء في المقال أن عملية سرية قد توسعت إلى خطة كبيرة لإضعاف الحكومة الساندينية. أما كايي الذي مثل أمام لجنة بولاند فقد صرح بأن الهدف الرئيسي من العملية هو وقف تدفق السلاح إلى السلفادور، وأنه تم تحقيق بعض النجاح، وأن عدد قوات الكونترا ارتفع إلى أربعة آلاف. وكان هذا ثمانية أضعاف العدد الأساسي (٥٠٠) الذي أعيد السنة الفائتة. قال كايي إن هذا النمو كان من جراء اتساع دائرة المعارضة والكره للساندينين. أميركا الوسطى لا تريد الشيوعية ويعتبر هذا أوضح إعلان وأق مقياس لذلك الشعور.

غضب بولاند. فقد حصلت تغيرات كثيرة أثناء مرور المذكورة من الرئيس ريغان إلى لانغلي ومن خلال كايي وبدعم من الإدارة إلى العاملين السريين وإلى محطات وكالة المخابرات المركزية في أميركا الوسطى وأخيراً إلى أيدي قادة الكونترا ومقاتليهم. وقرر بولاند أن يتحرك في العلن. وفي ٨ كانون الأول / ديسمبر تلا في باحة المجلس النص الذي بمنع تمويل أي عمل يؤدي للإطاحة بالحكومة الساندينية. وسمي ذلك بسرعة «توصية بولاند». وتحولت هذه العملية السرية إلى عملية علنية بشكل رسمي.

ووافق مجلس النواب على التوصية بالإجماع أي ٤١١ ضد صفر. بدت تظهر على مونيهان علامات الإعياء. وأصبح ديوي كلاريدج جزءاً من المشكلة. وعندما حضر كلاريدج إلى لجنة استخبارات مجلس الشيوخ ليقدم إنجازاً في جلسة سرية،

في مجلس الشيوخ كانت لجنة غولدوتير تشترك مع لجنة القوات المسلحة في قضايا الاستخبارات ومن ضمنها الموازنة. أما في مجلس النواب فقد كانت لجنة بولاند مستقلة تقريباً. وانتبه غولدوتير إلى أن لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ التي يرأسها السناتور جون تادر وهو جمهوري من تكساس كانت تجتمع في القاعة الرئيسية وكان متأكداً من أن تاور كان يسيطر موضوع لاكروس. عندها دفع غولدوتير بكرسيه نحو الخلف ووقف وتوجه نحو القاعة الرئيسية وبدا أنه مصمم على إحالة الموضوع إلى جون تاور. أدرك بولاند أنه لا يستطيع أن يواجه مجلس الشيوخ بكامله وأنه إذا استعملت لجنة القوات المسلحة نفوذها، وهي التي تمسك بزمام ميزانية تزيد قيمتها عن ٢٠٠ مليار دولار، فإنها حتى ستوافق على طلب رئيس اللجنة بمشروع قيمته ٢٠٠ مليون دولار أي واحد على ألف من جميع حبات القسطن!

وارتبك بولاند عندما بدأ غولدوتير بالسبر التمهّل في ممشي الكونغرس، واندفع نحو زميله الديموقراطي مونيهان وقال له: «حسناً ماذا علينا أن نفعل». إنه لم يلاحظ أن الديموقراطيين لم يوافقوا على هذا المشروع. وكانت المسألة إلى القاعة طويلة وشعر غولدوتير بالأم في وركة. وبدا من الواضح أن على لجنتي الاستخبارات حلّ هذه المسألة لوحدهما. - «أنا أراجع» قال بولاند بشكل مفاجئ و «أوافق على تمويل» لمدة سنة واحدة. - «قف ياغولدوتير!» صرخ أحد المساعدين الذي كان قد أرسل إلى القاعة وقال: «لقد انسحبوا». لقد نجحت المناورة التكتيكية. واعتقد غولدوتير أن أحد أكبر برامج الاستخبارات كان في طريقه للتنفيذ. توقف وابتمس ثم سار وهو تعب نحو الخلف. استقبلت شركة مارتين ماريتا النبا بابتهاج كبير. وبعدها تم التغلب على مشاكل العمليات الأرضية أبعد لإطلاق لاكروس إلى الفضاء بواسطة مهمة فضائية مكوكية وهي أحدث جهاز لوكالة الفضاء القومية الأمريكية (ناسا). وكانت هناك عملية نيكاراغوا الخفية التي لن تراجع فيها بولاند. لم تعجبه هذه العملية، كذلك لم تعجب صديقه رئيس مجلس النواب أونيل.

كانت عمه أونيل من راهبات الماريونول وتدعى أونيس تولا وتوفيت في السنة الماضية عن عمر يناهز ٩١ عاماً. وقد تأثر أونيل كثيراً برهابيات ومبشري الماريونول. وبعد رحيل عمته بقي أونيل على علاقة مراسلة مع راهبة من الماريونول تدعى بيغي هيل ومركزها في نيكاراغوا. رسمت له بيغي صورة عن نيكاراغوا الممزقة بالحرب الأهلية، أي الحرب التي شجعته ودعمتها وقادتها وكالة المخابرات المركزية. كانت السياسة علاناً من الرمال المتحركة والولاء والقيم، ولكن أونيل كان يعتقد أن الرهابيات والرهبان يقولون الحقيقة دائماً. - «أنا أصديق كل كلمة» قال أونيل ذلك لأحد مساعديه بعد لقاء لمدة ساعتين مع الأخت هيلي. لقد أعادت الحرب الخفية إلى الأذهان صورة الأميركي البشع وصورة وكالة

المخابرات المركزية المكروهة. لقد أظهر الدعم الخفي للكونترا الولايات المتحدة في صورة المستعمر القديم والمستغل.

كان باستطلاع بولاند أن يفهم هدف الإدارة بمنع نيكاراغوا من تصدير السلاح إلى السلفادور. ولكن من الواضح أن وكالة المخابرات المركزية كانت تدعم الميخيات في الهندوراس التي كانت تنطلق منها عناصر الكونترا إلى نيكاراغوا لتنفيذ مهام الضرب والهرب! كان أونيل وبولاند قد اختارا بعناية أعضاء اللجنة المؤلفة من تسعة ديموقراطيين وخمسة جمهوريين بحيث تمثل الثقل الاستراتيجي لمجلس النواب، وبالتالي فإن المجلس بكامل أعضائه، سيقاوت حتى على أي قرار يصدر عن هذه اللجنة. وكان بولاند يريد قطع التمويل عن عملية نيكاراغوا وأبدى ذلك أعضاء اللجنة. وكان غولدوتير يبحث عن حل وسط بين بولاند والتمويل الكامل.

في المؤتمر المشترك لمجلسي النواب والشيوخ في آب / أغسطس ١٩٨٢ تمت الموافقة على وضع نص بمنع وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع من تقديم المعدات العسكرية أو التدريب أو الدعم لكل من يعمل من أجل الإطاحة بحكومة نيكاراغوا.

وبقي هذا النص سرياً في وثيقة الصلاحية وتمت المصادقة عليه من قبل مجلس الشيوخ والنواب. ولكن في ١ تشرين الثاني / نوفمبر قرأ بولاند مقالاً في النيوزيك حول: «الحرب السرية في أميركا: الهدف نيكاراغوا» وجاء في المقال أن عملية سرية قد توسعت إلى خطة كبيرة لإضعاف الحكومة الساندينية. أما كاسبي الذي مثل أمام لجنة بولاند فقد صرح بأن الهدف الرئيسي من العملية هو وقف تدفق السلاح إلى السلفادور، وبأنه تم تحقيق بعض النجاح، وبأن عدد قوات الكونترا ارتفع إلى أربعة آلاف. وكان هذا ثمانية أضعاف العدد الأساسي (٥٠٠) الذي أبعد السنة الفاتنة. قال كاسبي إن هذا النمو كان من جراء اتساع دائرة المعارضة والكره للساندنيين. أميركا الوسطى لا تريد الشيوعية ويعتبر هذا أوضاع إعلان وأفق مقياس لذلك الشعور.

غضب بولاند. فقد حصلت تغيرات كثيرة أثناء مرور المذكرة من الرئيس ريغان إلى لانغلي ومن خلال كاسبي وبدعم من الإدارة إلى الماسلمين السريين وإلى محطات وكالة المخابرات المركزية في أميركا الوسطى وأخيراً إلى أيدي قادة الكونترا ومقاتليهم. وقرر بولاند أن يتحرك في العلن. وفي ٨ كانون الأول / ديسمبر تلا في باحة المجلس النص الذي بمنع تمويل أي عمل يؤدي للإطاحة بالحكومة الساندينية. وسمي ذلك بسرعة «توصية بولاند». وتحولت هذه العملية السرية إلى عملية علنية بشكل رسمي.

ووافق مجلس النواب على التوصية بالإجماع أي ٤١١ ضد صفر.

بدأت تظهر على مونيهان علامات الأشياء. وأصبح ديوي كلاريدج جزءاً من المشكلة. وعندما حضر كلاريدج إلى لجنة استخبارات مجلس الشيوخ ليقدم إنجازاً في جلسة سرية،

وضع أمام الشيوخ خريطة نيكاراغوا. وشرح خطة لتقسيم نيكاراغوا إلى قسمين. الجانب الشرقي والجانب الغربي، أي مثل مدينة نيويورك أو مدينة بيروت. وقال كلاريدج إن الكونترا المدعومين من وكالة المخابرات المركزية يحتلون الجانب الشرقي ويبقى الساندينونيون في العاصمة ماناغوا وفي الجانب الغربي. قال مونيها إن هذا ضرب من الجنون. وكانت وكالة المخابرات المركزية تستخدم خمسين رجلاً لإدارة هذه العملية، وتعتبر تقسيم البلاد إنجازاً عسكرياً رئيسياً.

تحليل مونيها أداء أحد أبطال الصور المتحركة هيريلو لوك للمشهد. إن منظر كلاريدج التحمس وهو يلقي بأوامره ونزواته داخل أبواب مغلقة وكأنه يقطع الخريطة بالقص يدل على السهولة والبساطة التي يتم بها تقسيم البلاد. على أية حال، لقد كان يمثل أمام مجموعة من المشرعين الثعسانين بسيكاراتهم الطويلة!

أخفى غولدموتر رأسه لمونيها وقال بسخرية: «إني أراها مثل الحرب». وأوماً مونيها برأسه وقال «ماذا يمكن أن نفعل؟» لقد كان ذلك سريراً جداً.

في الأسابيع اللاحقة لم يسمح مونيها المزيد وبدأ أن أحداً لم يقتنع بخطة كلاريدج ولكن مونيها فقدت نفوذهم جميعاً. كلاريدج عكس كايبي وكايبي عكس الإدارة، والعملية بدأت تتحول إلى لعة.

في ٩ كانون الأول/ديسمبر أي بعد يوم واحد من إقرار اقتراح بولاند في مجلس النواب بالإجماع حضر كايبي إلى لجنة مجلس الشيوخ ليقول إن منع تدفق السلاح هو الهدف الأساسي. لكن وكالة المخابرات المركزية كانت تأمل في الضغوط على الحكومة الساندينونية وإربابها لتصبح أكثر ديمقراطية ولتشرك بعض المعتدلين في الحكومة.

شعر مونيها بأن هناك مشكلة معرفة السياسة وقال لكايبي: «إذا قلت هؤلاء الناس، الساندينونيون، أنهم الناس الذين تقول إنهم، وأنا مستعد لأن أصدقك، ولن يصيبوا أكثر ديمقراطية... بإمكانك أن تطيح بهم أو تركهم وشأنهم ولكنك لن تستطيع أن تفعل شيئاً في الوسط بين الأمرين». وتعجب مونيها وأضاف: «هل تستطيع أن تميز أو تفرق بين إربابكم والإطاحة بهم؟». بالنسبة إلى الساندينين كانت هذه جميعها أعمالاً عدائية.

قال كايبي إن هدفه كان وقف انتشار الشيوعية وأن يجعل من حكومة نيكاراغوا تدفع الثمن غالباً لاختيارها. لقد أرادت وكالة المخابرات المركزية معاقبة نيكاراغوا. ورأى مونيها أن الإدارة كانت تفتش عن طريقة تنفيذ مشروعهما ولتظهره أقوى بقليل من احتجاج دبلوماسي. قال مونيها: ماذا عن الكونترا بعد ذاتهم؟ لقد كانوا يقاتلون من أجل الإطاحة بالحكومة واستلام السلطة. إنهم لا يقاتلون ولا يمكن أن يقاتلوا من أجل منع تدفق الأسلحة. لا أحد يفعل ذلك.

لم يجب كايبي عن سؤاله وقال: على وكالة المخابرات المركزية أن تعمل بما هو متوفر

لديها فهي لم تخلق الكونترا وإنما تدعما.

لم يشعر مونيها بالارتياح. كان الكونغرس والإدارة يدعمان عملية لا يمكن أن تنجح وقد تؤدي إلى كارثة. وكتب إلى كايبي يقول إن لجنة استخبارات مجلس الشيوخ تؤيد «توصية بولاند» وأضاف أنه توقع من وكالة المخابرات المركزية أن تعمل وفقاً لنصوص التوصية وروحها. وقدم مونيها نص «توصية بولاند» إلى مجلس الشيوخ وتمت الموافقة عليه. كان رد فعل كايبي بسيطاً. النص الجديد لا يمنع أي شيء مما نقوم به حالياً. لقد كانت لعبة حامين. في ٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢ وقع ريفان توصية بولاند وأصبحت قانوناً.

اجتمع مستشار كايبي في وكالة المخابرات المركزية سبوركين مع أفضل عملي الوكالة في لانغلي أثناء عطلة عيد الميلاد وقال لهم: «يجب أن تأتوا بنتيجة في الحال» وأضاف: «هذا الشيء سيضعنا في قفان» وسراقب الكونغرس بموجب توصية بولاند ويحتمل أن تتحول هذه التوصية إلى «حصان طروادة» وأضاف: «سراقبون ويفتشون عن المخالفات» وطلب منهم اقتراحات حول طريقة تنفيذ هذا القانون والتقيده به.

قال المحامون إن هذا القانون هو محاولة لفرض عمل سلمي. ويجب أن تتأكد الوكالة من أنها لن تقوم بأي عمل «من أجل ذلك الهدف» أي الإطاحة بالساندينين. وقال أحد المحامين: «حسناً، نستطيع أن نعمل من أجل جميع الأهداف الأخرى».

قال سبوركين: «لا يمكننا أن نكون أذكاء» وأضاف أن عليهم أن يكونوا فكرة أوسع عن عملهم. وذكر أن عملية الكونترا كانت مهمة للبيت الأبيض وللمدير كايبي. واعترض المحامون على ذلك. وقال إن هدف استشارتهم كان تقادي المشاكل وليس الرد عليهم. وسحب قائمة تتضمن توجيهات بصيغة إفعال ولا تفعل وقدمها لكايبي، وذكّرت هذه القائمة أن العملية لا تهدف إلى الإطاحة بالحكومة ولا تدعم أي وسيلة لتنفيذ انقلاب أو اغتيال لا بصورة غير مباشرة ولا بصورة مباشرة. وكان الاغتيال ممنوعاً بموجب أمر تنفيذي صادر عن الرئيس، ولكن سبوركين شعر بأنه من المفيد أن يكرر هذا الموضوع. اطلع كايبي على القائمة وقال: «شأن أنت لا تعرف كيف تكتب، أعد صياغتها واجعلها أقوى».

أرشد مدير العمليات جون شتان أن قائمة التوجيهات كانت فكرة رهيبة لحايتهم جميعاً، ووافق كايبي على إرسال اللاحقة بالمخالف إلى محطة وكالة المخابرات المركزية في الهندوراس التي كانت تشرف على العملية وعلى غيحات الكونترا. وقد تقيدت هذه القائمة المؤلفة من عدة صفحات «بتوصية بولاند» وفقاً لنصها الحرفي. لا تقوموا بأي عمل. لا تجهزات، لا تدريب، لا دعم، لا اجتماعات، لا أحداث، بهدف الإطاحة بحكومة نيكاراغوا، وانظمو الدعم عن قادة الكونترا ومقاتليها الذي يتحدثون عن مساعدة وكالة

وبغية تأكيد جدية الإدارة حول منع تدفق الأسلحة إلى السلفادور، وقع الرئيس ريغان مذكرة سرية جداً حول غواتيمالا التي لها حدود مع السلفادور بطول حوالي مائة ميل. وتسمح هذه المذكرة بجمع المعلومات والتدخل لمنع تدفق الأسلحة عبر الحدود. وكانت هناك تقارير بأن الأسلحة كانت تنقل في شاحنات الفاكهة التي تقفل وتعبر الحدود دون تفتيش. وتم تركيز محطات تفتيش أجهزة بمعدات خاصة تعطي إنذاراً عندما تمر شاحنة تحمل كمية كبيرة من الأسلحة المعدنية. وتم تشييد بناء لهذا الغرض وتدريب حوالي ستين رجلاً للقيام بأعمال التفتيش. وأوقفت عدة شاحنات من الأسلحة، ثم اكتشف المزيد. وكانت تكلفة عملية التفتيش مليون دولار. لم يعثر في التفتشات وكالة الأمن القومي على الإثبات الذي أراهه كايبي ليظهر أن نيكاراغوا كانت تدعم تدفق السلاح إلى الثوار السلفادوريين. وقد استعمل ثوار السلفادور أجهزة الراديو بعناية وأبقوا جميع اتصالاتهم قصيرة المدى. واستخدموا شيفرة لوقت محدد. ولم يستعملوا الاتصال الراديو إلى أ عند الضرورة. وكانوا يتقيدون بالسكوت اللاسلكي عندما يفرض عليهم بنظام وانضباط. وفي بعض الأحيان كان الثوار يتوقفون عن استعمال أجهزة الراديو ويستعملون أجهزة الهاتف الخفية التي لا يمكن التفتيش إلا بعد تركيز آلات تسجيل خاصة على خط الهاتف. وفي أحيان أخرى كانوا يستعملون ساعة البريد. وكانوا يتقيدون بتدابير الحيلة في الاتصالات بشكل أفضل من الوحدات العسكرية النظامية في السلفادور. ومن المحتمل أن يكون الكوبيون وربما المستشارون السوفييت وراء هذا المستوى الرفيع من الاداء. وبهذا لم يستطع كايبي الحصول على أي نوع من الإثبات المقنع الذي يمكنه من كسب الدعم الشعبي ودعم الكونغرس. قرر الساتور ليهي عضو لجنة الاستخبارات أن يزور أميركا الوسطى للاطلاع على الوضع وطلب من مدير أركان اللجنة روبرت سيمونز أن يرافقه في هذه الرحلة. وعقد سيمونز جلسة خاصة مع نائب مدير المخابرات المركزية جون مكماهون ليوضح أن الرحلة هي للعمل وليست للزخمة.

أراد ليهي أن يدخل في التفاصيل مع رؤساء محطات أربع دول أساسية هي الهندوراس حيث كانت تتم إدارة عمليات الكونترا الرئيسية، والسلفادور حيث كان الثوار اليساريون يهددون نظام الحكم القائم، وغواتيمالا حيث كانت وكالة المخابرات المركزية تحاول وقف تدفق السلاح وفقاً لمذكرة منفصلة، وباناما حيث تملك وكالة المخابرات المركزية مركز تدريب سري للكونترا. وتألف فريق الرحلة من ليهي وسيمونز وثلاثة من أركان مجلس الشيوخ وضابط مراقبة ومستشار قانوني من وكالة المخابرات المركزية. وطلب كايبي أن يرسل أحد عناصر الوكالة مع الفريق واختار بيرتون هتشينغز وهو ضابط خبير يعرف رئيس محطة باناما، وقيل عنه على سبيل المزاح أنه كان عين لاغلي وأذنها.

كان ليهي قد كَوّن فكرة عما يجري وذلك من خلال إنجازات وكالة المخابرات المركزية. كان على عناصر الكونترا أن يبقوا في إطار وحدات صغيرة ولم يسمح لهم باحتلال الأراضي أو الاحتفاظ بها وتمهلوا بعدم القيام بأعمال العنف والتشنيع ويزيلعاد بجرمي الحرب من الزعماء السابقين في نظام سوموزا عن القيادة. وبعد زيارة روتينية إلى أحد مراكز منع تدفق السلاح في غواتيمالا طار الرجال السبعة إلى تيغوسيغالبا عاصمة هندوراس ونزلوا في مقر إقامة السفير الأمريكي. وأبدى ليهي إعجابه برئيس المحطة الذي كان جدياً وملماً بجميع الأمور. ركزت وكالة المخابرات المركزية قاعدة مستقلة في منزل آمن في تيغوسيغالبا لإدارة برنامج الكونترا. وكان قائد القاعدة ضابطاً سابقاً في الوحدات الخاصة في الجيش الأمريكي وهو برتبة مقدم ويدعى راي دوتي. وكان له اتصال مباشر مع مركز قيادة وكالة المخابرات المركزية وله لقب خاص في الاتصالات وشيفرة سرية. وعلى الرغم من أنه كان تابعاً لرئيس المحطة في العاصمة إلا أنه كان الذراع العملي للأعمال الخفية. وكان دوتي قد أدار تدريبات شبه عسكرية في حرب وكالة المخابرات المركزية في اللاوس أثناء الحرب الفيتنامية. قال دوتي، وهو رجل في أواخر الأربعينات، في إنجازه: إن تحديات التدريب في الهندوراس كانت أفضل ما شاهدته. وأضاف أنه أرسل خمس وحدات قتال من أصل سبع وحدات للكونترا عبر الحدود إلى نيكاراغوا. وأحضر خريطة نيكاراغوا تظهر المساحات الشاسعة للبلد وتوقع بأن تتحرك وحدات القتال باتجاه الجنوب لتصل مع القادمين من الجنوب عبر كوستاريكا.

«انتظر. انتظر.» قاطع ليهي، هذه الوصلة تساوي أكثر من ٢٠٠ ميل وهي تعزل النصف الشرقي لنيكاراغوا. أي أن هذه هي خطة كلارديج القديمة لتقسيم البلاد وأضاف: «بيدو أنك تحفظ للإطاحة بالساندينين». أجاب دوتي لا. قطعاً لا. وكان يعرف أن الكونغرس منع صرف الأموال لهذا الهدف أي للإطاحة بالحكومة النيكاراغوية.

سأل ليهي حسناً، ماذا تتوقع من خطتك إذا نجحت؟

قال دوتي: «سأقطع الطريق البري بين القسم الشرقي وماناغوا القريبة من الساحل الغربي. وأضاف أن الساحل الشرقي على الكاريبي يتلقى المؤن من البحر أي من كوبا والسوفييت. وإذا أمسكنا بالطريق البري فإننا نزعج الكوبيين والسوفييت على استعمال قناة باناما، والمروء عبر المحيط الهادئ أو الجانب الغربي. وهكذا يكون تدفق السلاح قد توقف».

«انتظر مرة ثانية» قال ليهي: كيف يرى الساندينيون ذلك وهل يرضون بتقسيم بلادهم إلى قسمين؟ ماذا عن الولايات المتحدة التي تقول إنها لا تحاول الإطاحة بحكومتهم؟ أجاب دوتي: بما أن السلفادور ليست مواجهة للحزب الكاريبي ولها ساحل واحد على المحيط الهادئ، فإن هدف العمليات منع تدفق السلاح، أي وقف نقل السلاح من كوبا إلى نيكاراغوا إلى السلفادور.

أدرك ليهي أن كلام دوتي يمكن أن يكون صحيحاً من الناحية التقنية. وسأل «ما هو مدى سيطرة وكالة المخابرات المركزية على الوحدات المقاتلة من الكونترا؟» قال دوتي: «بما أن وكالة المخابرات المركزية زودت الكونترا بمعدات اتصال فهي تعرف ترددات هذه المعدات ويمكنها أن تصغي سراً وتتحقق مما إذا كان الكونترا يتقيدون بالخطط المرسومة».

قال ليهي: «إذا لم يقل الكونترا أي شيء على الهواء؟»

- «حسناً، لقد جئنا عناصر داخل الكونترا وسيخبرونا لاحقاً».

- «كم عنصرًا جئنا؟»

- «جئنا واحداً أو اثنين ولكننا ما نزال في البداية».

- «وكيف يجبركم هؤلاء الجواسيس عما يشاهدونه؟»

- «بلقاءات وجهًا لوجه».

- «يعني هل يأتون إلى منزلك الآمن هنا؟ وهل يخاطرون بحياتهم؟ وبذلك تقابلهم مرتين في السنة؟»

- «ستدبر أمر ذلك».

وشعر ليهي بأن هذا يشبه ما كان يجري في سايجون في أوائل الستينات. تمويل ونوايا

حسنة وخطط كبيرة وخطوات صغيرة نحو الحرب.

قال المسؤولون في السفارة الأمريكية في تيغوسيكالبا للسناتور ليهي إن السفارة كانت

تراهن على نوع من المفاوضات، وظهروا قلقهم من الحرب الصغيرة التي وقعت في شركها.

بعد ذلك عقد ليهي اجتماعاً خاصاً مع قائد القوات المسلحة في الهندوراس الجنرال

غوستافو الفاريز الذي كان مكلفاً بتنفيذ العملية من الجانب الهندوراسي.

قال الفاريز: «يا للجهنم، ستكون قواتنا في ماناغوا مع عيد الميلاد».

- «انتظر» قال ليهي، إن سياسة الولايات المتحدة مصممة على عدم الإطاحة

بالحكومة الساندينية.

قال الفاريز: «نعم ولكن شيء عظيم أن نقوم بذلك».

طار الفريق إلى باناما وكان ديوبي كلاريدج قد غادر في اليوم السابق. وكان كلاريدج

يزور محطات وكالة المخابرات المركزية في المنطقة متخذاً اسماً مستعاراً هو ديوبي ماروني كان

يصطحب معه السيكار وما يمكن رؤساء المحطات من السهر في الليل لمراجعة القضايا المهنية

والشخصية.

كان على جدول أعمال ليهي لليوم التالي حضور إنجاز رئيس المحطة، لكنه قام في نفس

اليوم بزيارة لياقة ولقيدم نفسه.

قال السناتور ليهي إنه يريد معلومات حول برنامج نيكاراغوا وبالتحديد حول أبعاده

والوقت اللازم والمال وعدد العناصر المشتركة.

لكن رئيس محطة باناما أشار على رئيس الفرقة بعدم الإجابة.

وذهل ليهي وسيمونز وحاولا الاتصال بمكهاون في واشنطن ولم يفلحا.

في اليوم التالي كرر رئيس المحطة ما قاله.

قال ليهي: «أريد أن أحصل على أجوبة وسأبقى هنا حتى أحصل عليها».

ولم تسمح المحطة لليهي أو لسيمونز بتوصيل رسالة إلى كايبي أو مكهاون. وهدد

ليهي باستئصال الهاتف المادي للاتصال بمكهاون، وهذا يعتبر خرقاً لقواعد الأمن والحيطه

خاصة إذا غضب وهو يتكلم على خط غير آمن. وبحلول الساعة ١١ ليلاً أرسل ليهي رسالة

آمنة.

بعد سبع ساعات أي في الساعة السادسة صباحاً طُرق باب غرفة ليهي في الفندق.

كان الطارق كلاريدج، الذي من دون أي مجاملات أدار راديو الفندق ورفع صوته عالياً

لتفادي استراق السمع. سأل ليهي بسخري: «من لدينا هنا؟ خياط، جندي، سمكري» ثم

توقف، وتابع على لحن خاص بالأطفال «لا جاسوس» كما في رواية لوكازيه.

قال كلاريدج: «أنت تعرفي أيها السناتور ولديك بعض الأسئلة».

قال ليهي: «أنا عضو في لجنة استخبارات مجلس الشيوخ ولذلك فإن مراقبي ليس

عصورة في واشنطن» وأضاف: «عندما أسافر إلى المحطات أنتظر أجوبة وفي هذه الحالة لدي

تأكيدات من مكهاون» وشرح ليهي أن لديه رواية تغطيها سيطتها للأوساط الصحافية

بحيث لا يعرف أحد أن الرحلة إلى باناما لها علاقة بعملية الكونترا.

جلس كلاريدج على السرير وقال إن رئيس باناما القوي الجنرال مانويل انتونيو

نورريغا وهو رئيس سابق للاستخبارات العسكرية كان في وقت من الأوقات أهم مصدر

للمعلومات. وكان يعطي التسهيلات لوكالة المخابرات المركزية. ولكن نورريغا كان يلعب

على الحبلين. وكانت له علاقات عائلية مع كوبا وهذه العلاقات حسناتها وسيئاتها بالنسبة إلى

وكالة المخابرات المركزية، ذلك أنه في بعض الأحيان يؤمن معلومات هامة عن كوبا. وطبعاً

نحن لا نعرف ما إذا كان يؤمن للكوبيين معلومات عنا. كانت هذه لعبة ممتعة. وعلى الرغم

من ذلك فقد سمح نورريغا لوكالة المخابرات المركزية بأن تترك قاعدة لتدريب الكونترا هنا.

هذه القاعدة يجب أن تبقى سرية بأي ثمن. وإذا تسربت أنبائها، سيكون لنورريغا أسبايه

لمنع التدريب في باناما.

سأل ليهي: لماذا تدربون الكونترا في باناما وهي ثالث دولة جنوب السلفادور؟ ماذا

يؤثر ذلك على وقف تدفق السلاح؟

أجاب كلاريدج: «إننا نريد أن نحصر الكونترا لأن يهاجموا من الجنوب عبر

كوستاريكا».

نظر ليهي إلى الخريطة. كانت كوستاريكا على بعد حوالي ٣٠٠ ميلاً عن السلفادور. وبدا واضحاً أن هذا ليس منعاً لتدفق السلاح.

كان من المفترض أن يكون التوقف التالي والنهائي للفرق في السلفادور، لكن وكالة الأمن القومي وجهت رسالة إلى باناما حول تقرير يفيد بأن بعض اليمينيين المتطرفين كانوا يخططون لإطلاق النار على طائرة وفيه من الكونغرس الأمريكي. وربما كان السناتور كريستوفر دود الذي كان يطير إلى السلفادور في نفس الوقت تقريباً هو الهدف. واقترح سيمونز وضع إشارة على طائرهم تقول: «لا تطلق النار.. على متن الطائرة مساعد سناتور وهو يمني».

فور عودته إلى واشنطن، وضع ليهي وأركانه تقريراً سرياً طويلاً وتوصلوا إلى استنتاج لا مفر منه وهو أن العملية كانت أكبر مما وصفت، ليس فقط من حيث عدد عناصر الكونترا الذين كانوا حوالي ٥٥٠٠، ولكن كل شيء كان كبيراً. لقد بذلت القيادة العسكرية الأمريكية جهوداً لجمع معلومات تكلفها ملايين الدولارات. وكانت أعمال الدعم والتدريب في طريقها للتنفيذ في أمريكا الوسطى. لقد ربطت جميع دول أمريكا الوسطى غواتيمالا - كوستاريكا - السلفادور - الهندوراس وحتى باناما مع بعضها البعض في حلف معاد لنيكاراغوا.

كانت الخطة تقضي بتقسيم نيكاراغوا إلى شرقية وغربية في الصيف، والهجوم من الشمال عبر الهندوراس ومن الجنوب عبر كوستاريكا والوصول إلى ماناغوا بحلول عيد الميلاد. كانت حرباً من جميع الجهات. وهكذا فإن العملية مختلفة كثيراً عما قاله مسؤولو وكالة المخابرات المركزية في إنجائهم. وبدا واضحاً أن السياسة السرية تحرك السياسة الخارجية. إن حرباً إقليمية كانت على وشك النشوب، والكثير من المخططات بقي سرياً ولم يعرف به أحد.

في الاجتماع التالي للجنة مجلس الشيوخ طلب ليهي خمس عشرة دقيقة لتقديم خلاصة التقرير.

ممس غولدوتور قائلاً: «آه يا للهراء! إنه الصبي يتكلم كثيراً».

كان اندرز يحاول أن يخفي عملية نيكاراغوا في استراتيجية أكبر لأمريكا الوسطى. وأراد أن لا يلتفت الجمهور والإدارة والكونغرس إلى العمل الخفي. وأعد أندرز عدة مبادئ هي الديمقراطية، المساعدة الاقتصادية، العمل الخفي وذلك كي لا تظهر حساسيات فيثنام. هكذا كانت سياسة الإدارة تتواءم في الكونغرس. ولكن البيت الأبيض تغير كثيراً بعد تعيين وليام كلارك مستشاراً جديداً لشؤون الأمن القومي.

كان كلارك يردد تعابير: «قليل جداً» و«متأخر كثيراً» وكان يشعر بأن سياسة الإدارة تتراجع.

كان أندرز يعتقد بأن الكونغرس هو المطرقة، وبأن معارضي الأعمال الخفية كانوا أقلية، وبأنه يمكن الإسكاب بوقرة الكونغرس بعد إقناع ١٠٪ أو ١٥٪ من أعضاء الوسط. وأضاف اندرز: «إن الطريقة الوحيدة للقيام بذلك هو الاعلان أن هدف سياسة الإدارة هو تسوية الوضع بسلام»، وأضاف: «لا يمكن التخلي عن المفاوضات» ومن الواقعية أن تحاك سياسة الإدارة في الكونغرس.

شم أندرز رائحة الاضطرابات. واقترح الالتزام باستراتيجية إقليمية في أمريكا الوسطى على خطين. الخط الأول في نيكاراغوا حيث يستمر الدعم السري لنوار الكونترا ومحاولة إجبار الساندينين على إجراء مفاوضات مع الكونترا. والخط الثاني في السلفادور حيث يستمر الدعم لدورات وحكومته مع ممارسة ضغوط لإجراء مفاوضات بين الحكومة والنوار السلفادورين. وتهدف هذه الاستراتيجية إلى تسوية شاملة للوضع في المنطقة، فتسحب القوات الكوبية والسوفياتية والأمريكية من أمريكا الوسطى. حصل كلارك على نسخة عن مذكرة أندرز ولم تعجبه، وشعر بأن اندرز يريد تحقيق نجاح مهني على حساب تماسك سياسة الإدارة. لا يجوز بأي حال من الأحوال أن تسحب الولايات المتحدة قواتها من أمريكا الوسطى وأن تتخلى عن اصدقائها. وكان كلارك يعتبر ذلك تكراراً لأخطاء كارتر أي أن تقول شيئاً وتفعل شيئاً آخر. أرسل تقرير أندرز إلى الرئيس مع تعليق ويظهر أن أندرز لم يتقيد بسياسة الإدارة.

في ١٠ شباط/ فبراير ١٩٨٣ تسرب تقرير أندرز إلى الأوساط الصحافية، واتهمه أركان البيت الأبيض بالروح الانهزامية. وأوضح كلارك أنه لا يفر وحده من المفاوضات، ولكنه لا يكن متأكداً من أن الرئيس الأبيض كان يفكر بالاعتقاد على الأعضاء الوسط في الكونغرس لأن من مصلحة الرئيس أن يخوض معركة سياسية رئيسية.

قال كايبي لاندز إنه يشكك في سياسة المفاوضات، ولكنه لم يعارض المحاولة، ورأى أنها أمنت للإدارة ولوكالة المخابرات المركزية غطاء جيداً في لجان الاستخبارات.

في ١ آذار/ مارس اتصل كايبي باندرز. وقال له: «أنا أعلم أنك تواجه صعوبات فبالإضافة إلى بيل كلارك هناك شخص آخر وراك هو مايك ديفر».

أجاب اندرز: شكراً لهذا البشيش أيا الزميل، وأدرك أنه بذلك كان يعني نانسى ريغان.

كان كايبي قد سمع ديفر يقول عن أندرز: «الشيء مع الكعك» و «مجموعة البنطلون المقلّم». وكان مسروراً عندما علم أن البيت الأبيض يحضر لحظوة في أمريكا الوسطى. وفي الحقيقة ظهر بيل كلارك وكأنه يعيد توجيه السياسة الخارجية.

كان أنطوني دولان وهو الفائز بجائزة بوليتزر عام ١٩٧٨ لتقارير التحقيقات، أحد المصادر المطلعة الرئيسية لكايبي في البيت الأبيض، جاء كايبي بدولان إلى حلة ريغان

الانتخابية عام ١٩٨٠، وكان دولان محافظاً ومن أنصار ولیم بکلی واستقر فيما بعد في مكتب كتابة خطابات الرئيس. ومع أن جيم باكر كان يقبده إلا أنه مارس دوره ككلب مجرمي الريغان. وتبادل كايسي ودولان الملاحظات والأفكار والاتصالات الهاتفية. وأعجب دولان بأحاديث كايسي عن الالتزام المحافظ الصحيح. لم يكثر كايسي بأقوال الصحافة. كان مشغولاً جداً وكان يعتبر كتبه وأفكاره وتحدياته أكثر تشويقاً من نفسه.

أخبر كايسي بيل كلارك عن مواعيد وقدرات دولان. في ٨ آذار مارس ١٩٨٣ الساعة الثالثة والدقيقة الرابعة بعد الظهر التقى الرئيس ريغان خطباً في الجمعية الوطنية الإنجليزية في قاعة سبتروس كراون في فندق شيراتون ذي البرجين في اورلاندو في ولاية فلوريدا وبعد أن ذكر مقتطفات من إعلان الاستقلال (لويس وهويتاكر شامرز وتوم باين) قال عن الاتحاد السوفياتي إنه «امبراطورية الشر».

فما بعد وفي ذلك الشهر كشف الرئيس النقاب عن مبادرته الدفاعية الاستراتيجية المعروفة «بحرب النجوم» للدفاع ضد الصواريخ السوفياتية بواسطة نشر أسلحة في الفضاء. ووصف السوفيات ريغان بالجنون. يمكن لكايسي أن يعيش في هذا الجو المسموم المعادي للشيوعية ولكن أندرز لا يستطيع العيش فيه! كانت نيكاراغوا أرض المعركة، وريغان وكلارك وكايسي يلعبون كرة صعبة. ورأى أندرز أن السياسة الصحيحة هي في إخراج السوفيات والكوبيين من نيكاراغوا ولكن سياسة الولايات المتحدة أصبحت واضحة، وهي إخراج الساندينين أيضاً.

نقل أندرز من مركزه وعين سفيراً للولايات المتحدة في أسبانيا. وبقي في واشنطن عدة أشهر قبل التحاقه بمركزه الجديد. وتلقى عدداً من دعوات العشاء الوداعية التي حضرها كايسي جميعاً. وفي إحدى الغفلات رفع كايسي كأسه عالياً لشرب النخب وأشاد بأنندرز وأعماله وأهدافه المميزة. وكان حاراً وجازماً في كلامه وأوضح أنه سيبقى وأنندرز صديقين دائماً.

بحلول ربيع ١٩٨٣ ازداد قلق جون مكاهون حول كايسي ووكالة المخابرات المركزية والكونترا. وذات يوم سأل عضو لجنة استخبارات مجلس النواب النائب الجمهوري كين روبنسون مكاهون: لماذا ارتفع عدد الكونترا من ٥٠٠ إلى ٥٥٠٠. وكان روبنسون مخلصاً وموالياً للإدارة ووكالة المخابرات المركزية وكان في الغالب قاسياً. أجاب مكاهون بأن لجان الاستخبارات أحبطت علماً بشكل جيد. ولكن الأعضاء كانوا يفقدون الأثر لأن فترة كانت تفصل بين كل إنجاز وآخر. كان من السهل أن تذكر إنجاز الأسبوع الماضي، ولكن خلال الأشهر الفاصلة بين إنجازين، يمكن أن يكون الكونترا قد هاجموا قرية أو طوعوا مائة عنصر في قرية أخرى. لا يمكنهم أن يهملوا المتطوعين الجدد لأنهم يمثلون الدعم الشعبي. أقر مكاهون بأن برنامج الوكالة كان يشمل تطويع مقاتلين شبان مع الكونترا. طبعاً كانت

الأرقام تزداد. لكن روبنسون لم يكن سعيداً بل كان غاضباً، وتوقع مكاهون منه أن يثير مشاكل جديدة لبرنامج نيكاراغوا.

تمثل مكاهون أمام لجنة استخبارات مجلس الشيوخ في جلسة سرية. واندفع ليهي نحوه قائلاً: «أنتم أيها الصبية تستعدون لسفطة كبيرة».

بدأت العملية نقلت من اليد وبدأ محتملاً أن لا تنجح، وأضاف: «لا أحد يريد أن يلوم البيت الأبيض أو وزارة الخارجية أو وزارة الدفاع لذلك»، وأضاف: عندما يفشل كل هذا فإن اللوم سيقع على وكالة المخابرات المركزية. إنها حزمهم وليست حرب ريغان أو حتى حرب كايسي ولكنها حرب الوكالة. ريغان وكايسي ومكاهون سوف يتركون مناصبهم يوماً ما ولكن الوكالة يجب أن تبقى. إن لجنة الاستخبارات ملتزمة بحماية المؤسسات الأميركية.

قال مكاهون: نعم، ووافق على أن عملية الكونترا ستثير مشاكل كبيرة للوكالة وللكونغرس أيضاً. وأجر وجه مكاهون وبدأ يشير بيديه للتأكيد. لقد كان في السبعينات عندما تجرت الوكالة إلى صراع مع الرأي العام والصحافة والكونغرس. وأضاف أن مهنتها كانت معرضة للخطر في أي وقت، وبدأت العواطف تظهر. قال مكاهون إن هذا التعرض لا يؤدي إلى إيداء رفاقه في الوكالة فقط بل يمكن أن يلحق أي عمل تقوم به وكالات الاستخبارات الأميركية. إن سمعة وكالة المخابرات المركزية كانت على المحك. لقد أمر الرئيس والمدير بكل خطوة من هذه العملية. وعندما أنهى مكاهون كلامه سكوت الجميع في القاعة.

بعد أن توسعت الحرب الخفية، بدأت أموال وكالة المخابرات المركزية المخصصة للكونترا تنفذ. قرر كايسي إعادة برمجة المال من الاحتياط المالي السري. لقد كان هذا «الإيداع» والسحب المالي لحوالى ٥٠ مليون دولار متوفرين دائماً في حالة الطوارئ أو عندما لا يكون الكونغرس في حالة انعقاد. بعد انتهاء فترة الطوارئ أو بعد انعقاد الكونغرس يُرخص باستعمال المال وتستكمل بقية الثقة. وكانت بضعة ملايين من الدولارات قد بقيت من جراء العملية الفاشلة لتأمين حماية بشير الجميل وتقديم المساعدات له. وقد أعيد برمجة هذه الثقة إلى الكونترا. لقد كان هناك تأخير لثلاثة أسابيع على الأقل وربما لستة أسابيع، وتلك هي المدة اللازمة لإجراء الحسابات قبل وصول الأعمال الإدارية إلى لجنة استخبارات مجلس الشيوخ لإعلامها بالتعديل. وكانت عملية نيكاراغوا قد أثارت حساسيات كثيرة، وقد يؤدي التأخير الروتيني في إعلام اللجنة إلى عودة هذه الحساسيات والشعور بأن وكالة المخابرات المركزية لا تحتمل لجان المراقبة في الكونغرس.

عقدت جلسة سرية واستدعي مراقب عقد النقاشات في وكالة المخابرات المركزية دانيال شيلدز للإدلاء بشهادته. وهو مساعد سابق في اللجنة للسناتور اينوي. وأفاد بأن بضعة الملايين هذه كانت بنداً صغيراً جداً. وكان اينوي وهو ديمقراطي معتدل غاضباً لذلك.

ووجد بعض الديموقراطيين في ذلك فرصة للقضاء على كايي. ولكن السناتور مالكولم والوب وجد نقطة أخرى. لقد أظهرت السجلات أنَّ كايي كان خارج البلاد أثناء توزيع الصفقات. وأنَّ مكهاون هو الذي لم يتصرف بحكمة. وفرح والوب. مكهاون ضابط الإدارة الممتاز لم يذق في أعماله المكتيبة، وهذه جريمة بيروقراطية من الدرجة الأولى. أما زملاء والوب الذين حاولوا اصطيد فروة رأس كايي، فقد اصطادوا فروة رأس مكهاون. وكان على مكهاون أن يشرح انزلاقه لكبار الشيوخ. وتبين أنَّه ليس في وضع يمكنه من الإسراع بعملية نيكاراغوا. ولم يدرك أنَّ كايي وكلاريدج كانا يعملان من طرف أميركا الوسطى إلى الطرف الآخر. لقد كان نائب المدير، وكلاريدج مجاوزة. لم يكن هناك أي كلمة أخرى. وكان الموقف لا يحتمل. ذهب مكهاون إلى كايي وقال له إنَّه يستطيع أن يعمل نائب مدير فقط عندما يوضع في الصورة. لا يجوز تكرار تجربة إغان. حقق كايي طويلاً ثم وافق، وتمَّ اعتماد أساليب عمل جديدة. جميع الأعمال الورقية تمر عبر مكهاون وقد تزعج مكهاون من كثرة البحث في الموضوع، وحث بأسلوب لائق على البحث عن طريق آخر. يمكن أن تصح العملية علنية وتسلم لوزارة الدفاع، وتصبح بعد ذلك بمثابة حرب حقيقية. لم يتقبل كايي هذه الفكرة فإذا لم تستطع الوكالة الإمساك بالمسائل الصعبة وحالتها على العسكريين، فإنَّ وعده بالمحافظة على الإمكانات شبه العسكرية للوكالة سيتحول إلى نكتة! لقد كانت هذه العمليات صعبة المراس ولا تتحمل العسكريون تنفيذها، ووفق كل هذا لا يجوز لقوة عظمى مثل الولايات المتحدة الأميركية أن تنصهر على أمة صغيرة مثل نيكاراغوا بهجوم عسكري واسع النطاق.

أصر مكهاون بانفعال على أنَّه كان إلى جانب كايي، لقد كان هناك في السبعينات أثناء التحقيقات وأدرك أنَّ كايي هو الذي أوقف التصعد والشلل في الوكالة.

اقترح كايي على مكهاون أن يتكلم كل منهما مع أركان مجلس الأمن القومي. وعرضت فكرة إحالة العملية إلى وزارة الدفاع على وينبرغ وبيل كلارك وجورج شولتز الذي حل مكان هينغ كوزير للخارجية في السنة الفاتنة. كان جواب وينبرغ بسيطاً. لقد صمَّ على إبقاء العسكريين خارج أي نشاط لا يتمتع بدعم كامل من الجمهور ومن الكونغرس. وكانت رائحة عدم الثقة تفوح من هذه العملية: قال وزير الخارجية إنَّ هناك تقريباً سرياً على الجبهة الدبلوماسية وإذا تولت وزارة الدفاع ذلك يصعب الاستمرار بهذا التقرب. وافق كلارك على أنَّه من الأفضل أن تكون هذه العملية بيد وكالة المخابرات المركزية وأشاد بجهود كايي. وقال إنَّ كلاريدج كان يقوم بالمعجزات ورأى أنَّ النصر يلوح في الأفق.

أما الرئيس ريغان فقد كان معبراً أكثر وقال: «كان بيل ووكالة المخابرات المركزية يقومون بعمل سليم».

أعطى غولدوتر توجيهاته إلى عملي لجنة استخبارات مجلس الشيوخ للبحث في

إمكانية تمويل العملية مباشرة عبر وزارة الدفاع. ووجد المحامون أكثر من عشرة حواجز قانونية. واستنتج غولدوتر أن عملية عسكرية لوزارة الدفاع ستعبر حرباً، وكانت تحتاج إلى تصريح من الكونغرس. من كان يريد إعلان الحرب على نيكاراغوا؟ مع أنَّ القانون الدولي وسائر الاتفاقات والمعاهدات الدولية لم تعترف بالأعمال الخفية فقد كانت الدول تقوم بها بطريقة من الطرق. ولهذا لن تدمر أي دولة الولايات المتحدة لذلك العمل. وتعبج بولاند في مجلس النواب بما إذا كان هناك حاجة إلى سياج من نوع ما في الهندوراس لمنع تدفق الأسلحة من نيكاراغوا إلى السلفادور. وكانت الفكرة التقريبية لفكرة بولاند - أو خط بولاند كما سميت في المجالس الخاصة - تتراوح بين ٣٠٠ ٥٠٠ مليون دولار. وسقطت الفكرة بسرعة.

سجل كايي إعجاب الرئيس ريغان وإشادته بوكالة المخابرات المركزية وبمكهاون الانضباطي. كانت عملية نيكاراغوا بيد وكالة المخابرات المركزية وستبقى. وأصاب مكهاون والعمل الخفي رؤوساً جديدة. فقد حضر مبعدون من البلد الصغير سورينام وهي مستعمرة هولندية سابقة في الساحل الشمالي لأميركا الجنوبية وتقع شمال البرازيل مباشرة إلى وكالة المخابرات المركزية وطلبوا المساعدة. لقد أراد هؤلاء المبعدون الهولنديون الإطاحة بالحكومة الشرعية للمقدم ديزي بوتريس الذي كانت له ميل شيوعية، وكان قد أعدم خمسة عشر شخصاً بطريقة وحشية، ومن ضمنهم كبار المعارضين السياسيين وبعض الصحفيين والقادة النقابيين.

كان كايي مؤيداً للفكرة. ولم يكن بوتريس إلا يسارياً ومثيراً للمشاكل، وبدا المبعدون الهولنديون صادقين. ولكن كايي ومكهاون وافقا على إجراء تقويم مستقل. أعدت مديرية العمليات «مذكرة سياح» بعمل خفي محدود لمعرفة ما إذا كان هناك معنى لدعم المبعدين وما إذا كانت لديهم فرصة للإطاحة ببوتريس. إنها عملية حقيقية للإطاحة بالنظام القائم أو لدعم المبعدين وسوف تحتاج إلى مذكرة منفردة. وقَّع الرئيس ريغان «مذكرة السياح» وخصَّص بضعة مئات آلاف الدولارات لإرسال فريق من الوكالة إلى سورينام لجمع المعلومات ودرس إمكانية القيام بانقلاب.

أوجز مكهاون عن هذه المسألة للجنة استخبارات مجلس الشيوخ. إلا أنه سمع جوقة من الشيوخ تنشد: «لا بد أنك تزعج». وتساءل عدَّة شيوخ: لماذا تدرس إدارة ريغان القيام بانقلاب في هذا البلد الذي لا دلائل له. إن شعب سورينام مثل شعب تاهيتي في جنوب المحيط الهادئ ويبلغ عددهم حوالي ٣٥٠ ألف نسمة أي ما يساوي عدد سكان مدينة توسون في أريزونا. وغضب غولدوتر وقال: «هذه أسوأ فكرة سمعتها في حياتها».

أجاب مكهاون إنَّ حكومة بوتريس كانت تتصل بالكوبيين وبحكومة غرانادا، وهي جزيرة صغيرة في الكاريبي تقودها حكومة يسارية. ولدى وكالة المخابرات المركزية مجموعة

من المبعدين الهولنديين الذين يمكنهم تنفيذ هذا العمل.
ومضى كان ينجح انقلاب مثل هذا مدعوم من الأميركيين، كان على مكماهون أن يعود إلى الانقلاب المدعوم من وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٥٤ في غواتيمالا ليجد الجواب، وأوضح أن «مذكرة السباح» تعني أن الإدارة كانت تدرس الاحتمال وأن التنفيذ يحتاج إلى مذكرة أخرى وأنه يجب عندها إعلام اللجنة.

لم يقتنع أعضاء اللجنة بالإيجاز وقرروا إرسال رسالة احتجاج إلى الرئيس ريغان تعبر عن معارضتهم لأي عمل خفي في سورينام.

وأرسل غولدفوتر رسالة شخصية إلى الرئيس ريغان يقول فيها: «هل أنت في الحقيقة تحتاج لهذا العمل؟» وكانت هناك معارضة أيضاً في لجنة مجلس النواب ومن الحزبين. وعندما عاد فريق وكالة المخابرات المركزية لم يحصل أعضاؤه إلا على معلومات قليلة عن الوضع وقالوا إنه من الصعب تنفيذ الانقلاب.

وسقطت الخطة واهتزّ مكماهون في هذه اللعبة. إلا أنه تعهد على نفسه بإبقاء وكالة المخابرات المركزية خارج إطار العمليات الكوميدية!

- ١٢ -

كان على كايسي أن يسوّق عملية نيكاراغوا في البيت الديمقراطي. لذا كان عليه أن يمسك بالديمقراطيين المحافظين في الجنوب والغرب. وكان أحد هؤلاء ديف مكروي وهو نائب عمره ٣٣ سنة، ديمقراطي من ولاية أوكلاهوما، وكان قد انضم إلى عضوية لجنة استخبارات مجلس النواب في كانون الثاني/ يناير الماضي. وكصديق للإدارة ومؤيد قوي للدفاع تبنى مكروي سياسة الإدارة الخارجية والدفاعية. قال كايسي لمكروي في حديث خاص: «إن وكالة المخابرات المركزية يمكنها أن تقوم بما يتطلبه لمهاولة الضغوط على الحكومة الساندينية. وكان مكروي يشعر بأنه ينزلق في حديثه مع كايسي. في إحدى الجلسات سأل مكروي كايسي: «ما هو مدى اهتمام الساندينين بالمدراس والطرق والمستشفيات في بلادهم».

أجاب كايسي «أنا لا أعرف». وكانت الصرخات العصية تدوي في قاعة اللجنة في الطابق العلوي لبناية الكابيتول. لقد كانت غرفة صغيرة وكان أعضاء اللجنة يجلسون إلى طاولة على شكل حافر الحصان. وكان كايسي يجلس إلى طرفها ويمسح إلى أن الاستماع كان عملاً وأن أسئلة مكروي كانت سخيفة وخارجة عن الموضوع.
سأل مكروي: «هل أن كايسي نفسه لا يعرف أم أن وكالة المخابرات المركزية ليس لديها معلومات حول هذا الموضوع؟».

سأل كايسي: ما الذي تبغيه بالضبط أيها النائب؟

قال مكروي: «لقد نشأت في المناطق الريفية في أوكلاهوما ويجب أن تفهم سبب وجود الديمقراطيين في ريف أوكلاهوما. وتابع مكروي حديثه عن إدارة كهرياه الريف وتحديث مزارعي أوكلاهوما ونقلهم إلى حياة القرن العشرين. وقال إن السؤال هو هل أن الساندينين يعملون بنفس الأسلوب؟ وهل يحاولون كسب تأييد شعبيهم؟

حصل كايسي على ما يريد وتجاوب إلى حد ما وقال إن الكنيسة الكاثوليكية كانت تعارض الساندينين وإذا أجريت انتخابات نزيهة في نيكاراغوا فلن يفوز الساندينون فيها.

سأل مكروي: ماذا عن الكونترا المدعومين من الولايات المتحدة؟ وما نوع الرسالة التي كانوا ينشرونها في الريف؟ وهل هي معركة لكسب قلوب وعقول السكان المحليين؟ لقد كانوا ينسفون الجسور ويقصفون أهراءات القمح ومزارع تربية الدواجن. كما هاجموا محطة الكهرباء. لقد ادعت وكالة المخابرات المركزية أن محطة الكهرباء كانت هدفاً عسكرياً ولكنها عادت وصرحت بأن ١٠٪ من الطاقة كانت تذهب إلى القوات المسلحة والبقية إلى المدنيين. لقد كان ذلك تدميراً وليس بناء.

في أول يوم بعد عودته من عطلة الفصح في ٥ نيسان/ أبريل ١٩٨٣ ذهب مونيهان وليهي إلى الطابق الأرضي في مجلس الشيوخ^(٥) لإظهار قلقهما حول عملية نيكاراغوا. وتحدث مونيهان عن أزمة ثقة بين الكونغرس ووكالات الاستخبارات. وكان مونيهان يعتقد بأن هذا الضغط العسكري الإرهابي لا يمكن أن يحقق المزيد من الديمقراطية. ماذا كانت ردة فعل الساندينيين؟ لقد أوقفوا الحريات المدنية وأخضعوا الصحافة للمراقبة، وشدد البوليس المحلي من إجراءاته الأمنية.

بعد أسبوع وفي يوم الثلاثاء الساعة الحادية عشرة استدعى غولدموتر كايبي ومكماهون وسبوركين لحضور جلسة سرية في لجنة استخبارات مجلس الشيوخ. قال الجميع إن العملية كانت مشروعة وبناء لأوامر الإدارة وكانت مدعومة من الرئيس ووزارة الخارجية وعجرتي وكالة المخابرات المركزية. بعد ذلك توجه غولدموتر إلى الطابق الأرضي في مجلس الشيوخ وتحدث أمام الشيوخ مدافعاً عن وكالة المخابرات المركزية وقال: «أنا أعتقد بأننا كنا نعلم بشكل كامل ودائم»، وعزم من قناة مونيهان وقال: «هذا الحديث عن أزمة الثقة هو عودة إلى ما جرى في السبعينات عندما تعلقنا لجيشاً نشرش وبايك بعنواني الصحف لتستلّق ظهر المجموعة الاستخباراتية، ولاحظ أن الساندينيين أنشأوا أكبر قوة عسكرية في أميركا الوسطى بلغ عديدها ٤٠ ألف رجل على الأقل ومن ضمنهم الاحتياط. وسأل غولدموتر: «هل يعتقد أي من الزملاء الشيوخ بأنه يمكن تركيع هذه الآلة العسكرية الماركسية ببضعة آلاف من المقاتلين من أجل الحرية؟ وأضاف: إن العمل الخفي خطر. وكشف عن دور مجلس الشيوخ وعلمه الكافي حول هذه العمليات وقال: «لقد تورطنا ولن نتراجع»، وأضاف: «إذا كانت التفاتت تصرف لأعمال لا ندمعها فدعونا نقطع هذه الشفقات».

في ذلك الشتاء قلق كايبي حول الوضع في لبنان. لقد تراجع نفوذ وكالة المخابرات المركزية منذ اغتيال بشير الجميل وتقلصت معلوماتها. وقد انتخب أمين شقيق بشير رئيساً للجمهورية وبدأ يمارس صلاحياته، وكان أمين الجميل يتعد عن إسرائيل وعن الولايات المتحدة ويحاول توطيد علاقاته العربية. واقترح البيت الأبيض مرشحاً ليكون مستشاراً

(٥) قاعة الاجتماعات الرئيسية.

لشؤون الأمن القومي في لبنان بغية المحافظة على نفوذ الولايات المتحدة في لبنان. وافق أمين على ذلك وعين وديع حداد وهو لبناني عامر ٤٢ سنة كان يعمل في البنك الدولي، وهو قصير القامة، أنيق، يتمتع بقدرة على الاحتيال، وكان معروفاً بالأميركي بسبب علاقته الوثيقة بالأميركيين.

التقى كايبي حداد في أوائل عام ١٩٨٣ وكان الاثنان قلقين من النفوذ السوري في لبنان ومن أمين الجميل بالذات. واعتقد حداد بأن السوريين سوف يجربون أي تكتيك، وعندما ينجح سوف يعتمدونه كسياسة. وقال حداد: «إذا شعرت بأن السوريين قد خانوك، عندها تكون لا تفهمهم».

واتفق كايبي معه وكان يريد أن يعرف شيئاً عن شخصية أمين ومدى قوته لأن تقارير سلبية كانت قد وردت عن الرئيس الجديد. لقد كان في أثناء الاضطرابات الأخيرة في باريس منهكاً بالتسوق فاشترى ٢٤ بزة جديدة وبدلة رسمية جديدة من محلات كريستيان ديور. وكان مكروهاً من العسكريين الذين اعتبروه ضعيفاً. وسأل كايبي: هل يملك أمين دعم العسكريين؟

«نعم»، قال حداد، ولكنه أضاف بأن جوابه هذا مبني على الأمل. وبكلمة أخرى، لا. وكان التوتر واضحاً بين المستشار لشؤون الأمن القومي والرئيس اللبناني الجديد. واستنتج كايبي أن هذه العلاقة لن تستمر.

وحق هذا الوقت كان حداد مصمماً على أنه إذا أراد أن يرسل رسالة إلى الرئيس ريغان فإن كايبي هو الطريق الصحيح لإرسالها. كان هناك دليل آخر لكايبي في سياسة الشرق الأوسط هو روبرت إمز، وهو رئيس عملي الوكالة في المنطقة وضابط ممتاز في وكالة المخابرات المركزية وأنشأ أهم رجال كايبي. وكان إمز يرتدي غالباً ملابس عادية ونظارات تشبه نظارات الطيارين وحذاء كاوبوي. وكان رجلاً مفكراً وي طرح دائماً أفكاراً جديدة. وعندما كان ضابط عمليات كان يجند العملاء والمصادر بشكل جيد. وخلال عهد هلمز، وفي بيروت، كان إمز الوحيد الذي اخترق منظمة التحرير الفلسطينية لصالح وكالة المخابرات المركزية وطوّر مصدريين أساسيين.

كان أول مجندي إمز علي حسن سلامة رئيس جهاز الأمن والمخابرات لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات. فسلامه أو كما كان الموساد يسمونه بالشيفرة «الأمير الأحمر» قتل عام ١٩٧٩ في انفجار سيارة مفخخة، ويحتمل أن يكون الإسرائيليون وراء ذلك. وكان إمز سيد ما يسمى «بحرب المخابرات السرية» في بيروت حيث زحف الجواسيس ورجال المخابرات على بعضهم البعض، وكان هناك طابع مخبراتي في كل طلقة أو قبلة أو تحرك دبلوماسي. أن تبقى حياً في هذا الجو، يعني أن توازن الأمور.

شعر إمز، بأن إسرائيل كانت عبارة عن لعبة مجموعتها صفر. وكان الإسرائيليون

يعتقدون بأن أي نجاح لعلاقة أي بلد أو أي فرد مع الولايات المتحدة يكون على حسابهم. كان كايي سروراً عندما اعتمد وزير الخارجية شولتز إيجز مستشاراً غير رسمي لشؤون الشرق الأوسط. وكان فرانك كارلوتشي نائب وزير الدفاع وهو نائب سابق أيضاً لمدير المخابرات المركزية قد قال لشولتز إن هناك طريقة واحدة لفهم ما يجري في الشرق الأوسط: «استمع إلى بوب إيجز» وأضاف: «أرجوك اصغ إليه. إنه جيد لأنه موزون وبعيد عن الغرور». وبعد بضعة أشهر التقى شولتز بكارلوتشي وأخذته جانباً وقال له: «إن أهم نصيحة أسديتها لي هي الاستماع إلى بوب إيجز».

لقد أعجب شولتز ببرودة إيجز الذي أصبح بسرعة محرك وزير الخارجية في قضايا الشرق الأوسط. وكانت آراء إيجز واضحة. الأمور تتخذ منحى خطيراً في لبنان بوجود قوتين كبيرتين: سوريا وإسرائيل، ويجب القيام بعمل ما. ولكن مثل أي شيء آخر في الشرق الأوسط لن يكون هذا العمل سهلاً على الإطلاق. ومثل كل شيء في الشرق الأوسط يمكن أن يكون ذلك مستحيلاً.

في نيسان/ أبريل ١٩٨٣ غادر إيجز إلى الشرق الأوسط في مهمة ميدانية وفي ١٨ نيسان/ أبريل كان في سفارة الولايات المتحدة في بيروت على شاطئ البحر عندما دخلت شاحنة بيك اب مليئة بالتفجرات وانفجرت، وانهار نصف البناء المؤلف من سبع طبقات. وعندما سحب الجثث من تحت الركام تبين أن هناك ٦٣ قتيلاً من بينهم ١٧ أميركياً ومن بين هؤلاء إيجز ورئيس عملة وكالة المخابرات المركزية في بيروت ونائبه وستة ضباط من الوكالة. لم يبق كايي على تصديق التقارير الأولية. كان ذلك بمثابة جرح شخصي ولم يحدث أي شيء مدمر مثل هذا في أي منظمة أو مؤسسة ترأسها في حياته. لقد كان رجال وكالة المخابرات المركزية يجتمعون ليبحثوا وضع الإرهاب. هل عرف الإرهابيون ذلك؟ كانت وكالة الأمن القومي تقرأ وتُحل الشيفرة للبرقيات المرسلة من وزارة الخارجية الإيرانية إلى سفارة إيران في دمشق وبيروت. وبعد الانفجار راجع المحللون جميع الالتقاطات المتوفرة قبل حدوث الانفجار. أظهرت البرقيات بوضوح أن هناك عملية كانت تخطط ضد الأميركيين. وتبين من أحد الاتصالات الهاتفية أن هناك دفعة بقيمة ٢٥ ألف دولار لعملية بقيت غير محددة. وكانت هذه الاتصالات المحلولة وبعض المعلومات الأخرى قد وصلت إلى السفير الأميركي قبل الانفجار. لم يكن هناك أي يوم محدد ولا هدف محدد ولا مؤشر واضح إلى أن السفارة كانت هدفاً. وكانت قد وردت بعض المعلومات من مصادر بشرية ولكن لم يستطع أحد تأكيد أي شيء.

قال المعلق الصحفي جاك أندرسون وشبكة سي بي إس أن الاستخبارات الأميركية التفتحت اتصالات إيرانية. وكان كايي مرتاباً حول هذه الشرييات. صحيح أن هذه الأخبار لم تلق الاهتمام الكافي في الولايات المتحدة لكنها كانت موضع اهتمام واضح في

إيران، وسرعان ما توقف إرسال الرسائل. وشعر كايي بخخطر ذلك لأنه تأمل في أنه إذا استمرت وكالة الأمن القومي بالتقاط المكالمات والرسائل الإيرانية فيمكن الكشف عن منفذي العملية. ويمكن لرسائل أخرى في المستقبل أن تعطي معلومات عن خطط جديدة أو أعمال جديدة ضد الولايات المتحدة ولكن لا يوجد أي شيء الآن، وقد فقدت الوكالة مصدراً حيوياً للمعلومات.

بدأ كايي على الفور تحقيقاً لمعرفة مسرب الخبر إلى الصحافة. ولكن البرقيات المتلفطة كانت تعمم على دائرة عريضة في البيت الأبيض ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية. وبعد يومين من الانفجار تضمنت نشرة «يومية الاستخبارات القومية» ملخصاً للاتصالات المتلفطة. لقد قرأ هذه النشرة مئات الأشخاص ومن ضمنهم أعضاء لجنتي الاستخبارات في الكونغرس.

كان من المفترض أن تعاد الـ ١٥٠ نسخة من هذه النشرة كل يوم إلى الوكالة بعد الاطلاع عليها. ولكن تبين أن ٥٠ نسخة فقط كانت تعاد. وهذا يعني أنه كان يتم الاحتفاظ بمائة نسخة لدى بعض أعضاء الحكومة بطريقة غير قانونية. وفي بعض الأحيان تم تصوير هذه النشرة، وفي إحدى المناسبات عثر على ٧٥ نسخة مصورة في مكتب واحد.

لم يكن كايي يعلم أيضاً أن جاك أندرسون وشبكة سي بي إس كانوا على وشك أن ينشروا معلومات عن الالتقاط. وكان هذا بالتأكيد نتيجة لقراره بمنع دخول الصحفيين إلى وكالة المخابرات المركزية. يمكن أن يكون ذلك غلطة وشعر كايي بأنه يمكن أن يكون قادراً على التحدث مع أندرسون والسي بي إس وإنما دون السؤال عن المصدر الدقيق أو الطريقة المتبعة للحصول على المعلومات. لم يكن لديه جهاز إنذار مبكر في الأوساط الصحافية الأميركية. وأدرك أنه يحتاج فعلاً إلى ضابط لشؤون الصحافة.

في بداية المكتب التنفيذي وهي البداية الرمادية العالية المحاذية للبيت الأبيض والتي تحتوي على مكاتب أركان الرئيس، وفي أحد الغرف التي يمسك أرضها بلاط من نوع الرخام الأبيض والأسود، وفي الغرفة ٣٥١، كان هناك في ربيع ١٩٨٣ رجل ذو لحية كثيفة، خريج جامعة أوكسفورد، يقبّل تقارير الاستخبارات التي ترد إلى مكتبه. هذا المكتب وهذا الرجل كانا عصب إدارة ريغان في قضايا الشرق الأوسط. وعلى مكتبه وهو غارق في التفاصيل كان الدكتور جيوفري كمب كبير خبراء مجلس الأمن القومي حول الشرق الأوسط وجنوب آسيا يتأمل في ما تواجهه الإدارة.

كانت اليد الإيرانية بالتأكيد وراء تفجير السفارة في بيروت ولكن السؤال الأساسي كان سوريا. والقسم الهام من السؤال هل كان الاتصال السوري في العملية تنفيذياً؟ وهل كان هناك علامة سورية على الانفجار؟ لم تملك الاستخبارات الأميركية جواباً واضحاً وعلى الأقل لا تملك أي جواب مفيد من الناحية الدبلوماسية. لا يمكن بناء سياسة الولايات المتحدة على

معلومات ظرفية مؤقته. لقد كانت الاستخبارات السورية تعرف ما يجري بالطبع وإذا عرف السوريون فهل كانت القيادة السورية تتحكم بالوضع. كان عدم القدرة على الجواب عن هذه الأسئلة يعكس الارتباك والالتباس في الإدارة الأميركية حول الوضع في سوريا. كانت هناك امراطوريات عديدة ومتفصلة عن بعضها البعض في سوريا. وكان الرئيس الأسد، وهو أحد ألع الزعاء في الشرق الأوسط، يتحكم بمعظم هذه الامراطوريات ولكن ليس بالضرورة بجميعها.

كانت سوريا أصعب مشكلة في مستقيم المخابرات. وعندما كان كعب يواجه الحقائق تبين له أن المخابرات أصبحت - بشكل متزايد - متفصلة عن موضوع السياسة ليس في سوريا فقط وإنما في جميع أنحاء الشرق الأوسط. وجد كعب أن الاستخبارات الخام هي الأفضل. مئات الرسائل والاتصالات وتقارير المصادر والملاحظات كانت ترد كل يوم، ولم يكن هناك أي طريقة لجعلها ذات معنى. أما الاستخبارات النهائية - وهي نشرة الاستخبارات الصباحية المخصصة من وزارة الخارجية ومن التقديرات ومن التقارير الواردة - فقد بدت وكأنها تأكل من نفسها.

كانت الخرائط والبيانات كبيرة وكلما تفحصها كعب لم يجد فيها أي شيء مفيد. ليس هناك أي مبادئ تنظيمية للمعلومات. وإذا كان هذا يسري على لبنان فيمكن أن تكون المعلومات المتعلقة بمصر وفي نفس اليوم أفضل، ومتصلة أكثر بالموضوع. كان كعب بحاجة إلى تفهم دقيق للنوايا الحقيقية للشعوب وأهدافها وسلوك زعمائها. وكان هذا يحتاج وحده لسنوات. لقد ترك موت بوب ايمز فراغاً قطع على جورج شولتز تفهمه، وتركه وحيداً في العراق. أما بيل كلارك، رئيس كعب، فلم تكن لديه الخبرة، وتخل عن الشرق الأوسط لشولتز.

بعد أربعة أيام من الانفجار صرح الرئيس ريغان بأنه سيرسل وزير الخارجية إلى الشرق الأوسط.

في ١٧ أيار/ مايو وقع لبنان وإسرائيل اتفاقية حول سحب القوات الإسرائيلية من لبنان وإعطاء ضمانات لحدود إسرائيل الشمالية. وكان الرئيس اللبناني أمين الجميل قد رفع من شأن سوريا عشرين مرة في مناقشاته مع شولتز والدبلوماسيين الأميركيين. وكان شولتز وافقاً من أن سوريا لا يمكن أن تمارس قوة الفتية على التسوية وكان يعتقد بأن للولايات المتحدة تأثيراً على سوريا أكثر مما يظن أي شخص.

وكان أمام الجميل موضوع واحد. إذا كان لا بد من الخضوع للسوريين فهو يفضل أن يقوم بذلك وهو قوي. إن الاتفاقية مع إسرائيل سوف توحد الفرقاء الداخليين في لبنان ضده، ولهذا كان بحاجة إلى ضمانات من الولايات المتحدة.

هكذا وفي يوم توقيع الاتفاقية بين لبنان وإسرائيل أرسل الرئيس ريغان رسالة سرية

إلى الرئيس الجميل اعتبرت أنها نوع من الضمان لأنها تعهد بأن الولايات المتحدة لن تسمح بمهاجمة لبنان، وأن لبنان لن يقاسي من جراء توقيعه اتفاقية مع إسرائيل. وكما وعد بشير الجميل بدعم، وبحماية سرية من قبل وكالة المخابرات المركزية، وعد الآن شقيقه بدعم رئاسي أميركي سري بموجب مظلة عسكرية دبلوماسية، وبالتواجد الدائم لوحداث مشاة البحرية الأميركية في بيروت.

اعتبرت وكالة المخابرات المركزية أن هذه التسوية ليست بداية مشجعة. وتوالت التقارير التي تفيد بأن سوريا لن توافق على التسوية، ووافق قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية على ذلك.

هذه التقارير تضمنت ثلاث نقاط أساسية: أولاً: المشاكل الداخلية في لبنان كانت كبيرة جداً، بحيث أن الولايات المتحدة لن تكن قادرة على حلها بالطرق الدبلوماسية بل وحتى بالقوة العسكرية إلا إذا كان هناك رغبة في إشراك ٥٠ ألف مقاتل أميركي. ثانياً: كان أمين الجميل قائداً ضعيفاً بالقطر! ثالثاً: قوات حفظ السلام الأميركية في لبنان كانت على وشك البدء بقتل مواطنين عرب باسم أحد فرقاء النزاع وذلك لن يكون مقبولاً من بقية الفرقاء. وأكثر من ذلك، استنتج المحللون أنه على الرغم من ميل صانعي السياسة في الولايات المتحدة إلى اعتبار سوريا رهينة سوفياتية، كان لسوريا مفكرتها الخاصة وكان الرئيس الأسد غططاً وإستراتيجياً قوياً وسيُدد بالنسبة إلى أمين الجميل.

شعر كعب في مجلس الأمن القومي بأن أكبر فشل للاستخبارات كان عدم القدرة على تنظيم نبذة عن الحياة الشخصية والسيكولوجية لزعراء العالم. إن شخصيات الأسد والجميل ويغن كانت ما هي عليه، ولكن الاستخبارات الأميركية لم تستطع وصفهم بشكل كافٍ. مثلاً هناك نبذة سرية عن الحياة السيكلوجية للزعيم الليبي معمر القذافي نظمه الدكتور جيرالد بوست رئيس فرقة السياسة السيكلوجية في وكالة المخابرات المركزية، واعتمدت بشكل كثيف على الصور. وجاء في النبذة: «على عكس الاعتقاد السائد، فإن القذافي لم يكن مصاباً بالهوس بل كان في الحقيقة يعاني من اضطرابات قاسية في الشخصية، وكان سلوكه الشخصي يتناوب بين الجنون وعدم الجنون». تعجب كعب كيف يمكن لهذه المعلومات أن تساعد صانعي السياسة. وجاء أيضاً في النبذة عن القذافي: «تحت تأثير الضغط والإجهااد الشديدين يمكن أن يسلك سلوكاً شاذاً وعندها يمكن أن تكون أحكامه خاطئة». وربطت النبذة عن القذافي بين بعض تصرفاته وبعض الأزمات في حياته الشخصية. كل ذلك كان سخافة بالنسبة إلى كعب. ولكنها كانت سخافة خطيرة. واقترح كعب على البيت الأبيض أن يستعين بروائي ليساعده في تنظيم هذه النبذات.

بما أن ريغان لم يكن يقرأ الروايات كثيراً، وإنما كان يشاهد الأفلام السينمائية، فقد بدأت وكالة المخابرات المركزية تنتج نبذات مصورة عن حياة زعماء العالم بحيث يستطيع

الرئيس أن يشاهدها في البيت الأبيض أو في كعب ديفيد. وإحدى هذه النبذات المصورة كانت عن الرئيس المصري الجديد. بدأت النبذة بقول الراوي: هذا هو حوشي مبارك. وتبع ذلك موسيقى وصور للقرية التي ولد فيها مبارك وتقع شمالى دلتا النيل. وكلما كان الزعيم بعيداً عن الأوساط الصحافية أو عن المقابلات التلفزيونية، قلت أهمية النبذات. وكلما كان الزعيم مشهوراً على المسرح الدولي كانت النبذات مؤثرة وفعالة. وإحدى أفضل هذه النبذات كانت عن رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن. تبدأ النبذة بمشهد للبلدوزرات والسائقين المقيمين يدفعون كوم الجثث في معسكر نازي وصوت بيغن يذوي عالياً: «لا يمكن ثانية، لا يمكن ثانية»، وبدأت النبذة وكأنها تدخل إلى عقل بيغن، وكانت مؤثرة جداً.

كان ريفان يتأثر كثيراً بالنبذات المصورة على الفيديو، وكان كعب يعتقد بأنها كانت مفيدة لتعليم باكر وميز وديفر الذين كانوا لا يعرفون شيئاً عن الشؤون الخارجية. ومرر ريفان كلمة لوكالة المخابرات المركزية من أنه كان مسروراً من هذه النبذات. وسرعان ما بدأت الوكالة تنتج محاضرات مصورة عن البلدان والعواصم الأجنبية التي كان ريفان يخطط لزيارتها.

لم يكن من المفترض، بناءً لاتفاقية ١٧ أيار/ مايو، أن يقيم لبنان علاقات واتصالات مع إسرائيل. ولكن أمين الجليل سمح لاستخباراته العسكرية وبصورة سرية أن تقيم علاقات مع الموساد الإسرائيلي، وأن تعطى الإسرائيليين معلومات عن أماكن تواجد الفلسطينيين. وكانت أوامر الإسرائيليين حازمة لجهة عدم السماح بهجمات على الفلسطينيين في لبنان دون موافقة من السلطة العليا. إلا أنه تم تنفيذ غارات جوية كثيرة على المواقع الفلسطينية.

كان جورج شولتز يبحث على إبقاء الـ ١٦٠٠ عنصر من مشاة البحرية الأميركية في لبنان، والجلد بالذبح أن شولتز كان ضابطاً في مشاة البحرية. ووافق كاسبي على ذلك إلا أن وينرغر ورئيس الأركان المشتركة اعترضوا بعنف، ولكن الرئيس لم يشأ أن يظهر تحليه وأبقى مشاة البحرية.

كان كعب مقتنعاً بأن الوجود العسكري الأميركي لا يحقق شيئاً. ولم يكن هناك أي نظام للمناقشة في الإدارة. وكان من الأسئلة الأساسية: ماذا إذا غاصت القوات الأميركية في المستنقع اللبناني؟ ماذا لو أصبحت جزءاً من المشكلة؟

كان ستانفيلد تورنر في مكتبه في الطابق الأرضي في منزله في مدينة فيرجينيا يكتب مقالات. وكان قد نشر ١٦ مقالاً خلال ستة بعد تقاعده. وكان يعمل في كتابة مذكراته عن وكالة المخابرات المركزية. كان يجلس أمام كومبيوتر من طراز راديو شاك ويضع أفكاره حول

نيكاراغوا. كان تورنر قد وقع على تعهد، أسوة بجميع موظفي الوكالة، بإخضاع جميع كتاباته لمراجعة وكالة المخابرات المركزية. وقال مسؤولو المراجعة في الوكالة إنه لا يمكن لتورنر أن يذكر مساعدة وكالة المخابرات المركزية للكونترا، وبرروا ذلك بأنه كان هناك عملية دعم سياسية للكونترا عندما كان تورنر مديراً للمخابرات المركزية. واعتقد تورنر بأن اعتراضهم كان خفيفاً لأن عملية الدعم الخفية وشبه العسكرية التي نفذتها إدارة ريفان كانت مختلفة تماماً. وفسر تورنر ذلك بأنه محاولة لمنعه من الكلام في العلن ضد عملية نيكاراغوا. وبعد محاكمة طويلة تم التوصل إلى تسوية: يمكن لتورنر أن يرجع إلى تقارير الصحف والمناقشات في الكونغرس، إنما لا يجوز له الإدلاء بتأكيدات شخصية. كما أن عليه أن يضع كلمة إذا قبل أي شرح. وهكذا بدأت مسودة تورنر النهائية المصدقة: «إذا كانت وكالة المخابرات المركزية متورطة بعمق في تقديم الدعم الخفي لعصابات الثوار في نيكاراغوا كما تقول التقارير فإنها بذلك تكون قد ارتكبت خطأ جسيماً».

ظهرت مقالة تورنر في صحيفة واشنطن بوست يوم الأحد في ٢٤ نيسان/ أبريل ١٩٨٣ بعنوان: «من رئيس سابق لوكالة المخابرات المركزية: أوقفوا العملية الخفية في نيكاراغوا». وكان كاسبي يرغب في الاستماع إلى الانتقادات حتى من تورنر، ولكنه نظر إلى المقالة على أنها إعادة تسخين «الألمانية» نسبة إلى ألمان نائب المدير السابق، وأن تورنر عاد إلى الورا. ولكن كاسبي كان أكثر حزمًا من أن تقوده المعارضة، وكان يؤمن بأنه لا يجوز تسليم أميركا الوسطى للشيوعية. لقد نفذ أوامر رونالد ريفان.

قال كاسبي في البيت الأبيض إن عملية نيكاراغوا كانت في خطر وإنه بحاجة إلى المساعدة. وافق الرئيس على شن حملة لضمان عدم إقدام الكونغرس على قطع النفقات. وفي «الأس»، اتهم شولتز نيكاراغوا بأنها أصبحت قاعدة «لشكل جديد من أشكال الدكتاتورية» التي اتجهت نحو «أميركا الوسطى بأكملها». واستند ريفان زعاه الكونغرس إلى البيت الأبيض لقيادات خاصة، واتصل بالعديد من الأعضاء هاتفيًا.

ليلة ٢٦ نيسان/ أبريل ألقى الرئيس ريفان خطاباً قومياً متلفزاً لمدة ٣٤ دقيقة أمام جلسة مشتركة لمجلسي الكونغرس خلال الساعات الأولى من الفجر. وكانت المرة الأولى في ولايته التي يظهر فيها أمام جلسة مشتركة حول السياسة الخارجية. ودعا الكونغرس للموافقة على طلبه بتخصيص ٦٠٠ مليون دولار كمساعدة علنية لأميركا الوسطى. ولم يذكر في خطابه الدعم الخفي لثوار الكونترا، ولكن لم ينسَ أحد النقطة التي لم يتحدث الرئيس عنها عندما قال: «يجب أن لا نحمي الحكومة النيكاراغوية من غضب شعبها». وقال السناتور الديموقراطي دود في جوابه المتلفز عن الجانب الديموقراطي بعد أن اختار موضوع السلفادور: «لقد كنت في تلك البلاد وأعرف الكثير من متهمي دفن الموق الذين ينتقلون بين الشوارع كل صباح ليجمعوا جثث الذين أحضرهم قوات الأمن السلفادورية من بيوتهم في الليلة

الماضية. إنه أسلوب العصابات. وإهم صحة الركبة المنحنية والأصابع وراء الظهر والرصاصة في الدماغ. نحن نتراجع أمام صورة كهذه لأننا نتعاوناً مع المجرمين».

وخلال دقائق بدأت مناقشة واسعة في السياسة الخارجية ليس حول الرئيس وخطابه بل حول دود وخطابه. وبدأ الديمقراطيون يقدفون حجارة القرميد على دود. لقد ذهب بعيداً جداً. هل أمان الرئيس وأمان أميركا؟

كانت وكالة الأمن القومي قد التقطت اتصالات منذ أشهر، عندما زار دود نيكاراغوا. في تلك الاتصالات شرحت الحكومة الساندينية كيفية التمسك بدود ووصفته بأنه صبي جيد، وبأنه متفهم لهم إن لم يكن متعاطفاً معهم. وقدمت نسخة عن الالتقاط إلى لجنة استخبارات مجلس الشيوخ كما كانت تجري العادة عند أي موضوع يتعلق بأحد الشيوخ. ورأى دود في ذلك أنه تلويث مقصود، واشتكى بصورة خاصة إلى البيت الأبيض، وأبرز نسخاً عن تقرير لوزارة الخارجية يظهر أنه كان فظاً في لقاءاته مع الساندينين.

لم يكن كايي سعيداً بهذه الأحداث، وبدأ أن القضية الرئيسية كانت السناتور دود وخطابه اللاذع واستقباله كصبي جيد في ماناغوا، وليست وكالة المخابرات المركزية! في ٣ أيار/ مايو مَثَّل كايي أمام لجنة استخبارات مجلس النواب. وصوتت اللجنة بأغلبية ١٠ أصوات ضده لقطع النفقات السرية.

في ٦ أيار/ مايو مَثَّل كايي أمام لجنة استخبارات مجلس الشيوخ، وهي فرصته الأخيرة، وسئل عن مذكرة الرئيس التي وقعت عام ١٩٨١. ووافق أعضاء اللجنة على أن الهدف قد تغير وتجاوز وقف تدفق السلاح. وكان كايي مراعيًا لرغبة الآخرين، وقال: «نعم نحن بحاجة إلى إعادة صياغة المذكرة».

واقترح غولدوتور مذكرة جديدة تضع أمامها أهدافاً جديدة، واقترح بذل مزيد من الجهود لإجبار الساندينين على المفاوضات والضغط عليهم من أجل المزيد من الديمقراطية. ووعد كايي بأن تعيد الإدارة النظر في البرنامج وتوضح أهدافه بدقة. وكان هذا تنازلاً مادياً. الرئيس يقرر الأعمال الخفية ويعطي العلم للجان الكونغرس. واعتقد مونيهان وليهي وبعض الجمهوريين بأنهم يملكون الأغلبية لقطع النفقات فوراً.

ولكن غولدوتور الذي كان قد اجتمع مع ريغان وكايي اقترح التسوية التالية: لا للاستمرار الكامل ولا للقطع الكامل. علم كايي بأن هذه التسوية ستحتكم إلى المشرعين. وبتسميتها تسوية وُضع عليها اسم غولدوتور ليصبح سقوطها غير ممكن. وقضت تسوية غولدوتور بالاستمرار في دفع النفقات للعملية لمدة خمسة أشهر أخرى، وسمحت بمبلغ ١٩ مليون دولار للسنة المالية الجديدة كاحتياط للمذكرة الرئاسية التي تمنح أهداف البرنامج. ولكنها أكدت أن مبلغ الـ ١٩ مليون دولار المقرر للسنة القادمة مشروط بتصويت أغلبية اللجنة عليه.

اعتقد مونيهان وليهي أن هذا يؤكد سلطة الكونغرس على الأعمال الخفية، وأضاف مونيهان أنه يجب المصادقة على المذكرة الرئاسية بتصويت في اللجنة.

ومرت التسوية بـ ١٣ صوتاً ضد صوتين هما الجمهوريان والوب وجون شاني. وكان كايي متبهجاً. لن يكون مضطراً في المرات القادمة إلى أن يدع اللجنة تصادق على المذكرات الرئاسية والتي أراد من أعضاء اللجنة أن يكتبوها بأنفسهم. وهكذا ربح الكونغرس مؤقتاً بعض النقاط وحصلت وكالة المخابرات المركزية على المال.

كانت الأوساط الصحافية قد امتلأت بالترسيات. وكان كايي متأكداً من أن خصومه في الكونغرس قد بدأوا يذلون نشاطاً لإخافة الجمهور.

وبعد يومين ظهر في صحيفة واشنطن بوست عنوان رئيسي: «جيش الشوارب النيكاراغويين المدعوم من الولايات المتحدة يرتفع عدده إلى سبعة آلاف». وتساءلت المقالة عن «صراحة وإخلاص وإيجاز وكالة المخابرات المركزية للجان الاستخبارات في الكونغرس». كما اقتطعت صحيفة نيويورك تايمز حديثاً لعضو ديمقراطي في لجنة استخبارات مجلس النواب يقول فيه: «وكالة المخابرات المركزية تكذب علينا بأي طريقة». وبعد بضعة أيام كان الخبر الرئيسي في صحيفة نيويورك تايمز بعنوان: «وكالة المخابرات المركزية تنوعق الإطاحة بالساندينين». كان هذا غير صحيح، وطلب كايي من صحيفة نيويورك تايمز أن تنشر تكذيباً في الصفحة الأولى من عدد اليوم التالي.

في ذلك المساء كان كايي قد حضر حفلة عشاء «ربطة العنق السوداء» في القاعة الكبرى للفندق هيلتون في واشنطن، وذلك لتقديم وسام دونوفان لديك(*) هلمز، فقد كان كايي يرى أن هلمز آخر رفس من قذارة السبعينات أي نهاية العصر المضاد لوكالة المخابرات المركزية. تكلم كايي وامتدح هلمز وبوش، وتليت رسالة من الرئيس ريغان تشيد بدعوة هلمز إلى وقفة الضمير.

واستقبل هلمز كابلط العائد، ووقف على المنبر أمام صورة بطول عشرة أقدام لدونوفان، ويدا أنيقاً وحكيماً، وكان يرتدي قميصاً فاتحاً ونجوم الجنرال على قميصه. قال هلمز وقد غمره الفرح: «إنني مأخوذ وسعيد». وأضاف: «إن أسياي لن تكون غامضة عن أي منكم».

كانت جين كيركباتريك سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة تجلس قرب كايي في اجتماعات مجموعة تخطيط الأمن القومي التي كانت تعقد في القاعة المخصصة للأمور الهامة، وكانت الاهتمامات الداخلية بالسياسة الخارجية تحرك السياسة الدولية الملتهة والخفية. وبحضورها اجتماعات مجموعة تخطيط الأمن القومي أعطيت الأستاذة السابقة في العلوم

(*) ديك: اسم الدلع لريتشارد.

السياسية فرصة نادرة للاشتراك في صنع السياسة الخارجية. وكان كايبي يصطحب معه جميع المستندات والإنجازات إلى هذه الاجتماعات. وكانت كيركباتريك تحزن عندما ترى كايبي يقف وحيداً في أرائه. وعندما اقترح أحد مفكري الإدارة تجنب استعمال التعابير الطويلة لأهداف السياسة الخارجية القومية والاستراتيجية أجابت كيركباتريك بأن معظم الناس لن يفهموا شيئاً، ويحتمل أن يفهم بيل كايبي فقط.

لفتت كيركباتريك انتباه ريغان وحصلت على منصبها في الأمم المتحدة بالصدفة وذلك بعد أن نشرت مقالاً في مجلة كومتري بعنوان: «الدكتاتورية والمواقف المزدوجة» وجاء في المقال: «لم يكن شاه إيران وسوموزا ضد الشيوعية فقط بل كانا صديقين للولايات المتحدة. وهي بذلك توجه صفةً لكارتز لأنه لم يدرك أن هذين النظامين اليمينيين هما أفضل من نظام آية الله الخميني ونظام الساندينين».

فوجئت كيركباتريك عندما رأت أن وجهات النظر المحافظة لريغان وكايبي وكلاهما لم تعتمد كسياسة عامة خلال سنتين من حكم الإدارة. البيروقراطية والبراغيث كانتا سائدتين. وكان الاستثناء الوحيد هو عمليات كايبي الاستخبارية التي اثبتت منها استراتيجية متسكة.

وخلال سنتين تبادل كايبي وكيركباتريك التأثير والاحترام واتفقا على ما قالت عنه كيركباتريك في مجالسها الخاصة إنه فضيحة حقيقية في إدارة ريغان، وهو الجهل الفاضح للشؤون الخارجية من قبل صانعي السياسة ومن ضمنهم الرئيس نفسه. ولكن الرئيس كان لطيفاً جداً وكان الجميع ومن ضمنهم كيركباتريك لا يعيرونه بذلك. واتفق كايبي وكيركباتريك على أن السياسة الخارجية لا تكن مركزة تماماً ولا تحقق الأهداف المرجوة. اشترك كل من وزير الدفاع ووزير الخارجية شولتز في هذه الحرب البيروقراطية. وصمم وينبرغر على حماية وزارة الدفاع وتماسكها وركز اهتمامه على تجنب التورط العسكري. وكان شولتز رجلاً بارعاً ولكن يديه كانتا مقيدتين، وخفف مبادرته الدبلوماسية مع السوفييات لأن ذلك يعني تقديم شيء ما في المفاوضات. وساد الخوف من الجناح اليميني وقد ترك تباعد شولتز وبينبرغر فراغاً، وكان يجب ملء هذا الفراغ. لم يكن ريغان راعياً بضرب الروس. ونائب الرئيس بوش ليس لديه صلاحية محددة للقيام بعمل ما. بيل كلاك مستشار شؤون الأمن القومي لم تكن لديه الخلفية ولا الجلد لكي يتدخل في هذه المواضيع.

لقد ملا هذا الفراغ رئيس أركان البيت الأبيض جيمس باكر ومساعد الرئيس ريتشارد دارمان، وتحكماً بالاشتراك مع ديفر بجدول أعمال الرئيس وتدفق الأوراق. لقد أداروا أعمال ريغان وكانوا يطلعون على ما يقرأ. وأجرى باكر ودارمان مراجعة شاملة لجميع المصادر للعثور على بديل مقبول من شولتز وبينبرغر، واستشاروا زعماء الكونغرس والآخرين، وذلك قبل إصدار القرار الرئاسي. وكان يجب تقديم توصية بالإجماع إلى الرئيس من أجل إجراء

أي تعديل. واعتقد كايبي وكيركباتريك بأن توزع أدوات صنع القرار بهذا الشكل أدى إلى خفق النوايا الرئيسية الحقيقية.

لقد اشتكيا في مجالسها الخاصة من أن السياسة الخارجية للإدارة كانت القاسم المشترك الأصغر للمميلات المشابهة أو للآراء المشابهة.

أعجبت كيركباتريك بكايبي لأنه عاش حياة متوازنة وعمل كثيراً، ومع أنه كان جدياً إلا أنه كان دائماً يخصص وقتاً للشراب. وكانت ترى أن له ذوقاً رفيعاً من الموسيقى إلى نوعية السجاد! لقد كان غنياً ومتقناً ومتحضرًا. ومنذ أول حياتها الأكاديمية كانت كيركباتريك معتمدة على أشخاص لامعين يصفون طعامهم بطريقة مزججة أو لا يعرفون كيف يعقدون ربطات عندهم جيداً. وكانت ترى أن كايبي كان الوحيد في مجموعة تخطيط الأمن القومي الذي كان جدياً ومهتياً بالسياسة. وكانا كلياً التقيا في حقلة عامة في المدينة سرعان ما تراجها معاً في زاوية يتحدثان في السياسة. ولكن ظهر خلافهما في موضوع هام واحد، فقد كانت كيركباتريك تعتقد بأن إدارة ريغان لا يمكنها تنفيذ عمليات خفية بصورة فعالة دون دعم شعبي وموافقة من الكونغرس. قال كايبي إن ذلك كان خط مكماهون. وفي هذه الإدارة لم يكن العمل الدبلوماسي خياراً، وكذلك لم يكن العمل العسكري المباشر خياراً. الرئيس ريغان لا يريد أن يجلس مع السوفييات ولا يريد أن يقاتلهم أيضاً. ولذلك كان العمل الخفي هو الآلية الوحيدة التي تحتوي تورط الولايات المتحدة في الخارج.

وعلى الرغم من هذا الخلاف بقي كايبي وكيركباتريك صديقين حميمين. وشعرت كيركباتريك بأن كايبي كان يصغي كثيراً إلى وجهات نظر الآخرين. وكان ذلك هو السبب في إبقاء مكماهون حوله. لم يكن كايبي قاسياً في أحكامه. بالإضافة إلى ذلك كانت كيركباتريك مسرورة لأن كايبي لم يكن عضواً في عصابة أو جمعية سرية أو من الذين كانوا يلقون بالسكر كل ما يقولونه للرئيس! قال كايبي إن السوفييات كانوا يصدون التحرك، وكان تأثير كايبي يظهر بوضوح عندما كان يناقش حول مدى التوسع السوفياتي. كانت هي المسألة التي اتفق عليها اللاعبون الشيوعيون في الإدارة. وكانت عمليات كايبي الخفية في وسط اختراعاتهم ومشاكلهم وترددتهم، وألا ما هو قد ربح استمرار تمويل عملية نيكاراغوا خمسة أشهر رحيل على الأقل، وأن الألوان للتقدم نحو الأمام.

بعد رحيل أندرز حاول كايبي وكيركباتريك تعيين قسطنطين منج بديلاً عنه. وكان معاون الوزير يترأس بشكل آلي مجموعة داخل الوكالة التي كانت تشرف على الأعمال الخفية، ولكن شولتز لم يرغب بيميني متعصب.

وقمت التسوية، أنطوني موتلي وهو سفير الولايات المتحدة في البرازيل ويبلغ من العمر ٤٤ عاماً، سعيد الحظ ويستعين بالثلاثين في كلامه بشكل كبير. سبق أن كان مقاولاً في الاسكا وجمهورياً متحمساً. كان قد وُلد في البرازيل وهو يجيد اللغة البرتغالية بطلاقة. وكان

ريغان وديفر قد تأثرا بأسلمويه أثناء رحلة رئاسية إلى البرازيل.

كان كايبي يظن أنه يمتلك كل شيء. في ذلك الربيع ورد تقرير إلى الوكالة يفيد بأنه كان من المقرر أن تتوقف عدة طائرات ليبية في البرازيل في طريقها إلى نيكاراغوا. وبأنها كانت تحمل السلاح وليس المساعدات الطبية كما صرح بذلك الليبيون. اتصل موتلي بكايبي وقال: «ساقوم بتحرك»، وأضاف بأنه سيذهب إلى وزير الخارجية ويطلب تفتيش الطائرات ولكن «أريد أن أتأكد أن هذا صحيح»، وأكد له كايبي ذلك. وتم توقيف الطائرات والعثور على ٧٠ طناً من الأسلحة والذخائر والمتفجرات، وكان هذا نصراً إعلامياً مزدوجاً ضد ليبيا ونيكاراغوا.

كان كايبي أيضاً متأثراً بطريقة موتلي في جمع المعلومات في البرازيل، فقد كانت له مع الرئيس البرازيلي جلسة طعام مؤلفة من بفتاك وبيرة بشكل منظم. وأرسل تقارير هامة تفوق تقارير محطة الوكالة والتقاطات وكالة الأمن القومي.

كان موتلي يحب اللعب بشغوة وقذارة. وبعدما تبين أن خطة وكالة المخابرات المركزية للإطاحة بزعيم سورينام غير عملية، بدأت المخابرات البرازيلية أول عملية خفية. وكان للبرازيل وسورينام حدود مشتركة طولها مائة ميل تقريباً، وأرسلت المخابرات البرازيلية عملاء إلى سورينام تحت غطاء مدرّسين بهدف إبعاد حكومة سورينام عن الكوبيين، وذلك بتشجيع من موتلي، وبمساعدة من وكالة المخابرات المركزية. وفيها بعد ابتعد زعيم سورينام المقدم بوتريس عن الكوبيين.

استدعي موتلي إلى واشنطن حيث أبلغه شولتز بأنه رقي إلى رتبة معاون وزير، وقال له شولتز: «دعنا نبعد عملية الكونترا عن الشؤون الانتخابية». وفي البيت الأبيض أعطى جيم باكر نفس التوجيهات لموتلي، وقال باكر إن سياسة الرئيس كانت تقضي بزيادة الحرارة في نيكاراغوا.

أدرك كايبي أن هذا هو تقويم ديفر الذي كان مكلفاً بالمحافظة على شعبية ريغان، والتي كانت القوة المحركة في البيت الأبيض. وكانت عملية نيكاراغوا عاملاً سلبياً بالنسبة إلى هذه الشعبية. ولم يكن البيت الأبيض قادراً على أن يمضي قدماً في العملية على الرغم من اقتناع الرئيس الراحل والشروعات المتكررة للجمهور.

في الجانب الآخر كان بيل كلارك مصمماً على أنه من أنصار سياسة دعم الكونترا ومعاداة الساندينية. كان قد تلقى تعليمياً يسوعياً وكان يؤمن بالسلسلة العمودية للإرمة من الرب إلى الأسفل. كان الرئيس هو الرب في السياسة الخارجية وكان كلارك نائبه، ولكن بدا أن ديفر والرأي العام يحتلان مرتبة هامة، وكانت النتيجة توتراً بين ديفر وكلارك.

ما زال كايبي مصمماً على نقل منج من الوكالة حيث كان لامعاً وملفتاً للنظر، ولكنه لم يقدر أن يبيعه لشولتز. وقد وافق محللو الوكالة على أن هناك تهديداً سوفياتياً شيعوياً في العالم

وأن مهمتهم كانت تحديد قوة التهديد ومكانه. وكان منج يفترض وجوده شر في كل مكان، ومن كثرة انتفاذاته للوكالة أطلق عليه لقب «المهدد الدائم». وكان منج يثير الاحتكاك بين كايبي ومكماهون. وكان من الصعب على كايبي أن يأكل بعيداً عن مكماهون. ولم يستطع أن يتسامح تجاه حملة إيديولوجية منج. وكان هذا الأخير يسعى إلى تحقيق هدفه وهو زيادة الشعور بالقسم السي من الأحداث العادية. وكان يردد: «هؤلاء الاستخباريون البيروقراطيون لا يعرفون عما يتكلمون».

كان منج يرغب في أن يكون له مساعدون إلى يمينه، وفي الظهور على أنه معتدل. ولكن وقت منج انتهى. فقد طلب بيل كلارك منه أن ينضم إلى أركان مجلس الأمن القومي، وقال كايبي له إنه يمكن أن يكون لك تأثير أكثر هناك لأن كلارك كان من مفاتيح الإدارة وكان يحوز على ثقة الرئيس ريغان، وكان الرئيس يتفق معه في وجهة نظره المتعلقة بالسوفييات.

دخل كثير من المحللين لئباً تعيين منج في مجلس الأمن القومي، وكان بعضهم قد عمل في مديرية العمليات وعرف منج جيداً، وتعجبوا لأن رجلاً لم يتحملة أحد في وكالة المخابرات المركزية أصبح مقبولاً في البيت الأبيض. وكان كايبي قد نقل مشكلة تشور سانشيز إلى وزارة الدفاع، وكان يعرف ليس فقط كيف يتخلص من مثيري المتاعب، بل وكيف يضمهم في المراكز اللاتمة شم. ولهذا ساء موتلي «تاجر الرقيق».

كان اختيار خليفة لمنج عملاً هاماً. وكان كايبي قد زاد من هبة وسمعة ضباط الأمن القومي وهم الذين لعبوا دور ضباط الارتباط وعملاء المفاضة. أولاً: لقد كان على ضابط الأمن القومي أن يتعامل مع الآخرين بنجاح وأن يكسب احترام المحللين. ثانياً: يجب أن يكون ضابط الأمن القومي على علاقة ممتازة بمدير العمليات، وعليه أن يعرف طبيعة عمل مديرية العمليات، وإلى أين تتجه سياسة الولايات المتحدة، وماذا يريد الرئيس وكايبي. ثالثاً: كان ضابط الأمن القومي مفتاح الصلة مع بقية وكالات الاستخبارات وخاصة وكالة الأمن القومي ووزارة الدفاع. رابعاً: يجب على ضابط الأمن القومي كمراقب للوضع في منطقته أن يكون له تأثير على السياسة في تلك المنطقة. إن تقدير جيداً ومستنداً إلى الوثائق يمكن أن يخدم السياسة مثل المعلومات الاستخبارية الجيدة. وأهم التقديرات في هذه الأيام كانت تقديرات أميركا اللاتينية.

في أوائل الصيف وضع كايبي في جدول له رحلة سرية لمدة يومين إلى أميركا الوسطى، وقرر أن يصطحب معه مكماهون. وكان من النادر وغير العادي أن يترك الوكالة الرقم ١ والرقم ٢ إلى خارج البلاد، ولكن كايبي أراد أن يورط نائبه أكثر في عملية نيكاراغوا. وانتشر مزحة في الوكالة مفادها أن كايبي كان يحاول أن يورط نائبه، ويجعله يضع بصماته على الحرب الخفية. كان كلاريدج سيراقتها طبعاً. وقرر كايبي أن يصطحب معه ضابط

الأمن القومي الجديد هورتون. وكان العضو الخامس في الرحلة روبرت ماجي الذي كان يرأس فرقة النشاطات الدولية وهي وحدة في مديرية العمليات كانت تدبر العقود الخارجية. كانت فرقة النشاطات الدولية تنتقل من عمل خفي إلى آخر، وتؤمن الدعم اللوجستي وخاصة الطائرات والزوارق والدعم البحري والدعم الإعلامي والعمليات السيكلوجية. كان عناصر هذه الفرقة يعملون في الطابق الأول في لانغلي، وكانت لهم طريقة فعالة في نقل المعدات، وفي التعاقد مع الموظفين لكل عملية. كانت الفرقة تركز مثلاً عملها لمدة أسبوع على الكونترا، وفي الأسبوع التالي تركز على المقاومة الأفغانية، وبعده على عملية إعلامية في منطقة الكاريبي أو على عملية دعم استخباري في الشرق الأوسط. وكان ماجي قادراً على تلقي الضغط من كايبي الذي كان يطلب عملاً مباشراً وسريعاً.

- «أه يا رب» قال ماجي مرة عندما طلب كايبي منه تأجيل عملية طيران. وأضاف: «أنا لا أريد أن أجيب هكذا»، وضحك الجميع وضحك كايبي أيضاً. كان لماجي رأي حول إخلاص كايبي لسوركين. إنه نادي الأكرلين القدرين. قال ماجي إن سوركين هو الوحيد الذي يسقط من طعامه على ربطة عنقه أثناء الأكل أكثر من كايبي.

وكان كايبي يشعر بالارتياح مع المرافقين الأربعة. الجميع مكهاون وكلاريدج وهورتون وماجي لهم خبرة قوية في مديرية العمليات. توجه مكهاون وهورتون معاً في السيارة إلى قاعدة أندروز الجوية حيث كانت طائرة معدة للمهمات الخاصة بانتظارهم، وهي تتسع لاثني عشر مقعداً. هبت عاصفة صيفية قوية، وكان انقطاع هورتون الأولي أن كل عمل وكالة المخابرات المركزية في أميركا الوسطى كان يعاني من مشاكل. لم تقم المحطات بمراقبة شديدة للسوفييات. وكان اختراق المجموعات السياسية في معظم البلدان ضعيفاً، وأقل بكثير مما تصور. ولكن نيكاراغوا كانت موضع اهتمام كبير.

لم يجب مكهاون.

قال هورتون: إن نيكاراغوا كانت تأكلهم.

قال مكهاون: «لقد كنت من فوق في جانب من شجرة القرار ومن تحت صرت في الجانب الآخر». وهز برأسه وتساءل كيف ستجري العملية؟ لقد كان متشائماً حول مصير البرنامج.

عندما وصلا إلى الطائرة طلب منها أحد حراس أمن كايبي أن لا يدعاه ينفو خلال الطيران، وقال أحدهما: «وماذا يحصل إذا غفا؟»، أجاب الحارس: «سيتبقى يتحدث ويسأل أسئلة طوال الليل».

بعد أن أقلعت الطائرة استقر كايبي. كان مسافراً ظريفاً. كان يضحك من أي

اضطراب في الجو ويقول: «مثل الحفر في الطريق».

حطت الطائرة بهم في تيفوسيكالبا. الهندوراس وأخذ كايبي قنائه إلى مقر إقامة السفير الأميركي. أراد أن يرى الجميع، ووضع جدولاً لاجتماعات مع جميع ضباط المحطة وتأكد من أنها تجري بدون كلفة. استقبلت المجموعة السيارات وتوجهت إلى منزل راي دوي، حيث كان مركز قيادة عمليات الكونترا.

حاول كلاريدج أن يوجه النقاش نحو مواضيع الأسلحة والذخائر. كم لدينا من الأسلحة؟ هل تم تجنيد عدد كافٍ من العناصر؟ هل هناك أسلحة كافية؟ ماذا عن الذخيرة؟ دعنا نجرب هذا. جرب ذلك.

حاول كايبي ومكهاون التركيز على الوجه التالي: كنا يفكران في كيفية شرح العملية للكونغرس.

لقد كشفت زيارة السناتور ليهي إلى المنطقة في مطلع هذه السنة عن طموحات كبيرة للعملية، وكانت التسريبات تظهر زيادة عدم مقاتي الكونترا. كان هناك أيضاً انتقاد ضمن الوكالة حول أن عناصر الكونترا ليس لديهم أي عقيدة سياسية، وأنهم كانوا مجرد عصابات مسلحة نائمة تطوف في الجبال. قال كايبي إن له هدفاً بعيداً، وقال إن الكونترا يجب أن يتركوا الجبال ويدخلوا المدن وينشروا رسائلهم، ويؤلبوا المشاعر ضد الساندينين، وعليهم أن يصبحوا قوة سياسية.

لم يكن كلاريدج معجباً بهذا النوع من الحديث. لقد كان يفقد جيشاً وليس حزباً سياسياً، وقد تنزلت هذه الملاحظات لتخالف «توصية بولاند» التي منعت الجهود والعمليات التي تهدف إلى الإطاحة بالساندينين. إن قوة سياسية ومتطورة يمكن أن تطيح بالحكومة بعكس الجيش المؤلف من غير النظاميين، والذي ليس لديه أي هدف سياسي منظور. أراد كايبي أن تظهر الكونترا كقوة سياسية داخل نيكاراغوا، وكان يؤمن بأن شعب نيكاراغوا سوف يؤيد أي قوة تعتنق مبادئ الديمقراطية والرأسمالية.

قال كايبي «حسنًا، انظر إلى ساقيمي» ثم أضاف: «إن قائد المقاومة الأنغولية منذ أواسط السبعينات، أضحي رمزاً للمقاتلين من أجل الحرية». ومع أن وكالة المخابرات المركزية منعت بموجب «توصية كلارك» من مساعدته فقد كان لساقيمي قوة كبيرة من المقاومة المسلحة، وقام بتبشيت عشرات الآلاف من الجنود الكوبيين في أنغولا، كانوا بحاجة إلى ما قيمته مليار دولار من الأسلحة السوفياتية.

اعتقد عدد من مرافقي كايبي بأنه كان يتقبل دون نقد الصورة الوردية التي رسمتها استخبارات جنوب إفريقيا لساقيمي. لقد كان رجلهم وكانت حكومة الأقلية البيضاء في جنوب إفريقيا قد دعمته بمئات الملايين من الدولارات خلال السنوات الماضية.

طار الفريق مسافة ١٤٠ ميلاً نحو الغرب إلى السلفادور وعقدوا سلسلة لقاءات

سياسية واستخبارية، وأخذ كايسي وقته ليتحدث مع جميع ضباط محطة وكالة المخابرات المركزية بكل ألفة ومحبة. كان سهلاً في علاقاته مع الناس، بنظر إليهم باهتمام، يقدم لهم الإيجازات وكلبات التشجيع، أو يسأل سؤالاً محدداً ويتوقف في خلال حديثه ل يستمع إلى الجواب. وكان ضباط العمليات يشعرون بأن له رغبة حقيقية في العمل، واهتماماً شديداً بالوكالة.

في السلفادور أراد كايسي أن يجدر بعنف الحكومة والعسكريين والاستخبارات وقوات الأمن من استمرار عمل حضائر الموت البينية. وكانت هذه الحضائر التي تمت في أواخر السبعينات لتقاتل المسلحين اليساريين قد اغتالت مطرانا، وقتلت أربع راهبات أميركيات. وكانت مجموعات حقوق الإنسان قد اتهمت هذه الحضائر أيضاً بقتل حوالي ٣٠ ألف شخص في السنوات الأربع الماضية. ربما كان ذلك مغالاة ولكن بالتأكيد كانوا مشكلة جدية. لقد كانت صور الأصابيع في القيود التي قال عنها السناطور دود.

دعا رئيس الجمهورية بالوكالة الفارو ماغنا كايسي والفريق المرافق إلى تناول طعام العشاء. دخل كايسي رأساً في الموضوع وقال: «لدينا مشكلة حقيقية مع «حضائر الموت» ويجب أن تفعلوا شيئاً بشأنها». وقال بحزم: «والآن كيف تساعدون؟».

لاحظ هورتون أن لدى كايسي مصداقية قوية مع السلفادوريين حول المسألة. لقد كانوا يعلمون أنه يميني وأنه يحتمل اليساريين أكثر منهم. لم تكن مناقشته أخلاقية بل براغماتية. إن «حضائر الموت» تسبب المشاكل لكم أكثر مما تسببه لليساريين. ولم يكن هناك خطر وقف الدعم بعشرات الملايين من الدولارات فقط، بل وقف الدعم من قبل إدارة ريغان بشكل عام، ولم يولن كايسي كلامه بنداوات عاطفية حول حقوق الإنسان.

عقد كايسي اجتماعات خاصة مع كبار المسؤولين، وكان أحد أهم هذه الاجتماعات ذلك الذي جرى في غرفة صغيرة مع الكولونيل نيكولاس كارانزا رئيس بوليس الحزنة. وكان كارانزا نائباً لوزير الدفاع عام ١٩٧٩ - ١٩٨٠ وله روابط قوية مع التحالف الوطني الجمهوري اليميني ARENA وهو الجناح اليميني للرائد السابق في الجيش روبرتو دايسون. كان كارانزا في السنة الماضية مرشحاً قوياً لرئاسة الجمهورية في السلفادور، وكان يتقاضى راتباً كمخبر في وكالة المخابرات المركزية منذ حوالي خمس سنوات، وكان يتلقى ٩٠ ألف دولار في السنة^(٩).

ربما كان قسم الاستخبارات في بوليس الحزنة مسؤولاً عن الإساءة لحقوق الإنسان، لكن كارانزا نفسه كان نظيفاً جداً وكما قالت وكالة المخابرات المركزية كانت ثقافة العنف راسخة بعمق في نفوس رجال البوليس والعسكريين. أراد كايسي أن يتكلم بشيء من السلطة

(٩) كشف عن دور كارانزا كمخبر في وكالة المخابرات المركزية فيليب توسان في نيويورك تايمز عدد ٢٢ آذار/ مارس ١٩٨٤.

مع عميله الذي يقبض منه وقال له: «دعك منها» لأن العلاقة بين السلفادور والولايات المتحدة يمكن أن تتأثر بتجاوزات اليمين. تكلم كايسي بصورة شخصية، وقال إن هذه الإساءات قد تؤدي إلى وقف كل مدفوعات الوكالة والمساعدات الحكومية.

في نهاية الرحلة سأل هورتون كايسي مازحاً: لماذا كانت الرحلة قصيرة بهذا الشكل؟ لماذا كانوا هكذا في عجلة من أمرهم؟

أجاب كايسي: ماذا تريد أن تفعل بعد بحق الجحيم؟ وإبستم وكأنه ثبت أنه يستطيع تغطية المنطقة بشكل لا يستطيعه شخص آخر.

بعد أن استقر في مكتبه الجديد في الطابق السابع في مبنى وزارة الخارجية، اتصل طوني موتلي بكلاريدج وقال: «لقد خصصت يوماً كاملاً لموضوع نيكاراغوا وأريدك أن تأتي إلى هنا». حضر كلاريدج واصطحب معه خرائط وبيانات ووثائق وملفات. لقد كان بالفعل، دائرة معارف متحركة حول هذه العملية وملماً بجميع التفاصيل: الجغرافيا والتلال والطرق والطقس وكل الشخصيات الهامة في الكونترا. وصف كلاريدج بعض قادة الكونترا بأنهم مزعجون جداً ووصف بعضاً آخر من المقاتلين الأشداء بأنهم «حيوانات» ولاحظ أن بعضاً منهم لا بأس بهم.

اعتبر كلاريدج أن الكونترا في بعض الحالات هم ملائكة الجحيم في أمريكا الوسطى. وتأثر موتلي بالعرض بشكل عام. لقد خلق كلاريدج جيشاً وبذل جهداً شخصياً لذلك. سأل موتلي: كيف توصلت إلى هذه المعرفة الشاملة وأنت آتٍ من أوروبا والشرق الأوسط، وتتعامل مع رؤوس بالية؟

أجاب كلاريدج: هؤلاء الناس هم متوسطيون ولايتيون. لقد تعاملت مع الإيطاليين وشعوب شبال إفريقيا وأعرف هذا الصنف من الناس. إنهم يقولون لك ما تريد أن تسمع ولديهم ستة طرق ليقولوا لا. إنهم يحبون أمريكا ويكرهونها في الوقت نفسه. سأل موتلي: ماذا بعد؟

قال كلاريدج: «إن كايسي الملعون يريد شيئاً يؤدي إلى ضجة في الإعلام». أراد كايسي من الكونترا أن تضرب في المدن، وتشرح كيف وقع الجميع تحت ضغط كبير لإخراج الكونترا من الجبال لأن ضرب الساندينين في الجبال لم يعد كافياً.

واقطف كلاريدج من أحاديث كايسي: «أحصل على أي شيء». هذه الأخبار لم تكن للاستهلاك السياسي المحلي في الولايات المتحدة فقط ولكنها كانت أيضاً لإعطاء مصداقية للكونترا في نيكاراغوا.

وبدا هذا معقولاً لموتلي.

قال كلاريدج: ونحن لا نستطيع أن نتقل من التلال إلى المدن. إنها عملية معقدة. عندما يأتي هؤلاء الرعاغ من الكونتريا إلى المدن سيفعلون كما يفعل سكان الجبال ويخلفون كابوساً قميئاً».

قال موتلي: «وماذا تريد أن تفعل؟». ابستم كلاريدج. كان هناك طريقة. دائماً هناك طريقة. كان يريد عملية تلتف الأنظار. لقد كانت الحرب جيحاً وعليك أن ترتحل.

كان كايبي مصمماً على أن يقوم بأي عمل ممكن لحتمي عملية نيكاراغوا، وهذا يتطلب تحسين علاقاته المتوترة مع مخبرين أساسيين هما الكونغرس والرأي العام. في الستين الماضيتين أدرك كايبي أن التصريح كان من الشخص الذي كان يمسك بهذه العلاقات وهو وليم دوزويل رئيس مكتب وكالة المخابرات المركزية للشؤون الخارجية. ودوزويل ديمقراطي قديم دعم ريغان عام ١٩٨٠. عمره ٥٣ سنة وليس لديه خبرة في عمل الاستخبارات. كان ناشراً صحافياً وأحد أنجح عناصر اللوبي في المجلس التشريعي لولاية فيرجينيا. لم يكن متحمساً لعملية نيكاراغوا ولم يستطع كايبي أن يتحمل مدير مبيعات له شكوك حول البضاعة التي يبيعها. وكان دوزويل يعتقد بأن ازدهار كايبي للكونغرس أمر سيء.

أقال كايبي دوزويل وقرر أن يضع أفضل عناصر الوكالة في مكتبين منفصلين: واحد للكونغرس والثاني للرأي العام، وأن يعهد برئاسة كل مكتب إلى ضابط له خبرة في الفن الذي سيأمره.

اختار كايبي كلير جورج وله خبرة ٢٧ عاماً في مديرية العمليات رئيساً لمكتب العلاقات مع الكونغرس. كان جورج مرحاً ولباً بجوانب مهنته. عام ١٩٧٥ وفي أوج تحقيقات تشرش وبايك، اغتيل ريتشارد ولش رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في أثينا على يد مسلحين كمنوا له خارج منزله. كان منزل رئيس المحطة في أثينا معروفاً وكان مسجلاً على لوحة غطة الأنوبيس. وقد نتج عن مقتله تعاطف شعبي مع وكالة المخابرات المركزية، وكان عملاء سابقون وغير موالين قد كشفوا عن صفة ولش كرئيس محطة. لكن ولش الميت أسدى خدمة للوكالة في آخر حياته. لقد مات شهيداً، ونقلت وسائل الإعلام وشبكات التلفزيون وقائع وصول جثته إلى الولايات المتحدة مباشرة مع جميع التشرفيات العسكرية التي حضرها الرئيس فورد ومدير المخابرات المركزية وليم كولبي، وحمل النعش على عربة مدفع مماثلة لتلك التي حملت الرئيس الراحل جون كينيدي.

على الرغم من خطر محطمة أثينا فقد عشت الوكالة كلير جورج بديلاً عن ولش. وهكذا أضحى وجوده في لوبي الكونغرس ذكراً مقبولة للشجاعة والإخلاص. قبل جورج الوظيفة وذهب إلى لجان المراقبة ووعدهم بمرحلة جديدة من التعاون والثقة المتبادلة.

استدعى كايبي إلى مكتبه جورج لودر وهو الرجل رقم ٢ في مكتب المفتش العام في

الوكالة، أي كلب الحراسة الداخلي. وكان لودر من العناصر الأصلية في العمل الخفي وكان قد عمل في عهد الغرور والطيش في الخمسينات وله خدمة ٣٢ سنة في الوكالة تقريباً، وهو رجل طويل القامة يرتدي دائماً ثياباً تشبه ثياب الطلاب الجامعيين وكان مؤمناً بوكالة المخابرات المركزية وخلصاً لها ولاهدافها. كان يتكلم دائماً بصوت عالٍ. لم يكن «الرجل الرمادي» المطلوب، ولكنه كان جاسوساً متمرساً.

كان لودر يشعر بأن كايبي يحتاج إلى هواء نقي في الوكالة، وبأنه على عكس تورنر كان يرضى بدور خلف الأضواء. عندما كان تورنر مديراً للمخابرات المركزية وكان لودر نائب رئيس فرقة أميركا اللاتينية لم يتمكن لودر من إقناعه بأن الوكالة قادرة على تحقيق أهدافها، وأدار عمليات خفية في جامايكا دون علم المدير. وقُتل في إقناع تورنر في إبقاء مبلغ ١٥٠٠ دولار كمساعدة لرئيس تحرير صحيفة أجنبية، كان قد ساعد الوكالة بحجة أن لجان الكونغرس كانت عصبية تجاه هذه الأعمال؛ وليم كايبي هو الذي ألغى جو عدم الثقة في داخل الوكالة.

عندما دخل لودر إلى مكتب كايبي أدرك أن الوقت قد حان للانتقال من وظيفته، ولكنه لم يكن متأكداً من نوايا كايبي.

قال كايبي: «تهانينا».

سأل لودر تعجب: «على ماذا؟».

قال كايبي: «لقد اخترتكم مديراً للشؤون العامة».

قال لودر: «ماذا فعلت لأستحق ذلك؟».

قال كايبي: إن الوكالة تحتاج إلى من يتعامل مع الأوساط الصحافية لوقف نشر الأخبار المضرة. يمكن أن نكون قد أخطأنا بإقفال أبواب الوكالة لأن الأوساط الصحافية تستطيع الحصول على معلومات الوكالة من خلال الكونغرس أو البيت الأبيض أو وزارة الخارجية أو وزارة الدفاع.

قال لودر إنه أمضى حياته يتبع عن الأوساط الصحافية، وحافظ على سرية وجوده في الوكالة حتى تجاه أحد أقربائه وهو محرر صحافي.

قال كايبي بحزم: «لقد تم اختيارك».

عندها ضرب لودر عقبه حذاه على بعضها بشدة. لقد استساع بغريزته لحظة كهذه، أي حديثاً مع القمة. لقد كان في إزعاجه ما يريحه، وهو يعرف أنه جزء من الحكاية. لقد خاطر بحياته مرات عديدة في الميدان ولن تكون غرفة الصحافة أكثر خطراً.

أدرك كايبي أنه حصل على الرجل الذي يريده. كان لودر استناداً إلى ملفه الشخصي موالياً صلباً للوكالة، وكان هذا ما أحبه كايبي في عناصر مديرية العمليات. ولكنه كان أيضاً واقعياً. عندما كان مساعداً للمفتش العام اشترك في التفتيش عن السلاح الذي منع نقله في

عملية نيكاراغوا الخفية. كان لودر شريفاً للدرجة أنه قال: إن العملية لم يكن لها أي تأثير على تدفق السلاح إلى السلفادور. وقال مرة: «نحن نعمل على القارة ولكن لودر استمر في تأييده للعملية».

أولاً كان عليه أن يعمم قرار كايبي بتعيينه ضابطاً لشؤون الصحافة ثم كان عليه أن يتعرف إلى المحررين وطريقة عملهم، وكان عليه أن يضع نفسه بتصرف الجميع ويقيم علاقات مع الصحفيين ويحاول أن يعرف من هم أهل الثقة، وأن يعلم كايبي عندما كان يحضر لنشر خبر يثير الإزعاج للوكالة. لم تكن كلمة «تجديد» هي الكلمة الدقيقة ولكنها أقرب تعبير عن تعامله مع المحررين.

قرأ مكماهون في الصفحة الأولى في واشنطن بوست صباح ٢ حزيران/يونيه ١٩٨٣ «كايبي تاجر كبيراً في البورصة» وقال «يا للثغاة». وأضاف مرة ثانية: صار نموذج الكشف المالي السنوي موضوع تداول الجميع. أظهر النموذج أن كايبي اشترى بمبلغ ١٠,٥ مليون دولار على الأقل في البورصة في فترة ٢٦ يوماً. كان مكماهون قد ضحك كثيراً عندما سمع التكتة التي تقول إن وكالة المخابرات المركزية تعني استثماراً جديداً لأموال كايبي.

رفض كايبي بشدة أن يضع استثماراته بثقة عمياء، وقال إن مستشاره لشؤون التوظيف هو من كان في الحقيقة يتخذ القرارات. تذكر مكماهون أنه كان قد أجبر كايبي على أن يبيع أسهمه في شركة أي. بي. إم أو يعفي نفسه من قرار كبير حول شراء كومبيوتر للوكالة. عندها تضاعفت قيمة الأسهم وشعر كايبي بالإحفاق.

حاول مكماهون عدة مرات أن يدفع كايبي إلى الاستثمار وفقاً لثقة عمياء، إلا أن كايبي رفض، وأعد عملية جنونية على الشاشة داخل الوكالة حيث بإمكان مكماهون وكيار المسؤولين الاطلاع بشكل منتظم على لائحة بعشرات الشركات التي يملك فيها كايبي توظيفات مالية. لقد كان من المستحيل الاستمرار في هذا الوضع، وكانت تتعالى صيحات الضحك في الوكالة في لانغلي عندما كانت المذكرات تتعقب الرمال المتحركة لأوراق وسندات كايبي (أضف شركة دلتا للطيران واشطب لاكويما موتو). ورد ذلك في إحدى المذكرات. حتى غولدوتور كتب رسالة إلى كايبي قائلاً: «إن كايبي كان غنياً بما فيه الكفاية ولن يكون قادراً على أخذ أشياءه الثمينة بعد وفاته». رد كايبي على ذلك قائلاً: إن أعضاء لجنة استخبارات مجلس الشيوخ يسمح لهم بالاطلاع على بعض المعلومات الحساسة لكن أين كانت تفهم العمياء؟

أدرك مكماهون أن تدبير عرض المعلومات على الشاشة لا يؤدي إلى أي نتيجة. لقد أظهرت التقارير أن ١٣ شركة في ملف كايبي قامت بأعمال مع وكالة المخابرات المركزية تتراوح بين ١٢ دولاراً و٤ ملايين دولار. هل أن وكالة المخابرات المركزية بحاجة لكل هذا!!!! تعجب مكماهون.

ذهب مكماهون إلى كايبي وقال له إن هناك انطباعاً سائداً بأنه كان يتصل بعمله في البورصة ست مرات في اليوم ويبحث عن معلومات حول المستثمرين الآخرين.

قال كايبي: «إنها كذبة ملعونة».

قال مكماهون: «تماماً ولكن التكتة لن تذهب بعيداً». كان كايبي في وضع يصعب الدفاع عنه. من ناحية كان يصّر على أنه لم ينتهز فرصه ليشتري أو يبيع الأسهم، والذي كان يقوم بذلك هو مستشار التوظيف عنده، ومن ناحية أخرى كان يصّر على الاحتفاظ بفرص دون اختبارها. لم يكن هناك مجال للجمع بين الطريقتين. وهذا يضعنا أمام سؤال: «إذا سلمنا بأنك أعطيت مستشارك صلاحية اتخاذ القرار فهل يختلف هذا عن الثقة العمياء؟».

أجاب كايبي: «ليس صحيحاً».

قال مكماهون: «حسناً، افعلها هذه الملعونة».

حلق كايبي بصلابة نحو الوراء.

يوم الاثنين ١٨ تموز/يوليو أصدر كايبي بياناً يقول إنه خلال سنتين ونصف كمدير مخبرات مركزية كان ذا ثقة عمياء واقعية ومشروعة ونظيفة. «وعلى الرغم من ذلك ولتجنب أي ارتباك أو سوء فهم أنا أخطط لأقيم ثقة عمياء».

في آخر الصيف، غادر كايبي في رحلة سرية إلى إفريقيا والشرق الأوسط ليزور محطات وكالة المخابرات المركزية. كان هناك حاجة ماسة ليطلع بنفسه على الأوضاع. بدا كل شيء مختلفاً على الأرض، كما في ساحة دالاس حيث اغتيل جون كينيدي. ما زال رؤساء المحطات بحاجة إلى توجيهاته لجمع مزيد من المعلومات. طلب منهم الخروج من السفارات وتوسيع علاقاتهم مع القوى المحلية وحضور اجتماعات الأحزاب المحلية تحت غطاء.

كان كايبي قد خطط لزيارة ١١ بلداً في ١٨ يوماً. اصطحب معه عدداً من معاونيه واستقل طائرة من القوات الجوية خصصة لنقل الشخصيات الهامة. بعد عبور المحيط الأطلسي توقف أولاً في السنغال ومن ثم في ساحل العاج في غربي إفريقيا. وقابل كايبي في هذه البلاد رؤساء الدول أو الحكومات ورؤساء الاستخبارات ومعاونيهما واصطحب معه في لقاءاته سفراء الولايات المتحدة. وكان قد فاجأ رؤساء محطات الوكالة بأسئلته. كم يبعد القصر الجمهوري عن ثكنة الجيش؟ عن الجامعة؟ هو من قائد المعارضة؟ ماذا يشبه رجال المخابرات السوفياتية؟ بعد غربي إفريقيا كانت رحلة لمسافة ٥٠٠ ميل إلى نيجيريا. كانت الطريق من المطار إلى العاصمة لاغوس بحراً من السيارات والباعة المتجولين مما اقضى ساعات عديدة لقطعها. كان نائب رئيس الاستخبارات النيجيرية يقود فريقاً لتأمين السير. قال أحد مساعدي كايبي: «تحمل جون مكماهون يحاول تأمين السير في جادة جورج واشنطن». وأثناء توقفهم في زحمة السير تقدم أحد المواطنين ودق على الشباك وحاول أن يبيع

كايسي نبرشاً أو خرطوم مياه بطول ٥٥ قدم. كان تعليق كايسي أن هذا الصنف لا يمكن شراؤه على طريق المطارا!

في زائير، الكونغو سابقاً، التقى كايسي مع زعيم البلاد جوزيف موبوتو. وتعود صلة هذا الأخير بوكالة المخابرات المركزية إلى عام ١٩٦٠، وهي السنة التي كانت الوكالة قد خططت فيها لاغتيال الزعيم الوطني باتريس لومومبا. في ٢٥ آب/ أغسطس ١٩٦٠ تلقى رئيس محطة الوكالة من مدير المخابرات المركزية آلن دالز رسالة تقول «إن إزاحة لومومبا يجب أن تكون هدفاً عاجلاً وأولياً لحكمك الخفي». وقبل أن يبدأ تنفيذ مؤامرة الوكالة قتل لومومبا على يد أنصار موبوتو. وكان لكايسي علاقة شخصية وهامة مع موبوتو وكانا يتبادلان المعلومات باستمرار.

كتب كايسي بعض الملاحظات بالفرنسية ليلقيها في حفلة عشاء دعي إليها في تلك الليلة. قال: «بعد الحرب العالمية الثانية حضرت حفلة عشاء أقامها قادة المقاومة وتكلمت كما أتكلم الآن باللغة الفرنسية. وفي اليوم التالي قالت الصحف إن السيد كايسي كان يتكلم بلغة بلاده وأدركت أن ذلك يعني أنهم اعتدوا بأن طليق بالفرنسية لدرجة أبدوا فيها كفرسي، أو أن فرنسي كانت عاطلة جداً لدرجة أنهم ظنوا أنني أتكلم بالإنكليزية». وضجت القاعة بالضحك.

طار الفريق إلى زامبيا ومن ثم إلى جنوب إفريقيا. ذهب كايسي إلى حجرة القيادة وطلب من الطيار أن يخلق له ارتفاع منخفض فوق زيمبابوي وأن يرتفع فقط عندما يصبح فوق شلالات فيكتوريا. تحليقة واحدة لم تكن كافية، طلب تحليقة أخرى وهو يحدّق من شباكه. في بريتوريا قام بجولات عادية في مقر الحكومة والسفارة الأميركية ومحطة وكالة المخابرات المركزية وحضر حفلة غداء اقتصرت على لحوم مشوية في الريف مع عشرة من رجال الأعمال. وعلق أحد هؤلاء، ولم يكن يعرف شيئاً عن وظيفة كايسي: «هذا الرجل يبدو بارعاً ويمكنه أن يربح الكثير من الأعمال التجارية». كان كايسي معجباً باستخبارات جنوب إفريقيا وأقام علاقات وثيقة معها. وكانت جنوب إفريقيا تشعر بالتهديد الشيوعي للمنطقة وقد أمنت حوالي ٢٠٠ مليون دولار لدعم حركة ثوار جوناس سافيمي الذي كان يقاقل النظام الماركسي في أنغولا. كان كايسي ما يزال يأمل بإلقاء «وصية كلارك» لعام ١٩٧٦ التي تمنح دعم وكالة المخابرات المركزية الخفي لسافيمي، ووعد المسؤولين في جنوب إفريقيا بأن الوكالة ستشترك معهم في هذا النزاع في أقرب وقت ممكن.

في ذلك الطقس الحار جمع كايسي ثيابه القذرة، نزع كل ثيابه تقريباً وسلمها إلى مستخدم تنظيف الملابس في الفندق الذي وعده بأنه سيعمل ٢٤ ساعة يومياً، ليسرع في تنظيفها. وفي منتصف تلك الليلة تبين أن المستخدم لم يعد الثياب إلى كايسي! وكان مودع إقلاع الطائرة في الساعة السادسة صباحاً، عندها قام مرافقوه باقتحام غرفة الغسيل في

الفندق لاستعادة الثياب وذلك لتأمين الملابس النظيفة لكايسي وتجنب التأخير أو تغيير جدول الرحلة. كانت الترفقات التالية في زيمبابوي، وكينيا التي وصلوها الساعة العاشرة مساءً. عقد كايسي في كينيا اجتماعين مع بعض أصدقائه من رجال الأعمال في الليل وفي صباح اليوم التالي على الفطور، وارتبك رئيس المحطة عندما لاحظ مدى معرفة كايسي بالبلد وتآلفه معه. بعد رحلة ٢٢٠٠ ميل إلى القاهرة، اجتمع كايسي مع الرئيس المصري حسني مبارك ثم أمضى ساعات مع رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية الذي كان يشرف على أكبر منشآت للوكالة خارج الولايات المتحدة. كانت معظم الأسلحة والمؤن للشوار الأفغان تنقل عبر مصر. ثم تابع الرحلة إلى تركيا التي لها حدود مشتركة مع الاتحاد السوفياتي والبحر الأسود وسوريا والعراق والبحر المتوسط، والتي كانت في رأي كايسي أحد أكثر البلدان حيوية وأهمية من الناحية الاستراتيجية في العالم. كان التوقف النهائي في المغرب لزيارة الملك الحسن الثاني. لم يسمح كايسي بأي سهو تجاه العلاقات الحيوية. كانت وكالة المخابرات المركزية تؤمن المعلومات والأمن للمغرب كما كانت تؤمن لقادتها الطائرات الحكومية، أحدث أنواع الأدوية، وكانت تساعد مواطنيها على الدراسة في الولايات المتحدة.

عاد الفريق إلى قاعدة أندروز الجوية، وكان معاونو كايسي متعبين، وطلبوا جميعاً العودة إلى منازلهم. أما المدير فقد عاد مباشرة إلى لانغل.

السناتور وليم كوهين وهو جمهوري من ولاية ماين وعضو في لجنة استخبارات مجلس الشيوخ منذ تسعة أشهر فقط، تحدث قليلاً مع كايسي بعد إحدى جلسات الاستماع. كيهيوري أراد كوهين أن يدعم الإدانة في موضوع نيكاراغوا وكان يعلم أن غولدوت قد وضعه شخصياً في اللجنة. ولكن كوهين أحس بأن كايسي وغولدوت يمكن أن يغسرا بسهولة الإجماع في اللجنة. وكانت تسوية غولدوت معلقة بخيط رفيع. قال كايسي إذا قطع المال عن عملية نيكاراغوا يكون الكونغرس مسؤولاً عما قد يحدث.

كان كوهين خجولاً واعتبر أن كايسي يمكن أن يكون على حق. استدعى الرئيس ريغان كوهين شخصياً وقال له: «هل تعلم لماذا استدعيتك؟» نريد أن تساعدنا إذا استطعت ذلك. أجاب كوهين أنه س يدعم الإدارة، ولكنه كان قلقاً.

قال كايسي لكوهين إن عليه أن يزور أميركا الوسطى. انظر بنفسك. اذهب إلى نيكاراغوا وتحدث مع الساندينين. وكان يروق لكوهين، وهو مدعي عام سابق، الذهاب إلى مسرح الأحداث والاستماع إلى الشهود وكان يجول دائماً إن يعرف الحقائق بدقة. وصحى يتعرف على العالم السري لإشارات الاستخبارات قرأ كتاباً من ٥٣٢ صفحة عنوانه: «القصر المحترق» صدر عام ١٩٨٢ عن وكالة الأمن القومي تأليف جيمس مافورد. إن الجواب على عملية نيكاراغوا لم يكن كتاباً أو إنجازاً بل كان في الميدان.

لم يسقط كوهين ولم يتعثر في ماتهات السياسة، وكان شاعراً وله مجلد شعري عنوانه

«الأبناء والفصول» صدر عام ١٩٧٨. كان يجب الحقيقة، وكان عام ١٩٧٤ صوتاً هاماً في لجنة القضاء في مجلس النواب التي صوتت على اتهام نيكسون بالتقصير. تحدث كوهين في مناقشة عامة على التلفزيون حول الاستنتاج بطريقة صحيحة وقال: «إذا كنت نائلاً على الأرض، هنا، واستيقظت صباح اليوم التالي ووجدت أن الثلج يكسو الأرض حولك فإن الثلج حتماً قد سقط خلال الليل وإن لم تكن قد رأيته يسقط».

كان السناتور غاري هارت وهو ديمقراطي من ولاية كولورادو أفضل صديق لكوهين، وكان الاثنان يكتبان رواية عن التجسس وذلك بصورة سرية. وجاءت فكرة الرواية عند انتهاء جلسة لمجلس الشيوخ في آخر الليل وبعدما أظهرَا شكوكهما في وكالة المخابرات المركزية وفي العاملين فيها. وعنوان الرواية: «الرجل المزدوج». وبدا أن الهدف منها إن لم يكن تجارياً فهو على الأقل لعبة روائية للتحزين معاً (الديمقراطي والجمهوري). وكان البطل سناتور ترأس لجنة تحقيق حول الإرهاب في العالم. وكان أحد الأشرار مدير وكالة المخابرات المركزية الذي كتم معلومات عن اللجنة وزرع امرأة عميلة له في اللجنة لتخبر وكالة المخابرات المركزية بما يجري!

في مطعم مجلس الشيوخ في أحد الأيام بعد الظهر خلال صيف ١٩٨٣ اقترب كوهين من هارت الذي سبق وكان عضواً في لجنة تشرش ولجنة الاستخبارات. وكان هارت قد ترشح لتسمية الحزب الديمقراطي للرئاسة وكان ما يزال في المؤخرة وقد أيده ٤٪ فقط من الديمقراطيين لتسببه مرشحاً للانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٤.

قال له كوهين موبخاً: «أنت تعلم أن عليك أن توسع أعمالك» واقترح عليه الاهتمام ببعض القضايا التي تثير المشاعر العميقة مثل أميركا الوسطى.

عندما كان في لجنة تشرش استنتج هارت أن وكالة المخابرات المركزية لم تكن تتفنن الأعمال الخفية مثل عملية نيكاراغوا الآن. لقد اطلع هارت على السجلات السرية المؤلفة من ثمانية آلاف صفحة للمؤامرات الاغتيال في الخمسينات والستينات وخاصة ضد كاسترو. مثلاً في إحدى المؤامرات على حياة كاسترو أعطي أحد عملاء وكالة المخابرات المركزية واسمه بالشفيرة AM/Lash أم لاش قلماً فيه إبرة تستعمل تحت الجلد ناعمة جداً لدرجة أن كاسترو لن يتمكن من ملاحظة إدخالها. وأوصى ضابط من الوكالة باستعمال سم قوي يدعى «الورقة السوداء ٤٠»، وجرى تسليم أدوات الجريمة في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣. وكان تقرير المفتش العام للوكالة عام ١٩٦٧ متوقفاً لاطلاع لجنة الاستخبارات. وجاء فيه «إن الرئيس جون كينيدي اغتيل في آخر لحظة».

لم تجد لجنة تشرش أي صلة بين المؤامرات ضد كاسترو واغتيال كينيدي ولكن هارت لم يؤمن بأن ذلك كان على سبيل الصدفة. كان ذلك تقريباً مثل ثلج كوهين الذي يكسو الأرض عند الصباح. لم يرَ أن الثلج يسقط ولكنه علم أن شيئاً ما قد حدث.

في الصباح الباكر ليوم الخميس ١٨ أيلول/سبتمبر غادر كل من كوهين وهارت مع ضابط مراقبة من مشاة البحرية على متن طائرة س ١٤٠ إلى نيكاراغوا. وكان من المقرر أن يصل مطار ماناغوا الساعة ٩،١٥ صباحاً.

أخطر الطيار أن مطار أوغوستو سيزار ساندينو قد أغلق، مما اضطره إلى التحليق حوالى ساعة في الأجواء القريبة من العاصمة ماناغوا. كان هناك نوع من الهجوم الجوي، وكانت قد أسقطت طائرة من طراز سبنا بمحركين ومجهزة بقنبلة ٥٠٠ رطل تحت كل جناح وتحطمت على برج المراقبة وبمبنى المطار.

حلفت طائرة الشيوخ حوالى ٤٥ دقيقة أخرى قبل أن تعود وتنتجه إلى عاصمة الهندوراس، وهناك اتصلوا بواشنطن لمعرفة ما جرى. وبعد قليل كان الجواب أن مطار ماناغوا مفتوح لها.

لدى وصوله إلى مطار ماناغوا فوجئ هارت بالدمار. كان الدخان يتصاعد من كل مكان وقد دمر مبنى المطار. وكانت بقع الزيت والزجاج المكسور في كل مكان. وكان جسم الطائرة التي أسقطت قد تحول إلى نصفين. وكان طيارها مساعدته قد قتل. وكان حوالي أربعين شخصاً في المطار ينتظرون للسفر قد فروا حفاظاً على حياتهم. وقتل أحد عمال المطار وكانت قاعة الشرف حيث كان من المقرر أن يعقد الشيوخ مؤتمراً صحافياً قد أصيبت أيضاً بأضرار. وقال كوهين إنها لو وصلا قبل الموعد المحدد بساعة لكانا تلقيا حنطتها حياً. جاء الصحافيون النيكاراغويون ليطرحوا أسئلتهم. قال أحد المحررين إن هذا الهجوم الجوي كان بوضوح غارة للكونترا مدعومة من وكالة المخابرات المركزية.

قال كوهين: «وكالة المخابرات المركزية ليست خرساء». عندها أحضر المسؤولون النيكاراغويون حقبة صغيرة كانت قد انتشلت من الطائرة. حقق كوهين وهارت بداخلها. كان هناك بيان يقول إن على الطيار أن يقابل أحد الأشخاص في كوستاريكا في أحد المطاعم، وافتاتة من ميامي وشهادة طيران من ولاية فلوريدا، وبطاقة ضمان اجتماعي أميركية وبطاقات مصرفية أميركية.

وكان هناك المزيد: الاسم المشفر للعميلة وللمعدد وغير ذلك. وأدرك هارت وكوهين أنها فعلاً من أوراق وكالة المخابرات المركزية.

قال المسؤولون النيكاراغويون إنه يوجد حول المطار مدفعا مضادان للطائرات بصورة دائمة، ولكن في ذلك الصباح أحضر تعزيز إلى المطار مؤلف من ١٧ مدفعاً. كان الهجوم الجوي متوقعاً. وكلما تحدث الشيوخ إلى المسؤولين النيكاراغويين أكثر بدأ واضحاً لديها أن الساندينين كانوا يحصلون على معلومات من داخل الكونترا. تلقيا إيجازاً عسكرياً من الساندينين واجتمعوا فيها بعد برئيس المجلس العسكري الحاكم دانييل أورتيغا الذي أعطاهما أمام الصحافيين أمثلة قاسية ضد الأميركيين. وعندما حاول كوهين أن يقلب الطاولة،

ويسأل عن الصحيفة النيكاراغوية الرئيسية لابرنسا التي كانت قد أغلقت بسبب انتقاداتها لسياسة الحكومة، أقفل المصورون كاميراتهم!

ذلك المساء تناول هارت وكوهين العشاء مع نورا استورغا، وهي سيدة مجتمع نيكاراغوية تحولت إلى ثائرة مع الساندينين. كانت استورغا وهي تبلغ ٣٤ سنة من العمر أسطورة. عام ١٩٧٨ أثارت نورا أحد جنرالات سوموزا الكبار وهو الرقم ٢ في الحرس الوطني رينالدو بيريغ ميغا الذي كان يعرف «بالكلب» ودعته إلى غرفة نومها حيث انقض عليه ثلاثة من عناصر الكوماندو الساندينين وشقوا حلقه. ومنذ بضعة أشهر اقترح الساندينيون استورغا لتكون سفيراً لنيكاراغوا في الولايات المتحدة إلا أن إدارة ريغان رفضت ذلك. وأعجب كوهين وهارت بالدعاية التي كانت شائعة في ماناغوا: إذا طلبت منك نورا أن تحضي الليل معها فلا تفعل. إلا أن ذلك بدا ملائماً في النهار.

بعد العشاء ذهب كوهين وهارت إلى اجتماع في منتصف الليل مع رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية وقال له إن المعلومات المتعلقة بعمليات الكونترا كانت تسرب إلى الساندينين. ارتبك رئيس المحطة وتردد وحاول التمسك وبرر الغارة قائلاً إنها جهد أولي لسلاح الجو الخاص بايدن باستورا.

كان هارت مجروحاً ومذهولاً لأن هذه العمليات الغيبية هي التي تقتل وكالة المخابرات المركزية. كيف يمكن التهرب من وجود اسم أحد العاملين في محطة وكالة المخابرات المركزية في سفارة الولايات المتحدة في كوستاريكا ورقم هاتفه في جيب الطيار. هذا مطار مدني وليس هدفاً عسكرياً. كيف تفكر أن ذلك يمكن أن يحقق شيئاً؟ إنها غلطة كبيرة تؤدي إلى تحول الشعب ضد الكونترا. لقد كان هناك عشرات المدنيين في المطار. افترض أن أحداً قصف مطاراً مدنياً في الولايات المتحدة؟

قال رئيس المحطة إن الهدف من القصف كان إظهار أن الكونترا جديون ويمكن أن يضربوا العاصمة ماناغوا. قال هارت وهو يصرخ: هل تظن هذا مثل غارات لدليل على طوكيو؟

«حسناً» قال رئيس المحطة. الكونترا هم عملاء ولكنهم أحرار، ولا تستطيع الوكالة أن تتحكم بهم. وهم يجدون أهدافهم.

قال هارت: من الغبي والمجنون الذي كان يعمل أوروباً خاصة بوكالة المخابرات المركزية في حقبة صغيرة أثناء عملية قصف سرية؟ أنتم مجانين ومعدومو الكفاءة، وأحرّ وجهه وصرخ: «هذه سياسة سيئة ودبلوماسية سيئة وعمليات سيئة».

أرسل رئيس المحطة برقية إلى مركز قيادة الوكالة يقول فيها إن الشيوخ غير السعيدين كانا على وشك العودة إلى واشنطن. كان طوني موتلي في رحلة إلى الهندوراس وتلقى خبر الغارة الفاشلة واتصل بكلاريدج.

قال موتلي: «ديوي أنت مجنون. كيف تفعل ذلك عندما يكون معاون وزير الخارجية يجول في المنطقة؟ لا أريد هراء كهذا عندما أسافر».

أجاب كلاريدج: «لا يوجد أي سيطرة فورية على هذا. لم تكن نعلم متى ستجري العملية، في هذا اليوم أو في ذلك. بإمكاننا أن نعرف فقط أنها ستجري خلال أيام». لقد أراد كايبي أخباراً، شيئاً ما يلفت الانتباه. وأضاف «حسناً لقد خرج الكونترا من الجبال كما أراد المدير».

في اليوم التالي توجه كوهين وهارت إلى السلفادور. وقاما بزيارة قرية سان لورنزو التي ضربها الشيوعيون وقطعوا عنها الكهرباء وحولوا الكنيسة إلى ركام وحطموا آلات الحياة التي كانت تشكل المصدر الرئيسي لدخل سكان القرية.

تابع الشيوخ جولاتهم في السلفادور واستعملا طائرة هليكوبتر قديمة الصنع دون أبواب من الطراز الذي كان يستعمل في حرب فيتنام، ووضع كوهين ساعات على أذنيه ليستمع إلى حديث الطيار. وعلى ارتفاع حوالي ١٢٠٠ قدم فوق العاصمة سان سلفادور بدأت طائرة الهليكوبتر فجأة بالسقوط.

صرخ الطيار: «يا لعنة. أنا أفقد سائل الهيدروليك بسرعة، أريد أن أوقف هذه الطائرة الملعونة تحت».

ظن كوهين أن الطائرة ستسقط فوق المدينة، وأنهم سيلاقون حتفهم، ولكن ليس على أيدي الثوار الشيوعيين. لقد غير الطيار طريقه عدة مرات ليتفادى مدافع الشيوعيين وها هم الآن يتعرضون للخطر بسبب تسرب سائل الهيدروليك.

وبالإطلاع على كتيّب الصيانة بدأت الطائرة بالارتفاع فجأة حتى وصلت إلى علو عشرة آلاف قدم وكان ذلك خفيفاً.

سأل كوهين: «ماذا يجري؟».

أجاب مرافق الطيار: «علينا أن نبتعد عن مدى رمي الرشاش ٥٠٠ الذي يستعمله الثوار».

قرر كوهين أنه إذا كان لا بد من سقوط الطائرة فلتسقط من علو ألف قدم لا من علو عشرة آلاف قدم. واستعاد أحد قصائده الشعرية الأولى وعنوانها «سقوط حر»:

أنا لا أخاف من الطيران

أنا لا أخاف من الموت

العملية

نعم العمل. نعم.

ولكن الهليكوبتر لم تسقط ولم تتحطم.

عندما عاد كوهين إلى واشنطن حضر كايبي إلى مكتبه في مجلس الشيوخ، وقال:

٨٤

إن الوكالة لم تسمح بذلك القصف.
قال كوهين: إنها كانت خرساء وأساساً من خرساء. لم يكن هناك حتى طريقة متطورة للإلقاء القنابل.

لم يوافق كايي ولم يعترض أيضاً. وأدرك أن كوهين ليس سعيداً أبداً لأنه شعر بخطر الموت. وسأل بطريقة حية عن انطباعات كوهين.
قال كوهين: عليك أن تعلم أن عملياتك - أي عمليات الكونترا - خترة. لقد تمت زيادة عدد المدافع المضادة للطائرات من ٢ إلى ١٧ قبيل الغارة. ووعد كايي بإجراء تحقيق. علم كوهين فيما بعد أن الطائرة التي استخدمت في الغارة قد أمتتها وكالة المخابرات المركزية للكونترا.

وقال له أحد مسؤولي الوكالة إن الجميع في الوكالة أفروا الغارة. لقد كان باستورا قائد الكونترا هو المشرع على الغارة. لكنه لم يقل له إن الغارة كانت نتيجة ضغط من كايي الذي «يريد أخباراً».

على الرغم من ذلك شعر كوهين بأنه لا يوجد مجال أمامه ليجعل من الغارة قضية، لأنها تظهر أنه إنما يهتم بسلامته الشخصية. وقرر المثابرة على دعم العمل الخفي وذلك للضغط على الساندينين ليفاوضوا. لكنه لم يرحب بالعملية كلياً ولم يشعر بالثقة التامة حيال كايي. لقد كان كايي متزلفاً ولم يقل له القصة كاملة.

دعا كايي السانتور هارت إلى الوكالة لتناول القهوة. قال له كايي: أريد أن أؤكد أن أحداً لا يريد أن يقتلك.

قال هارت: المشكلة أن الكونترا أو وكالة المخابرات المركزية يمكن أن ينقلوا مهمة مجنونة كهذه. إن هذا الهجوم على المدنيين يظهر كمية هائلة من الكراهية.
قال كايي: أنا أدرك خيبة الأمل التي أصبت بها أنت وكوهين.

أجاب هارت: أنت نسيت نقطتي. أنا لا أهتم بذلك. إنها السياسة، والناس وراء هذا الغياب. كيف يمكن أن تحدث هذه الغارة؟

قال كايي: إن سياستنا تقضي بدعم القوى الديمقراطية. نريد منهم إعادة أخذ البلاد إذا رفض الساندينون الاعتدال.

لم يرَ هارت أي فرق بين «إعادة الأخذ» والإطاحة، التي منعت بموجب القانون.
قال كايي: نحن لدينا القائد صفر وهو يعني بذلك باستورا. يجب أن نسحق لهم بالقيام بأعمالهم الخاصة. أضاف كايي: إن الهدف من الغارة كان لإثبات أن عمليات الكونترا ليست متواضعات حدودية ولكنها جهود وطنية ضد الحكومة الساندينية.

حاول هارت مرة ثانية أن يستدرج كايي إلى أن يتحدث عن المردود العكسي لهذه العمليات.

أجاب كايي أن هارت له بعض الأفكار الجيدة في موضوع الدفاع واقترح أن يجتمع كلاهما مع السانتور صمويل نان من جورجيا وهو خبير آخر في الدفاع ليبحث بعض المسائل الدفاعية.

غادر هارت وهو متأكد أن وكالة المخابرات المركزية تتحرف وأنها ستفجر من الداخل يوماً ما. لم يتصل به كايي مرة أخرى لا حول مسائل دفاعية ولا حول أي شيء آخر.
بعد أسبوعين في ٢٠ أيلول/سبتمبر مثل شولتز وكايي أمام لجنة استخبارات مجلس الشيوخ لشرح عملية نيكاراغوا. كان الرئيس ريغان قد وقع مذكرة جديدة بناءً لطلب لجنة الاستخبارات المقدم منذ أربعة أشهر. تضمنت تعابير تتراوح بين منع السلاح والإطاحة بالساندينين. كانت هذه الوثيقة السرية جداً على صفحتين ومؤلفة من خمسة مقاطع وهي أطول مذكرة وقعتها ريغان، وكانت تسمح بالدعم المادي لمجموعات المقاومة النيكاراغوية، وإعانتهم التوجيهات لتحقيق الأهداف التالية:

- حث الحكومة الساندينية على الدخول في مفاوضات مع الدول المجاورة.
- الضغط على الساندينين وحلفائهم لوقف تهريب السلاح إلى السلفادور ووقف أعمال التدريب وتأمين قواعد الأجرة والسيطرة للثوار اليساريين في السلفادور.
كان الهدف المطلوب هو إعادة الديمقراطية إلى نيكاراغوا، والضغط من أجل المحافظة على حقوق الإنسان والحريات المدنية وحرية الصحافة وإفساح المجال للمعارضة السياسية لممارسة نشاطها بحرية. شعر كايي بأن هذا يروق للديمقراطيين وللمعتدلين من الحزبين. لقد كانت هذه هي التوسية التي اقترحها أندروز ثم طرد من أجلها!

كان مجلس النواب قد صوّت على قطع معونة ٨٠ مليون دولار للبرنامج الذي طلبه كايي حول الأعمال الخفية، وذلك بأغلبية ٢٢٨ ضد ١٩٥ وبعد مناقشة عامة غير عادية حول عملية نيكاراغوا استمرت ثلاثة أيام.

أحب كايي أن يأخذ معه شولتز إلى اللجنة. كان شولتز المعتدل في الإدارة. اعتقد مونيهان أن هذا يشبه بداية الحرب الفيتنامية. نعم إنها كانت مختلفة ولكن التيارات السائدة كانت هي ذاتها، خطوة معقولة تتبعها خطوة معقولة أخرى، وتجاهل الدلول الحقيقي لبعض الأحداث الدولية وتصويرها على أنها معتدلة عندما لا تكون كذلك. شعر مونيهان بأن كايي وشولتز كانا يستغيبان نفسيهما ويستغيبان اللجنة أيضاً لأن من يقرأ المذكرة كما قرأها هو يرى عواقبها الوخيمة بين السطور. لقد جاء في المذكرة أن وكالة المخابرات المركزية تريد أن تمنح الساندينين من تحقيق هدفهم في نشر الثورة خارج بلادهم وأن ترعهم أيضاً على تغيير سياستهم الداخلية المتعلقة بالانتخابات والحقوق المدنية وتركيب الحكومة. إنها كانت كمن يقول إنه سيفجر دماغ شخص دون أن يقتله.

لم يستطع مونيهان أن يبقى هادئاً وحاول أن يطرح موضوعه. قال: إن وكالة

المخابرات المركزية تقول إن المذكرة لا تهدف إلى الإطاحة بالنظام السانديني، فإن التأثير المتراكم لهذه الأعمال والأهداف يظهر أن الإدارة كانت فعلاً تريد الإطاحة به.

وافق السناطور والوب على تحليل مونيهان ولكنه طرح حلاً مختلفاً: «لماذا لا نقول ما نؤمن به؟».

قال غولدوتير: «هذا صحيح بالنسبة إلي».

قاطع السناطور جاك جاردن وهو محافظ وجمهوري من ولاية يوتا قائلاً: «يجب أن نطرح

٢٣٦».

قال كايسي وشولتز: لا.

كانا يريدان أن يظهرأ أنها يتقيدان بتوصية بولاند وأنها لا يعملان للإطاحة بالنظام. سرعان ما ضاع طرح مونيهان في النقاش. اعتقد كايسي بأنه قد رمى العظام للديمقراطيين وبأنه قد غلّف الأصولية المعادية للشيوعية لإدارة ريغان بغلاف حقوق الإنسان. كان الشيوخ واقعيين. لقد كانت المذكرة أفضل ما يمكن أن يحصلوا عليه. اقترحت اللجنة إعادة صياغة المذكرة إلا أن أعضائها كانوا طرفاً في العملية الخفية وشاركوا فيها منذ سنتين وكانت المذكرة تذكر ببساطة ما كان يجري، وكان رفضها يعتبر تنصلاً من مسؤولية اشتراكهم، وهذا ليس جيداً برأي كايسي.

بعد يومين صوتت اللجنة على الموافقة بأغلبية ١٣ ضد ٢، وكان المعارضان هما السناطور ليهي والسناطور بايدن.

في ذلك الصيف ظهر أول تصدع علني داخل الإدارة عندما قال رئيس أركان البيت الأبيض جيم باكر إن كايسي زوده بأوراق الإنجاز كان كارتر قد استعملها ليحضر خطاباً تلفزيونياً للأمة في حملة ١٩٨٠ الانتخابية الرئاسية. وبدأت التحقيقات من قبل الكونغرس ومكتب التحقيق الفدرالي.

قال كايسي: «لا أتذكر أنني تلقيت أو سمعت أو علمت بأي طريقة». وعقد اجتماعاً نهار الأحد ليرى ما إذا كانا يعالجان القضية بشكل مستقيم، ولكي يضعوا الجدول جانباً ويحاولا إيجاد أرضية مشتركة لحل هذا الخلاف.

قال باكر: «قل إنك رأيتها»، وادعى أن ذلك لن يؤدي به إلى المشاكل. لكن كايسي قوى من موقفه وقال: كلام لم أرها ولم أعط أوراق الإنجاز لباكر ولا لأي أحد.

بدأت المذكرات القديمة للحملة الانتخابية تطفو على السطح. واحدة من هوغل الذي كان أحد مساعدي كايسي في الحملة، والذي ادعى بأن ريغان كانت له عيون وأذان في معسكر كارتر. أوضحت هذه المعلومات القليلة بأن عمل هوغل كجاسوس لكاييسي يمكن أن يكون قد بدأ قبل دخولهما معاً إلى وكالة المخابرات المركزية.

حاولت (*) أن أعرف ما إذا كان هناك عملية تجسس منظمة في الحملة وذهبت إلى كايسي لإجراء مقابلة معه في ٢٨ أيلول/سبتمبر في مقره المحاذي للبيت الأبيض. لم أكن قد التقيته أو تحدثت معه من قبل. كانت زاوية مكتب كايسي واسعة جداً وهي غرفة مزخرفة من طراز فكتوريا. كان ترحيبه حاراً وقليلاً مع أنه لم ينظر إلى عيني. وبدأ أكبر مما توقعته. كما ظهرت علامات الكبر والتعب والإرهاق على رأسه ووجهه.

كان المدير يرتدي بزة زرقاء أنيقة، وكان قميصه مضغوطاً بشدة، كما بدت قبة القميص وربطة العنق غاليتي الثمن. نظرت في أنحاء المكتب. كانت هناك كوم من الملفات والأوراق بعلو قدم تقريباً، وقد دونت على الغلافات عبارة سري جداً باللون الأحمر. قام من وراء طاولة المكتب وجلس. بدا غير صابر وكأنه يقول لي أسرع وادخل في موضوعك. تخفت بسرعة ما كنت قد سمعته.

قال كايسي وهو يسهس في كلامه: «إشاعات» عندما حاولت أن أسجل ملاحظات قال لي بلهجة لأذعة: «هذا غير قابل للتسجيل»، وقال إنه يمكن أن أحضر في اليوم التالي لأسجل مقاطع من الحديث لكن هذه الجلسة هي من أجل أن أفهم أن اتهامات باكر كانت منافية للعقل والطبيعة. أوضحت لهجته وسلوكه بأنني قد أصبح خارج المكتب إذا لم أؤيده. وكان عندما أعرض له مسألة ما يخرج وثيقة يدعم موقفه الشخصي، وفي إحدى المسائل أخرج مذكرة من ست صفحات، وفي حالة أخرى أخرج مجلداً سيأكله خمس أنثى يتضمن معلومات عما فعله هوغل في الحملة الانتخابية. بدأت أقلب المجلد وأتصفحها. كان عبارة عن مواد صحافية وقوائم طويلة لمجموعات وأفراد دعموا ريغان. لقد كان ذلك نوعاً من الحشو.

اقترب كايسي مني وأراح مجلده هوغل من يدي. لم يكن هناك شيء سري. أظهرت أنني كنت أريد أن أنظر أكثر في المجلد وربما أردت درسه. قال كايسي: لا.

قلت: بما أننا في موضوع هوغل، ماذا عن المذكرات التي يفترض أنه قدمها؟

قال كايسي إن مكتب التحقيق الفدرالي أحضر مذكرات هوغل من مخزن الملفات العائدة إلى حملة ١٩٨٠ الانتخابية.

— ماذا قالت هذه المذكرات؟

— هز كايسي كتفيه لا مبالياً. لم يكن يعلم، أو لم يكثر، أو لم يرد أن يقول.

— ولكن كان هناك مذكرة؟

قال: نعم، وبهودو، ثم أضاف: لا شيء.

— ماذا عن مذكرات طوني دولان الصحافي الذي أتى به كايسي لحملة ريغان والذي

أصبح الآن كاتب خطابات ريغان.

(*) المؤلف بوب وود ورد

هز كايبي كنفه لا مبالياً إلى أبعد الحدود.
وعاد ثانية إلى الملفات وأظهر في مذكرة حول إساعة استعمال موظفين فدراليين من قبل إدارة كاتر في البيت الأبيض.
- هل لي بنسخة عنها؟

أخذها كايبي بهذيب وبقوة من بين يدي وقال: لا. أخذ كايبي يتعامل مع المذكرات بسرعة وقلب بعضاً منها قائلاً: إنها كانت دون معنى، معلومات عادية عن الحملة الانتخابية. كان هناك مذكرة من دولان وواحدة من هوغل حول امتلاكها مصادر، ولكن لم تكن هناك عمليات استخبارية.

- هل تشهد بذلك بعد قسم اليمين؟

قال: بكل تأكيد، وأخذ يلامس البقعة ما بين ذفته وشفته السفلى، وانتصب رأسه عالياً كأنه يتعجب كيف أصبح وقته في هذه المسائل، وقال: هذا شيء مزعج جداً. كانت له طريقة مؤثرة في انتظار السؤال. لم يجد أي نقطة في الجواب. لقد كانت الأسئلة صغيرة جداً بحيث أن أي جواب يمكن أن يؤدي إلى طريق لا يريد أن يسير فيها، أو إلى طريق آخر تؤدي إلى المشاكل. حاولت أن أبحث معه موضوعاً آخر.

وقف كايبي وقال: «انظر، علي أن أذهب إلى اجتماع». عندها أخذ رزمة من أوراقه السرية وجهزها لكي يضعها في حقيبه. وكانت الرزمة سميكة لدرجة أنه لم يتحكم بها وتبعثت الأوراق على طاولة المكتب. وفي ثوان معدودة النقط الأوراق ووضعها في الحقيبة وأقفلها. وتمشي إلى الخارج، وسلم كايبي الحقيبة إلى مرافقه. كان واضحاً أنه قد تأخر عن مواعده. لحقته إلى الخارج وبقيت أخذت معه، ولكنه بدأ يركض في القاعة. تركته هو ومرافقه، دخلا إلى مصعد وذهبا.

لم يمر أي تحقيق جدي من مكتب التحقيق الفدرالي أو في الكونغرس حول هذه المسألة، واختفت. في مجلس الشيوخ راقب صديق غولدوتير القديم الجنرال وليم كوين القصة باهتمام وضحكات خافتة. لم يكن هذا لغزاً بالنسبة إليه. أحس كوين وهو ضابط استخبارات سابق بأن كايبي قد فعلها! لم يستطع كوين إثبات ذلك. لقد لعب كايبي بالقواعد والقوانين مثل أي ضابط غابرات ذكي. وأهم قواعد التجسس كانت حماية المصدر الجيد. كانت التفرعات والتحولات ووضع الآثار الحافظة تعد دائماً لحياة المصدر الجيد. لم يكن الكذب علناً أو الكذب بعد قسم اليمين أخطر من عمل المصدر. المصدر السري ينام مرتاحاً في الليل وهو يدرك أن انكشافه يمكن أن يطيح بالضابط المسؤول عنه الذي يمكن أن يكون مدير المخابرات المركزية نفسه.

- ١٤ -

توجه طوني موتلي إلى الكونغرس ذات صباح بصحبة كايبي للدلاء بشهادته حول عملية نيكاراغوا.

قال كايبي: «هؤلاء أبناء الزن» وهو يقصد الشيوخ. لقد كانت أفكارهم وأقوالهم هراء. صق موتلي بأسلوب كايبي أمام اللجنة ورأى كايبي ردة فعل الشيوخ وهم يتذمرون ويصرخون بأنهم لا يتقنون بابن الكلية! ولحسن الحظ لم يعد هناك المزيد من الكلام حول الهجوم الجوي على مطار ماناغوا. وشعر كايبي وموتلي وكلاريدج بحرية في متابعة الحرب وبعد صدور المذكرة الرئاسية الجديدة أدرك كايبي أنه قد حان الوقت للبدء بالحرب الاقتصادية وقال لوتلي وكلاريدج في أحد الاجتماعات «دعونا نجعلهم يكسحون».

تساءل كلاريدج: ما أكثر المواضيع تأثيراً من الناحية الاقتصادية؟ ما المهم؟

إنه النفط. وضع كلاريدج خطة لمهاجمة مستودعات الوقود على ساحل نيكاراغوا ولكن ليس بواسطة هواء من الكونترا، بل ستولى وكالة المخابرات المركزية تنفيذ العملية. استقدم كلاريدج بعض «المتحازين اللاتين» للعمل. وكان هؤلاء يكسحون كل وقتهم للعمل في الوكالة. كان كايبي يعرف كيف يتعامل مع البيت الأبيض. قدم الخطة إلى الرئيس وإلى مستشار شؤون الأمن القومي كلارك كخطوة منطقية تلي المذكرة التي تم تقديمها إلى الكونغرس.

في ١١ تشرين الأول/أكتوبر قام بعض عناصر اللاتين المديرين في وكالة المخابرات المركزية مستخدمين زوارق سريعة بتنفيذ غارة قبل الفجر على مستودعات الوقود في مرفأ كورينتو، على ساحل المحيط الهادئ، ثم بتفجير خمسة مستودعات تحتوي على معظم احتياطي نيكاراغوا من النفط وأدى ذلك إلى إخلاء عشرين ألف نسمة من سكان كورينتو منازلهم بسبب النيران.

ابتهج كايبي لذلك. كان هذا عملاً كبيراً وليس مثل أعمال خرق الحدود التافهة. أخذ صور الاستطلاع لريغان في الحال، ورآه أركان البيت الأبيض مثل التلميذ الشاطر

الذي يحمل أورا، علاماته.

طرح في الوكالة أسئلة حول شمولية العملية وشديتها، كان هناك من اعتبر ذلك عملاً من أعمال الحرب. قال كلاريدج للجميع: هذا ما أراه الرئيس، وهو يعرف، وهذا ما يعجب.

بعد ثلاثة أيام شنت الزوارق غارة أخرى على مرفأ ساندينو وهو مرفأ رئيسي آخر في نيكاراغوا. طلب موتلي من شركات النفط الأميركية تقديرًا بالأضرار. أراد أن يعرف ما إذا كان التأثير طويل الأمد أم قصير. أفادت تقارير الشركات الأميركية بأنها طلبت من النيكاراغويين دفعة أولى من المال قبل البدء بالتصليحات.

كان كايسي وكلاريدج مرتاحين تمامًا. وكانت سمعة النيكاراغويين سيئة في دفع المال، وكانت التصليحات تستغرق وقتاً طويلاً. وحصلت مفاجأة، تلقت إحدى شركات النفط شيئاً بقيمة ١٠٠ ألف دولار من نيكاراغوا التي طلبت المباشرة بالتصليحات على الفور. كان كايسي والآخرين مسرورين. لقد أدت هذه المهجات إلى أضرار بالغة. وفي عملية أخرى لوكالة المخابرات المركزية تم تدمير أنبوب نقل النفط داخل نيكاراغوا. أعلنت مجموعة شركة أكسون نيكاراغوا بأنها لا تستطيع متابعة تموين ناقلات النفط. لم يكتف كايسي بذلك. كان ضابط الاستخبارات القومية في أميركا اللاتينية جون هورتون في مكتبه ذات يوم وسأله كايسي: «ماذا نستطيع أن نفعل أكثر بالاقتصاد النيكاراغوي لنجعل هؤلاء الأوغاد يكدحون ويعرقون؟». أجاب هورتون: ليس كثيراً.

قال كايسي: «حسنًا، يجب أن نفعل شيئاً... يا للجنة يجب أن نفعل شيئاً». وتابع: فكر في أي عمل شنيع أو حرب اقتصادية شاملة لأن الخطوة التالية يمكن أن تضاعف الساندينين في الزاوية.

ذكره هورتون بتوصية بولاند.

قال كايسي إنها لا تعدو كونها نقصاً من الكونغرس! تحول الضغط إلى فريق عمل موتلي الذي طلب أفكاراً جديدة، وخفف عدد أعضاء الفريق للمحافظة على سرية الاجتماعات. وقد دعي فيها بعد «بالتفريق الداخلي المحدود». كلاريدج والمقدم أوليفر نورث كانا في القلب. قال نورث إن البيت الأبيض سيوافق، ولكن إذا عارض شولتز فيكون «أنكى وزير خارجية». كان كلاريدج وليس نورث من يعرف تفاصيل العملية. رفض موتلي فكريتين من أفكار كلاريدج الثلاث. ولكن كلاريدج كان خلاقاً ويصعب التعامل معه، وليس دقيقاً دائماً، ولكنه كان دائماً بطرح أشياء جديدة.

في أحد الاجتماعات في غرفة الأوضاع في البيت الأبيض اقترح كلاريدج زرع الألغام في مرفأ نيكاراغوا. وكان يعرف عن فعالية الألغام المائية من دراسة عن الحرب الروسية

اليابانية عام ١٩٠٤ - ١٩٠٥ في جامعة كولومبيا - مؤسسة الدراسات الروسية. ففي تلك الحرب قتل القائد البحري الروسي عندما انفجر لغم أدى إلى إغراق زورقه. اقترح كلاريدج برنامج الألغام محدود يهدف إلى تخويف المكسيكيين والآخرين الذين يزودون نيكاراغوا بالنفط لأن إغراق السفن لم يكن الهدف المطلوب. لكن شركة لويذر للتأمين في لندن ستؤثف حتى عن تأمين السفن المتجهة إلى المرفأ الملغمة أو تزيد من أسعار التأمين لتجعل الدخول إلى تلك المرفأ صعباً جداً.

قال موتلي إنهم بحاجة إلى لغم خفيف يحدث دويًا عالياً. وافق فريق العمل على زرع الألغام ذات قوة تفجير ضعيفة وتحدث دويًا هائلاً. اصطحب موتلي كلاريدج إلى مكتبه في الطابق السادس في مبنى وزارة الخارجية لجلسة من عشرين سؤالاً. حسنًا يا ديوي أخبرنا فقط مرة أخرى كيف يعمل هذا؟ وكان لكلاريدج أجوبته.

مرة ثانية كان كايسي قادراً على أن يقدم الخطة إلى الرئيس وإلى كلارك بشكل روتيني أي بتوسيع منطقي للذاكرة استخبارية كان الرئيس قد وضعها. لم يكن شولتز في الاجتماع وعندما أعلمه موتلي فيها بعد اثني عليه.

سرعان ما علم عناصر الفريق أن ترسانة الأسلحة الأميركية تحتوي على الألغام وحشية معدة لإغراق السفن. لهذا قامت وكالة المخابرات المركزية بتكليف مصنع سابق لشركة مارتن ماريتا في كارولينا حيث يمكن صنع الألغام عملية نارية وبعضها يحتوي على ٣٠٠ رطل من المتفجرات.

استأجرت الوكالة مركباً بحرياً كبيراً فيه مسطح يتسع لطائرتي هليكوبتر ليعمل كسفينة أم تنطلق منها الزوارق السريعة وطائرات الهليكوبتر لزراعة الألغام. وستصبح هذه السفينة جزيرة عملانية في المياه الدولية.

رأى كايسي أن أحد حلفائه الحيويين في البيت الأبيض وهو مستشار شؤون الأمن القومي وليام كلارك بنهار. كان كلارك رجلاً مرفهاً وقد شيع من خلاقات الأركان داخل البيت الأبيض التي غالباً ما كانت تؤدي إلى بقاته إلى آخر الليل وإلى إصابته بصداق الدم. لقد كان على خلاف مع ديفر وعلم بأن باكر ودارمان كانا ينتقدانه بصورة وقحة، أحياناً في وجهه، ومعظم الأحيان من وراء ظهره.

في ١٣ تشرين الأول/أكتوبر أذهل الرئيس ريغان واشنطن عندما أصدر قراراً بتعيين كلارك وزيراً للدخالية بدلاً من جيمس وات الذي استقال بعدما طلب منه الرئيس ذلك. قال كايسي عن كلارك: «كان بيل يجب الدواجن وأعطاه الرئيس أكبر مزرعة في البلاد».

كان كايسي يعتقد بأن عدداً كبيراً من هؤلاء الكاليفورنيين غير جديين. والآن صار اتصال كايسي بالبيت الأبيض من خلال ميز الذي كان فوضوياً ودولان الذي كان دائماً بعيداً عن موقع الأحداث. بدأ كايسي يقوم بأعمال اللوي من أجل تعيين جين كيركباتريك السفيرة

في الأمم المتحدة مكان كلارك. أراد من مستشار الأمن القومي أن يكون محافظاً وإذا استطاع الثلاثي باكر وديفر ودارمان زرع واحد من قبلهم في هذه الوظيفة فإن وكالة المخابرات المركزية ستضعف حتى.

بعد عدة أيام كان كايبي في اجتماع مجموعة تخطيط الأمن القومي حول الشرق الأوسط عندما بدأ كلارك بتعريض ملاحظة مكتوبة على المجتمعين. كان ذلك عملاً غير عادي ورأى كايبي في الملاحظة قنبلة يدوية قد نزع صاعقتها. وعندما وصلته قرأها بذهول وارتباك. لقد قرر الرئيس أن يستغل رجول كلارك لإعادة تنظيم أركان البيت الأبيض. سيصبح باكر المستشار الجديد لشؤون الأمن القومي ودارمان نائبه وديفر الرئيس الجديد لأركان البيت الأبيض.

بعد اجتماع مجموعة تخطيط الأمن القومي انضم كايبي إلى كلارك وميزر ووينرغر وطلبوا اجتماعاً مع الرئيس. تكلم كل من كلارك وميزر وطويل، وأخذ وينرغر وكايبي دور المساندة، ولكن الجميع قالوا للرئيس إن هذه التعيينات سترسل إشارات خاطئة إلى السوفييت. كان باكر معتدلاً، وليس محافظاً حقيقياً، وكان دارمان ليبرالياً ومرادفاً لأليوت ريتشاردسون سكرتير نيكسون. ولن يستطيع جميعهم العمل بوجود هؤلاء في هذه الوظائف. كان كايبي متخوفاً من تعيين باكر مستشاراً لشؤون الأمن القومي لأن ذلك لا يطابق، وقال للرئيس وصوته يرتعش دائماً إن مستشار شؤون الأمن القومي كان في بعض الحالات قناة اتصال مدير المخابرات المركزية بالبيت الأبيض. إن هذه التعيينات تنسف جميع الجهود لتقوية خط ريفان في السياسة الخارجية واقترح كايبي كيركباتريك مرة ثانية.

قال الرئيس الذي كان يواجه أربعة من مستشاريه الكبار على شفير التهديد بالاستقالة إنه سيستظر قبل اتخاذ قراره النهائي.

علم باكر أن الجناح اليميني تكتل ضده، وعندما يصبح مستشاراً لشؤون الأمن القومي عليه أن يمر على كل قضية ورقة عباد الشمس(*) المحافظة. ذهب باكر إلى المكتب البيضاوي فيها بعد واقترح على ريفان أن ينسب الفكرة.

قال الرئيس: شكراً، وكان من الأفضل أن يبقى باكر رئيساً للأركان خلال الحملة الانتخابية الرئاسية القادمة.

واصل كايبي حملته من أجل تعيين كيركباتريك، وزارها في منزلها في بنسدا حين كانت تستريح بعد إصابته ببرد قارس. كانت السفارة في الأمم المتحدة قد لفت نفسها بحرامات، وأخذت حيواً ضد البرد وكانت تقرأ لالكي دي توكفيل. بدا وكأنها لم تحصل على الوظيفة، وحثها كايبي على أن تحصل على وظيفة في البيت الأبيض كمستشارة كبيرة مثل

(*) ورقة عباد الشمس: هي ورقة تنفس في أي مادة فندم ما إذا كانت من الخواص أو من الفلويات، ونستعمل هنا بشكل مجازي.

ميزر. إن المحافظين يحتاجون إليها هناك. وإذا لم يتيه المحافظون لأنفسهم فقد يفوقهم البراغياتيون عدداً.

اشتكت كيركباتريك من المعاملة الدنيئة. لم يكن لها اتصال مباشر مع الرئيس وكانت التسيريات تأتي من عدة أمكنة ومنها ما يقول إنها ستقال من وظيفتها في الأمم المتحدة. طلب كايبي منها أن تتجاهل التسيريات.

بعد برهة وافق اللعابين الرئسيان كلارك وباكر على مرشح تسوية هو روبرت مكفرلين وهو الشخص رقم ٢ في مجلس الأمن القومي. صادق الرئيس على التسوية. شعر كايبي أن فرصته لوضع امرأة في واجهة سياسة كايبي الخارجية قد ضاعت. كان مكفرلين بطيئاً. وهو ضابط سابق في مشاة البحرية برتبة مقدم، وكان مساعداً عسكرياً لكينجسبر لدة ستين ونصف، وعمل أيضاً كركن في لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ. وسيؤدي تعيينه إلى إطلاق يد باكر الذي كان يرغب في أن يصيغ السياسة الخارجية لتلائم الكونغرس.

في ١٧ تشرين الأول/أكتوبر أعلن ريفان تعيين مكفرلين مستشاراً لشؤون الأمن القومي، وأمضى الساعات التالية يلاطف كيركباتريك التي صرحت بأنها تريد أن تبقى في الأمم المتحدة.

في اليوم السابق كان قد قُتل سادس عنصر في مشاة البحرية الأمريكية في لبنان ورسال أحد الصحافيين الرئيس ريفان: لماذا تبقى وحدات مشاة البحرية التي يبلغ عددها ١٢٠٠ عنصر في لبنان؟ أجاب ريفان بترية قوية: «لأنني أعتقد أن ذلك حيوي لأمن الولايات المتحدة والعالم الغربي».

بعد ستة أيام في ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر يوم الأحد حوالي الساعة ٦،٢٢ صباحاً بتوقيت بيروت تقدمت شاحنة مرسيدس كبيرة صفراء اللون باتجاه مركز قيادة مشاة البحرية في لبنان وانفجرت، وكان فيها ١٢ ألف رطل من مادة تي. إن. تي الشديدة الانفجار وقتلت ٢٤١ عسكرياً أميركياً.

منذ أكثر من سنة وفي ٢٣ غوز/ يوليو ١٩٨٢ كان أحد التقديرات قد حذر من أن قوات حفظ السلام في لبنان قد تواجه مشاكل سياسية وعسكرية عسيرة. وتبين لكايبي أن وكالات الاستخبارات قد أمنت أكثر من مائة تحذير من تفجير سيارات مفخخة في الأشهر الستة التي سبقت انفجار السفارة الأمريكية. والأسوأ من ذلك أن كايبي قد أرسل بعض ضباط وكالة المخابرات المركزية، بعد انفجار السفارة، لإجراء تحقيق وأنهم الصقوا التهمة بالمخابرات السورية. وقد استعمل أحد ضباط وكالة المخابرات المركزية معدات اللسع الكهربائي أثناء التحقيق مع المشيويين بغية الحصول على اعترافات مما أدى إلى وفاة أحد المشيويين. كان يجب طرد هذا الضابط لأنه جعل التحقيق دون فائدة.

كان موت هذا العدد الكبير من العسكريين الأميركيين صدمة كبيرة سياسية وطنية وعاطفية للإدارة. طلب كايبي من الموساد والاستخبارات العسكرية الإسرائيلية المساعدة في التحقيق. القسم السري ٤٠ وهو منسق الاستخبارات المتعلقة بالإرهاب ركز على الموضوع. كانت المخابرات الإسرائيلية على علم السنين ركزت انتباهها على المصادر الاستخبارية البشرية داخل سوريا. كانت هذه المصادر أكثر الناس خطراً وتعقيداً، وتخضع الناس بأعلام كاذبة. إنهم عملاء الموساد الذين انتحلوا صفة رجال أعمال من لبنان أو من بعض الدول العربية وأوروبا، ليس فقط أوروبا الغربية بل أوروبا الشرقية أيضاً. وكان العملاء الإسرائيليون ينتحلون صفة مواطنين سوفييت. كان هؤلاء العملاء يصرفون مبالغ ضخمة من المال بحثاً عن المعلومات. كانت الجهود كبيرة والتكاليف كثيرة لأن الخطر كان شديداً ويسمى مصر إسرائيل. وكانت نتيجة هذه الاستخبارات ملحوظة.

سرعان ما أرسلت إسرائيل إلى وكالة المخابرات المركزية معلومات تتحدث عن ارتباط مقاتلي الموت في بيروت بإيران ويسويروا. ومن ضمن هذه المعلومات:

- دفعة من ١٥٠ ألف دولار لرجل مال لبناني في الظل، وهو جاسوس يدعى حسن حمزة، قبضها من السفارة الإيرانية في دمشق التي غالباً ما كانت تسمى: «مركز عقل إيران الخارجي».

- يعتقد بأن ضابطاً في المخابرات السورية برتبة مقدم قد تورط في التخطيط للهجوم.

كما تمت ملاحقة رجل كبير السن يرتدي رداء بنياً يضع عمامة سوداء على رأسه شوهد يتوجه إلى جمعية الصداقة الفلسطينية - السوفياتية في دمشق حيث قدم شرحاً عن الهجمات قبل التفجير بثلاثة أيام. استطاع الإسرائيليون تحديد ١٣ شخصاً في تفجير مقر مشاة البحرية وتفجير مركز القيادة العسكرية الفرنسية في بيروت الذي حدث في النهار نفسه وأدى إلى مقتل ٥٨ جندياً فرنسياً.

نأثر كايبي بهذه الأدلة، ولكن خبراء مديرية العمليات كانوا أقل تأثراً ومن ضمنهم رئيس فرقة الشرق الأدنى تشارلز كوغان وديك هول وهو ضابط عمليات كبير. قالوا إن المصادر البشرية يحتمل أن تكون جيدة ولكن لا يوجد أي وسيلة للتأكد. كان في التعابير العامة مثل المخابرات السورية، الإيرانيون في دمشق، شيء من الصحة إلا أنه على حد قول هول «لا يوجد بندقية مدخنة» وذكر بأن المسؤولين الكبار الذين قيل إنهم تورطوا لهم غطاء دبلوماسي ويستعملون البريد الدبلوماسي والحقائب الدبلوماسية في اتصالاتهم.

في البيت الأبيض وافق ريغان على غارة انتقامية على وادي البقاع في لبنان معقل الإسرائيليين وتراجع في آخر دقيقة وترك ذلك للإسرائيليين والفرنسيين، الذين قصفوا منشآت عديدة لتدريب الإسرائيليين ومن ضمنها ما سمي بمستشفى الخميني. ادعى الإسرائيليون بأن مسجداً قد استخدم لتفخيخ السيارات ولكن لم يؤخذ ذلك بعين الاعتبار ولم يقصف المكان المقدس.

كان موتلي يشرف على العلاقات مع أكثر من ثلاثين دولة في أميركا اللاتينية (كل مكان له طابع بريد أو علم). وكان قد أمضى معظم الأيام العشرة الماضية يدرس وضع جزر غرانادا الصغيرة التي تبلغ مساحتها ١٣٣ ميلاً مربعاً ويبلغ عدد سكانها ١١٠ آلاف وتنتج ثلث الاستهلاك العالمي من جوز الطيب. أضحت هذه الجزر هاجساً صغيراً للرئيس، كان زعيمها موريس بيشوب وهو ماركسي موهوب بيتي مدرجاً بطول تسعة آلاف قدم، وكانت كوبا تساعده في ذلك، ووردت معلومات تقول إنه سمح للسوفييت باستخدامه.

اشتكى الرئيس ريغان علناً من التدخل العسكري الكوبي والسوفياتي في غرانادا، وأظهرت صور الاستطلاع الفوتوغرافية الشككات الكوبية وعصمته بناء مدرج الطائرات. تخوفت الإدارة الأميركية من تشكيل مثلث أحر في نصف الكرة: كوبا في الشمال ونيكاراغوا في الغرب وغانادا في الشرق على بعد تسعين ميلاً من حدود الولايات المتحدة إلى الجنوب.

وضع موتلي نفسه في حال إنذار عندما قامت مجموعة من المتطرفين الذين أقادت وكالة المخابرات المركزية بأنهم قريبون من كوبا باقتلاع عسكري في ١٩ تشرين الأول/أكتوبر وأعدمت بيشوب. وفرض اليساريون الجدد نظام منع التجول لمدة ٢٤ ساعة في اليوم كما طبقوا الحكم العرفي في الجزر. دعا موتلي مجموعة الأزمات إلى اجتناب في وزارة الخارجية، وكان الاهتمام الفوري منصباً على معرفة مصير ١٠٠٠ مواطن أميركي معظمهم من الطلاب كانوا في الجزر. لم تستطع وزارة الخارجية الاتصال بأحد من الذين يقولون إنهم يمثلون الحكومة الجديدة كما لم يعلن أحد أنه يمثل تلك الحكومة. ومن دون حكومة لن يكون هناك دبلوماسية. بادر موتلي إلى إجراء اتصالات مع الكنديين والبريطانيين لدرس إمكانية إجراء عملية إخلاء مشتركة لمواطنيهم. لم تؤد الجهود المبذولة لإجراء اتصال دبلوماسي مع الجزيرة إلى أي نتيجة ولم يكن لوكالة المخابرات المركزية أي مصدر للمعلومات في الجزيرة، وبدأ المسؤولون الأميركيون يتخيلون أسوأ الاحتمالات لأن حكومتهم لا تعرف شيئاً عما يجري.

كان قسطنطين منج قد مكث عدة شهور في وكالة المخابرات المركزية قبل أن ينتقل إلى مركزه الجديد في مجلس الأمن القومي منذ أسبوعين ليترأس قسم أميركا اللاتينية. وقد أصيب بخيبة أمل عميقة فهو قد تولى مركزه تحت أمرة كلارك الذي كان يعتبره بديلاً لتسويات وزارة الرئيس، وعليه أن يعمل الآن تحت أمرة مكفرلين الذي كان يعتبره بديلاً لتسويات وزارة الخارجية. شعر منج بأن مكفرلين لم يكن ريغانياً وبأنه كان يحتاج إلى شجاعة أكبر ليكون مستشاراً حقيقياً لشؤون الأمن القومي. في أوائل أيامه انقبض منج من جراء أزمة غرانادا وأعد خطة مرجحة لحماية المواطنين الأميركيين هناك. نظر مكفرلين إلى هذه الخطة بشيء من التعجب ولكنه وافق على أخذها بعين الاعتبار. اشترك مع منج في إعداد الخطة بعض أصدقائه المشددين في وزارة الدفاع، وحذره أحد المسؤولين من أن مكفرلين قد يتخذ ذلك حجة لتغييره. عرض منج الخطة على الكولونيل أوليفر نورث. كان نورث شكاكاً. وكان

هناك تردد في الإدارة، ووزارة الخارجية تحيد المفاوضات. أطلع منج كايبي على خطته وقال مدير المخابرات المركزية إنها تبدو جيدة.

اقتنع منج بأن السوفيات كانوا يعتزمون استعمال غراناذا وعرفها الذي يمتاز بعمق مياه ومدرجها الجديد كجزيرة- قاعدة للصواريخ السوفياتية النووية أو للغواصات أو للطائرات.

وافق مكفرلين على حضور أكثر اجتماعات الإدارة سرية لدراسة الأزمة، وكان هذا الاجتماع يسمى مجموعة تخطيط الأزمات وذلك حول قضية غراناذا. في ذلك المساء وحوالي الساعة ٦,٣٠ تكلم منج مع كايبي على الهاتف الآمن. وكان المدير على وشك أن يغادر في رحلة إلى خارج البلاد. قال منج إنه قدم الحظوة إلى مكفرلين وإن الأخير وافق على حضور اجتماع مجموعة تخطيط الأزمات، ويعتدل أن يعرض الحظوة على الرئيس وحده، وذلك يحيط من قدر منج.

في صباح اليوم التالي ٢٠ تشرين الأول/ أكتوبر جمع نائب مكفرلين الأدميرال جون بواندكستر مجموعة تخطيط الأزمات ومن ضمنهم موتلي ومنج ونورث وكلايدج ومسؤولون كبار في وزارة الدفاع. ولتقليل الانتباه اجتمعت المجموعة في الغرفة ٢٠٨ في أحدث مركز عمليات تقني يتضمن أكثر الكومبيوترات تقدماً، وأجهزة اتصال سمعية بصرية آمنة.

أظهرت المعلومات أن سفينة نقل كوية اسمها «فيتنام البلهة» كانت ترسو في مرفأ الجزيرة. قال منج إن كاسترو يملك جيشاً عديده ٣٠٠ ألف رجل ويملكه أن ينقل الآلاف جواً إلى غراناذا في وقت قصير، واقترح تنفيذ عملية إنقاذ واقتحام. وقال: علينا أن نستغل هذه الفرصة للمحافظة على الديمقراطية في هذا البلد. وأضاف: إذا لم نتحرك فإن هذه الجزر تصبح قاعدة شيوعية للسلطة النووية.

الساعة السادسة مساء ترأس نائب الرئيس بوش اجتماعاً لمجموعة الأوضاع الخاصة وهي أعلى هيئة لإدارة الأزمات في إدارة ريغان.

انتاب الجميع الحوف من حكومة يسارية جديدة قد تحتجز رهائن أميركية كما حصل في إيران. وتم درس احتيال «الانتزاع بالقوة» واحتيال «ضربة جراحية».

أراد مكفرلين أن يبقى الأسطول المخصص للبيان والمؤلف من ٢١ سفينة من ضمنها حاملة الطائرات أندربندس على طريق يمكن أن توصله إلى الكاريبي عند الحاجة. رفضت رئاسة الأركان المشتركة تنفيذ ذلك دون أمر رئاسي. وقال مكفرلين إنه من الجنون أن يطلب أمر رئاسي كي تسير مجموعة حاملة الطائرات في اتجاه معين. وأصر رئيس الأركان المشتركة على رأيه بعناد.

نظم مكفرلين أمراً ووقعه الرئيس ريغان، وأبقي الأسطول البحري الصغير جاهزاً من أجل الكاريبي. في البلد عارض الجنرال غوسيه رئيس الأركان المشتركة العمل العسكري،

ولكن عندما تبين أن إنقاذ المواطنين الأميركيين سيتم من أماكن عديدة على الجزيرة، قال رئيس الأركان المشتركة إنه من الضروري القيام بعملية إنقاذ في الجزيرة كلها. اقترح منج على دارمان المحافظة على الديمقراطية، وكان يأمل في أن يخفف من صلابه جيم باكر. من خلال خدمته لمدة سنتين في وكالة المخابرات المركزية كانت له آراء منها أنه لم يتخذ أي إجراء كرد على العدوان الكوبي المستمر منذ السبعينات عندما أرسل كاسترو الآلاف من جنوده إلى إفريقيا (أنغولا والموزامبيق وأثيوبيا). ومنذ ثورة نيكاراغوا عام ١٩٧٩ كان واضحاً أن هناك هدفاً تالياً في هذا النصف من الكرة. وكانت هذه فرصة لا تترك، فالجزيرة صغيرة والعملية سهلة التدبير. رأى كايبي وشولتز أن الفرصة سانحة، فعدم وجود حكومة في غراناذا يسمح بتنفيذ معاهدات أمن مشترك كانت الولايات المتحدة قد عقدتها مع بعض الجزر الكاريبية الصغيرة.

قال كايبي: «هاي، تبا لها، دعنا نتخلص من هؤلاء الأوغاد».

كان شولتز في البدء ميالاً إلى مشروع أقل طموحاً، ولكنه عاد وحيد الإعداد لعمل عسكري محتمل، ووافق على ذلك بقية أعضاء حكومة ريغان وكبار مستشاريه الذين غالباً ما كانوا منقسمين.

كانت الإدارة تحتاج إلى أرض أصلب وإلى شرعية أكبر. إن مدرج الـ ٩٠٠ قدم والخوف على الألف أميركي وعدم وجود حكومة لا يبرر عملية شاملة. كما أن المستشارين القانونيين قد رفضوا خرق القانون الدولي.

في اليوم التالي الجمعة ٢١ تشرين الأول/ أكتوبر ظهر الحل على السطح. كانت رئيسة وزراء الدومينيكا جويجينا شارلز ترأس منظمة دول شرق الكاريبي والتي كانت تجمع في ذلك النهار في باربادوس. أرسلت كلمة إلى المجتمعين تقول إن رغبة الأميركيين في التدخل العسكري يمكن أن تزداد إذا طلب المجتمعون ذلك. قررت المنظمة أن توجه طلباً إلى الولايات المتحدة للمساعدة على حفظ الأمن والديمقراطية في غراناذا. وصل الطلب الشفهي إلى البيت الأبيض الذي رد بأنه يريد طلباً خطياً رسمياً بالتدخل.

أما جويجينا شارلز فهي تبلغ ٦٤ سنة من العمر وهي عاطفية مع الأميركيين وقد اعتبر موتلي أنها جعلت رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر تبدو مثل المرأة الصغيرة. واعتبرها منج جين كيركباتريك الكاريبي. عام ١٩٨٢ بدأت الولايات المتحدة بتسويق إنشاء طريق بطول ٣٠ ميلاً وكلفته ١٠ ملايين من الدولارات في الدومينيكا.

أظهرت سجلات وكالة المخابرات الأميركية أن مبلغ ١٠٠ ألف دولار قد دفع لحكومة الدومينيكا في عملية دعم خفية، واعتبر هذا المبلغ دعماً إضافياً. أحد الشيوخ في لجنة الاستخبارات اعتبر ذلك بمثابة إيفاء للدين، إلا أن شارلز أنكرت بشدة علمها بأي دفعة مالية مباشرة لها أو لحزبها أو لحكومتها. قالت إن قرارها بطلب تدخل الولايات المتحدة كان

مبنياً على تفويضها وتوقيع زعماء الجزر المنضوية في المنظمة وهي أنتيغو وسان لوسيا وسان فنسنت.

في ذلك المساء أمضى منج ونورث ثلاث ساعات في إعداد قرار أممي للرئيس، وذلك ليعطي الأوامر بالغزو، وأرسله إلى ريفان وشولتز ومكفرلين الذين كانوا يلعبون الغولف في أوغوستا في ولاية جورجيا في عطلة نهاية الأسبوع. ولم يقع ريفان القرار. حدث منج مجلس الأمن القومي على أن يحضر ردود الفعل على التحركات السوفياتية المحتملة. قال: «يُحتمل أن يقوم الليون بشن هجوم إرهابي، ويمكن أن يتحرك الروس في برلين أو في كوريا. اتصل بموتلي على الهاتف الآمن وقال له إن هذا الغزو سيرد سورينام عن الاقتراب من كوبا».

في الساعة التاسعة من صباح السبت ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر اجتمع مجلس الأمن القومي في واشنطن. بوش وبواندكستر ومكاهون وموتلي ومنج ونورث اجتمعوا في الغرفة ٢٠٨، واشترك الرئيس ريفان ووزير الخارجية شولتز ومكفرلين من جورجيا مستخدمين ساعات هاتفية آمنة. وحوالي الساعة ١١،٣٠ كان هناك إجماع كامل.

في اليوم التالي ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر أرسلت منظمة شارلز طلباً خطياً من ثنائي نقاط للتدخل. وكان موت العسكريين الأميركيين في لبنان (هذا العدد الكبير لم يفقد منذ حرب فيتنام) بمثابة عاصفة هبت على ريفان الذي أدرك أنه القائد الأعلى للقوات المسلحة وانتابه شعور بأن قوى اليسار كانت تعمل بشكل منسق. الإرهابيون في لبنان والشيعيون في غراناذا. وفي ذلك النهار وقع الأمر الرسمي لغزو غراناذا.

كان لكايبي «ضابط حالة» وهو إحدى النساء القليلات في مديرية العمليات التي ذهبت إلى غراناذا في مهمة مراقبة منذ بضعة أسابيع ثم أرسلت مرة ثانية لتجميع المعلومات قبل الغزو. كان هذا أول تدخل عسكري واسع النطاق في هذا النصف من الكرة منذ غزو الدومينيك عام ١٩٦٥.

في اليوم التالي توجهت شارلز إلى واشنطن جواً بطريقة سرية وعلى متن طائرة حكومية أميركية.

قلق نورث من أن تفجير بيروت قد يمتص كل الاحتمالات وقد يكون سبباً لإلغاء الغزو، ويات الليل في مكتبه.

صباح ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر بدأت القوات الأميركية عملية الإنزال بالاشتراك مع مئات من جنود الدول التي طلبت الغزو، وواجهت مقاومة عنيفة. لم تحذر المعلومات من وجود الأسلحة المضادة للطائرات، ولذلك أسقطت ثلاث طائرات هليكوبتر أميركية. كانت النتيجة قتل ١٩ عسكرياً أميركياً وجرح ١٥.

الساعة ٧،٣٠ من ذلك الصباح كانت نار غير عادية تشتعل في مدفأة المكتب

البيضاوي. اجتمع ريفان وشولتز ومكفرلين ومنج لمدة نصف ساعة مع رئيسة الوزراء شارلز على عصير قهوة. طلب منها الرئيس أن تشارك معه في مؤتمر صحافي في ذلك الصباح ووافقت على طلبه. اصطحبها منج إلى غرفة طعام البيت الأبيض حيث قال لها إن الأوساط الصحافية الأميركية قد تبدو عدوة وسلبية وصعبة، وساعدها على تحضير الأجوبة لتواجه تشكيك الصحافيين.

في آخر دقيقة حذفت وزارة الخارجية من تصريح الرئيس كلمة المحافظة على الديمقراطية كسبب للغزو. اعترض منج لأن غياب هذه الكلمة يظهر أن الإدارة تريد حكومة يمينية على الجزيرة، ثم أعيدت الكلمة. الساعة ٩ والدقيقة ٧ ظهر الرئيس في غرفة الصحافة ليعلم عن الغزو.

قال: «في الصباح الباكر لهذا اليوم بدأت وحدات عسكرية من ست ديموقراطيات كاريبية ومن الولايات المتحدة بالإنزال». وأول سبب أعطاه لتبرير هذه العملية هو الطلب العاجل والرسمي من خمس دول أعضاء في منظمة دول الكاريبي التي ترأسها شارلز. ثم قدمها ريفان إلى الصحافيين، فظهرت إلى جانبه، وقالت: «إنها ليست مسألة غزو. إنها مسألة منع هذا الشيء أي الماركسية من الانتشار في جميع الجزر».

كان هذا العرض المثير في البيت الأبيض والخطابات والمقابلات الأخرى ضربة كبيرة في العلاقات العامة لصالح البيت الأبيض. بعد ذلك شاهد ريفان شريط فيديو لظهوره مع شارلز. قال الرئيس: «واو... إنها كانت عظيمة».

اكتشف منج أن نورث لم يكن مفتاح عملية غراناذا فقط، بل كان الضابط الأساسي في جميع عمليات دعم المقاومة المسلحة ومن ضمنها الكونترا.

كانت أقسام مجلس الأمن القومي محظورة على غير العاملين فيها، ولم يتورط أحد إلا مكفرلين وبواندكستر. لقد عمدت المذكرات والرسائل على مستوى ضيق جداً، وكترينيس تقسم أميركا اللاتينية، كان لمنج فكرة ضئيلة عما يحدث. كان نورث يعمل بصورة غير معقولة لمدة ٨٥ إلى ٩٠ ساعة في الأسبوع، وقال له منج في أحد الأيام: «أولاً (١) لك أربعة أطفال مدهشين ونحن لسنا في حالة حرب. لماذا لا نغني وتك مع هؤلاء الأطفال الرائعين؟ اجابه نورث: «أنت على حق. الأسبوع القادم».

مساء الخميس ٢٧ تشرين الأول/أكتوبر أي بعد أربعة أيام فقط على تفجير مقر قيادة مشاة البحرية الأميركية في بيروت وبعد يومين على عملية غراناذا وافق كايبي على تناول طعام العشاء معي (٢). كنت قد دعوتني إلى منزلي ولكنه فضل أن أذهب إلى منزله. اتصل بي سكرتيرتي وأبلغني أن أحضر الساعة ٦،٣٠ بعد الظهر وأعطاني عنوانه في طريق فوكسهال في

(١) اسم الدلع لأوليفر.

(٢) المؤلف وودورد.

شمال غرب واشنطن وكان من المقرر أن يلتقي الرئيس ريغان في تلك الليلة خطاباً متلفزاً إلى الأمة حول لبنان وغاناداً.

فتح الباب شاب يرتدي بزة قاتمة اللون وهو من حراس الأمن في وكالة المخابرات المركزية. في منزل كايسي القرميدي وعند غروب الشمس تقريباً، ظهر المدير في هيو صغير وقدم نحيات لي ونزل خطوة على درج وقال: «نريد أن نذهب إلى تحت لتناول كأساً قبل العشاء». مشينا عبر ثلاث غرف جلوس مؤتة بشكل جميل. كان الثراء والذوق الرفيع واضحين. ظهرت الرسوم الجميلة على الكراسي والكتب والرسوم الشرقية على السجاد. توقفنا في الغرفة الثالثة أو الرابعة، وهي غرفة صغيرة. أحضر كايسي ويسكي مع صودا وجلسنا على زوج من الكراسي في جانب من الغرفة. جلس كايسي بهدوء ساكناً وهو يسك بالكأس.

قال: نعود إلى الستينات عندما كان ألين دالاس مديراً للمخابرات المركزية وديك(*) هلمز معاونه في إحدى وظائف العمليات أو غيرها... كان القلق سائداً من أن عناصر وكالة المخابرات المركزية يتركونها بسبب ضالة رواتبهم. وقد دعاني هلمز إلى الوكالة حيث كانت تعد نفقة خاصة لدعم العاملين والعلماء بقروض من أجل الدراسة الجامعية وشؤون أخرى». أضاف كايسي بأنه ساهم بشيء من هذه النفقة. كان عدد كبير من الموظفين يتركون. وقال: لقد سألت هلمز لماذا لم يترك؟ فأجابني: عندما تجلس هنا كل يوم وترى كل هذا وترى ما يفعله الروس تشعر... توقف ثم تابع... تشعر بأنك محاصر ولا تستطيع أن تترك. حرك كايسي قطع التلجج في كأس الكريستال وقد بدا أنه لم يكن يريد استعمال كلمة «محاصر» ولكن الشعور كان صحيحاً وهز رأسه.

ماذا عن وجهة نظر جورج كينان في أننا لا نفهم السوفييات وأن هناك سرعة غيبة نحو الحرب، وأنها ستوقف حتماً، وأنا أسأنا قراءة وفهم بعضنا؟

قال كايسي: أه، نعم. كان حازماً حيال الروس. لقد أخذوا سبعة بلدان أو ثمانية قبل وصول ريغان، ثم قال بحساسة: غرانادا هي أول تراجع لهم منذ الحرب العالمية الثانية باستثناء تشيلي عندما أطيح بالرئيس البندي عام ١٩٧٣ (نسي أن يذكر مصر). قال كايسي انظر إنها المرة الأولى التي نطرح فيها نظام شيوعي، وقد ظهر أسوأ مما توقعنا. لقد عثر على مستندات سرية مفهخة وكان علينا أن ننزع القليل منها لنحصل عليها سالمة، وقد حصلنا على كمية كبيرة من الوثائق.

في السابق كنا نعتقد بأن هناك حوالي ٦٠٠ كوبي على الجزيرة. ثم قيل إن عددهم ٧٠٠، ولكن لدينا الآن تقارير من قوة الغزو تفيد بأن العدد قد يصل إلى ١٠٠٠. الكوبيون

(*) ديك اسم الدلع لرينشارد.

في غرانادا هم عيال بناء مثل عيال البحرية الأمريكية ومقاتلون أيضاً. كان للعمال الكوبيين حالات خاصة للينادق الـ ٤٧ الأتوماتيكية. وعثر على معدات اتصال للإرهابيين. قال: الكوبيون في غرانادا يشكلون ١٪ من عدد السكان الذي يبلغ ١٠٠ ألف، والعدد الموازي لهذه النسبة في الولايات المتحدة يربو عن المليونين. هل تتسامح مع ميليشيا أجنبية أو مع افواج نظامية بهذا الحجم؟

قال كايسي: كان هناك مؤسسة كوبية للتدريب وقد خرج ثلاثة دبلوماسيين سوفييات من سفارتهم في غرانادا وهم يرفعون الأعلام البيضاء وقالوا إن عدهم مع عائلاتهم كان ٤٩ سوفيائياً. كان هناك أيضاً حوالي ٢٠ دبلوماسياً من كوريا الشمالية أحدهم رفيع المستوى. وكذلك بعض الألمان الشرقيين. كانوا جميعاً في السفارة السوفيائية. هذه الأرقام العالية نسبياً كانت عادية عندما كان السوفييات يعمدون إلى دولة أخرى بأن تكون وكيلة لهم أو تابعة لتفوذهم. كان هناك أيضاً عدد من عملاء المخابرات السوفيائية في الجزيرة.

لقد فعل السوفييات ما فعلوه في أفغانستان عام ١٩٧٩ عندما اختلفوا مع ديتهم وقتلوه واستبدلوه. لقد أرسل السوفييات «فرق اغتيال» وقتلوا موريس بيشوب. أضاف كايسي: هذه المسألة حقيقية فعلاً. توقف، ثم هز رأسه كأنه يريد أن يؤكد ذلك، وفجأة وقف بسرعة واقترح علي أن نذهب إلى الطابق العلوي لنبدأ بتناول الطعام. كان في غرفة الطعام ثلاث كراسي ثم حضرت امرأة في أواسط الثلاثينات ترتدي ثياباً جديدة.

قال كايسي: «هذه ابنتي برناديت»، وكانت برناديت ملقطة للنظر. كانت تعمل ممثلة تجارية في نيويورك وكانت تبدو متحضرة جداً، وقد أعدت شعرها ومكياجها بشكل تام. قال كايسي إن زوجته صوفيا كانت في منزلها في فلوريدا تشرف على التنظيف لأن بعض الأولاد تسلسوا إلى الكاراج وأضرمو فيه النار.

كانت برناديت قد طبخت شرائح من لحم الغنم. كانت وليمة بسيطة وجيدة. كان كايسي أكلوا شراً يسكب طعامه أولاً وخاصة شرائح الغنم. ظننت عدة مرات وأنا أحقق برناديت أنني أعرف هذه الابتسامة، ولكنها صدتني بعينيها الواسعتين عندما بدا كائي تجاوزت حدود اللياقة.

تحدث كايسي وقال: غرانادا، كانت شيئاً حدث خلال عطلة نهاية الأسبوع، كانت فرصة لإزاحة أشياء من طريقنا. كان القادة الجدد صغاراً ولم يملأوا أحداً غير أنفسهم. لم يكن الأرشفة آخر ما عثرنا عليه، ولكنه كان من النتائج الهامة للغزو. أرسلت وكالة المخابرات المركزية خمسة محققين إلى غرانادا ليتحدثوا مع الكوبيين. لقد علمنا الآن أن الكوبيين يمكن أن يقاتلوا أكثر مما نتوقع.

كان لهم ضباط كبار برتبة جنرال أو كولونيل في غرانادا. أضاف كايسي بأن فترة حوالى

سنة أشهر تازم لإعادة الديمقراطية، لكن ذلك سيحصل.

بقيت برناديت خارج الحديث. قال: يجب النظر إلى غراناذا من خلال الكاربي بكامله. السوفيات ينفقون ٤ مليارات دولار كل سنة في هذه المنطقة منها ٣ مليارات دولار لكوبا ومليار دولار لباقي المنطقة. إنه مبلغ كبير بالنسبة إلى السوفيات الذين يتراوح عدد جنودهم في كوبا بين ستة آلاف وسبعة آلاف عنصر. ولهذا يستطيع الكوبيون إرسال نفس العدد إلى نيكاراغوا أو هم يرسلونه فعلاً. والأنا علمنا أن هناك المزيد من الكوبيين في غراناذا وأكثر مما كنا نتوقع. ربما كان تقديرنا للتورط الكوبي والسوفياتي في ... توقف كايبي وأسرع في لفظ الكلمة، نيكاراوا أقل من الواقع. لقد أبلغ الكوبيون الذين أرسلوا إلى نيكاراغوا بوجود حلق لحامه المشابهة للحية كاسترو وإتلاف لباسهم العسكري وبأن ينخرطوا في الجيش النظامي النيكاراغوي. ونحن نعتقد بأن الكوبيين موجودون في كل وحدة من وحدات جيش نيكاراغوا. أما السوفيات والكوبيون فلمهم حوالي ١٢ ألف رجل منتشرين في أنحاء أميركا اللاتينية. أما الولايات المتحدة فتفتق حوالي ٤٠٠ مليون دولار ولها حوالي ١٠٠ مستشار في السلفادور. يجب تصحيح هذا الخلل في التوازن.

من أين يأتي هذا المبلغ: ٤ مليارات دولار؟

قال كايبي إنه رقم هش ولم تثبت صحته، وأضاف أن الدء مليارات دولار هو المبلغ المعتمد لدى الإدارة في تقديرها والذي تؤمن به.

كان كايبي قد قرأ مذكرات ليندون جونسون: «نقطة الأفضلية» حول غزو الدومينيكا عام ١٩٦٥، ووجد أسباباً للتدخل تشبه أسباب غراناذا. إن يخذل الشيوعية وأن يجمي الأميركيين. قال: كان غزو غراناذا هاماً لأنه يعتبر خطوة لتصحيح الإخلال بالتوازن الإقليمي، ولأنه رسالة إلى السوفيات وإلى الكوبيين.

قال كايبي: «يعني أننا يمكن أن نضرب ب نيكاراغوا» وأكد بشدة على كلمة نضرب. وفي نفس الوقت سيزيد السوفيات من حذرهم. إن هدفهم الشامل في هذا النصف من الكرة هو أن نحول انتباهنا عن أرض المعركة الحقيقية، الشرق الأوسط. قال ذلك وكأنه كان واضحاً. إن الرهان الاستراتيجي وحول النفط جعلت الشرق الأوسط اهتمامنا الأول. انتهى العشاء والحلوى وكان كايبي يلعب بالآلة القضيبة. نظفت برناديت الطاولة وأحضرت القهوة. وقف كايبي واقترح أن نذهب إلى غرفة الجلسوس ونشاهد خطاب الرئيس الذي كان على وشك أن يبدأ.

وهكذا كان الكاربي ميدان اللعب والشرق الأوسط ميدان النزاع الحقيقي. كان هذا هو التقويم الحقيقي لكايبي. عدنا إلى الغرفة الصغيرة. كان هناك كرسيان أمام التلفزيون وكان علينا أن ننظر دقائق قليلة ليبدأ الخطاب. ماذا من أفغانستان، كيف كانت الحرب تجري؟ أنا لا أشير إلى الدعم السري لوكالة المخابرات المركزية. عيس كايبي وقال: سوف

يزيد السوفيات من قوتهم ويضعون الثوار.

ماذا عن الطائرة الكورية التي أسقطها الروس منذ شهرين؟ لقد قتل جميع الركاب (وعدهم ٢٦٩ ركباً) على متنها، وأعلن الرئيس حرباً أخلاقية على السوفيات، ووصف هذا العمل بالبربري.

كان جواب كايبي خالياً من التنميق. حسناً، آه، تحولت إلى غلطة من السوفيات لأنهم لم يعرفوا أي نوع من الطائرات قد دخل إلى أجوائهم الإقليمية. وبدأ غير قلق من تناقضه مع الرئيس.

- «إنه جنون!»، قال ذلك وعينه تتلألأ، وهز كتفيه وبدأ واثقاً من نفسه.

ظهر الرئيس على شاشة التلفزيون وكان جالساً وراء طاولة مكتبه في المكتب البيضاوي، ورفع كايبي صوت التلفزيون.

بدأ ريغان خطابه مشيراً إلى إسقاط الطائرة الكورية واصفاً هذا العمل بأنه مجزرة وحشية. لم يثأر كايبي وكانت نظرتة توحى بالاحترام بينما كان ريغان يتابع حديثه حول تفجير مقر مشاة البحرية في بيروت وغزو غراناذا. وجفل كايبي قليلاً عندما قال الرئيس إنه في اليوم السابق للغزو كان لدى الوحدات العسكرية الأميركية «معلومات قليلة عن الأوضاع على الجزيرة».

قال ريغان: «لا تقلقوا، لقد خطط العسكريون ونفذوا حملة رائعة، كان هناك بعض الخسائر القليلة»، لكنه لم يعط الرقم، وأضاف: «كانت غراناذا مستعمرة سوفياتية وكوبية وكانت قد بدأت تستعد لتصبح معقلاً عسكرياً لتصدير الإرهاب ومحاربة الديمقراطية. لقد وصلنا إليها في الوقت المناسب».

لم يظهر كايبي أي ردة فعل، مع أن كلمة ريغان كانت من أقوى وأروع كلماته. وافق كايبي على أن الولايات المتحدة قد وصلت إلى هناك في الوقت المناسب.

قال ريغان: «إن الأحداث في لبنان وغراناذا مرتبطة ببعضها البعض ارتباطاً وثيقاً رغم أن المحيطات تفصل بينهما». وأضاف أن موسكو لم تساعد أو تشجع على العنف في هذين البلدين، ولكنها تؤمن الدعم المباشر إلى شبكة من التابعين والإرهابيين.

عاطفي وبصوت مؤثر قال الرئيس: «والآن هل لي أن أخبركم شيئاً أظن أنكم تحبون معرفته؟ إنه شيء حدث لقائد مشاة البحرية الجنرال كلي عندما كان يزور جرحى مشاة البحرية. اقتطف ريغان من كلام كلي: «كان هناك جريح من مشاة البحرية في المستشفى ورأيت أنابيب تخرج من جسمه وتدخل إليه. لم يستطع أن يرى بشكل تام من جراء إصابته، انتزع نجومي الأربع من على كتفي ليتأكد أنني أنا من أقول إنه أنا، وأمسك قبضة يدي بشدة. ولم يستطع الكلام. وضعت له قبضامة ورق في يده وكتب Semper Fi وشرح ريغان أن ذلك اختصار لشعار مشاة البحرية Semper Fidelis أي «مخلص دائماً».

كان الجنرال كيبي مشهوراً جداً ومن مشاة البحرية الفُلسة ولكنه بكى عندما رأى هذه الكليات ولن يلوّمه أحد على ذلك.

كان كايسي شادراً.

انتهى ريفان بكلام عن الشرف والمثل والوطن والتضحية والله والصلاة والحرية، كان الخطاب الذي استغرق ٢٧ دقيقة مثيراً جداً.

سأل كايسي: هل تعلم من كتب هذا؟

قلت: أنت؟!

قال كايسي: رونالد ريفان، إنه كاتب موهوب واعتقد بأن هذا هو أفضل خطاب له. ثم أضاف وهو يبتدئ إعجابه دون ارتباك أو تردد: هل تعلم مدى الجهد المبذول لهذا الخطاب؟

كان دون شك خطاباً قوياً وذكياً. كما أن كل من سمع هذا الخطاب يلزمه وقت طويل لتمحي من ذهنه صورة جريح مشاة البحرية أو النجوم الأربع لقائد مشاة البحرية، أو ليسني معنى: Semper Paratus. ولكن ماذا عن الواقع؟ لقد جعل السوفييت والكرمين والإيرانيين خليطاً واحداً. وبدا كأنه يقول: إن مشاة البحرية والغزو كانوا الجواب الوحيد.

قال كايسي: «لم أرَ أحداً يتكلم بهذه السرعة، ويتكلم كثيراً دون تمثُّل».

ثم رافقني إلى الباب وقال إنه سيشهد أمام لجنة استخبارات مجلس الشيوخ في اليوم التالي.

ماذا غير ذلك؟

قال إنه سيلقي خطاباً خلال يومين في جامعة وستمنستر في ملتون في ولاية ميسوري حيث تلقى ونستون تشرشل منذ ٣٧ سنة خطابه الشهير حول الستار الحديدي بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. وسلمني نسخة عن الخطاب الذي يتألف من ١٨ صفحة ويحتوي على بضعة مقاطع مكتوبة بخط يده.

قلت: هل هناك أي شيء آخر؟

نظر إلي وتصلب وجهه وكأنه يقول لي حان الوقت لتذهب. حضرت برناديت وقالت: ليلة سعيدة.

بعد عدة سنوات أخبرني كايسي بفخر أن آرث بوزوالد ذكر برناديت في إحدى مقالاته قبل أن تصح زاويته في الصحيفة تمكينية ومرحة بشكل مثير. كان ذلك عام ١٩٥٦ عندما اصطحبها كايسي إلى المؤتمر الجمهوري في سان فرانسيسكو. كان عمرها ١٣ سنة وكانت في مقدمة الأطفال أمام إيزنهاور. حسناً، واقتطف بوزوالد من كلام برناديت قولها: ونحن فقط نجول ونحاول أن نتحدث إلى الناس كي يصبحوا جمهوريين... نحن نقول إنه أفضل

حزب». ماذا لو سألوها كيف تعلمت هذا؟ سألهما بوزوالد. قالت: «إن والذي قال لي هذا». في تلك الليلة طبعت مذكرات مفصلة حول المشاء والمناقشات. وبدا بشكل عام أن كايسي يقع في مكان ما بين خطابية ريفان وتحذيراته «الروس قادمون» من جهة، وبين تشكيك الصحافي من جهة أخرى. لقد امتنح خطاب الرئيس بوضوح وخصوصاً نظريته العالمية وشموليته، ولكن لم يُدَّ أنه كان فرحاً.

تضمن خطاب كايسي بعض الأمور الحساسة. كم سيرتبك تشرشل إذا ما أفاق ونظر إلى العالم ورأى كيف أن السوفييت قد زادوا من قوتهم وكم توسعت سلطتهم، وعدد خمس مناطق: فيتنام، أفغانستان، القرن الإفريقي (أثيوبيا والصومال)، جنوب إفريقيا (أنغولا) حيث ما تزال توصية كلارك تمنح الولايات المتحدة من تقديم الدعم الخفي، الكاريبي وأمريكا الوسطى.

بالعودة إلى لبنان وغانادا جاء في الخطاب: «لأسباب سوف تفهمونها، أنا لست في موقع التوسع في التفاصيل. ومثل أي صحافي جيد أنا مستعد لأن أدخل السجن من أجل أن أحمي مصاصدي».

«تشرشل سوف يحتفل بغانادا». وشبه كايسي ذلك بتهدية للفاشية في الثلاثينات. «سوف يفرح لأنه للمرة الأولى يستعيد الغرب مستعمرة من الامبراطورية السوفياتية التي سرت منها حريتها».

قال كايسي: «الامبراطورية السوفياتية وليس امبراطورية الشر وهو التعبير السائد الذي استعمله الرئيس ريفان منذ ثمانية أشهر في فلوريدا. لقد أثبتت غرانادا أن السوفييت يمارسون الزحف الامبريالي بواسطة وكلاء عنهم. إنها مصرغ لنيكاراغوا. وقال: لكي نتحدى استراتيجية الوكيل هذه، فإن «الولايات المتحدة بحاجة إلى استراتيجية مضادة وواقعية». يجب أن تتضمن تلك الاستراتيجية التأكيد على أن بلدان العالم الثالث سوف تصبح أرض المعركة الرئيسية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في السنين القادمة.

كان كايسي يعرف ماذا يريد أن يقول بدقة. وكان من عادته أن يعد خطابهات بنفسه. وكان زملائه يمزحون معه ويقولون: «الشيء الوحيد الأسوأ من أن يكون المرء رئيساً للجمهورية في لبنان هو أن يكون كاتب خطاباتك».

قبل نهاية الأسبوع أعلنت وزارة الدفاع أنه كان على جزيرة غرانادا ١١٠٠ كوبي وتم أسر ٦٠٠ منهم ولجأ المئات إلى التلال. أراد كايسي تقوياً شاملاً وسريعاً. كم كوبياً بقي في التلال؟ هل كانت غرانادا كما قال الرئيس قد «بدأت تستعد لتصبح موقعاً عسكرياً رئيسياً لتصدير الإرهاب»؟.

صباح الأحد الباكر في ٣٠ تشرين الأول/ أوكتوبر اجتمع المحللون من سائر وكالات الاستخبارات في وزارة الدفاع. وفي المساء تقوياً سريعاً من عشر صفحات. طبع هذا

التقويم وتم تعميمه. تلقى كايبي نسخته نهار الاثنين. كان التقويم يتناقض بوضوح مع ما قاله الرئيس ومع كايبي نفسه ومع بلاغات وزارة الدفاع. جاء في التقويم أنه لم يكن هناك كوييون في التلال. لقد قتل وأسر الجميع على يد القوات الأميركية التي يبلغ عددها ستة آلاف رجل. إن التقدير المبكر والمبالغ فيه جاء من المقابلات مع الأسرى الكوييين ومن تضخيم قادة الوحدات الأميركية غير المتمرسين للقوى المواجهة على الجزيرة. كما جاء في التقويم أن مخازن الأسلحة في غرانادا كانت بهمة الجيش والمليشيا. ولم تكن الأسلحة الموجودة كافية للإطاحة بالحكومات في الجزر المجاورة. لم يكن عال البناء الكوييون وحدات مقاتلة مجهزة مع أن لديهم بعض أسلحة التدريب ومع أنهم اشتبكوا في القتال.

قال كايبي عن التقويم إنه «لا يمكن تصوره»، ولكنه كان سريراً ولن يعلن.

تخوف المحافظون في الإدارة من هذا التقويم. قال هرب ماير أحد مساعدي كايبي:

«أظن أنه يلسع».

كان منج قد اقترح في مجلس الأمن القومي أن تطلب الإدارة من كاسترو أن يعلن في خطاب إذاعي استسلام وحدته في غرانادا! الآن تغير الوضع. لم يكن هناك وحدات عسكرية كويية في الجزيرة. كبديل لذلك اقترح منج عدم إطلاق سراح الأسرى الكوييين كي يقاسي الكوييون من ذلك!

قال طوني موتلي: لقد رجحنا.

أطلق بعد ذلك سراح الكوييين.

أصبحت غرانادا رمزاً إيجابياً للإدارة يشار إليها بشكل روتيني على أنها «علامة للمساواة الجديدة» و«إعادة التأكيد على مبدأ مونرو» و«ضربة قوية» و«دبلوماسية المدفع»، وأنها دفنت ظاهرة إيران. كانت صورة الطلاب الأميركيين العائدين من غرانادا وهم يقبلون الأرض الأميركية عند نزولهم من الطائرات وصورة رئيسة وزراء الدومينيك شارلز وهي تتحدث إلى جانب ريفان وتعلن أن الولايات المتحدة هي مثقلة الديموقراطية في الكاريبي أفضل تعبير عن الجو السائد.

بعد عدة أيام من الغزو استدعى وزير داخلية نيكاراغوا بورغ سفير الولايات المتحدة في ماناغوا وقال له: «في أي وقت تريد أن تخلي الأميركيين من نيكاراغوا فأنا مستعد لأشير عليك ما تفعل. نحن سنساعدك ولن يكون هناك أي مشكلة وهذا وعد».

في لانتغلي تلقى كايبي هذا التقرير بفرح بالغ. لقد كان الساندينيون قلقين.

فيما بعد وعندما جاء طوني موتلي إلى نيكاراغوا واجتمع مع دانييل أورتيغا أثار قضية موريس بيشوب في غرانادا. وقال موتلي: القادة اليساريون ليسوا سالمين من اليساريين الآخرين. ولا تكن موريس بيشوب نيكاراغواً ميتاً في تابوت. كلما كانت رئيسة وزراء الدومينيك شارلز تتصل بموتلي كان يرد عليها ويأخذ قلماً وورقة ليسجل طلباتها.

عندما أشرف على طريق الثلاثين ميلاً أو العشرة ملايين دولار شعر بأنه يعمل وسيطاً بين السلطة المحلية (المختار أو العمدة) ومدير الأشغال العامة. بعد ذلك قدمت الولايات المتحدة مساعدة بقيمة مليوني دولار لمدارس الدومينيك و١٥٠ ألف دولار من أجل فرق المساعدة على اجتياز الأنهار في الجزيرة.

اقترح كايبي مذكرة سرية جداً تكسر مبلغ ٧ ملايين دولار كمساعدة للإذاعات ومكبرات الصوت (وهي آلات تقليدية في أميركا اللاتينية) وبعض الأعمال الإعلامية لوكالة المخابرات المركزية في الكاريبي. وكان ريفان متحمساً ووقع المذكرة فوراً.

كان مستقبل غرانادا السياسي غير ثابت. كان التنظيم السياسي الوحيد على الجزيرة بقايا «حركة الجوهرة الجديدة» اليسارية التي كان يتزعمها بيشوب. صمم كايبي وعدد من كبار المسؤولين في الإدارة الأميركية على أن ما أُنجز بالقوة يجب أن لا يضع في صندوق الاقتراع. وبموجب مذكرة رئاسية أخرى تم تخصيص مبلغ ٦٧٥ ألف دولار لتمويل العمل السياسي لوكالة المخابرات المركزية. خصص المال لمساعدات التعليم وللحصول على الأصوات في الانتخابات القادمة في غرانادا. قامت وكالة المخابرات المركزية بإجراء مسح انتخابي وتحليل للقوائم لتأكد من انشقاق قائد قوي موالٍ للولايات المتحدة. وبعد ثلاثة عشر شهراً من الغزو فاز التحالف المدعوم من الولايات المتحدة والذي يترأسه السياسي المخضرم هوربت بلايز بنصر ساحق في الانتخابات. وكان من أول أعماله كرئيس للوزراء أن طلب من الرئيس ريفان إبقاء وحدة من ٢٥٠ جندياً أميركياً على الجزيرة.

ساعد الهجوم السوفياتي على طائرة الركاب الكورية وإنسقاطها (مقتل ٢٦٩ راكباً) وتفجير مقر قيادة مشاة البحرية في بيروت (مقتل ٢٤١ أميركياً) وغزو غرانادا (مقتل ١٩ أميركياً) على خلق جو ملائم لكايبي في اندفاعه للحصول على ٢٤ مليون دولار لعملية نيكاراغوا. كان العالم مليئاً بالأخطار ومن الصعب إقناع أحد بأنه قد حان وقت التراجع. كان كايبي يدعو إلى تدعيم العمود الفقري الأميركي. في هذه الأثناء صدر تقدير استخباري قومي جديد يستنتج أن الكونترا لن يتمكنوا من الإطاحة بالساندينين وأنهم لن يحققوا انتصاراً عسكرياً ولا انتصاراً سياسياً. هذا يدل على أن عملية نيكاراغوا كانت أقل طموحاً مما ادعى الكثيرون في انتقاداتهم. كذلك جاء في مسودة ملخص سري جداً صادر عن البيت الأبيض أن الرئيس ريغان كان يبحث لأول مرة في طلب عفو عام عن الكونترا، وهذا يشير إلى إمكانية القيام بتسوية سياسية. في المؤتمر المشترك بين مجلسي الشيوخ والنواب حيث وافق الأول على تخصيص ٢٤ مليون دولار وصوّت الثاني على اقتراح لإنهاء برنامج الكونترا، كان مجلس الشيوخ هو الداعم للمذكرة الجديدة. قال الشيوخ إن تجديد «نوصية بولانده» غير ضروري من أجل التثبت من أنه لم يصرف أي مبلغ بهدف الإطاحة بالساندينين لأن المذكرة الجديدة أوضحت أن الهدف لم يكن ذلك.

حصل بولانده على تنازل رئسي، وهو الموافقة على أن مبلغ ٢٤ مليون دولار كان سقفاً، أي أن المال يجب أن يبقى خلال السنة القادمة، وعلى الإدارة أن تطلب الاعتبارات. في ٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣ وقع الرئيس ريغان قرار الموافقة على منح المساعدة فنحول إلى قانون، وبهذا كسب كايبي، وحول انتباهه نحو تلقيم المراقب النيكاراغوية. وطلب تقارير من كلاريدج بشكل منتظم. هل لديكم أصحاب كفاءات لهذه المهمة؟ هل تم فحص الألغام؟ أصدر مدير المخابرات المركزية أوامره بسرية تامة.

في نهاية شهر كانون الثاني يكون قد مضى ثلاث سنوات على تولي ولهم كايبي منصبه

كمدير للمخابرات المركزية كان واضحاً أن الجدل في أوساط الكونغرس والرأي العام حول عملية نيكاراغوا قد ازداد. كانت لعبة الاستخبارات مثل لعبة الغولف، وهي رياضة كايبي المحببة. بعد كل ضربة عاطلة يجب التعويض والحصول على أقصى ما يمكن من النقاط. اعتقد كايبي أولاً بأن العملية قد وضعت الحل ضمن الإدارة الأميركية، وثانياً بأنها كانت إعلاناً سياسياً عريضاً ضد الشيوعية، وثالثاً بأنها لفتت انتباه الكونغرس والأوساط الصحافية.

منذ بداية توليه منصبه، أولى كايبي اهتمامه بالاستخبارات البشرية، وحث مديرية العمليات على إجراء اختراقات. كان يطلب المصادر البشرية والمزيد من المصادر البشرية ثم المزيد من المصادر البشرية! عندما كان يرد إليه تقرير حول زعيم سياسي شاب أو وزير مهم كان كايبي يكتب على هامش ورقة التقرير: «هل نستطيع تجنيده؟» أو «تجنيد» فقط ويوقع الملاحظة بحرف «C». كان التجنيد مكلفاً وخطراً ومضيقاً للوقت، وحذر مكاهون ومدير العمليات من عدم الواقعية. لقد أمضى السوفيات عقوداً من الزمن وهم يزرعون وينشئون مصادرهم البشرية. ولكن كايبي لم يصبر ومضى يبحث على تجنيد المصادر البشرية.

في أوائل كانون الأول/ديسمبر أي في نفس الوقت تقريباً الذي حصل فيه كايبي على 24 مليون دولار لعملية نيكاراغوا، زار الرئيس السوداني جعفر النميري واشنطن، وعقد اجتماعاً سريعاً مع زعيم المعارضة الليبية الدكتور محمد يوسف المرفيف الذي كان وزيراً للدبلوماسية. وفر إلى مصر عام 1979. اتهم القذافي بأنه طاغية وفاسد ويصدر عائدات أموال النفط الليبي. وأنشأ ما ساءه جبهة وطنية لخلاص ليبيا كرست جهودها للقضاء على القذافي وللإطاحة بنظامه.

وردت في تقرير من مصدر سري من مديرية العمليات في 5 كانون الأول/ديسمبر 1983 معلومات عن اجتماع النميري والمرفيف. جاء في التقرير أن القذافي قد يواجه المزيد من المشاكل في المستقبل. كان المصدر مسؤولاً سودانياً رفيع المستوى وكان يعلم أن المعلومات ستصل إلى الحكومة الأميركية. ولم يعرف ما إذا كان هذا المصدر يمرر هذه المعلومات بعلم الرئيس النميري أو دون علمه. وافق كايبي على حماية المصادر في التقارير الممعة على صعيد واسع، ولكنه كان دائماً يسأل: من هذا؟ وعلى الفور كان مدير العمليات يخرجه أو يعطيه الملف.

كان واضحاً أن القذافي يحقّر النميري وكان يشك فيه من ناحية دعمه للمعارضة الليبية في الخارج. أما النميري فقد وعد في اجتماعه مع المرفيف، استناداً لتقرير المصدر السري، بزيادة الدعم في مجالات التدريب والتجهيز بالأسلحة والذخائر، وإعطاء تسهيلات سفر بجوازات سفر سودانية ووثائق أخرى. وكان هذا تغطية هامة تحتاجها القوى المعادية للقذافي للعمل داخل ليبيا.

قال النميري للمرفيف: إن له «كارت بلانش» أي يبدأ مطلقاً للنشاط ضد ليبيا وخصوصاً في العمل العسكري. إنه إعلان موجز للحرب، وهو أقصى ما تسمح به أية دولة، حين تجعل حدودها منطقة عمليات عسكرية. قال النميري إن حركة المبعدين يجب أن تستمر في نشاطها من خلال جهاز استخباراته الخاصة ويدعى منظمة الأمن السودانية وأنه عند حدوث أي مشاكل يمكن الاتصال به مباشرة.

وجاء في التقرير أن المرفيف قال إنه يؤمن بأن الولايات المتحدة والسودان حليفاه الوحيدان، وقال إنه بعد انتهاء مرحلة التدريب يأمل بأن يشن حملة ضد ليبيا تؤدي إلى إظهار مصداقية منظمته. وتضمن التقرير تعليقاً من المصدر يفيد بأن المرفيف لم يجد أنواع الحملات التي كان ينوي القيام بها، ولكن كان الانطباع السائد بأنها نوع من النشاط العسكري داخل ليبيا. وقال إن الليبيين «قد اخترقوا الاستخبارات السرية و... وإن المغرب ليس آمناً له ولا لمنظمتهم».

كان أي عمل عسكري دراماتيكي مضاد للقذافي داخل ليبيا يروق لكايبي. يبدو أن للمرفيف ومنظمته بعض القوة. لم يكن كايبي قادراً على الحصول على مذكرة رئاسة تدعم تحركه ضد القذافي. كان للقذافي ترسانة ضخمة من الأسلحة والتجهيزات السوفياتية بقيمة مليارات الدولارات، وكان يلاحق المعارضة الليبية في الخارج بشكل مستمر.

تابع كايبي باهتمام المعلومات عن ليبيا والقذافي الذي كان يهدد الاستقرار في شمال إفريقيا والشرق الأوسط بكامله حسب رأي كايبي. لقد نظمت تقارير كثيرة وتقديرات وتقويمات وأوراق رسمية عن القذافي وليبيا أكثر منها عن أي بلد آخر، أو زعيم آخر. أما عدد الاجتماعات التي كانت مخصصة لليبية في وكالة المخابرات المركزية فقد ازداد كثيراً، عن حجم ليبيا وأهميتها. وفي بعض الأوقات حازت ليبيا على اهتمام أكبر من ذلك الذي حازه الاتحاد السوفياتي! وجاء في التقارير المتعلقة بالقذافي معلومات عن حياته الشخصية وحياته المنزلية وغزواته المتنوعة إلى الصحراء، وتحركاته الدبلوماسية، كما كان هناك تسجيل لكلماته الهاتفية ولحادثات أخرى. إن عدم وجود سفارة أميركية في طرابلس جعل الحصول على تلك المعلومات صعباً، ولكن كايبي يصّر ويأسل: «ماذا عند القذافي... في هذا الأسبوع؟».

أما المشروع الذي حاز على اهتمام كايبي فكان تجنيد مصادر بشرية وتطویرها داخل الاتحاد السوفياتي، وكان بيل كولبي قد حث على ذلك منذ ثلاث سنوات، أي قبيل أن يستلم كايبي وظيفته كمدير للمخابرات المركزية، كما أن الآخرين قد أشاروا إلى ذلك في مرات عديدة. لقد دفعت غريزة كايبي في ذلك الاتجاه. لقد كانت الصين والاتحاد السوفياتي من الأهداف الصعبة. وكان الروس هم الأصعب والأقل احتراماً. إن المجتمع السوفياتي المخلوق قد جعل من السيتجيل للعالمين في الاستخبارات أن يقيموا اتصالات. لم يكن هناك شيء في الاتحاد السوفياتي غير مشكوك بأمره. لا مكالمات هاتفية غير مسجلة، لا اجتماعات

بريقة، لا سفر دون مهمة ولا منزل آمن، وفي الحقيقة لا مكان آمن حتى داخل السفارة الأميركية.

تفهم كايبي ذلك وكان عليه أن يثر على أجوبة عن أسئلة كبيرة حول النوايا الحقيقية السوفياتية. لم يكن الجواب مجرد مشكلة جمع معلومات، فقد ألقه غايتس الذي كان يترأس الجانب التحليل في وكالة المخابرات المركزية وآخرون بأنه كان أيضاً من الصعب على السوفيات فهم النوايا الحقيقية الأميركية. كان يعتقد بأن أحد محلي المخابرات السوفياتية قد نفى إلى سيبيريا لأنه فشل في التنبؤ بأن مزارع فستق يمكن أن يتغلب على رئيس الولايات المتحدة في انتخابات ١٩٧٦ الرئاسية. ونفى محل آخر لفشله في التنبؤ بأن مثلاً من هوليود سيطلب مزارع الفستق وسيؤدي ذلك إلى أكبر عملية بناء عسكري في وقت السلم في تاريخ الولايات المتحدة.

شعر كايبي بأن تجنيد المصادر البشرية كان يلقى اهتماماً قليلاً في أيام تورنر. مع أنه كان هناك بعض النجاحات المحدودة، فقد شعر عناصر مديرية العمليات بأن تورنر قد أعجز للحواجز المعدّة ضد التجنيد في داخل الاتحاد السوفياتي. ضغط كايبي بشأن الأساليب المعتمدة للعثور على حل لجميع المسائل. لقد كان السوفيات يزدون من أسفارهم، وأصبح من الممكن الاتصال بهم خارج الاتحاد السوفياتي. كان كايبي متأكداً من أن هؤلاء السوفيات يعارضون نظام الحكم في بلدهم، وكان يعتبر أن أي عرض للعمل لصالح الولايات المتحدة، كان بمثابة خدمة للمواطن السوفياتي!

كان أ.ج. تولكاشيف أحد المصادر السرية داخل الاتحاد السوفياتي، وكان قد جُند قبل إدارة ريفان. كان موظفاً في مؤسسة موسكو الفضائية، وعمل مع أحد ضباط العمليات في محطة موسكو في نظام متطور ومعقد، وسلمه أسراراً هامة.

كان هناك أيضاً الاختراق المباشر، وكانت لكايبي شكوك حيال هذا الأسلوب. وحذر وكالة المخابرات المركزية من المخبرين المزورين ومن العملاء المزورين. لكنه شعر بأن من المهم أن يعلم الجميع أن الباب في كل محطة أو منشأة للاستخبارات الأميركية مفتوح دائماً. الاختراق المباشر له حسنات. نستطيع أن نبدأ بالعمل في فترة زمنية قصيرة. لم تكن الفترة الطويلة من التربية والرعاية، والتي تُعدّ غير مباشرة وبغاضة، ضرورية. ومع أن عدداً من الاختراقات المباشرة كان دون فائدة وتطلب مزيداً من الجهد، فقد شعر كايبي بأنه من الطبيعي أن يطلب أي مسؤول رسمي في الاتحاد السوفياتي أو الكتلة الشرقية مساعدة الغرب. بحث كايبي مسألة تجنيد المصادر البشرية مرة أخرى مع النخبة في الفرقة السوفياتية في مديرية العمليات، وأوضح أنه كان يرغب في إجراء محاولات. قال: نعم، يمكن أن نحصل أخطاء. وتوقع أن بعض السوفيات يمكن أن يجاوبوا. إذاً ماذا؟ قال: ذلك يشبه أننا فعلاً. إذاً لم نحاول، ولم نجازف، بما عني أننا لا نبذل الجهد الكافي. يجب أن نلاحق كل

دليل، يجب أن لا نغض النظر عن أي تلميح أو مفتاح أو حدس. هذه هي اللعبة الطويلة والعميقة مع الخصم الأساسي. أراد كايبي أن يلعب جيداً وبطريقة ضارية.

ازداد التنسيق مع مكتب التحقيق الفدرالي الذي كان يتولى مكافحة التجسس داخل الولايات المتحدة. وقد أعطته محطات وكالة المخابرات المركزية لوائح للأشخاص المقترح تجنيدهم، استناداً إلى سلوكهم خارج الولايات المتحدة وخاصة في الاتحاد السوفياتي، كما أعطته نسخاً عن ملفات الدبلوماسيين السوفيات أو عناصر المخابرات السوفياتية المبعوثين إلى الولايات المتحدة للعمل في السفارة السوفياتية أو في مهمات تجارية. وبدوره كان مكتب التحقيق الفدرالي يعطي معلومات عن الأشخاص السوفيات الذين عملوا في الولايات المتحدة، ثم انتقلوا إلى مراكز أخرى في الخارج، حيث يمكن لمحطات وكالة المخابرات المركزية أن تراقبهم وتقتفي آثارهم. لقد حصل مكتب التحقيق الفدرالي على الأفضل في هذا التبادل، لأن العوامل المادية والنفسية في الولايات المتحدة كانت أكثر ترضياً على التجنيد والعمل ما هي خارج الولايات المتحدة. وقد جُند مكتب التحقيق الفدرالي عدداً من المصادر الهامة والقوية معتمدة على معلومات وكالة المخابرات المركزية.

في أوائل أيام إدارة ريفان كان كايبي قادراً على استغلال التصدع في الستار الحديدي، وخصوصاً في أوروبا الشرقية، وركز انتباهه على بولونيا. أما في بلدان أوروبا الشرقية الأخرى فقد كان المسؤولون الرسميون يسافرون أكثر إلى خارج بلادهم، وكانت حركة التنقل بين الشرق والغرب تزداد، وتسمح بعمليات استكشافية دون ثمن.

بعد ثلاث سنوات كان لكايبي أكثر من ٢٥ مصدراً شرياً داخل الاتحاد السوفياتي وفي دول أوروبا الشرقية يعطون المعلومات بشكل منظم. وقد جُند الجميع خلال عهده. وكان هؤلاء من بين العسكريين ومن عناصر المخابرات السوفياتية وبمباريات دول الكتلة الشرقية، ومن العاملين في الميادين العلمية وسائر ميادين الحياة.

كان كايبي فخوراً بواحد من هذه المصادر، وعندما علم بعض مسؤولي الولايات المتحدة الذين كانوا على لائحة السباح Bigot بحالة هذا المصدر تآثروا جداً. أقر كايبي بأنه لا يوجد أي مصدر في الوكالة أفضل من الكولونيل أوليغ بنكوفسكي، وهو بالفعل أسطورة. فمنذ أوائل الستينات كان بنكوفسكي ضابطاً في الاستخبارات العسكرية السوفياتية ومُرر آلاف الصفحات من الوثائق إلى وكالة المخابرات المركزية خلال ستة عشر شهراً، ثم ألقي القبض عليه وأعدم. لقد أمّن معلومات هامة وحساسة تتعلق بتحديد هوية السلاح السوفياتي في كوبا خلال أزمة الصواريخ عام ١٩٦٢.

لم يعجب البيت الأبيض كثيراً باختراقات كايبي في الاتحاد السوفياتي، بل على العكس من ذلك، كان هناك الكثير من التذمر وخصوصاً من قبل آلن وكلاك مستشاري شؤون الأمن القومي وحتى مكفرلين، وذلك بسبب عدم وجود معلومات عن المكتب السياسي

للحزب الشيوعي السوفياتي. كان أركان البيت الأبيض يريدون معلومات سياسية تفيد الرئيس، ولم يتقدم كايبي على هذه الجبهة. كان هاجس أركان البيت الأبيض المعلومات التي تساعد الرئيس على التفوق على السوفيات في المناورات السياسية، وعلى أن يمارس دوره بمهارة أكثر في التعامل مع السوفيات. يمكن أن ترد المعلومات من داخل المكتب السياسي دون ثمن، لكن كايبي لم يحصل عليها. أراد البيت الأبيض أيضاً معلومات للرئيس يستخدمها كمهندس رئيسي للسياسة الخارجية الأميركية. ويمكن للمعلومات السرية الواردة من داخل أجهزة القرار السوفياتية أن تعطي المجال لرشاقة في الدبلوماسية، وأن تسمح له بتطبيق السوفيات في العلاقات العامة الدولية. إن أي خطاب في الوقت المناسب أو أي تقدم علمي أو مسألة تجارية يمكن أن يساعد في ذلك.

شعر كايبي بأن وكالة المخابرات المركزية تؤمن معلومات هامة في قطاع حساس من مسؤولية الرئيس. وكانت هذه المعلومات تساعد الرئيس في عمله كقائد أعلى للقوات المسلحة. لقد كانت بمثابة الإنذار المبكر والاستخبارات العسكرية. أدرك كايبي أن المعلومات لا تكن شاملة ولكنها غالباً ما كانت واضحة. وأعطت للرئيس ما يحتاج إليه من التحركات العسكرية السوفياتية الرئيسية. لقد أتى قسم كبير من هذه المعلومات من مصادر تقنية، وكانت تتم مراقبة وقياس تحركات الوحدات العسكرية عبر الحدود بواسطة الأقمار الاصطناعية أو بواسطة التقاطات وكالة الأمن القومي. أوصل كايبي نجاحاته إلى البيت الأبيض، وكان يفخر دائماً بأنه خلال إدارة ريغان لم يقدم السوفيات على مفاجأة كبيرة غير إسقاط الطائرة الكورية، وكان ذلك خطأ وليس خطة تستطيع الوكالة معرفتها مسبقاً.

كان كايبي مصمماً على توسيع المصادر البشرية في الحكومات الصديقة للولايات المتحدة. إن ذلك خطير، ولكنه ضروري، ويعطي البيت الأبيض صورة صحيحة واضحة عن العالم. إن مصدرأ بشرياً جيداً يحضر اجتماعات الحكومة يفيد أكثر من النسخ الخفية المسجلة بواسطة أجهزة استراق السمع. إن هذا المصدر، من شأنه أن يشترك في القرارات، وفي أحداث المعارك، وأن يشارك في حياة المجموعة وأحزابها، وفي القيل والقال والإشاعات وغيرها، ويمكن أن يدرك أن كلمات الزعماء التي تصل من أكثر الاجتماعات سرية أو من اللقاءات والأحداث الهاتفية لا تخبر عن حقيقة الوضع. إن المصدر البشري الجيد يحص هذه الحقائق ويخترق الشائعات الدخانية. إنه نافع بحق، ويتضمن الجميع وجوده، وهو بمثابة نظام إنذار لمدة ٢٤ ساعة يومياً.

في معظم المناطق غير المستقرة سياسياً في العالم: آسيا، إفريقيا، الشرق الأوسط، أميركا اللاتينية، كانت مخاوف الزعماء تدفعهم إلى تطوير المصادر البشرية. كان الفلق الأساسي يأتي من جهود القوى الداخلية والخارجية لزراعة الاستقرار: انقلابات عسكرية، عمليات إرهابية، اغتيالات، وغيرها. طلب هؤلاء الزعماء الحشوية، وهذا يعني التدريب

والخبرات وأحدث المعدات. ولا يوجد أي بلد في العالم مجهز لتأمين تلك الحياة أكثر من الولايات المتحدة. ولا يوجد جهاز في الحكومة الأميركية له خبرة في حماية الزعماء والقادة بشكل سري وفي مساعدتهم أكثر من وكالة المخابرات المركزية. هذا ويحتاج العمل السري إلى مذكرة رئاسية، ويشمل جهود الوكالة للتأثير على الأحداث في أي بلد أجنبي. من الناحية التقنية، كان رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية يعطي النصائح لرئيس الدولة ورئيس استخبارات الدولة. لقد تطور بعض الأعمال السرية إلى تقديم المساعدات الأمنية، وبرامج التدريب على الاستخبارات، هذه البرامج لم تكن معدة للإطاحة بالنظام بل على العكس لحمايته.

كانت الوكالة ترسل فريقاً من ثلاثة أو أربعة أعضاء بإشراف فرقة النشاطات الدولية الخاصة في الوكالة وبمساعدة مكتب الخدمات التقنية في مديرية العمليات. كان الفريق يسلم المعدات ويدرب على استعمالها. وقد خضع للتدريب الحرس الشخصي الخاص أو الحرس في القصر الجمهوري وعناصر الاستخبارات وعناصر من البوليس المحلي. كانت المعدات تشمل أفضل الأسلحة الأنوماتيكية والبنادق ومعدات الرؤية الليلية ذات التقنية العالية وأجهزة الاتصال الخفية وأحدث معدات الاتصال التي يمكن المحافظة على سرية العمل فيها، وحتى طائرات الهليكوبتر الخاصة. لقد رغب عدد كبير من هذه البلدان في الحصول على طائرات هليكوبتر متقدمة وأجهزة إنذار وبعض المعدات المستعملة في حماية رئيس الولايات المتحدة مثل الزيات الخفية الواقية من الرصاص، بالإضافة إلى التقنيات المتطورة في الأبنية التي ترشد إلى الارهابيين وتؤمن الارتباط مع خدمات الاستخبارات والبوليس.

كان أحد هذه البرامج في القصر الملكي المغربي حيث أمنت وكالة المخابرات المركزية ولسنوت عديدة المساعدة التقنية والتدريب وأجهزة الاتصال للملك الحسن الثاني (خلال الحرب العالمية الثانية التقى ضابط أميركي صغير هو فرنون والترز بولي العهد الأمير الحسن والذي كان يبلغ ١٣ سنة من العمر وبدأت بينهما صداقة استمرت إلى فترة ١٩٧٢ - ١٩٧٦ عندما كان والترز (*) نائباً لمدير المخابرات المركزية وكان يعتبر بمثابة وضابط الحالة للملك الحسن الثاني). لقد ساعد برنامج الوكالة المستمر على مر السنين في إبقاء الملك الحسن في السلطة منذ العام ١٩٦١ واستمرار حكمه أكثر من ٢٥ سنة وهو أطول حكم في أية دولة إفريقية وبالمقابل فقد سمح الملك الحسن الثاني لوكالة المخابرات المركزية ولوكالة الأمن القومي بحرية التحرك في بلاده، ووضع في المغرب معدات تجسس حساسة ومعدات تكنولوجيا متطورة، وكان هذا مهياً بشكل خاص، لأن موقع المغرب على مضيق جبل طارق يتحكم بالمداخل الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

(*) فرنون والترز هو الآن مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة.

كانت الولايات المتحدة ومحطة وكالة المخابرات المركزية في المغرب وفي عشرات البلدان تقول لرئيس البلاد: «نحن أصدقاؤك ونريد أن نعتني بك» وكانت هذه المساعدة في ظل البيئة السياسية المحلية المتقلبة في بلد ما، تعني استمرار الحياة.

كان هناك جانب آخر للاستخبارات والمساعدات الأمنية مبني على الاستغلال والشك اللذين يحتاجهما كل عمل استخباري جيد، لذلك يمكن أن يتقلب الأصدقاء إلى أعداء بين ليلة وضحاها. كانت الصداقات على درجات، وكان مفهوم المصلحة الوطنية يتغير. والملك الحسن الثاني يمكن أن يكون مع الولايات المتحدة في معظم القضايا لكن تبقى هناك نقاط خلاف لا يمكن تجنبها.

في عالم المافيا كانت عقيدة العراب أن يتقرب من الأصدقاء على أن يتقرب من الأعداء أكثر. وكان مبدأ وكالات الاستخبارات في العمل هو المحافظة على التقرب من جميع البلدان نظراً لتغير الصداقات والعداوات. كان فريق الوكالة يعلم من لديه نفوذ حقيقي ومعلومات حقيقية. ويعلم عن خصوصيات الزعيم الصديق وهفواته وعن عائلته ومستشاريه. كان هناك أيضاً عناصر لتركيز معدات استراق السمع على الخطوط الهاتفية وفي المكاتب والمناطق السكنية. كانت وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي تعلان عن وضع أجهزة الاتصالات التي قمتها إلى قوى الأمن والاستخبارات، وخصوصاً عن طريقة استعمالها وتردداتها وشيفرتها إذا كان ذلك ممكناً.

كان تجنيد المصادر البشرية هو الأكثر أهمية. كان فريق الوكالة أو عناصر المحطة يتدخلون في أعمالهم مع عيال الراديو والحراس ويشرفون على جلسات التدريب وعلى الاجتماعات وقيمون حفلات الغداء. وهكذا ازداد عدد الأشخاص الهامين في الاستخبارات الأمريكية وتدرجوا من عمالة براتب إلى صداقات واتصالات غير رسمية يمكن استثمارها لحاجات خاصة.

كانت النتيجة اختراقات متعددة وفعالة، وعيون وآذان بشرية في كل مكان، ومعدات الكترونية في أهم البلدان الصديقة. اعتبر بعض عناصر الوكالة ذلك خطراً كبيراً. كانت الوكالة «حصان طروادة» متطوراً داخل البلد المضيف، يستغل نجاح المساعدة الأمنية للاستخبارات. شعر كايبي بأنه من الإجماع عدم استغلال التسهيلات المتاحة لهم. وفي بعض الأحيان كان يسمى هذه العمليات «واجباً» أو «عملاً تجارياً». لم تكن هناك مقاييس ولا قواعد ولا قوانين للتجسس في الخارج. كان هناك قاعدة واحدة فقط: «لا تدهمهم يسكرون بك، وإذا حصل لا تقبل ذلك أبداً».

قال كايبي إنه يتم التعامل مع كل عملية بشكل خاص، لأن الانكشاف يعرض العلاقات مع البلد المضيف للخطر. تعرض أحد مصادر وكالة المخابرات المركزية في الهند للشبهة وأوقف عن العمل. كانت رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي تتخوف من أن يكون

للولايات المتحدة جاسوس في أوساطها. ولكن قرر البلدان أنه من الأفضل وضع هذه المسألة جانباً.

إذا كان كايبي مهتماً بمنع المفاجآت الدولية فعليه أن يقلل بخطر التجسس على الأصدقاء، فقد تعرض لانتقادات داخل الوكالة وقيل إنه لا يكثر بالتمن الغالي للفشل. لكن كايبي كان يحارب هذه العقيلة: دفاع لا هجوم، أو حذر لا إقدام.

كان تعزيز سلطة رؤساء المحطات في الخارج من أهم أهداف كايبي: إن عمليات المساعدة الاستخبارية والمساعدات الأمنية تزيد من سلطة رؤس المحطة في البلد المضيف. لقد أعطي رؤساء المحطات بطاقات بلاستيكية دونت عليها الخدمات الثمורה ومن ضمنها حاية رؤساء الدول. وقد عرضت هذه البطاقات على رؤساء الدول ليختاروا ما يريدون من القائمة. اعتمد عدد من رؤساء الدول بشكل كبير على هذه المساعدات الأمنية، وكانوا يطلبون آخر وأحدث المعدات التي تساعد في المحافظة على السلطة. لقد كانت هذه المساعدات والعمليات الناجحة تعطي قوة هائلة لرؤساء المحطات ضمن السفارات الأمريكية وخصوصاً إذا أدت المساعدة الأمنية إلى الحصول على معلومات سياسية من القصر الجمهوري. لقد أثنت هذه العمليات نوعاً من المعلومات التي كان المستشارون السياسيون في الإدارة، وزير الخارجية ومستشار الأمن القومي وأركان البيت الأبيض، يسعون إليها.

إذا كانت عمليات الأمن ومساعدات الاستخبارات متجنبة، وبالإجمال قدم كايبي مساعدات لاثني عشر بلداً منها، ومن زعماء هذه البلدان:

- الرئيس حسين حري رئيس تشاد وهي مستعمرة فرنسية سابقة إلى الجنوب من ليبيا. وصل حري إلى السلطة في السنة الفاتحة (١٩٨٢) بعد ما تلقي مساعدة سرية شبه عسكرية من الوكالة كجزء من مشروع إدارة ريفان لترميغ ألف الفذافي.

- الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق، وللباكستان وضع جغرافي حساس فهي محاطة بدول غير صديقة. إيران في الغرب، وأفغانستان تحت السيطرة السوفياتية في الشمال، وقسم صغير من الاتحاد السوفياتي، وحدود مشتركة مع الصين، والعدو اللدود الهند إلى الشرق والجنوب. والأهم أن ضياء الحق سمح لوكالة المخابرات المركزية بتمرير كميات كبيرة من المساعدات شبه العسكرية للتوار الأفغان عبر الباكستان. لقد أراد كايبي والوكالة وإدارة ريفان لضياء الحق أن يبقى في السلطة، وكانوا بحاجة إلى أن يعرفوا ما كان يجري في حكومتهم. كانت محطة الوكالة في إسلام آباد من أكبر المحطات في العالم.

- الزعيم الليبيري صمويل دو. كان المقدم موسى فلازاماتون نائب رئيس الحرس الشخصي لوكالة، وقام بمحاولة لاستلام السلطة، بنصب كمين مسلح لسيارة دو. لم يصب دو واعتقل فلازاماتون واعترف بارتباطه بالوكالة وبالغ في ذلك بصورة غير طبيعية ليغطي مسؤولية محاولة الاعتقال على الوكالة. كان ذلك مريباً جداً في لاتفيا وتحقق الجميع

من اتهام الوكالة بمحاولة الاغتيال. ونشر هنا أن العبد الأميركيين المحررين هم الذين أنشأوا دولة ليبيريا وأنها كانت أول جمهورية في إفريقيا. وبدا واضحاً أن فلائزاتون قد ارتبط مع الوكالة بأمل دعم طموحه السياسي. ولكنه أعدم بعد أسبوع من محاولة الاغتيال وماتت التهم معه.

- الرئيس الفيليني ماركوس وهو صديق هام للولايات المتحدة وهو الذي سمح لها بإبقاء قواعد بحرية وجوية في الفلبين. كان ماركوس أيضاً يواجه ثورة شيوعية في بلاده.

- الرئيس السوداني جعفر النميري الذي أقام علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة وكان سداً ضد القذافي في إفريقيا.

- الرئيس اللبناني أمين الجميل. كانت الوكالة تعمل لعدم الإطاحة به ومنع اغتياله كما حصل مع شقيقه بشير الجميل.

- الرئيس دوارت في السلفادور وهو الذي بذل جهداً واسع النطاق لمنع وصول السلاح إلى الثوار اليساريين في السلفادور ومنعهم من السيطرة على البلاد. لقد كان من الضروري المحافظة على دوارت وسلطته.

كانت المساعدات الأمنية هي أفضل العمليات الاستخبارية، وأدرك كايبي أنه يجب أن يكون حامياً غير متسامح مع الأعمال الخفية حتى ولو لم تؤد إلى أية نتيجة. إنها كانت الطريق لوضع قدم الوكالة على الباب. وكانت الوكالة تحتاج إلى وضع قدمها أمام كل باب في العالم. هل كانت هذه الترتيبات تذهب بعيداً؟ نعم أدرك ذلك. كيف يمكن ضبطها؟ كان جواب كايبي بسيطاً. سوف يركز على المراقبة الذاتية وذلك بعد فضائح الرشوة في ما وراء البحار في السبعينات. وقد حظر الكونغرس على رجال الأعمال الأميركيين تقديم مدفوعات أو رشوى في الخارج للحصول على أعمال والتزامات تجارية، كان كايبي يعلم طبعاً أن المدفوعات والهدايا للزعماء الأجانب أو لصادر الاستخبارات كانت استثناء أي رشوى شرعية. مثلاً كان كايبي يزور الرئيس الباكستاني ضياء الحق مرة أو مرتين في السنة وسرعان ما كانت له علاقات وثيقة مع ضياء الحق أكثر من أي عضو في الإدارة الأميركية. وهكذا عندما كان ضياء يطلب المساعدة من الولايات المتحدة أو يريد أن يُسمع رأيه لأحد، كان كايبي هو الطريق.

بالإضافة إلى ذلك كان الوجود العسكري أو إجراء المناورات في بعض أنحاء العالم يتضمن إجراء عمليات خفية. مثلاً في السنين السبع الماضية أجرت وزارة الدفاع سلسلة من المناورات في الهندوراس. وكانت هذه جرعة ثقيلة من دبلوماسية المدفع لتخويف جارتها نيكاراغوا. وفي سياق المناورات تركت معدات وقواعد مؤقتة وأراضي هبوط في الهندوراس. كان ينظر إلى هذه العمليات على أنها عمليات خفية وكانت لجنة الاستخبارات في الكونغرس تلقياً الإجازات حين كان برنامج المساعدة الخفية لدعم حكومة قائمة بلقي تجاوباً.

لقد أظهرت عمليات الدعم الاستخباري والأمني للرئيس المصري أنور السادات حسنات وسيئات هذه الأنواع من الأعمال الخفية. وصل السادات إلى السلطة عام ١٩٧٠ وبعد ستين طرد الروس من مصر. وسرعان ما بدأت وكالة المخابرات المركزية بتنفيذ برامج للحياة الشخصية وللمساعدة الاستخبارات، فقد أرادت الولايات المتحدة أن تحافظ على حياة أنور السادات، وطلبت الكثير من المعلومات حول السادات وسياسة قصره ومناوراته. كان معظم هذه المعلومات دون فائدة ولكنه سمح لعناصر الوكالة بالبحث عن مصادر تعطي معلومات عن أوهام وطموحات وسياسات عشرات الوزراء ومساعدي الوزراء.

لم يكن هناك تقويم كافٍ لاستخبارات وحده لأن الكمية غلبت النوعية عندما كانت البيانات والتقارير تتدفق على المحللين، وفي بعض الأوقات أسس التقويم والتصنيف من الأعمال الصعبة. كلما عرفت الوكالة أكثر كلما كان لها الأمل وقد استعمل بعض الزعماء مثل السادات العمليات كنوع من الاقتحام يفتح لهم باباً خلفياً إلى حكومة الولايات المتحدة. وهذه الطريقة تلفت حول القنوات الدبلوماسية العادية.

كان السادات يعامل مدير المخابرات المركزية «كضابط حالة» في بعض الأوقات. قال وليم كولبي في مذكراته: «الرجال الشرفاء» وهو يصف رحلة قام بها إلى فلوريدا عام ١٩٧٥ للقاء بروتوكولي مع الرئيس السادات الذي كان يزور الولايات المتحدة لتقديم احتراماته، إنه قد انتظر بعد الظهر وأمضى الليل جالساً في سيارة خارج مقر إقامة السادات ولم يتمكن من مقابلة. عوضاً عن ذلك كان السادات قد سمح للصحافة المشهورة برباره والتر بإجراء مقابلة معه. ذكر كولبي هذه الحادثة لأنها كانت في نهاية الأسبوع الذي طرده فيه الرئيس فوردي. لم يسافر كولبي من واشنطن فقط من أجل البروتوكول وتقديم الاحترامات! وكولبي الطغيث لم يكن أن يمضي الليل وخاصة ليلة السبت في سيارة إلا إذا كانت القضية هامة. كان يقول دائماً إن السادات ثمين جداً للمخابرات وأنه ليس من النوع الذي تدفع له الوكالة وتسيطر عليه، ولكن فتح نفسه وبلاده لوكالة المخابرات المركزية وللصالح المشتركة المصرية - الأميركية. إنه كان شاعراً بوجهي سير وشكل خطراً على الجانيين.

شكل بعض الخبراء في العلاقة مع السادات واستنتجوا أنها كانت طريقة السادات في العمل: يجعل الآخر يظن أنه يملكه ويسيطر عليه، وفي بعض الحالات باع نفسه للاعبين الكبار بنسبة ١١٠٪. كانت الولايات المتحدة تعتقد بأنها تملكه وهكذا اعتقد الجيش المصري وكذلك فكرت بعض الدول العربية. وفي بعض الأوقات بعد كعب دقيقتي اعتقد الإسرائيليون ذلك أيضاً. كانت هذه طريقة السادات للإسكاف جميع الأوراق. إلا أن هذا التكتيك قد عزز من عزله عن شعبه. لقد جاءه يوم الحساب وسط جو من الرضى الظاهر، وفشل حراسه الشخصيون وعناصر الأمن الذين عملوا طويلاً لحمايته. أدى اغتياله أثناء العرض العسكري في ٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١ إلى إنهاء إحدى أهم العلاقات

كان هناك أيضاً مجال حساس في جمع المعلومات الحساسة، التي كان كايبي يعتقد بأنها تؤدي إلى الحصول على كمية لا بأس بها في مجال الاستخبارات السياسية. لقد كان من عبثي الجدل الذي أثير خلال عهد كارتر ثم وضع حد له عام ١٩٧٨. في ذلك الوقت كانت وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي تشرفان على عمليات مراقبة إشارات الاستخبارات في الخارج بشكل منفصل. وكانت تقوم بهذا العمل في وكالة المخابرات المركزية مجموعة من نخبة العناصر أطلق عليهم اسم «الفرقة د» كانت تتألف من أقل من ١٠٠ شخص. وبشكل عام كانت وكالة الأمن القومي تقوم. بالقاطات الاتصالات في الهواء، أما «الفرقة د» من وكالة المخابرات المركزية فقد كانت تزور آلات الهاتف الصغيرة أو آلات استراق السمع في المنازل. كانت تنتقل من بلد إلى بلد ومن سفارة أميركية إلى سفارة أميركية أخرى، ونفذت بعض الاختراقات الخطيرة في مكاتب الحكومات الأجنبية في الخارج، وذلك بزور معدات استراق سمع. بحلول عام ١٩٧٨ بدأ التنافس بين وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي يقلت من اليد. وكرد على هذا، قامت لجان المراقبة في الكونغرس بقطع التمويل عن وكالة المخابرات المركزية المخصص لجمع إشارات الاستخبارات، وهذا ما أجبر الوكالتان على توحيد جهودهما في السفارات.

في نهاية عام ١٩٨٣ كانت وحدات مشتركة من وكالة الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية تعمل في ثلث السفارات الأميركية في الخارج، وكانت كل وحدة تتألف من رجلين أو ثلاثة، وتعمل بطريقة سرية جداً، وكان عناصرها يجمعون ما بين الخبرة الشخصية لعناصر وكالة الأمن القومي والمهارات الخفية لعناصر وكالة المخابرات المركزية. لقد سميت هذه الوحدات بـ«عناصر الجمع الخاصة» أو «مواقع الجمع الخاصة»، وأعطيت نتائج ممتازة في الاستخبارات خصوصاً عندما كانت السفارة الأميركية في موقع مرتفع أو مشرف أو قريبة من وزارة الدفاع أو من وزارة الخارجية أو من بعض المكاتب الهامة في البلد المضيف. كان اختيار الموقع، يقع على عاتق وكالة المخابرات المركزية أو وكالة الأمن القومي حسب نوع المهمة المطلوبة وطبيعة الأهداف. وكانت «مواقع الجمع الخاصة» فعالة في عواصم دول أوروبا الشرقية بشكل خاص.

كانت التكنولوجيا المتطورة مفتاح النجاح، وقد طوّرت وكالة الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية تقنيات من الصعب أن تتخيلها الدول المضيئة: آلات استراق سمع إلكترونية متطورة أكثر من تلك التي نتحدث عنها روايات التجسس أو التي تظهر في الأفلام السينمائية، معدات التسجيل التي كانت توضع قرب خطوط الهاتف أو قرب الغرف دون اتصال مادي. وقد أمكن تسجيل المحادثات داخل الغرف وذلك بقياس الذبذبات على زجاج الشبائيك الإلكترونية بواسطة شعاع غير مرئي. يرسل هذا الشعاع من مصدر على بعد

مئات الأقدام عن الشبائك ويصل إلى الشبائك بزوايا حادة وينعكس ثم يستقبل في موقع استقبال على بعد مئات الأقدام ويكثر. في أواخر السبعينات اكتشفت محطات الاستخبارات الأميركية أن الميكروفون العادي لآلة الهاتف كان يرسل نبضات صغيرة جداً من خلال أسلاك الهاتف، وكانت هذه النبضات تعزل وتحول إلى صوت! مع استعمال خطوط الهاتف والمعدات المتطورة جداً، أصبح الميكروفون في آلة الهاتف في أي غرفة أو مكتب آلة تسجيل بعد ذاته. كانت المواقع المشتركة لوكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي في عشرات السفارات الأميركية تؤمن استخبارات أفضل وأفضل ليس فقط لأن التكنولوجيا كانت متطورة بل لأن كايبي أيضاً كان يضيق ويضع ويطلب المزيد من المعلومات. كان كايبي يسأل: لماذا لا تؤمن تغطية فلان؟ وكان يريد جواباً، وبشكل عام كان الجواب الوحيد المقبول هو تحقيق تلك التغطية.

أدرك كايبي أن قسماً من مهمته كان معالجة وضع البيروقراطية العملاقة. كان قد قرأ الكتاب الشعبي: «بحثاً عن الامتياز، دروس من أفضل الشركات الأميركية» وكان متأثراً جداً بالرسالة التي تدعو إلى العمل والالتزام والبساطة. أراد أن يقوم بكل هذه الأشياء ليحسن من عمل وكالة المخابرات المركزية. لقد عقد اجتماعات وطلب من كل فرع أن يعطي أفكاراً جديدة حول التحسين ورفع منويات العاملين. بالإجمال تم عرض ثمانمائة فكرة، وقد قرأها جميعها خلال الفترة التي كان يمضيها في منزله بسبب المرض، وكتب استنتاجاته حولها. في شباط/فبراير ١٩٨٤ نشرت صفحة واحدة من عقيدة وكالة المخابرات المركزية ووزعت في تسع نقاط تبدأ كل منها على الشكل التالي: «نحن... وتوضيح أن وكالة المخابرات المركزية كانت تعمل لصالح الرئيس. كانت الأهداف بناء لعقيدة كايبي: نوعية عالية جداً... أهداف غير منحرفة... جاهزية لتحدي العمل التقليدي... تكامل... أخلاق وشرف طبقاً لنص وروح دستورنا وقانوننا، القيم الأميركية... الإحلاص التام لبعضنا ولأهدافنا العامة... الثقة... المبادرة والالتزام والعمل نحو الأفضل. وكان من نتائج تعميم هذه العقيدة دعابات ومزاح في سائر أنحاء الوكالة.

في أوائل عام ١٩٨٤ ذكّر كلاريدج كايبي بأنه يحتاج إلى أكثر من ٢٤ مليون دولار التي كان الكونغرس قد أقرها. أجاب كايبي قائلاً «ياه..» لقد كانوا يقاتلون بيد مبروطة وراء الظهر وكانت تلك هي الطريقة التي أرادها الكونغرس. إنها شيء غير معقول. ٢٤ مليون دولار أقل من ثمن طائرة حديثة. كان كايبي يعتقد بأن كلاريدج قد قام بعمل ممتاز عندما حافظ على جيش الكونترا الذي يبلغ عديده أكثر من عشرة آلاف مقاتل في الميدان، يشنون العمليات ويزرعون الألغام، وذلك بـ«مبلغ ضئيل جداً». يجب أن يطلب كايبي حوالي ٢١ مليون دولار في منتصف السنة المالية، وسيكون ذلك صعباً، «هأنذا على أبواب حملة انتخابية رئاسية». هذا وكانت استطلاعات الرأي قد أظهرت أن أغلبية الأميركيين كانوا

يتخوفون من نشوب حرب في أميركا الوسطى. كانت الحسابات السياسية في البيت الأبيض بسيطة: أبعدا نيكاراغوا ووكالة المخابرات المركزية عن عناوين الصحف. وكان جيم باكر يراقب.

كان كايبي بحاجة إلى طريق مختصرة في الكونغرس: هل هناك طريق تلتف حول الاجتماعات والمؤتمرات ودائرة المناقشات العامة والتشريعات؟ أراد أفكاراً جديدة. هل هناك طريقة للتغلب على الكونغرس؟ وبأنظمتها الخاصة؟

منذ خسين سنة تقريباً أعلم كايبي أنه يمكن تطبيق القوانين وتفسيرها بشكل خيالي. كان ذلك عام ١٩٣٧ عندما كان عمره ٢٤ سنة وكان قد تخرج من مدرسة الحقوق. كان قد وجد وظيفة، في وسط من الهبوط الاقتصادي حيث كان الحصول على وظيفة صعباً جداً، وذلك في «مؤسسة أبحاث الضرائب في أميركا» حيث كان الحصول على ٢٥ دولار في الأسبوع. كان عليه أن يقرأ التشريعات والاتفاقات الجديدة وأن ينظم التقارير ويشرحها ويخلصها. أما رجال الأعمال الأميركيون وهم قادة الصناعة الأميركية فلم يفهموا أو يرحبوا بهذه التشريعات. وكان يسجل ملخصاته وتقاريره على آلة تسجيل بدائية تستخدم أسطوانات من الشمع. كان كايبي يدرك أن رجال الأعمال لا يريدون التعليمات ولا المديح ولا الانتقادات، بل كانوا يطلبون أن يعرفوا ما يفعلونه لتحقيق أدنى تطابق وتوافق مع القوانين المرعية الاجراء. وكان كايبي يمتاز في هذا المجال.

أعلن كايبي أنه يريد شيئاً خيالياً: وأنا لا أريد مخالفة القانون عوضاً عن ذلك كان يريد الالتفاف حول القانون. كان يريد أدنى توافق ليحميه ويحمي الوكالة ويؤدي إلى الحصول على مزيد من المال للكونغرس. خلال الأشهر السبعة الفاتئة راقب كايبي بشيء من الدهول الكونغرس الذي تعرض للتلاعب من قبل أحد أعضائه، وكان ذلك درساً موضوعياً. في الوقت الصعب إذ كانت الوكالة قد حصلت على مبلغ ٢٤ مليون دولار للكونغرس، طلبت حوالي ٣٠ مليون دولار لبرنامج المساعدات الخفية للمقاومة الأفغانية، عندما تقدم أحد أعضاء الكونغرس وهو ليس عضواً في لجنة الاستخبارات وحقق بنفسه الحصول على مبلغ ٤٠ مليون دولار إضافية لبرنامج أفغانستان، أي أكثر من المطلوب، وكان هذا العضو هو تشارلز ويلسون.

كان ويلسون طويل القامة أنيقاً نشيطاً، ديمقراطياً من ولاية تكساس، يتكلم كالصقور، وكانت منطقته الانتخابية مثلاً لروح تكساس المغامرة. في السنة الماضية قام ويلسون بثلاث رحلات إلى الباكستان حيث كان البرنامج الخفي لأفغانستان على وشك أن يبدأ في العمل. اجتاز الحدود إلى منطقة في أفغانستان تقع تحت سيطرة السوفييات، وذلك بصحبة عدد من الثوار، واستنتج أن مبلغ ٣٠ مليون دولار كان قليلاً. أراد المزيد من القتل الروس. لقد قتل ٥٨ ألف أميركي في فيتنام ونحن ندين للروس بوحدة. في آخر رحلة

للباكستان علم ويلسون أن مشكلة الثوار كانت طائرات الملوكرت السوفياتية التي كانت تحقق التفوق الجوي. اقترح ويلسون تزويد الثوار بمدافع أورليكون السوفية الصنع السريعة الرمي، وقال إن تلك كانت فكرة الرئيس الباكستاني ضياء الحق. وعاد ويلسون يتنق في الصفرة لبعض أعضاء الكونغرس. لقد جعل منها حرباً صليبية ووجد وسائله في أنظمة الكونغرس. إن لجنة الاستخبارات في مجلس النواب هي اللجنة التي تعطي الإذن، ولكن الإذن كان الخطوة الأولى. يجب أن يقرر الكونغرس رسمياً منع المال بواسطة لجانه النافذة. وكانت هناك لجنة التخصيص في مجلس النواب التي كان ويلسون عضواً فيها. عندما اجتمعت هذه اللجنة لتبحث ميزانية وزارة الدفاع قال ويلسون إنه يريد شيئاً واحداً فقط: مزيداً من المال للثوار الأفغان المقاتلين الشجعان من أجل الحرية. ومع أن لجنة الاستخبارات لم تعط الإذن أراد الموافقة على تخصيص الأموال. قال ويلسون إنه في إحدى رحلاته إلى المنطقة حضر إليه أحد الأفغانين عمره ١١ سنة وقال له لا تقتل جميع الروس لاني أريد أن أقتل واحداً عندما أكبر. وهكذا أثار ويلسون زملاءه ببلهجه الخطائية ويتحدى. كم يريد؟

قال ويلسون إنه يريد ٤٠ مليون دولار. وما أن اللجنة كانت تبحث ميزانية وزارة الدفاع التي تصل قيمتها إلى ٢٨٠ مليار دولار تقريباً كان مبلغ ٤٠ مليون دولار تافهاً، أي كان اللجنة كانت تناقش صرف مبلغ سبعة آلاف دولار وطالب أحد الأعضاء بزيادة دولار واحد. قال ويلسون إنه سيدعم الأعضاء الذين يؤيدونه في الـ ٤٠ مليون دولار في أي مسألة أخرى. وكسب ويلسون.

فجأة حصل كايبي على ٤٠ مليون دولار إضافية لعملية أفغانستان، وكان المال المخصص مقطوعاً من ميزانية وزارة الدفاع. أثار مسؤولو وزارة الدفاع عاصفة داخل الإدارة، وعممت الوزارة دراسة تقول إن مدفع الأورليكون المضاد للطائرات لا يصلح لحرب العصابات. إن ذخيره غالية الثمن ويحتاج إلى عناية فائقة ولن يقدر على السير على طريق غير معبدة أو صعبة مثل ممر خيبر... لكن ويلسون وهو خريج الأكاديمية البحرية كان صديقاً لوزارة الدفاع، وأدعتت الوزارة لرأيه.

أرسلت الإدارة من خلال مدير الخزانة ديثيد ستوكيان رسالة سرية إلى لجنتي الاستخبارات تطلب إعطاء الإذن بمبلغ الـ ٤٠ مليون دولار. غضب غولدوتور وطار صوابه لهذا الدوران حول اللجنة. إذا لم تتحكم لجنة الاستخبارات بالعمليات الخفية وذلك بأخذ موافقتها المسبقة على النفقات فإنها تعتبر عندئذ غير موجهة.

تابع ويلسون حملته ونشط في مكاتب لجنة استخبارات مجلس النواب واستعمل عملية نيكاراغوا المثيرة للجدل لمصلحته. لقد رغب عدد كبير من زملائه الذين كانوا يعارضون عملية نيكاراغوا في أن يظهروا أنهم لا يتساهلون إزاء التوسع السوفياتي. قال لهم ويلسون

إن عملية أفغانستان هي الآلية الكاملة لإثبات ذلك. كان الديموقراطيون يعتبرون نيكاراغوا الحرب السيئة وأفغانستان الحرب الجيدة.

درس مكهاون نائب مدير المخابرات المركزية تقريراً يدعم زيادة الـ ٤٠ مليون دولار ومُدفع الأورليكون. لقد كان مدير العمليات في الوكالة عندما بدأت العملية (كان كايبي يسميه أب عملية أفغانستان). كان مكهاون يشكك دائماً حيال العمليات الخفية، ولكن تأييد الكونغرس لعملية أفغانستان جعله يقتنع بها. لقد ساعد موقف مكهاون الآن في تغيير التيار وأدى إلى موافقة كل من لجنة مجلس الشيوخ ولجنة مجلس النواب.

قال ويلسون مسؤولي مديرية العمليات في وكالة المخابرات المركزية إنهم كانوا خجولين جداً. كان عليهم أن يطلبوا بأنفسهم المزيد من المال.

كان هذا نصراً غير متوقع بالنسبة إلى كايبي. إن مبلغ الـ ٤٠ مليون دولار لم يكن دعماً لبرنامج أفغانستان فقط، بل أظهر أن الكونغرس يمكن أن يضيء أمام الإدارة في الأعيال الخفية. لم تكن الوكالة متألفة مع مدفع الأورليكون فأحضر نموذج منه وجرى اختباره ثم تم شراء عشرة منه. يلزم فترة أشهر وربما أكثر من ستة هذه المدافع كي توضع في العمل الميداني في أفغانستان، لكن الزخم النفسي كان مع الوكالة. تعجب كايبي وتساءل عما إذا كان يمكن توجيه ذلك نحو نيكاراغوا، وكان يبدو أنه كلما زاد الدعم لافغانستان قلّ الدعم لنيكاراغوا.

كان الدرس الحقيقي في طريقة ويلسون الذي حرك النظام بكامله: مدير العمليات وكايبي والإدارة ومجلس النواب ومجلس الشيوخ.

- ١٦ -

أراد معاون وزير الخارجية طوني موتلي أن يقوم بدوره في عملية نيكاراغوا التي كانت الأموال المخصصة لها على وشك أن تنفذ. وكان أحد أصدقائه المخلصين السناتور تيد ستيفنس من الاسكا رئيساً للجنة الفرعية للتخصيص في الدفاع. واقترح موتلي أن تتعامل الإدارة مع لجنة التخصيص كما فعل شارلي ويلسون عوضاً عن التعامل مع لجنة استخبارات مجلس الشيوخ التي يرأسها غولدوتتر.

قال موتلي: من يعطي هذا المراء للجنة الاستخبارات؟ والإدارة تستطيع التعامل مباشرة مع المسؤول الحقيقي أي لجنة التخصيص التي تملك المال. وهكذا حمل موتلي طلياً بمبلغ ٢١ مليون دولار إضافية وقدمه لستيفنس وقال له إن هناك احتمالاً لتمريرها بقيمة واحد إلى خمسة. ووافق ستيفنس على إعطائه فرصة.

علم غولدوتتر ذلك وقال: «هذه الإدارة الملعونة هي أسوأ علو لي. إنها كانت دون عقل ودون شعوره. لقد كان صديقهم وإلى جانبهم ومن نفس الحزب. قال له رجل الوكالة للعلاقات مع الكونغرس كلير جورج إن طوني موتلي كان يفعل ذلك دون علم البيت الأبيض. على الرغم من ذلك وفي ٢١ آذار/ مارس ١٩٨٤ كتب غولدوتتر ومونيها رسالة سرية مباشرة إلى الرئيس يحتج فيها بشدة على مخالفة بروتوكول مجلس الشيوخ، وأرسلت نسخة عنها إلى كايبي. بعدها قدم وزير الخارجية جورج شولتز اعتذاراً لغولدوتتر. وهذا ما أعاد غولدوتتر إلى جانب الإدارة. في مساء الخميس ٥ نيسان/ أبريل كان غولدوتتر في الطابق الأرضي في مجلس الشيوخ يحاول أن يحصل على ٢١ مليون دولار لكايبي وذلك بعد الكونكتيل، وكان يعاني من مرض في وركه ومن آلام العملية الجراحية. كان عمره ٧٥ سنة أي أكبر من الرئيس بستين، ولأنه جمهوري وموالٍ للإدارة، كان يوبخ زملاءه في الكونغرس لتفطههم على جهود الرئيس للدفاع عن الأمن القومي للبلاد. وبينما كان غولدوتتر يتكلم كان السناتور بايدن أحد كبار متقدي كايبي في لجنة استخبارات مجلس الشيوخ يجلس على مقعده الصغير ويقرأ مذكرة سرية أعدها أحد أركان اللجنة. نصت المذكرة على أن وكالة

المخابرات المركزية لعبت دوراً مباشراً في زرع الألغام تحت الماء في ثلاثة مرفأء نيكاراغوية. وقالت المذكرة إن المنفلدين كانوا من العناصر «اللاتين التحازين». فوجيء بايدن، لم يكن يعلم شيئاً عن هذا الموضوع، لكن من الممكن أن يكون قد فاته استماع أو إيجاز، لذلك وقف وحمل المذكرة لزميله في اللجنة بيل كوهين.

قرأ كوهين بعناية. لقد أوضحت المذكرة أن وكالة المخابرات المركزية خططت ونفذت تلغيم المرفأء. لم يكن هذا مسألة دهم أو ثمنين. كان هذا عملاً مباشراً من الوكالة، لم يكن التلغيم نشاطاً خفياً على الحدود. لقد كان خطوة إلى الأمام وعلى طريق ذلك اليوم المشؤوم عندما هوجم مطار ماناغوا. كان التلغيم عملاً من أعمال الحرب. اعتقد كوهين بأن عملية نيكاراغوا أصبحت حذرة أكثر من أي وقت.

مشى كوهين ناحية غولدوتور وسلمه المذكرة.

قال كوهين: باري ما هذه التضاهات؟ هل هذا صحيح؟ لماذا لم نطلع عليه؟ طلب غولدوتور الغاضب الذي فقد توازنه إذناً بالكلام في الطابق الأرضي، وبدأ يقرأ المذكرة السرية لزملائه. أسرع مدير أركانه روب سيمونز نحو كوهين وقال له: «أرجوك، أوقفه، أرجعه، لا تدعه يقرأ ذلك». لقد كان ذلك أحد كوابيس سيمونز وهو أن يقدم غولدوتور وبعض الشيوخ على أخذ معلومات حساسة وهامة إلى الطابق الأرضي معطياً كايبي والوكالة حجة لوقف إعطاء المعلومات للجنة، وإتاهما بعدم الأهلية للثقة.

لم يتحرك كوهين بالسرعة الكافية نحو غولدوتور، وانطلق سيمونز وكاد أن يسحب المذكرة من يد غولدوتور. نظر غولدوتور وسيمونز إلى بعضها البعض. قال غولدوتور: «تلغيم؟» لماذا لم يجرؤني؟ يجب أن نعلموا. هل هذا شيء مرره كايبي على غولدوتور شخصياً؟ لا.

قال سيمونز إنه لا يملك المفتاح. لقد أنفذوا البرنامج الخفي عدة مرات في الستين الماضيين.

قال غولدوتور: أسلك ببيل كايبي وأعرف ماذا يجري.

لم يسجل حديث غولدوتور وسيمونز في محاضر الكونغرس. على الرغم من ذلك كتب ديفيد روجرز وهو محرر في صحيفة «مول ستريت جورنال» القصة في عدد صباح اليوم التالي، ولم يذكر الحديث بنصه الكامل، وكان عنوان المقال: «دور الولايات المتحدة في تلغيم المرفأء النيكاراغوية كان أكبر مما فكرنا فيه أولاً».

أمضى سيمونز اليوم التالي يحاول الاتصال بجون مكهاون.

«كنت مشغولاً» قال مكهاون عندما وصل إليه سيمونز أخيراً.

سأل سيمونز بريد: هل علمت حول ذلك؟

كان مكهاون متصلاً، ولكنه قال إن كايبي قال ذلك لأعضاء اللجنة على مائدة

الفطور في الوكالة.

فبما بعد تحقق سيمونز من كلام مكهاون وتبين له أن غولدوتور لم يذهب إلى أي من دعوات كايبي للفطور في مبنى الوكالة. كانت المعلومات ترد ببطء إلى لجنة مجلس الشيوخ. لقد زرع حوالي ٧٥ لغماً مما يسمى «بالفرقعات النارية» في ثلاثة مرفأء نيكاراغوية. لكن العديد من الألغام المصنوعة عملياً يزن الواحد منها حوالي ٣٠٠ رطل، وتحتوي على متفجرات من طراز س-٤. كان سيمونز متلفعاً مع المتفجرات من طراز س-٤. وكمية الـ ٣٠٠ رطل كانت كافية لانفجار هائل، وقد جرح عدد من التجار والصيادين وجاء في أحد التقارير أن أحدهم قد قتل. كانت نيكاراغوا تتلقى معظم نفعها من المكسيك، ولأن أصبح الاتحاد السوفياتي المون الرئيسي للنفت (حتى ٨٠٪) وهكذا كانت النتيجة في رأي سيمونز دفع نيكاراغوا نحو الاتحاد السوفياتي.

تذكر سيمونز، التعبير الذي كان يستخدمه رعاة البقر عندما كان ضابطاً في عمليات الوكالة: «دعنا نبول عليهم قليلاً». كان التلغيم مثل عمليات الوكالة ضد كوبا في الستينات التي أديرت من ميامي. لقد تحولت الوكالة إلى بيع ساعد كاسترو في السيطرة على شعبه. قال غولدوتور لسيمونز: «أنت تعلم أنني أشعر بأنني كالمغفل، أخطأت في قيادة زملائي». لقد وجدت اللجنة لتسنع المفاجآت. وشعر غولدوتور فعلاً بأنه قد فشل. أضاف غولدوتور أن التلغيم يعرض الملاحاة المحايدة للخطر. لقد ضربت سفينة بريطانية. تخيل إذا ضربت سفينة أميركية بلغم بريطاني زرع بشكل خفي في أحد المرفأء! وأضاف: «قل لكايبي إنني استلشته من النار كثيراً».

ذهب غولدوتور في عطلة نهاية الأسبوع إلى مزرعة كوين على الساحل الشرقي لولاية ماريلاند التي أصبحت ملاذاً منتظلاً في نهاية كل أسبوع. كان يقوم بأعماله اليومية الإلكترونية مثل تركيب هوائي التلفزيون أو وصل مكبرات الستيريو. لقد كانت عطلة نهاية أسبوع ربيعية جميلة. لكن غولدوتور لا يمكنه أن يتهاون مع الحياة. إنها ضربة له في الصميم. لقد بدا واضحاً أن الإدارة وكايبي لم يثقا به.

حمل غولدوتور آلة تسجيل صغيرة وآلة كاتبة حيث سجل كل ملاحظاته وأفكاره ورسائله. ضغط على زر التسجيل وبدأ يقول في رسالة إلى كايبي: «عزيزي بيل... أحاول أن أتخيل كيف أخبرك عن شعوري عندما علمت أن الرئيس قد أقر عملية التلغيم لبعض المرفأء في أميركا الوسطى». «إنه يعيدني إلى جملة صغيرة وبسيطة: لقد بؤلتم علي». أمر غولدوتور بإرسالها إلى كايبي.

اتصل كايبي بكوين وقال «لا أفهم درجة قلقه. إنه قلق جداً». قال كوين لكايبي إن غولدوتور يريد بنفس السرعة التي يسخن فيها. تفهم كايبي ذلك وانتهى الكلام. هو أيضاً بالوا عليه، لقد شعر بأنه عالق في الوسط بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية اللذين أرادا

المزيد في نيكاراغوا والكونغرس الذي أراد القليل.

طلب البيت الأبيض من كايبي ما إذا كانت هناك طريقة لتحويل المال من عمليات أخرى للوكالة أو من «مال الرشاوى» إلى عملية نيكاراغوا. هل تستطيع الوكالة أن تغمس نفسها في مبلغ الـ ٥٠ مليون دولار الاحتياطي؟ ليس ذلك هو الهدف؟

كانت النفقة الاحتياطية مخصصة للعمليات الطارئة أو عندما لا يكون الكونغرس في

حالة انعقاد. أدرك كايبي أنه سيلتف الأنظار إذا أخذ قرشاً واحداً زائداً لنيكاراغوا. وأكثر

من ذلك فقد عارض مكهاون والمستشار العام سبوركي والآخرين في مديرية العمليات

بشدة أي عمل يبدو ضد إرادة الكونغرس وحذروا من أي محاولة للتعديل في النص أو في

الروح لسلطة الكونغرس.

ظن كايبي أن التلغيم هو عملية أحلام، وأن نتائجها دون سفك الدماء الحقيقي.

والآن بدا أن الدم الوحيد يمكن أن يكون مدمه. أظهرت التقارير أن الألغام كانت تحقق

أهدافها. فمنذ مدة ضربت سبع سفن بواسطة الألغام في مرافأ كوريتو وهو أكبر مرافأ في

نيكاراغوا، أما السفن الأخرى فقد رجعت. كان القطن يكوم في المخازن وهناك السفن

المنتظرة والتي تخاف من الدخول إلى المرفأ. كانت القهوة (البن) والسكر وهما من صادرات

نيكاراغوا الرئيسية يتراكان أيضاً. كان هناك حديث في نيكاراغوا حول انهيار اقتصادي.

كبت الصحف بشكل واسع عن التلغيم وأهدافه. ونشرت تصاريح للقيادة

الساندينية تحمل الولايات المتحدة المسؤولية. إذاً، لماذا فوجيء مجلس الشيوخ؟ عاد كايبي

ومساعدوه إلى نسخ عن الإيجازات السرية إلى مجلس الشيوخ. كان هناك كلام واضح

وإثبات بياني دماغ.

قبل شهر في ٨ آذار/ مارس قال كايبي للجنة الاستخبارات وهي مجمعة: «لقد

زرت الألغام المغناطيسية في المرفأ على المحيط الهادئ «كوريتو» والمرفأ على الأطلسي

«البلوف»، كما وضعت ألغام في محطة النفط في بورتوساندينو». وبعد خمسة أيام في ١٣ آذار

أعاد كايبي نفس الكلمات وحذف كلمة مغناطيسي فقط، لأن بعض الألغام كان يعمل بتأثير

صوت السفينة التي تمر فوقه.

لم يكن هذا كلاماً ارتجالياً. لقد قاله ولم يطرح أي من أعضاء اللجنة أي سؤال، وإذا

كانوا لم يفهموا فتلك مشكلتهم. ذهب كايبي ليرى باد مكفرلين في البيت الأبيض حيث

اعتبر التلغيم خطأ فادحاً وخاصة من قبل جيم باكر. لم يعارض أحد التلغيم عند إقراره،

والسؤال كان: لماذا لم يبق سرياً؟

اعتقد مكفرلين بأن كايبي كان إحدى القوى المستقلة التي يحاول التنسيق معها.

وكانت لكايبي أفكار مستقلة وتفويض من الرئيس. ولكن يمكن أن يكون كايبي مشكلة

وخصوصاً في بعض المناورات والتسويات مع الكونغرس. اعتبر مكفرلين الذي كان يعمل في

الكونغرس لسنوات أنه من الحقاقة والانهزامية لا أن يتفق كايبي مع لجنتي الاستخبارات.

في هذا الوقت استشهد كايبي بالسجلات (شهادة ٨ آذار/ مارس وشهادة ١٣

آذار/ مارس) وأبرز نسخاً عنها إلى مكفرلين. هل كان من المفروض أن يفعل أكثر من ذلك؟

لقد كان غولدوتير تبعاً أو تحت تأثير الأدوية أو العلاج أو الاثنين معاً، وبدا مكفرلين مقتنعاً.

يوم الثلاثاء في ١٠ نيسان/ أبريل قدم كايبي عرضاً مفصلاً لمجموعة من الشيوخ

ليسا أعضاء في لجنة الاستخبارات، وشرح لهم متى وكيف أخبر اللجنة. لقد أمضى ثلث

الساعات في الكونغرس يدي بشهادته. قال: كما يحصل دائماً لقد أجبنا عن كل سؤال يسأله

أي سناتور في أي وقت، بشكل عام لم يكن التلغيم هذا الجزء الهام أو المكمل للعملية

الخفية. ولا داعي لكل هذه الجلبة.

انتقد بعض الشيوخ الطبيعة الميزة لزرع الألغام. سأل أحد الشيوخ عن اللغم الذي

انفجر تحت سفينة بريطانية، ما هذا العمل؟ هل كنا نربك أقرب الحلفاء؟ وكان قد انفجر

لغم آخر تحت سفينة سوفياتية. هل أراد كايبي أن يبدأ الحرب العالمية الثالثة؟ ما رد فعل

الولايات المتحدة إذا انفجر لغم تحت سفينة أميركية تجارية وتبين أن المخابرات السوفياتية قد

زرعته؟

ذهب كايبي إلى لجنة الاستخبارات. لقد كان واضحاً من ردة الفعل وخاصة بين

الجمهوريين أن هناك تباعداً. لقد قال لهم كايبي ولكن لم يسمع أحد ولم يفهم أحد. كان

السناتور ديفيد دورنبرغر وهو جمهوري من ولاية مينيسوتا ميالاً إلى الشك، فقد رأى أن مدير

المخابرات المركزية كان يقول إن الولايات المتحدة قد ارتكبت عملاً من أعمال الحرب. وكان

كوهين يغلي ببطء. كان هناك خطأ ما في ذلك المنطق، وكان كايبي يقول إن الألغام أعذت

تلحدت أضراراً خفيفة، ومع ذلك أصبح التلغيم عملاً من أعمال الحرب العادية. لماذا

جازف بذلك إن لم تكن هناك أية أهمية عسكرية أو استراتيجية؟ لقد اعتبر التلغيم تصعيداً

لسياسة غامضة وغير واضحة. تعجب كوهين: متى تتوقف هذه الحرب الخفية؟ ومتى يصبح

العمل الخفي حرباً بسيطة أو معقدة؟ كانت اللجنة هيئة استماع سرية، وإذا مرت عملية

دون معارضة قوية فيمكن عندها أن يتسامح الجمهور. كان على اللجنة أن تحذر كايبي من

التلغيم.

كان السناتور والوب من الشيوخ القلائل الذين وقفوا إلى جانب كايبي إلا أنه انتقد

التلغيم واعتبره نصف تدبير. قال: يمكنهم أن يفجروا كل شيء في نيكاراغوا. قال بضعة

ديموقراطيين من الليبراليين إن الطريق الوحيد للخروج من هذا الوضع هو اعتداد برنامج

خفي متكامل للكونغرس، وقالوا إنهم سيدعمون هذه الخطوة. ضحك والوب وقال إنهم

سيقولون ذلك في الجلسة السرية فقط. قال بعض الديموقراطيين في العلن إن الخطوة التالية

كانت إرسال وحدات قتالية أميركية. وورد في تقارير صحافية أن خطأً كهذه كانت قيد

279

الإعداد. لهذا أصدر كل من كايي وشولتز ووينبيرغ ومكفرلين بلاغاً علنياً غير عادي من ثلاث صفحات وتوقيع الأساء الأربعة جاء فيه: «نحن نعلن أننا لم ندرس ولم نضع خططاً لاستخدام الوحدات العسكرية الأمريكية لغزو نيكاراغوا أو أي بلد آخر في أمريكا الوسطى». لقد كان ذلك متأخراً جداً. فقد حصلت في مجلس الشيوخ الذي كانت تسيطر عليه حتى العدا لل حرب، حركات مسرحية لبله إصدار التصريح. قال غولدوتتر في الطابق الأرضي بلهجة يفهم منها أن كايي كان يطلق النار على أصدقائه أيضاً إنه شطب ملاحظاته عن سجلات الكونغرس وهذه أrole أمر يقوم هذا العمل منذ ثلاثين عاماً في مجلس الشيوخ. أضاف غولدوتتر: «أنا مرغم على الاعتذار لأعضاء لجنتي لأنني لم أعلم الحقيقة حول هذه القضية، كما أنني أعتذر لجميع أعضاء مجلس الشيوخ لفرض السبب». كان واضحاً أن الحد الأخلاقي قد تم تجاوزه وأن هناك حاجزاً يفصل المقبول عن المرفوض. كان التلغيم مقبولاً. والرأي العام سأل السؤال: هل نحن أمة دون لياقات؟ لقد كان التلغيم عملاً قومياً ومظهراً للسلوك القومي الأمريكي. إنه عمل حقير وجبان ومحاولة في الظل كزرع قنبلة في مطعم. لقد ساهم استنكار غولدوتتر في تضخيم المسألة، وقد قال في مجالسه الخاصة عن التلغيم «إنها أقدرة فكرة سمعت بها في حياتي».

قدم السناتور إدوارد كينيدي حلاً هادئاً يدين التلغيم ويدعو إلى عدم تخصيص الأموال للتخطيط لتلغيم المرافئ والمياه الإقليمية النيكاراغوية.

فاز الاقتراح بـ ٨٤ ضد ١٢.

لم يستطع كايي التصديق بأن الجمهوريين في مجلس الشيوخ قد فعلوا ذلك. يمكن للشيوخ أن لا يوافقوا ولكن هذه سياسة قومية رسمها الرئيس ونفذتها وكالة المخابرات المركزية بعد إعلام الكونغرس وفقاً للأصول. لم يكن التصويت رفضاً بل كان تمويئاً للنفوس.

قال الرئيس ريغان في عشاء رسمي على شرف رئيس جمهورية الدومينيك عن تصويت مجلس الشيوخ: «إذا لم يكن مُؤمداً، أستطيع العيش معه. أعتقد بأن هناك هستيريا حول كل هذا الشيء. نحن لسنا في طريقنا إلى الحرب». تسربت رسالة غولدوتتر إلى كايي من مجلس الشيوخ وطبعت ونشرت دون حذف أي كلمة. في اليوم التالي ١١ نيسان/ أبريل ١٩٨٤ كان السناتور ليهي يتناول كأساً مع اثنين من مساعديه في مكتبه في مجلس الشيوخ وهو عبارة عن غرفة صغيرة شبيهة بالكهف كان يستعملها قبله دانييل وبستر. كان ليهي مسروراً لأن التلغيم خرب العملية الخفية كلها. أكثر من ذلك قال إنه كان متأكداً أن كايي لم يحاول أن ينجذع الشيوخ أو يخفي عنهم عملية التلغيم وخاصة غولدوتتر.

لماذا؟

لأن ليهي علم منذ أسابيع: لقد توفي والده وكان غائباً لعدة أسابيع. ولدى عودته إلى مجلس الشيوخ طلب إنجازاً من الوكالة لوضعه في أجواء عملية نيكاراغوا. وقد عرضت الوكالة التلغيم بكل تفاصيله. لا يمكن بأي طريقة أن يجربوه، وأن لا يجربوا غولدوتتر. لماذا لم يقل أو يفعل شيئاً ما؟

قال ليهي إن السبب هو أن التلغيم كان امتداداً منطقياً لحرب خفية غير معلنة. أن نوافق على العملية الخفية يعني أننا نوافق على التلغيم. طبعاً لم يتقبل كايي ذلك ولم يوافق على أن يكون العمل الخفي بديلاً لسياسة خارجية طويلة الأمد. كانت نوعية العمليات الخفية قدرة ومبتذلة. أضاف ليهي أن كايي كان عملاً لأنه ذهل لهذا الاحتجاج العنيف. لقد وافق الكونغرس على كل شيء في الحرب الخفية، ولماذا رفض هذا؟

قال أحد مساعديه: «إنه عمل من أفعال الحرب».

قال ليهي: «هذا الشيء هو الحد الفاصل لأنه سيشق لجنة الاستخبارات ويقضي على تحالف الحزبين فيها. كان هناك عدد من المشاريع مرت بالإجماع، وكنا هيئة استماع لعدد من الأفكار الخالية من أي معنى» وأضاف أن كايي والإدارة كانا بحاجة إلى لجنة متحدة تفيدهم عندما تطرح للبحث أفكار وخطط جنونية.

أضاف ليهي: لم أر كايي أبداً في حالة الدفاع. إنهم كمجموعة من الأطفال يجلسون هناك. مثل لعبة رعاة البقر مع الهنود الحمر ومثل ألعاب بعد ظهر يوم السبت، لا تؤدي إلى أية نتيجة. وأضاف: «لقد وضعتنا الناس في جو متحرك لا نستطيع أن نسيطر عليه، وكانت النتيجة النهائية بعض القتال في أمريكا الوسطى».

كاد كلير جورج أن يني ٢٧ سنة من حياته المهنية في الوكالة بحريقاً! لقد تناوب سلوكه بين الدفاع والأسف العميق وقال في مكالمة هاتفية: «لقد بدلنا كل جهد لنطعمهم دائماً. لقد أوجزنا لهم، أوجزنا لهم ولا أعرف ماذا نفعل». وقال إن الشيوخ يقولون: «هؤلاء الأوغاد الشريريون في الوكالة». إنها السياسة. كل مشرع كان يرتب وضعه وفقاً لآخر مجرى للرياح. الشيء الوحيد الذي كنا قادرين على فعله هو أن نضع آلة تكتس وتذهبهم يرون الاتصالات اليومية. قال بعض الشيوخ يمكن أن تكون لهم شكواهم مشروعة، والبعض ليس لديهم أي عذر والبعض الآخر كانوا يتخذون مواقف خاصة، وإذا شاهد أحدهم أفلاماً سينائية حول الموضوع لن يكفي بها.

كان جورج غاضباً، وعندما هذا أدرك أن الحرب الخفية والتلغيم كانتا مسألتين حاسمتين. «إنها أشد المسائل عاطفية اقتننا بإحسانها وهذا انهيار كبير للمعنويات».

سئل جورج: كيف كان كايي يتعامل مع الانتقادات؟ وكان كايي في ذلك النهار يحضر جنازاً عائلياً.

أجاب: «بكل قوة» وأضاف بإعجاب: «عنده فقايع من المغنيزيوم».

خلال الأشهر التسعة التي أمضاها مسؤولاً عن العلاقات مع الكونغرس، كان لجورج غداء شهري منتظم في مطعم في قلب المدينة مع مدير أركان غولدوتور روب سيمونز للتأكد من أن الاتصالات كانت منتظمة.

كان جورج يعامل البيت الأبيض كحكومة مضيفة في بلد أجنبي حيث يعمل هو كجاسوس. قال سيمونز لجورج: «أنا لا أعتبرك ضابط الحالة» الخاص لي، وأمل أن لا تعتبرني «ضابط الحالة» الخاص بك.

قال جورج: لا. لا. لا.

قال سيمونز: إن إنهاء قضية التلغيم في بيانين طويلين لم يكن كافياً. كانت اللجنة بحاجة إلى معلومات وتوقعت نزوحها بها. لم يرد جورج بأي جواب وتوقفت علاقتها. في اليوم التالي ذهبت(*) إلى الوكالة كي أتلقى إيجازاً حول رحلة أنوي القيام بها إلى ليبيا. وعندي وزير الخارجية الليبي يأتي ساقابل القذافي. فوجئت بأن أحد الموزعين كان ضابطاً كبيراً في مديرية العمليات وهو رجل بارد أنيق لا ينسم، وجاء في إيجازه: يتزايد شعور القذافي بأنه مهديد، وقد حرك حضائر القتل ضد المجموعات الخارجية المعادية له. للقذافي أحلام كبيرة جداً، وهو قائد دون قاعدة صحيحة، قال ضابط العمليات. إنه يبحث عن بلد. يتنقل دائماً وينام في أماكن مختلفة، يطغى عليه شعور بأن وكالة المخابرات المركزية تدبر لاختياله.

لم أسأل ما إذا كانت الوكالة تدبر ذلك. وبدأ أسلوب ضابط العمليات وكأنه لا يدع مجالاً لطرح مثل هذا السؤال.

كان القذافي يحاول اختراق الطوق النفسي. إنه مثل كاسترو وعيند وحقود. كان يحاول الاقتراب من أعدائه ويرسل إشارات إلى الولايات المتحدة يلوح بأنه يرغب في التباحث. أظهر الضابط تبايناً بين انهم القذافي بالغدر والقول عنه إنه ضعيف. لقد قال - مثلاً - إن القذافي حرساً شخصياً من الإناث وهو يدرك تماماً أن أي عربي يحاول اغتياله سيضطرب عندما يطلق النار على امرأة. إن إعادة تفسير القذافي للإسلام بذكاء قد سببت له المشاكل، واعتمد أصولية غير منظمة، ووضع سحابة فوق علاقته مع إيران ومع الشيعة. كان الخميني قد رفض دعوة للاجتماع بالقذافي. كانت علاقة القذافي مع السوفييت موضع شك إذ لا يوجد أي اتفاق رسمي أو سري معهم. كان القذافي يشتري الكثير من روسيا (حوالي مليار دولار كل سنة) مما يزيد عن حاجته، حتى لا يظلم قطع غيار في المستقبل.

ماذا عن التقارير التي تفيد بأن القذافي يزود نيكاراغوا بالسلاح؟

- ضابط: «إنه نادي العالم الثالث وهو الأكثر تضامناً، لم تكن الأسلحة المقدمة إلى نيكاراغوا ثقيلة بل خفيفة. قال إن الاقتصاد الليبي بدائي ولذلك من الصعب أن يصاب

(*) المؤلف يوب وودورد.

بأذى، ولذلك لن يؤدي الحظر الاقتصادي إلى أية نتيجة.

- ماذا يجب أن أسأل القذافي؟

ونظر إلي نظرة لاعب البوكر وأقترح علي أن أسأله: لقد عرفت أن عندك الكثير من

الحبوب النومة. هل تعاني من مشاكل في النوم؟

كان هناك نوع من الازدراء الاجتماعي والعقلي للقذافي وميل إلى السخرية منه. ولكن كان له احترام كمقاتل.

قال الضابط: كان القذافي قد عانى من مشكلة في جهازه التنفسي عندما كان في العشرينات ولم يكن في صحة جيدة. إنه منفعل أكثر من اللزوم ومتوتر جداً وقادر على فعل الكثير وفعل القليل، في الفترة الأخيرة ألقى خطابات مروعة.

لقد تلقيت ما ظننت أنه معلومات صحيحة ومدروسة بعناية. ولكن كان لدي شعور بالثاني. وبينما كنت أراجع الحديث وملاحظاتي أدركت أنني لم أعرف ما إذا كنت قد اكتفيت. لم أستطع أن أغفل ملاحظة أن السؤال المقترح طرحه على القذافي كانت له أغراض أخرى.

بينما كنت أعاود مبنى الوكالة متأخراً بعد الظهر أخذني أحد مساعدي كايسي الكبار الذي كان متأنقاً مع عملية نيكاراغوا جانباً وطلب مني أن أحدث معه. ذهبت إلى مكتبه في الطابق السابع وأقبل الباب. «كانت هذه خفيفة». قال وهو يرمي نفسه بسرعة على الكرسي (كان يعلم أنني سأستعمل هذه المعلومات دون أن أكتشف عن مصدرها) كانت نهاية عملية نيكاراغوا تقرب بوضوح. لقد أفاد مدير العمليات بأن المال سيستهي في الأسبوع المقبل وربما قبل نهار الأحد القادم أي بعد ثلاثة أيام. أظهرت الحسابات أن ٢٢ مليون دولار من أصل ٢٤ مليون دولار قد صرفت منذ أسبوعين وبقي مليونان فقط. وكان من المتوقع أن لا يوافق الكونغرس الغاضب على مبلغ الـ ٢١ مليون دولار المطلوب. ضحك بشدة وذكّرني بنتيجة تصويت مجلس الشيوخ ضد التلغيم بـ ٨ ضد ١٢، وقال إنه كان يتوقع أن يقوم مجلس النواب بنفس الشيء (وبالفعل صوت مجلس النواب بعد عدة ساعات بـ ٢٨١ ضد ١١١). قال: وهكذا ستبدأ الخطوات للمباشرة بعملية الانسحاب المؤلمة، وخروج الوكالة من نيكاراغوا.

تابع المسؤول: يدرس كايسي الآن إمكانية الطلب من دولة صديقة أن تتابع العمل وترسل المال إلى الكونترا حتى نمر على حل لمشكلة التمويل.

- لكنك قلت إنكم على وشك الانسحاب؟

قال المسؤول: لقد قال كايسي إنه يمكن أن نحصل على المال عندما عهداً عاصفة التلغيم، لكنه قال: إن المدير هو الوحيد في الوكالة يفكر في هذا.

- من أي بلد ستطلبون ذلك؟

من العربية السعودية، لكننا لم نتخذ قراراً نهائياً بعد.
سجلت ذلك في دفتر ملاحظات أحله موضحاً أنني سأنتشر هذه المعلومات. لكن لم أعلم ما إذا كان هذا بالون اختبار أو أنني إذا نشرت المعلومات فإن الطلب من السعودية سيصبح صعباً جداً.

وصف لي هذا المسؤول كيف كان كايبي يجرّك الحرب الخفية والجندل الذي انتشر حول التلغيم وقال: «إن كايبي هو الذي طُخ».

كتبت كلمة «تباين» في دفتر ملاحظاتي لأنني اعتبرت ذلك محاولة لفصل الخط العام في وكالة المخابرات المركزية عن كايبي وحربه. وكتبت «طبخ» وغيرها. كانت هناك معارضة قوية في الوكالة وكان جون مكاهون في البداية يعتقد بأن هذا حماقة وتصور خاطئ. لقد دار هوس حول هذا ولكن فوجئت بأنه قيل لي مباشرة، وطرحتم أسئلة قليلة. ثم نظر إلي المسؤول كأنما كنت أسأله إلى أي جانب كان إبراهيم لتكولن في الحرب الأهلية؟

قال: لقد كان مكاهون يعلم أننا سنصل إلى هذا لأنه لا يوجد دعم شعبي ولا دعم من الكونغرس وإنا سوف ننسحب. قال ذلك ثم تحول إلى الحديث عن وزارة الخارجية التي أصدرت مؤخرًا رأياً قانونياً يقول إن التلغيم «كان عملاً دفاعياً»، وقال بازدراء: إن رأي وزارة الخارجية «لسوء الحظ كان هراء». القضية الحقيقية هي أن اليمين اليمنى واليسرى للإدارة لم تعرف الواحدة منهما ماذا كانت تفعل الأخرى. وأضاف أنه لا يتوقع أي شيء من القسم القانوني في وكالة المخابرات المركزية، فقد كانت العملية بكاملها لطة قوية. كانت الجهود المبذولة تؤذي الاقتصاد النيكاراغوي، لكن تدفق الأسلحة نحو السلفادور لم يقل.

لقد تراجع بعد غرائنا أما الآن فهو يزداد ويمكن أن يزداد أكثر.

قلت: ولكن نحن جميعاً ندرّك أن السبب الحقيقي هو الإطاحة بالساندينين.

ضحك، وضحك ثانية: بصوت مرتفع قائلاً إن هذا مضحك جداً، لا توجد أية فرصة لذلك. الحساب بسيط، هناك تفوق عددي بنسبة ٤ إلى واحد. كان الساندينيون يملكون قوة من الجيش والشرطة عديدها حوالي ٧٥ ألف وقد عيّن مجلس الأمن القومي سقفاً عديداً للكونترا بحيث لا يتجاوز عددهم ١٥ ألفاً، والسبب ما يزال جافاً!

أجريت عدداً من المكالمات الهاتفية لأتّين ما إذا كان الإطار العام لهذه المعلومات صحيحاً، أو ما إذا كان يمثل موقف المحترفين في الوكالة. تكلمت مع جورج لودر المتحدث باسم الوكالة حول موقف مكاهون من عملية نيكاراغوا. كان موقفه المعارض للعملية معروفاً في الوكالة وفي الكونغرس. أضاف لودر أنه مهما كانت الآراء الشخصية والاستنتاجات يمكن أن يكون مكاهون قد قال كلمته، إلا أنه لا يعارض أية عملية للوكالة في الوقت الحاضر. نشرت القصة بكاملها على الصفحة الأولى في اليوم التالي كعنوان رئيسي وعلى ثلاثة عواميد بعنوان: «نفقات وكالة المخابرات المركزية للعمليات الخفية تنفذ».

عندما عدت إلى مكنتي في صباح اليوم التالي تلقيت مكالمة من لودر، قال: لقد كنت متأكدًا أن كايبي سيصاب بخيبة أمل لأنك صورته على أنه رئيس مهندسي عملية نيكاراغوا. أحد المساعدين الذي قيل عنه في القصة إنه مصدر مطلع قال: «كايبي طبخ كل شيء». كان لودر مثلياً وقال إن جون مكاهون طلب منه إصدار بيان شديد اللهجة.

.. مكاهون؟ سألت.

قال لودر وكأنه يسمع درساً: «إني متلهف لأن أشرح وجهة نظري حول ما نُشر عن عملية نيكاراغوا في صحيفة واشنطن بوست في عددها الصادر في ١٣ نيسان/أبريل. بينما كان المدير كايبي يشجع المناقشة والافتراحتات في مجال الاستخبارات كنا متفقين معه حول جميع نشاطات الوكالة بما فيها النشاطات المتعلقة بنيكاراغوا، وبشاركتي في هذا الموقف كبار موظفي الوكالة».

سألت: «ماذا عليّ أن أفعل، بحق الجحيم؟».

قال لودر: «لا أعرف، إن ذلك يعود إليك» وأضاف أنه سينشر البيان.

أما بيان مكاهون فقد نشر تحت إحدى نصوص التلغيم، كان هناك ثلاث قصص أو أربع يومياً. كانت هناك قوى في وكالة المخابرات المركزية تنظم صفوفها ضد كايبي. ولا شك في أن مسؤول الوكالة الذي حشرن في الزاوية في اليوم السابق كان يعرف فن الإعلام. لقد نشر بذور الشك ورش عليها الماء، وتركها تنمو، ثم طلب منا إزالتها.

شاهد مكاهون الذي كان يعارض عملية نيكاراغوا التخلي الذي لا مفر منه عن الحرب التي يطبخها كايبي. في نفس الوقت وافق على إصدار بيان مؤيد للمدير.

كان مكاهون مع الجانبين في هذه المسألة. وكان إذا تحولت المسألة إلى كارثة متوقعة الحصول يعود هو وحلفاؤه إلى حديثهم عن الشك، أما إذا انتعشت العملية فكان يعود إلى تصاريحه العلنية التي آيد فيها كايبي.

في وزارة الخارجية قرأ طوني موتلي تصريح مكاهون باستمتماع. خلال سنة من عمله كموجه من قبل الإدارة لعملية نيكاراغوا توصل موتلي إلى أن يسخر من المناورات الداخلية في وكالة المخابرات المركزية. كان مكاهون محارباً بيروقراطياً مثالياً. لقد أدرك كل الذين عرفوه أنه يقاتل أكثر من نيكاراغوا. كان وراء القوة شبه العسكرية التي كان كايبي يحاول أن ينشئها. أدرك أن أيام حرب الكوماندو قد انتهت في الوكالة مع استثناءات قليلة مثل أفغانستان. لقد قال مئات المرات إن على الوكالة أن تسرق الأسرار وأن تحل...

كان موتلي يرى أن مكاهون لم يكن موالياً. فهو الذي كان يؤيد سياسة كايبي، ويحاول في غضون ساعات سياسة المدير باتجاه آخر وبصورة غير مباشرة تدل على احتراف ماهر. كان من الصعب أن تعثر على عبارة أو جملة من مكاهون تناقض مع كلام رئيسه. لقد كان يعلم كيف يتكلم عن الجانب المقابل وكيف يختار كلماته: «الانتقادات

سقول...» ولكن غالباً ما كان موقفه وتصاريفه في الطريق الأخرى. قال موتلي مرة لمكهاون: «جون أنا مرتبك لأن المدير قال العكس تماماً». استنتج موتلي أن مكهاون كان يفهم كايسي أكثر من أي شخص آخر. وتساءل موتلي عما إذا كانت لمكهاون تأخذ على كايسي. قال موتلي مرة وهو يمزح: «مكهاون ضبط كايسي وهو يرتكب فعلاً شنيعاً». عندما سمع مكهاون ذلك انفجر من الضحك واحمر وجهه المستدير وأخذ يقفز حول الكرسي البرقائلي في مكتبه في الطابق السابع وينظر من خلال الشبابيك الكبيرة إلى المناظر الطبيعية ويخرج إلى الشرفة المظلة على ريف فيرجينيا. لقد كان إفراطه الشديد في ردة فعله تحولاً تاماً لأنه لم يرغب في التعليق، وانتهى من ضحكته ولم يقل شيئاً. كان زملاؤه في الجامعة التي تخرج منها هولي كروس يسمونه «جاك الضاحك» و«الدجاجة الأم» و«الأكثر ترحيباً في أي جلسة حيوانية»، وذلك استناداً إلى الكتاب السنوي. كان يضحك من قلبه بعد كل حكاية نادرة. وكانت ضحكته مميزة في أي قاعة مسرح أو سينا مظلمة ومزدحمة. كانت أطروحة دراسته الأساسية حول الصراع العاطفي لأربع بطلات في مآسي شكسبير. إنه رجل غامض ولاذع وظریف. لقد عرف كيف يلعب مع كايسي.

لم يؤمن كايسي بأن مكهاون لم يكن موالياً. وعندما مثل عن احتيال عدم موالاته قال: أنا لا أعتقد بذلك.

أخيراً تحفل موتلي الجواب، كانت وكالة المخابرات المركزية تتجه نحو أزمة هوية، وكانت تكافح بكل دورها العالمي. هل كان موظفوها تخادعون أو قدرونها؟ نعم لقد خدموا المدير والرئيس. هل حاربوا السوفييت دائماً؟ نعم. هل راقبوا العالم بكامله؟ لقد حاولوا. هل كانوا محللين على مستوى عالم من الذكاء؟ وهل نظموا تقارير أذهلت القلة التي لما حق القراءة والاطلاع؟ هل قاموا بمهامات كايسي؟ أو بمهامات المؤسسة مع مكهاون كناطق باسمهم؟ لم يكن هناك أجوبة كاملة عن هذه الأسئلة. استنتج موتلي أن الأجوبة تتغير يومياً.

وهكذا دخلت الوكالة في جو من التناقض الكامل.

أدرك موتلي أن البيئة اليومية للأجوبة يمكن أن تؤدي إلى أكثر من أزمة هوية، وإذا لم يتحقق الاستقرار يمكن أن يؤدي ذلك إلى انهيار معنوي كالذي حصل في السبعينات، ويمكن أن يحدث مرة ثانية. كان نصف رجال الوكالة يؤيدون كايسي بحماسة وينفذون رغباته.

بعد ظهر الجمعة ١٣ نيسان/ أبريل غادر غولدووتر في رحلة إلى الشرق الأقصى، وتسلم مونيهان رئاسة لجنة استخبارات مجلس الشيوخ بالوكالة مما أعاد قصة التعليم إلى الواجهة. لقد شعر مونيهان بالهزري عندما علم عن التعليم من صحيفة وول ستريت جورنال لأنه لم يكن في الطابق الأرضي لمجلس الشيوخ في تلك الليلة. اتصل بكليمر جورج وسأله: ماذا فعلت؟ ماذا تفعل لنا؟

أجاب جورج: السفينة التي نفذت التعليم تعبر في هذا الوقت بالذات قناة باناما.

ووعده بالآ تزعزع الغمام فيها بعد.

لم يكن هذا كافياً. كان من المقرر أن يحضر كايسي ومكهاون في ذلك النهار لمناقشة المسألة بكاملها مع مونيهان.

عندما وصل كايسي ومكهاون إلى مكتب مونيهان كان مكهاون يتسهم ويضع يديه حول كايسي.

سأل كايسي: هل خسر غولدووتر كله؟ (*)

بدا أن مونيهان يريد أن يتسامح لأن كايسي قدم نصف اعتذار. لكن فيها بعد رأى مونيهان خيراً على الصفحة الأولى من صحيفة واشنطن تايمز حول خطاب مستشار شؤون الأمن القومي مكفرلين في مؤتمر الأكاديمية الحرة حول التعليم و«كل التفاصيل الهامة... شارك بها الجميع... وفقاً للقانون... بكل إخلاص مع لجان المراقبة». كان مونيهان قد ساعد في صياغة قانون لجان المراقبة عام ١٩٨٠ الذي نص على وجوب إعلام اللجنة بشكل مستمر وكامل عن النشاطات الاستخباراتية.

لم يحدث ذلك. لقد قيل عن التعليم ٢٧ كلمة في حوالي عشر ثوانٍ خلال عرض استمر زهاء ساعتين و١٨ دقيقة، أي جملة واحدة وثيقة من ٨٤ صفحة. أجرى ديفيد برينكلي من شبكة إي. بي. سي التلفزيونية مقابلة مع مونيهان وكان من المقرر أن تبث يوم الأحد في ١٥ نيسان/ أبريل. قال فيها مونيهان: «السناتور غولدووتر أعطى حكمه بشكل واضح، وبعد أربعة أيام أو خمسة، ما زالوا يرفضون حكمه. إنهم يريدون حكمي بالطريقة التي أرتبها أي أن أقول: أنا استقبل».

وهو يعني بذلك أنه يستقبل من منصبه كنائب رئيس لجنة الاستخبارات.

اندفع السناتور دورنبرغر نحو كايسي وقال: إن كايسي يحصل على علامتين من أصل عشر في مجال الثقة. وفي مقابلة مع أسبوعية تايم ذهب أبعد من ذلك. قال: لا توجد أية فائدة من اجتماعنا مع بيل كايسي. لا أحد منا يصدق. لقد عاملنا بطريقة قاسية كأفراد، وقد تحول جميع أعضاء اللجنة ضده.

كان الرئيس ريغان ما يزال بعيداً عن هذا الصراع. وفي نهاية ذلك الأسبوع ظهر في فندق هيلتون في واشنطن في حفلة لجمعية مراسلي البيت الأبيض.

قال ريغان: «ما هذا الكلام عن انهيار العلاقات في البيت الأبيض؟ كيف يحدث أن لا يخبرني أحدهم؟ ضحك الجميع. «حسناً أنا عرفت ذلك. سأطلب من كل واحد من الآن وصاعداً أن يخبرني حول كل ما يحدث في أي وقت كان، فليوفقوني حتى في وسط اجتماعات الحكومة» وضحك الجميع أيضاً. لقد سجلت التقارير الرئاسية الرسمية أن الرئيس قد تلقى ٢٦ ضحكة أخرى في هذه الحفلة.

(*) كلة: لعبة للأطفال على شكل كرة صغيرة.

إلا أنه لم يتكلم عن التلغيم.

في مقابلة طويلة مع مجلة نيوز اندورلد ريبورت صرح كايبي بما يلي: «أعتقد بأن الشعب سيقبل اهتمامه بالأخبار المتعلقة بتلغيم مراقء نيكاراغوا، إلا أنه سيهتم أكثر إزاء خطر خلق حالة من الهجرة إلى هذا البلد إذا وقعت أميركا الوسطى أو أي جزء منها تحت السيطرة الكوبية أو السوفييتية».

في نهاية الأسبوع أصدرت وكالة المخابرات المركزية تقريرها لتهديد السوفييات والكوبيين لنصف الكرة. هناك حوالي عشرة آلاف سوفييت في كوبا وحوالي المائة في نيكاراغوا وربما عشرة آلاف كوبي في نيكاراغوا. عقدت وكالة المخابرات المركزية ووكالة الاستخبارات الدفاعية اجتماعاً لمدة ست ساعات للحصول على تقدير دقيق، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى ذلك. كانت الأرقام غير دقيقة، لكن الأرقام لا تخفي المشكلة ولا يجعلها بيان لوكالة المخابرات المركزية يقول إن موضوع تلغيم مراقء نيكاراغوا قد بحث مع أعضاء لجنتي الاستخبارات وأركانهم وأعضاء آخرين في الكونغرس إحدى عشرة مرة.

أحال سيمونز ذلك على كلير جورج قائلاً إن رجل الارتباط بين الوكالة والكونغرس له

نفس عقلية كايبي.

في وكالة المخابرات المركزية رأى جون مكهاون أن القضية بدأت تقلت من الزمام، ويمكن أن تضع كايبي والوكالة مجدداً في طبق «الشوربا». وبوجود غولدوتور في الشرق الأقصى ومونيهان في حالة عداء، اتصل مكهاون هاتفياً بسيمونز. كان مكهاون وهو الضابط الإداري يعرف ماذا يعني الانقطاع. كان سيمونز خائفاً نعم، كان على وكالة المخابرات المركزية أن تبلفه، ولكن ذلك أيضاً كان من صلب وظيفته، أن يتحقق ويفتش. كان عليه أن يعرف من خلال تجربته في عمله في الوكالة أن المعلومات الجيدة، وحتى المعلومات التي كان معنياً بها، لا تأتي على طبق من فضة. كان سيمونز بحاجة إلى لطة خفيفة.

قال مكهاون: «يجب أن نتخلص من هذه الضجة. إن هذا الوضع يؤذي الجميع. لماذا لا تقوم بما عليك وأقوم أنا بما علي». لقد كانا على وشك التضحية بالنفس: وكان مكهاون يميل إلى أن لديها رؤساء مجانين، وأن عليها أن يحافظا على السفينة عائمة.

أجاب سيمونز أن غولدوتور قد هوجم وأن البيانات والمعلومات المضللة التي أعطيت للصحافة تتيح عودة الأمور إلى طبيعتها. لم يثابر كايبي وجورج على إعلام اللجنة. إنها صدمة لغولدوتور بعد عمل خمس سنوات في اللجنة. علينا أن نساعد على خلق صورة جديدة للوكالة وضمان حماية الجميع وتأمين المال وإعادة بناء الجسور بيننا. لقد دمرت خمس سنوات من الجهود المخلصة بانهايار مربع في الاتصالات. باري وأنا نشعر بأننا وُضعنا في سلة القمامة، وبأن جميع توجهاتنا الفلسفية وخصوصاً الثقة قد تحطمت.

أضاف سيمونز: بما أنني أخرجت ذلك من صدري، دعنا نخفف من لهجتنا الخطائية.

ساد شعور في البيت الأبيض وفي مجلس الأمن القومي بأن كايبي قد سمم العناصر الجيدة في الكونغرس وجعل مناورات سياسة الإدارة الاستخبارية أكثر صعوبة. إنه ما يزال يلزم سياسة أكثر ضراوة في أميركا الوسطى. أراد البيت الأبيض إعادة تنظيم إطار مناقشة الموضوع وإبعاده، عن كايبي ووكالة المخابرات المركزية والأعمال الخفية.

من جانبه، رأى كايبي أن الحرب الخفية في نيكاراغوا هي جزئياً حرب عصابات. لقد حسم موقفه بأنه لن يجعل الساندينيين يتقدمون. وكانت سياسة الضغط، الإراحم، القرب من جميع الجوانب وجميع الجهات. كان كايبي خائفاً من أن توجه الصبغة إلى تردد البيت الأبيض، وكان جمهور الناخبين في داخل المدن ولم يرد البيت الأبيض أن يفسره. لقد تكلم البيت الأبيض بأصوات عديدة. لم يكن صعباً أن نعرف ما يريد الرئيس. لا قوات عسكرية أميركية وكل الدعم الخفي يمكن عملياً وواقعياً. إلا أن الأخذ والرد بين الأركان أدى إلى نتائج مختلفة. جيم باكر أمر بالحذر في سنة الانتخابات في جانب، وفي جانب آخر، كان بعض مساعدي مكفرلين في مجلس الأمن القومي يضعون خطفاً جديدة. وقد دعت إحدى هذه الخطط إلى حصار نيكاراغوا. دعت نصف أسطول الولايات المتحدة تقريباً إلى مراقبة جميع المعمرات المائية التي توصل إلى نيكاراغوا. لم يعمل كايبي هذه الخطة على حمل الجد لكنه لم يبندها. لم يكن أحد يعرف متى يتحرك الرئيس. لقد حدثت مفاجأة في غراناذا. كان كايبي يعرف متى يقف رونالد ريغان وبماذا يؤمن، ولكن لم يكن أحد يعلم ماذا يريد ريغان أن يفعله، يمكن أن يقول «نعم» ثم «حسناً»... ثم «لا» و«نعم» و«حسناً» و«لا»، وذلك على سبيل الإستعارة أو التعبير المجازي. كانت هناك متغيرات عديدة أخرى ابتداء من «لا» ومروراً «بنعم» إلى عدم القرار. كان بإمكان كايبي الحصول على لقاء خاص مع ريغان في البيت الأبيض. لقد لعب هذه الورقة مرتين في السنة تقريباً وكان الرئيس دائماً ودوداً، وكان يصغي باهتمام. ولكن بعد كل اجتماع كان يأتي السؤال الذي لا مفر منه من خلال باكر أو مكفرلين: فيم يفكر جورج (شولتز) أو كاب (وينبرغر) وهذا ما يفكر به شولتز ووينبرغر إلى القضية. هذا سليم ولكن سوف يبدأ التراجع بعدها. «نعم» و«حسناً» و«لا».

لم ترأس ريغان اجتماعات مجلس الأمن القومي أو مجموعة تحطيط الأمن القومي لا بصفة رسمية ولا بصفة غير رسمية. كان مكفرلين يرأسها عادة، وكان يزود ريغان بمفكرة من ورقة مزدوجة تحدد ما كان يقوله كل شخص والمدة التي استغرقها في التكلم. كان يقضي معظم وقته في الاطلاع على تقارير الحالة العامة. وكانت القرارات توقع من قبل مكفرلين ثم ترفع إلى الرئيس.

تسلم باكر ودارمان سجل الاتصالات الهاتفية اليومية، وذلك لكل مكالة واردة إلى

ريغان ولكل واحدة أجزاها. وضعت سجلات منفصلة للخطوط الهاتفية العادية وللخطوط الآمنة التي لم يجها ريغان بسبب مشكلة السمع عنده. احتفظ عناصر الخدمة السرية بسجل لكل تحركاته واجتماعاته، حتى الحجاب في البيت الأبيض كانت لهم سجلات. كان هناك سجل لمعدل نهايات الأسبوع وسجل لكلات نانسي الاجتماعية ودعوات الغداء والعشاء. وقد حُوِّلت بعض نشاطات نانسي إلى دائرة الرئيس. إن الحديث مع الرئيس بعد تحية بسيطة أو هاللو سريعة يمكن أن يصبح في ذهن الزائر تعبيراً قوياً أو حتى قراراً! وهكذا تابع باكر ودارمان كل شيء وتأكدوا من أنه لا شيء يغيب عن شبكتيها. لقد كان الرئيس مرتاحاً بوضوح حول هذا النظام الذي لم يترقبه أحد.

وردت تقارير إلى وكالة المخابرات المركزية تفيد بأن الأطنان من المعدات تندفق نحو السلفادور. قدم كايسي معلومات إلى البيت الأبيض تفيد بأن الثوار اليساريين في السلفادور يحضرون لشن هجوم واسع في الحزيف. وقارن كايسي هذا بالهجوم الكبير في فيتنام عام ١٩٦٨. كانت مقارنة مبالغ بها. ولكن يجب زيادة الانتباه في سنة الانتخابات. صدق مونلي هذه المعلومات، لكنها كانت مجردة وغير بسيطة، وقال لكايسي: «كل ما نحتاج إليه خبر صاغر من ثلاثين ثانية لإثبات ذلك وإنهاء هذه الضجة». لكن الخبر الصاغر لم يأت.

بعد سلسلة من الاجتماعات والمناقشات في البيت الأبيض حصل كايسي على قرار واضح من الرئيس وهو ما كان يسعى إليه. وافق ريغان على أن على وكالة المخابرات المركزية أن تعفي في عملها في البرنامج الخفي حتى انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر. وعند إعادة انتخاب ريغان كما هو متوقع، ستبذل الإدارة جهودها فتحصل على مزيد من المال للكونترا وتكسب الحركة.

بالنسبة إلى كايسي كان المضي في العمل هو أن يسعى إلى حل بعض المشاكل مع الكونغرس، وهذا يتطلب بعض التذلل الشخصي من باب إلى باب. قام كايسي بأول زيارة للسناتور ريتشارد لوغار، وهو جمهوري من ولاية إنديانا وعضو في لجنة الاستخبارات، وكان رئيس لجنة الحملة الانتخابية الجمهورية لمجلس الشيوخ. قال لوغار إن موقفه سيئ. قال كايسي إنه حاول أن يعمل على إبلاغ الجميع، لكنه أقر بأن المراجع والمستندات المرجزة لعملية التلغيم لم تكن كافية.

أراد كايسي أن يثني مونيهان عن استقالته. كان مونيهان من المشددين في السياسة الخارجية وكان مفيداً جداً للوكالة. وإذا حل مكانه ليبرالي أو ديموقراطي ضد الوكالة ككتاب لرئيس اللجنة، فسيتكون ذلك كارثة.

ذهب كايسي إلى مجلس الشيوخ لمقابلة مونيهان في مكتبه. جلس على كرسي الجلد قرب المدفأة. كان فؤاده مسحوقاً بسبب شعوره بالندم. لقد أوضح أنه من صلب وظيفته أن

يتطلع أعضاء اللجنة بشكل دائم وذلك على المستوى الذي يعتبره الأعضاء كافياً، وإذا لم يكتبوا يكون قد خذلهم منها كانت جهوده صادقة ومخلصة. قال كايسي: «أنا اعتذر بعمق، وناشد مونيهان بصفة شخصية أن يبقى نائباً لرئيس اللجنة.

تأثر مونيهان كثيراً فلقد بدا كايسي متخلصاً. إنه رجل معقد له شخصيات عديدة مختلفة. لم يكن هناك مجال لرفض اعتذاره. ووافق مونيهان على سحب استقالته.

كان آخر فعل ندم من أفعال كايسي رسالة اعتذار بخط يده إلى غولدوتور.

يوم الخميس في ٢٦ نيسان/أبريل واجه كايسي جميع أعضاء اللجنة. كان الجو متوتراً

لأن بعض أعضاء اللجنة اعتقدوا بأن كايسي كان يقول: إن ما لم يحدث في هذا المكان لن يحدث مرة ثانية.

لكن كايسي أقر سريعاً بأن الإيجازات لم تكن ملائمة، وتمنى لو أنه قدم المزيد منها. لم يكن هناك نية لإخفاء أي شيء. لقد أطلع بعض الشيوخ وأطلع مجلس النواب أيضاً.

هناك سؤال عن التلغيم بعد ذاته: ألم يكن غير قانوني؟

قال كايسي: لا.

ثم أطلق العنان لجميع الاستياءات المكبوتة، وانقض الجميع على كايسي يسألونه عن القانون والحس الجيد والحكم والتطبيق الصحيح والتكامل في العمل. ألم نضرب بالألغام سفناً حلفائنا البريطانيين والفرنسيين؟ لماذا صرحت الإدارة مسبقاً بأنها لن تقبل بأي قرار حول التلغيم من محكمة العدل الدولية؟ ولماذا تهازأ بالقانون الدولي في وجه العالم؟ ألا يؤدي التلغيم إلى دعم الإرهاب؟ ألم يؤد ذلك إلى إدانة الولايات المتحدة أمام أعين المجتمع الدولي؟

قال كايسي: أنا اعتذر بعمق.

غضب السناتور جاك غارن الجمهوري من ولاية يوتا وقال إن الوكالة كانت دائماً تحجب عن أسئلته، وحين يضطر، كان يذهب إلى مركز القيادة للحصول على الأجوبة. قال غارن: أنتم جميعاً حقرون. كلكم حقرون. الكونغرس مليء بالحقييرين. الـ ٥٣٥ عضواً كلهم حقرون.

وقف الأعضاء ومن ضمنهم مونيهان الذي أراد أن يتفادى مواجهة أخرى، وقال: «ابستم عندما تقول عني حقراً».

بعد ذلك كتب غارن رسالة إلى غولدوتور اعتذر فيها عن الفوضى التي سببها في اللجنة وتسبب بتعطيل أعمالها. بعد الاجتماع أصدرت اللجنة بياناً جاء فيه تأكيد كايسي أن اللجنة لم تكن تعلم بشكل دائم أو بأسلوب منتظم حول التلغيم، وحول هجوم الزوارق السريعة على المرافئ النيكاراغوية. انفلتت اللجنة مع كايسي على اعتداد طرف جديدة لضمان عدم تكرار هذا التصعد في العلاقات.

في اجتماع هيئة استشارات الاستخبارات الخارجية للرئيس اقترح كايسي تعيين لجنة فرعية للتحقيق في التلغيم. وكان السؤال الرئيسي المطلوب الإجابة عنه هو: كيف تسربت الأخبار؟

قال عضو الهيئة إدوارد بنيت وليامز: «أنت سيد التحويل عن الأنظار، سنقضي عليك والبنديقية الدخانية في يدك». ضحك كايسي، ولم يكن هناك أي تحقيق في التسريب. عندما أتى مكفرلين إلى مجلس الشيوخ سألته مونيهان عن تصريحه العلني الذي قال فيه إن اللجنة قد أعلّمت بشكل كامل وملائم حول التلغيم.

أجاب مكفرلين: «أوه... إن ما قيل لي كان إما خداعاً وإما كذباً». ألخص مكفرلين في جلسة مغلقة مع اللجنة حادثة التلغيم: «عليكم أن تنظروا إلى المستقبل وأن تتعلموا من الماضي، وتتأكدوا من عدم حصول نفس الخطأ مرة ثانية إذا أردتم ذلك حقيقة؟».

- ١٧ -

كانت المكسيك سبب لعذاب آخر لكايسي في أمريكا الوسطى في ذلك الربيع وبلغ عدد سكانها ٧٧ مليون نسمة وكانت بمثابة قنبلة زمنية.

ومع أن قسطنطين منج كان قد ترك الوكالة وأُزيح إلى مجلس الأمن القومي، فقد بقي شبحه وقلقه حول المكسيك فيها. أدرك كايسي أن المكسيك يمكن أن تصبح إيران ثانية على حدود الولايات المتحدة. إن التشبيه بإيران يعطي رتباً قوياً لأنها تعتبر الفصل الأساسي لإدارة كارتير.

قال منج إن المكسيك كانت ملائمة وناضجة للثورة. وكانت فيها حكومة معادية للأميركيين وللرأسمالية وتعاني من أزمة ديون قد تؤدي إلى مصادرة الاستثمارات الأجنبية. كانت الأوضاع الاجتماعية فيها أرضاً صالحة لليسار الراديكالي.

علم كايسي أن الرئيس المكسيكي ميغيل دي لامدريد كان بمثابة «آلم في المؤخرة» للإدارة الأميركية. كان دي لامدريد خريج جامعة هارفرد وكان مهتماً بحملة لمكافحة الفساد في بلاده. لكن مشاكل دي لامدريد الحقيقية كانت اقتصادية. كانت الأغلال تلتف حول عنق المكسيك، وبلغت الديون الخارجية ٨٠ مليار دولار.

كان هاجس دي لامدريد الآخر هو وضع حد لنزاع نيكاراغوا، وذلك بأن يضع الولايات المتحدة ونيكاراغوا على طاولة المفاوضات لإنيجاد حل لخلافاتها. عارض كايسي ذلك وامتنع من هذا التطفل لأنه يرى أن لا جدوى من المفاوضات مع الشيوعيين. كان دي لامدريد مفكراً من الجناح اليساري وكان يدعو إلى عدم التدخل في شؤون الدول الأجنبية، وكان يقول إن الولايات المتحدة هي التي دفعت الساندينيين نحو الراديكالية. شعر كايسي بأن هذا ميل يساري يصعب تقبله من جار قريب يفترض أن يكون حليفاً، وأعطى أوامره لجمع المعلومات عن المكسيك وعن دي لامدريد، وتلقى الكثير من التقارير.

قال كايسي إن أحد أهداف عملية نيكاراغوا كان حماية المكسيك وإذا سمح لنيكاراغوا بالبقاء كدولة يسارية في المنطقة فيمكن أن تمتد نار الثورة شمالاً. وإذا أخذنا بعين الاعتبار

الاندفاع اليساري الموجود حالياً في السلفادور يبقى فقط المندوراس وغواتيسالا. وعندما سفلت الهجرة من الأيدي لأن العشار تهرب دائماً من الشيوعية. إنهم «شعب القدم» كما ساهم كايبي.

وردت إلى كايبي رسالة سرية جداً وحساسة من هيئة استشارات الاستخبارات الأجنبية للرئيس، مؤلفة من خمس صفحات تنهم وكالة المخابرات المركزية بأنها دفنت رأسها في الرمال ولم تعرف ما كان يجري في المكسيك. ومن ضمن الذين كانوا وراء التقرير أن أرمسترونغ رئيسة الهيئة التي كانت سبيرة لدى بريطانيا والتي عاشت حياتها في مزرعة بقر في أرمسترونغ تكساس في جنوب الولاية على الحدود المكسيكية. كان بعض أعضاء الهيئة يؤيدون هذه النظرة، واعتبروا أن إقدام المكسيكيين على السماح للسوقيات بإدارة أعمال تجسس كثيرة خارج السفارة السوفياتية كان عملاً غير ودي. عينت الهيئة أحد الخبراء السابقين في وكالة المخابرات المركزية في شؤون المكسيك بوظيفة مستشار، وأوصى هذا بدعم محطة وكالة المخابرات المركزية في مكسيكو.

تبناً التقرير يحدث اضطرابات يسارية وخاصة في أكابولكو وهاجم دي لامدريد وسماه التكنولوجيا. اعتبر التقرير الإشاعات التي روجها رجال الأعمال بمثابة حقائق، وعكس مواقف بدائية حول المكسيك وشعبها.

سأل كايبي مديرية العمليات عما إذا كان التقرير صحيحاً. وكان الرد أنه على الرغم من أن ما ورد في التقرير لم يكن معلومات محددة، إلا أنه يجب أن يحمل على محمل الجد. لقد كانت الحقائق اعتباطية ولكن الاستنتاج يمكن أن يكون صحيحاً.

كان منج قد بدأ منذ سنة بتنظيم تقدير استخباري حول المكسيك لكنه غاص في مستنقع الصحافة مع قضايا أميركا الوسطى، ولم يكن قد نظم أحد أي تقدير عن المكسيك منذ بضع سنوات. طلب كايبي من بديل منج جون هورتون الذي كان رئيساً سابقاً لحظة الوكالة في مكسيكو أن ينظم تقريراً عن المكسيك، لكن التقدم كان بطيئاً خلال الشهور الماضية وضغط كايبي من أجل الإسراع في إنجائه. قال كايبي لهورتون: «أنا لا أعرف لماذا يستغرق منك طويلاً، أستطيع أن أنظم ذلك في ساعة واحدة».

كلف هورتون المحلل برايان لائل كتابة المسودة الأولى. كان كايبي معجباً بلائل وهو دكتور في التاريخ وكان جريئاً وباحثاً متيقاً ودقيقاً وكان قد أعد ورقة استخبارية حول فيدل كاسترو أثارت إعجاب كايبي. قال إن كاسترو يسير نحو أزمة في منتصف حياته وأنه غير قادر على الإمساك بثورته غير الواقعية وأنه لا يضمن أي موقع له في التاريخ. لقد أهمل الخبراء في القضايا الكوبية ورقة لائل واتهموه بأنه أعد رواية نفسية تشبه العمل الاستخباري.

توجه لائل إلى المكسيك لمدة أسبوع ليلقي أول نظرة. وأمكن تحمل أعباء هذا النشاط

الجديد للمحللين لأن ميزانية الوكالة سمحت بذلك. وعندما أكمل لائل المسودة وهي بعنوان «المكسيك تحت حكم دي لامدريد»، حملها إلى هورتون وقال له: «كايبي يرى أنها جيدة».

كاد هورتون أن يمتزق من الداخل. لقد كان من المفترض أن يتلقى كايبي مسودة التقدير في نفس الوقت هو وروساء الوكالات الاستخبارية الأخرى وليس قبلهم. لكن لائل كسر سلسلة التراتبية. إن نفوذ كايبي يجب أن لا يتناسب مع معلوماته، وبإمكانه أيضاً أن يشوه التقدير بملاحظة عرضية. لكنه لم يكن يفعل ذلك. كما يجب الانتباه إلى أن رأي كايبي السبق يمكن أن يقود التقدير. كان هورتون يريد الاطلاع على المعلومات الصعبة التي تشكل الخط العام للتقرير. قرأ هورتون مسودة التقدير التي وصفت المكسيك بأنها تعاني من خطر اندلاع ثورة كبيرة. كانت هناك اضطرابات في المدن واضطرابات في الريف مما ينذر بهروب رؤوس الأموال. كان المستثمرون ورجال الأعمال يتركون البلاد خائفين وكانت ثقتهم بالحكومة ضعيفة جداً. كان الفساد ينتشر في جميع أرجاء البلاد.

إن كل من يطلع على مسودة لائل يأخذ انطباعاً قوياً بأن هناك عدم استقرار خطير في الجنوب. ألححت المسودة إلى احتساب أن تحدث أعمال شغب، ويمكن أن يكلف الجيش المكسيكي بقمعها. إنها أصداة إيران. أدرك هورتون أن معلومات الاستخبارات لا تدعم ما جاء في المسودة إلا أنه وافق على أن هناك فساداً واضطرابات وبطالة. وافترض التقدير أن الأميركيين الموجودين في نفس المنطقة مثل المكسيكيين يمكن أن يصحبوا أيضاً لورين ورايديالين. لكن هورتون شعر بأنه لا يوجد أي دليل على أن المكسيكيين سيصرفون مثل الأميركيين.

أهم ما في المسودة أخطره هو أن السوقيات والكوبيين كانوا ينظمون صفوفهم بهدوء في المكسيك.

أدرك هورتون أن كايبي يريد تقريراً خفيفاً يثير اهتمام هيئة استشارات الاستخبارات الخارجية للرئيس وقلق البيت الأبيض. أراد أن يظهر أن المكسيك ضعيفة. لم يفهم كايبي وأتباعه الاقتناع الراسخ عند المكسيكيين بعدم التدخل في شؤون الدول الأخرى، وبأن أي رئيس مكسيكي لن يؤيد الولايات المتحدة في نيكاراغوا. قال كايبي لهورتون الذي عبر عن قلقه أمامه: «أنت معجب بالحكمة التقليدية ونحب المناقشة فيها».

أجاب هورتون: «إن هذه الاستنتاجات بشكل عام لا تأتي من الاستخبارات بل من التقديرات. وكان التقدير في بعض الأحيان تحريفاً للمعنى».

قال كايبي: «انظر، يجب أن تؤخذ بعض وجهات النظر، بعين الاعتبار».

قال هورتون: «تقصّد الاستنتاجات والنوادر، إن أفكار رجال الأعمال الذين عملوا في المكسيك أو أمضوا عطلتهم في أكابولكو ليست معلومات استخبارية ولا حتى استخبارات بسيطة».

قال كايسي: إنك تريد أن تخفي الدلائل.

تصلب هورتون، إنَّه اتهام جدي وقد استاء منه. قال كايسي متحدياً: «المكسيك قد تكون التالية بعد إيران».

وهكذا بدأت سلسلة من المناقشات اليومية بين كايسي وهورتون وكأنها كانا أمام صفقة تجارية! صمم هورتون أن يحذف من المسودة كل ما يبين أنه لا يستند إلى مصدر موثوق به. يمكن لإدارة ريغان أن تبني سياستها على الأحاديث المتداولة في نوادي الجمهوريين، لكنَّ هورتون لن يسمح بأن يؤثر ذلك على التقديرات الاستخبارية.

تلقى هورتون مذكرة طويلة من كايسي يحاول فيها أن يضع بعض الآراء في التقدير. ثمَّ وردت مذكرة أخرى منه تبين هورتون أنَّها من إعداد منج. كان ذلك تكتيك كايسي الذي لم يجب المسودات وإنما كان يفضل المذكرات لأنَّها تقدم باسمه الشخصي.

وردت في المذكرات معلومات حول الفقر والفاقة في الريف، والاضطرابات في الأحياء السكنية الكثيفة في مكسيكو. كما وردت معلومات عن مجموعات تعمل بإشراف كوبي في مناطق نائية. معظم هذه المعلومات كان دون مصادر. حاول ضابط الاستخبارات بوب غايتس أن يجد حلاً وسطاً. لكنَّ هورتون لم يعتقد بأنَّ الحل الوسط كان كافياً. كانت المسألة في كيفية التعامل مع معلومات الاستخبارات إذ يمكن أن تكون قد تشوهت بالحدس وبالاشاعات. وكانت هناك عقدة أخرى لأنَّ كايسي اعتبر تحدي هورتون توصية باتباع سياسة جديدة! كان قلب كايسي الرئيسي في السياسة هو عملية نيكاراغوا وكانت الاضطرابات في المكسيك تلائم ذلك بشكل جيد. إنَّ أي تنبؤ أو تقدير لا يتحدد عن اضطرابات لا يلائم سيناريو كايسي، وإذا اعتبرت الهجمة الشيوعية وما يتبعها من هجرة إلى الولايات المتحدة بعيدة الحصول فإنَّ ذلك يعطي دعاً قليلاً لقضية الكونترا.

كان كايسي ينتزع عند أي ذكر للتقدير لأنَّه يمكن لبقية وكالات الاستخبارات أن تبدي اعتراضات. والألَّن فإنَّ المسودة بيد هورتون الذي لم يشأ أن يستمر دون دعم. وافق كايسي على تعميم المسودة بعد أن أعاد هورتون صياغتها وذلك من أجل الحصول على شيء ما على طاولة اجتماع هيئة الاستخبارات الخارجية القومية.

اتصل هربرت ماير أحد مساعدي كايسي ونائب رئيس مجلس الاستخبارات القومية برؤساء وكالات الاستخبارات وقال لهم إنَّ مسودة ستعتمد عليهم. وكان قد سمع من ممثلهم أنَّ كايسي وهورتون كانا على وشك أن يقتل الواحد منهما الآخر بسبب هذه المسودة. عقد الاجتماع في أوائل نيسان/أبريل (تقريباً في نفس الوقت الذي ساد فيه الاضطراب في مجلس الشيوخ حول تلقيم مرائي نيكاراغوا) في شارع ف في مبنى قيادة المجموعة الاستخبارية قرب مبنى المكتب التنفيذي القديم. عرض هورتون ملخصاً شفهيّاً. كانت هناك أزمة في المكسيك لكن لا توجد أية إشارة لانهيار حقيقي.

قال كايسي: «إنَّ المسودة كانت بسيطة، وأنا منزعج لأنَّها لم تحتو على جميع الاحتمالات. أريد أفضل تقدير لإمكانية انهيار المكسيك». وأوضح أنَّ المكسيك كانت على شفير الهاوية. أظهر ممثل وزارة الخارجية قلقه وطلب من الجميع أن ينظروا إلى بقية شعوب أمريكا اللاتينية كالآرجنتين والبرازيل التي تغرق في الديون الخارجية والتي هي بالفعل مصدر قلق كبير.

ركز مساعد رئيس مكتب التحقيق الفدرالي على نشاطات السوفييات في المكسيك. كان مقر المخابرات السوفيائية KGB في مكسيكو قاعدة الانطلاق الرئيسية لعمليات التجسس في الولايات المتحدة. وكانت المكسيك تؤمن حرية العمل للمخابرات السوفيائية، وقد وردت معلومات جديدة تفيد بأنَّ وكالة المخابرات المركزية قد حددت بعض عملاء المخابرات السوفيائية الذين يعملون في المكتب المكسيكي الخارجي، إلَّا أنَّ المكسيكيين لم يظهروا أي اهتمام بذلك.

لاحظ أحد أعضاء هيئة الاستخبارات الخارجية القومية أنَّ هذا بعيد عن الموضوع الأساسي للتقدير وهو عدم استقرار المكسيك. وأشار أحدهم إلى أنَّ النفوذ السوفياتي كان يزداد في المكسيك.

بدا ممثل وزارة التجارة، وهو ممثل سابق في وكالة المخابرات المركزية، وكأنَّه يريد أن يسقط كايسي أرضاً. وكان لوزارة المالية أيضاً نظرة كئيبة وذلك لقلقه العميق حول أزمة الديون الخارجية إذ كانت البنوك الأمريكية قد سلفت المكسيك مليارات الدولارات. عبرت وكالات الاستخبارات العسكرية - وكالة الأمن القومي - وكالة الاستخبارات الدفاعية - استخبارات الجيش - استخبارات القوات الجوية - استخبارات مشاة البحرية - عن قلق معتدل حول المكسيك. لم تكن القوات المسلحة المكسيكية موضع اهتمام استراتيجي كبير لأنَّ عددها يبلغ حوالي ١٢٠ ألفاً فقط.

كان كايسي وحيداً ولم يكن بجانبه إلَّا وزارة المالية ووزارة التجارة ومكتب التحقيق الفدرالي وهي أقل أجهزة الاستخبارات أهمية، وقرر أن يضحّم المسألة. قال كايسي وهو يضرب على الطاولة: «أريد تصويماً حول فرصة الانهيار الكامل» وكان يعتقد شخصياً بأنَّ هناك فرصة ٥٠٪ إلى ٥٠٪ للانهيار، وعاد الحديث مرة ثانية، إلَّا أنَّه تلقى دعم الأجهزة الثلاثة فقط.

قال كايسي: «أنا اعتبر أنكم تشعرون بأنَّ فرصة الانهيار هي بنسبة واحد إلى خمسة». ولم يجب أحد.

قال: أريد إعادة هذا، كما أريد أن يُذكر في التقدير أنَّ هناك نسبة ٢٠٪ للانهيار. لكن لا يمكن هناك مجال لتقديم تقدير إلى الرئيس بهذا الاحتمال الضئيل. كان هورتون متأكداً من أنَّ الرأي المهني كان إلى جانبه. إنَّ نسبة الـ ٢٠٪ جاءت لأنَّ

كايسي جلس إلى رأس الطاولة. بعد الاجتماع أطلق كايسي شتاتمه لهورتون وأعطى توجيهاته ليرب ماير لإعادة كتابة النفاط المهمة.

إشتكى هورتون لغايش الذي وعد بأن يراقب مسودة ماير، ولكن سرعان ما انغمس هورتون في نص ماير وبدأ يصحح الأخطاء التاريخية، ويخفف من اللهجة القاسية. أبدت وكالات الاستخبارات العسكرية عدم موافقتها في ملاحظة بارزة على الصفحة الأولى. نصت هذه الملاحظة على أن الاستخبارات لا تؤيد الرأي القائل: هناك احتمال ٢٠٪ لاندلاع ثورة في المكسيك. عُمم النص النهائي الذي صُفِّح تحت طابع سرِّي على مئات المسؤولين وقد قرأته حفنة ضئيلة منهم. كانت النتيجة زيادة عمليات وكالة المخابرات المركزية، وتم تعيين ضباط إضافيين في مكسيكو لمواجهة نشاط المخابرات السوفياتية، وهذه مسألة لم يذكرها التقدير بشكل صريح. شعر هورتون بأن العملية بقيت عند حدود. وكلما زاد تفكيره فيها زادت مشاكله. لقد كان لها ثمن شخصي كبير. ورغم أن كايسي اعتذر منه بعد اجتماع هيئة الاستخبارات الخارجية القومية لكن علاقتهما كانت قد انتهت. كان كايسي يشك فيه وكان هو يشك في كايسي.

تحت تأثير صدمة إيران اعتقدت الوكالة بأنه من الممكن أن تحمي نفسها بتنبؤ الثورات والانهارات والكوارث. وبهذه الطريقة لن تظهر هي «المخطئة» إلا أنها ستخطف حقاً في التقارير التي تعوي كالذئب. لقد تمّ النخل عن إيران بعد جرح عميق وسمع هورتون كايسي يبخز رؤساء المحطات في أميركا اللاتينية: «فتشوا عن آية الله إن رجل واحد قادر يستطيع قيادة الجماهير الغاضبة». وما زال هذا التفكير يزعج الوكالة.

كان لهورتون شكواى أخرى ضد كايسي. أفاد الجنرال بول غورمان قائد الوحدات العسكرية الجنوبية في باتاما بأن أحداثاً على وشك الوقوع في السلفادور بينما كان الرئيس دورات يسلم ضباطاً شرفاء ذوي سمعة جيدة وظائف قيادية.

سأل كايسي هورتون: «لماذا لا يظهر هذا في استخباراتنا؟» وأعطاه أمراً بالتحقق. قال هورتون: إن المعلومات المذكورة وردت في «يومية المخابرات القومية» التي عمت على أعلى المستويات.

قال كايسي: «ولا أحد يقرأ هذه الزبالة» وكان يعني بذلك الرئيس ووزير الخارجية ووزير الدفاع ومستشار شؤون الأمن القومي، وهم الذين يجب لهم حساب وهم غالباً لا يهتمون بهذه النشرة.

كانت ملاحظة كايسي تتم عن عدم اكتراث بالنشرة. ربما هو لا يعني ما يقول. لقد حاول دائماً أن يخلص تعميم هذه النشرة ومنع تصويرها وكان يشتكي عندما يظهر قسم منها في وسائل الإعلام. لكن هذه الملاحظة عكست عدم حساسيته وميله لأن نفس عن استيائه اليومي. كان موظفو كايسي يجهدون لإصدار النشرة. وإذا سهاها المدير بشكل انرجالي «زبالة»

فإنه قال ذلك عدة مرات بملء إرادته. إن هذه النظرة يمكن أن تحيِّب آمال الذين كسروا ظهورهم من عناء تنظيمها كل يوم.

شعر هورتون بقلقه تجاه بعض جهود الاستخبارات خلال السنة التي أمضاها في وظيفة ضابط الأمن القومي لاميركا اللاتينية. لقد طلب كايسي تقوياً للمعارضة ضد كاسترو داخل كوبا. لم يكن هورتون قادراً على ذلك بسبب صعوبة الحصول على المعلومات وكانت مصادر الوكالة في كوبا ضئيلة وهزيلة، لكن هورتون استنتج أنه يحتمل أن لا تكون هناك معارضة قوية في الداخل. وهذا لم يرق لكايسي وشكك فيه. كان يعتبر أن ازدراء الشيوعيين كان ظاهرة عالمية شاملة. يجب أن يكون لكاسترو خصوم. إن عقلية كايسي الضعيفة وحده وفتته بنفسه لم تكن بديلاً عن المعلومات الحقيقية. لقد كان فخاً ذكياً. لقد كان كايسي يدي سروره وبهجته فقط عندما يتلقى معلومات تدعم آراءه وسياسة الإدارة.

قبل الانتخابات الأرجنتينية بسنة واحدة نظم هورتون تقديراً استخبارياً قومياً خاصاً للتنبؤ حول الانتخابات. وكان صديقه رول ألفونسين، وهو محام من يسار الوسط يتأس حزباً يسمى «حزب الوحدة المدنية الراديكالية»، له حظ كبير بالفوز. قال هورتون لكايسي الذي تذر من هذه المعلومات: إن نصر ألفونسين سيكون جيداً بعد ثمانية سنوات من الدكتاتورية العسكرية، ولكن مركزه في يسار الوسط يحتمل أن لا يكون جيداً بالنسبة إلى الولايات المتحدة.

حلق كايسي بهورتون وقال: هل هو ماركي لينيني؟ تعجب هورتون: هل هذا هو السؤال الوحيد للمدير المخابرات المركزية؟ وفاز ألفونسين.

بعد بضعة أيام من تصميم تقدير المكسيك ذهب هورتون إلى غايش وقال له إنه يريد أن يترك وسوف يبقى فقط حتى إيجاد بديل له. ولكن لم يحدث شيء ولم يظهر أي تبديل. لهذا عاد هورتون إلى غايش وقال إن تاريخ عقدي ينتهي في آخر آيار/مايو، لماذا لا أترك في هذا الوقت؟ ووافق غايش.

شعر هورتون بالغضب. كان كايسي مثل أي مدير تنفيذي لشركة كبيرة، جاء ليحلب الشركة قبل أن يرميها جانبا. كان كايسي يعتبر نفسه، كضابط قديم في مكتب الخدمات الاستراتيجية، ذا شعور عاطفي حول العمل الاستخباري.

كان هورتون يعرف أن كايسي موضع احترام واعتبار الكثيرين وأنه يحفظ بصلة مع جميع الناس. لقد أمضى هورتون الساعات جالساً في مكتب كايسي أمام الطاولة يجره كايسي من مسألة إلى أخرى. كان كايسي خشناً جداً مع الناس ومع هورتون بالذات.

كان هورتون يرى أن كايسي لم يكن ملتصقاً بالوكالة بشكل كافٍ، وقد أصبحت الوكالة مرة ثانية آلة للإدارة. كانت التحريفات والتشويبات عديدة وكان بعضها مأكراً. لم

يشأ هورتون أن يكون شهيداً في هذه المسألة. لقد كان هناك نفور شخصي مع كايسي ويمكن أن يأتي شخص آخر ويتعامل بشكل أفضل. لقد فعل ذلك غابيس، كان هناك عامل آخر لقرار هورتون بالاستقالة وكان صعباً عليه أن يفهمه، لا لأنه لم يتفق مع كايسي بل لأن مدير المخابرات المركزية كان «حيوانياً» في تصرفاته!

بعد عشرة أيام من الإنجاز الذي تركني حائراً(*) حول ما إذا كانت وكالة المخابرات المركزية قد استبشعت بمعلوماتها عن القذافي أم لا، توجهت جواً إلى طرابلس. وكمعظم الزوار انتظرت أياماً موعدي مع الزعيم الليبي. أخيراً انتقل أحد مترجمي إلى غرفة مجاورة لغرفتي في الطابق الثاني عشر من فندق باب البحر، وهو يقع على شاطئ البحر المتوسط. أمضينا معظم الليل نتحدث دون كلفة ونقرأ ونفكر، تعبنا كثيراً. وعندما تمشينا في الخارج في الجو البارد كي نطرد النعاس عن عيوننا قال لي المترجم، وهو رجل قوي البنية، إنه مصاب بالذهول من جراء التصعد الداخلي في ليبيا. لقد تمّ إعدام ١٣ طالباً ومعارضاً في مكان عام في ذلك الشهر. وأضاف أن هناك آلاف السجناء السياسيين الذين كانوا يجهرزون بمعادتهم للثورة وللقذافي.

قلت له: تعال هنا. كيف يمكن أن يكون هناك الآلاف؟ قال بلهجة صارمة: الآلاف. أنا أقول لك الآلاف. البلاد كلها في حالة غليان ونحن نتوقع شيئاً ما.

قلت له إنني أرسلت خيراً حول إعدام طالبين ليبيين في جامعة طرابلس لقد نصبت أعمدة المشاقق في باحة الجامعة وطلب إلى آلاف الطلاب مشاهدة تنفيذ حكم الإعدام وقد أصيب العديد منهم بالغيثان وتركوا الجامعة وهم يبكون.

حوالي الساعة الخامسة صباحاً قيل لي إن القذافي لن يستقبلني هذه الليلة! انتظرت معظم اليوم التالي وصبرت لأن مترجم القذافي بقي معي في الغرفة المجاورة وأصيب مثلي بخيبة أمل واصطحبني إلى قاعة الفندق.

- «إني أرغب في أن نقابله»، صرخ المترجم وهو غاضب من القذافي وأضاف: «سوف ترى كم هو مجنون». وأشار بأصبعه إلى صدغه ليعلم أن القذافي كان فعلاً مجنوناً أو مجبولاً. قلت: مجنون؟

قال: أجل مصاب بالجنون، وأخذ سبائته وإبهامه ووضعها على مسافة صغيرة وقال «رأس دبوس» كأنما كان يقول لي تعبيراً عاماً لليبيا.

قال إن القذافي يتعاطى الحبوب المنومة والمخدرات. يعتبر نفسه ناسكاً ونصف إله. لقد كان ذلك نسخة عن الصورة التي رسمها لي ضابط عمليات وكالة المخابرات. كانت نفس الكلمات، وكان موقف الاحتقار والسخرية نفسه من جهة، وموقف التعجب والتدبر من جهة أخرى. كأن المترجم الذي أمضى مئات الساعات مع القذافي وضابط وكالة

(*) المؤلف يرب وودرو.

المخابرات المركزية الذي أمضى ساعات يدرسه، لها نفس التجربة. لقد خطر ببالي أن يكون المترجم من عملاء وكالة المخابرات المركزية وأن هذا الحديث قد أعد من قبل، أو أن كلًّا من الوكالة والمترجم كان على حق في تصوره.

تسربت نسخة عن الخبر الذي أرسلته حول الشنق في مكان عام إلى وزارة الخارجية الليبية، فنقلت بسرعة إلى المطار وأعدت إلى واشنطن. كان ذلك بمثابة عملية إبعاد حقيقية. في واشنطن نشرت قصة طويلة عن ليبيا وعن معلومات المترجم، ولكن لم أنشر معلومات المترجم المتعلقة بالحبوب المنومة ولا المعلومات الخاصة من وكالة المخابرات المركزية. وظهرت في عدد الأحد تحت عنوان: «سلطة القذافي تتجه نحو الضعف».

في ٨ أيار/مايو بعد أسبوعين من مغادرتي إلى ليبيا كنت في مكنتي في واشنطن بوست ووردت بركات عاجلة من ليبيا تنفيد عن محاولة انقلابية ضد القذافي وعن هجوم حصل على نكة (باب العزيزية). أفادت التقارير بأن معركة احتدمت داخل المدينة وجاء في أحد التقارير بأن القذافي قد قتل.

بعد دراسة التقارير وتصنيفها في لانغلي بدا واضحاً أنها أكبر محاولة انقلابية ضد القذافي في الخمسة عشرة سنة التي أمضاها في الحكم. لأول مرة توحدت القوى المعادية له خارج وداخل ليبيا بشكل واضح. وقد أجبحت المحاولة عندما اعتقل ثلاثة من مخططيها على الحدود التونسية الليبية. وكشفوا في التحقيق عن مكان تواجد ١٥ معارضاً في طرابلس كانوا يحضرون أنفسهم لمهاجمة القذافي. لقد ساعد الرئيس السوداني جعفر النميري المعارضين في الحصول على شيء ما على الأرض.

استنتج كايسي أن ذلك ثبت لأول مرة أن الليبيين يرغبون في التخلص من القذافي، وأمر بإجراء تقويم حول مدى إصابته.

كان كايسي قلقاً لأنه كان على وشك أن يعاني من استجوابات علنية حول أوضاعه المالية والشخصية. كان مكتب ضريبة الدخل يلاحقه بمنشط بطيء من الرسائل والملاحظات. كان عناصر المكتب يعيدون النظر في الضرائب على الخسومات التي حصل عليها كايسي في أواخر السبعينات أي قبل تعيينه مديراً للمخابرات المركزية. وكانت هذه الخلافات عادة تحل بالثقة بين دافع الضرائب ومكتب ضريبة الدخل. لكن بعض شركاء كايسي كانوا يفضلون ادعاءات المكتب في محكمة الضرائب وبذلك يزجون اسمه في العلن.

لقد تخوف كايسي من الانتقاد في هذه الأمور لأن معظم الناس لا يدركون طبيعة النظام الرأسمالي على حقيقته. ومثل أشياء كثيرة أعاده هذا إلى أيام مكتب الخدمات الاستراتيجية والحرب العالمية الثانية. كان مكتب الخدمات الاستراتيجية قد أعد عملية جمع معلومات بسيطة وهامة. لقد أمر المواطنين الأمريكيين بإرسال صور العطلات التي أمضوها في أوروبا وخصوصاً على الشواطئ والمرافق. لقد قلص أحد الضباط الصور إلى ميكرو فيلم ثم

القصفت على بطاقات الكمبيوتر. نفذ ذلك يدوياً بالمقص ويومد التلصيق. وهكذا كان هناك مرجع جاهز حول أي شاطئ أو مرفأ، واستطاعت وحدات الحلفاء الحصول على معلومات قبل إرسال العملاء أو إسقاطهم من الطائرات وقيل غارات الكوماندو أو عمليات الإنزال أو القصف. خلال الحرب قال أحد رجال الأعمال لكايبي أن هذا النظام من الميكرو فيلم يمكن أن يكون مهماً من الناحية التجارية بعد انتهاء الحرب.

وقعلاً بعدما انتهت الحرب عاد رجل الأعمال إلى كايبي وقدم له المال. استأجر كايبي مؤسسة هندسية في بوسطن لتصنع آلة تقوم بأعمال القص والتلصيق وأسس شركة اسمها «فيلم سورت» وبدأ كايبي بيع الآلة والتقنية للشركات الكبرى في البلاد. عام ١٩٤٩ بيعت الشركة، وكانت حصّة كايبي مئاة آلاف الدولارات، وهي ثروة غير عادية في أيام ما بعد الحرب واشترى منزل ماي نول بخمسين ألف دولار.

منذ ذلك الوقت ركز كايبي على التطلع نحو المستقبل، وبدأ يبحث عن علاقات. كان بإمكانه أن يضع أمواله في البورصة لتكون آمنة وحرّة من أي تعقيد إداري أو نزاعات أو دعاوى قضائية. لكن عوضاً عن ذلك وظّف أمواله في غواصة صغيرة لصيد الكنوز الغارقة في (الكي وست) وفي مؤسسة تستورد البالة من يوغوسلافيا وبلجيكا وفي برنامج إعادة الضريبة بالكمبيوتر وفي مؤسسة تخطيط للأوضاع.

كان أحد استثماراته الإعداد لتطوير قلم حبر يحوّل خط اليد مباشرة إلى الكمبيوتر. اشترى كايبي ١٪ من الأسهم بمبلغ ٩٥ دولار السهم وسميت المجموعة الاستثمارية «بين فرتز بارتنز» واشترت معدات تكنولوجية هامة من مؤسسة أخرى بـ ٤ ملايين دولار دفع منها مبلغ ١٠٠ ألف دولار فقط، والباقي (٣٠٩ مليون دولار) كان سندات تدفع عند تطوير القلم والبالة بتسويق. كانت خسائر بين فرتز ٦ ملايين دولار خلال أربع سنوات. وبما أنه شريك وله ١٪ فقد حصل على حسم ٦٠ ألف دولار في الضرائب وهذا ما لم يتقبله مكتب ضريبة الدخل.

أثار ذلك ضجة كبيرة: مدير المخابرات المركزية حصل على حسم ضرائب بقيمة ٦٠٠ مرة ثمن استثماره. (كان وزير العدل وليم فرتش سميت قد اتهم بالفساد علناً بسبب حصوله على حسم يبلغ أربعة أضعاف قيمة استثماره!) في ١٠ أيار/مايو اتصل كايبي بي (*) ليسألني ما إذا كان المحرر تشناك بابلوك من الواشنطن بوست يتولى إثارة مشاكله في مكتب الضرائب. قدم كايبي تنازلاً، سيكون مدينًا بمائة ألف دولار للضرائب القديمة. وكان هذا المبلغ لا يساوي شيئاً، وسيكون سعيداً لدفعه ويمكنه أن يتحمله.

كتب بابلوك قصة طويلة حول ضرائب كايبي ومشاكله في الاستثمارات بعنوان: «مدير

(*) المؤلف.

المخابرات المركزية يتنازع مع مكتب ضريبة الدخل حول مبلغ ١٠٠ ألف دولار في الضرائب القديمة».

شهد كايبي في جلسة لمحكمة الضرائب في نيويورك، وهاجم عملي مكتب الضرائب وثّد ادعاءاتهم بأنه اتفق مع الذين يبيعون «حسومات الضرائب».

قال: «أرغب أن أستني أي ملاحظة تقول إنني اشترت «حسباً للضرائب». لقد اشترت المستقبل، لكن أن يقال إنني اشترت «حسم الضرائب» فذلك تحريف فاضح». وذكر أنه كتب أول كتاب حول مخايب الضرائب بعنوان «استثمارات مخايب الضرائب» قال كايبي: «أنا بدأت هذا الشيء كامهله» وأضاف وهو يتكلم بلهجة التعبير الكاتوليكي عن الآم المسح: «وعندما أصبحت رئيساً لجهاز أمن التبادل تخلفت من خطيئتي».

لم يكن هناك أحد في الكونغرس أو في أي من الأساطل له تجلّد لينظر إلى أدغال القضايا المالية لكايبي. كان كايبي متفاجئاً لأن قليلاً من الصراحة والإخلاص قد ابتعد عنه.

ومع أنّ الكونغرس كان يعيق طلب الإدارة لمبلغ ٢١ مليون دولار الإضافي للكونترا، شعر كايبي بأنه لا يوجد أي مسؤول منتخب وخصوصاً إذا كان ديموقراطياً في عهد شعبية ريفان الجمهورية يريد ما ساءه كايبي «العين السوداء» التي تراقب التخلي عن حركة المقاومة. لقد ضغط من أجل موضوعه وحث الرئيس ومكفرلين على أن يلعبا الورقة السياسية، ولكنه أدرك أنّ الكونغرس يستطيع أن يفعل أي شيء وأنّ الناخبين كان أفضل. في ٢٧ آذار/مارس كتب مذكرة إلى مكفرلين: «في مواجهة المصاعب المحتملة في الحصول على المخصصات اللازمة لتابعة مشروع نيكاراغوا السري لبقية السنة، أنا موافق لأن تبحث عن تمويل آخر من أي مكان»، وأخيراً وبعد درس الوضع القانوني يمكنك أن تفش عن مواطن أميركي ملائم ليبدأ بذلك».

وقع المذكرة بحرف C الكبير وسلمت إلى مكفرلين في البيت الأبيض. وطلب منه أن يعيد النسخة عندما ينتهي منها بحيث لا يكون هناك نسخ أخرى ولا توزيع ولا غيره... أدرك كايبي أنّ مكفرلين لم يكن من المؤمنين بعملية الكونترا الخفية، ولقد تابعها لأنّ الرئيس كان يصر عليها. كان مكفرلين لاحقاً آخر وليس قائداً أو حاكماً في نزاع. ويمكن لكايبي أن يتابع أساليبه الخاصة. بعد ذلك، اتصل كايبي بمكتبه وقال إنه يريد من جميع العاملين بمسألة نيكاراغوا أن يحضروا إلى مكتبه عندما يصل. وبعدما علق قبته ومعطفه جلس يهدء على كرسيه الأزرق وسحب قصاصة ورق وقال: «أنتم تعلمون أيها الأصدقاء أنّ البيت الأبيض سيخذ بعض القراءات حول الكونترا. ما الذي سنحصل عليه من هذا؟».

ثمّ عرض بعض التفاصيل العمليّة من الميدان وبعض التحليلات حول نشاط

الساندينين في الاجتماع.

قال كايبي: «من نحن يا للحميم؟» ونحن نوع من التفكير الملعون. قلت لكم إن الكونترا لها الأفضلية الأولى على جدول أعمالنا والآن تعالوا ننخيل حاجة الرئيس وبعدها ننخيل كيف نلبئها».

كان تشاك كوغان رئيس فرقة عمليات الشرق الأدنى، وكان يدعى مستر هات واي شيرت. كان طويلًا نحيفًا ويبلغ السادسة والخمسين من العمر، سبق أن عمل ضابط عمليات في الهند والكونغو والسودان والغرب حيث كان رئيس المحطة. وهو خريج جامعة هارفرد انضم إلى صفوف الوكالة في الموجة الثانية في الخمسينات أي في خضم الحرب الباردة. وكان منظرة رهيباً وعينه مثل عيني رجل المباحث وكان يظهر أثر جرح على جانب وجهه، مما زاد في تأثير منظرة.

بالنسبة إلى رئيس الفرقة لم يكن العمل في لانغلي قراءة الرقيات ولا إصدار الأوامر إلى المحطات. لقد شمل العمل التنسيق والارتباط مع السفارات في واشنطن وهي قنوات اتصال لمعلومات جيدة وليبانات سياسية. هذه العلاقات توازي في أهميتها العلاقات الميدانية.

كانت إحدى علاقات كوغان القديمة مع السفير السعودي في الولايات المتحدة الأمير بندر، وهو رجل براق جميل عمره ٣٥ سنة، ابن وزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز النافذ، ويمثل الصف الجديد من السفراء، وهو حيوي وجذاب وأنيق. كان طياراً في القوات الجوية وكان نوعاً من «الغائب» العربي الذي يدخن السيكار الكوبي ويضحك بشكل عاصف، ويقدم صفاً الممبغر من عند «المكندولاند» المسمى «بيغ ماك» في مكتبه الخاص على طبق من فضة.

خلال عهد كارتر وقبل تعيينه سفيراً طور الأمير بندر علاقاته مع الإدارة الأمريكية من خلال المساعد الرئاسي هاملتون جوردان، واستطاع أن يوصل وجهات نظر العربية السعودية من خلاله، أما في إدارة ريغان فقد اختلفت الأمور. كان بندر يعتقد بأن السلطة موزعة بين الوزارات وبين عدة فراق في البيت الأبيض. وبما أن الإطار العام لسياسة الإدارة كان الولاء لإسرائيل وخاصة من زاوية وزير الخارجية جورج شولتز، فقد كان الاتصال الرسمي من خلال كوغان مهماً جداً.

كسفير، كان لبندر مناورات غير عادية وكان له اتصال مع كبار الأغنياء. وفي السعودية لا توجد لجان مراقبة. كانت وزارة الخارجية تدرك ذلك وتتوجه إلى السعودية من أجل الحصول على مساعدة عسكرية أو اقتصادية عندما تريد شيئاً قد يعارضه الكونغرس. وإذا كان ذلك الطلب يتماشى مع خط السياسة الخارجية السعودية، كانت السعودية توافق. كان للسعوديين رصيد لدى الدول التي ساعدوها ولدى الولايات المتحدة. لقد قامت دولاراتهم بعمل مزدوج.

كانت فرص هذه التدابير صعبة في ميدان الاستخبارات.

كان السعوديون مثلاً يدعمون المقاومة ضد النظام الماركسي في أثيوبيا، وكان هذا طبيعياً بالنسبة إليهم لأنهم لم يجروا أبداً الساريين المطرفين ولا الشيوعيين وخاصة أولئك المواجهين لهم على البحر الأحمر. لقد كان كايبي مسروراً لذلك. كانت العلاقة بين وكالة المخابرات المركزية والمخابرات السعودية جيدة وتعود إلى أيام الثري الكبير الشيخ كمال أدهم الذي كان رئيسها. عام ١٩٧٠، أمن السعوديون نائب الرئيس المصري آنذاك أنور السادات دخلاً مالياً منتظلاً. لقد كان من المستحيل أن تحدد أين تنتهي المصالح السعودية في هذه الترتيبات وأين تبدأ المصالح الأمريكية.

الآن في ربيع ١٩٨٤ ترك كوغان فرقة الشرق الأدنى. وفي حديث وداعي مع بندر ارتجل مسألة الصعوبة التي كان يواجهها كايبي في الحصول على الأموال للكونترا. وتذكر كوغان المقالة التي نشرت في الواشنطن بوست في الشهر الفائت والتي جاء فيها أن العربية السعودية يمكن أن ترسل بعض المال للكونترا. سأل كوغان الأمير بندر: هل توافق على ما جاء في المقالة؟ وهل أن السفارة السعودية كانت مصدرها؟ قال الأمير: لا.

قال كوغان: يمكن أن تكون بالون اختبار. أحدهم هنا أو هناك كان يلمح على الاهتمام بالموضوع. كانت الكونترا تحتاج من ٢٠ إلى ٣٠ مليون دولار. إنَّها حبيب فستق على حد قول كوغان.

قال بندر إنه لم يسمع أي اقتراح وراء مقالة الواشنطن بوست، والتي بدا أنَّها أتت من خارج الوكالة أو الإدارة. وفي الحقيقة جاء في المقالة أن كايبي كان يدرس الطلب من بلد آخر مثل العربية السعودية، أليس كذلك!

قال كوغان: إنَّ وكالة المخابرات المركزية لم تكن تطلب. فهم بندر المغزى وقال إنه سينال الرياض حول رغبتها في ذلك. وأضاف: «دعونا نتلقى جواباً رسمياً».

بعد أيام تلقى السفير بندر جواباً سلبياً من الرياض للأسباب التالية:

- إنَّ السياسة الخارجية السعودية في أميركا الوسطى كانت تتناقض مع سياسة الولايات المتحدة، فالحكومة الساندينية في الأساس مؤيدة للعرب، بينما النظامان المدعومان من الولايات المتحدة في السلفادور وكوستاريكا وموريتانيا في عمل دبلوماسي معاً للعرب وقد نقلوا سفارتهم في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس.

- السعوديون لا يثقون بإدارة ريغان لجهة حفظ الأسرار. إنَّ أي دعم خفي سعودي للكونترا سيترسب ويريك الجميع.

قال بندر لوكالة المخابرات المركزية إنَّه لا يمكنه القيام بما يطلبون. ولكن اتفقت الوكالة وبندر أن كل هذا كان من قبيل الاستطلاع وغير رسمي، وأنَّ الوكالة لم تطلب شيئاً من السعودية وأنَّ السعودية لم تقل لا.

لقد وضعت الأسباب اللازمة للإنكار والتجاهل فيها بعد. كان بندر قد أمضى أوقات

عديدة مع مكفرلين وكانا قد سافرا معاً في مهمات سرية إلى الشرق الأوسط. وكانا يلتقيان كل بضعة أشهر لمراجعة مناطق الاهتمام المشترك. استنتج بندر أنَّ مكفرلين كان يشعر بالعقدة الدونية كمستشار لشؤون الأمن القومي وهو الذي كان يعمل في ظل كينسجر، ويعاني الآن من المقارنات غير الودية التي لا نهاية لها. ولكنه كان رجل الرئيس ويتمتع بولاء شديد كضابط سابق في البحرية وهو حامي ريغان وأوثق قناة حقيقية إلى الرئيس.

ذات ليلة التقى الأثنان في مقر إقامة بندر الشاسع في مكلانين فرجينيا. قال مكفرلين إنَّ الكونترا في ورطة وإنَّ أمواهم قد نفذت، ونتيجة ذلك ستكون خسارة سياسية شديدة للرئيس. وهذا يعني أنَّ الولايات المتحدة ستستغل عن أصدقائها في الهندوراس وكوستاريكا والسلفادور، ويمكن أن تتفكك أمريكا اللاتينية.

وتعجب بندر من عدم استمرارية السياسة الخارجية الأميركية. لماذا يتورطون في التزامات مثل الكونترا عندما لا يستطيعون الاستمرار فيها؟

بينما كانا يتكلمان شعر مكفرلين بأنَّ بندر كان سيتطوع للمساعدة، وكان بندر يشعر بأنه أقوى. ثمَّ وضعاً أيديهما على بعضها البعض واتفقا على أنَّ السعودية ستساهم بـ ١٠ مليون دولار وذلك بمعدل مليون دولار واحد كل شهر. على أن يتم هذا بسرية بالغة وأن يكون من أسرار علاقات الأمم وقادتها التي تبقى خافية إلى الأبد مهما كانت الظروف.

كان بندر يعلم عن إمكانيات وكالة الأمن القومي في التقاط الرسائل الدبلوماسية لذلك أرسل رسالة إلى الملك فهد بن عبد العزيز بالبريد.

في ذلك الشهر كانت إيران تريد من تهيئتها لأعمال نقل النفط في الخليج وطلب بندر مقابلة شولتز لذلك. سرعان ما أرسل الرئيس ريغان رسالة إلى الملك فهد بن عبد العزيز يؤكد دعم السعودية في أية مواجهة مع إيران. وطلب فهد وبندر بضع مئات من الصواريخ المتطورة المضادة للطائرات من طراز ستينغر. لكنَّ الولايات المتحدة وضعت قيوداً على الصفقة. أرسل الملك فهد رسالة سرية من سبع صفحات إلى بندر مع توجيهات صارمة بأن يتفكها مباشرة إلى الرئيس ريغان في البيت الأبيض، قرأ ريغان الرسالة وقال: «نحن لا نضع شروطاً على أصدقائنا».

عندها استعمل الرئيس أسلوب الطوارئ بتجاهل الكونغرس حول صفقة السلاح وخلال عطلة عيد اليوم التذكاري تمَّ نقل ٤٠٠ صاروخ ستينغر جواً وبطريقة سرية إلى السعودية.

عندها سافر بندر إلى السعودية وبعد موافقة الملك أحضر شيكاً حكومياً سعودياً بقيمة ثمانية ملايين دولار كدعم خفي للكونترا. أعطى مكفرلين رقم الحساب المصرفي للكونترا لمساعدته المقدم أوليفر نورث وكان الرقم ٤٨ - ٥٤١ في البنك الدولي ب.أ.س في جزر كايمان. في يوم الجمعة ٢٢ حزيران/يونيه التقى مكفرلين وبندر في البيت الأبيض وسلم

مكفرلين السفير السعودي بطاقة مطبوعة فيها رقم الحساب وذلك لضمان السرية. قال بندر إنه سيذهب شخصياً إلى جنيف في سويسرا حيث يملك بيتاً ليجري عملية تحويل الأموال بواسطة مصرف سويسري. واتفقا على أن يرسل بندر كلمته بينما يكون المال في طريقه. وإذا كان عليها أن يذكر العمل على الحفاظ اتفقا على السفيرة، وذلك بأن يقولوا تسليم السجائر بدلاً من تسليم المال. وصل بندر إلى جنيف في ٢٧ حزيران/يونيه وأتصل بالبنك السويسري وطلب حضور أحد مسؤولي البنك إلى منزله حيث سلمه الشيك السعودي بقيمة ٨ ملايين دولار وأعطاه رقم الحساب في كايمان وأبلغه أنه يريد صرف مليون دولار كل شهر. وطلب إيداع مبلغ الـ ٨ ملايين دولار في الحساب العام للبنك وأن يحول من خلاله بحيث لا يمكن ملاحقة مصدره.

فلق مكفرلين من التأخير وأتصل ببندر وقال: «صديقي لم يحصل على السجائر وإنه يذخر كثيراً».

استغرق البنك السويسري أكثر من أسبوع قبل أن يُحصّل الشيك السعودي، وتمَّ تحويل أول مليون دولار في ٦ تموز/يوليو.

أرسل مكفرلين بطاقة إلى الرئيس يعلمه فيها أنَّ السعوديين بدأوا تحويل الكونترا بطريقة سرية. عبّر الرئيس عن تقديره العميق ودفع السعوديون خلال الأشهر الثمانية مبلغ ٨ ملايين دولار للكونترا، كانت في الحقيقة عاملاً حاسماً لبثاقهم.

بعد مناقشات ومدولات بين نورث وكايي وكلايدينج حول الاحتياجات اللوجستية والعملانية للكونترا، أرسل نورث مذكرة سرية إلى مكفرلين يطلب منها الإذن بالذهاب إلى أميركا الوسطى. وقع مكفرلين بأحرف اسمه الأولى على الموافقة على سفره وكتب: عليك أن تقوم بتسليم كامل. لا تتعد اجتماعات منظورة، ولا تعلم الصحافيين بوجودك في المنطقة.

كان لكايي مصالح مشتركة مع إسرائيل. لقد سمح للإسرائيليين بالاطلاع على صور الأقمار الاصطناعية الاستطلاعية وزاد لهم التسهيلات في هذا المجال. وكانت إسرائيل في مسرورة جداً. كانت وكالات استخباراتها بصدد تسديد الجميل وأعلنت سفارة إسرائيل في واشنطن أنَّ الاهتمام بتغطية أبناء نيكاراغوا في الأوساط الصحافية الأميركية يزيد عن الاهتمام بالاقبال السوفياتي.

أنتكرت إسرائيل رسمياً دعم الكونترا. ولكنَّ التقارير أفادت بذلك ومن المعروف أنَّ إسرائيل هي أكثر دولة في العالم تخفي أسرارها واستخباراتها. كانت إسرائيل ترغب في تقديم بضعة ملايين من الدولارات على شكل أسلحة أو مبالغ مالية إلى الكونترا لتحصل على رصيد في الكونغرس، إلاَّ أنَّ ذلك كان ينقصه الدليل على أنهم كانوا فعلاً يقومون بشيء ما. بينما كنتُ (*) أقوم بجولة، التفتت بمصدر إسرائيلي حسن الاطلاع وسألته عن تحويل

الكوتنرا. قال: «نعم إنه يحدث. إنها فرصة ذهبية ونظيفة ورخيصة». وأضاف: إن الولايات المتحدة ستجد وسيلة لإعادة المال لإسرائيل عبر المساعدات السنوية العسكرية والاقتصادية التي تبلغ ٢,٥ مليار دولار. وإذا كان ثمة مشكلة تقنية في الكونغرس فهناك أشكال عديدة لإعادة المال. وذكر المصدر «هدية كايي»، ولم تكن هذه مجرد صور الأقمار الاصطناعية ولكن مجموعة من معلومات الاستخبارات. لم تكن إسرائيل تتلقى باستمرار معلومات القمر الاصطناعي المتطور كـ ١١. ولم يُلبَّ طلب إسرائيل بتخصيص فترة من الزمن لها على الأقمار الاصطناعية!

أضاف المصدر: لم يكن لدى الولايات المتحدة حس استعلامي كذلك الموجود لدى إسرائيل التي يحيط بها الأعداء من كل جانب. بالنسبة إلى إسرائيل كانت المشاركة في معلومات الاستخبارات أهم من الدبلوماسية العادية أي من الطريق بين وزارة الخارجية الإسرائيلية ووزارة الخارجية الأميركية.

يجب إخفاء جميع المساعدات المقدمة إلى الكوتنرا. إن أي نجاح كبير جداً ومنظور كان خطراً. إن الوكالة وكايي لا يدركان خطر التعرض والانكشاف. إن هناك أشياء غير معلنة تحدث بين دولتين وتبقى بعيدة عن الأنظار. إنها لن تتحمل الكشف. لكنها كانت صحيحة، ولم يكن المصدر الإسرائيلي يعرف التفاصيل.

- إذن، كيف تستطيع أن تقول إن ذلك صحيح؟
قال: إن هناك حقائق لا تحتاج إلى تفاصيل: مثلاً إسرائيل تباع الأسلحة إلى الهندوراس وهي الدولة التي يعمل منها الكوتنرا. والجواب يمكن أن يكون هناك.

- هل هو هناك؟
قال: أشك في ذلك لأن الجواب سيكون متقلاً.
اتصلت بكايي فرداً على سرعة وقلت له أني علمت من مصدر موثوق عن الطريقة التي استعملتها الوكالة للحصول على المال السعودي للكوتنرا.

قال: «غير مسموح إطلاقاً نشره».

- ماذا عن الإسرائيليين؟
قال: «مصادات مكثفة ولكن لم يكن ذلك رسمياً».

- ماذا عن الجنرال الإسرائيلي ساعي الرئيس السابق للاستخبارات العسكرية وتلك الصور للأقمار الاصطناعية؟

قال: «إنه جيد أعرفه جيداً».

- الصور؟
قال: «هذه العلاقات... لا أريد التكلم عنها».

- من أين كان الكوتنرا يحصلون على المال؟ في الشهر الفائت كان هناك بأس واضح أما الآن فهناك ثمة زائفة.

قال: لم نياس. الكوتنرا لا يريدون أن يتركوا.

- هذا ليس بديلاً عن المال.

قال: «هناك استعطاء واستجداء للمال».

- كيف؟ ومن؟

قال: «اليس مفروضاً علينا أن نعرف؟ ولم يصف شيئاً على ذلك».

- هل يمكن أن يتحسن وضعهم دون أن ينكشف ذلك؟ لقد كان الجميع يائسين في

الشهر الماضي.

قال: «إنه من المغالاة أن تستعمل كلمة بأس».

- كيف تقول ذلك؟ لقد حددت الوكالة يوم الأحد موعداً لانهاء المال.

قال: «الطبيعة الإنسانية» ثم عرض نظرية حول الأزمة. عندما تكون هناك مشكلة أو أخبار سيئة يقوم البعض بردة فعل وغالباً ما تكون كبيرة. وبعد وقت يركزون على البحث عن حلول. ثم يهدأون ويتعاملون مع المشكلة على أنها تغيير في الوضع النفسي دون أية مؤثرات خارجية. وبدا كايي وكأنه يطبق ذلك على نفسه وعلى الكوتنرا.

- هل ستحصل على المال من الكونغرس، أي على مبلغ ٢١ مليون دولار؟
قال إنه يأمل بذلك ويثق بالكونغرس وأضاف: «الديمقراطيون لا يريدون أن يتحملوا المسؤولية». ثم قال: «إنه عامل نفسي أثناء لعبة شطرنج». قال كايي إن هذا العامل هو الخوف السياسي. أمس حاول الديمقراطيون إجراء تسوية وهي «نفقة بكفالة» وهي نوع من دفع بضعة ملايين من الدولارات مقابل انسحاب بشري منظم وإعادة الكوتنرا إلى مذهبهم وقراهم. لم توافق الإدارة ولا الوكالة على هذا المشروع. أعاد كايي تحذيره حول هجوم الخريف الذي يعد له الثوار في السلفادور والذي يمكن أن يكون قوياً جداً.

في صباح اليوم التالي ١٩ أيار/مايو ظهر على الصفحة الأولى لصحيفة واشنطن بوست مقال بعنوان: «وكالة المخابرات المركزية تسعى إلى مساعدة للكوتنرا من دولة ثالثة». كانت صيغة المقال بسيطة إلا أنها زادت من احتمال أن يكون السعوديون أو الإسرائيليون هم الذين يقدمون مساعدات للكوتنرا. تضمن المقطع الثالث نقياً قاطعاً من مسؤول إسرائيلي رفيع المستوى قائلاً: «لم نعط أي شيء للكوتنرا بعلمنا أو بغير علمنا ونحن لسنا وكلاء للولايات المتحدة».

اتصل بي المصدر الرسمي الذي كان قد تحدث معي. لقد كان مسروراً ومتهجاً. كانت المقالة جيدة. لقد كانت ممتازة بالنسبة إلى الإسرائيليين إذ ظهر أنهم أكدوا تلك المساعدة لمؤيدي الكوتنرا وأنكروها في نفس الوقت لمعارض الكوتنرا في الكونغرس والإدارة. اتصل بي المتحدث باسم وكالة المخابرات المركزية جورج لودر. لقد كان مسروراً ولكنه كان يريد تقرير شيء عن القضية بطريقة ودية. قال «إنها كانت خطأ ولم نقم بذلك، لم تتوصل

الوكالة لا إلى السعوديين ولا إلى الإسرائيليين، لا بطريقة رسمية ولا بطريقة غير رسمية». وأضاف أنه ليس من عادة الوكالة أن تصدر بياناً. وهكذا أراد لودر أن يمر حقيقة أنه لا يعلم.

لم أفاًجأ بأن لودر لا يعلم ما كان يفعل كايسي وكوغان، ولم أذكر له أي تكلمت مع كايسي بل قلت له إنني متأكد من مصادري.

قال إنه لا يمكن حصول ذلك، وقد تحقق جيداً وتكلم مع الجميع، وتكلم نحو الأعلى ومن ضمنهم «الرجل الكبير».

قلت: من؟

قال: «جون مكماهون» وهو يعطي انطباعاً بأن لمكماهون السلطة العليا.

- هل تكلمت مع أحد آخر؟

قال: لماذا علينا أن نتحقق أكثر؟

حاولت أن أبعد ذلك عن كايسي بسرعة لكني تأخرت.

قال لودر وهو يلتقط نفسه: آه.. حسناً، وأدركت من خلال صمته أنه يقول إنَّ له

مدير مخبرات!

وهكذا لم يكن كايسي يدير عملية الكونترا من خارج مكتبه فقط، بل كان يدير أيضاً مكتبه للملاقات العامة، ولم يكن يغير مكماهون بما كان ينوي أن يفعله.

بعد عدة أيام وفي ٢٤ أيار/مايو استقبل كايسي الرئيس ريغان الذي حط من طائرة هليكوبتر خاصة في لانغلي. كان يوماً ربيعياً مشمساً. رافق كايسي ريغان إلى جبهة من ٢٠٠٠ من العاملين في الوكالة الذين جلسوا على تلة مكتشفة مساحتها ٢١،٩ دونم.

حضر الرئيس حملة افتتاح لإضافة ١٩٠ مليون دولار إلى القيادة وإنشاء ما سمي «جناح كايسي التذكاري». إن تقدم الوكالة وحاجتها إلى مزيد من الكمبيوترات وخازنات

المعلومات تطلب تشييد بناء جديد من سبع طبقات.

قال ريغان لمجدهور الحاضرين: «علمكم وعسل مديركم ومسؤوليكم الكبار كان مصدر وحي وإلهام للشعب الأمريكي ولبقية شعوب العالم».

غضب كايسي من الضغط المتزايد من لجنة مجلس الشيوخ من أجل استلام كتاب رسمي حول عملية التلغيم في نيكاراغوا التي ما زالت تعامل على أنها خطيئة كبيرة. لقد

كانت اللجنة تضغط من أجل اتفاق مع الوكالة، وبموجبه يتعين على مدير المخابرات المركزية أن يُعلم اللجنة مسبقاً عن أي نشاط في أي عملية سرية وحساسة، وعن أي شيء مصدق من الرئيس.

لقد ورد في الاتفاقية ما يلي:

- تأمين جميع المواد كتابة عند توقيع أية مذكرة رئاسية تتضمن تفاصيل المساعدة، وتفصيل الطبيعة الحقيقية وأهداف ومخاطر العملية الخفية.

- إفادة اللجنة عن النشاطات الجديدة لأي عملية خفية قيد التنفيذ عندما يكون هذا النشاط حساساً من الناحية السياسية، وما إذا كان لها نتائج عكسية إذا أعلن عنها، وما إذا كانت الفكرة العامة للعملية قد تغيرت أو ورطت أشخاصاً أميركيين أو صدقها مجلس الأمن القومي أو الرئيس.

- إعطاء تواريخ منتظمة حول العمليات قيد الإنجاز وإيجاز سنوي شامل حول جميع الأعمال الخفية.

- الإفادة عن أي موضوع يتعلق بنشاط الوكالة تكون اللجنة قد أظهرت اهتمامها به.

في ٦ حزيران/يونيه وقع غولدووتر ومونيان الاتفاقية. وطلب كلاهما أن يعلى بما إذا كان كايسي قد وقعها أو لا في نفس النهار. توجه مستشار اللجنة غاري شاس الذي كان في

السابق مستشاراً عاماً في الوكالة إلى لانغلي حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر ليحصل على التوقيع. لقد قبل لشاس أن يحصل على التوقيع قبل أن يذهب إلى منزله

عندما وصل شاس إلى لانغلي توجه إلى عصر الاستعلامات على المدخل واتصل بكاييسي طالباً الإذن بالدخول. لم يسمح له كايسي بالدخول وقال له: «أنا أقول لك بكامل

قواي العقلية أن تذهب من هذه البناية إلى الجحيم»، أجابه شاس: «لا تضطري أن أتصل برئيس اللجنة أو نائبه لأطلعهم على هذه النتيجة» وشرح له أن هذه الوثيقة قد نوقشت على

صعيد الأركان وأن توقيعها هو عمل روتيني.

قال كايسي إنه سيبحث الأمر مع أركانه ويكن لشاس أن ينتظر في ردهة الاستعلامات. اتصل شاس بلجنة الاستخبارات وقيل له أن ينتظر في مكانه.

في الطابق العلوي، كان كايسي غاضباً. الاتفاقية تسمح باختراق مكتبه. يمكنهم أن يستمعوا إلى هاتفه أو يأخذوا أحدًا بأن يجلس في مكتبه وأن يسافر معه ويأخذ الملاحظات أو

بأن يفتش في طاولة مكتبه وفي الأدراج والملفات! لقد كان ذلك أبعد مما يقوم به البيت الأبيض. كانت اللجنة تغتصب العرش. تحقق كايسي أن أركانه قد وافقوا. وإذا لم يستقبل

شاس فإنه سيطلق العنان لشياطين اللجنة.

اتصل كايسي بردهة الاستعلامات وأبلغ شاس أن يحضر بعد ساعة.

قال وهو يحقد بالاتفاقية: ما هذا؟

شرح شاس أنها لا تتعدى على أي دور تنفيذي للرئيس وأنها لا تتجاوز المراقبة من السلطة التشريعية. وأضاف شاس أن رئيس اللجنة ونائبه يفضلان توقيعها لتوضيح هذه الأمور. بعد أكثر من ٢٠ دقيقة أخذ كايسي الوثيقة وخربش اسمه عليها بسرعة وسلمها

لشاس.

بدلاً من أن يعود إلى منزله، عاد شاس إلى مكتب اللجنة حيث حيّاه عدد كبير من أركانه، ورفع الوثيقة عالياً.

أدرك كايبي أنَّ جورج شولتز وزير الخارجية هو الأكثر حضوراً في الإدارة بعد الرئيس ريغان. إنَّه الرجل المتعقل المعتدل والمفكر والبالغ. في ذلك الربيع راقبه كايبي وهو يتخذ موقفاً هاماً. في أحد اجتماعات البيت الأبيض قبض شولتز يديه على بعضها البعض كأنَّه يصليّ واجتاز الباب لبدء البحث حول استعمال القوات الأميركية بشكل سري أو علني ضد الإرهاب. بعد فشل الدبلوماسية في لبنان حان وقت العمل. لقد طرد الإرهاب الولايات المتحدة من لبنان وهذه المشكلة لا يمكن حلها بالطرق الدبلوماسية. لقد أثارته المداورات حول موضوع الإرهاب ودفعته إلى رد فعل عنيف. إنَّ الإرهابيين لا يفهمون إلاً بلغة القوة والانتقام.

تسامح كايبي مع شولتز. كان لرجل الأعمال والاقتصاد جانب قاس وها هو يزداد قسوة. في اجتماع مجموعة تخطيط الأمن القومي توجه شولتز نحو الرئيس ريغان وقال بصوته العميق: «السيد الرئيس»، وأصغى الجميع، فأضاف: «إنَّ هيبنتا في الشرق الأوسط تعتمد على رصيدنا القوي، لذلك علينا أن نحسم أمرنا في السياسة الخارجية ونقوم بعمل ما ضد هؤلاء الجزائين الجدد».

بموجب المذكرة رقم ٣٠ التي وقعها ريغان عام ١٩٨٢ أرادت وزارة الخارجية اعتاد سياسة مضادة للإرهاب، وكان شولتز يريد لوزارة الدفاع ولوكالة المخابرات المركزية أن ينغمسا في المزيد. يجب أن يقوم أحد ما بهذا العمل القدر.

لقد حركت مبادرة وزير الخارجية سلسلة من مجموعات العمل والاجتماعات المنسقة في البيت الأبيض ومجلس الأمن القومي. وضع المقدم نورث مسودة وثيقة قرار للرئيس جاء فيها: «حان الأوان لنقتل هؤلاء الإرهابيين الأوغاد». دعت مسودة القرار إلى إنشاء فرق مدربة ومدعومة من قبل وكالة المخابرات المركزية مؤلفة من عناصر من جنسيات أجنبية مختلفة وذلك لضرب الإرهابيين الذين تعرضوا للأميركيين أو خططوا لهجمات ضدهم. تلقى مكياهاون نسخة عن مسودة نورث في مكتبه، وحاول الاتصال بنورث فلم

يتسكن من العثور عليه إلا بعد منتصف الليل.

صرخ مكهاون: هل كان وجهك في الرمال في السبعينات؟ ألا تنقيد بأوامر ريفان التنفيذية التي تمنع التورط في أعمال الاغتيال؟ ماذا تحاول أن تعمل بالوكالة؟ ما الذي يوجب الهجوم العسكري؟ قال نورث: «نعم يا سيدي» وأقبل الخط. كلما بدأوا بالعمل كان مكهاون يقف في وجههم. قال نورث لأحد أصدقائه: «لقد فقد مكهاون أعصابه» ربما كان جيداً من قبل، لكنه الآن لا يحظى بأي تقدير من كايي.

أراد كايي عملاً يكون له صدى قوياً. عرض الموضوع على المستشار العام للوكالة سيوركين وكعادته طلب منه جواباً فوراً.

استجبت سيوركين أن الأعمال المادية للإرهاب يجب أن لا تتضمن الاغتيال، وأن الاغتيال السياسي قد منع بسبب المؤامرات القديمة ضد كاسترو. وكان لوكالة المخابرات المركزية معطياتها الصحيحة. إذا وقع الرئيس مذكرة رسمية وأعلنت لجان المراقبة المختصة في الكونغرس بها، لن يكون هناك مشكلة. وقال إنه إذا أوردت معلومات تنقيد بأن الإرهابيين على وشك أن يضربوا فإن حق الدفاع عن النفس يصبح واضحاً أمام الجميع. لم يكن كايي ناجحاً في علاقته مع وزارة الدفاع. ولم يكن وينبرغر مرتاحاً لاستعمال السفن الحربية لقنائل المواطنين كما حصل في لبنان ولم توافق وزارة الدفاع على خطط وكالة المخابرات المركزية للانتقام من هجمات الإرهابيين. كانت تجب تقديم المساعدة الجزئية على أن تتولى وكالة المخابرات المركزية العمل القذر وتحمل وحدها مسؤولية الفشل. ولكن موقف وزارة الدفاع كان بيروقراطياً إذ كانت تنافس وكالة المخابرات المركزية في أعمال التدريب والأعمال شبه العسكرية.

أدرك مكفولن أنه عندما لا يكون هناك إجماع بين مساعدي الرئيس فإنه لن يحصل إلا القليل. واقترح إجراء دراسة. وفي ٣ نيسان/أبريل وقع الرئيس ريفان المذكرة السرية رقم ١٣٨ حول مكافحة الإرهاب التي كانت أكثر بقليل من وثيقة تخطيط تدعو ٢٦ وزارة ووكالة فدرالية إلى تقديم اقتراحاتها حول كيفية وقف الإرهاب. كما أنها أجازت مبدئياً درس إمكانية الهجمات العسكرية والغارات الانتقامية.

في تلك الليلة وفي خطاب القاء في حفلة عشاء في واشنطن دعا شولتز إلى دفاع فعال واقترح اعتاد سياسة هجومية. وتحدث طويلاً وكانت لهجة اتهامية. وأمضى القسم الأكبر من الشهر اللاحق في إلقاء خطابات حول هذا الموضوع.

كان كايي ينظر إلى المشكلة من زاوية أخرى. إن الإرهاب الذي يمارسه غير اللبنانيين في لبنان كان في الظل ومن الصعب تعديده وضربه. لقد كانت لديه فتاة ذاتية بأن إيران وسوريا كانتا وراء قسم كبير منه ولم يكن لديه أي دليل يطلبه من القانون الأمريكي أو يطلب به الرأي العام.

في آذار/مارس أظهرت التقاطات الاتصالات وصور الأقمار الاصطناعية وتقارير بعض المصادر البشرية أن ليبيا كانت تتدخل في السودان. أرسلت ليبيا طائرة مقاتلة سوفياتية الصنع من طراز ت. ب ٢٢ لقصف عطله إذاعة خارج العاصمة السودانية الخرطوم. كانت المعلومات واضحة جداً لدرجة أن شولتز كان قادراً على التصريح علناً بلهجة العتيدة المحترقة ونظرة العابسة.

«إنها حقيقة»، إن ليبيا قد نفذت الغارة. وما لم يكشف عنه شولتز هو أن الطيار الليبي قد اعتقل واعترف بأن هذه الغارة هي تجربة لغارات قد تشن قريباً على القاهرة.

أظهرت الاستخبارات أيضاً أن ليبيا قد وقعت اتفاقية مع اليونان للتعاون البحري، وبما أن اليونان عضو في حلف شمال الأطلسي فإن هذه الاتفاقية تهدد الأسرار في أهم تحالف غربي. وفي داخل الولايات المتحدة كان مكتب التحقيق الفدرالي قد جمع أدلة قاطعة على أن جمعية للطلاب الليبيين في إحدى ضواحي واشنطن كانت متورطة في أعمال إرهابية وأعمال تخس. كان هناك اقتراح بإبعاد اللجنة الشعبية للطلاب الليبيين من الولايات المتحدة. لكن مكتب التحقيق الفدرالي رأى أن هذه اللجنة أمنت نافذة على النشاطات الليبية في البلاد. كان هناك قلق من أن تكون مؤتمرات الحزب الجمهوري والحزب الديموقراطي القادمة والألعاب الأولمبية في لوس أنجلوس في الصيف أهدافاً للأعمال الإرهابية.

كان القذافي مكروهاً من جيرانه لدرجة أن السودان ومصر والعراق كانت تدعم بشكل سري المعارضة الليبية.

جاء في «بوعية الاستخبارات القومية»: «أظهرت صور الأقمار الاصطناعية نشاطاً عادياً يوم الجمعة حول مقر القذافي». لقد أدى هجوم ٨ أيار/مايو إلى زيادة فرص المعارضة الليبية. وكانت مجموعة العمل المختصة بحوادث الإرهاب التابعة لمجلس الأمن القومي والتي تتألف من مسؤولين على مستوى متوسط في الوزارات المهمة والوكالات قد وضعت في حالة إنذار بشأن وضع القذافي. شجع كايي شولتز لتولي القيادة لأن الإدارة لن تقدم على عمل دون دعم وزارة الخارجية. أطلق نائب شولتز كينيث دام مبادرة لإعادة النظر في السياسة تجاه ليبيا.

في ١٨ أيار تلقى دام من قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية تقريراً سرياً بعنوان «مواجهة الإرهاب الليبي» وضع معظم الخيوط داخل الإدارة: الرغبة في القيام بعمل مضاد للإرهاب، والشعور المعادي للقذافي، والاستخبارات الجيدة.

لقد وضعت الاختيارات في الصفحتين ٦ و٧ وتدرجت من عدم القيام بأي عمل إلى أكثر اختيار إيجابي وهو الرقم ٨، وهو: «إنشاء نظام من رد الفعل المباشر على الإرهاب الليبي وذلك بالبحث عن أهداف ليبية». ومن ثم الاختيار ٩: «شن عمليات خفية لإحباط وشل المخطط الليبية». وأخيراً الاختيار ١٠: «البحث في تغيير النظام الليبي».

في اليوم التالي السبت عقد دام اجتماعاً في مكتبه مع نخبة من كبار المسؤولين. ثم عرض أربعة اختيارات وكان الاختيار رقم ٤: «تدعيم السياسة الحالية باستخدام القوة... مثلاً إعادة تجربة الاختيارات العسكرية والخفية».

في ١٣ حزيران/يونيه تلقى بوب غايتس طلباً سرياً من هوغو مونتغمري رئيس قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية: «بالإضافة إلى المراجعة السياسية التي يقوم بها دام فقد طلب أيضاً تقويماً من داخل الوكالة للتهديد الليبي ضد المصالح الأميركية». أعدت لائحة مؤقتة بمواضيع من أجل عرضها وشرحها. وكان على غايتس أن يوضح بدقة التهديد الذي يفرضه القذافي في جميع أنحاء العالم. هل كان القذافي رئيس الإرهابيين وبذلك يلزمه رد فعل من الولايات المتحدة؟ هل هو مزيج فقط ويجب مساعدته كما يقول الأوروبيون بشكل عام؟ طلبت وزارة الخارجية جواباً خلال ثلاثة أسابيع كما طلبت وزارة الخارجية من عناصرها التأكيد على حساسية الموضوع وسريته.

كان ضابط الأمن القومي لمنطقة الشرق الأدنى وجنوب آسيا قد قام بمراجعة سرية جداً يعرض فيها نواحي الضعف الليبي. أين كان القذافي ضعيفاً؟ كيف وأين تكون سياسة الولايات المتحدة ذات تأثير كبير؟ أسرع محللون لوكالة المخابرات المركزية ووكالة الاستخبارات الدفاعية ووكالة الأمن القومي بالعمل من أجل توضيح ذلك.

شكك محللو الاستخبارات في دقة المعلومات القليلة التي كانت تتوقع حدوث اضطرابات في ليبيا، وذلك في ردهم على صانعي السياسة في وزارة الخارجية. كانت ليبيا متعبة في العمل الدبلوماسي وكانت وزارة الخارجية تشك أكثر من وكالة المخابرات المركزية في تقارير المصادر والتقاط الاتصالات.

وافق الجميع على أن السياسة الحالية التي تعتمد فرض حظر تجاري على ليبيا كانت مضحكة وغير فعالة. ومع أن الانسحاب المفاجئ لعمال النفط الأميركيين والبريطانيين قد سبب تراجعاً في إنتاج النفط الليبي بنسبة ٢٥ إلى ٥٠٪ في مدة قصيرة، فقد أظهرت بعض التقارير الاستخبارية أن حملة القذافي المستمرة منذ خمس سنوات لزوع روح ثورية جديدة في ليبيا قد أعطت نتائج عكسية، وخلقت مناخاً ملائماً للإطاحة به. وقد حثه أفراد عائلته المقربون على التخلي عن سياسته التوليتارية وحذروه من أن قبيلته وعائلته ستواجه الانزوال إن هو لم يعدل في سياسته.

لقد كان حذر القذافي وتشكيكه من جوانب الضعف في نفسه، مع أن ذلك كان نوعاً من الرقابة. ورد في معلومات الاستخبارات أن القذافي كان يرتدي دائماً سترة واقية من الرصاص وأن وحدة من نخبة العسكريين المجهزين بشكل ممتاز ووحدة مضادة للانقلابات كانتا تحميان مركز قيادته في طرابلس حيث تقع معظم مراكز الاتصالات ومحطة إذاعة المدينة.

أظهرت التقارير السرية والشيفرة المتقطعة وتقارير الاستخبارات أن المعارضة الليبية في الخارج كانت تتلقى الدعم من ستة بلدان:

- مصر، التي كانت هاجس القذافي الشاغل.
 - العراق، (جزئياً) كرد فعل على دعم القذافي لإيران في الحرب العراقية الإيرانية).
 - المغرب، مع أن العلاقات بينها وبين ليبيا كانت قد بدأت تتحسن.
 - العربية السعودية، التي كان دعمها سرياً جداً.
 - تونس، على الرغم من علاقة القذافي الوثيقة بأحد الوزراء الكبار.
- لقد تضمنت اللائحة ثلاثة بلدان لها حدود مشتركة مع ليبيا. لكن مصر وإلى حد ما الجزائر كانتا مفتاح الضغط العسكري وسائر الضغوط على القذافي.

اتفق محللو الاستخبارات على تقويم لمصر والجزائر: «يمكن أن يكون للدولتين تحفظات جديّة على التعاون مع الولايات المتحدة في نشاط خفي بهدف الإطاحة بالقذافي. هذه التحفظات تستند على عدم رغبة الولايات المتحدة وعدم قدرتها في الاشتراك بفعالية، وفي المحافظة على سرية هذه الأعمال».

استنتج محللو وكالة المخابرات المركزية ووكالة الاستخبارات الدفاعية ووكالة الأمن القومي أن العسكريين الليبيين يتدربون من الأوضاع القائمة. وتعليقاً على اعتراضات وزارة الخارجية كتبوا: «إن بعض العمليات الداخلية الناجمة بالإضافة إلى بعض الضغوط الخارجية يمكن أن تشعل الشرارة ضد القذافي بواسطة العسكريين المستائين وربما كان لنائب القذافي الراحل عبد السلام جلود ولقائد القوات المسلحة ونائبه أقوى حافز لذلك».

كان التقويم يقول ذلك، في حين كانت وزارة الخارجية تعارض الاستنتاجات التي تدعم أي عمل خفي للإطاحة بالقذافي، ولكن الآخرين تابعوا في الصفحة الخامسة وبحثوا في القيام بعمل قوي من قبل الولايات المتحدة:

«نحن نعتقد بأنه إذا دعمت المجموعات في الخارج بدرجة قوية يمكنها أن تبدأ في القريب العاجل حملة من أعمال العنف والتخريب التي يمكن أن تثير تحديات أخرى لسلطة القذافي. وإذا تضاعف نشاط المبعدين بالإضافة إلى عوامل أخرى (الإعلام المتزايد، تدهور ملحوظ في العلاقات مع الدول الأجنبية، ضغط اقتصادي قوي) فإن العناصر المستاءة في الجيش يمكن أن تقدم على محاولة اغتيال أو أن تتعاون مع المبعدين ضد القذافي. وعلى أي حال نحن لا نحبذ ثورة عسكرية واسعة النطاق».

كانت هذه تقريباً دعوة لاغتيال القذافي على الرغم من الأمر التنفيذي الصادر عن الرئيس الذي يمنع التورط بصورة مباشرة أو غير مباشرة في دعم ومخططات الاغتيال. يقول الأمر التنفيذي للرئيس ريغان رقم ١٢٣٣٣ عام ١٩٨١: «منع الاغتيال يمنع على أي موظف أو أي شخص يعمل لصالح الحكومة أن يعد أو يتآمر للاغتيال».

كان التقويم وثيقة تحريضية غير عادية تحث على عمل منسق وتحذر من الجهود الفاترة:

«تستتج هذه الورقة أنه لا يوجد أي عمل يقلل من التحريض على سقوط القذافي ويؤدي إلى تغيير ثابت وظاهر في السياسة الليبية. الاستنتاج الأساسي في هذه الورقة هو أن ليبيا نواحي ضعف ظاهرة يمكن استغلالها بنجاح من خلال برنامج واسع النطاق بالاشتراك مع الدول المعنية ويشمل الأعمال السياسية والاقتصادية وشبه العسكرية. إن الأعمال شبه العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية المنفردة لها تأثير قليل أو هي منعدمة التأثير. كانت دعوة لعمل خفي شامل. وقد عارض قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية هذا الاستنتاج من أساسه. كتب مسؤول في وزارة الخارجية على الهامش في الصفحة الأولى وفي معارضة لاذعة: «ترتكز الورقة بشكل ثقيل جداً على إفادات غير ملموسة وجزئية وتفتش في إعطاء الوزن الكافي لشعبية القذافي الثابتة. إن قبضة القذافي الأمنية قوية لدرجة يصعب معها ظهور أية محاولة انقلابية.

انتهى التقييم الذي كان يتألف من ٢٩ صفحة طويلة، وصنّف على الشكل التالي:

سري جداً مع الكلمات المشفرة:
أمرأ Umbra (أي المعلومات من الاتصالات التي حلت شيفرتها).
نوفورن Noform (لا يمكن إطلاعها على الأجانب).
نو كونتراكت No contract (لا يمكن للمتعاقدین والعاملین بأوقات جزئية الإطلاع عليها).

بروين Propin (تحتوي على معلومات تجارية).
أوركون Orcon (التوزيع محدود وجميع النسخ مرقمة).

صدرت الوثيقة في ١٨ حزيران/يونيه وأثارت جدلاً بين عدد من المسؤولين الحكوميين الذين كان لهم حق الإطلاع عليها. لقد حذف من التقييم اقتراح الولايات المتحدة حثّ العسكريين الليبيين على محاولات الاغتيال والدعوة إلى عمليات شبه عسكرية.

في ٤ تموز/يوليو أصدرت الوكالة ورقة أخرى سرية جداً حول ليبيا وكانت تتعلق بتقويم التهديد ونصت على أن القذافي كان يعمل بشكل مستمر ضد مصالح الولايات المتحدة ولكنّ القلق الوحيد كان حول ما ينوي القذافي أن يفعله في السودان.

جاء في هذه الورقة: «يُحتمل أن تقدم ليبيا على تنفيذ عمل إرهابي في الولايات المتحدة. ونحن نعتقد بأن ليبيا يمكن أن تتعرض لضغوط قوية لشن عمليات ناجحة. ولبليباً بالتأكيد بعض العملاء ضمن حوالي ١٥٠٠ طالب لبي في الولايات المتحدة ومن ضمنهم ٢٠٠ طالب متعصب ومؤيد للقذافي».

وفي موضوع التخوف من حصول القذافي على أسلحة نووية ذكر التقييم في الصفحة ١٣: «نحن نؤمن أنه لا يمكن لليبيا إجراء تفجير نووي خلال السنين العشر القادمة».

بدأت مجموعة من وكالة المخابرات المركزية بوضع الإطار العام لخطة من أجل دعم

خفي للمبشرين الليبيين وعرضت كثيراً من البدائل السرية. كانت الحرب الكلامية بين الولايات المتحدة ولبيباً تتخذ لهجات قاسية، وطرح بعض المسؤولين سؤالاً: ما سيكون الانطباع إذا لم نفعل أي شيء؟ كان الضغط شديداً وكان هناك الكثير من الكلام القاسي ولم يشأ أحد أن يبدو ضعيفاً. كانت الخيارات قد أعدت وعممت.

كان كايبي خارج المدينة، وعندما تلقى مكهاون الورقة فقد رباطة جاشه وقال: هذا جنون.

كان مكهاون يعرف شيئاً من تاريخ وكالة المخابرات المركزية المتعلق بليبيا. ففي السنوات التي تلت عام ١٩٦٩ أي عندما تسلم القذافي السلطة، نوقشت فكرة الإطاحة به وعارضت وزارة الخارجية أي محاولة وكسب الجولة. اتفق مدير المخابرات المركزية آنذاك هلمز ووزارة الخارجية على أنه لا مجال للقيام بذلك. وخلال عهد كارتر سأل تورنر ذات مرة مدير العمليات مكهاون: ما يمكن أن نفعله بالقذافي؟ فأجاب مكهاون: ليس كثيراً.

شعر مكهاون بأن المجموعة التي نظمت الاختيار ليس لها اتصال بمجموعات المبعدين الليبيين. كانوا مثل صبية الكشاف. اقترحت معلومات الاستخبارات أنهم لا يستطيعون إنزال زورق مطاط على الساحل الليبي. دعمهم يطحيون بالحكومة وحدهم. دعمهم يحتلون ليبيا ويحكموها وحدهم. كان القذافي قد اخترق حركة المبعدين وكان يلاحق كل خطوة يقوم بها الأعضاء وكاد أحد قادة الحركة أن يقتل.

كان مكهاون يعرف كيف يقضي على العملية الخفية بالأسئلة. طلب تفاصيل وهو يعرف أن أحداً لا يعرفها.

هل تمكلك وكالة المخابرات المركزية اختراقات في ليبيا؟

كم عدد حراس القذافي؟ هل كانوا مخلصين له؟ ما هي فرص النجاح؟

كانت الأجوبة غامضة كما هو متوقع. قال مكهاون إنه إذا كانت هناك فرصة ٥٠٪ للنجاح يمكن المباشرة بتنفيذ العملية لكن لم تكن هناك حتى هذه النسبة. وأضاف: إذا لم يكن لدينا الأشخاص والأدوات للعملية فلماذا ندور حول أنفسنا. ثم سأل: ماذا عن منع الاغتيال؟ إن هذه ليست عملية ضد نظام بل هي عملية ضد فرد. لم يكن هناك مجال لتحريك المبعدين لهذا العمل من جهة، وإبلاغهم من جهة ثانية أن اغتيال القذافي ممنوع.

عندما عاد كايبي أيد مكهاون في عدد من الأمور. لن يوافق حلفاء أميركا وخاصة في أوروبا وقد تخوف كايبي من هذا لأن القذافي كان يكسب احترام الأوروبيين بدلاً من أن يحسره، وأبرز مثل على ذلك كان المعاهدة اليونانية الليبية. لا مجال لتنفيذ أي عملية دون دعم منسق من الحلفاء الأوروبيين. وإذا أقدمت الولايات المتحدة على تنفيذ العملية فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى عزلتها. ثم إن هناك دعماً غير كاف من الإدارة الأميركية بحد ذاتها.

لم يكن كايبي في حالة تسمح له بمعركة أخرى، ذلك أنَّ عملية نيكاراغوا ما زالت تعاني من مشاكل مع الكونغرس.
كانت الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٤ ستجري بعد أشهر قليلة. ولم يكن هناك مجال لكايبي لأن يمشي في منحدر قاسٍ بالرغم من تأكده أنه سيلقي تأييداً واسعاً من الشعب الأميركي و٢٢ رונالد ريغان.

في ٢٢ حزيران/يونيه وجد كايبي رسالة سريّة من وزير العدل وليم فرنش سميث في صندوقه الخاص. إنَّها مشكلة جديدة. تضمنت الرسالة ملخصاً عن تسرب تحقيق حساس لمكتب التحقيق الفدرالي وذلك منذ ستين تقريباً. في ١٣ تموز/يوليو ١٩٨٢ التفتت وكالة الأمن القومي اتصالات تجارية من مكتب شركة ميتسوبيشي في واشنطن إلى اليابان. ذكرت ميتسوبيشي تفاصيل معلومات خفية عن «يومية الاستخبارات القومية» السرية جدّاً ليومي ٧ تموز/يوليو و٩ تموز/يوليو. وكانت تتعلق بتحركات القوات العسكرية الإيرانية والعراقية وتحدثت عن حشد ١٢٠ ألف إيراني مقابل ١٨٠ ألف عراقي في قطاع من جبهة القتال. كما تحدّثت عن معلومات حساسة تفيد بأن القيادة العراقية ستسقط قبل أن تبدأ أحداثا سلام. قالت ميتسوبيشي إنَّ مصدر معلوماتها عضو غير محدد في وكالة استخبارات حكومية كان قد أعطاهم المؤسسة استشارية في واشنطن. كانت ميتسوبيشي قد تعاقدت مع هذه المؤسسة للعمل لصالحها. أما الالتقاط الثاني لوكالة الأمن القومي فكان اتصلاً لشركة يابانية خارج واشنطن في ٢٩ تموز/يوليو تضمن مقتطفات كثيرة من يومية الاستخبارات القومية الصادرة قبل ثلاثة أيام. كان مدير وكالة الأمن القومي لتكوين فورير متلهفاً لمعرفة مصدر التسريب وطلب إجراء تحقيق.

ركز مكتب التحقيق الفدرالي اتبانه على شارلز واترمان أحد كبار عملي الوكالة وهو نائب رئيس مجلس الاستخبارات القومية، وهو رجل نحيل وأصلع وعصبي وضابط عمليات سابق وله خبرة عشرين عاماً في هذا المجال وكان مكلفاً بالتعامل مع مؤسسة واشنطن الاستشارية التي كانت تنشر مجلة إخبارية كل شهرين تتضمن معلومات هائلة عن الشرق الأوسط. في الحقيقة كان واترمان قد حصل على معلومات جيدة من هذه المؤسسة الاستشارية.

لم ينجح واترمان في عدد كبير من اختبارات كشف الكذب على آلة البوليجراف وذلك عام ١٩٨٣، وتذكر كايبي الحادثة ومازفها الكبير. اقترح مكتب الأمن في وكالة المخابرات المركزية على واترمان أن يستقبل. كان واترمان متأسكاً وأكثر تسريب الأسرار، إلا أنَّ كايبي كان يقول إنَّ كل عنصر من الوكالة كُلف بجمع المعلومات وإقامة العلاقات في المدينة كان يتكلم أكثر مما ينبغي. إنَّ بعض الأرقام حول قوة إيران والعراق لا تعني شيئاً، وهي نفايات غموضية ليومية الاستخبارات القومية. وهكذا لم يأخذ كايبي بتوصية مكتب الأمن وآيئه في

ذلك مكهاون بل اكتفى بإعطاء واترمان إجازة لمدة أسبوعين دون راتب.
لكنَّ مكتب التحقيق الفدرالي لم يوقف تحقيقاته بل فتح التحقيق في القضية واعتبرها قضية تجسس جنائية. أعطى واترمان إجازة مفتوحة مع دفع الراتب في كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٣ وتابع مكتب التحقيق الفدرالي عمله.
بعد سبعة أشهر قال وزير العدل سميث إنَّ وزارته لن تستطيع الإدعاء على واترمان لأنَّ المحاكمة ستكشف عن مصادر حساسة وأساليب حساسة. وأضاف إنَّ التحقيق توصل إلى مرحلة تمكّن وكالة المخابرات المركزية من اتّخاذ أي تدبير. إنَّ تدبير الطرد مع بلاغ حول الأسباب يؤدي إلى ردع الآخرين. وأخيراً طلب وزير العدل إعلامه عن الإجراء النهائي المتخذ.

صرخ كايبي: يا له من ملعون. لقد كتبت الرسالة وزارة الخارجية أو يروقاطية مكتب التحقيق الفدرالي وكلاهما انحنى ليحيمي مؤخرته. لم يستطيعوا العثور على مصدر التسرب لذلك يحاولون إجبار كايبي على أن يرمي واترمان إلى الخارج، وكان لهم الحق في ذلك. لقد وقّع سميث الرسالة دون أن يراها وعم نسخاً عنها في سائر أنحاء المدينة في الوكالات والوزارات...

قال كايبي: «هذا الشيء الملعون لن يتسرب»، ولكنه أدرك أنَّ رسالة سميث تظهره متساهلاً أمام مسرّب رئيسي. استدعى كايبي سبوركين وعرض عليه الرسالة وتقرير وزارة العدل حول التحقيق. آمن سبوركين بأنَّ واترمان كان بريئاً. لقد انكر واترمان التسريب، وذلك بعدما أقسم اليمين، كما أنَّ مفكراته لم تظهر أنَّ هناك اجتماعاً عُقد مع عناصر المجلة خلال أوقات التسريب. كذلك انكر عناصر المجلة أن يكون واترمان هو المصدر. واسف سبوركين لواترمان عندما منح إجازة إدارية، وساعده في العثور على حمام. قبل ثلاثة أشهر كان سبوركين قد ذهب إلى المكتب الميداني لمكتب التحقيق الفدرالي في واشنطن ليحاول تقويم القضية إلا أنَّ عناصر المكتب اعتقدوا بأنَّ سبوركين قد يعيق تحقيقهم.

لم يفتق سبوركين مع كايبي حول فعالية آلة كشف الكذب.
إذا قال العامل إنَّ الآلة تظهر خداعاً فإنَّه لا توجد أي طريقة لدحض هذا الإدعاء، مما يؤدي إلى إحراج شديد. لقد كانت رسالة وزير العدل دليلاً على ذلك. إنَّهم لم يدعوا على واترمان لأنَّهم لا يملكون الدليل وليس لأنَّ المحاكمة تكشف مصادر أو أساليب. أرادت وزارة العدل من كايبي أن يرفض مؤخره أحد، وآلة كشف الكذب البوليجراف لم تكن أفضل من آلة التعذيب في القرون الوسطى أو من لولب تعذيب الأصابع. إنَّها كانت تسمح العقل بدلاً من أن تسمح الجسد.

شعر كايبي بأنَّه لا بدَّ في هذا الجو من التسرب والتجسس من استعمال أي آلة حتى آلة البوليجراف، التي أعطت نتائج باهرة، وأخافت الناس. وأدّت إلى اعترافات وحذّرت

الوكالة من استخدام أشخاص غير صادقين في صفوفها. اتصل كايسي بواترمان وطلب منه الحضور في اليوم التالي.

كان واترمان مسروراً وهو يقود سيارته أتياً إلى لانغلي معتقداً بأن شيئاً ما سيحدث. كانت سبعة أشهر رهيبة من الانتظار وهي أسوأ فترات حياته، كان قد عمل في سراديب مخفية للوكالة، ثم دار على محطات الشرق الأوسط ابتداءً من عام ١٩٦٤. خدم في بيروت والقاهرة وعين ثم عاد إلى بيروت وكان أخيراً رئيس محطة الوكالة في العربية السعودية. لقد استعمل آلة كشف الكذب وتعرض لها من قبل. قال له عامل الآلة وهو من عناصر مكتب التحقيق الفدرالي: أنت في مشكلة كبيرة. وكانت النتيجة على البوليفراف قياساً لاضطرابه الداخلي. لقد تحدث مع بعض عناصر المجلة حول الحرب العراقية الإيرانية ولكن الحديث تناول المعلومات المتوفرة في وسائل الإعلام. شك واترمان في أن يكون مكهاون يعتقد بأنه سرب شيئاً ما وشعر بأن له فرصة مع كايسي.

عندما وصل واترمان إلى مكتب كايسي في الطابق السابع كان سعيداً عندما رأى مدير المخابرات المركزية وحده. شرح كايسي رسالة وزير العدل وسلم واترمان نسخة عن تقرير وزارة العدل.

- «هذا غير صحيح» قال واترمان بانفعال.. كانت البراءة بادية في عينيه.

سأل كايسي: «ماذا بإمكاننا أن نفعل؟»

قال واترمان: «لن يستطيع المحللون الذين يعملون في العلن أن يستمروا في علاقاتهم مع العالم الخارجي إذا أنهيت خدماتي».

قال كايسي: «بيدي مكبلتان».

قال واترمان: «لم أقفلهما» وحلّد مباشرة في عيني المدير.

قال كايسي إنه يصدقه ولكن هناك ثلاثة أسباب: لم تعد تنفع للعمل في المدينة. وأنت الآن موضوع في صندوق مغلّل لأن مكتب التحقيق الفدرالي استنتج أنك قمت بذلك. وإذا تسرب شيء آخر سأتلقى التهم في أمني المسربين.

قال واترمان: «إن كل ما قام به مكتب التحقيق الفدرالي هو أنه برهن على أنّ آلة كشف الكذب كانت دقيقة. لم يكن هناك تحقيق. هناك شخص آخر سرب وهو لم يكشف حتى الآن».

قال كايسي: «سأفكر ملياً قبل اتخاذ قرار».

كان كايسي في حالة تردد. لا يريد أن يخالف مبدئه في ركوب المخاطر. وعندما يكون رجاله في الخارج يجمعون المعلومات عليهم أن يعتمدوا مبدأ: أعطني شيئاً وخذ شيئاً. إنَّها الطريقة التي كان يتعامل بها الناس. إذا كانت الطريق باتجاه واحد لن يحصل الاجتياح بين واترمان ورجال المجلة. إنَّ شخصاً مثل واترمان يعرف الحدود جيداً ولا يتجاوزها. كان عليه أن يدعم رجاله إذا ارتكبوا أخطاءً. وإذا لم يفعل فلنهم حتى سيتوقفون ويتراجعون إلى قوتهم

كما حصل في الإدارة السابقة. عام ١٩٧٧ طرد تورنر اثنين من رجال وكالة المخابرات المركزية لأنهما اتصلوا بأحد المطرودين من الوكالة العامل السابق أدوين ويسلون. وعلم كايسي أن تورنر دفع ثمناً باهظاً لذلك من معنويات الوكالة.

شعر كايسي بأنه لا يجوز طرد رجال وكالة المخابرات المركزية إلا بسبب ارتكابهم أخطاء متعمدة وكبيرة، وهذا ما لم يحدث. تلك الليلة تناقش كايسي مع نفسه. إنه أصعب قرار يواجهه خلال السنوات الأربع. لقد كان واترمان تجسيدا للتصميم الذي يحتاج إليه كايسي إضافة إلى أنه اتقن عمله وكرس نفسه له.

في اليوم التالي اتصل كايسي بواترمان وطلب منه الاجتياح به في مكتب البناء التنفيذية. وصل واترمان وبدأ متضائفاً. قال كايسي: لقد فكرت، وفكرت، ولم أصل إلى نتيجة، آسف.. لا أستطيع أن أفعل أي شيء».

بدأ التأثير على واترمان للحظة وقال: نعم سيدي وسلم عليه وخرج. في طريقه إلى الخارج ذكر واترمان نفسه أنهم جميعاً قد خدموا المدير بكل سرور. وهذا يعني أن عشرين عاماً في وكالة المخابرات المركزية قد انتهت. إنه يستطيع أن يتذكر أول اجتياح سري له في الكويت عام ١٩٦٤. أرسلوه إلى الخارج وأرسلوا معه حرارة الخوف والشك. وأعطوه توجيهات تقضي بأن يتعرف في وقت ومكان محددين على «عربي يبدو أنه يتراقص». ماذا يعني ذلك؟ لم يعرف ولكنه وجد طريقة للاتصال.

لم يشأ كايسي أن يترك واترمان في السنة الأولى لخدمته كمدير. أما في السنة الرابعة فقد شعر كايسي بأنه لا توجد أية فرصة أمامه. كان التسريب مشكلة كبيرة.

كان الجدل المحيط بعملية نيكاراغوا قد أثار الغموض في مديرية العمليات. وبرزت مخاوف من أن يتحول الكونغرس والأوساط الصحافية والرأي العام مرة أخرى ضد وكالة المخابرات المركزية. قرر كايسي أنه قد حان الوقت لتغيير مدير العمليات جون شتان. إنَّ منصب المفتش العام كان ملائماً أكثر لطبع شتان الذي كان ضابطاً صلباً كثير الحذر. وكان كليز جورج بحاجة إلى أن يتخلص من العمل في الكونغرس. وجورج مثل كايسي احترق في عملية التلغيم، لكنّه وقف بصلاية. وأعجب كايسي بطريقته في الإمسالك بالموضوع. إنه خالص ولين ويأخذ ويعطي ويدرك تماماً تظلل الكونغرس.

كان الفرق هاماً برأي كايسي بين شتان الذي انخرط في الوكالة في الستينات وجورج الذي انخرط في الخمسينات. كان جورج يحب الحياة، وكان حكيماً في تفكيره، ولكنَّ غرائزه ولدت في الحرب الباردة: العمل الاستخباري الجريء، الرشوة، الخيانة، الاختراقات الإلكترونية جميعها كانت طبيعية بالنسبة إليه. كان حساساً وتفهم أنّ العمل كان قدراً، وأفهم الجميع أنّ عليهم أن يواجهوا تناقضات كثيرة في عملهم.

أعلن كايسي التغيير في نهاية حزيران/يونيه. كانت العمليات التي يجري تنفيذها متنوعة

وكان طلب الأموال والعناصر البشرية يتقدم بسهولة نحو الموافقة في بعض المناطق، لكنه كان يتوقف بالنسبة إلى مناطق أخرى.

في غزور/ يوليو حصل عضو الكونغرس شارني ويسلون على ٥٠ مليون دولار أخرى لعملية أفغانستان الخفية. وبذلك أصبح مجموع المبلغ ١٢٠ مليون دولار (بعد أن أضيف المبلغ المطلوب من وكالة المخابرات المركزية والمبلغ الذي كان قد حصل عليه في السابق) وكان هناك حديث عن مضاعفة المبلغ في العام القادم. وبعد أن زائد السموذيون في دعمهم للنوار الأفغان على الأميركيين، بلغت كمية المساعدات للنوار حوالي نصف مليار دولار. لقد كان هذا جيداً بالنسبة إلى كايبي، ولكنه استنتج أنه من غير المعقول أن تضع كل البيض الخفي في سلة واحدة!

كان هناك عمليتان هاتان لدعم خفي ليس بسبب كمية المال بل بسبب المبدأ. وتدير كايبي أمر بقائها سرّاً. الأولى كانت ٥ مليون دولار في الموازنة لدعم المقاومة الكمبودية وكانت خطته تقضي بزيادة الدعم إلى ١٢ مليون دولار في نهاية السنة، مع أن هذا كان يعتبر دعماً غير مباشر للخمير الحمر. والثانية كانت دعماً محدوداً بحوالي نصف مليون دولار سنوياً للمعارضة الأثيوبية ضد النظام الماركسي والتي كانت تدعمها سرّاً المملكة العربية السعودية. هذه المعارضة لها ميل يساري أيضاً. وفي الحالتين كان كايبي يرغب في أن يرقص مع الشيطان! لقد كان ينظر إلى الحركات المضادة للشيوعية بعين واحدة: نيكاراغوا، أفغانستان، أثيوبيا، كمبوديا، كانت أرض المعركة. هذه هي العقيدة الريغانية. زاد كايبي الموازنة السرية للعمليات الإعلامية وأصبحت الآن حوالي ٢٤ عملية دعم مالي للمؤسسات صحافية في الخارج.

سبق لوكالة المخابرات المركزية أن نظمت حملة إعلامية لصالح الحلف الأطلسي في الخمسينات والستينات بنجاح تام. والآن تحاول إدارة ريغان الحصول على التأييد الشعبي من أجل تركيز صواريخ بيرشينج ٢ في أوروبا الغربية. عام ١٩٨٣ رصد كايبي ملايين الدولارات لدعم صحف أوروبية من أجل القيام بحملة تأييد لنشر الصواريخ غير أن لجنتي الاستخبارات في الكونغرس قطعت النفقة. عام ١٩٨٤ حاول كايبي مرة ثانية إقناع اللجان بأن تعطيه بضعة ملايين من الدولارات لهذه الأسباب. قال الديموقراطيون في الجلسات السرية إن أعمالاً كهذه تعتبر تدخلاً في الشؤون الداخلية للدول الحليفة الأعضاء في حلف شمال الأطلسي. وكان نشر صواريخ بيرشينج ٢ موضوع مناقشة صناعية في بريطانيا وألمانيا الغربية وإيطاليا. وتسرب أي خبر يفيد بأن وكالة المخابرات المركزية تقوم بالدعاية لحلفائها كان من شأنه أن يدمر العلاقات مع الحلفاء ويحبط جهود نشر الصواريخ. وكان هناك قلق من أن يكون هذا الإعلام تراجعاً خطيراً بالنسبة إلى الأوساط الصحافية الأمريكية.

قال كايبي إن بضعة الملايين كانت فقط للمحافظة على شبكة من الإعلاميين والكتاب. إلا أن لجان الكونغرس لم تنقل ذلك. لم تكن بضعة الملايين هذه كافية لإنجاز العمل فلماذا

نبدأ به؟ عندها، شطب المال من الموازنة وأبلغت وكالة المخابرات المركزية باستعمال موازنة «التعهد والصيانة» للمحافظة على بعض الكتاب الأوروبيين. مرة أخرى قبل لوكالة المخابرات المركزية أن تستعد ولكن أن لا تفعل شيئاً.

كانت اللجان تبحث في كومة من المستندات بسبابة ثلاثة أقدام والأخرون في الكونغرس ومنهم السناتور وليم بروكسايير من ولاية ويسكونين الذي كان يبحث دائماً عن النفايات، كانوا يبحثون عن عمليات للاستخبارات الأميركية.

في أحد منشآت الجيش الأمريكي في ما وراء البحار التي كان قد سمح لفريق التفتيش السوفياتي بدخولها، وكانت مجهزة بأحواض من المياه الساخنة للراحة خارج أوقات العمل. وقد وضعت استخبارات الجيش آلات استراق سمع معقدة ومجهزة بأجهزة إرشاد متطورة. هذا الثمن الغالي وضع في الموازنة العسكرية في بند تحسين الأحواض الساخنة. كانت هذه دعوة مفتوحة للجائز بروكسايير الشهيرة (غولدن فليس) لإظهار الهدر في أموال دافعي الضرائب الأميركيين. تدخل رئيس استخبارات الجيش الجنرال وليم أوودوم شارحاً أنه كان عليه جمع المعلومات عن بعض القضايا الدقيقة.

كانت وكالة المخابرات المركزية تملك شققاً فخمة نيويورك. وكانت هدفاً لجائز بروكسايير. اقترح أحدهم أن الجائز يمكن أن تشكل غطاء ممتازاً لأن الحكومة لن تسمح بتعرض المعلومات الحساسة للاكتشاف والإعلان عنها. وفي النهاية، منعت وكالة المخابرات المركزية محققي بروكسايير من التداول بموضوع شركة تملك زائفة (هي التي تملك شقق وكالة المخابرات المركزية في مدينة نيويورك).

كان هناك قلق آخر لكايبي في ذلك الصيف. فقد انبثقت الكنيسة الكاثوليكية في نيكاراغوا كأكبر قوة تعارض الساندينين. كان الأسقف العام ميغويل أوباندو برافو الذي كان على رأس تسعة أساقفة، ينظم الكنيسة ويحذر الكاثوليك من العقيدة الماركسية اللينينية. واتبعت الصحيفة الساندينية الرسمية لاباركادا بأنه متورط في نشاط سياسي يهدف إلى الإطاحة بالحكومة النيكاراغوية. ووصفته أنه رفيق السلاح لسموزا وأظهرت إحدى صور الكاريكاتور في الصحيفة أسقفاً يجني صليباً مسيحياً ليحمل منه صليباً معقوفاً نازياً.

ورد مال كثير مخصص للإعلام في أميركا الوسطى وذلك استناداً إلى مذكرة الإعلام العامة. قرر أحد ضباط العمليات تخصيص ٢٥ ألف دولار للكنيسة الكاثوليكية في نيكاراغوا تسلم بواسطة إحدى المؤسسات الأميركية الخاصة.

ظن السناتور مونيها أنهما مزحة وعندما تبين له أن الأمر جدي، استدعى مسؤولاً كبيراً في وكالة المخابرات المركزية وجلس معه قرب المدفأة في مكتبه الخاص. قال مكهاون: لا تفعلها، ذلك الرجل - أي الأسقف العام - هو قوة معنوية ولا يمكن إغراؤه بالمال مهما كانت الظروف». وافق كايبي على ما قاله مونيها وحذف مبلغ ٢٥ ألف دولار.

عندما كانت الاعتادات المخصصة للإعلام تذهب إلى منظمات خاصة كانت الوكالة تفقد السيطرة عليها. لكن مونيها كان يريد ليس السيطرة فقط بل التحكم التام. كان يمكن لمبلغ ٢٥ ألف دولار أن يصبح نقطة سم. فهل هناك علاج؟ من كان يقوم المخاطر؟ أين كانت الحدود الأخلاقية؟ كانت الشيء الذي يعزز صورة الأميركي البشع. هل هي مسألة قذوف الأموال إلى الخارج فقط؟ هل زاد الكونغرس ميزانية الاستخبارات أكثر من اللازم؟ ألم يسأل أحد هذه الأسئلة؟

اجاب كايبي أن الأسقف العام لن يعرف المصدر لأن المبلغ كان سيدمج مع نفقات أخرى. ولكن جهده الأساسي كان تجاهه أن يضمن عدم تسرب هذه القصة أبداً لأنه سيؤسب فهمها حقاً، إذ يمكن أن تظهر أن وكالة المخابرات المركزية كانت تحاول توصيل الأموال إلى الثوار عن طريق الكنيسة وذلك بعدما فشلت الوكالة في تمويل الكونترا. بدأت القصة تسرب وتعمم. اتصل كايبي بصحيفة واشنطن بوست وقال: إذا نشرت القصة فإن الأسقف العام في نيكاراغوا سيموت. ولم تنشر القصة. كما ألغى مشروع لإرسال مساعدة مالية إلى نقابات التضامن في بولونيا تراوح بين ٢٠ ألف و ٣٠ ألف دولار بواسطة الكنيسة الكاثوليكية في بولونيا، وذلك بسبب خطره السياسي.

بينما بدأت حملة ١٩٨٤ الانتخابية الرئاسية، أخذ كايبي يقوم بنشاطات جانبية. لا يمكنه أن يحضر ندوات خلال الحملات الانتخابية حول القضايا الاستراتيجية واجتمع مع أودارد روليتز وهو كالفورني من الجناح اليميني الذي كان كبير منظمي حملة إعادة انتخاب ريغان واتفق معه على توقع الفوز.

كانت المحاقب الصغيرة الثلاث التي كان كايبي يأخذها معه إلى البيت في الليل تحتوي على زمرات من الصحف والمجلات والقصاصات. لقد تابع أعمال الأوساط الصحافية بعين محمل الاستخبارات. إن بعض المعلومات العلنية المنشورة في الصحف والتي تسمى «الاستعلام المفتوح» يمكن أن تساعد كثيراً في المناورات الداخلية ضمن الإدارة.

في ٣٠ آب/أغسطس نشرت مقالة في واشنطن تايمز تستحق الاهتمام بعنوان: «خسمة مرشحين لخلافة كايبي في وكالة المخابرات المركزية». فكر كايبي في هذا الحراء. كانت صحيفة واشنطن تايمز تعمل من أجل واشنطن محافظة في ظل رئاسة ريغان. وكان معظم محرريها قد عملوا سابقاً في مجلس الأمن القومي. وكانت الأولى في نشر الأخبار والمؤامرات. قرأ كايبي بغضب، على أنه أبدى نيته في ترك العمل الحكومي. بعد الانتخابات سواء فاز ريغان أم لم يفز.

وفكر كايبي بجدي في أن يطلب من الرئيس إعفائه، ولكن جون مكهاون والآخرين ذهبوا إليه لإقناعه بأنه الوحيد الذي يستطيع المحافظة على الزخم في الوكالة ويضمن استمرار دعم الرئيس ويضمن تدفقاً مستمراً من الأموال والعلاقات الجيدة مع أجهزة الاستخبارات

الأجنبية. تأثر كايبي بعمق من مناشدته. لقد أقنعوه بأنه إذا كان هو وكالة المخابرات المركزية قد أخذ حجباً كبيراً في الصحافة فلائذ قد أظهر بأسلوبه في إدارة الوكالة أنها لم تفقد نفوذها في الحكومة أو عند الرئيس. كان هذا النفوذ والرصيد حيويين لاستمرار عمل الوكالة. ووافق أخيراً على البقاء.

نُسب المقالة إلى بعض كبار المسؤولين في الإدارة وإلى عناصر داخل البيت الأبيض، وكان أحد الكتاب من أركان مجلس الأمن القومي سابقاً وهو جيريمي أوليري. نصت المقالة على أن البيت الأبيض بدأ ينظم لائحة بالعناصر المقترح تعيينهم بديلاً عن كايبي وكان على رأس اللائحة جيم باكر رئيس أركان البيت الأبيض.

كان الفك الأسفل لكايبي ينتج نزولاً في لحظات كهذه. بعد خمسة أيام لاحظ في باب «داخل واشنطن» في صحيفة نيويورك بوست مقالاً بعنوان: «مدير وكالة المخابرات المركزية كايبي يترك خنجره وقناعه». وجاء في المقالة إن كايبي أعلم البيت الأبيض بأنه يريد العودة إلى حياته الخاصة. ومرة ثانية كان جيم باكر على رأس لائحة البديلين.

لقد أظهرت استطلاعات الرأي العام تفوق ريغان على المرشح الديمقراطي مونديل بحوالي عشر نقاط. وكان هذا الفرق يزداد. كان التجديد لريغان أمراً لا مفر منه. ما هذه اللعبة؟ إن أي خروج لأحد كبار المسؤولين الحكوميين أو أركان البيت الأبيض قد يثير سلسلة من ردود الفعل. كان جورج شولتز هو المفتاح، وكان وينبرغر وجين كيركباتريك وجيم باكر وكايبي نفسه يرغبون في وزارة الخارجية. لكن بدا واضحاً أن شولتز يخطط ليبقي، وهذا يعني أن وينبرغر سيبقى في وزارة الدفاع. كانت وزارة الدفاع ووزارة الخارجية الوزارتين اللتين طمح إليهما كايبي. لقد أحب وكالة المخابرات المركزية الآن أكثر من أي وقت مضى. للمرة الثانية يعتقد كايبي بأن سياسة البيت الأبيض يمكن أن تلعب دوراً أقل في القرارات وخاصة القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية وعمليات وكالة المخابرات المركزية وسيميل ريغان إلى تنفيذ رغباته.

كانت مقالات واشنطن تايمز والنيويورك بوست تحمل على عمل الجيد في دوائر الإدارة. وكان كايبي يتلقى بعض الأسئلة وبعض السخرية.

سخر منه طوني موتلي في إحدى العشيات قائلاً:

«وهكذا جيم باكر سيأخذ وظيفتك»

اجاب كايبي بحدّة: «إنه آخر من يمكن أن يحصل على الوظيفة».

لقد اشترك مع وينبرغر وكلاكرك وكيركباتريك في وقف قرار نقل جيم باكر إلى منصب مستشار شؤون الأمن القومي العام الفات. ولكن ماذا يفعل لمنعه من أن يكون مديراً للمخابرات المركزية؟ وإذا طلب منه أن يترك منصبه سيكون له حقاً كلمة في اختيار خلفه، ولكن ليس له فيتو على أحد. كان باكر حائزاً على ثقة ريغان ويمكن أن يكون قد انتزع

منه وعداً. علم كايبي أنَّ باكر أراد أن يحصل على خبرة في السياسة الخارجية، وكانت طموحاته لا حدود لها. كان يطمح مثلاً لأن يكون وزير خارجية في إدارة بوش في المستقبل! لم تكن وكالة المخابرات المركزية ملائمة لمشاريعه المستقبلية.

كانت طريقة عمل كايبي تلخص بأنه يمكن ملاحقة التشريعات لمعرفة مصدرها وذلك بالجواب عن الأسئلة: لمصلحة من؟ من كان يريد نشر القصة؟ الجواب في هذه الحالة أنَّ شخصاً ما كان يريد منصبه أو إخراجه من الوكالة. لم تنتج جهوده لمعرفة مصدر الترسيم لذلك قرر أن يسأل الرئيس مباشرة وكان ذلك أسلوباً إيرلندياً فقطاً.

كتب كايبي رسالة إلى ريفان يظهر فيها قلقه حول الأخبار التي قيل إنَّها تسربت من البيت الأبيض. وشرح أنه لم يطلب العودة إلى حياته الخاصة ولا يخطط لها إلا إذا رغب الرئيس في ذلك. وقال إنَّه يرغب بكل سرور في الخدمة خلال مدة رئاسة ريفان الثانية. وما زال هناك عمل يجب القيام به في وكالات الاستخبارات، ووضع قصاصتين من ورق الصحف تضمنتا المقالين، وقال إنَّ قصاصات كهاتين تؤثر على معنويات الوكالة وتخلق جوّاً من عدم الثقة وتزعزع الاستقرار الذي تمَّ تحقيقه. إنَّ حوالي أربع سنين من العمل يمكن أن تأثر وتراجع. يجب وقف هذه التقارير المخاطئة.

نظم كايبي رسالته بعناية ليضرب على وتر ريفان الحساس المعادي للصحافة وللتشريعات والمؤيد لوكالة المخابرات المركزية. وعلى الفور اتصل ريفان هاتفياً وعبر عن دعمه القوي: «طبعاً يا بيل أريد منك أن تبقى إذا كانت هناك فترة رئاسية ثانية. أنت رجلي في الوكالة طاملاً أنا في الرئاسة».

كان هذا السرد كافيّاً بالنسبة لكايبي. كان ذلك ضامناً لا بل عقداً موقعاً. وشعر كايبي بأنه يرفض نحو جادة بنسلفانيا ويَقْبَلُ الرئيس. إنَّه ملمون. طاملاً أعجب بهذا الرجل. إنَّه كان معلماً في التدبير والإدارة. فُتِش عن الرجال. اختر رجالك وتعلق بهم.

- ١٩ -

في (أيلول/سبتمبر) كان كايبي يمضي معظم أوقاته في لانغلي مركزاً انتباهه على احتيال تنفيذ هجمات إرهابية في الأسابيع التي تسبق الانتخابات. استدعى ضباط العمليات والمحللين والآخرين الذين يتسكعون حول البناية ويحتشدون في الممرات ويندفعون إلى المكاتب وإلى مركز العمليات، وأوضح لهم أنَّ المجموعة الاستخبارية بكاملها كانت في حالة إنذار لاحتياح حصول أعمال إرهابية. تخوف من أن يوجه ملقو القنابل المجاتين ضربة ثانية تظهر عجز الولايات المتحدة وتنعكس سياسياً عليها. كانت رئاسة ريفان قوية، وعدم القدرة على وقف هذه الهجمات من شأنه أن يكون من أكثر مظاهر الضعف في السنوات المقبلة. منذ سبعة عشر شهراً وكايبي يزعج بأشخاص هامين في المشكلة: التدريب وتبادل المعلومات وتطوير شبكة عمل يشترك فيها حوالي مائة بلد. في أربعين بلداً في سائر أنحاء العالم كان هناك تطور بارز في إمكانيات الوكالة في التدريب شبه العسكري وإنفاذ الرهائن وحماية الأشخاص الهامين. وكانت وكالة المخابرات المركزية قد انتهت حديثاً من تدريب ٦٠ لبنانياً. لقد عمل حوالي خمسين شخصاً في قيادة وكالة المخابرات المركزية في مجال الإرهاب وعمل العشرات أيضاً في وكالة الأمن القومي وسائر وكالات الاستخبارات العسكرية. طلب كايبي نتائج، وكان هناك بعض النجاح. حددت الاستخبارات أنَّ سفير إسبانيا في لبنان مُلاحق واقتُرحت عليه وكالة المخابرات المركزية أن يغادر لبنان. لم يفعل ذلك وخُطِفَ فيها بعد.

أدى تركيز الانتباه على الإرهاب إلى ورود تقارير كثيرة وفيض من المعلومات معظمها مشكوك في صحته. على الصعيد العملي لم تنتج وكالة المخابرات المركزية في اختراق مجموعات الإرهاب في الشرق الأوسط. استنتج كايبي أنَّ السبب كان بسيطاً. لقد علم الإرهابيون أنَّ عملاء وكالة المخابرات المركزية لا يستطيعون القتل لأنَّه محظور عليهم اغتيال الأشخاص. وكان المتقدم لعضوية مجموعة إرهابية يخضع لاختبار فوري: اذهب واقتل شخصاً ما.

وردت في بعض التقارير السرية معلومات تفيد بأن المتفجرات والقنابل الموقوتة كانت تنقل بواسطة الإيرانيين العاملين خارج سفارتهم في دمشق بحماية الحصانة الدبلوماسية. في شهر آب/أغسطس أظهرت التقارير أن المتفجرات التي نقلت إلى لبنان قد فقد أثرها. ومع رحيل مشاة البحرية الأمريكية من لبنان بقي هدفان أميركيان للإرهاب هما مقر إقامة السفير الأمريكي وقسم سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في قطاع بيروت الشرقي الآمن نسبياً. أصيبت وكالة المخابرات المركزية وبعض وكالات الاستخبارات الأخرى بالهوس والذهول من التقارير. كان هناك نكهة (ها نحن ثانية نعوذ) لكن التحذيرات لم تكن دقيقة.

في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين من يوم الخميس في ٢٠ أيلول/سبتمبر اندفع باص صغير يضع لوحة دبلوماسية إلى داخل قسم السفارة الأمريكية في بيروت الشرقية وترتج في طريقه واجتاز الحواجز المتعرجة من الإسمنت المسلح والتي هي بشكل سن التين والمعدّة للتخفيف من سرعة الآليات القادمة. وتصدى لها أحد الحراس المسلحين ببندقية ١٦ وحرس السفير البريطاني الذي كان يزور السفارة. فتحوا النار وأصابوا الباص الصغير بخمس طلقات، وسرعان ما اتجه نحو سيارة متوقفة على بعد ثلاثين قدماً من مدخل كراج السفارة، وانفجر تاركاً حفرة بقطر ٢٦ قدماً. قتل ٢٤ شخصاً على الأقل من ضمنهم موظفان أميركيان وجرح تسعون شخصاً من ضمنهم السفير الأمريكي ريتشارد بارشولوميو الذي وقع تحت الركام ثم انتشل وتبين أنه مصاب بجروح طفيفة.

كان كايسي مريضاً في ذلك الوقت وأظهرت صورة سرية جداً فيها بعد أن الباص الصغير أو واحد مثله كان معداً للتدريب خارج نموذج طبيعي لبني السفارة الأمريكية في وادي البقاع. استنتجت الاستخبارات الأمريكية أن حزب الله كان وراء هذا الهجوم تماماً كما كان وراء الهجمات التي نفذت ضد السفارة الأمريكية ومبنى مقر قيادة مشاة البحرية. تبين لكايي أن أحداً في البيت الأبيض لا يفكر بعمل انتقامي قبل الانتخابات. لقد أوقفوا النار لعدة أشهر وبعد أكثر من هجوم خطر.

ورد تقرير مثير من ضابط برتبة مقدم في الاستخبارات اللبنانية أظهر التخطيط الدقيق للعملية. جاء في التقرير أن الباص غادر بيروت الغربية في نفس النهار ولحق به شخصان يرتديان لباساً عسكرياً لقوى الأمن اللبنانية في سيارة ب ام في برتقالية. وفي الطريق إلى مبنى السفارة صدم الباص سيارة أوبل صغيرة. أحس السائق بالارتباك وبدأ مضطرباً ولم ينظر إلا إلى اليمين ولا إلى اليسار ولم يعر انتباهه لسائق الأوبل. في هذه اللحظة تقدم راكبا سيارة الـ ب ام إلى سائق الأوبل ودفعوا له مبلغ ٢٠٠٠ ليرة لبنانية (أي حوالي ٣٠٠ دولار أميركي في ذلك الوقت) وهو مبلغ أكثر بكثير من كلفة تصليح سيارة الأوبل. أخذ السائق المال وترك مكان الحادث. أحد المواطنين اللبنانيين الذي شهد هذا الحادث سمع صوت الانفجار في السفارة الأميركية بعد حوالي عشر دقائق وتوجه على الفور إلى الاستخبارات اللبنانية وأفادها

بمعلوماته. لم يستطيعوا العثور على سائق الأوبل ولكنهم صدقوا رواية الشاهد. لم تستطع وكالة المخابرات المركزية التأكد ولكن التقارير وضعت احتمال أن يكون سائق الباص قد أعطي غمداً قبل عملياته الانتحارية.

طلبت الاستخبارات اللبنانية مبلغاً يزيد عن المليون دولار التي تقاضاها كل سنة لتدفع لعمالها، ووعد كايسي بذلك إذا استطاع الحصول على المال. كان اللبنانيون يعملون ما بوسعهم لتأمين معلومات من الجهات الإرهابية، كما أن العلاقة بين وكالة المخابرات المركزية والاستخبارات اللبنانية كانت تزداد وثوقاً.

لم يكن كايسي واثقاً من الإسرائيليين. لقد كان يعلم أنهم اخترقوا لبنان وسوريا بعملاء من الدرجة الأولى وكان عنده شعور قوي بأنهم يتمتعون عن إعطاء المعلومات التي تهدد حياة الأميركيين. كانت العلاقة بين وكالة المخابرات المركزية والموساد الإسرائيلي قد سادت بعد غزو إسرائيل للبنان وبعد أن سحبت الولايات المتحدة مشاة البحرية الأمريكية من لبنان. لقد كان لبنان بمثابة كارتة للدولتين، وعقد علاقاتها الفضل المشترك. لقد عملت الوكالات معاً دون أن تحب الواحدة منها الأخرى. كان مسؤولو الموساد يستحقون بوكالة المخابرات المركزية وأحدهم سمي عملاءها باللاعبيين الذين لا يستطيعون اللب. كان بيتر ماندي وهو الرقم ٢ في الموساد مسؤولاً عن الارتباط مع وكالة المخابرات المركزية. لم يسمح لعملاء الموساد ولعملاء وكالة المخابرات المركزية في لبنان أن يتعاملوا مباشرة مع بعضهم. كان هناك شعور في وكالة المخابرات المركزية بأن ماندي كان يعطي القليل من تقارير المصادر البشرية الهامة للموساد وبشكل شحيح، ولا تقوم بذلك إلا خدمة للمصالح الإسرائيلية. كان التقييم في لانغل يقول إن المشاركة الاستخبارية بين إسرائيل ووكالة المخابرات المركزية كانت مثلي طريق باتجاه واحد. كان على كايسي أن يضغط على الإسرائيليين وأن يدفعهم يعرفون أن هناك مشاكل. كان كايسي قادراً على أن يقوم بذلك شخصياً ولكن عليه أن يضغط ضغطاً شديداً جداً.

أخيراً قرر كايسي أن يوفد مكهاون إلى إسرائيل. وكان مكهاون قادراً على أن يقرأ للموساد فصل الاضطرابات: من الآن وصاعداً ستوقع وكالة المخابرات المركزية كل المعلومات التي تتعلق بأي هجوم إرهابي ضد المؤسسات الأميركية. قال لهم مكهاون بلهجة «لطفاً» و«عليكم اللعنة». وشعر بأنه حقق تقدماً سطحياً. وفي النهاية كان الموساد مثل وكالة المخابرات المركزية لا يثق بأحد.

إن انفجار ٢٠ أيلول/سبتمبر جعل من مشاكل الاستخبارات مؤثرة، ولكن ذلك لم يكن انهياراً وكان على كايسي أن يقدم بعض الشروحات والتوضيحات للبيت الأبيض. كان جوابه بسيطاً. عاد عشر سنوات إلى الوراء إلى أيام تحقيقات نشرش وأيام إدارة كارتز أيضاً، وكلاهما كانا قد سحقا روح وكالة المخابرات المركزية. قال إن احتراق الاستخبارات أو تربية

وتعهد مصدر بشري كان عملاً خفياً نظراً إلى المشاكل التي تنتج عنه. لم يستطع بناء شبكة عمل من مصادر بشرية في أربع سنوات. الرئيس كارتز أوقف المدفوعات السرية عن الأردن عام ١٩٧٧ عندما علمت بذلك الصحافة. في عهد كايبي بدأت وكالة المخابرات المركزية بعمل سري مع الأردن للمشاركة في جمع معلومات حول الإرهابيين وحول منظمة التحرير الفلسطينية.

شخص واحد تقبل كلام كايبي وتفهمه هو الرئيس ريغان. فبعد ستة أيام من تفجير بيروت الأخير كان الرئيس في جولة انتخابية في بولنغ غرين في ولاية أوهايو وسأله أحد الطلاب عن أمن سفارات الولايات المتحدة، قال الرئيس: «نحن نتلقى اليوم التأثيرات الناتجة عن تخطيط إمكانياتنا الاستخبارية في الستين الماضية وقبل وصولنا». وأضاف أن الموقف الذي كان سائداً في السابق هو «أن التجسس عمل غير شريف. وهذا ما دعانا إلى التخلص من عملاء استخباراتنا... لقد فعلنا ذلك إلى حد كبير».

وإذا كان هناك أدنى شك حول هدف هذه القنبلة التي نشره فيها بعد أركان البيت الأبيض للصحافيين. كان المقصود كارتز وتورنر. في اليوم التالي انفجر كارتز من الغضب وقال: «إن إتهام ريغان هو إهانة شخصية له». وقال: «إن التهمة خاطئة تماماً». وأضاف كارتز: «إن الكوارث التي حصلت في الشرق الأوسط هي نتيجة لسياسة الرئيس المصابة بالخلل وللاحتياطات الأمنية غير الكافية لمواجهة الأخطار الداهية».

و جاء رد تورنر علينا، كان صوته يرتفع عندما كان يقرأ بيانه. قال: «إن تعليقات السيد ريغان غير محترمة وليست بمستوى رئيس». إن ريغان هو الذي خرب وكالة المخابرات المركزية وذلك بوضع أشخاص فضوليين فيها، وسيس الوكالة مع كايبي». ثم تساءل: «ماذا نقرأ عن وكالة المخابرات المركزية اليوم؟ نقرأ عن مدير له ارتباطات مالية مشبوهة ومتورط في عدم قانونية الحرب الخفية في نيكاراغوا... نحن لا نتعجب إذا كانوا لا يجمعون المعلومات في بيروت لأنهم كانوا يحاولون الإطاحة بالحكومة في نيكاراغوا». قرأ كايبي ذلك كله مراراً عديدة وبعناية، ولكنه لم يتجرأ إلى تبادل النار ولم يبط أي تعليق علني. لقد عرف ما كان يعنيه ريغان. لم تكن القضية قضية أرقام أو أموال أو أشخاص مع أن هذه كانت جزءاً منها. كانت القضية هي مناح عدم الثقة الذي خلفه تورنر. إن روح الوكالة يجب أن تكون روح «استطيع أن أعمل» بينما كان تورنر قد جعلها روح «لا أجرؤ».

بعد حين، ماتت الضجة وكان كايبي مكتئباً لأن الناخبين تفهموا موضوعها.

بعد أن أمضى هورتون الصيف قللاً حول استقالته من وظيفته كضابط الاستخبارات القومية لأمريكا اللاتينية. أعطى مقابلة طويلة على آلة التسجيل لمحور من صحيفة في بورتلاند في ولاية ماين. قال هورتون، دون أن يذكر المكسيك، أن هناك تقديراً استراتيجياً هاماً وأن كايبي «ضغط عليه كي يراجع ويعيد صياغته».

وأضاف: «لقد رفضت أن أعيد صياغته وهكذا أعاد كتابة هذا الشيء فوق جسدي الميت» ثم أضاف «أنا ضابط استخبارات ولا أعمل لصالح الإدارة بل لصالح الحكومة». مضت ثلاثة أسابيع قبل أن تصل أخبار شكوى هورتون العلنية إلى الأوساط الصحافية في واشنطن. في ٢٨ أيلول/سبتمبر كتبت صحيفة نيويورك تايمز في صفحتها الأولى: «أحد المحللين الذين سيتركون وكالة المخابرات المركزية يصطدم مع كايبي حول المكسيك».

شعر بوب غايتس المعاون لشؤون الاستخبارات بالحيرة. لم يلحق هورتون بأته سيصرح علناً. لم يفهم هورتون تجربته في عالم التحليل. كان اسم اللعبة الضغط. كان هناك دائماً ضغط من وزارة الخارجية أو من وزارة الدفاع أو من البحرية أو الجيش أو البيت الأبيض. عندما تضرب الوكالة على الوتر الحساس أو تضرب قضية هامة أو عندما تؤثر استنتاجاتها على السياسة يبدأ الناس بالصراخ.

كانت وزارة الخارجية عدواً دائماً للأعمال التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية في جنوب أفريقيا. وقد اختلف مساعد وزير الدفاع ريتشارد بيرل دائماً مع تحليلات الوكالة حول الإمكانات الاستراتيجية للسوفيات. وفي السنة الماضية أعاد غايتس بنفسه فتح قضية الإنفاق الدفاعي السوفياتي، واستنتج أنه كان أقل مما تقول وكالة الاستخبارات الدفاعية. كان ذلك كمن يراجع إحدى الروايات العشر. ولكن غايتس انغمس. وكان هذا ضغطاً. لم يفهم هورتون الضغط الحقيقي. نعم يمكن أن تكون المناقشة قاسية جداً، ويمكن لكايبي أن ينشراها. كانت هذه الأشياء بحاجة للاختيار والمناقشة وغالباً ما تصبح عدائية. لقد أخطأ هورتون، من وجهة نظر غايتس. قبل ستة أسابيع فقط من الانتخابات الرئاسية كان على كايبي أن يتجادل مع هورتون. لقد شعر بأن هورتون كان يحاول الابتعاد عن معلومات التقدير التي تؤيد انهار المكسيك. كان كايبي قد أفهم الجميع أنه لا يريد أن يجد تقديراً أمامه يقول شيئاً مثل: «شاه إيران سيمكث خمس سنوات في السلطة!» وبعد أشهر يسقط الشاه!

كان المدير متضيقاً من إدعاء هورتون بأنه يعمل للحكومة وليس للإدارة، وكأنما هورتون كان يعتقد بأن هناك فرعاً إضافياً في الحكومة أي وحدات دائمة تحافظ على الحكومة. هذه كانت بيروقراطية، في رأي كايبي، وكانت تؤدي إلى مشاكل مع الحكومة وليس إلى حلول.

كتب كايبي رسالة شخصية إلى هورتون. الذي لما قرأها شعر وكأن كايبي كان يتهمه بتعطيل شعره أو بتعاطي المخدرات. القضية هي أنه أراد مجالاً واسعاً للرأي. لم يطلب كايبي وجهة نظر بديلة للتقديرات. لقد أصبح جزءاً من آلية صنع القرار في إدارة ريغان. وكان اهتمامه الأساسي منصّباً على الإطاحة بحكومة نيكاراغوا. لم تؤذيه المكسيك في ذلك.

كانت متعجرفة في سياستها الخارجية وكانت ترسم سياسة مستقلة من عدم التدخل والمفاوضات. كان هورتون يعتقد بأن كايسي كان يريد من التقدير أن يكون ختجراً يوجهه إلى قلب المكسيك.

رأى الديموقراطيون في لجنة استخبارات مجلس الشيوخ فرصة أمامهم. قرأ مونيهان التقدير. هناك فرصة واحدة إلى خمسة لعدم الاستقرار. وبما أن المكسيك مفلسة فإنه لن يكون من الخطأ أن نتوقع بعض المشاكل. كان مونيهان يجب الاحتمال الرقمي. في ظل هذا الغلق العجيب نجد أن التنبؤ ينفع إلى حد ما. إذا قال الناس إن هناك احتمالاً من ٨٠٪ إلى ٩٠٪ لسقوط الأمطار، عندها سيأخذ أحدهم مظلة الآخر الواقية للمطر!

في لجنة استخبارات مجلس النواب لم يحضر أحد من أصدقاء كايسي للدفاع عنه. وأذاعت اللجنة بياناً جاء فيه: «إنهم تفحصوا المسودات والنص النهائي للتقدير وجدوا أن الآراء المعارضة قد وضعت في مستهل التقدير وهذا عمل ترحب به اللجنة».

في يوم الجمعة ٢١ تشرين الأول/أكتوبر أجرى كايسي حفلة استقبال لأركان لجنتي الاستخبارات في مجلس الشيوخ ومجلس النواب في غرفة الطعام في الطابق السابع من مبنى القيادة في لانغلي. لقد كانت مصالحة. وأراد أن يشكرهم للمصادقة على القانون الجديد الذي يعفي الملفات الحساسة التقنية والأمنية للعائدة لمديرية العمليات من قانون حرية المعلومات. كان من المقرر أن يوقع الرئيس القانون يوم الاثنين المقبل. لقد كانت المصادقة على القانون رمزاً لموقف جديد من وكالة المخابرات المركزية. خلال الحفلة تحول كايسي على جميع الحضور. لم يكن قد مثل أمام اللجنة منذ حوالي خمسة أشهر ولم يخطط لذلك في المستقبل القريب.

اقرب روبر سيمونز منه وقال إن النقاط الأساسية في مشروع حملة ١٩٨٠ الانتخابية الرئاسية حول الاستخبارات قد نفذت تقريباً بكاملها، بالإضافة إلى إعادة تنظيم حرية المعلومات، كما تمت المصادقة على وثيقة حماية هوية العملاء والتي تحظر نشر أسماء العملاء، كما أعيد بناء مكافحة التجسس وأعيد التركيز عليها، وتمت زيادة موازنة الاستخبارات بنسبة ٥٠٪ في السنين الأربع الماضية. دون كايسي ملاحظاته حول هذا الكلام باختصار على ورقة منفصلة.

في اليوم التالي السبت استيقظ كايسي باكراً وكان يوماً ممتازاً للعب كرة القدم أو الغولف. لكنه ذهب إلى المكتب. لقد مضت عليه مدة لا بأس بها لم يذهب إلى خارج البلاد لزيارة عطات الوكالة في الخارج، وكان يريد أن يحافظ على الزخم في لانغلي. إن حضور المدير إلى مركز القيادة يوم السبت هو بمثابة رسالة خفية إلى الحاضرين وإلى الغائبين. ويوم الاثنين سيتلقى مكالمات وأسئلة تافهة وملاحظات. ارتدى سترة فضفاضة وقمصان وربطة عنق واختار بنطلوناً أخضر ليعطي علامة غير رسمية لنهار السبت.

حضر أحد مساعديه الكبار في الوكالة إلى منزله الساعة ٨,٣٠ لتناول طعام الفطور وكانت فرصة لمراجعة أول جزء، أما كايسي فقد كان مشغول البال حول الجزء الثاني. كانت الانتخابات الرئاسية ستجري بعد ٢٤ ساعة وعندها سيحدد أربع سنوات لريغان وله. كانت صوفيا ما تزال ترتدي روب الحمام وقد وضعت سلطة التفاح والبيض الفاني وشرائع اللحم والخبز «التوست». كان كايسي مرتاحاً وفي أحسن حالاته عندما جلس إلى الطاولة في غرفة الطعام. كانت صوفيا إلى جانبه دائماً وكانت بالنسبة إليه التفتيش لزوجته جورج ساييلي بطل روايات التجسس البريطانية التي ألفها جون لوكارب. كانت آن ساييلي تركز على نفسها أما صوفيا فكانت امرأة تركز نفسها لزوجها بشكل كامل. كانت تمشط شعرها الأبيض القصير إلى الأمام ولم تستعمل «موديلات» الشعر المرتفعة الشن بل كانت تكتفي باستعمال البخاخ (Spray). لقد تعلقت به منذ زواجها في عيد ميلاد جورج واشطن خلال الحرب العالمية الثانية. كانت لصوفيا مميزات أفضل من التي كانت لآن ساييلي.

شعر كايسي بأنه قد قام بواجبه في وكالة المخابرات المركزية وذلك بنقل الرسالة الواضحة لإدارة ريغان. أميركا والقوة. لم يكن العالم آمناً لأن السوفييات ما زالوا يميلون إلى التوسع ولكن الولايات المتحدة كانت في وضع أفضل. هز برأسه عند ذكر العواطف المزعومة التي يكتبها للأعمال الخفية. ثم قال: «هذا هراء» وأضاف «أنا هنا كبير المحللين» وكان عمله الحقيقي كما قال بيل كولبي هو الذهاب إلى البيت الأبيض ومعه تحليل جديد. كان هناك في كل يوم مشكلة جديدة في أي جزء من العالم.

كان الاتحاد السوفياتي الشغل الشاغل في سنوات ريغان. كان السوفييات يؤذون. كان اقتصادهم في مأزق وكان الفساد مستشرياً وذلك استناداً لأفضل وأحدث معلومات وكالة المخابرات المركزية. أوقف السوفييات استعمال مقولة «نحن المستقبل» التي كانت شائعة. والسبب أنهم لم يكونوا كذلك. وبينما كان كايسي يحكي دول العالم ويعرض شؤونها كانت تحدث أشياء جديدة من خلال الدعم الخفي للثورات. وعلى الرغم من اعترازه بنفسه ككبير المحللين بقي كايسي يرجع إلى الأعمال الخفية.

- كانت هناك أخبار جيدة عن عملية أفغانستان. عملياً، في تلك الجبال وفي أكبر أرض تحاف الله في العالم، كان الروس يخضعون من حماسهم واندفاعهم وكان دعم وكالة المخابرات المركزية يزداد.

- في أنغولا وعلى الرغم من حظر المساعدات الخفية الأميركية كانت هناك ثورة من ٢٥٠ ألف عنصر بقيادة جونا سافيني.

- في كمبوديا كان هناك حوالي خمسين ألفاً يقتلون الجيش الفيتنامي وهو رابع جيش في العالم من حيث العدد، وكانت النتيجة تفتيت ذلك الجيش. وكانت مساعدة وكالة المخابرات المركزية تبلغ حوالي خمسة ملايين دولار سنوياً.

- في أثيوبيا كانت المقاومة ضد النظام الماركسي تتخذ شكلاً جديداً، وكانت المساعدات تأتي من المملكة العربية السعودية، وكانت وكالة المخابرات تقدم مساعدات قليلة.

- كان الكونترا فعالين في نيكاراغوا على الرغم من انتهاء الدعم الأمريكي، وفوق كل هذا كانت عملية الجدل ناجحة، وكان كايبي يشعر بأنه إذا أجريت انتخابات نزيهة. فإن الساندينين سيخسرون حقاً، وكان تأييدهم يذوب تحت ضغط الكونترا ومعارضة الكنيسة الكاثوليكية.

- في السلفادور أصبح دور الجيش المدعوم من الولايات المتحدة أكثر ضراوة ضد وحدات الثوار الأربع. أشارت معلومات الاستخبارات إلى أن السوفييت والكوبيين كانوا يعتقدون بأنهم لن يكسبوا، وقد بدأوا يعززون موقفهم في نيكاراغوا. وفكر كايبي في أن الولايات المتحدة كان يمكن أن تحسر السلفادور إذا كان الضغط سيستمر عليها. استنتج كايبي أن بعض هذه العمليات خطر. لكنّ البديل كان أن تجعل الأمور تقلت من الزمام كما جرى في عهد كارتر. كان العمل الخفي بالاشتراك مع برنامج متكامل من الضغط الإعلامي والاقتصادي والدبلوماسي يعطي نتيجة فعالة. شعر كايبي بأنه قد ربح نقطة واحدة من متقديه خلال الثلاث سنوات ونصف الماضية. لا يمكن لوكالة المخابرات المركزية أن تقلق بشكل هاجسي. لقد كانت تعمل للرئيس. وإذا حصلت سياسة الرئيس على نقطة فإن الوكالة تحصل أيضاً. وكذلك بالنسبة إلى وزارة الخارجية والجيش. هذه المؤسسات، وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية والجيش، لا تكن هشة ولا تتحمل التراجع والانتقادات. لقد كان اندفاعاً ويركز داتها على المشروع الكبير، وعندما نظر إلى بطاقة النتائج تحقق من بعض النجاحات الأخرى الهامة:

- لأول مرة يتركز الانتباه الحقيقي حول عملية النقل التكنولوجي التي تقوم بها شركات تجارية مدعومة من السوفييت. وكانت هذه الشركات تعد لخداع القانون والالتفاف حوله وتشتري تجهيزات ذات تكنولوجيا متطورة وخططاً تكنولوجية.

- كان التبادل الاستخباري مع الصين مشمراً جداً، ليس من مراكز النصت فقط، بل من معلومات من مصادر بشرية وتكنولوجية. يمكن أن يصاب السوفييت بصدمة كبيرة إذا عرفوا التفاصيل.

- تحسنت المراقبة الشاملة للاتحاد السوفياتي وكانت هناك تكتيكات أفضل لمراقبة غواصاته المجهزة بالصواريخ الباليستية.

- كان هناك اختراق للنظام المصرفي الدولي يسمح بالحصول على البيانات من مجموعات المستندات الحقيقية والسرية التي كان يحفظها العديد من البنوك الأجنبية والتي تظهر

الاستشارات السرية للاتحاد السوفياتي.

- تحسنت مكافحة التجسس وحققت اختراقات جديدة. كما وقد تبين أن هناك اختراقات على مستوى عال في المخابرات السوفياتية لا يمكن الإعلان عنها. كانت وكالة المخابرات المركزية تشك في أن يكون هؤلاء عملاء مزدوجين.

- أصبحت الوكالة أقرب إلى تغطية العالم بكامله للمرة الأولى. وهناك جهود مكثرة للحصول على مصادر وشخصيات هامة في جميع بلاد العالم. لقد ازداد تجنيد العملاء في العالم الثالث وتضاعف في أمريكا اللاتينية.

- تركّز الانتباه على بعض المشاكل طويلة الأمد. كانت وكالة المخابرات المركزية هي الوكالة الوحيدة التي تنظر بشكل منظم إلى جميع المشاكل الكبرى التي يمكن أن تبرز خلال خمس أو عشر سنوات. كانت تدرس اتجاهات العالم الثالث لغاية العام ٢٠٠٠ (مصادر التغذية - الماء - التطور الاقتصادي). وتعالج أسئلة مثل: ماذا يحدث إذا بلغ عدد سكان مدينة مكسيكو ٤٠ مليون نسمة؟ ماذا عن تأثير المخدرات في أمريكا اللاتينية في المستقبل القريب؟ ومع اعتياد صناعة السيارات أكثر وأكثر على البلاستيك وبشكل أقل على الألمنيوم، ماذا سيحدث للبلدان التي تنتج البوكسيت؟ وإحدى هذه البلدان سورينام التي يأتي أكثر من ثلثي إنتاجها الوطني من البوكسيت. وفي بعض الحالات يمكن عرض المشاكل بسرعة وبكفاءة أقل. وفي النهاية كان كايبي يريد تحديد المشاكل.

- على صعيد نزع السلاح لم يكن كايبي جاهزاً ليقول ما إذا كانت اتفاقية ما في المستقبل يمكن التحقق من تنفيذها. لم يؤمن كايبي بنزع السلاح.

- تم تعميم لائحة مراقبة فصلية لبعض البلدان غير المستقرة. وكانت الفيليبين في رأس اللائحة وتسودها الثورات والاضطرابات السياسية.

قام كايبي بتنظيم الوكالة وصياغتها كي تساعد زبائنها الستة الحقيقيين وهم الرئيس ونائب الرئيس ورئيس أركان البيت الأبيض ووزير الخارجية ووزير الدفاع ومستشار شؤون الأمن القومي. لم تكن الوكالة معدة لخدمة الكونغرس ولا لخدمة الأوساط الصحافية وعمامة الناس. ومع أن كايبي كان لائقاً مع البيت الأبيض، فإن رسالته إلى أي شخص من غير زبائنه الرئيسيين كانت تبدأ بالشتائم. أدرك كايبي من وجوه عديدة أن إدارته كانت عملاً رفيع المستوى، وتعمل في جو خال من القيود سوى التي يفرضها بنفسه. وبما أن تكوان الذات لم يكن أسلوبه وكان حساب الاستخبارات حراً وواضحاً فقد طلب كل شيء. كان برنامج التقاط وكالة الأمن القومي شاملاً، بحيث أن كبار المسؤولين كان لهم حق الإطلاع على مواد أكثر ويسجلون عليها تعليقاتهم. إن زيارة اجتماعية برتبة إلى حفلة استقبال في السفارة قد تتحول إلى إرباك بالنسبة إلى المسؤول الحكومي. وحصوله التقاط اليوم التالي يمكن أن تحتوي على تقرير السفير المتطنت أثناء إرساله إلى عاصمة بلاده، وهذا التقرير قد

يقتطف كلاماً من مسؤول أميركي دون أن يسميه. وبناء لقواعد عمل وكالة الأمن القومي فقد كانت أساءه المواطنين الأمريكيين وحتى الموظفين الحكوميين تحاف. لكن في بعض الأحيان كانت الصفحات الاجتماعية في الصحف تذكر أساءه من يحضر حفلات السفارة، وعندها يجب القيام بتحريات قليلة فقط لتحديد هوية المواطن الأمريكي الذي كان في الحفلة.

كانت الالتقاطات تكشف عن الأسلوب الذي كان يعتمد على سفير أجني في واشنطن في تشويه تقاريره حيث كان يبالغ في إظهار المودة مع كبار المسؤولين الأمريكيين الذين كانوا في بعض الأحيان يتصرفون تعاملهم مع عناصر السفارة ويتجنبون حفلات الكوكيتل ما أمكنهم ذلك. أظهر أحد الالتقاطات أن اليابانيين قد طوروا مصدراً جيداً في وزارة الخارجية واستخدموه من أجل مفاوضات تجارية هامة. وقرأ المسؤولون الأمريكيون بتعجب المواقف الأميركية نقطة نقطة حتى قبل أن تقدم إلى الوزارات الأميركية الأخرى المعنية بالمفاوضات!

تبسم كايسي حول هذا. كان يعكس الميل لأن تكون الولايات المتحدة مرة ثانية في مركز الرابع على جميع الجبهات.

في أسلوبه الخاص والشخصي تبين لكايبي أنَّ التجسس له جذور مثالية. كان هناك شيء ما، وفي تلك الحالة كانت الولايات المتحدة هي التي تستحق أن نقاتل لأجلها بصعوبة. كان كايسي مسروراً من الوكالة ولكن بقياس ١ إلى ١٠ كان يعطي نفسه علامة ٧. ربما علامة ٧ كانت جيدة لكنها ليست الفضل. كان من الممكن أن يفعل الأفضل. وكان هذا هو السبب الذي دعاه إلى العمل يوم السبت، ليبقي الأفكار متحركة. هذا ما أثار سروره. كان له صبر قليل على إنجازات الإدارة. ونستون تشرشل كان يضع لائحة كتب عليها: «عمل اليوم»، وكان هذا ما يريده كايسي.

في اليوم التالي أُنذر كايسي بسبب التقاط برقية لوكالة أسوشيتد برس حول تقرير عن كتيب لوكالة المخابرات المركزية لتعليم الكونتزا على حرب العصابات وتقديم الاستشارة لهم حول طريقة استخدام العنف للقضاء على بعض الأهداف مثل القضاة وضباط البوليس وموظفي الدولة.

يوم الأربعاء نشرت صحيفة نيويورك تايمز الخبر على الصفحة الأولى بعنوان «هؤول كبير في وكالة المخابرات المركزية يعلم الثوار في نيكاراغوا كيف يقتلون». وكان من الصعب مواجهة المنطق الذي يعتبر أن «القضاء على» يعني «الاعتقال».

وكان الكتيب المؤلف من ٩٠ صفحة بحث الكونتزا على خطف المسؤولين في الحكومة الساندينية.

ثم إعداد كتيب «العمليات السيكلوجية في حرب العصابات» منذ سنة وعمم بشكل

محدود على الكونتزا. وكان يهدف إلى إعطاء الكونتزا بعض التوجيه السياسي. وجاء فيه أنَّ العصابات المسلحة التي تطوف في الجبال في مهات «اضرب واهرب» لم تعط أية نتيجة. كان على الكونتزا أن يعملوا في القرى والمدن وبين الناس لنشر رسائلهم وأن يطوروا تنظيمهم السياسي ويجزؤوا دعماً سياسياً. لقد استخدم الكتيب كأداة للتعليم.

أخذ كايسي قلم رصاص وتصفح الكتاب ووضع خطوطاً تحت العبارات الهامة. كان الكتيب منشوشاً ويحتوي على مجموعة من الأفكار الاعتباطية المتناقضة وملتبناً بالكلام الرنان مثل «الفتد الذاتي»، «توجيه المجموعة»...

وجاءت فيه معلومات حول طريقة إعداد غيم عصابات وتوجيهات مفصلة حول أسلوب تجنب الشعور العدائي بين السكان المحليين. «بناء مراحيض وحفر لرمي النفايات» قرأ كايسي هذا وضحك. إن هذا الجنون يكون مضحكاً في ظروف أخرى. ودعا الكتيب إلى إرهاب تام وشامل وشجب الإرهاب الظاهر فقط.

تحت عنوان «وحدات الصدم» قرأ: يجب تجهيز هؤلاء الرجال بالأسلحة (السكاكين وشفرات الخلاقة والسلاسل والمراوات...). ويجب أن يكون سلوكهم سهلاً تجاه العناصر السذج والأبرياء.

ظهرت كلمة «القضاء على» تحت عنوان: «اختيار استعمال أعمال العنف للتأثير الإعلامي». جاء في الكتاب: بعد أن يتم اختيار مسؤول سانديني «من الضروري أن تجمع السكان المتأثرين ليصبحوا جاهزين دورهم ضد الظلم». وقد حذفت جملة واحدة من بعض النسخ ولكن ليس من جميع النسخ لسوء الحظ ونقول: «يمكن استخدام المجرمين المحترفين للقيام بالأعمال المطلوبة». وكان هذا يذكر عندما استأجرت وكالة المخابرات المركزية جون روسلي وهو عضو في المافيا ليقتل كاسترو في أوائل الستينات.

أدرك كايسي أنَّ الاغتيال موضوع مختلف في نفسية الأمريكيين لأنه يتحدى الصورة الذاتية القومية والرصيد الأخلاقي العام. كان الاغتيال خطيئة أولى في السياسة الأمريكية. وكان استعمال كلمة «القضاء على» ربما أسوأ من استعمال كلمة «اغتيال» لأنها تحوي الإنكار والتخفي. في ذلك العالم المنخفض لا تقول الوكالة ما تعنيه أبداً.

كان كايسي قلقاً جداً من أنَّ أحداً من كبار مسؤولي وكالة المخابرات المركزية لم يرَ خطر تحويل الحرب إلى كليات. لم يكن من المنطقي أن نسير باتجاههم، أي التحذير من العنف ومن ثمَّ الدفاع عن أعمال العنف وتبريرها!

لقد كشفت طبيعة هذه الحرب عن نفسها في هذا الكتيب.

كان الهدف سحق الحكومة الحالية. لا يمكن إنكار أسلوب العنف المتمثل ببدأ «ولا تأخذ أسرى». إنَّه من الطبيعي أن نخذل ذلك ولكن أن نحوله إلى كتابة أو مبادئ مكتوبة؟ هبت عاصفة سياسية. قال رئيس لجنة استخبارات مجلس النواب «إنَّ الكتيب يعتنق

أسلوب لينين وليس أسلوب جفرسون! إنه يتوافق مع التكتيكات الثورية الشيوعية التي تمهدت الولايات المتحدة على نفسها بأن تحاربها في جميع أنحاء العالم. طلب غولدوتور إيجازاً كاملاً للجنة استخبارات مجلس الشيوخ. ودعا البعض إلى تعيين مدع عام مختص. وهناك من طالب برأس كايبي. ووجه الديموقراطيون اتهامات حول أنَّ الولايات المتحدة كانت ترعى الإرهاب. في نهاية هذا النهار تحول كايبي إلى قرن من الموزا في اليوم التالي قرر كايبي إصدار بيان يتعهد فيه بالخضوع للتحقيق. لكن قضية الكتيب ومقرعائها سيطرت على الأخبار وأجبرته على الذهاب إلى البيت الأبيض الذي كان يستعد لتولي زمام الأمور. لقد استبدل اسم الرئيس باسم كايبي في بيان جاء فيه: «إنَّ الإدارة لم تدافع عن الاغتيال السياسي ولم تغفر له أو لأي هجمات أخرى على المدنيين ولا ترغب في ذلك». أبلغ كايبي بأن يكلف المفتش العام للوكالة بالتحقيق كما أنَّ هيئة مراقبة الاستخبارات التابعة للرئيس قد أعطيت التوجيهات للمباشرة بسر أغوار القضية بشكل منفصل. بدأت لجننا مجلس الشيوخ ومجلس النواب بطرح أسئلتها.

كان كايبي يميل بشكل جزئي إلى أن يخرج من القلاو ويصرخ: «ماذا نتوقعون بحق الجحيم؟ إنها حرب وليست نزعة، إنها عنيفة وقادرة. الناس تقتل هناك. إنها كذلك. العالم كذلك».

في يوم الأحد ٢١ تشرين الأول/أكتوبر أجريت المناظرة التلفزيونية الثانية بين ريفان ومونديل. كان كايبي يشاهدها مثل عشرات الملايين. كان السؤال الأول الذي وجه إلى ريفان سؤالاً حاداً حول كتيب الاغتيال كما سمي. سأل الصحافي جورج آن غاير الرئيس «إنَّ الإرهاب الذي ترعاه دولتنا ليس عملياً».

أجاب ريفان «لا ولكني مسرور لأنك سألت هذا السؤال لأنني أعلم أنَّه في عقول شعبي» وتابع يقول «إنَّ اثنتي عشرة صفحة فقط من الكتيب كتبت بلهجة هجومية وأنَّ الذي أشرف على طبع الكتاب ونشره كان رأس وكالة المخابرات المركزية في نيكاراغوا.

سأل غاير: «السيد الرئيس أنت تعطي انطباعاً بأنَّ محطة وكالة المخابرات المركزية في نيكاراغوا توجه الكونترا هناك؟» قال ريفان: «أخشى أن أكون قد أخطأت في الكلام عندما قلت رأس الوكالة في نيكاراغوا. لا يوجد أحد هناك يوجه هذا النشاط، عندما قال إنَّه من رجال المخابرات المتمركزين في مكان آخر في أميركا الوسطى».

سأل مونديل ريفان بلهجة تحد بعدما أعطى أمثلة عن الإرهاب السياسي والاعتقالات: «وبماذا يكلف الرئيس عندما يقسم لاستلام السلطة؟».

تعثر ريفان في المناظرة وتساءل العديد عما إذا كان الرئيس قد خرف. سألت صحيفة وول ستريت جورنال السؤال مباشرة وأمام الجمهور. وفي المقال الرئيس على الصفحة الأولى: «سؤال جديد في سباق الرئاسة: هل بدأ عمر الرئيس المعجوز بالظهور؟» قلق كايبي

لأنَّ هذه الأمور تخفي في داخلها مقومات الكارثة. ومع أنَّ الكونغرس لم يكن في حال انعقاد، طلبت لجنة استخبارات مجلس الشيوخ إيجازاً لأعضاء اللجنة ولأركانها الذين ما زالوا في واشنطن. وأرسلت الوكالة اثنين من صغار الضباط في مديرية العمليات الذين اشتركوا في عملية نيكاراغوا لمدة شهر تقريباً إلى الكونغرس تأكد كايبي من أنَّ التحقيقات لن تكمل ولن تظهر نتائجها إلا بعد الانتخابات. كان يحتاج الآن إلى أحد ما كي يدافع عن الوكالة في العلن. أحد ما مستقل وله اعتباره ورصيده. وبما أنَّ علاقته مع غولدوتور قد رعت بعد قصة التعليم قرر كايبي أن يدرس إمكانية تجنيد غولدوتور لهذه المهمة. لكنَّ رئيس لجنة الاستخبارات قد ذهب إلى بلدته في ولاية أريزونا. قرر كايبي أن يرسل له رسالة باليد. وبالفعل أرسل إليه مسودة تصريح صحفي لكي يصدره ويعلن فيه أنَّه لا يوجد شيء في هذا الكلام. لكنَّ غولدوتور أرسل جواباً من أريزونا يقول فيه إنَّه لا يستطيع ولا يرغب بالتعليق قبل انتهاء التحقيق وأضاف: «أنا تعب من إزالة أصابع كايبي من النار» قال: «لا ترسل أحد إلى هنا فأنا أرتاح».

كان كايبي بحاجة إلى مسرحية كبيرة. وعلى الرغم من زجر غولدوتور فقد أوكد إليه مدير العمليات كلير جورج بنفسه بصحبة أحد كبار ضباط العمليات فنسنت كانيستارو إلى أريزونا. سيكون السناتور مسروراً لأنَّ هذين المسؤولين الكبيرين قد سافرا عبر البلاد كلها تقريباً للتحدث معه. توجه جورج وكانيستارو في رحلة طيران بعد الظهر واستخدموا أساءة مستعارة ووصلوا إلى منزل غولدوتور. لم يكن غولدوتور في وضع خاص. لم يرد أن يستمع ولم يكن جاهزاً لإصدار بيان.

حاول جورج أن يشرح بلطف: «لكن انظر هنا».

قال غولدوتور بشكل قاطع لا. وكان من الأفضل لهما أن يغادرا. وسرعان ما كان مدير العمليات ومساعدته على متن الطائرة المتوجهة إلى واشنطن.

أدرك السناتور مونيهان سبب إعداد هذا الكتيب. لقد قرأ إبان دراسته في جامعة هارفرد ورقة حول تقنيات ماوتسي تونغ في الثورات: حدد صاحب الأرض واجعله منفرداً ثمَّ حاكمه. ركز الكره على شخص واحد وأجعل الناس في القرية تفتزع ثمَّ أشهد عملية الإعدام. كان ذلك تكتيكاً فعالاً متباطئاً. لقد ورد في كتيب القبعات الخضراء خلال حرب فيتنام أنَّها تحضر عامة الناس للثورة وتعتطيهم الدفع والشعور بالاكشفة والشعور بالتحسن والتقدم وبأنَّهم يخدمون العدالة.

عندما تأكدت وكالة المخابرات المركزية من أنَّ أحداً من مسؤوليها الكبار ومن ضمنهم كايبي ومكهاون وشتان وكلاريدج (الذي لا يستطيع قراءة الكتاب لأنَّه لا يعرف اللغة الإسبانية) لم يراجع الكتيب ولم يصادق عليه، أرسلت هذا الاستنتاج إلى البيت الأبيض واقترحت إجراء تحقيق.

في اليوم التالي كتب كايي رسالة شخصية إلى كل عضو في لجنة استخبارات مجلس الشيوخ ولجنة استخبارات مجلس النواب عموماً شرح الموضوع. كان الهدف من الكتيّب أن يجعل سلوك الكونغرس معتدلاً.

لكن كايي قد تعب. كلما كان الأمر يتعلق به كان الموضوع هو: كيف يتعامل أعضاء الكونغرس الديمقراطيون مع الصحافة يبدأ؟ أحضر أحد مراسلي الأسوشيتد برس نسخة عن الكتيّب وسلمه إلى لجنة استخبارات مجلس النواب. صفته اللجنة على أساس أنه من إعداد وكالة المخابرات المركزية. جاء المحرر بأخباره وأخذت اللجنة تقفز إلى فوق وإلى تحت. هدد رجل كايي للعلاقات العامة جورج لودر بأنه سينشر يوماً مقالاً عن تسريبات لجان المراقبة في الكونغرس. قال لودر مازحاً إن عنوان المقال سيكون: «كيف سرب الجميع وبألو على أميركا».

أتى جورج شولتز بخطة سلام لنيكاراغوا وطلب تسليمها للرئيس الذي كان يقوم بجولة انتخابية في دي موان. اجتمع كايي وكيركباتريك ووينرغر واتفقوا على وجوب وقف شولتز. كان على كايي أن يرمي بنفسه تحت عجلات طائرة الرئيس ويظهر أنه مستقيم استقالات إذا استمر وزير الخارجية في مشروعه. وتوقف شولتز.

في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر فاز ريغان في الانتخابات ونال ٥٩٪ من الأصوات وفاز في ٤٩ ولاية، ولم يفز في ولاية مينيسوتا وموطن مونديل، وناحية كولومبيا (أي العاصمة واشنطن وضواحيها).

- ٢٠ -

كانت النار تشتعل ببطء في مدقاة المكتب البيضاوي وتضفي جواً حميماً على الاجتماع بعد ظهر يوم خريفي، وذلك بعد الفوز في الانتخابات. عرض كايي النقاط الهامة في ورقة منفصلة، وكان متأكداً أنه خفض المسألة إلى أصلها. والآن مع دورة الرئاسة الثانية حان الوقت. كان يعد مذكرة رئاسية توجه وكالة المخابرات المركزية إلى تدريب ودعم وحدات من بلدان أجنبية في الشرق الأوسط وذلك لتنفيذ ضربات وقائية ضد الإرهابيين. عندما تظهر الاستخبارات أن منظمة إرهابية كانت على وشك توجيه ضربة إلى مؤسسة أميركية مثل سفارة أو قاعدة عسكرية، فإنه يمكن لهذه الوحدات أن تمنع الإرهابيين من تنفيذ هجبتهم وأن تقتلهم. كان الرئيس يدرك تماماً أن المتحصنين ومفجري قنابل الاغتيال كانوا دليلاً واضحاً على عجز إدارته، ووافق على أن يقوم بعمل ما.

رفض وينرغر أن يشرك العسكريين، لأن قصف المدمرة نيوجرسي للبنان لم يؤد إلى أية نتيجة. لقد كان القصف عنيفاً جداً، غير محمّر، ولم تكن الإصابات دقيقة. كما أدت الغارات الجوية إلى مقتل ضحايا بريئة. كان جواب وزارة الدفاع: لا، شكرًا، ليس نحن. وجمع وينرغر يديه وقال: لا. وفي وكالة المخابرات المركزية أجاب مكماهون: لا، شكرًا، الوكالة تقوم بالاستخبارات وليس بالقتل. ولكن كايي كان عنيداً ودعمه شولتز.

أوضح كايي للرئيس أن المفكرة كانت لتدريب الوحدات ووضعها في أماكن عملها وأنه يتوجب إصدار مذكرة أخرى لتنفيذ أي عمل خفي. كان للإسرائيليين تجربة هامة في هذا المجال، ولديهم خبرة لا بأس بها في العمل الوقائي الخفي ولكن من الضروري أن تبقى عين الإدارة مفتوحة عليهم. يجب أن يظهر أي عمل من الإدارة على أنه ضد الإرهاب وليس ضد العرب.

ولحسن الحظ لم يشأ أحد أن يعرف شيئاً عن هذه الوحدات. وكان من المقرر أن يبدأ تدريب ثلاث وحدات، كل وحدة تتألف من خمسة رجال في لبنان. وستنفذ الضربات الوقائية تحت غطاء بحث لا يظهر أي أثر للوكالة أو الولايات المتحدة.

طلب الرئيس من كايي أن يعلم لجنتي الاستخبارات في الكونغرس وأن يستعمل التدبير الاحتياطي في القانون الذي يسمح له بإعلام ثمانية أشخاص فقط هم رئيس لجنة الاستخبارات ونائبه في كل من مجلس الشيوخ ومجلس النواب وزعيم الجمهوريين وزعيم الديموقراطيين في كل مجلس أيضاً.

قال كايي إنه سيتولى ذلك شخصياً ليؤكد على حساسية الموضوع. ولن يثير أحداً من الأركان الكثيرة الكلام. ورأى ذلك فرصة ليظهر أن الوكالة يمكن أن تنفذ عمليات خفية بشكل صحيح.

وقع ريغان المذكرة الرسمية وتوجهات تنفيذية لقرار أممي قومي. بلغت تكاليف الوحدات اللبنانية حوالي مليون دولار، وعندما يتوسع البرنامج إلى بلدان أخرى ستبلغ التكاليف ٥,٣ مليون دولار.

وصف الأميرال جون بواندكستر نائب مكفرلين الذي كان حاضراً في الاجتماع جلسة بعد الظهر لأحد الزملاء: كان كايي يشتم ورنالد ريغان يمز رأسه موافقاً.

صمم كايي أن يرى ذلك قيد التنفيذ. وقد حارب مكاهون حول كل خطوة من الطريق. وبدأ يشوش: هل يمكنهم الثقة بالأجانب وخاصة اللبنانيين؟ هل تستطيع وكالة المخابرات المركزية السيطرة عليهم؟ برأي مكاهون أن أي جواب عن السؤال الثاني يؤدي إلى مشاكل. إذا كانت الوكالة تستطيع أن تسيطر عليهم فهل تتورط في عمليات اغتيال؟ ألا يعتبر ذلك اشتراكاً في ضربات وقائية وتخبطاً لعمليات اغتيال منعه الرئيس ريغان بموجب أمر تنفيذي مها كانت صيغة العمل وشكله؟ وإذا لم تكن السيطرة للوكالة اليسوا هم من يطلق صواريخ غير موجهة؟ وتعجب مكاهون أكثر: هل سيكون لديهم معلومات عن الهجوم الوقائي وهل هو فعلاً وقائي؟

ساعد سبوركين كايي في هذا المجال وأصدر رأياً قانونياً يؤكد أن الهجوم الوقائي لن يكون بالضرورة اغتيالاً أكثر مما لو أطلق رجل البوليس المظلة الأولى على الرجل الذي يسدد البندقية نحوه. الوقاية هي دفاع عن النفس.

كان كايي يركز على بيروت. هناك أزمة عاطفية للوكالة منذ ثمانية أشهر. ولزم بكلي الذي خطف في بيروت كان معروفاً بأنه ضابط سياسي في السفارة الأمريكية، ولكنه في الحقيقة كان رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية. كان كايي متأكداً من أن المسلمين المتطرفين الذين يخفوه يعرفون حقيقته. وضغط على مدير العمليات كل يوم تقريباً للعثور على مكان بكلي وإنقاذه. اتخذ تدابير غير عادية. سمح بدفع المال إلى المخبرين وأمر بالتركيز على التقاط المكالمة وكشف من صور الأقمار الاصطناعية. أنشأ قوة عمل خاصة لإنقاذ الرهائن. كان يدرك أنه لا يستطيع له ولا هو الوكالة المساومة على بكلي دون مخالفة سياسة الإدارة التي تمنع المفاوضات، ودفع فدية لإنقاذ الرهائن. كانت هذه المحنة مخزية. يجب

تقليص عناصر محطة بيروت إلى رئيس محطة وبضعة حراس أمن. وقد تم تحويل العديد من أعمالها الاستخبارية إلى الاستخبارات اللبنانية وهي مجموعة قاسية كانت فعلاً آخر أثر لسلطة الحكومة في العاصمة. وقد زودتها وكالة المخابرات المركزية بالمال والتجهيزات والدعم التكنولوجي.

أعلنت مجموعة تطلق على نفسها اسم منظمة الجهاد الإسلامي مسؤوليتها عن خطف بكلي. وكان كايي متأكداً من أن هذا الاسم كان شعاراً للمتطرفين الذين ظهروا أيضاً في تفجير المؤسسات الأمريكية في بيروت.

أعاد خطف بكلي الكوايس إلى ذهن مدير العمليات كلير جورج الذي كان رئيس محطة بيروت في عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦. وخلال وجوده في بيروت خطف مسؤولان حكوميان أميركيان واحتجزا لمدة أربعة أشهر ثم أطلق سراحهما. لقد عاش العذاب من قبل. حرك جورج نفسه محاولاً إنقاذ بكلي. إنه لم يرد عودة بكلي فقط بل كان يريد أن يصدر إشارة إلى جميع ضباط العمليات في الخارج بأن الوكالة ستقوم بأي شيء لإنقاذهم. أتى إلى بيروت فريق متخصص ومدرب وله خبرة في تحديد أماكن المخطوفين من مكتب التحقيق الفدرالي وبعد عدد شهر دون نتيجة.

آن الأوان لرد الضربة، لكن تبين أن تدريب اللبنانيين يثير المشاكل، لا يمكن التحكم بهم، كانوا يرغبون في القتل، يرغبون كثيراً. وبدأ رجال كايي يجمدون. لا أحد داخل الوكالة أراد أن يواجه. رأى كايي وجهاً مضطرباً وضائقة وخائفة من المواجهة الحقيقية للمخاطر. لقد سار معهم في طريق طويلة خلال السنين الأربع الماضية، ولكن العديد منهم وخصوصاً مكاهون ومدير العمليات لم يفهموا مراده.

كان كايي يرى أن الشيخ محمد حسين فضل الله الزعيم المسلم الأصولي هو الداعم الأول للخاطفين ولخططي خطف الرهائن في بيروت، وأنه كان على علاقة وثيقة بالانفجارات الثلاثة في المؤسسات الأمريكية في بيروت، وأن عليه أن يرحل.

فبما بعد اتخذ كايي قراراً مؤثراً. لقد بدأت البيروقراطية في الوكالة تقاوم أكثر فأكثر التدابير العملية المضادة للإرهابيين. أتى برجل إنكليزي كان قد عمل في الخدمات الجوية الخاصة البريطانية وهي نخبة قوات الكوماندو العمالية. هذا الرجل كان قد سافر كثيراً في الشرق الأوسط وكان يدخل إلى لبنان ويخرج منه عن طريق دولة عربية أخرى. ويمكن له أن يكون قائداً مثالياً لعملية المعقدة. وكالة المخابرات المركزية لم تقوم طبعاً بأي شيء، وسوف يكون للوكالة أن تنكر تورطها ومعرفتها المسبقة. كان الارتباط مع أجهزة الاستخبارات الأجنبية أحد نشاطات الوكالة التي لا يستطيع أعضاء لجان المراقبة في الكونغرس الوصول إليها. رفض كايي بشكل قاطع أن يعلم اللجان حول هذا العمل الحساس. وفي هذه الحالة فإن وكالة المخابرات المركزية كمؤسسة لا تعرف. لم يكن هناك أي شيء مكتوب، ولم

تكن هناك سجلات.

شكل الإنكليزي فروعاً عملياً ليفذ الأقسام المختلفة لحطة الاغتيال، ولم تكن لأي فرع القدرة على الاتصال بالفرع الآخر إلا من خلاله. تمّ استئجار عدة رجال للحصول على كمية كبيرة من المفجرات. وتمّ استئجار رجل آخر للحصول على سيارة. ودفعتم مبالغ مالية لمخبرين لمعرفة مكان تواجد الشيخ فضل الله في جميع الأوقات. وتمّ استئجار مجموعة أخرى للتخطيط لعمل خداعي بعد التفجير بحيث أنه لا يبدو مرتبطاً بالولايات المتحدة. واستأجرت الاستخبارات اللبنانية الرجال الذين سيتولون تنفيذ العملية.

في ٨ آذار/مارس ١٩٨٥ توجهت سيارة محملة بالمفجرات إلى ضاحية بيروت، ووصلت إلى حوالي ٥٠ قدماً من منزل فضل الله الذي يقطن في الطوابق العليا. انفجرت السيارة وقتلت ثمانية شخصاً وجرحت مائتين وتركت الدمار والنار وانهار بعض الأبنية. لقد قتل أو جرح جميع الأشخاص الذين صادف وجودهم في المناطق القريبة مباشرة وأصيب العديد بالربح. لكنّ فضل الله لم يُصب بأذى. وعلّق أتباعه علماً أمام البناية التي تضررت كتبوا عليه بأحرف ضخمة «صنع الولايات المتحدة».

عندما سمع كايي الأخبار أصيب بمغص في معدته. يجب تغطية الآثار بدقة. عممت المعلومات التي تفيد بأن الإسرائيليين كانوا وراء تفجير السيارة. لكنّ وكالة المخابرات المركزية عبر مخبرات دولة صديقة حاولت أن تثبت عدم تورطها. كان هناك طريقة واحدة. لقد أعطوا معلومات لا تقبل الجدل ساعدت فضل الله في القبض على بعض العاملين المستأجرين. فسر كايي ذلك بقوله: «أنا أطلق النار عليك وأنت تشك فيّ فأتحول إلى سائقي وأقول إنه هو الذي أطلق النار، عندها تتأكد أنني لست مشبوهاً». ما زال فضل الله هو المشكلة. والأنا أكثر من أي وقت مضى.

ومع أنّ مهمة قتل فضل الله قد فشلت فقد بدأت الاستخبارات اللبنانية تأخذ رصيدها واعتبارها الخاص على الرغم من دورها الصغير نسبياً. كان إظهار القوة ضرورياً. يجب إظهار أنّ الدم يواجه بالدم والإرهاب يواجه بالإرهاب. كان كايي متضيقاً لأنّ علاقة وكالة المخابرات المركزية مع الاستخبارات اللبنانية وتدريب وحدات للقيام بأعمال وقائية قد وضعها الوكالة في خطر. لقد كانت تلك الاستخبارات على علاقة وثيقة بخطة الاغتيال. لقد أراد مكهاون قطع هذه العلاقة وقال إنّ على الوكالة أن تتخل بسرعة عن التدريب على النشاط السري المضاد للإرهابيين. لم يكن أمام كايي أية فرصة وألغيت المذكرة الوقائية.

على الرغم من ذلك كان يجب المحافظة على بعض العلاقات المستمرة مع الاستخبارات اللبنانية لأنّ وكالة المخابرات المركزية اعتمدت عليها من أجل الحصول على المعلومات ولوضع أشخاص في مراكز تنصت. في آذار/مارس استدعي إلى واشنطن ضابطان لبنانيان برتبة مقدم وثلاثة ضباط برتبة رائد من الاستخبارات اللبنانية للتدريب على برنامج

عالي المستوى في وكالة المخابرات المركزية في مجالي التدبير والإدارة وذلك لمدة ثلاثة أسابيع. نزل الضباط في فندق فور سيزونز في جورجทาวน์ وكان يتم نقلهم عدة مرات في اليوم إلى منزل آمن في مكين حيث تلقوا محاضرات حول تصنيف المعلومات وعقدوا اجتماعات مع كبار المسؤولين في وكالة المخابرات المركزية وكان طعام الغداء يقدم لهم على يد طبخ آسيوي.

في نفس الوقت الذي حصل فيه انفجار ٨ آذار/مارس تقريباً تلقى كايي أحد أهم التقارير الاستخبارية في ولايته. كان من مصدر هام وحساس داخل الاتحاد السوفياتي. كانت وكالة المخابرات المركزية تراقب مرض الزعيم السوفياتي قسطنطين تشيرينكو الذي مضى عليه أكثر من سنة في الحكم. جاء في التقرير أنّ تشيرينكو قد توفي لكنّ نبأ وفاته لم يعلن للشعب السوفياتي وليقية العالم حتى يختار المكتب السياسي زعيماً آخر. أرسل كايي التقرير إلى البيت الأبيض. ومرة عدة أيام. لم يكن هناك أي تأكيد. لكنّ كايي كان يثق بالمصدر. يوم الأحد ١١ آذار/مارس استدعي مسؤول سوفياتي كبير كان يزور الولايات المتحدة إلى وطنه. وفي اليوم التالي أتت الإشارة الصحيحة. بدأ راديو موسكو بث الموسيقى الكلاسيكية ومن ضمنها موسيقى راحمانينوف. في الساعة السادسة صباحاً أعلن نبأ وفاة الزعيم السوفياتي وبعد أربع ساعات قال السوفيات إنّ الأصغر سناً من بين الأعضاء العشرة في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي ميخائيل غورباتشيف (٥٤ سنة) قد تمّ اختياره أميناً عاماً للحزب. لقد أظهر هذا الحل السريع وغير الطبيعي للخلافة أنّ مصدر الوكالة كان صادقاً وصحيحاً. لقد أخفي موت تشيرينكو عدة أيام. وشك كايي في ذلك. لقد كانت ضربة استخبارية جيدة لوكالة المخابرات المركزية. لم يعد هناك أي عمل استخباري هام سوى مراقبة القيادة الجديدة في الاتحاد السوفياتي. ولكنّ غياب التفاصيل الأخرى أظهر الثغرات في الاستخبارات. ما هو نفع هذه التقارير السرية جداً؟ ماذا كان على البيت الأبيض أن يفعل بها؟ لقد كشفت الأخبار القليلة الواردة من الداخل ضعف معلومات وكالة المخابرات المركزية حول سير العمل في النظام السوفياتي. عملياً لم تعلم الوكالة أي شيء عن المناقشات التي دارت بصدد الخلافة.

أعجب كايي بالأبناء الصحافية التي رحبت بغورباتشيف الرجل السوفياتي الجديد المنفتح والبراغماتي. لقد كان ابناً للنظام السوفياتي. وكان يقود النظام السوفياتي مؤخراً ثلاثة رجال. متوفين هم ليونيد بريجنيف ويوري أندريوف وقسطنطين تشيرينكو. هذا ومن المتوقع أن يكون غورباتشيف مختلفاً. لكنّ كايي كان متأكداً من أنّ الاختلاف سيكون سطحيّاً. وتنبأ بأنّ غورباتشيف سوف يصدر الثورات والمشاكل بنكهة جديدة. وقد أعجب كايي بأسلوب غورباتشيف في اللعب بأوراق الزعامة، ووضع بعض رجاله الهاميين في مناصب حساسة، وفي المكتب السياسي. كانت تقارير كايي إلى البيت الأبيض تحذر من الأخذ بالمظاهر.

ما زالت الكونترا بحاجة إلى المال. فمنذ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤ عندما قطع الكونغرس النفقة نهائياً كان على كايبي أن يعمل وفقاً لقانون ينص على أنه لا يمكن صرف مال لوكالة المخابرات المركزية بهدف دعم مباشر أو غير مباشر لعمليات عسكرية أو شبه عسكرية في نيكاراغوا عن طريق أي مجموعة أو منظمة أو حركة أو فرد.

صادق كايبي على بريقة جاء فيها: «على المحطات الميدانية أن تتوقف عن العمل لتأمين دعم مباشر أو غير مباشر لمختلف الهيئات التي تتعامل معها بموجب هذا البرنامج». يجب أن يكون أي اتصال مع الكونترا منفرداً ومكرساً بهدف جمع معلومات استخباراتية إيجابية ومكافحة التجسس، وذلك لصالح الولايات المتحدة.

عندما قام الجنرال المتقاعد جون سينغلوب وهو عضو سابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية والذي كان يجمع التبرعات الخاصة من أجل الكونترا برفع الموضوع إلى كايبي أجابه: «جاءك... سامريك خارج مكنتي».

لكن في اجتماعات معدودة مع قائد الكونترا أدلفو كالبرو الذي كان يسمى كايبي «العم بيل» أصغى المدير بعناية للتقارير التي تفيد عن تقدم الكونترا واعتذر لأن الوكالة لا تستطيع القيام بأي شيء بطريقة مباشرة.

جوزيف كورز وهو ثري جداً من ولاية كولورادو صاحب مصنع بيرة وصديق قديم لكايبي، زاره في مكتبه التنفيذي وطلب منه المساهمة مع الكونترا. قال له كايبي بوضوح: «عليك أن ترى نورث» وكان كورز متعاطفاً جداً مع قضايا المحافظين، وحشر نورث في زاوية مكتبه. أقتعه نورث بأن يعطي مبلغ ٦٥ ألف دولار لشراء طائرة خفيفة يمكن استعمالها على مدارح قصيرة، وأظهر لكورز صورة الطائرة. ساءها نورث «طائرتك».

كان اسم الطائرة مول وكانت تعطى للأشخاص الهامين في مشروع الجنرال سكورد الكبير الذي أعده نورث ومكفرلين في مجلس الأمن القومي.

في أوائل عام ١٩٨٥ أمر كايبي بإجراء أربعة تقديرات استخباراتية قومية منفصلة حول نيكاراغوا: البناء العسكري السانديني حتى ٦٥ ألف عنصر، والجبهود التي انصبت على تضامن وتوحيد السلطة في نيكاراغوا، والدعم الخارجي من الاتحاد السوفياتي وكوبا، وجهود الساندينيين لتصدير الثورة إلى جارتهم السلفادور وإلى أي مكان في أميركا اللاتينية. قلص كايبي الوثائق الأربع إلى جملة منفردة وقالها للرئيس: «لقد أنشأ الاتحاد السوفياتي والكوبيون رأس جسر موحّد وضعوا خلفه مئآت الملايين من الدولارات... تخريب عدوانى».

بعد ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٥ وبعد خطاب الولاية الثاني راقب كايبي بسرور تبادل الوظائف بين وزير المالية دونالد ريغان ورئيس أركان البيت الأبيض جيم باكر، أي أن باكر انتقل إلى وزارة المالية، وريغان وهو صديق قديم من أيام وول سترت انتقل إلى رئاسة

أركان البيت الأبيض. كان لباكر دائماً مفكرته الخاصة وفرض ضغطاً كبيرة على الرئيس. ونحت الثلاثي باكر وديفر وميزر كان للرئيس نظام من المساعدين المتنافسين كل واحد منهم يحاول أن يقضي على الآخرين. والحقيقة أن أحداً منهم لم يكن قادراً على الحصول على أي شيء هام.

أما دونالد ريغان وهو مليونير ورئيس سابق لشركة ميريل وشركة لينش فقد كان راعياً بصورة مباشرة في تنفيذ رغبات الرئيس بالاشتراك مع أركان موحدون يعملون مباشرة له: وجد كايبي أن الرئيس متراح أكثر ومتحدر في هذا الترتيب. لقد كان متراحاً مع نفسه وآرائه وغرائزه. في الاجتماعات وفر ريغان على نفسه الحاجة إلى أن يغوص في مجالات الأساطير الصحافية والكونغرس والمصالح داخل واشنطن التي كانت تبدو في وجهات نظر باكر. ساعد دونالد ريغان الرئيس، وتحدث الرئيس أكثر وأعطي الأفضلية للملاحظات الدقيقة. وغالباً ما

كان يسأله رئيس الأركان الجديد: ماذا تريد؟ رأى كايبي أن الفرصة سانحة لبذل جهد مركز لكسب النفقة للكونترا ولكن عندما

كان يذهب إلى لجنتي الاستخبارات في الكونغرس كانوا يسألونه: متى تستطيع الكونترا تحقيق بعض النتائج؟ قال لبعض الجمهوريين بصفة خاصة: «لا يوجد أي كرة كريستالية. لا أستطيع أن أخبركم».

وصل الملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية إلى واشنطن في ١١ شباط/فبراير ١٩٨٥ في إحدى أوائل الزيارات الرسمية خلال الدورة الثانية من رئاسة ريغان. قبل عدة أيام اجتمع مكفرلين مع السفير السعودي الأمير بندر وذلك لإعطاء الملك فهد اهتماماً خاصاً، ويشتا عن رمز يؤكد على سلطة الملك وأهميته ووافق على عقد اجتماع خاص مع الرئيس ريغان.

تحدث مكفرلين وبندر في موضوع الكونترا. شعر مكفرلين مرة ثانية بأن بندر كان يتطوع. بالنسبة إلى بندر كان الأمر التماساً واضحاً. وأشار بندر إلى أن السعوديين يتوون مضاعفة مساهمتهم السرية ورفعها إلى مليوني دولار شهرياً وأنهم سيدفعون ١٥ مليون دولار على الأقل.

في ١٢ شباط/فبراير ١٩٨٥ تحدث ريغان وفهد بإيجاز في جلسة خاصة. أوضح الملك للرئيس أن عطاء السعودية للكونترا كان يزداد، وشكره ريغان. ولكن ذلك كان تبييناً مؤقتاً وكان مكفرلين قلقاً ومتكادماً من أن سياسة دعم الكونترا ستكون فعالة فقط إذا حصلت دعم واضح من الكونغرس. يجب إيجاد نفقة جديدة ومباشرة من الخزينة الأميركية. سمع الرئيس نصيحة كايبي وتكلم علناً وقال: «إن الكونترا هم إخواننا وإننا لا نستطيع أن ننخل عنهم في لحظة حرجة». وقال إن الهدف هو أن نجعلهم يصرخون. وأضاف في خطاب لاحق: «إنهم في المنزلة الأخلاقية للآباء المؤسسين».

في ذلك الربيع ذهل كايبي عندما تحول انتباه الكونغرس إلى قضية منفردة تعالت

ضحية إعلامية حولها، وذلك عندما كان الرئيس يخطط لزيارة مقررة النازيين في بيرتيرغ - ألمانيا الغربية حيث دفن جماعات ال. س. س (جهاز المخابرات الألماني في عهد هتلر). وتجمعت تهم المعاداة للسامية وعدم الحساسية ضد ريغان وأصبحت الإدارة بالشلل، وتراوحت مواقف أركانها بين التردد والدفاع.

قلق كايبي لأنه لم تكن هناك استراتيجية تشريعية حول التصويت القادم على قضية الكونترا. ولكنه لا يستطيع أن يفعل إلا القليل. لقد كان رمزاً سلبياً وأراد أن يخفف من ذلك. في أسبوع التصويت ذهب إلى بيتسبورغ ليلقي خطاباً ويزور الصحف. في البيت الأبيض بدا وكأنه لا يوجد أحد في المنزل! في ٢٤ نيسان/أبريل قدم الأعضاء الديموقراطيون المعاون للكونترا القضية إلى التصويت. وقد هزم اقتراح بتخصيص ١٤ مليون دولار للكونترا كمساعدات غير عسكرية بأغلبية ٢١٥ ضد ٢١٣ - وصنع كايبي. كان ذلك بأصوات متقاربة. فلو تغير صوت واحد لأدى إلى التعادل ولو تغير صوتان لكان ذلك نصراً. ولأحظ أنه لو لم يكن لتيب أوويل معرفة براهيات ماينول اللوائي كن يكتنل له الرسائل لكان لدينا الآن برنامج للكونترا.

ألقي كايبي خطابات بشكل منظم في جميع أنحاء البلاد. وكان أول خطاب ألقاه في ١٧ نيسان/أبريل في كامبريدج ماسا تشوستس في مؤتمر لمعهد فلنشر للقانون والدبلوماسية. كان الموضوع هو الإرهاب. وجلس لمدة ٤٥ دقيقة إلى المنصة يخفي ظهره ويصعب سماعه أو فهمه، وقرأ خطابه المؤلف من ٢١ صفحة. وكنت (*) قد وضعت خطأً تحت جملتين من الخطاب على نسخة منه كان قد سلمها في قبل أن يبدأ بالكلام: «نحن لن نمتنع عن استخدام القوة لتتقي أو نرد على الأعمال الإرهابية التي تستحق استخدام القوة. العديد من البلدان ومن ضمنها الولايات المتحدة لها قوات خاصة وإمكانات لتنفيذ عمليات ضد المجموعات الإرهابية».

لم يكن هناك ضرورة لأن يتوصل كايبي في نهاية خطابه إلى استنتاج. وعندما انتهى وقف بشكل غير متوقع، ولم يكن أحد من الحضور قد أدرك أنه انتهى من كلامه، وقال شكراً جزيلاً. وقد لاقى استحساناً معتدلاً. ثم وقف وأجاب عن الأسئلة لمدة عشرين دقيقة. ثم أوضح أنه قد مل. سأله أحد الحضور ومعلمهم من المحافظين الأكاديميين: «ما هو الفرق بين الكونترا ومنظمة التحرير الفلسطينية؟».

أجاب كايبي بغضب: ماذا؟ ثم أعيد السؤال، وتغير في كلامه، وقال أخيراً: الكونترا لهم بلد يجاولون استرجاعه بينما منظمة التحرير الفلسطينية ليس لها بلد.

كان مدير المخابرات المركزية يدرك أنني أخطط لوضع كتاب حول وكالة المخابرات المركزية. وتقدم نحوي وسألني إذا كنت أرغب في أن أطره معه عائداً إلى واشنطن على طائرة

(*) بوب وودورد. المؤلف.

خاصة بوكالة المخابرات المركزية. كان الوقت حوالي العاشرة مساءً، وخرجت من الفندق الذي كنت قد حجزت فيه، وخرج كايبي أيضاً وكان يرتدي مطفئاً نقلاً غالي الثمن له أزرار عادية، وبدا مثل طفل لا يعرف كيف يرتدي ملابسه، وتوتل أمه ذلك.

كانت طائرته من نوع غلفستريم، وتؤمن رحلات بطيئة. جلس كايبي على المقعد وفك ربطه العنق وأحضر مرافقه لنا قفينة وسكي وعلمة فستق ما لبث كايبي أن التهمها بيديه. وتركنا المرافق نتحدث لمدة ساعتين دون مقاطعة. قال إنه يريد من الآخرين في الوكالة تجنب المقابلات مع الصحافيين وهدمهم. ثم تابع ليجيب عن جميع الأسئلة التي تناولت مواضيع عديدة من ضمنها الجنرال دونوفاً والقمر الاصطناعي الجديد لكاروس المعد لكل ظروف الطقس وعملية نيكاراغوا ورئيس محطة بيروت المخطوف بكلّي والمؤتمرات الجمهورية التي حضرها منذ عام ١٩٤٠ وريغان وحكومة ريغان ومكهاون ووكالة المخابرات المركزية. وحول والده قال كايبي جملة واحدة: «كان خادماً في فندق صغير في مدينة نيويورك طوال حياته».

بعد أسبوعين طرت إلى نيويورك لأحضر خطابه على مائدة غداء في نادي متروبوليتان. قال كايبي في افتتاحيته: عندما يطلب مني الكلام أقول إنني سأتكلم عن حالة الاستخبارات وهو موضوع لا أستطيع الكلام فيه بحرية. وهكذا سأتكلم عن حالة العالم وهو موضوع أعرف عنه أقل ولكي أتكلم فيه بحرية أكثر. وتلقى ضحكة طويلة وجيدة. وكان مرتاحاً أكثر مما كان في كامبريدج. إن رفض الكونغرس تأمين المزيد من المال للكونترا خلال تلك الأسابيع قد أدى إلى إغاظته. وقال إن الولايات المتحدة هي عملياً في حالة حرب مع الاتحاد السوفياتي. «وهذه ليست حرباً غير معلنة». وقارن هذا الوقت بالسنين التي لم يجمل فيها هتلر على محمل الجد. والماركسية اللينينية قد أطلقت الفرسان الأربعة لسفر الرؤيا: المجاعة والطاعون والحرب والموت.

وتابع كلامه بحرية ظاهرة: في البلدان المحتلة - أفغانستان وكمبوديا وأثيوبيا وأنغولا ونيكاراغوا - فرضت الأنظمة الماركسية بواسطة خارجية، وحصلت فيها محرقة مماثلة للتي حصلت في ألمانيا النازية في أوروبا منذ أربعين سنة».

عرض على مرة ثانية أن أعود معه بالطائرة. تحدثنا عن ريغان والكونترا ولبنان والإرهاب وأصدقائه وأمواله وأهدافه. وتحدث عن طفولته في كوينز وهو عالم من الاندماج الدائم. كان ينتقل سراً على الأقدام من وإلى المدرسة الرسمية، وكان هناك عراك القبضات. لقد تذكر ذلك. إنَّها كانت العشرينيات بعد الحرب العالمية الأولى عندما كان يتعارك مع الأولاد: «أربع حيناً وأخسر حيناً». هل يتذكر أحداً من الأولاد الذين صرهم؟ أجاب «طبعاً، هل تظن أني أنسى أحدهم؟» وحقد بصعوبة وكانت أسنانه مليئة بالفستق وقال لي: «وخاصة الذي صرني». سرعان ما عدنا إلى موضوع الكونترا والحسارة في

تصويت الكونغرس «البيت الأبيض لا يمكنه أن يفعل شيئاً» الرئيس غير متحمس. وهو ما يزال له غرائزه. ولكنه لن يركز على الأهداف». وهز رأسه بعرب ظاهر: «الرئيس لا يعبر انتباهاً للتوسع السوفياتي».

تابع كايي أنه صفع بسلبية الرئيس. السلبية حول عمله وحول تقربه من الحياة. لم يدع إلى اجتماعات ولم يضع مفكرة يومية. لم يقل لكايي ولا مرة: «دعنا نفعل هذا» أو «احصل لي على ذلك» إلا في رد الفعل على أعمال الآخرين أو على الأحداث.

كان هناك حائط عاطفي داخل الرجل. ربما كان ذلك ردة فعل لوضع والده الذي كان سكيراً وعاطلاً عن العمل، في أيام الكساد. وذكر كايي بتعجب أن رئيس الولايات المتحدة كان يعمل من الساعة الخامسة بعد الظهر أيام الاثنين والثلاثاء والخميس ومن الساعة التاسعة إلى الساعة الواحدة بعد الظهر يوم الأربعاء حيث ينصرف إلى ركوب الخيل بعد الظهر أو إلى غمارين أخرى. يوم الجمعة يترك وقتاً ما بين الواحدة والثالثة لكاتب ديفيد. وخلال ساعات العمل في المكتب البيضاء كان له غالباً وقت حر لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات تقريباً. كان يطلب بريد المحبين ويطلع عليه ويحجب عليه! وقد أمضى أمسيات وحيداً مع ناسي في المنزل حيث كانا يتناولان طعام العشاء على طاولات التلفزيون. وفي ليالي السبت في كعب ديفيد حيث يمكن أن يكون لديهم أي ضيف من زعماء العالم كان الاثنان مولعين بالسبينا القديمة، وانضم إليها الأركان في مشاهدة الأفلام. وبدا كأن كايي يقول إن هناك عدم غمرس بالسلطة وعدم تحمل للمسؤولية.

رأى كايي أن ريغان غريب. لقد قال ريغان إنه لو كان أكثر نجاحاً في العمل السينمائي لبقى فيه. إنه دائماً مرح وليس له أي صديق حقيقي إلا ناسي. وله ذاكرة نصف فوتوغرافية. وكان قادراً على دراسة صفحة مطبوعة أو خطاب خلال عدة دقائق. كان كايي تلميذاً جيداً لريغان. ولكنه قال إنه لم يعد متحمساً له.

كانت الطائرة تهبط في قاعدة أندروز الجوية التي خرج منها كايي في زيارة لمدة عشرة أيام إلى الشرق الأقصى والفلبين حيث كانت هناك مشاكل وحيث خطط لاجتماع مع الرئيس ماركوس.

قال: لا تقل كلمة لأي كان. ثم طلب مني أن أبقى في الخلف من الطائرة، حتى صعد إلى الطائرة الكبيرة التي كانت بانتظاره ورأيت مجموعة من رجال وكالة المخابرات المركزية ينتظرونه على مدخل السلم. وكان من المقرر أن تقلني سيارة كبيرة إلى سيارة تاكسي، وقال لي: «يمكن أن يظنوا أنني كتوم لأنني أحضرتك معي إلى هنا».

حتى هذا النهار لم أعلم لماذا وافق على هذه المحادثات وعلى غيرها.

سافر رئيس نيكاراغوا أورتيغا إلى الاتحاد السوفياتي جواً وطلب مساعدة بقيمة 200 مليون دولار. وهذا ما لسع جميع الذين اقترحوا ضد مساعدة الكونغرس. قال عدد من

المشرعين إنهم لو علموا ذلك مسبقاً فإنهم كانوا سيصوتون إلى جانب المساعدة. لم يعلم كايي أي توقيت أسوأ: توقيت الإدارة أم توقيت أورتيغا.

أدرك كايي أن رفض الكونغرس لم يكن بالضرورة نهائياً. في البيت الأبيض اقترح عضو مجلس الأمن القومي أوليفر نورث في مذكرة لمكفرلين أن يقدم الرئيس طلباً علنياً من أجل تبرعات خاصة لنيكاراغوا. أجابه مكفرلين بأن ينتظر. ولكنه وافق على تشكيل مؤسسة تمويل من أجل حرية نيكاراغوا. يمكن أن تكون مؤسسة مفقاة من الضرائب، وحسب نورث فإن مبلغاً يتراوح بين ١٥ و 20 مليون دولار يرفع عدد قوات الكونغرس إلى 3٥ ألفاً. كان لنورث أيضاً ترتيبات لكوريا الجنوبية وتايوان لكي تساهم في تمويل الكونغرس. وزاد نورث من دوره العملي عندما طرح خطة لإغراق السفينة التجارية «المونيو» التي كانت تمشن أسلحة للساندنيين.

ومنذ أكثر من شهر علمت(*) أن الرئيس ريغان قد وقع مذكرة لإنشاء ثلاث وحدات لثانية سرية للقيام بهجمات وقائية ضد الإرهابيين. حاول لودر رجل كايي الصحافي أن يثني الواشنطن بوست عن نشر الخبر. وقد اكتشفنا فيما بعد أن مذكرة سرية جداً قد ألغيت بعدما أدى تفجير السيارة في بيروت إلى مقتل لثانين شخصاً. وقد علمنا فقط عن دور الاستخبارات اللبنانية عند هذا الحد ولم نعلم شيئاً عن دور السعوديين أو مساهمتهم بمبلغ 3 ملايين دولار للعملية. لم نر أي سبب لوقف نشر هذا الخبر بما أن العملية قد فشلت والمذكرة أصبحت من التاريخ.

قال لودر بغضب: «إنه مثل الضرب بالمطرقة على جرح قديم»، ونشرنا الخبر في عدد ١٢ أيار/مايو بعنوان: «إلغاء خطة مضادة للإرهاب بعد تفجير دون أمر».

بعد ثلاثة أيام كتب لودر إلى كايي. «بدا واضحاً أن وودورد كان يخطط للمضي قدماً في هذا الخبر دون اعتبار لما قتله له. لقد قلت له بقوة إن خبره غير مسؤول أبداً، وأنها كانت دعوة إلى القتل». قلت: «إنه لو كان فضل الله، ورأى عدداً كبيراً من أنصاره ومن ضمنهم نساء وأطفال قد ماتوا من جراء التفجير ثم قرأ الواشنطن بوست، فإنه لن يستطيع إلا أن يقوم بأعمال انتقامية ضد الأميركيين في لبنان أو غيره... لقد قلت لودورد أن مكهاون طلب مني أن أقول له إنه إذا نشر الخبر فلن يستقبله أحد في البناية بعد الآن».

... وأضفت فيما بعد أن هذا النوع من الأخبار غير المسؤولة سيظهر لنا أن الواشنطن بوست لا تحترم الأميركيين في بيروت وأنها تتابع حملتها العنيفة التقليدية ضد المؤسسات، وهذه المرة مع أعضاء لجان المراقبة في الكونغرس وأركانها الذين لهم مفكرتهم الخاصة للأعمال الخفية، وأنها تخلق مشاكل للمجموعة الاستخبارية».

... أضافت أنني اعتبر أعماله وأعمال الوائشطن بومست خسيصة. في المستقبل سوف نتعامل معه بالأسلوب نفسه الذي نتعامل به مع جاك أندرسون ووكالة تاس والصحافيين الآخرين من هذا النوع»^(*).

اتصل بي كايسي إلى الصحيفة وقال لي: «حياة الناس في خطر. لست متأكدًا أن هذا الخبر يجب أن ينشر ولكني لا أستطيع أن أتحكم بذلك، ربما يجب علي أن أتحكم». وأضاف أن ذلك سيجعل الحياة أصعب له ولوكالته. وقال إن هذه القضية عواقب وخيمة وعلينا أن ننظر بمعانية ليس إلى الحقائق فقط بل إلى الانطباع الذي نوجده. «كان يجب ألا تنشر هذا» وكانت لهجة واقعية ولكنها صارت باردة كالثلج.

قرأ كايسي مذكرة من خمس صفحات من إعداد غراهام فولر ضابط الأمن القومي للشرق الأدنى وجنوب آسيا وعنوانها: «نحو سياسة تجاه إيران». جاء في المذكرة: «تواجه الولايات المتحدة وضعا صعبا في تطوير سياسة جديدة نحو إيران... إن نظام الخميني يتداعى وربما يصل إلى مرحلة انتهائه. قريبا سنرى صراعاً على الخلافة وليس للولايات المتحدة أوراق لتلعبها بينما يمتلك الاتحاد السوفياتي العديد من الأوراق».

استند فولر على الدعامتين الأساسيتين لسياسة الولايات المتحدة: حظر الأسلحة عن إيران، والتحضير لردود الفعل على الإرهاب المنفذ بإيعاز إيراني. قال إن هذه السياسات أصبحت سلبية وتخدم المصالح السوفياتية أكثر من مصالحنا. «إنه من الضروري أن نفكر بسياسة أوضح أو أكثر تعرضاً للأخطار تضمن إيساع صوت الولايات المتحدة في الوضع الراهن».

«لم يتقدم أي شخص بفكرة لامة حول العودة إلى طهران». شعر كايسي بأنه قد حان الوقت لذلك. كان منذ أشهر بحث فولر على أن يأتي ببعض الاقتراحات. لقد قرر أن يقوم في دورة الرئاسة الثانية بعملين معاً كل شهر في وكالة المخابرات المركزية. يجب أن يكون هناك معنى لهذين العملين. كان يتمتع بالبحرية وإيمكانه أن يتخذ مبادرات وإيمكانه تحريك أشياء وقرير بعض الأفكار الجديدة. أرسل نسخة عن ورقة فولر إلى شولتز.

بعد ثلاثة أيام صدر تقدير استخباري قومي خاص بعنوان: «إيران: نظرة عامة لعدم استقرار قريب» جاء فيه بوضوح إن الولايات المتحدة لن تكون لاعباً في إيران. وكان كايسي سعيداً عندما علم أن عدداً من أركان مكفرلين في مجلس الأمن القومي قد أعدوا مسودة قرار

(*) حفظت الملاحظات المفصلة لجميع محادثاتي مع لودر وليس لدي أي شيء جديد أقول إنّه قاله أو أتذكر أنّه قاله. المؤلف.

أمني قومي إلى الرئيس ريغان ليوقعه. تتضمن السماح للولايات المتحدة ببيع الأسلحة إلى إيران وتأمين تجهيزات عسكرية متنوعة لإيران تحدد وفقاً لكل حالة. كتب كايسي إلى مكفرلين: «أنا أؤيد بقوة الاندفاع الذي تعبر عنه المسودة حول السياسة الأميركية تجاه إيران وخاصة لجهة التركيز على اتخاذ خطوات صلبة ومنظمة لدعم جهود الولايات المتحدة لضمان أن لا يكون الاتحاد السوفياتي المستفيد الوحيد من التغيير والاضطرابات في هذا البلد الحساس».

كتب شولتز لمكفرلين يقول إنّه «غير موافق وخصوصاً أن مجموعات على علاقة وثيقة بإيران تحتجز رهائن أميركية في لبنان». وكتب وينبرغر «سخافة» على نسخته وقال إن «هذه سخريّة كمن يدعوا القذافي في غداء عائلي». لكنّ كايسي كان يعلم أنّ رفض وزير يري الخارجية والدفاع لم يكن مبنياً للفكرة.

استمر احتجاز الرهائن في بيروت. ديفيد جاكوبسون مدير مستشفى الجامعة الأميركية خُطف في ٢٨ أيار/مايو ورئيس محطة وكالة المخابرات المركزية كان ما يزال محتجزاً منذ أكثر من سنة. يجب القيام بعمل ما حتى ولو كان غير عادي.

في البيت الأبيض وضع نورث خطة. قام مسؤولان من مكتب المخابرات بالاتصال بأحد المخبّرين اللذين استخدماه عن طريق تهريب الميرويين في الشرق الأوسط. قال إنّه يلزمه ٢٠٠ ألف دولار لتحرير رهبتين أميركيتين وقد يكون بكلي بينهما. وشكّ عاملو وكالة المخابرات المركزية في ذلك. كانت سياسة الولايات المتحدة تقضي بعدم دفع أية فدية. كيف يمكنهم التأكد من أنّ المخبر كان صادقاً؟ وحصل مكفرلين على موافقة الرئيس على خطة لتقديم المال. وكلف نورث بهذا العمل. اتصل نورث بالملياردير التكساسي روس بيروت الذي استأجر عام ١٩٧٩ فريق كوماندو مؤلف من سبعة عناصر لإنقاذ اثنين من موظفيه المحتجزين في إيران - ونشرت هذه القصة في كتاب كين فوليت «عل أجنته النسور» والذي كان من أكثر الكتب مبيعاً وأعدّ للتلفزيون كمسلسل ولقي نجاحاً كبيراً - كان بيروت يخدم في هيئة استشارات الاستخبارات الخارجية للرئيس منذ العام ١٩٨٢ وكان يرغب دائماً في مساعدة البيت الأبيض، وقد أرسل المال المطلوب.

في ٧ حزيران/يونيه ١٩٨٥ تلقى مكفرلين مذكرة تحت طابع سري جداً/للنظر فقط/حساس/تتفّذي من أربع صفحات. قال نورث: إنّ مبلغ ٢٠٠ ألف دولار سيكفون فقط دفعة أولى وإنّه اجتمع بالوسط في واشنطن. أضاف نورث أنّه يمكن إنقاذ الرهائن بدفع مليون دولار لكل شخص، واقترض أنّه لا يمكن التفاوض بأقل من هذا السعر لكثرة الأشخاص المطلوب رشوتهم. ووقع مكفرلين بالأحرف الأولى «RCM» في خانة المصادقة. وتمّ تسليم ٢٠٠ ألف دولار للمخبر ولم يحدث أي شيء.

في ١٤ حزيران/يونيه ١٩٨٥ قام رجلان لبنانيان بخطف طائرة تابعة لشركة تي -

دبليو - أي TWA الرحلة ٨٤٧ في طريقها من أثينا إلى روما وأجبرها على الهبوط في مطار بيروت ومن ثم طارت إلى الجزائر. وهكذا بدأت محنة خطف استمرت سبعة عشر يوماً. تلقت غرفة الأوضاع في البيت الأبيض ومركز عمليات وكالة المخابرات المركزية أفضل المعلومات من مراسلي التلفزيون الذي أجروا مقابلات مع الطيار وأشرفوا باستمرار على مسرح عملية الخطف. وقد قتل بحار أميركي يدعى روبرت دين ستيم وعمره ٢٣ سنة لكن جميع المسافرين الآخرين ومن ضمنهم ٣٩ أميركياً أطلق سراحهم دون أذى.

أدرك مكفرلين وكايي وبعض المسؤولين الرئيسيين في الأمن القومي أن الإدارة كانت عذوبة بالقرعة مع أزمة الرهائن والتي استمرت لمدة ٤٤٤ يوماً. ولكنهم أدركوا أيضاً أن الرحلة ٨٤٧ لشركة TWA قد أظهرت ضعف الإدارة في مكافحة الإرهاب وعدم فعالية سياستها في هذا المجال. لقد حرصت مشاهد التعذيب التي عرضت على شاشات التلفزيون المجاني والمتصنين ليضربوا ضرباتهم، ثم يستدعون بعدها كاميرات التلفزيون. مع أن كايي لم يكن متأكدًا من كان وراء عملية خطف الطائرة فإن معلومات الاستخبارات ركزت على القذافي وليبيا. وكان القذافي يستعمل معدات عادية وغير معقدة وشيفرات في اتصالاته وكانت وكالة الأمن القومي تحمل الاتصالات الملتقطة فوراً. وأظهرت هذه الاتصالات أن القذافي هو أكثر الإرهابيين فعالية. كما أن رجاله كانوا يتحركون أثاراً وراءهم. أما سوريا وإيران فكانتا على العكس من ذلك منظمين وتعملان في الخفاء. وقد سنحت الفرصة الآن لتحقيق المهدفين التوأمين: مقاتلة القذافي ومقاتلة الإرهاب.

حافظ كايي على قرع الطبول وحث الضباط حول نشاطات القذافي من خلال تقارير الاستخبارات والتقديرات الدورية. في آذار/مارس ١٩٨٥ صدر تقرير استخباري قومي خاص بعنوان: «قذافي لليبي: تحدي مصالح الغرب والولايات المتحدة» يقع في ٢٣ صفحة ويتبنأ بأن القذافي سيثير المشاكل في العالم خلال الثمانية عشر شهراً القادمة. أظهرت الاستخبارات أن ليبيا كانت تحول حوالي ٣٠ منظمة إرهابية وثورية وراديكالية. تضمن هذا التقرير خريطة كاملة للعالم بالألوان تظهر فيها غالب التخريب وهي تتمدد في العالم، كما ظهرت صور التوسع السوفياتي في الخمسينات في خريطة جون بيرش، وتبين منها أن العالم يتجه نحو اللون الأحمر بازدياد واضح. وفي هذا التقدير كان اللون الأحمر على الخريطة يمثل المناطق التي كان القذافي يدعم فيها المجموعات الإرهابية ومجموعات الثوار ومن ضمنها غواتيمالا، السلفادور، كولومبيا، تشيلي، الدومينيكا، إسبانيا، تركيا، العراق، لبنان، باكستان، بنغلاديش، تايلاند، الفلبين، النيجر، تشاد، السودان، ناميبيا وشنائية بلدان إفريقية أخرى.

وكان اللون الأصفر يمثل المناطق التي تتدخل فيها استخبارات القذافي وذلك عن طريق تأمين الدعم المالي للمعارضة السياسية أو للسياستين اليساريين، ومن ضمنها النمسا،

بريطانيا، كوستاريكا، سانت لوسيا، الدومينيكا، انتيغوا، أستراليا.

وفي خريطة أخرى للتقدير رسمت دائرة كبيرة مركزها ليبيا وتمتد حول النصف الشمالي لقارة إفريقيا إلى البحر المتوسط وتصل إلى قرب موسكو. كان هذا هو المدى الأقصى الذي يستطيع فيه القذافي مد قواته العسكرية بواسطة القاذفات السوفياتية في ٢٢ وغواصات من طراز ف. وجاء في التقدير أن القذافي أصبح وثاقاً من نفسه ويطمح إلى مزيد من المغامرات الخطرة. أضاف التقدير في قسم حساس: نحن نعتقد بأن القذافي يمكن أن يوجه ضربة إلى الأشخاص الأميركيين أو المؤسسات الأميركية إذا توفر له الشروط التالية:

- إذا استطاع أن يكمل هجومه دون انتقام أميركي.

- إذا تبين له أن الولايات المتحدة قد ساهمت بتهديد شخصه أو كانت تحاول فعلاً الإطاحة بنظامه.

كان كايي فخوراً بالتقدير الذي وضع الأصبع على المشكلة. وقد اعترض قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية على التقدير وقال أن هدف القذافي الأساسي كان القضاء على خصومه والهدف الثاني كان السيطرة الإقليمية.

في البيت الأبيض أبقى مكفرلين القذافي في دائرة الانتباه.

في ٣٠ نيسان/أبريل وقع الرئيس ريفان توجيهات قرار أممي قومي رقم ١٦٨ وعنوانه: «سياسة الولايات المتحدة تجاه شمال إفريقيا». وجاء في هذه التوجيهات التي بلغت ست صفحات: تشكيل مجموعة داخلية من مجلس الأمن القومي لمراجعة الاستراتيجية تجاه ليبيا وتحضير الخيارات السياسية لاحتواء نشاطات القذافي التخريبية. وكان هناك ستة أوامر للوزارات الأساسية، والأكثر أهمية كان تكليف وزارة الدفاع دراسة برنامج للمناورات العسكرية، ووضع اختيارات للمستقبل وتوصيات. وكان الاسم العملي للمناورات العسكرية قرب الساحل الليبي: «سيرستيب».

بينما كان كايي يتابع حملته ضد القذافي أدرك الجميع في وكالة الأمن القومي والحللون في جميع وكالات الاستخبارات أن كان دائماً يريد تقارير. وهكذا أذكروا النار. وجاء في «يومية الاستخبارات القومية» عدد ٩ أيار/مايو ١٩٨٥ تحت طابع سري جداً: «مراجعة حول ليبيا بمناسبة ذكرى مرور سنة على المحاولة الانقلابية في ٨ أيار/مايو ١٩٨٤» عندما هوجم مقر القذافي. جاء في المراجعة أن القذافي ما زال إرهابياً فعلاً وأن ليبيا كانت تخطط لتضجير شاحنة محملة بالمتفجرات في السفارة الأميركية في القاهرة. وكان المبعودون الليبيون برئاسة الجبهة الوطنية خلاص ليبيا يأملون بتفجير مؤسسة عسكرية في ليبيا لإنابات وجودهم على أرض القذافي.

كانت متابعة النشاطات الليبية تتم يومياً. وكانت ليبيا تفاوض لشراء طائرات ميغ ٢٩ المتطورة ودبابات ت ٣٢ من الاتحاد السوفياتي، كما كانت تفاوض على صفقة أسلحة بقيمة

ديليو- أي TWA الرحلة ٨٤٧ في طريقها من أثينا إلى روما وأجبرها على الهبوط في مطار بيروت ومن ثم طارت إلى الجزائر. وهكذا بدأت حملة خطف استمرت سبعة عشر يوماً. نقلت غرفة الأوضاع في البيت الأبيض ومركز عمليات وكالة المخابرات المركزية أفضل المعلومات من مراسلي التلفزيون الذي أجروا مقابلات مع الطيار وأشرفوا باستمرار على مسرح عملية الخطف. وقد قتل بحار أميركي يدعى روبرت دين ستيمم وعمره ٢٣ سنة لكن جميع المسافرين الآخرين ومن ضمنهم ٣٩ أميركياً أطلق سراحهم دون أذى.

أدرك مكفرلين وكايي وبعض المسؤولين الرئيسيين في الأمن القومي أنَّ الإدارة كانت محظوظة بالمقارنة مع أزمة الرهائن في عهد كارتر والتي استمرت لمدة ٤٤٤ يوماً. ولكنهم أدركوا أيضاً أنَّ الرحلة ٨٤٧ لشركة TWA قد أظهرت ضعف الإدارة في مكافحة الإرهاب وعدم فعالية سياستها في هذا المجال. لقد حرصت مشاهد التعذيب التي عرضت على شاشات التلفزيون المجاني والمتعصبين لضربوا ضرباتهم، ثم يستندون بعدها كاميرات التلفزيون. مع أنَّ كايي لم يكن متأكدًا ممن كان وراء عملية خطف الطائرة فإنَّ معلومات الاستخبارات ركزت على القذافي وليبيا. وكان القذافي يستعمل معدات عادية وغير معقدة وشيفرات في اتصالاته وكانت وكالة الأمن القومي تحل الاتصالات الملتقطة فوراً. وأظهرت هذه الاتصالات أنَّ القذافي هو أكثر الإرهابيين فعالية. كما أنَّ رجاله كانوا يتركون آثاراً وراءهم. أما سوريا وإيران فكانتا على العكس من ذلك منظمين وتعملان في الخفاء. وقد سححت الفرصة الآن لتحقيق الهدفين التوأمين: مقاتلة القذافي ومقاتلة الإرهاب.

حافظ كايي على قرع الطبول وحث الضباط حول نشاطات القذافي من خلال تقارير الاستخبارات والتقديرات الدورية. في آذار/مارس ١٩٨٥ صدر تقدير استخباري قومي خاص بعنوان: «قذافي ليبيا: تحدي مصالح الغرب والولايات المتحدة» يقع في ٢٣ صفحة ويتنبأ بأنَّ القذافي سيثير المشاكل في العالم خلال الثانية عشر شهراً القادمة. أظهرت الاستخبارات أنَّ ليبيا كانت تمول حوالي ٣٠ منظمة إرهابية وثورية وراديكالية. تضمن هذا التقدير خريطة كاملة للعالم بالألوان تظهر فيها تحالف التخريب وهي تتمدد في العالم، كما ظهرت صور التوسع السوفياتي في الخمسينيات في خريطة جون بيرش، وتبين منها أنَّ العالم يتجه نحو اللون الأحمر بازدياد واضح. وفي هذا التقدير كان اللون الأحمر على الخريطة يمثل المناطق التي كان القذافي يدعم فيها المجموعات الإرهابية ومجموعات الثوار ومن ضمنها غواتيمالا، السلفادور، كولومبيا، تشيلي، الدومينيك، إسبانيا، تركيا، العراق، لبنان، باكستان، بنغلادش، تايلاند، الفلبين، النيجر، تشاد، السودان، ناميبيا ولثانية بلدان إفريقية أخرى.

وكان اللون الأصفر يمثل المناطق التي تتدخل فيها استخبارات القذافي وذلك عن طريق تأمين الدعم المالي للمعارضة السياسية أو للسيااسيين اليساريين، ومن ضمنها النساء،

بريطانيا، كوستاريكا، سانت لوسيا، الدومينيك، انتيغوا، أستراليا.

وفي خريطة أخرى للتقدير رسمت دائرة كبيرة مركزها ليبيا وتمتد حول النصف الشمالي لقارة إفريقيا إلى البحر المتوسط وتصل إلى قرب موسكو. كان هذا هو المدى الأقصى الذي يستطيع فيه القذافي مد قواته العسكرية بواسطة القاذفات السوفياتية في ٢٢ وغواصات من طراز ف. وجاء في التقدير أنَّ القذافي أصبح وثاقاً من نفسه ويطمح إلى مزيد من المغامرات الخطرة. أضاف التقدير في قسم حساس: نحن نعتقد بأنَّ القذافي يمكن أن يوجه ضربة إلى الأشخاص الأميركيين أو المؤسسات الأميركية إذا توفرت له الشروط التالية:

- إذا استطاع أن يكمل هجومه دون انتقام أميركي.

- إذا تبين له أنَّ الولايات المتحدة قد ساهمت بتهديد شخصه أو كانت تحاول فعلاً الإطاحة بنظامه.

كان كايي فخوراً بالتقدير الذي وضع الأصبع على المشكلة. وقد اعترض قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية على التقدير وقال أنَّ هدف القذافي الأساسي كان القضاء على خصومه والهدف الثاني كان السيطرة الإقليمية.

في البيت الأبيض أبقى مكفرلين القذافي في دائرة الانتباه.

في ٣٠ نيسان/أبريل وقع الرئيس ريغان توجيهات قرار أممي رقم ١٦٨ وعنوانه: «سياسة الولايات المتحدة تجاه شمال إفريقيا». وجاء في هذه التوجيهات التي بلغت ست صفحات: تشكيل مجموعة داخلية من مجلس الأمن القومي لمراجعة الاستراتيجية تجاه ليبيا وتخصير الخيارات السياسية لاحتواء نشاطات القذافي التخريبية. وكان هناك ستة أوامر للوزارات الأساسية، والأكثر أهمية كان تكليف وزارة الدفاع دراسة برنامج للمناورات العسكرية، ووضع اختيارات للمستقبل وتوصيات. وكان الاسم العملي للمناورات العسكرية قرب الساحل الليبي: «سترستيب».

بينما كان كايي يتابع حملته ضد القذافي أدرك الجميع في وكالة الأمن القومي والمحليون في جميع وكالات الاستخبارات أنَّه كان دائماً يريد تقارير. وهكذا أدت النار. وجاء في «يومية الاستخبارات القومية» عدد ٩ أيار/مايو ١٩٨٥ تحت طابع سري جداً: «مراجعة حول ليبيا بمناسبة ذكرى مرور سنة على المحاولة الانقلابية في ٨ أيار/مايو ١٩٨٤ عندما هوجم مقر القذافي. جاء في المراجعة أنَّ القذافي ما زال إرهابياً فعلاً وأنَّ ليبيا كانت تخطط لتفجير شاحنة محملة بالمتفجرات في السفارة الأميركية في القاهرة. وكان المبعودون الليبيون برئاسة الجبهة الوطنية خلاص ليبيا يأملون بتفجير مؤسسة عسكرية في ليبيا لإثبات وجودهم على أرض القذافي.

كانت متابعة النشاطات الليبية تتم يومياً. وكانت ليبيا تفاوض لشراء طائرات ميغ ٢٩ المتطورة ودبابات ت ٣٢ من الاتحاد السوفياتي، كما كانت تفاوض على صفقة أسلحة بقيمة

٥٠٠ مليون دولار مع اليونان وكانت تخطط لمناورات عسكرية لمدة شهرين مع تركيا. ورد تقرير من مصدر بشري عن تشكيل وحدتين بحريتين للعمليات الخاصة وذلك لتنفيذ عمليات كوماندو وعمليات إرهابية بقيادة الكولونيل حجازي وهو من المساعدين للعقيد القذافي. وأظهرت صور الأقمار الاصطناعية شحنات صواريخ لطائرات مع ٣٤ وطائرات فلوغر الاعتراضية وغيرها.

استنتج أحد التقارير أنَّ خصوم القذافي في المنفى لم يشكلوا أي تهديد رئيسي لحكمه، ولكنه لاحظ أنَّ المبعدين كانوا يتلقون الأموال ويتدربون ويستعملون أراضي مصر والجزائر والعراق ويدعمهم جنات ياسر عرفات في منظمة التحرير الفلسطينية.

هكذا وبعد أزمة طائرة TWA في حزيران/يونيه قررت الإدارة أن تبدأ العمل. في منتصف تموز/يوليو عقد اجتماع لمجموعة تخطيط الأمن القومي في البيت الأبيض بحضور الرئيس ريغان وبعض كبار المستشارين في السياسة الخارجية. افتتح مكفرلين الاجتماع قائلاً إنَّ القيود الاقتصادية والضغط الدبلوماسي لم تنته القذافي ولم تحججه، وهناك حاجة إلى تدابير أقوى. وافق شولتز ووينبرغر والآخرون. وكان هذا الإجماع الواسع نادر الحصول وتمَّ اعتداد خطة على جميع الجبهات.

كان اسم الشيفرة السري جداً الذي أطلق على جميع العمليات والخطة الموجهة ضد القذافي هو: «الوردة» وسُمح لبضعة مسؤولين فقط من ضمنهم الرئيس وكايسي بالاطلاع على العمليات.

تحت «الوردة» أعطى اسم الشيفرة «الزنبقة» للعمليات التي تستهدف الإطاحة بالقذافي وذلك بدعم حركات المبعدين المعادية ولها الجبهة الوطنية لخلاص ليبيا. وكذلك دعم جهود بعض البلدان الأخرى مثل مصر التي كانت تريد الإطاحة به أيضاً.

«الزهر» كان أيضاً الاسم الشيفرة الذي أعطى للضربة العسكرية الوقائية على ليبيا بالاتفاق مع حلفاء الولايات المتحدة وخاصة مصر. كانت مهمة الولايات المتحدة تأمين الدعم الجوي وهناك هدف واحد فقط هو تكتة القذافي التي تعتبر مركز تنسيق العمليات العسكرية والإرهابية.

في أحد الاجتماعات طرح سؤال كان قد حثَّ الإدارة الأميركية منذ سنتين: هل يعتبر هذا اغتيالاً؟ قال الرئيس إن عليهم أن لا يقلقوا حول منع الاغتيال وإنه مستعد شخصياً لتحمل حرارة الموقف إذا قتل القذافي. لم يسأل أحد المزيد واعتبرت المشكلة بحكم المحلولة. وجري تنسيق بين الضغط السري في «الزنبقة» والتخطيط العسكري في «الزهر» وفي حال فشل هاتين العمليتين فيمكن أن تشكل حالة إنذار وأزمة داخل ليبيا تمكِّن العناصر المعادية للقذافي في الجيش الليبي من الإطاحة به. وتم تحضير خطاب للرئيس للإعلان عن الهجوم الانتقامي أو الوقائي فور حصوله.

في لانغلي أجرى يوب غايتس معاون لشؤون الاستخبارات دراسة سريعة حول شروط وأوضاع العمل العسكري الوقائي وقدمها إلى كايسي. وجاء في الاستنتاج الذي قدمه في ورقة سرية جداً في ١٥ تموز/يوليو: «عل الرغم من المحاذير الموجودة فإن هناك فرصة لإعادة رسم خريطة شال إفريقيا».

خلال أزمة خطف طائرة TWA في حزيران/يونيه قال جون شاهين الصديق القديم لكايسي إن رجلاً متهاً بمحاولة بيع الأسلحة لإيران صرح بأن وزارة الخارجية الإيرانية كانت توافق لتبادل صواريخ Tow المضادة للدروع بالرهائن الأمريكية. اعتبر كايسي هذا بمثابة إشارة.

في ٨ آب/أغسطس وبينما كان العمل في خطة ليبيا مستمراً حضر كايسي اجتماعاً لمجموعة تخطيط الأمن القومي في البيت الأبيض في منزل ريغان بحضور الرئيس وبوش وشولتز ووينبرغر ودونالد ريغان ومكفرلين وبواندكستر. عرض مكفرلين خطة تقوم إسرائيل بموجها بشحن صواريخ تاو المضادة للدروع إلى إيران وتعرض الولايات المتحدة القصف في التراسنة الإسرائيلية. وكملاعة قفّة تتولى إيران إطلاق سراح بقية الرهائن الأمريكية في لبنان.

عارض شولتز ووينبرغر ولكن كايسي أعجب بالافتراح الذي تبين أن وراءه ديفيد كيمحي الرجل رقم ٢ في وزارة الخارجية الإسرائيلية. حضر مكفرلين باكراً إلى كايسي وأوجز له عن احتمالات النجاح. كان كيمحي قد طلب من مكفرلين أن لا يستشير أحداً في الحكومة الأميركية ولكن مكفرلين قال إنه يحتاج إلى تقويم كايسي الشخصي. وكان من المقرر أن تبقى وكالة المخابرات المركزية خارج العملية. وهذا الإبعاد قد يؤدي إلى تحرير بعض الرهائن وذلك لأن تورط وكالة المخابرات المركزية يحتاج إلى مذكرة ويهله إعلام لجنتي الاستخبارات في الكونغرس. ولا يمكن الثقة بالكونغرس في هذا النوع من العمليات. تلقى وكالة المخابرات المركزية تقارير تفيد بأن رئيس محطة بركلي وهو محتجز الآن منذ حوالي ١٨ شهراً قد قتل. إلا أن كايسي تمسك بالأمل خصوصاً إذا تحسنت العلاقة مع الإيرانيين.

عين المقدم أوليفر نورث ضابطاً معالماً للعمليات، وأصدرت له وزارة الخارجية جواز سفر باسم ولیم غود ووضع نائب مكفرلين الاميرال بواندكستر قفّة خاصة داخلية في مكتب نورث على جهاز الكمبيوتر الخاص بمجلس الأمن القومي وسمي «الشك الأبيض الخاص».

في ١٢ أيلول/سبتمبر اتصل نورث بشارلز آلين ضابط الأمن القومي لشؤون مكافحة الإرهاب في وكالة المخابرات المركزية، والذي كان أفضل المطلعين على الوضع في إيران في وكالات الاستخبارات الأميركية. أدرك نورث أنه لا يمكن الوثوق بإيران وطلب الإطلاع على المعلومات المتوفرة، وطلب من وكالة الأمن القومي التنصت على أهداف في إيران وبنان. وكان الهدف الأول هو الوسيط الإيراني ما توشر غوربانفار الذي كان على لائحة المراقبة

لاتصالاته الهاتفية بأفضلية مطلقة وكذلك على بركاته وتحولاته المصرفية. كان غوربانيقار الوسيط الهام بين إيران وإسرائيل في نقل السلاح. أعطى نورث توجيهاته بأن يقتصر تعميم الالتقاطات عليه وعلى كايبي ومكفرلين ووينرغر الذي يجب أن يبقى مطلعاً لأن وزارة الدفاع ستولي استكمال الترسنة الإسرائيلية. ومنعت هذه الالتقاطات عن شولتز وعن الجميع في وزارة الخارجية.

كان غوربانيقار معروفاً جيداً في وكالة المخابرات المركزية وكان مصدراً سرياً منذ عام ١٩٧٤ وهو رجل ذو عدة وجوه، نصف سياسي ونصف رجل أعمال ومن الذين يتسكعون على أبواب أجهزة الاستخبارات. عام ١٩٨١ صب الزيت على نار الاشاعات حول فرق الضرب الليبية، التي زعم أنها أتت إلى الولايات المتحدة لقتل ريغان وكبار مساعديه. وكشفت الوكالة أن معلومات غوربانيقار ليست خاطئة فقط بل من نسجه. عام ١٩٨٣ أتهمت الوكالة علاقتها معه كمصدر. عام ١٩٨٤ أصدرت الوكالة مذكرة حذرت فيها من أن غوربانيقار هو مركب أخبار موهوب لقد عرض مرة تقديم معلومات حول إيران للدولة أخرى بشرط أن يسمح له بتهريب المخدرات من تلك الدولة. وقد فشل في اختبارين لكشف الكذب على آلة البوليجراف وفي وكالة المخابرات المركزية. كان كايبي حذراً من خطر غوربانيقار. ولكن الأخير كان من الناس الذين سرعان ما يصبحوا من عملاء أجهزة الاستخبارات!

كانت عملية بيع الأسلحة معقدة بسبب عدم الثقة بين إيران وإسرائيل، فإيران لا تدفع ثمن الأسلحة حتى تستلمها وإسرائيل لا تسلم صواريخ تاو حتى تقبض ثمنها. ولكسر هذا الجمود حصل غوربانيقار على قرض من رجل الأعمال السعودي عدنان خاشقجي الذي أمن مبلغ خمسة ملايين دولار ثمن ٥٠٨ صواريخ تاو. في ١٥ أيلول/ سبتمبر أطلق سراح الرهينة الأميركية بنجامين وير.

رأى كايبي أن الرهائن والارهابيين يستهلكون البيت الأبيض والرئيس، وأن البيت الأبيض قد نظر إلى إطلاق سراح وير باهتمام كبير.

بعد فترة بدأ مجلس الأمن القومي يدفع بخطة «الزهرة» إلى هجوم عسكري أميركي مصري على ليبيا. كانت هناك انقسامات عميقة بين كبار مساعدي ريغان، فقد عارض شولتز واستدعى بصورة سرية السفير الأميركي في القاهرة نيكولاس فيليبوتس إلى واشنطن وذلك كي يرد بالحنة على خطط مجلس الأمن القومي. قال أحد كبار مساعدي شولتز لفيليبوتس عندما وصل إلى واشنطن: «لن تصدق أن هؤلاء المجانين في البيت الأبيض قد وصلوا إلى هذه النتيجة»، وبعد أسبوع من العمل المكثف اعتقد شولتز وفيليبوتس بأنها قد حولت الخطأ إلى خطة طوارئ، وإلى سبتمبر ورد فعل ودفاع.

كان مكفرلين يركز على القمة المقبلة بين ريغان وغورباتشيف وعهد إلى نائبه بواندكستر

بالتخطيط لعملية ليبيا. أصر بواندكستر على أن يزور القاهرة بنفسه ليجتمع مع الرئيس المصري حسني مبارك وذلك لتابعة «الزهرة». حاولت وزارة الخارجية وفيليبوتس إلغاء الزيارة إلا أن بواندكستر وصل إلى القاهرة بعد عطلة عيد العال حاملاً معه وعداً بالذمم القتالي المباشر من الولايات المتحدة. وقبل أن يعرض بواندكستر نصه للتشدد للخطوة قاطعه الرئيس المصري مبارك وهو رجل غير صبور ويفضل التكلم على الاستماع، قائلاً: - «أنظر أيها الاميرال. عندما نقرر أن نهاجم ليبيا سيكون ذلك قرارنا وفي الوقت الذي نعدده».

عقد بواندكستر اجتماعات مع مسؤولين كبار في وزارة الدفاع المصرية الذين تلقوا عرضه بطريقة أفضل. وعلى الرغم من نفور مبارك الظاهر اقنع بواندكستر بأن الرئيس ريغان كان راعياً في العمل وفي النهاية هذا هو العامل الأهم.

في تشرين الأول/ اكتوبر خطف أربعة عناصر من منظمة التحرير الفلسطينية السفينة الإيطالية أكيلي لاورو وعلى متنها ٤٣٨ شخصاً. عندها أعطى البيت الأبيض إنذاراً حول الإرهاب. وقتل شخص أميركي واحد وعمره ٦٩ سنة يدعى ليون كلينغفورد وهو متنول ويستعمل الكرسي المعلقين ورمي في البحر. كانت هذه إشارة واضحة. فالسفينة التي تحمل الرهائن والمخاطفين كانت تتجه إلى مصر.

كان الرئيس المصري مبارك يكره نظام أمن الاتصالات الذي جهزته به الولايات المتحدة. وكانت له آلة من طراز «اضغط لتكلم» إذ إن الشخص في الطرف المقابل لن يستطيع الاستقبال وهو يتكلم. وهذا ما جعل من الصعب عليه أن يقطع. ولهذا استعمل مبارك الهاتف العادي. أعطيت الأوامر لجميع المعلومات في مصر بواسطة وكالة الأمن القومي والاقمار الاصطناعية. وفي صباح يوم الخميس ١٠ تشرين الأول/ اكتوبر التقط الحديث بين مبارك ووزير خارجيته ووصلت المعلومات إلى غرفة الأوضاع في البيت الأبيض في غضون ساعة ونصف في رسالة مشفرة وسرية جداً. كان مبارك قد أعلن أن المخاطفين الأربعة قد غادروا مصر. إلا أن مبارك وفقاً لما جاء في الالتقاط أخبر وزير خارجيته بأن المخاطفين ما زالوا في مصر. وقال إن جورج شولتز يكون مجنوناً إذا فكر في أن مصر يمكن أن تسلم المخاطفين إلى الولايات المتحدة كما طلب. مصر دولة عربية ولا يمكنها تسليم الإخوة في منظمة التحرير الفلسطينية.

بحلول الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم (١٠ تشرين الأول/ اكتوبر) ورد إلى غرفة الأوضاع في البيت الأبيض التقاط آخر ذكر فيه مبارك رقم الطائرة التي ستعلق في غضون بضع ساعات وعلى متنها المخاطفون الأربعة. وكانت الطائرة المصرية من نوع بوينغ ٧٣٧ جاتمة على المدرج في قاعدة الماطة الجوية في القاهرة.

أدرك نورث أن معلومات دقيقة كهذه كانت نادرة الحصول وهي فرصة لا تعوض،

وقدم خطة عاجلة إلى بواندكستر: اعتراض الطائرة المدنية المصرية وإجبارها على الهبوط في مطار تابع لحلف الأطلسي في صقلية، ومن ثم إلقاء القبض على الحافظين. تم إبلاغ الرئيس الذي كان في شيكاغو بالخطة ووافق عليها.

خلال بقية بعد الظهر أمنت وكالة الأمن القومي عشرة التقاطات لمبارك يشرح فيها الخطة النهائية لنقل الحافظين إلى خارج مصر وبدا كأن بواندكستر ونورث كانا في مكتب الرئيس المصري. أظهرت الالتقاطات تالم الرئيس المصري وهو يناور لأنه في البدء لم يعلم بمقتل كليتغوفر وعندما عرف ذلك أدرك أن الولايات المتحدة ستدخل. لقد صرخ على مساعديه طالباً أن يعرف لماذا لم يجبروه في الحال.

أوصلت وكالة الأمن القومي إلى البيت الأبيض معلومات تتعلق بتوقيات وصول الحافظين الأربعة إلى الطائرة ورقم الرحلة وخطة طيران عناصر منظمة التحرير الفلسطينية إلى الجزائر. بعد الظهر قامت أربع طائرات ف ١٤ من حامله الطائرات الأميركية ساروتاغا باعتراض الطائرة المصرية وإجبارها على الهبوط في صقلية في إيطاليا. وكان من المقرر أن تحاكم إيطاليا الحافظين.

في صباح اليوم التالي وقف ريغان عندما دخل بواندكستر إلى الغرفة ورفع يده بتهنية عسكرية وقال: «أنا أحيي البحرية». كانت رزمة من الأوراق بساكة انش تقريباً تحتوي على نصوص أحاديث مبارك وهي مفتاح العملية وأعطت فكرة واضحة عن الخطط الخاصة والنوايا والحالة العقلية. وكشفت عن تصميم مبارك على تسليم الحافظين إلى منظمة التحرير الفلسطينية. بعد هذا النجاح الباهر تدفق المديح على ريغان من الرأي العام الجمهوري والديمقراطي. لقد كان ذلك أول نصر ساحق وواضح على الإرهابيين. عندما التقى الرئيس بكاسبي في المرة التالية أحنى ظهره أمام مدير المخابرات المركزية. لقد كان نصراً رائعاً لكاسبي. قال عدد من المشككين ومن ضمنهم غايتس إن الاستخبارات التكتيكية لم تكن عملاً دائماً وواقعياً وعندما تقوم بها وكالات الاستخبارات فإن ذلك يكون من قبيل الخط. لكن كاسبي صنع حظه الخاص وكان ذلك دليلاً على قيمة التجسس وأهميته.

بعد حوالي أسبوعين اكتشف الرئيس مبارك جهاز تسجيل في مكتبه الخاص، ولكن كان لوكالة الأمن القومي أساليب أكثر تطوراً للحصول على النصوص، ومن ضمنها نص آخر في ذلك الشهر يظهر غضب مبارك من السوريين لإعادة جثثان كليتغوفر الذي رسا على الشاطئ إلى حكومة الولايات المتحدة. قرأ كاسبي بإعجاب شديد تقريراً يفيد بأن الدبلوماسيين السوفيات الثلاثة الذين اختطفوا في بيروت ذلك الحريف قد أطلق سراحهم بعد شهر، وكان الرابع قد قتل بعد خطفه بقليل إلا أن الثلاثة تحرروا. وسرعان ما وصلته معلومات أكيدة من الإسرائيليين بأن هذا العمل الفذ قد تحقق بعد أن اعتقلت المخابرات السوفياتية KGB أحد أقارب أحد زعماء حزب الله وأطلقت النار على رأسه وأرسلت جثته

إلى حزب الله، وأرقلت بها رسالة تقول إن أعضاء آخرين في حزب الله سيموتون بنفس الأسلوب إذا لم يطلق سراح الدبلوماسيين الثلاثة. وبعد ذلك بوقت قصير أطلق سراح الثلاثة وهم: ملحق في السفارة، والممثل التجاري، وطبيب في السفارة، وتركوا على بعد مسافة قليلة من مبنى السفارة السوفياتية. ووزع بعدها بيان بالهاتف على الصحف يقول إن إطلاق سراح المخطوفين يدل على حسن النية.

أدرك كاسبي أن السوفيات كانوا يفهمون لغة حزب الله. في ذلك الحريف دعا المدير برنارد مكاهون وهو مدير أركان لجنة استخبارات مجلس الشيوخ في الأشهر التسعة الفاتحة إلى مكتبه في لانغلي ليتحدث معه. مكاهون وهو نقيب بحري متقاعد، لم يكن قريباً لجون مكاهون، كان مساعد تورنر التنفيذي لبضع سنوات في وكالة المخابرات المركزية. سأل كاسبي عن تورنر وكيف كان يدير مكتبه ومواقفه ورجاله، وسأل مكاهون عن جميع العناصر وطلب منه تقوياً عن الفترة الماضية والفترة الحالية. لقد أراد ذلك بشكل صريح وقال: أليس الناس مذهشين هنا؟ وافق مكاهون: نوعية جيدة وأدعمة كثيرة.

قال كاسبي: وهل تعلم لماذا يقومون بأعمالهم؟ ثم أضاف: لماذا تظن أنهم هنا؟ على ماذا يدل ذلك؟

قال مكاهون: الإثارة - الوطنية.
أجاب كاسبي: لا. لا. لا. لدينا فرصة لبناء سياستنا الخارجية. نحن في القسم الخامس.

نحن الوكالة الفاعلة للحكومة.
تلقيت خبراً صغيراً في ذلك الحريف يفيد بأن هاجس القذافي في البيت الأبيض ووكالة المخابرات المركزية قد وصل إلى الذروة. وأنه قد أعدت خطط لعمل خفي جدي للقضاء عليه.

قال أحد المصادر: «شولتز يوحى بالثقة» وأضاف أن وزير الخارجية كان المدافع الأقوى: «ووصف الفكرة بأنها من وحي الله».

عرض القسم الخفي المتعلق بوكالة المخابرات المركزية من «الزنبقة» على لجنتي الاستخبارات في مجلس الشيوخ ومجلس النواب وقد وافقت اللجنتان عليه بأغلبية ضئيلة، ثمانية ضد سبعة في مجلس الشيوخ وتسعة ضد سبعة في مجلس النواب. ومع أن رئيس لجنة استخبارات مجلس الشيوخ الجديد ديفيد دورنبرغر ونائب الرئيس الجديد باتريك ليهي كانا جديين فإنها لم يتمكنوا من تأمين أغلبية كبيرة في لجنتها وسألا: كيف تتجنب خطة دعم المبعدين والمشتبهين الاغتيال طالما أن حركة المبعدين تريد قتل القذافي؟

أجاب كاسبي إن وكالة المخابرات المركزية يمكن أن تساعد الذين يريدون الإطاحة بالقذافي وقد يحاول هؤلاء اغتياله إلا أن الوكالة ليس لديها خطة بهذا الشأن.

قال دورنبرغر وليهي: إن دعم القتل يعتبر ارتكاباً لجريمة قتل. تمسك كاسبي بحجته.

لقد سمح الرئيس بذلك ويمكن للكونغرس أن يقطع النفقة.

قال الشيخان: حسناً. ثم طلبا تفاصيل عملانية محددة. متى وأين ومن وماذا؟ وتأملاً في جميع الملفات ثم أرسلوا رسالة سرية جداً للرئيس ريفان يمتحان فيها بعنف ويتساءلان كيف لا يعتبر ذلك اغتيالاً؟

أجاب البيت الأبيض أنه لا يوجد خطط للاغتيال وطلب من الشيخين أن يحذفا كلمة اغتيال المملوبة من رسالتهما. رفض الشيخان.

شعر ليهي بأن الإدارة كانت تخدع اللجان وتخدع نفسها تحت اسم مكافحة الإرهاب (مثل اسم مكافحة الشيوعية في نيكاراغوا) سوف يزجون البلاد في حرب خفية أخرى. وكما حصل في نيكاراغوا فإنها لن تبقى خفية وستفقد السيطرة عليها أيضاً.

كان كايبي قلقاً من أن تستأنف الوكالة توريط نفسها في تفاصيل العمليات.

في يوم السبت في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر اتصلت(*) بكايبي. كان صديقه المحارب القديم في مكتب الخدمات الاستراتيجية جون شاهين قد توفي في اليوم السابق وقدمت له تعازي. قال كايبي بأسى: نعم، رجل ممتاز.

قلت إننا سننشر خبراً يقول إن ريفان قد سمح لوكالة المخابرات المركزية بالقضاء على القذافي بشكل خفي. وأن الصحيفة لا تنوي أن تنشر التفاصيل كافة بل ستذكر أن التنفيذ سيتم عن طريق تقديم مساعدة من الوكالة إلى بلدان دون أن نسميها أو للمبعدين الليبيين الذين يريدون الإطاحة بالقذافي.

قال كايبي: بعض الناس لن ينشروها. وأخذوا يعين الاعتبار الجدل الدائر ضمن الإدارة وضمن لجنتي الاستخبارات في الكونغرس قلت إنني لا أرى لماذا أو كيف لا نشر ذلك.

وعلا صورته كصوت الحزيرين. قلت: لقد ذكرت قضية الاغتيال ويمكن أن تظهر ملاحمها في الخبر. قال: حسناً نحن لا نغتال، وبدلاً منقبضاً وكأنه يبيل إلى عدم التكلم وقال «ودعاء»، بلطف.

بعد نصف ساعة اتصل بي ليوصح النقطة الأساسية وهي أن الرئيس ووزير الخارجية كانا مهتمين بوقف الإرهاب وليس بدعم اغتيال القذافي. وقال إن دراسة العملية على أعلى المستويات ركزت على الأهداف الأساسية والمهمة.

قلت إن هذه النقطة قد ظهرت بوضوح في الخبر. لم يعرض شيئاً آخر وأقبل الخط.

(*) المؤلف

تذكرت وصف برادلي(*) منذ ثلاث سنوات ونصف لاعتدال اعتراض كايبي حول قراره بنشر خبر عن عملية نيكاراغوا، فهو إما أن يكون قد اعتبر ذلك أمراً لا مفر منه وأما أنه شعر بأن الكشف عن ذلك العمل الخفي يخدم أهدافه وأهداف الوكالة.

نشرت الخبر في اليوم التالي الأحد ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٥. وفي ذلك اليوم وبينما كان الرئيس عائداً من عطلة نهاية الأسبوع في كمب ديفيد تلقى أسئلة كثيرة حول الموضوع وأصدر البيت الأبيض بياناً جاء فيه: «بينما لا نؤيد بأي طريقة الادعاءات والاستنتاجات المنشورة في مقال في صحيفة واشنطن بوست حول تقارير تتعلق بليبيا فإن الرئيس قد أمر بفتح تحقيق حول الكشف عن وثائق للاستخبارات الأمريكية مذكورة في هذا التقرير الإخباري بهدف تحديد المسؤول عن هذا الكشف واتخاذ التدابير المناسبة». في الحقيقة ساد البيت الأبيض جو من الراحة. لقد تسربت «الزينة» فقط وهي خطة الوكالة الخفية وكتبت بتعابير عامة. أما التخطيط العسكري السري جداً فقد بقي مكتوماً. «الزهر» يمكن أن تستمر.

ذهب كايبي ليقابل الرئيس وأعطاه نسخة عن مقالة واشنطن بوست وقال: أنظر. قلت إن لجنتي الاستخبارات تقيدان، هؤلاء الأوغاد كلهم يسيرون. وشرح لريغان أن مسألة الاغتيال قد تمت تسويتها مع اللجان وأصبحت خارج أسعاهم تماماً.

كتب الرئيس رسالة من صفحتين إلى لجنتي المراقبة (الاستخبارات) تقول دون تحديد إن اللجان قد سربت، وإنه كان أسلوباً غير دقيق لوقف العمل الخفي الذي عارضته أقلية في اللجان. إن التسريب بعد ذاته يعتبر أسوأ شيء للأمن القومي وهو يهدد لجان المراقبة. عملياً يكون الرئيس قد اهمهم بالخيانة.

اتصل السناتور دوزنبرغ بدونالد ريفان وقال له: «ستنافس لنعرف من سربها». وقامت اللجنتان بإجراء تحقيق وتبين أن الخبر يحتوي على مقاطع من تقرير سري جداً من ٢٩ صفحة عنوانه «تقويم التعرض للأخطار والذي استنتج أن العناصر المستأنسة من العسكريين الليبيين يمكن أن تقدم على الاغتيال ولم تكن أي من اللجنتين قد اطلمت على هذا التقويم. وهذا ما يشير بقوة إلى أن التسريب كان من الإدارة نفسها. وبعد حوالي أسبوع برأت اللجنتان نفسيهما في رسالة إلى الرئيس.

لم يجب ريفان. اجتمع سفير الولايات المتحدة في القاهرة فيليبوتيس: مع وزير الدفاع المصري أبو غزالة. تألم أبو غزالة من أن القسم المتعلق بوكالة المخابرات المركزية من الخطة قد تسرب وسأل فيليبوتيس كيف تستطيع مصر الثقة بالولايات المتحدة؟ وعبر عن قلقه حول التخطيط

(*) برادلي رئيس تحرير صحيفة واشنطن بوست.

المسكري وتساءل: ماذا عن خليج الخنازير؟ هل تسحب الولايات المتحدة قواتها في آخر لحظة؟

أجاب فيليوتيس أن الرئيس ريغان قد أصيب بخيبة أمل من التسريب وأنه سوف يتخذ إجراءات ضد الذين قاموا بذلك. وتابع فيليوتيس أن القصة سوف تذبل لأنهم لم تسبب أي جدل سياسي. الجميع في الولايات المتحدة يريدون التخلص من القذافي. كان أحد عملي كايبي قد أنهى دراسة كاملة عن الأهداف في ليبيا. حدد في وثيقته السرية جداً أن أفضل وقت للقيام بضربة جوية في ليبيا هو قبل الفجر تماماً. ولكن وزارة الدفاع تولت إجراء دراسة خاصة حول العمل العسكري المباشر من الولايات المتحدة ورسمت صورة كئيبة للنجاح وكانت عملياً لا توافق على تنفيذ العملية. كانت الخطة تقضي بهجوم مفاجئ على ليبيا بالتنسيق مع مصر. قالت وزارة الدفاع إن عملية كهذه تحتاج إلى ست فرق أي ٩٠ ألف رجل، وتساءل مخطوط وزارة الدفاع: هل نريد أن نشن حرباً على ليبيا؟

كان جواب وينرغر وراثسة الأركان المشتركة: لا.

في ذلك الحريف ذهب كايبي إلى المستشفى وأجرى فحوصات طبية. الأمور ليست على ما يرام. لقد عرف. جاء في التشخيص أنه مصاب بسرطان في غدة البروستات. وأن الفرص ليست جيدة بالنسبة إلى عمره (٧٢ سنة) طلب الادبيات المتوفرة عن المرض وسرعان ما وافق على اتباع علاج مكثف بالأشعة يومياً، بالإضافة إلى علاج كيميائي. شرح وضعه الصحي المخيف لوصفيا لكنه قرر أن لا يغير أحداً في الوكالة أو في الإدارة. لكنه تولى بنفسه إعلام الرئيس. لقد أدرك أنه لا يوجد جدول زمني غير محدد للعمل وأن الأمور يجب أن تجري.

في مساء ٢١ تشرين الثاني /نوفمبر اتصل نورث بديوي كلاريدج الذي نقل إلى رئاسة فرقة أوروبا بعد قضية تلغيم موانئ نيكاراغوا. كان نورث هائجاً ومتعللاً. قال إنه يحتاج إلى الحصول على إذن لطائرة إسرائيلية بالهبوط في البرتغال لأسباب إنسانية.

أرسل كلاريدج رسالة عاجلة عن طريق قاتنه الخاصة يستدعي فيها رئيس محطة البرتغال إلى السفارة الأمريكية الساعة الثالثة صباحاً، وأعطى توجيهاته لرئيس المحطة بوجود إزالة جميع المقبات وتأمين هبوط الطائرة الإسرائيلية.

قال كلاريدج: «إن هناك مبادرة من مجلس الأمن القومي لهذه العملية وهي تحظى باهتمام أعلى المستويات في الحكومة الأمريكية» وعليه أن يغير المنيين في البرتغال بأن هذا لن يمر دون تقدير. يجب عدم إعلام السفير الأمريكي في البرتغال بذلك! كان على رئيس المحطة أن يلتقي الجنرال سكورد الذي كان يستخدم اسماً مستعاراً «ريشارد كوب» والذي طار إلى ليشبونة عاصمة البرتغال. لكن البرتغال رفضت الطلب. عندها طلب نورث اسم شركة

شحن جوي موثوق بها. اقترح القسم الجوي في وكالة المخابرات المركزية شركة سانت لوسيا الجوية التي سبق لها وقامت بأعمال خفية لصالح الوكالة. تعذر الاتصال بكليمر جورج، ولذلك بحث كلاريدج الوضع مع مدير العمليات بالوكالة إد جوشنوسيز الذي أخبر نورث بأن شركة سانت لوسيا جاهزة لأي عملية نقل خاصة.

طلب نورث من شركة سانت لوسيا أن تؤمن طائرتي بوينغ ٧٠٧ قادرتين على حمل صواريخ هوك المضادة للطائرات إلى إسرائيل حيث تحول هناك إلى طائرات إسرائيلية لإعادة نقلها إلى إيران. كان نورث يدير العملية من خلال حساب مصرفي في سويسرا شركة لأك ريسورسز (الحساب رقم ١ - ٢٢ - ٤٣٠ - ٣٨٦ كريدتي سويس).

قال نورث لبواندكستر الكومبيوتر الخاص: «إن كلاريدج يستحق وساماً لأنه حصل على شركة طيران في وقت قصير».

لكن الإسرائيليون لم ينتظروا وحرروا الطائرات التي كانوا سيستعملونها لنقل الأسلحة إلى إيران من الانتظار. قال نورث إن هذا الإجراء الإسرائيلي كان لتوفير المال وعرض عليه بواندكستر فكرة جديدة هي تحويل خط سير إحدى طائرات الجنرال سكورد التي كان من المقرر أن تشحن حولة من الذخيرة للكونترا.

وقال نورث: «ساعدي، لم أواجه أي شيء معقد مثل هذا في حياتي» قال بواندكستر إنه سيجتمع مع أحد قادة الكونترا تلك الليلة وسيلفقه أن الذخيرة ستأخر بضعة أيام. قال نورث لبواندكستر: هذا سيء جداً إنها أول رحلة طيران مباشرة منا للكونترا.

كان نورث في غرفة الأوضاع صباح الأحد يراجع تقارير حول خطف طائرة لشركة مصر للطيران إلى مالطا. طلب نسخة عن مقال نشرته الواشنطن بوست منذ ثلاثة أسابيع حول عملية خفية بهدف القضاء على القذافي. ثم طلب ترجمة لما كان يقوله القذافي في ذلك الصباح. قال نورث ربما تبين أن مقالة الواشنطن بوست قد أثارت القذافي. لم تكشف الالتقاطات عن أي اتصال للقذافي بالحقافين. وفي ذلك اليوم اقتحم رجال الكوماندو المصريين الطائرة وقتلوا ٥٧ ركباً من أصل ٨٠ كانوا على متنها.

في يوم الاثنين ٢٥ تشرين الثاني /نوفمبر علم مكهاون أن الوكالة طلبت السلاح بالطيران عبر البرتغال من أجل شحن الأسلحة إلى إيران. ضرب مكهاون على رأسه. هناك قانون يمنع شحن الأسلحة إلى إيران. أين هي المذكرة التي تسمح لرجال وكالة المخابرات المركزية بالاضطلاع بدور مباشر في هذا العمل الخفي؟

قال جوشنوسيز إن الوكالة لم تقم بذلك تقنياً. وإن نورث قد حضر، وأبلغ أن الوكالة لا تستطيع القيام بذلك. وكان نورث يعلم عن شركة سانت لوسيا وأن الترتيبات التي أجريت مع الشركة كانت اتفاقاً تجارياً بحتاً وليست عملاً خفياً.

قال مكهاون: انظر، تجربة جيدة. لقد عرف العمل الخفي عندما رآه. أوليفر نورث

يخطر وهناك حادثة تنتظره. وما هو قد جرّ الوكالة إلى وضع سيء وكلايدج قد أرسل وتلقى حوالى عشرين رسالة إلى اليرتغال وإلى محطات أخرى في الوكالة.

منذ فضيحة واترغيت وضعت الوكالة قواعد صارمة واشترطت موافقة المدير أو نائبه على أي مساعدة عملاية تقدم إلى البيت الأبيض. وقد سميت هذه القواعد «قاعدة غوردن ليدى» لأنّ الوكالة كانت قد جهزت فريق ليدى للسطو في واترغيت بأساء مستعارة وآلات تبديل للصوت وشعر مستعار أحمر مما تسبّب في جرّ الوكالة إلى رحل واترغيت. إنها مخالفة واضحة لقواعد الوكالة.

كان كايبي في الصين، وشعر مكماهون بأنّ عليه أن يتحرك بسرعة. اتّصل بسبوركين بعد الظهيرة وطلب منه أن يحضر مسودة مذكرة تغطي استخدام طائرات الوكالة بمفعول رجعي. قال مكماهون سأحضر بعض ضباط العمليات ليوجزوا لك عن المسألة. حضر سبوركين وأوجزوا له عن الوضع في عشرين دقيقة. إنها كانت صفقة أسلحة من أجل الرهائن.

استدعى سبوركين عدداً من كبار عاميه وانتزع من جيبه محفظته، ووضعها على طاولة المكتب، مما يدل على أنّها ستكون ليلة طويلة. لقد حان الوقت للقيام بعمل حقيقي. قال سبوركين: لنلغ الرئيس يرخص بها. لقد أراد طابع الرئيس عليها. وكانت مذكرة سياسية مضمومة للوكالة وكايبي. الرئيس يملك الصلاحية ويستطيع حايثهم وهذا هو التصرف الحكيم والمتعلّق.

كانت المسائل حساسة جداً. الأسلحة إلى إيران، الرهائن وسلامتهم وحتى رئيس المحطة بكلي الرهينة منذ عشرين شهراً ربما توفي وربما ما زال على قيد الحياة. هذا لا يمكن أن يتسرب. لقد بحث موضوع الامتناع عن الكلام لدى لجان المراقبة. كان كايبي توافاً ليقطع علاقته باللجان. كانت المذكرات تتسرب. وقد نشرت مذكرة حول الضربات الوقائية ضد الإرهابيين وكذلك مذكرة حول القضاء على القذافي. وهذا التسريب يمكن أن يعيق العمليات. أما القانون الذي يلزم بإعلام لجان الكونغرس فقد كانت فيه ثغرات. لقد توقع ظروفاً غير عادية إذا لم تنلق اللجان إعلاماً مسبقاً. ومع هذا فإنّ القانون لم ينص على أنّ الرئيس يمكنه الامتناع عن إعلام اللجان، بل قال إنّ في تلك الحالات سوف يصرح عن الأسباب التي أدت إلى عدم إعلام اللجان مسبقاً.

تابع سبوركين عمله ونظم مشروع مذكرة من صفحة واحدة فقط ليقومها الرئيس: «أنا أوجه مدير المخابرات المركزية كي لا يوجز للكونغرس... حتى يمين الوقت المناسب وأعطيه توجيهات مغايرة».

علم سبوركين من أيامه الماضية في جهاز أمن التبادل أنّه كان من غير العادي في عالم الشراك أن يمنح المسؤولين التنقيذين إذنًا للقيام بنشاطات مع مفعول رجعي طالما كان

ذلك النشاط متفقاً مع السياسة العامة للشركة. ولتغطية عناصر وكالة المخابرات المركزية الذين ساعدوا أوليفر نورث كتب سبوركين: «إنّ كل الأعمال السابقة التي قام بها مسؤولون رسميون من الحكومة الأميركية ضمن هذا الجهد قد صدقت بموجب هذا».

كان كايبي يرفض الأساليب المرحقة للحكومة وكان الرئيس يشعر بجمود البيروقراطية. في اليوم التالي أخذ سبوركين المسودة إلى مكماهون الذي مررها إلى كايبي لأنّه لا يريد أن يقوم بهذا العمل وحده. اعتقد كايبي بأنّ المذكرة عمل قانوني متقن وعمل بطولي يسمح للرئيس بأن يختبر صلاحياته وسلطانه.

كان كايبي قد شيع من لجنتي الاستخبارات. ووصلت الحرب الكلامية مع رئيس لجنة استخبارات مجلس الشيوخ دورنبرغر إلى مستويات عالية. لقد جاء الوقت ليقول لهم اذهبوا إلى الجحيم.

المنشئ السوفياتي فيتالي يورتشينكو وهو من كبار مسؤولي المخابرات السوفياتية KGB الذي لجأ إلى وكالة المخابرات المركزية في ذلك الصيف فرّ من مرافقه في مطعم جورجتاون وعاد إلى السفارة السوفياتية في أوائل تشرين الثاني/نوفمبر. عقد يورتشينكو مؤتمراً صحافياً في السفارة السوفياتية في واشنطن وأثار ضجة كبيرة، وصرح بأنّ وكالة المخابرات المركزية كانت قد خطفته، وكشف عن عشاء مع كايبي عندما ظهر مدير المخابرات المركزية وسحب بتطلونه مفتوحاً! ولقي ذلك ضحكاً كبيراً.

أقرّ كايبي بأنّ الوكالة قد أخطأت عندما أسكتت يورتشينكو وهو من قدامى عناصر المخابرات السوفياتية (منذ ٢٥ سنة) وتظاهر بأنّه من المنشقين. وفشلت الوكالة في تأمين مرافقين يتكلمون اللغة الروسية ولم تتعاطف بشكل كامل مع الرجل الذي كان يخون بلاده. لكن دورنبرغر ولجنة مجلس الشيوخ احتجوا بشدة ضد كايبي وادعوا أنّ الوكالة قد أخطأت في عملها بشكل فاضح. كان الشيوخ نجوم الأخبار يومياً وكانوا ينتقدون كايبي ويشككون فيه وبكائه.

كان يورتشينكو قد ساهم في تحديد عنصرين خائنين من وكالة المخابرات المركزية. قبل أن يرد إلى الولايات المتحدة كان يورتشينكو قد رقي إلى رتبة مساعد في القسم الأول في المخابرات السوفياتية وكان مسؤولاً عن التجسس في الولايات المتحدة وكندا وعندما وقع في أيدي وكالة المخابرات المركزية مثل طبعاً عما إذا كان للمخابرات السوفياتية عملاء في وكالات الاستخبارات الأميركية. قال يورتشينكو: هناك فقط ضابط سابق في الوكالة كان على وشك أن يعمل في عطة الوكالة في موسكو ولكنه لم يعين وكان اسمه بالشيفرة روبرت، اجتمع مع عناصر من المخابرات السوفياتية في النمسا في السنة الماضية، وباعهم أسرار حيوية.

توجه عناصر الوكالة على الفور إلى ملف أدوارد لي هوارد الذي انخرط في صفوف

الوكالة عام ١٩٨١ وكان عمره ٢٩ سنة وهو خريج جامعة تكساس بامتياز، وكان قد أمضى سنتين مع وحدات السلام في كولومبيا، وهو حائز على شهادة ماجستير في إدارة الأعمال. وهو سريع وطليق في اللغات ومزمن في التعامل، وكان ملائماً للعمل في المخابرات في عهد كايبي. كان متأنقاً مع البنادق والمسدسات والمشروبات الثقيلة! وأفاد الوكالة بأنه يتعاطى المخدرات ثم توقف، لكن ذلك كان سائداً بين شباب جيله.

تم اختيار هوارد للفرقة السوفياتية وعين للعمل في محطة موسكو تحت غطاء، وخضع لتدريب مكثف على تقنيات المراقبة وتفادي المراقبة. وكان من المقرر أن يوجه هوارد في موسكو أحد العملاء، وسيعمل في الشوارع مثل القليلين الذين كانوا يؤمنون الاتصال مع المصادر البشرية.

قبل عام ١٩٧٢ كانت إدارة عمليات الاستخبارات في موسكو تتم من لانغلي، ولم يعرف ضباط العمليات الهويات الحقيقية للمخبرين ولا المعلومات التي ترد من الالتقاطات الإلكترونية.

بعد العام ١٩٧٢ أعطي رئيس محطة موسكو صلاحية إدارة عملياته. كان الجو العام في موسكو معادياً وكانت الأعمال مهمة جداً. وكان عدد ضباط العمليات قليلاً، وكانوا يعملون كثيراً، وكان كل واحد منهم من رئيس المحطة حتى أصغر ضابط، قادراً على أن يحل مكان الآخر. وهذا يعني أنه لم تكن هناك غرف مستقلة، وكل ضابط كان يعرف الصورة. ولدى وصول هوارد إلى موسكو كان قادراً على أن يبدأ العمل في الحال وأن يتعرف على المصادر والأساليب القديمة والحديثة. لم يكن هناك وقت للضباط الآخرين ليؤجروا له واستغرق أياماً وأسابيع ليتألف مع عمله.

كان ضباط العمليات في محطة موسكو بحاجة إلى جو معاكس للجو الروسي السائد من عدم الثقة. لقد كانوا بحاجة إلى شيء يجمعهم مع بعضهم البعض. كانت هناك ثقة تامة بين الضباط، وعملوا كوحدة متناكسة.

قبل أن يعين هوارد في محطة موسكو تلقى إنجازات كثيرة واطلع على جميع الملفات في لانغلي وأعد لكي يتعلم كل شيء. في أوائل عام ١٩٨٣ وعشية ذهابه إلى موسكو خضع لاختبار كشف الكذب على آلة البوليزغراف. وكشفت النتيجة عن خداع وشرب ثقيل ومثابرة على تعاطي المخدرات وملاحقة النساء وحتى عن لصوصية ظريفة! وعوضاً عن ذهابه إلى موسكو طرد من الوكالة وأصبح حراً. ماذا كان من المفترض أن يفعلوا معه؟ أن يضعوه في مزرعة حبس؟ لقد كانت له حقوقه الدستورية كمواطن ولم يكن كايبي مدرَكاً من هو هوارد.

هذه القطع ثلاثم بعضها البعض لتشكيل صورة الموزاييك. منذ سنة تلقى كايبي بريقة من رئيس محطة موسكو تنفيد بأنه قد حدث خطأ جسيم. المصادر البشرية التي كان

يزداد عددها ومشاريع جمع المعلومات بالطرق التكنولوجية صحت جميعها فجأة. كانت البريقة مثل افتتاحية رواية تجسس ولكن لم يعرف أحد ما يجب أن يفعل. وبدا كأنه لا توجد مفاتيح لحل هذا اللغز في الوقت الحاضر. ربما كان ذلك حادثاً إذ لم يستمر إلى الأبد أي مصدر بشري أو أي نظام تقني لجمع المعلومات.

عندئذ أوقف بول ستومبو، وهو ضابط في وكالة المخابرات المركزية يعمل تحت غطاء السكوتر الثاني في السفارة ثم أبعاد بسبب التجسس. كان ستومبو ضابط الحلة لخبر الطيران تولكاشيف الذي أمن معلومات حساسة منذ سنوات حول الأبحاث السوفياتية عن التسلل وتكنولوجيا الحد من تأثير الرادار. وسرعان ما أوقف تولكاشيف في موسكو ثم أعدم. فيها بعد: أبعاد أربعة ضباط من وكالة المخابرات المركزية يعملون تحت غطاء في السفارة في موسكو، وعملياً أفلتت المحطة وأوقفت عملياتها.

عندما أنذر يورتنينكو وكالة المخابرات المركزية، رسم الاستنتاج الواضح. حدد مكتب التحقيق الفدرالي مكان إقامة أدوارد في هوارد في نيو مكسيكو ووضع تحت مراقبة شديدة لكن هوارد ضلل مكتب التحقيق الفدرالي وهرب ثم ظهر في موسكو ومنح حق اللجوء السياسي.

هاجمت لجنة استخبارات مجلس الشيوخ بعنف وكالة المخابرات المركزية حول هذا، وتساءل بعض الشيوخ عما إذا كانت هناك عيون وآذان أخرى في الوكالة. كان كايبي والوكالة قاذرين على لوم رئيس الفرقة السوفياتية الذي رحل الآن. لكنّ خسارة الاستخبارات وخيانة هوارد كانتا ضربتين رئيسيتين تسببتا في إلغاء سنوات من الجهد والعمل. كانت محطة موسكو التابعة للفرقة السوفياتية قدس الأقداس ومكاناً لا يمكن اختراقه. أظهرت هذه الحالة أنّ الجميع كانوا ناعمين ولم يكونوا جديين في عملهم حول الاستخبارات ضد الاتحاد السوفياتي. لقد كانت المسألة كبيرة جداً لدرجة أنّ عدداً من الخبراء استنتج أنها تفوق إنجازات كايبي أهمية.

كان كايبي يتأرجح بين الذل والدفاع. وغضب بشدة من موظفيه في داخل الوكالة، وفي الخارج نصب حائطاً وقال لأحد الشيوخ من لجنة الاستخبارات: «أنت تدفع مالاً وتستغل فرصك، أما نحن فلنا فتاحة رديئة وطرق رديئة. لا تنفث على رقبتنا. نحن سنتولى العناية بها. نحن نفهم كم هو خطير هذا وسنقوم بإصلاحه».

كان الجميع يعانون من مشاكل التجسس. عندما كان غولدموتور رئيساً للجنة الاستخبارات كان مكتبه يفتش مرتين في الأسبوع بحثاً عن أجهزة الالتقاط وعثر مرة في طاولة مكتبه على ميكروفون وسلك ولم يتمكنوا من اقتفائه أثره. ومرة ثانية اكتشفت آلة تسجيل ولم يستطع أحد أن يعرف من وضعها، هل هي المخابرات السوفياتية أم إحدى

المخابرات الأجنبية؟ كان هذا ممكناً، أن نفقد الأمرار من مكتب غولدووتر! (٩)

في جو من الجدل الصاحب اقترح الكونغرس على إلغاء توصية كلارك عام ١٩٧٦ التي تمنع المساعدة العسكرية الخفية للثوار في أنغولا، واعتبر كايسي هذا نصراً شخصياً. وفي اجتماع لمجموعة تخطيط الأمن القومي في البيت الأبيض في ذلك الشهر قال الرئيس: «نريد أن يعرف ساقيمي أن الفارس آت».

وقع الرئيس مذكرة سرية لتأمين حوالي ١٣ مليون دولار كمساعدة شبه عسكرية. وتسرب هذا بسرعة. وكان رد فعل الرئيس هذه المرة جازماً إذ قال في لقاء مع محرري الصحافة ومراسلي شبكات الإعلام في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥: «نحن جميعاً نؤمن بأن العملية الخفية هي أكثر فائدة لنا ولها فرص نجاح أكثر من الاقتراحات أو الافتراضات العلنية». إنها لحظة غير عادية وتزبل أي غطاء أو ذريعة، لكن لم تكن موضع انتباه لأن العمل الخفي قد أصبح عملاً علانياً.

كان دورنبرغ هائجاً غضباً، وقال في مقابلاته إن وكالة كايسي ينقصها حس الإدارة وأنها لا تفهم الاتحاد السوفياتي. كان كايسي يخطط لإرسال رسالة علنية إلى دورنبرغ رداً على تصريحاته، إلا أن أحد مساعدي الأخير اتصل بكاييسي على الهاتف في سيارته وحشه على الإحجام عن ذلك. كان دورنبرغ يميل إلى الكلام الفظ القاسي وكان له حس غريب من المرح، وكانت تنتظره ظروف صعبة. قال المساعد لكاييسي: «ولا تفعل ذلك، ستطلق النار على قديمك وعلى أقدامنا».

صرخ كايسي: «أياها الملعون سأقول ما أريد» ورمى الساعة في مكانها. حملت الرسالة العلنية شعوراً بالخيانة وجاء فيها أن دورنبرغ كان يقوم بمراقبة الاستخبارات من خلال الأوساط الصحافية بأسلوب يورط المصادر الاستخبارية الحساسة وأساليب الاستخبارات.

كان دورنبرغ ينتج نحو أزمة حياة زوجية. لقد ترك زوجته وكان على علاقة مع سكرتيرة سابقة أوصى بها للعمل في البيت الأبيض، ثم انتقل إلى مساكن «الملاجئ المسيحية»، وكان زملاؤه الشيوخ يقولون عنه إنه «يسوع الغريب» وغير مستقر. وكان على وشك أن يصاب بانهاجر عقلي. هذا هو الرجل الذي كان على كايسي أن يتقاسم معه أكثر أسرار الأمة أهمية.

قدم كايسي إلى البيت الأبيض المسودة حول مذكرة إيران التي كتبها سبوركين. لقد تضمن أمراً رئاسياً غير عادي يتمتع مدير المخابرات المركزية بموجبه عن إعلام الكونغرس. قال كايسي في مذكرة تغطية إلى بواندكستر إن هذا يجب أن يوقعه الرئيس، وأن لا يمر على أيد دون مسترانا.

(٩) اعترف غولدووتر في مقابلة مع المؤلف في ٨ أيلول/سبتمبر ١٩٨٦ باكتشاف الأثنين في مكتبه.

بعد أسبوع استقال مكفرلين المتعب والذي كان على وشك الإهيار العصبي من وظيفته كمستشار لشؤون الأمن لقومي. وبدا بواندكستر على أنه الاختيار الواضح ليخلفه. كان يريد أن يعتزل بموضوع إيران وليبيا والكونترا. سمع مايك ديفر الذي كان قد ترك البيت الأبيض في مطلع هذا العام وفتح مؤسسة خاصة للعلاقات العامة، شيئاً من هذا، واتصل بناتسي ريغان ليعبر عن عدم ارتياحه. كان يعتقد بأن العسكريين لا يصلحون لوظيفة مستشار لشؤون الأمن القومي، قالت ناتسي: حسناً، ماذا بإمكاننا أن نفعل؟ اتصل ديفر من نيويورك بجورج شولتز على هاتف عمومي وقال: هل بواندكستر هو الرجل الصالح لهذه الوظيفة؟ لقد كان الاميرال كتيو جداً وكان لريغان هذا الجالب وسوف يروق له بواندكستر. إنه ممتاز كرقم ٢ ومفيد جداً في المراكز القيادية.

قال جورج شولتز: «أظن أنه سيكون جيداً. وعلى أي حال فقد تأخرت لأن الرئيس وقع ذلك وسوف يعلن خلال ربع ساعة».

كان كايسي مسروراً من هذا التغيير. كان بواندكستر متشدداً ولم يكن بحاجة لأن يلعب مع الكونغرس أو مع الأوساط الصحافية. عرض بواندكستر في أول إنجاز للرئيس، كمستشار لشؤون الأمن القومي في ٥ كانون الأول/ديسمبر، مذكرة إيران كما وضعتها وكالة المخابرات المركزية كمسودة. كان مكهاون يزعم بواندكستر طوال الأسبوع ليوقع المذكرة ويخرج وكالة المخابرات المركزية من الصنارة. وكان بواندكستر يرى هذه المذكرة على أنها «حماية ظهر» للوكالة. تحدثت هذه المذكرة الصغيرة المؤلفة من صفحة واحدة عن الرهائن والأسلحة، ولم تتضمن شيئاً عن الانفتاح الاستراتيجي على إيران. لكن ريغان قرأها ووقعها. وضع بواندكستر النسخة الوحيدة في خزانته ثم مرر إلى وكالة المخابرات المركزية من خلال نورث أنها قد وقعت.

في ٧ كانون الأول/ديسمبر دعا بواندكستر إلى اجتماع آخر حول إيران في البيت الأبيض. حضر مكهاون عن كايسي. عارض شولتز فكرة الأسلحة مقابل الرهائن. إنها تعطي إشارة إلى الإيرانيين أنه يمكنهم خطف الناس لقاء فائدة. قال وينبرغر إن الفكرة عرضت الولايات المتحدة لايتراز من إيران وإسرائيل.

تساءل مكهاون: هل هناك معتدلون في إيران يمكن للولايات المتحدة أن تتعامل معهم؟ لقد قتلوا جميعاً أو سجنوا. قال الرئيس: علينا أن لا نترك أي حجر دون أن نستخلصه، وذلك بهدف إطلاق سراح الرهائن، ويجب اتخاذ الخطوة التالية، إيفاد مكفرلين وهو الآن مواطن عادي والمقدم نورث إلى لندن للاجتماع مع الوسيط الإيراني غوربانشار.

في ١٠ كانون الأول/ديسمبر قدم مكفرلين تقريراً إلى الرئيس ووينبرغر وكاييسي وقال إن غوربانشار ينقصه التكامل والثقة. كان الرئيس مستغرقاً في تفكير حالم وحزين، وعرض أن تقدم إسرائيل بشحن مزيد من الأسلحة لإيران، ويمكن تبرير ذلك في المستقبل بأن الولايات المتحدة كانت تريد التأثير على مستقبل إيران.

أشار كايبي إلى أن هناك سابقة. لقد بلغت مبيعات الأسلحة الإسرائيلية لإيران وبطريقة سرية حوالي ٥٥٠ مليون دولار. ولن تستطيع أية أمة أن تدبر ظهورها لمستقبل إيران. في ذلك النهار ارسل كايبي مذكرة إلى مكهاون: «بعد انتهاء الاجتماع شعرت بأن الرئيس لم يتقبل كلياً فكرة تشجيع الإسرائيليين على نقل الأسلحة إلى إيران، وشككت في أنه ينوي ركوب هذه المخاطرة وتحمل مسؤوليتها في المستقبل إذا أدى ذلك إلى إطلاق سراح الرهائن. يبدو أن مكفرلين يعمل بشكل صحيح».

بعد تسعة أيام اجتمع كايبي مع مايكل ليدن وهو مستشار في مجلس الأمن القومي ومقرب من مكفرلين ونورث. قال ليدن أن غوربانشار سيحضر إلى واشنطن وبحوزته معلومات هامة واقتراحات للعملية. وضع كايبي ليدن ونورث على اتصال مع رئيس مكتب إيران في الوكالة.

في واشنطن نزل غوربانشار في فندق ماديسون باسم مستعار هو نيكولاس كرايلس. اقترح ليدن ونورث وغوربانشار بعد سلسلة اجتماعات عملية لُعن ضد القذافي حيث يدفع الزعيم الليبي بموجبها عشرة ملايين دولار ثمن اختفاء زعيم المبعدين الليبيين «المقريف» الذي سيعود بعدها في الظهور إرباكاً للقذافي، وقال غوربانشار إن لديه معلومات عن فريق اغتيال إيراني مؤلف من ثلاثة أشخاص لاغتيال بعض المعارضين الإيرانيين في أوروبا. وسمى غوربانشار مصدر معلوماته الذي كان قد تبين في السابق أنه كاذب.

أرسل رئيس مكتب إيران في وكالة المخابرات المركزية مذكرة إلى كايبي: «إن تقرير غوربانشار حول هذا الفريق كان من البقايا القديمة لتقاريره السابقة حول الأدهاب، والتي تبين أنها ملفقة، وذلك بعد التحقيق فيها وإجراء اختبار كشف الكذب على آلة البولوغراف... كانت هذه مشكلة دائمة خلال السنوات الأربع التي عرفناه فيها... ومن الصعب أن نجد في ملفه أي تقرير يستند إلى وقائع صلبة».

قبل يومين من عيد الميلاد أرسل كايبي مذكرة سرية إلى الرئيس حول خمس عمليات منفصلة لإنقاذ الرهائن. قال إنه يريد الذهاب إلى خارج المدينة وأنه أسف لأنه لن يستطيع أن يلتقي الرئيس في الأعياد، وأول أربع عمليات ستساهم فيها بلدان أخرى تدعم الوكالة سرراً، أما الخامسة فتتعلق بإيران. فيما يتعلق بغوربانشار قال كايبي إن لعبته خطيرة ولكنها مفيدة جداً. كان تقرير غوربانشار حول فريق الاغتيال الإيراني عيباً. «لقد تحققنا من تحركاتهم ولكننا لم نتأكد من أهدافهم» وأضاف المدير للرئيس: «يمكن أن يكون ذلك خداعاً للتأثير علينا. يجب أن نشبه ونكون حذرين عندما نتكلم مع غوربانشار، وعندما تكلم رجلاً معه يوم السبت وسأله عما إذا كان هناك مجال لأن يخضع لاختبار كشف الكذب على آلة البولوغراف أجاب أنه موافق».

- ٢٢ -

كان كايبي يبذل جهوداً خاصة لتمويل الكونترا مباشرة من الولايات المتحدة. وكان مكفرلين قد تبني قبل استقالته جهود نورث للتمويل الخاص وذلك بأن أنكر أمام الكونغرس أن نورث كان يسهل التبرعات الخاصة. كان هناك خلاف داخل الكونغرس حول موضوع الكونترا إذ كان اليسار المتطرف فقط يطلب التخلي عن الكونترا نهائياً. وظن كايبي أن بإمكانه أن يستغل هذا الخلاف لمصلحته. شهد هذا الصيف تساهلاً نسبياً من قبل الكونغرس، فقد وافق على تقديم مساعدات إنسانية وغذائية وطبية للكونترا بقيمة ٢٧ مليون دولار. كذلك حذر كايبي من أن يقوم الجيش السانديني بسحق الكونترا لأنه كان أقوى منها. طلبت الوكالة السماح بإعطاء الكونترا معدات خاصة للاتصالات وتزويدها «بمصالح» استخبارية فوافق الكونغرس أيضاً. لكنّ المشرعين لم يوافقوا على تعميم «النصائح» وكثرت الرسائل من وإلى لجنة استخبارات مجلس الشيوخ ولجنة استخبارات مجلس النواب تطلب تحديد ما إذا كان يمكن تقديم نصائح في مجال النقل أو اللوجستية. إلا أن كايبي كسب مصادقة الكونغرس لمدة نصف سنة واستفاد من الغموض المحيط بالقضية ليأخذ مهلة أكبر. أدرك أنه في حرب أدغال وأن نصائح وإرشادات المخابرات وأجهزة الاتصالات الحديثة هي أكبر أهمية للعصابات من الأسلحة الجديدة والذخائر. وتم إعداد مسودة مذكرة وقعتها الرئيس ريجان وخصص بموجبها ١٣ مليون دولار لهذا العمل.

لقد سمح القانون الجديد لكايبي بأن يساهم مباشرة في جمع معلوماته الخاصة حول الكونترا. اقترح نورث عليه أن يتكلم مع الجنرال سكورد الذي كان يدير عملية الدعم الخاصة. قبل الميلاد تماماً اتصل كايبي بسكورد وطلب منه الحضور إلى لانغلي في الحال. كان الطقس عاطلاً وتأخر سكورد لكنّ كايبي انتظره. استقبل كايبي الجنرال سكورد وكان ذلك أول لقاء بينهما، لكنها كان يعرفان الكثير عن بعضهما البعض وعندما جلس كل منهما على كرسيه طلب كايبي تقوياً.

نظر سكورد من خلف نظارتيه المشاهدين لنظارات الطيارين، وهو ثابت واثق من نفسه وهو الخبير في اللوجستية والتنميين، وقال: ليس لدى الكونترا أية فرصة للفوز إذا لم تنفذ عملية النقل الجوي ميدانياً. يمكن أن تنقل الأسلحة والمؤن إلى الجوار وليس إلى القتالين في الأدغال وحتى إذا أنجز هذا العمل فإنه يتحفظ حول قدرة الكونترا على تحقيق النصر: لم يكن هناك جبهة فعالة من الجنوب أي من كوستاريكا.

وقال الجنرال: إضافة إلى عدم ملائمة جهود التنميين فإنه لا توجد أية إمكانية للاستخبارات. وبصراحة فإنه لم يجد بين الكونترا الزعامة المؤهلة لتحقيق النصر العسكري. وافق كايبي، وكان معجباً بجهود الجنرال سكورد بالرغم من الظروف الصعبة، وسأل: كيف بإمكاننا أن نساعد؟ أجاب سكورد: بمعلومات الاستخبارات.

سجل كايبي بعض الملاحظات باختصار ووعده بالبحث فيها. قال سكورد: السيد المدير عندما تحصلون على رخصة الصيد، فإن جميع المصادر التي نخلقها تكون لكم، أعني أنهم يستطيعون أن يمضوا في الموضوع معكم وأنا أؤكد ذلك. أجاب كايبي: شكراً جزيلاً.

بعد يومين من عيد الميلاد ضرب الإرهابيون في هجمات منسقة مطاري روما وقينا وقتل ١٩ شخصاً من بينهم خمسة أميركيين ومن ضمنهم ناتاشا سيمبسون وعمرها ١١ سنة. كانت الصور التلفزيونية لما سمي بمذبحة عيد الميلاد رهيبة. الجثث والدمار في أنحاء المطار. ضربة وكضربات المافيا. صعد الرئيس ريغان الذي كان في مزرعته في كاليفورنيا، ودارت الشكوك في وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي حول مسؤولية ليبيا؛ عقدت جولة من الاجتماعات في البيت الأبيض، وكان رجال كايبي في هذه الاجتماعات برت دان من مديرة العمليات وريتشارد كير نائب غايتس. لقد اعتقد بأن أبو نضال الذي كان في ليبيا منذ مدة كان وراء هذه الهجمات إلا أنهم لم يتمكنوا من التأكد. وقد ثبت أصعب دليل بالصدفة: تقرير يفيد بأن عملاء القذافي قد حولوا مبلغ مليون دولار لرقم حساب أبو نضال في مصرف في بلغاريا. إلا أنه تبين أن ذلك قد حدث منذ بضع سنوات. تم عرض أهداف لرد فعل عسكري تدرجت من تخيم لتدريب الإرهابيين قرب ملعب غولف سابق في طرابلس إلى مبنى قيادة غابرات القذافي في قلب مدينة طرابلس. في اليوم التالي حذرت وزارة الدفاع من أن هناك ١٥٠٠ مستشار سوفياتي في ليبيا منهم ٦٠٠ يساهمون مباشرة في الدفاع الجوي. كم سوفياتياً يمكن أن تنقل في ضربة جوية أميركية؟ وماذا يعني ذلك؟ أوقف كل شيء بانتظار عودة الرئيس.

بعد فترة طلب نورث من سيوركين أن يعد مسودة مذكرة جديدة حول إيران تسمح بعملية استخبارية سرية بالتنسيق مع استخبارات صديقة (أي إسرائيل) وبعض الأفراد (غوربانشاف وسكورد) وكان لها هدفان: إقامة حكومة معتدلة في إيران، والحصول على استخبارات هامة. لم يؤت على ذكر الرهائن.

سحب سيوركين كايبي من ملعب غولف في فلوريدا ليتكلم معه على الهاتف. لم يكن الحظ آمناً لذلك قال له سيوركين إنه قد طلب منه تأمين بعض الخدمات للبيت الأبيض وأن يحضر اجتماعاً آخر. هل كان كايبي يعرف ما يجري؟ قال كايبي: لا.

- هل تريد مني أن أحضر هذا الاجتماع؟

- اذهب ولكن ابق على اتصال معي.

تلك الليلة في ٣ كانون الثاني/يناير اجتمع سيوركين مع نورث الذي قال إنه سيشاور كايبي.

في صباح يوم الأحد ٥ كانون الثاني/يناير اتصل نورث بسيوركين في منزله وكان من المقرر أن يلتقي الاثنان مع المدير الذي كان قادماً من فلوريدا في منزله.

قرأ كايبي المذكرة الجديدة حول إيران وقال لنورث وسيوركين أنها تبدو جيدة. وبينما كانا يتركان المنزل أوقف سيوركين نورث في المدخل وقال له: قل لي مجدداً لماذا لا نضع الرهائن في هذه الرقعة؟

قال نورث: إن وزارة الخارجية لا تريد ذلك لأنها تصبح مثل السلاح مقابل الرهائن. قال سيوركين: حسناً، هذا لا يبدو صحيحاً بالنسبة إلي. تعال لنرى المدير مجدداً.

عادا للمقابلة كايبي وقال سيوركين أن هذه أكثر المذكرات حساسية ويجب أن تكون غلصة. ولهذا تم إضافة هدف ثالث: «إطلاق سراح الرهائن المحتجزة في بيروت».

في الأسبوع التالي تارجمت أفضليات العمل في البيت الأبيض بين إيران وليبيا. في يوم الاثنين ٦ كانون الثاني/يناير وفي اجتماع لمجموعة تخطيط الأمن القومي حول ليبيا في غرفة الأوضاع، صادق الرئيس ريغان على خطة لتكثيف وتوسيع الجهود الخفية للإطاحة بالقذافي والاستمرار في التخطيط السري (عملية الزهرة) لضربة عسكرية مصرية أميركية

عتملة ضد ليبيا. وأجل اتخاذ قرار حول هجوم جوي أميركي مباشر. وفي اليوم التالي اجتمعت مجموعة تخطيط الأمن القومي لدراسة الخيار العسكري. أحضر شولتز معه رأياً من المستشار القانوني لوزارة الخارجية يقول إن الإرهاب هو اعتداء مسلح وإن الرد العسكري هو

دفاع عن النفس. عارض وينبرغر وقال: افترض أن القذافي أسقط طائرات أميركية وأسر طيارين أميركيين، سيكون هناك المزيد من الرهائن. وكان تأثير كلمة الرهائن عليهم قوياً.

رفض الرئيس الخيار العسكري وخرج وينبرغر من غرفة الأوضاع وهو يبتسم. انتقل الرئيس ونائب الرئيس وبينبرغر وكايبي ورونالد ريغان وميز وبواندكستر إلى

المكتب البيضاوي للبحث في موضوع إيران.

قدم بواندكستر خطة للاستمرار في بيع الأسلحة. لقد طلبت إيران مظهرراً للثقة والصفقة ستأخذ طريقها للتنفيذ في مدة قصيرة من ٣٠ إلى ٦٠ يوماً وسوف تطلق إيران

سراح خمس رهائن أميركية. وبسبب حساسية القضية والخطر الداهم على حياة الرهائن لن

تُعلم لجنتا الاستخبارات في الكونغرس حتى يتحرك الرهائن ويصحبوا على متن الطائرة في طريقهم من لبنان.

كان شولتز متوتراً وقال إنه يعارض. إن هذا سينسف كل سياسة الولايات المتحدة حول الإرهاب والتي أعاد تذكيرهم بها: عدم التعامل مع الإرهابيين وعدم بيعهم السلاح وعدم دفع أية فدية لقاء إطلاق سراح الرهائن.

عارض وينبرغر أيضاً وقال إن الخطوة ستعرض الولايات المتحدة للابتزاز. عندما لا يحصل الإيرانيون على ما يريدون فإنهم سيهددون بكشف هذا الترتيب في «طراز شرق أوسطي».

قال بواندكستر إن هذا وضع خاص وهو استثناء وليس مغايراً للسياسة العامة.

قال شولتز: إنها لن تنجح.

كان كايسي يحذّر ذلك كثيراً وقال إن الصفقة ستفشل بسرعة وإذا لم تعط أول صفقة أسلحة النتائج المرجوة ستوقف العملية. إن إيران دوراً خاصاً في العالم ولها موقع خاص على الخريطة مباشرة تحت الاتحاد السوفياتي. لا يجوز أن تدير الولايات المتحدة ظهرها لإيران وتتركها فريسة للتنفوذ السوفياتي.

سأل أحدهم: ماذا عن الوسيط الإيراني غوربانيقار؟ وكانت ملاحظة وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٨٤ قد أعلنت أنه ملفق كبير. هل يستطيعون استخدامه؟ وهل هو موضع ثقة؟ أجاب كايسي أن غوربانيقار يستطيع تسليم الرهائن وأثبت ذلك بإطلاق سراح وير منذ ثلاثة أشهر. كانت له اتصالات قوية في إيران ومع هذا فشل في اختبار كشف الكذب على آلة البوليجراف وسيخضع لاختبار آخر.

انفض الاجتماع بانفراج أن الرئيس سيمثي قدماً في الموضوع.

في ١١ كانون الثاني/يناير وصل غوربانيقار إلى واشنطن وتعرض لاختبار كشف الكذب على آلة البوليجراف في فندق فورسيزونز. وصل تقرير الاختبار إلى كايسي. لقد أظهر خداعاً ومكرًا في جميع الأسئلة الحيوية، ولحق معلومات حول نشاط الإرهابيين. ظهر خداعه في ١٣ سؤالاً من أصل ١٥.

أعطى الأشخاص الذين سئل عنهم غوربانيقار أحرفاً للتعريف عنهم في التقرير وذلك حماية لهم وتدرجت الأحرف من A إلى L. مثلاً كان لغوربانيقار معلومات عن C الذي طلب من شخص إيراني آخر ٣٠٠ كلف من متفجرات البلاستيك لاستعمالها ضد المؤسسات الأميركية في العربية السعودية. وكان C يخطط لتسليم أسلحة بقيمة ٦ ملايين دولار للإرهابيين.

أعطى كايسي توجيهاته لشارلي آلن ليقابل غوربانيقار لمدة خمس ساعات في ١٣ كانون الثاني/يناير. وسرعان ما قدم آلن تقريراً من تسع صفحات جاء فيه: «غوربانيقار رجل مثير

ومغرور ويجب مراعاة غروره ويملك طاقة كبيرة للعمل. ذكي وكان قد كسب مبلغاً لا بأس به من المال في تجارة الأسلحة وتأمين خدمات أخرى. إنه صادق حول ما يأمل بالحصول عليه من الولايات المتحدة».

وفيما يتعلق بالرهائن جاء في التقرير: إن غوربانيقار سوف يعمل مع البيت الأبيض في هذه القضية وسيكون ذلك موضوعاً متفصلاً. «لدينا إثبات قوي على أنه وثيق الصلة برئيس الوزراء ووزير النفط وبعض المسؤولين. إنه لا يغالي ولا يضلخ الأمور. «إن أسوأ طريقة للتقرب منه هو محاولة إرشاده وتعليمه».

في الليلة التالية التقى كايسي بنورث وأبلغه أن وينبرغر استمر في خلق الحواجز حتى أخبره بواندكستر أن الرئيس أراد لمبادرة إيران أن تبدأ بالعمل. اقترح كايسي اجتماعاً.

وفي ١٦ كانون الثاني/يناير عقد اجتماع في مكتب بواندكستر ضمّه وكايسي ووينبرغر وميزر. قال وزير العدل ميزر إن رأيه في الامتناع عن إعلام الكونغرس كان قانونياً. وبموجب المذكرة المقترحة يمكن إعلام الكونغرس عند إطلاق سراح الرهائن واتفقوا على أن يقدم الرئيس تقريراً إلى الكونغرس يبرر ما فعله حتى لو كان ذلك يعني أنه سيركّب الحكم على الأثر.

وقع الرئيس ريغان المذكرة في اليوم التالي، وهي تسمح ببيع الأسلحة إلى إيران من خلال وكالة المخابرات المركزية: ووضع بواندكستر النسخة الوحيدة في خزانته.

توجه مدير العمليات في وكالة المخابرات المركزية كلير جورج إلى البيت الأبيض وقرأ المذكرة في مكتب بواندكستر. ستحتاج الوكالة إلى ٤٥٠٨ صواريخ تاو. رفض جورج استخدام غوربانيقار بسبب تعامله بنتائج اختبار كشف الكذب على آلة البوليجراف (الشيء الوحيد الذي كان صادفاً فيه هو اسمه!).

درس كايسي الوضع بسرعة. لقد كان غوربانيقار نذلاً وللموالات تجارب كثيرة معه أثبت فيها عدم مصداقيته. لكن كان هناك شيء ما في هذه الفتاة. قال كايسي لا أحد غيره يقوم بذلك، دعنا نرّ أين يذهب بنا وإذا لم يسلم الرهائن فسوف نوقف العملية.

توجه مكماهون إلى مكتب بواندكستر ليقرأ المذكرة واكتشف أن مستشار شؤون الأمن القومي كان يخطط لإعطاء معلومات استخباراتية تساعد الإيرانيين في حروبهم مع العراق.

قال مكماهون: «يمكن أن يعطيهم ذلك دعماً دفاعياً قوياً قد يؤدي إلى نتائج مفاجئة وعنيفة». أه يا أخي الوكالة تقوم الآن بعملية لتأمين معلومات للعراق عن وضع الجبهة. هل كانت الوكالة والحكومة الأميركية تؤمن معلومات الاستخبارات لكلا الجانبين؟ إن هذا يدعو إلى السخرية.

أصرّ بواندكستر على أنه سيختبر الفتاة بألف صاروخ تاو ليرى ما إذا كان الرهائن سيقطعون.

اعترض مكهاون.

قال بواندكستر: «يجب أن لا نفقد هذه الفرصة» وأضاف دون أن يتحدى وجهة نظر مكهاون مباشرة: «يجب أن نتابع، وإذا فشلنا فإن خسارتنا ستقتصر على ألف صاروخ تاو ومعلومات قليلة وإذا نجحنا فإننا ربما نغير أشياء كثيرة في الشرق الأوسط.

أسرع مكهاون بالعودة إلى لانغلي. لاحق كايبي الذي كان في الخارج بالبرقيات، ثم أفتع نورث بعدم تزويد إيران بكامل الصورة الاستخبارية على الجبهة، وسيكون قسم منها كافياً لإظهار الثقة.

في حوالي الساعة الخامسة من مساء ٢٣ كانون الثاني/يناير توجه بواندكستر إلى غرفة الأخبار في الواشنطن بوست ودخل مكتب برادي. كان بحوزتنا أخبار عن ليبيا معدة للنشر في عدد اليوم التالي، تفيد بأنه من المقرر أن يوفد الرئيس ريغان في اليوم التالي وبصورة سرية رئيس قسم التخطيط في الأركان المشتركة الجنرال ديل فاسر إلى القاهرة ليتابع التخطيط السري للقيام بهجوم مشترك على القذافي (الزهرة).

قال بواندكستر لبرادي إن نشر هذا الخبر سيعيق الرئيس في تعامله مع الإرهاب والقذافي. وقال كمن يعلن حرباً: إنه غير مسموح لأي صحيفة أميركية أن تنشر خططاً سرية، وإذا نشرت الواشنطن بوست هذا الخبر فسوف يلقي المصريون مهمة فاسر. قال بواندكستر إن الخبر كان أكثر تقيداً لكن الواشنطن بوست اكتفت بالخطوط العامة.

قال برادي إنه لا يفهم لماذا يستشهد بواندكستر بالأمن القومي إذا لم يكن الرئيس يخطط لعمل جدي. وطلب بواندكستر إعلامه عن نية برادي في النشر، ثم غادر.

بعد أخذ ورد قرر برادي أن ينشر ملخصاً صغيراً حول مهمة فاسر، وأن يضعه ضمن مقال عن تحركات حاملتي طائرات أميركية للقيام بمناورات قرب الساحل الليبي. وورد ذلك في القطع الخامس: «أمر الرئيس ريغان بإرسال مبعوث إلى مصر لإجراء مباحثات حول التنسيق المحتمل حول الخيارات العسكرية».

اتصل برادي ببواندكستر ليخبره أنه لن يذكر اسم فاسر ولا موعد مغادرته في اليوم التالي. اعترض بواندكستر بعنف لأن نشر الخبر سوف يؤدي إلى إلغاء مهمة فاسر السرية لأن المصريين كانوا حساسين من التشريرات بطريقة غير معقولة. وفي صباح اليوم التالي أوردت معظم وسائل الإعلام نبأ يفيد عن خطط أميركية لإجراء مناورات لحاملات الطائرات بالقرب من السواحل الليبية ولم تأت الواشنطن بوست على ذكر مبعوث أميركي غير مسمى. لم يلق البيت الأبيض أسئلة صحافية حول الموضوع كما أن السفارة المصرية لم تتصل بوزارة الخارجية أو بمجلس الأمن القومي. ذهل بواندكستر، وعندما سأل أحد أركان مجلس الأمن القومي ماذا تفعل؟ أجاب دون فورتييه وهو نائب بواندكستر «حظر توزيع صحيفة الواشنطن بوست في مصر». وضحك الجميع.

أجل بواندكستر مهمة فاسر لعدة أسابيع. وبعد اجتماع آخر في البيت الأبيض كتب بواندكستر أن الرئيس وافق على استمرار خطتي «الوردة» و«الزهرة» وفي حال الهجوم على ليبيا سيكون دور الولايات المتحدة تأمين مساندة قتالية داخل ليبيا. وكانت مهمة فاسر بحث أربعة خيارات مع مصر ثلاثة منها دفاعية والرابع ضربة وقائية في ليبيا. سافر فاسر إلى مصر وأجرى مباحثاته ثم عاد وأبلغ بواندكستر أنها كانت مثمرة. قلب كايبي صفحات التقرير القصلي حول عدم الاستقرار السياسي. وشمل هذا التقرير ٣٦ بلداً وضعت في ثلاث فئات:

- بلدان ذات أهمية استراتيجية عالية بالنسبة إلى الولايات المتحدة.

- بلدان ذات أهمية استراتيجية متوسطة.

- بلدان قليلة الأهمية. كما وضعت ثلاث فئات إضافية: عدم استقرار سياسي عالٍ، وعدم استقرار سياسي متوسط، وعدم استقرار سياسي ضعيف، وهذا ما جعل في البيان المنظم تسع خانات.

كانت الفيليبين في خانة الأهمية الاستراتيجية العالية وعدم الاستقرار السياسي العالي. كان الرئيس ماركوس الذي مضى على حكمه عشرين سنة منها عشر سنوات كحكم عرفي قضاه في حالة صحية متدهورة. وقد رأى كايبي أنه قد يواجه مصير شاه إيران، وشعر بأنه من المهم عدم التخلي عن ماركوس. انتقل رئيس محطة مانايلا روبرت غريبي إلى قيادة الوكالة ليرأس فرقة شرقي آسيا في مديرية العمليات، وسرعان ما صار من مافيا كايبي الإيرلندية في لانغلي. كان غريبي يصر على أن لا تقتصر اتصالات الوكالة على ماركوس بل أن تتوسع لتشمل المعارضة السياسية. وفي السنوات الماضية دُرِس موضوع تقديم دعم سياسي خفي لخصوم ماركوس وتقديم مساعدة مالية تبلغ حوالي ١٠٠ ألف دولار كمصاريف طباعة وسفر، وذلك لبناء جسور مع المعارضة الفيليبينية. ولكن عملاً كهذا، يمكن أن تسرب المعلومات عنه، مما يؤدي إلى تعريض العلاقات للخطر. ما زال ماركوس شخصية نافذة وصديقاً كبيراً. زار كايبي الفيليبين وكانت له لقاءات شخصية ومنظمة واستخبارية مع ماركوس الذي كان يسبح عكس التيار. وكانت الفيليبين تحوي أكبر قاعدتين عسكريتين أميركيتين خارج الولايات المتحدة، وهما قاعدة كلارك الجوية وقاعدة خليج سايك البحرية اللتان تتمتعان بأهمية استراتيجية بالغة، وهكذا فإن أي اضطرابات في الفيليبين يمكن أن تظهر الانتفاضة خلال عهد كارتر تافهة بالنسبة إليها.

كان السؤال الدائم لكايبي في الوكالة: ماذا عن الفيليبين؟ كانت المشكلة هي الثورة الشيوعية وليس ماركوس. إلا أن وزارة الخارجية وبعض محلي الوكالة لم يروا ذلك وكشفوا عن فساد ماركوس وعزله وضعف شعبيته. وبعد تنظيم تقديرين بقي كايبي متعلّقاً بماركوس. لأن البديل سيكون كوراوون أكتيو أرملة زعيم المعارضة السابق بنينو أكتيو التي

شعر كايسي بأنها ضعيفة وقد تسلم البلاد للشيعيين. كانت ربة منزل وليس لها خبرة سياسية ومن المضحك أن نتخيل أنها تستطيع الوقوف ضد الشيعيين.

أما شولتز فقد انقلب رأيه وراى أنَّ ماركوس قد انتهى. ولكنَّ زوجة الرئيس السليدة ريغان (التي كانت على علاقة وثيقة باميلدا ماركوس) وكايسي لم يترجحا عن رأيهما. بالنسبة لشولتز كان ذلك أكبر دليل على أنَّ كايسي قد فقد النظرة الصحيحة إلى الأمور. إنَّ موقف كايسي المؤيد لماركوس بشدة أبقى سياسة الولايات المتحدة إلى جانب القيادة الفيليبينية. دعا ماركوس بكل ثقة إلى إجراء انتخابات مبكرة في شباط/فبراير ١٩٨٦ جذبت انتباهاً واسعاً، واستتج عدد من مراقبي الكونغرس الأميركي أنَّ ماركوس سيحاول تزويرها. ظهرت في الأخبار صور جيش العاملين في حملة أكتينو، ومع ذلك قال الرئيس ريغان في مؤتمر صحفي إنَّ هذا يمكن أن يكون قد حصل في الجانبيين. هذه الملاحظة وقعت في وجه جميع المحققين والإثباتات، وفي النهاية لا يستطيع لاهو ولا كايسي إنكارها. وهكذا تمَّ اعتداد الحل الذي لا بدَّ منه، وهو إرسال ماركوس إلى المنفى وإعلان أكتينو رئيسة للبلاد.

في ٢٧ شباط/فبراير اجتمع كايسي وكليز جورج مع بوندكستر ونورث حول المسألة الإيرانية. كان كايسي تواقاً لأن يزيع إسرائيل وغوربانيقار من المفاوضات الدائرة. وكان تيريو كايسي هو أننا لا نستطيع أن نتحمل المزيد من المحادثات الهاتفية التي يستطيع السوقيات والأخرون الاستعاضة لها ونحن بحاجة أيضاً إلى خطة دائمة للتصرف في حال تسرب المباحثات. إنَّ حقيقة هذه المباحثات بين الولايات المتحدة وإيران يمكن أن تغير العالم كله. وقد يتجه العالم العربي نحو الجون إلا إذا تمَّ شرح لوضع المباحثات بشكل ملائم. وفي حديث عن الخطوة التالية التي تضمنت اجتمعاً بين مكفرلين ومثل عن إيران قال كايسي يجب أن نتأكد أنَّ تسريب نبأ هذا الاجتماع هو عمل لمصلحة إسرائيل. هناك أربعة رجال فقط في إسرائيل يعرفون عنه، وقد اعتقدوا الآن بأنَّ رئيس مجلس الشورى الإسلامي رفسنجاني سوف يحضر للقاء مكفرلين في أوروبا، وكان نورث عائداً لثوه من ألمانيا الغربية حيث التقى مسؤولاً من مكتب رفسنجاني.

أرسل مكفرلين رسالة على الكومبيوتر من منزله إلى نورث يقول فيها: «حسناً فعلت - إذا عرف العالم أنك حافظت على تكامل سياسة الولايات المتحدة وروح المبادرة فيها، فسوف يعينونك وزيراً للخارجية لكنهم لا يستطيعون الآن - هذه هي حالة الديمقراطية في القرن العشرين».

في تلك الليلة أجاب نورث: «تأكد أننا نسير في الاتجاه الصحيح وسوف يتبنى شولتز هذا في المستقبل عندما يوجز له بوندكستر. بالانكفال على الله ومساعدته وإهامه لنا ويعملنا الشاق سوف نجد عما قريب الرهائن في منازلهم ونكون في طريقنا نحو علاقات إيجابية أكثر من مقايضة صواريخ ناو بحياة الناس... بوندكستر على حد علمي مهتم جداً بهذه المسألة بأنها تسير وفقاً للخطة الموضوعة. إنَّ دوري فيها كان سهلاً بالمقارنة مع دوره إذ إنَّه

يتوجب علي أن أتعامل مع الأعداء فقط بينما عليه أن يتعامل مع الحكومة».

أضاف نورث أنه سيحاول عقد اجتماع مع مكفرلين وبوندكستر وسكورد الذي كان يدير عملية النقل الخاص للأسلحة إلى الكوترا وقال: «سيعود سكورد غداً من أوروبا حيث يعمل في تأمين صفقة سلاح للكوترا، وهو رجل متعدد المواهب».

تشارك رئيس فرقة الشرق الأدنى في وكالة المخابرات المركزية توم تويتن الذي كان حاضراً في لقاء نورث في أوروبا لأنَّ الرجل الذي حضر من مكتب رفسنجاني كان متخوفاً ويرى أنَّ الولايات المتحدة هي الشيطان الأكبر، وكذلك غوربانيقار فإنه قد كذب على الفريقين إذ وعد الولايات المتحدة بإطلاق سراح جميع الرهائن ووعد الإيرانيين بالتجهيزات العسكرية والصواريخ المتطورة. وكان هذا من أجل إحضار الجميع إلى طاولة المفاوضات وعندما يجلس الجميع إليها سيقرب غوربانيقار المباراة العنيفة. تمَّ شحن ١٠٠٠ صاروخ ناو إلى إيران وهي أول شحنة أميركية مباشرة، ولكن لم يطلق سراح أي من الرهائن. تصرف غوربانيقار وكأنَّ الكرة ما تزال في ملعب الأميركيين وقال في اجتماع آخر إنَّ الإيرانيين لا يريدون صواريخ ناو لأنها لا تقدم لهم شيئاً.

شيع بوندكستر من هذا وأراد أن يوقف القضية برمتها. قال لنورث: «انس القضية لأنَّ فيها الكثير من التحركات المختلطة والتعامل المزودج ولن تؤدي إلى أية نتيجة». أما نورث فإنه بدلاً من ذلك تابع العمل في القضية. لقد تفهم هاجس الرئيس العاطفي لإطلاق سراح الرهائن. لقد كانوا خائفين من أن تعود الوشاحات الصفر، وهو خوف يمكن أن ينتاب الرئيس كما انتاب الرئيس السابق حول إيران.

وافق كايسي على وجوب استمرار المبادرة لأنَّ الاخطار كانت قليلة والأسلحة التي تقدمت لم تكن ذات دلالة كما أنَّ المعلومات المقدمة إلى إيران لا تسمح بحسم الحرب العراقية الإيرانية.

كان مكهاون قلقاً حول توسيع دور الوكالة كما أنَّ ترتيبات تسليم المعلومات السرية للعراق، عدو إيران، والبيانات المأخوذة عن صور الأقمار الاصطناعية، وإعطاء المعلومات والبيانات التكتيكية للجانبيين، كل ذلك وضع الوكالة في موقف حرج، وهذا ليس نظرياً لأنَّ الحرب كانت دموية، فقد دفع الإيرانيون بموجات بشرية من المراهقين والجنود غير النظاميين وقد بلغ عدد القتل والجرح والأسرى في هذه الحرب حوالي المليون في الجانبيين. إنها ليست لعبة، إنها مذبحة.

كان هذا هو المشروع، وخداع الكونغرس قبلته موقوفة. كان مكهاون متأكد من ذلك. إنها كانت آخر محاولة. توجه إلى كايسي وقال له إنَّ أربع سنوات ككاتب مدير الوكالة و٣٤ سنة خدمة في الوكالة تكفي، وأنَّ زواجه كاد أن ينفك. إنه يحتاج إلى تغيير ما، يريد الخروج من الوكالة.

أصيب كايبي بخيبة أمل. كان مكهاون منافساً جيداً. كان يتذبذب صعوداً أو نزولاً حول العمل الخفي ولكنه في النهاية كان يخضع لسلطة الرئيس ومدير المخابرات المركزية. قال مكهاون إنه كان يخطط لأن يتسلم وظيفة نائب رئيس لمشاريع استخبارات سوداء لفرع شركة لوكهيد في كاليفورنيا.

قال كايبي: أنت ممتاز كي تكون بائع طائرات، يجب أن تذهب فوراً وتبدأ عملك الخاص وتجرب فرص الرأسمالية. تبسم مكهاون وأعد رسالة الاستقالة إلى الرئيس وعبر عن مشاعر غمطلة لغادرته، ونوه بأن كايبي كان شخصية هامة ووحيدة. وهكذا رقى كايبي غائس إلى نائب مدير المخابرات المركزية، فأصبح الرجل رقم ٢ في الوكالة، وهو محل كبير لم تقتصر اهتماماته على الأعمال الخفية.

في ١ آذار/مارس أقامت برناديت كايبي سميث حفلة عشاء في ذكرى مرور ٤٥ عاماً على زواج والديها في فندق ووترغيت وكانت حفلة رسمية حضرها سبعون شخصاً من ضمنهم كسينجر، سيوركين، طوني دولان، جين كيركباتريك، مكهاون، غايس، ميز، إلا أن ريغان لم يحضر وكان من المفترض أن يحضر بوش غير أنه تعيب. بعد العشاء قالت برناديت: «أردت أن يكون هذا نصف مفاجأة» ثم توقفت وقالت: «ولكن تعلمون أنه من الصعب أن يبقى ذلك سرّاً وعلى الوالد بصورة خاصة»، وضحك الجميع وصرخ أحد الحاضرين قائلاً: «هذا ما قاله الحلفاء» وتعالى ضحك كثير. ثم تحدث ميز وقال: «إنه لولا عمل كايبي عام ١٩٨٠ لما كان معظم الناس الموجودين في هذه القاعة هنا». قال إن بيل وصوفيا كان لهما زواج مميز. قالت برناديت: «أمل أن تكون هنا بعد ٥٠ سنة للاحتفال بالذكرى السبعين لزواج أبي وأمي»، وضحك الجميع.

على الرغم من أن مكهاون كان قد أعد رسالة استقالته وقدمها فإنه لم يتوقف عن العمل، وفي ١٤ آذار/مارس حضر اجتماع مجموعة تخطيط الأمن القومي عن كايبي حيث كان في الاجتماع جميع المسؤولين الكبار. أمر الرئيس ثلاث مجموعات من حاملات الطائرات بالتجمع قرب الساحل الليبي لتنفيذ عملية تدعى «بربري فاير» ووقع توجيهات قرار حول قواعد التدخل.

- إذا هاجم القذافي سفينة أو طائرة أمريكية سيكون رد الفعل موجهاً ضد مصدر التهديد مهما كان سفينة أو مطاراً أو موقع صواريخ. ولا يسمح لقائد القوة الأمريكية بالرد بصورة غير متناسبة كثيراً مع الضربة الليبية إلا وفقاً لاعتبارات معينة. لكن وينبرغر اعترض وطلب تقليص العمل العسكري إلى أقل مستوى.

- إذا أدت الضربة الليبية إلى خسارة أمريكية، وأعطى الرئيس إشارة الرد، عندها يجب ضرب خمسة أهداف ليبية يفضل أن تكون طائرات سوفياتية الصنع جاثمة على أرض المطار.

- إذا باشر القذافي الهجوم على الوحدات الأمريكية، عندها وبعد أن يعطي الرئيس الأمر، تقتصف الطائرات الحربية الأمريكية مؤسسات النفط وأهدافاً اقتصادية أخرى داخل الأراضي الليبية. لقد جرى نقاش كثير حول شخصية القذافي وأهتم الرئيس ريغان بشكل خاص بتفاصيل الحياة الشخصية للقذافي كما جمعها وكالة المخابرات المركزية. في رحلة إلى إسبانيا ومايوركا لم يثق الزعيم الليبي بعالم الفندق الذي نزل فيه وكلف مساعديه بشراء حرامات من عدة محلات تجارية ليستعملها عوضاً عن حرامات الفندق. كان ريغان، في عدة مرات، قد اعتبر القذافي واحداً من الجن، وقال مرة: «يمكن للقذافي أن يخلس النظر إلى ناتسي وهي في الحمام». تحدث الجميع عن القساوة التي يريدهون الظهور بها تجاه القذافي وعن ضربة بعنف بالغ وأن لديهم شوكه يفرضونها في عين حلفائهم الأوربيين. كان لديهم من الأسباب أكثر من تلك التي أدت إلى غزو غراناذا.

سأل دونالد ريغان: «هل ستستعملون الأسلحة النووية؟» قفز الآخرون وصرخوا وكان الجواب: لا. قال رئيس أركان البيت الأبيض إنه أراد أن يتأكد أنهم لا يريدون ذلك. قبل البدء بعملية «بربري فاير» توجه وينبرغر إلى لندن للاجتماع مع قائد الأسطول السادس نائب الأدميرال فرانك كلسو، وأعطى الوزير توجيهاته بوجوب استخدام الأسلحة المؤثرة جداً وكأن الولايات المتحدة ترد على هجوم أو اعتداء. وأعطى وينبرغر أوامره بقصف أهداف محددة ومركزة وبالأحرى أي قصف غير ضروري.

رأى بواندكستر ونائبه فورتية أنهم إذا ضربوا الأهداف العسكرية الليبية بقساوة فإن ضباط القذافي سوف يقتنعون بأن مشاكلكم كانت نتيجة لمغامرات القذافي الإرهابية، وعندها يحتمل أن يتحركوا للإطاحة به.

لم يكن كايبي واثقاً من العملية بشكل كامل. فالعمل العسكري والتهديد به والتخطيط السري المصري الأمريكي للهجوم على ليبيا كان شيئاً جيداً وقد دعمه بشكل كبير، ولكنه رأى أن هذه الأعمال سوف تجعل من الصعب على الوكالة أن تنفذ خططها السرية ضد القذافي وستؤدي إلى تقويته في بلده وفي البلدان العربية الأخرى. وأنها ستزيد من التعاطف معه وستعطي لادعاءاته في أن الولايات المتحدة كانت الأمبريالية الأولى، مصداقية عند الجميع.

لم يظهر أن المبعدين الليبيين كانوا أقوياء أو يقومون بواجباتهم وكان مكهاون على حق عندما قال أنهم مثل صبية الكشافة ضعفاء وهواة. واتفقت الوكالة مع الاستخبارات الإسرائيلية حول الحخطط الموسومة للإطاحة بالقذافي إلا أن الموساد قال: لا. وسرد الفرنسيون كلمة تنيد بأن الحل الوحيد للإطاحة بالقذافي هو أن تبقى جميع الحطوط سرية جداً، وتحذروا عن خطط جريئة، ولكن عندما طلبت منهم المساعدة رفضوا وقالوا أنهم يخشون من أن يؤدي العمل العسكري السري الأمريكي إلى تقوية القذافي لا إلى إهائه.

قال كايبي إن الحل الوحيد هو تغيير المذكرة للسلاح لوكالة المخابرات المركزية بالعمل مباشرة ضد القذافي وليس من خلال المبعدين، لكن البيت الأبيض كان يركز على «بريري فاير».

كان من المقرر أن تبدأ «بريري فاير» ليل السبت في ٢٢ آذار/مارس ولكنها تأجلت يوماً بسبب الرياح القوية في خليج سرت. وبدأت مناورة البحار العالية في ٢٣ آذار/مارس وظهر على الأفق ٤٥ سفينة حربية و٢٠٠ طائرة وحتى غواصات هجومية تعمل على الطاقة النووية من طراز لوس أنجلوس ٦٨٨. تجاوزت ثلاث سفن خط العرض ٣٢ وهوي بعد أكثر من ١٢٠ ميلاً عن الشاطئ الذي رسمه القذافي واعتمده كحدود للمياه الإقليمية متحدياً الحدود المعترف بها دولياً للمياه الإقليمية وهي ١٢ ميلاً. كانت أكثر من مائة طائرة تحلق فوق الأسطول وتشكل مظلة جوية لحمايته. في خلال ساعتين أطلق الليبيون صاروخين من طراز سام ٥ من قاعدة صواريخ برية على طائرات الاستطلاع الأميركية، وأخطأت الصواريخ السوفياتية الصنع أهدافها. ثم أطلقت أربعة صواريخ أخرى على الطائرات الأميركية.

قامت الطائرات الأميركية من على بعد ٤٠ ميلاً بإطلاق صواريخ هارم الدقيقة على الرادارات الليبية ودمرتها، كانت هذه الصواريخ تخشوي على رؤوس متفجرة يبلغ وزن المشوة فيها ٤٦ رطلاً مما يجد إلى أقل ما يمكن من الحسائر البشرية الليبية. وخلال يومين أغرق زورق دورية ليبي بواسطة الوحدات الأميركية. بينما كان الرئيس ريغان يتلقى كل جديد في وقت حصوله سأل عن الحسائر البشرية الأميركية. لم يكن هناك خسائر بشرية أميركية. أحصت الاستخبارات مقتل ٧٢ ليبياً. بحلول يوم الأربعاء في ٢٦ آذار/مارس حوالي الساعة ١٠:٣٠ بعد الظهر بتوقيف واشتغل انتهت مناورات بريري فاير. في عدد الصباح من الواشنطن بوست وردت الخطوط العامة لبعض الخطط وورد أن بوندكستر وفورتييه قد زارا مصر سراً منذ ستة أشهر لبحث التنسيق في عمليات عسكرية محتملة ومشتركة ضد ليبيا.

بعد الظهر تلقيت (*) مكالمة من أحد أركان مجلس الأمن القومي الذي قال إنهُ يتكلم بناية عن بوندكستر وفورتييه.

قال: «عليك أن تعرف إنهم ليسوا سعداء هنا... أن تذكر اسمي بوندكستر وفورتييه عندما تكون في مواجهة مع القذافي وأنت تعلم نزعته إلى الإرهاب والاغتيال وأن تكشف عن مهمتها السرية في أوج المواجهة فإن هذا كله يزيد من تعرضها... وكل يخاف على عائلته، وهذا لا يطاق. لقد تمّ تحديد بوندكستر وفورتييه كهدفين» ثم أوضح أن معلومات الاستخبارات تؤيد هذا.

تابع المسؤول قائلاً: «لم أر فورتييه مصاباً بخيبة أمل أبداً حول أي شيء... إنه يريد أن يتصل بك...»

... لقد ارتفعت نسبة الخطر على بوندكستر وفورتييه وهذا لا يتلاءم مع الوظيفة ولا أعلم ما نستطيع أن نعمله، قال ذلك بلهجة يائسة.

الجمعة ٢٨ آذار/مارس حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر تلقى برادلي مكالمة من بوندكستر: «أنا أنكمم كي أحتج على مقال يوب وودورد وخاصة لذكر اسمي واسم فورتييه» سأله برادلي: «أنت تعني لأنه سأك أنت وفورتييه، وضعكما القذافي على لائحة الاغتيال؟» قال بوندكستر: بالضبط.

قال برادلي: «أظن أن ذلك خارج الاحتمال. وبعد هذا فقد كان الكثيرون على متن هذه السفن ومن المشتركين في هذه العملية، والقذافي يستطيع بالتأكيد أن يعرف من يساهم في قرارات الأمن القومي».

قال بوندكستر: «أنا فقط أريد أن أسجل احتجاجي». وأضاف أنه إذا عثر على جثة أو جثة فورتييه مفجرة أو متفجرة بالرصاصة فإن الواشنطن بوست ستتحمل مسؤولية ذلك، وأضاف أن وودورد لم يتصل بأحد ولم يندر بأن أسماء سوف تظهر. قال برادلي: لقد تحدثنا مع أناس كثيرين.

فما بعد أرسل لي برادلي بطاقة صغيرة كتب عليها حديث بوندكستر الهاتفي. بعد بضعة أيام تحدثت مع مصدر مطلع في الإدارة وأعدت على مسمعه ما قيل عن مخاوف بوندكستر وفورتييه. قال المصدر: «أوه لقد خاب أملها لأن الحرب قد انتهت». وأضاف أن التصميم على توجيه ضربة ثانية إلى القذافي كان محموماً.

هذه المرة، وفي القاهرة تمت قراءة المقالات المتعلقة بالخطط العسكرية السري مع مصر وقد كتب رئيس تحرير صحيفة الأهرام شبه الرسمية إبراهيم نانغ وهو مقرب جداً من الرئيس حسني مبارك: «لقد حاولت الولايات المتحدة إشراكنا في عمل ضد ليبيا، وعدد ثلاث محاولات وأعلن أن مصر قد رفضت جميع العروض. إلا أن سفير الولايات المتحدة في القاهرة فيليبوتيس وجه برقية سرية إلى واشنطن قال فيها إن الرئيس مبارك أبلغه بصفة خاصة أن مصر يمكنها أن تتابع التخطيط وأن كشف الصحافة الأميركية عن الخطط كان له نتائج صغيرة لا تعدو كونها حقراً صغيرة في الطريق».

مع أن عملية «بريري فاير» أو توجيه ضربة عنيفة للقذافي يجد من دور وكالة المخابرات المركزية، فقد أدرك كايبي أن الرئيس ريغان كان يريد تغيير النظام في ليبيا ولا شيء غير ذلك. إن أي هجوم وقائي أو ضربة انتقامية لليبيا بحاجة إلى إثبات يظهر علاقة ليبيا بعمل إرهابي محدد. أعطى كايبي أوامره لوكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي والأخبار الاضطعانية للعمل. أراد أجوية. أراد انتباهاً غير عادي حول هذا الموضوع. إن

إلقاء القبض على خاطفي الباهرة أكيلي لاورو قد أظهر أنَّ الاستخبارات الجيدة تستطيع تغيير الكثير.

قبل عدة أسابيع من مناورات خليج سرت بدأ رجال كاسبي بالنقاط الرسائل من مركز غابرات القذافي في قلب مدينة طرابلس. لقد كانت ضربة استخبارية موفقة، فقد استطاعوا بحساب واحد حل شيفرة ٣٨٨ رسالة، بالرغم من أنَّ طريقة التشفير كانت سرّاً وثيقاً. في ٢٥ آذار/مارس مباشرة بعد بريدي فاير أرسلت رسالة من طرابلس إلى ثمانية أعضاء في المكتب الشعبي الليبي (أي السفارة الليبية). هذه الرسالة المؤلفة من ثلاثة أسطر طلبت منهم أن يتخذوا وضع الحذر وأن يكونوا جاهزين لمهاجمة أهداف أميركية تنفيذاً للخطة المرسومة. لقد أرسل هذه الرسالة رئيس الاستخبارات الليبية.

بعد عشرة أيام أي في ٤ نيسان/أبريل تمّ التقاط رسالة من مكتب الاتصال الشعبي الليبي في برلين الشرقية إلى مركز القيادة في طرابلس جاء فيها: «ستكون طرابلس سعيدة عندما ترى عناوين الصحف غداً».

بعد بضع ساعات أي في الساعات الأولى من ٥ نيسان/أبريل تمّ التقاط رسالة أخرى من برلين الشرقية إلى طرابلس تفيد بأن عملية تخري الأن وأنه من الصعب اقتفاء أثر الليبيين إلى برلين الشرقية. خلال عشر دقائق وفي الساعة ١٠،٤٩ فجرأ بتوقيت برلين انفجرت قنبلة في نادي ديسكوتيك لايبيل في برلين الغربية، والمعروف أنه مركز التقاء للعسكريين الأميركيين خارج أوقات الخدمة. أدى الانفجار إلى مقتل أميركي واحد هو الرقيب كينيث فورد وامرأة تركية، وأصيب ٢٣٠ شخصاً بجراح بينهم ٥٠ عسكرياً أميركياً. هذه الرسالة المتقطعة أمنت تحذيراً مسبقاً كان بإمكانه تقاضي الكارثة إلا أنَّ المسؤولين تأخروا مدة خمس عشرة دقيقة لإخلاء ديسكوتيك لايبيل. مع أنَّ الرسائل بدت، وهي منفردة، غامضة إلى حد ما، ولكنها إذا جمعت معاً فإنها تومن عناصر حاسمة لمحللي الاستخبارات. لم يكن هناك أي رسالة من طرابلس تأمر بتفجير لايبيل، ولكن طرابلس لم تكن تتورط في اختيار الهدف والتوقيت، بل تركت ذلك للعاملين في مسرح العمليات. كانت جميع الشكوك مقنعة.

بدأ التخطيط السري لشن غارة عسكرية انتقامية، وتأثرت الإدارة خلال عشرة أيام على إرسال إشارات علنية مركبة، بعضها يحتمل إجراء ضربة وبعضها ينفي وبعضها يؤكد. هذا الارتباك في الإدارة الأميركية أثار شكوكاً حول أن يضغط الرئيس ريغان على الزناد أحد المشككين الكبار كان المقدم نورث الذي اعتبر القذافي سيد الإرهاب، واعتبر نفسه سيد مكافحة الإرهاب. ولكنَّ البعض في الإدارة قالوا إنَّ الرئيس لن يعمل.

إنَّ خصوصية المعلومات المتقطعة كانت نادرة لدرجة أنَّ عدداً كبيراً من المسؤولين لن يبقوا صامتين. قال السفير الأميركي في ألمانيا الغربية في تصريح علني عن تفجير لايبيل: «هناك دليل واضح جداً على التورط الليبي» كما صرح قائد الحلف الأطلسي الجنرال برنال

روجرز في خطاب في ٩ نيسان/أبريل إنَّ هناك دليلاً غير قابل للنقاش على مسؤولية ليبيا. ععمت وكالة الأمن القومي «نصيحة سرية» تقول إنَّ هذه التعليقات تعيق بشكل كبير الحصول على المعلومات. وتمّ تحديد تعميم الالتقاطات.

في يوم الاثنين ١٤ نيسان/أبريل الساعة السابعة مساءً أي الساعة الثانية فجرأ بتوقيت ليبيا قامت حوالي ٣٠ طائرة من القوات الجوية والبحرية بقصف مدينة طرابلس ومدينة بنغازي التي تبعد عنها ٤٥٠ ميلاً، منها ثنائي أو تسع قاذفات ف ١١١ كل منها تحمل ٤ قنابل من وزن ٢٠٠٠ رطل موجهة بأشعة ليزر كانت معدة لقصف ثكنة القذافي التي تسمى «باب العزيزية» وسقط أكثر من ٣٢ قنبلة من طائرات ف ١١١ على الثكنة لكنها أصيبت بأربع قنابل أو بقتلتين. وكان على عدد من طائرات ف ١١١ العودة بعد رحلة طيران لمسافة ٢٨٠٠ ميل أي لمدة ١٤ ساعة من إنكلترا، والجديد بالذكر أنَّ فرنسا قد منعت الطائرات من التحليق في أجوائها مما جعل الطريق أطول. إنَّه فشل تقني ولكنه بقي سرّاً. حتى عللو وكالة الاستخبارات الدفاعية لم يعطوا التفاصيل. أما القذافي الذي كان نائماً في خيمة منصوبة على الطراز البدوي فلم يصب بأذى، وقد جرح اثنان من أبنائه وقتلت ابنته بالتبني وعمرها ١٥ شهراً فقط.

في الساعة التاسعة ليلاً ظهر الرئيس ريغان على التلفزيون ليعلن عن الضربة وقال إنَّه قد توفر دليل واضح حول تورط ليبيا في تفجير برلين الغربية، ولخص ثلاثاً من الرسائل الليبية المتقطعة وقال إنَّ هذه الغارة هي دفاع عن النفس. قال ريغان في مكتبه البيضاء: «اليوم فعلنا ما يتوجب علينا أن نفعله، وسنفعله مرة ثانية إذا كان ذلك ضرورياً».

إلقاء القبض على خاطفي الباخرة أكيلي لاورو قد أظهر أن الاستخبارات الجيدة تستطيع تغيير الكثير.

قبل عدة أسابيع من مناورات خليج سرت بدأ رجال كايبي بالنقاط الرسائل من مركز مخبرات القذافي في قلب مدينة طرابلس. لقد كانت ضربة استخبارية موفقة، فقد استطاعوا بحساب واحد حل شيفرة ٣٨٨ رسالة، بالرغم من أن طريقة التشفير كانت سرّاً وثيقاً. في ٢٥ آذار/مارس ومباشرة بعد بريدي فاير أرسلت رسالة من طرابلس إلى ثمانية أعضاء في المكتب الشعبي الليبي (أي السفارة الليبية). هذه الرسالة المؤلفة من ثلاثة أسطر طلبت منهم أن يتخذوا وضع الحذر وأن يكونوا جاهزين لمهاجمة أهداف أميركية تنفيذاً للخطوة المرسومة. لقد أرسل هذه الرسالة رئيس الاستخبارات الليبية.

بعد عشرة أيام أي في ٤ نيسان/أبريل تمّ النفاذ رسالة من مكتب الاتصال الشعبي الليبي في برلين الشرقية إلى مركز القيادة في طرابلس جاء فيها: «ستكون طرابلس سعيدة عندما ترى عناوين الصحف غداً».

بعد بضع ساعات أي في الساعات الأولى من ٥ نيسان/أبريل تمّ النفاذ رسالة أخرى من برلين الشرقية إلى طرابلس تفيد بأن عملية تجري الآن وأنه من الصعب اقتفاء أثر الليبيين في برلين الشرقية. خلال عشر دقائق وفي الساعة ١٤:٤٩، فجراً بتوقيت برلين انفجرت قنبلة في نادي ديسكوتيك لايبيل في برلين الغربية، والمعروف أنه مركز التقاء للعسكريين الأميركيين خارج أوقات الخدمة. أدى الانفجار إلى مقتل أميركي واحد هو الرقيب كينيث فورد وامرأة تركية، وأصيب ٢٣٠ شخصاً بجراح بينهم ٥٠ عسكرياً أميركياً. هذه الرسالة الملتقطت أمنت تحذيراً مسبقاً كان بإمكانه تفادي الكارثة إلا أن المسؤولين تأخروا مدة خمس عشرة دقيقة لإخلاء ديسكوتيك لايبيل. مع أن الرسائل بدت، وهي منفردة، غامضة إلى حد ما، ولكنها إذا جمعت معاً فإنها تؤمن عناصر حاسمة لمحللي الاستخبارات. لم يكن هناك أي رسالة من طرابلس تأمر بتفجير لايبيل، ولكن طرابلس لم تكن تتورط في اختيار الهدف والتوقيت، بل تركت ذلك للعاملين في مسرح العمليات. كانت جميع الشكوك مقنعة.

بدأ التخطيط السري لشن غارة عسكرية انتقامية، وتأثرت الإدارة خلال عشرة أيام على إرسال إشارات علنية مربكة، بعضها يميل إجراء ضربة وبعضها ينفي وبعضها يؤكد. هذا الارتباك في الإدارة الأميركية أثار شكوكاً حول أن يضغط الرئيس ريغان على الزناد. أحد المشتكيين الكبار كان المقدم نورث الذي اعتبر القذافي سيد الإرهاب، واعتبر نفسه سيد مكافحة الإرهاب. ولكن البعض في الإدارة قالوا إن الرئيس لن يعمل.

إن خصوصية المعلومات الملتقطت كانت نادرة لدرجة أن عدداً كبيراً من المسؤولين لن يبقوا صامتين. قال السفير الأميركي في ألمانيا الغربية في تصريح علني عن تفجير لايبيل: «هناك دليل واضح جداً على التورط الليبي» كما صرح قائد الحلف الأطلسي الجنرال برنار

روجرز في خطاب في ٩ نيسان/أبريل إن هناك دليلاً غير قابل للنقاش على مسؤولية ليبيا. دعمت وكالة الأمن القومي «نصيحة سرية» تقول إن هذه التعليقات تعميق بشكل كبير الحصول على المعلومات. وتمّ تحديد تعميم الالتقاطات.

في يوم الاثنين ١٤ نيسان/أبريل الساعة السابعة مساءً أي الساعة الثانية فجراً بتوقيت ليبيا قامت حوالي ٣٠ طائرة من القوات الجوية والبحرية بقصف مدينة طرابلس ومدينة بنغازي التي تبعد عنها ٤٥٠ ميلاً، منها ثلثي أو تسع قاذفات ف ١١١ كل منها تحمل ٤ قنابل من وزن ٢٠٠٠ رطل موجهة بأشعة ليزر كانت معدة لقصف ثكنة القذافي التي تسمى «باب العزيزية» وسقط أكثر من ٣٢ قنبلة من طائرات ف ١١١ على الثكنة لكنها أصيبت بأربع قنابل أو قنابلتين. وكان على عدد من طائرات ف ١١١ العودة بعد رحلة طيران لمسافة ٢٨٠٠ ميل أي لمدة ١٤ ساعة من إنكلترا، والجديد بالذكر أن فرنسا قد منعت الطائرات من التحليق في أجوائها مما جعل الطريق أطول. إنه فشل تقني ولكنه بقي سرياً. حتى محللو وكالة الاستخبارات الدفاعية لم يعطوا التفاصيل. أما القذافي الذي كان نائماً في خيمة منصوبة على الطراز البدوي فلم يصب بأذى، وقد جرح اثنان من أبنائه وقتلت ابنته بالتبني وعمرها ١٥ شهراً فقط.

في الساعة التاسعة ليلاً ظهر الرئيس ريغان على التلفزيون ليعلن عن الضربة وقال إنه قد توفر دليل واضح حول تورط ليبيا في تفجير برلين الغربية، ولخص ثلاثاً من الرسائل الليبية الملتقطت وقال إن هذه الغارة هي دفاع عن النفس. قال ريغان في مكتبه البيضاوي: «اليوم فعلنا ما يتوجب علينا أن نفعله، وسنفعله مرة ثانية إذا كان ذلك ضرورياً».

كان كاسبي مشغولاً بكاپوس آخر في مكافحة التجسس منذ أكثر من ستة أشهر. وكان المرتد عن المخابرات السوفياتية يورتنشكو قد ساعد في كشف هوارد وجاسوس آخر في وكالة الأمن القومي. كان يورتنشكو قد أخبر محقق وكالة المخابرات المركزية عن حادثة حصلت عندما كان رئيس ضباط أمن المخابرات السوفياتية في السفارة السوفياتية في واشنطن من العام ١٩٧٥ إلى ١٩٨٠. كان السوفييات يتلقون معلومات هامة من وكالة الأمن القومي عن طريق غير كان يتصل بهم إلى السفارة السوفياتية. لم يكن يورتنشكو يعلم من هو. لكنه تذكر أنه تحدث مرة معه على الهاتف. مررت وكالة المخابرات المركزية هذه المعلومات إلى مكتب التحقيق الفدرالي الذي عاد إلى التسجيلات القديمة لكلمات السفارة السوفياتية. في تسجيل عمره ست سنوات، سمعوا متكلماً لم يعرف عن هويته يقول: «لدي بعض المعلومات الهامة لأبحثها معك وأعطيتها لك». من هذه التسجيلات ومن معلومات يورتنشكو التي تفيد بأن المتكلم كان من وكالة الأمن القومي ركز مكتب التحقيق الفدرالي على المجموعة السوفياتية في وكالة الأمن القومي التي تتألف من ألف موظف. عرضت التسجيلات على بعضهم واستمعوا إليها وتمكنوا من تحديد زميل سابق هو رونالد بيلتون عمل في وكالة الأمن القومي من عام ١٩٦٥ إلى عام ١٩٧٩ في قلب المجموعة السوفياتية وعندما استقال كان دخله يساوي ٢٤٥٠٠ دولار سنوياً. أظهر تحليل الصوت أنه كان بيلتون.

ومع أن بيلتون كان موظفاً بسيطاً فإن مركزه كان يسمح له بالدخول إلى الغرف الحساسة والإطلاع على المعلومات المشفرة التي تتعلق بـشئ إشارة شيفرة سوفياتية أو وصلات للاتصالات كانت جميعها من أهداف وكالة الأمن القومي. وكان يقوم بأعمال الموازنة وصيانة المعدات وتخطيط البرامج وحل المشاكل. وكان بيلتون يبلغ ٣٨ سنة من العمر وكان مفاضاً جيداً ويتمتع بذاكرة غير عادية. وبكلمة أخرى كان بالنسبة إلى السوفييات الوحي الملهم. وإذا قدر لهم أن يختاروا من بين آلاف العاملين في وكالة الأمن القومي لن

يتوصلوا إلى أي شخص أفضل منه. كان بيلتون واحداً من المهتمين على مستوى منخفض في أية بيروقراطية. لقد كان لديه نظرة شاملة وتفهم واسع للأمر التقني.

حدد مكتب التحقيق الفدرالي مكان بيلتون كبائع زوارق في مدينة أنابوليس في ولاية ماريلاند في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥. وقد قابلته اثنان من عملاء المكتب في فندق هيلتون في أنابوليس واعترف ببعض التجسس. صرح بأنه أصيب بإفلاس شخصي عام ١٩٧٩ عندما كان لا يزال موظفاً في وكالة الأمن القومي ولكن لم ينته أحد من زملائه لذلك. وبعد سلسلة من الأعمال التجارية الفاشلة إنجبه إلى السوفييات عام ١٩٨٠ وسافر فيها بعد إلى فيينا واجتمع بمسؤول في المخابرات السوفياتية ومكث في منزل السفير السوفياتي عدة أيام، وقد قبض مبلغ ٣٥ ألف دولار أميركي لقاء معلومات حول تقنيات التجسس تبلغ قيمتها عشرات الملايين من الدولارات.

بعد اجتراح بيلتون مع عميل مكتب التحقيق الفدرالي تم توقيفه فوراً ووجهت إليه تهمة التجسس. قال مكتب التحقيق الفدرالي في أوراق المحاكمة أن بيلتون أمن للعمالء السوفييات معلومات حول «مشروع جمع معلومات أميركي يستهدف الاتحاد السوفياتي» وهذا ما أعطى انطباعاً لدى وسائل الإعلام بأن إحدى العمليات الهامة في وكالة الأمن القومي قد بيعت. وذكر المحامي الذي عينته المحكمة للدفاع عنه في مرافعته لإطلاق سراحه بكفالة، الاسم المشفر إيفي بلز، عندها أوقف القاضي الاستجواب ومنع الكشف أكثر من ذلك عن الموضوع.

مع أن إيفي بلز تعود إلى أواخر السبعينات عندما كان تونر مديرًا للمخابرات المركزية، فقد تعرضت للشبهة عام ١٩٨١، واستطاع كايسي ووكالة المخابرات المركزية بعد اكتشاف أمر بيلتون أن يجمعا قطع الموزايك لتشكيل الصورة الواضحة.

في أعماق بحر أوخسك على الساحل الشرقي للاتحاد السوفياتي وفي قاع المحيط وضع فريق من البحرية الأميركية ووكالة الأمن القومي آلات استراق سمع صغيرة مضادة للياه معقدة ومتطورة جداً في لوب له غطاء بلائم كابلًا سوفيياتيًا تحت الماء مخصصاً لخطوط الاتصالات العسكيرة وخطوط الاتصالات الأخرى. يتصل غطاء اللولب بالكابل إلكترونياً دون أن يلامس أو يلامس أيًا من الأسلاك الموجودة في داخله. وإذا رفع السوفييات الكابل إلى فوق سطح البحر لتفتيش أو للعناية فأنهم لن يعثروا على أي أثر مادي لوجود اللولب ويمكن للغطاء أن يتبعد عن الكابل وأن يبقى في قاع المحيط دون أن ينكشف. كانت اللولب في الغطاء تسجل الرسائل والإشارات على مختلف أغطية الاتصالات لمدة تتراوح بين أربعة وستة أسابيع، وكان الغلاف يصلح لفترتي تسجيل في السنة.

كان أحد أخطر مظاهر عملية إيفي بلز هو نزاع اللولب، وفي داخلها تسجيلات لاتصالات غزوة. كانت إحدى الغواصات المجهزة خصيصاً لهذه المهمة تعود إلى بحر

أوخسك. وكان رجال الضفادع يستخدمون غواصة صغيرة جداً أو إنساناً آلياً تحت الماء وكانوا بذلك يجفدون مكان الغطاء ويوزعون اللولب ويضعون غيرها. كانت اللولب ترسل إلى وكالة الأمن القومي لتسجيلها وحل شيفرتها. ومع أن الرسائل التي كانت تجمع من هذه اللولب تعود لعدة أشهر فقد أمنت معلومات وبيانات هامة. كانت اختبارات الصواريخ البالسيتية السوفياتية من المعلومات التي تم الحصول عليها من الكابل. وكانت الاتصالات السوفياتية في شبه جزيرة كمتشكا قرب بحر أوخسك حول هذه الاختبارات ترسل عبر هذا الكابل.

كان السوفييات يعتقدون بأن اتصالات الكابل تحت البحر أو عبر الخطوط المطبوعة تحت الأرض منيعة ضد الاعتقاط من قبل الولايات المتحدة. واستناداً إلى هذا استعملت أجهزة عادية للتشفير على بعض الأقنية في كابل بحر أوخسك. كما كانت بعض المعلومات على بعض الأقنية غير مشفرة. وكان الروس يستعملون أفضل نظام تشفير هم في أكثر الاتصالات تعرضاً والتي تتم عبر الموجات الهوائية ومن ضمنها الموجات الراديوية والميكروويف (الموجات الصغيرة جداً) واتصالات الأقار الاصطناعية.

استمرت عملية بحر أوخسك حتى عام ١٩٨١ عندما رأى أحد الأقار الاصطناعية الأميركية عشرات القوارب البحرية السوفياتية تتجمع فوق البقعة التي وضع فيها الغلاف تحت سطح البحر تماماً. وكان أحد الزوارق السوفياتية الذي يستعمل عادة لعمليات الانقاذ تحت سطح البحر قد قطرته البحرية السوفياتية حول العالم بكامله تقريباً وجاءت به ليشترك في العملية. وفيها بعد ذهبت الغواصة الأميركية لتجمع اللولب وتضع غيرها لم تعثر على الغلاف. عندها ظنت وكالة الأمن القومي أن الغلاف قد وقع في أيدي السوفييات وأن العملية قد انكشفت.

درست البحرية الأميركية جميع المعلومات ونظمت تقريراً سرياً سمح لعدد قليل من المسؤولين بالإطلاع عليه. واستبعدت الخطأ أو الصدفة. كان السوفييات يعرفون ما يفعلون وتوجهوا إلى مكان الغلاف بدقة. واستنتج التقرير أن هناك تسريباً وفي الغالب تجسساً وأن السوفييات كان هم مصدر بشري. لكن لم يعرف أحد من هو. وبقيت خسارة الغلاف واللولب عام ١٩٨١ غامضة حتى كشف يورتنشون عن المفاتيح التي قادت إلى تحديد بيلتون بعد أربع سنوات.

رأى كايسي أن يحاكم بيلتون دون أن ينكشف أي شيء عن إيفي بلز أو عن بقية المشاريع السرية. كان اللعب الأسامي في عملية إيفي بلز يعود إلى الأشهر التي تفصل بين وقت إرسال الرسائل السوفياتية ووقف التفاطها بواسطة الغواصة. تحول رئيس الاستخبارات البحرية الأميرال جون بوتس ورئيس أركان المجموعة الاستخبارية نائب الأميرال أدوارد بوركاتر إلى داعيتين لحل جريء لمشكلة المعلومات الفورية (أي التي تصل فور وقع الحدث)

بعد الاشتباه بعملية إيفي بلز. يمكن وصل الكابل الملقى تحت الماء والموجود في غرينلاند عدة غلافات تركز على الكوابل البحرية الهامة على الساحل الشمالي للاتحاد السوفياتي. عندئذ تصبح الاتصالات متوفرة للاستعمال الفوري من قبل وكالة الأمن القومي وتبلغ المسافة من غرينلاند تحت الثلج في القطب الشمالي إلى الساحل الشمالي للاتحاد السوفياتي حوالي ١٢٠٠ ميل، وتبلغ كلفة الكابل الملقى في قعر المحيط مليون دولار لكل ميل وتبلغ الكلفة الكاملة إذا مليار دولار وهي باهظة، وإنما على حد قول الأميركيين تستحق ثمنها. لقد كان الجو في لجنتي الاستخبارات في الكونغرس مناسباً تماماً. على الرغم من الشك في الأعمال الخفية الذي كان سائداً فقد كان المشرعون بحاجة إلى عمل يثبت جدية في العمليات الاستخبارية. ودعا اقتراح آخر إلى صرف مليار دولار لوضع كابلات حول العالم مستخدماً نفس التقنية لوضع اللولب في جميع أنحاء العالم.

لقد علمنا عن عملية إيفي بلز في أوائل عام ١٩٨٥ ولكننا لم نكن واثقين من أنها قد تعرضت للشبهة من قبل السوفيات، لذلك قرر برادلي أن لا ننشر شيئاً. بعد إلقاء القبض على بيلتون تأكدنا أن واحداً من مشاريع جمع المعلومات الذي باعه كان إيفي بلز. بما أن السوفيات قد أمسكوا بغلاف اللولب فإنهم تأكدوا بوضوح أنها آلة استراق سمع. شعر برادلي بأنه من المفيد أن نشرح التفاصيل لنظهر الضرر الذي يمكن أن يتأتى من آلاف الكتيبة والفتنيين والمترجمين ومنظمي المعلومات الذين كانوا يعملون على أحدث تكنولوجيا التجسس.

في ٥ كانون الأول/ديسمبر توجه برادلي ولينوراد داوون المحرر التنفيذي للواشنطن بوست لزيارة مدير وكالة الأمن القومي الجنرال وليم أودوم. كان أودوم منذ عشر سنوات ضابطاً برتبة مقدم يعمل في أركان مجلس الأمن القومي في عهد كارتر وكانت هذه انطلاقة هامة في حياته المهنية. كان رجلاً شديداً حقيقياً صخرياً وكان صقراً كبيراً تجاه السوفيات وموثقاً بطريقة الجمع التفتي للمعلومات. قال أن نشر أي خبر عن إيفي بلز سوف يضر الروس عن شيء لا يعرفونه. ولكنه خلال ثلاثين دقيقة من الشرح والمناقشة بدأ يميل إلى أن يخبرنا عن السبب الحقيقي. كان يحس بالإنذار وقال إن قضايا الأمن القومي كانت على المحك. بعد ذلك قال داوون إنه يظن أن أودوم يريد أن يعرف مصادرها حول إيفي بلز. قال برادلي يجب أن نفترض أن خطوطنا الهاتفية مراقبة.

بدأت أنا (*) وبات تايلور بإجراء مقابلات دون استعمال الهاتف. لم يشأ مسؤولو الوكالة أن نخبري حاكمية بيلتون بشكل علني ولاحتاح أحد المسؤولين أن استراتيجية وكالة الأمن القومي تجاه الصحافيين كانت غالباً ما تعتمد التأخر وكسب المزيد من الوقت. لا

(*) المؤلف.

يمكن لأي عملية أو أي اختراق أن يستمر إلى الأبد. كانت العملية تعيش يوماً بيوم وإذا استمرت أسبوعاً إضافياً تكون محظوظة جداً. قال هذا المسؤول إنه على الرغم من خيانة بيلتون فإنه من الممكن أن يكون قد فات السوفيات بعض المعلومات. وقد ذهل مسؤولو الاستخبارات في الولايات المتحدة من فشل الجواسيس السابقين في الكشف عن معلومات كثيرة للسوفيات أو من فشل السوفيات في تفهم ذلك.

بالإضافة إلى إيفي بلز فقد ثبت في النهاية أن بيلتون قد عرض للشبهة سبع عمليات شيفرة ومن ضمنها تلك التي تستخدم في السفارة الأميركية في موسكو وعملية شيفرة أميركية، بريطانية مشتركة، وأخرى تتعلق بطريقة جديدة وفعالة وسرية لالتقاط الإرسال السوفياتي باليكروويف (الموجات القصيرة جداً) وأخرى تتعلق بالتجهيزات التي تؤمن الاتصالات المتقطعة بالكمبيوتر لإجراء التحليل الفوري. كان المسؤولون قلقين من أن أي خبر ينشر عن إيفي بلز سوف يطلق هي المناقشات في الأوساط الصحافية للحصول على سبق في المعلومات، وستبعها عدة أخبار تكشف عن تفصيل هنا وتفصيل هناك. كان هناك أسئلة دقيقة. ماذا تذكر بيلتون؟ لماذا كان يحتفظ؟ ماذا أخرج السوفيات بالضبط؟ كيف تم تفسير ذلك؟ هل صدقه أحد؟ الشبهة لا تعني أن مقدرة ما أو نقيته ما أو مصدرها ما يستمر إلى الأبد. إن نشر خبر عن بيلتون يفسح المجال لتدفق الأسئلة واحتدام المناقشات ويسلم وكالة الأمن القومي لقمة سائغة للمحررين.

كانت الصحف القديمة تحتوي على بعض المفاجآت. منذ أكثر من عشر سنوات كتب سائور هرش على الصفحة الأولى لصحيفة نيويورك تايمز عن عمليات لغوصات أميركية بالقرب من السواحل السوفياتية: «قال أحد المصادر كانت الغواصات قادرة على التنصت على كوابل الاتصالات الأرضية السوفياتية في قعر المحيط وهي قادرة أيضاً على التقاط الرسائل العسكرية على أعلى المستويات وبعض الاتصالات المهمة».

كما جاء في تقرير لجنة بايك حول نشاطات استخبارات الولايات المتحدة عام ١٩٧٦: «شهد برنامج استطلاع لغوصات البحرية الأميركية وهو ذو تقنية عالية وغالباً ما يعمل في مياه عميقة تسع مواجهات على الأقل مع مركبات بحرية عدوة في السنين العشر الماضية وأكثر من ١١٠ اختلالات كشف منها ثلاثة احتمالات قوية جداً». وقالت اللجنة أن تقويم البحرية الخاص للبرنامج بأنه قليل المخاطر كان غير دقيق.

عرضت أنا وتايلور البحث على برادلي. كان الجنرال أودوم قد أعطانا انطباعاً بأن إمكانية تسجيل الكوابل عند الغواصات والمعدات الأميركية كانت من أسرار الدولة وأن أي نشر لهذه المعلومات يعتبر كارثة. اتصل برادلي بأودوم. قال مدير وكالة الأمن القومي: «كنت أمل أن لا نعتز على ذلك». قال برادلي إن محرريه سيعدون إلى القضية. وأضاف أنه يشعر

بعد الاشياء بعملية ايفي بلز. يمكن وصل الكابل الملقى تحت الماء والموجود في غرينلاند بعدة غلافات تركز على الكوابل البحرية الهامة على الساحل الشمالي للاتحاد السوفياتي. عندئذ تصبح الاتصالات متوفرة للاستعمال الفوري من قبل وكالة الأمن القومي وتبلغ المسافة من غرينلاند تحت الثلج في القطب الشمالي إلى الساحل الشمالي للاتحاد السوفياتي حوالي ١٢٠٠ ميل، وتبلغ كلفة الكابل الملقى في قعر المحيط مليون دولار لكل ميل وتبلغ الكلفة الكاملة إذاً مليار دولار وهي باهظة، وإنما على حد قول الاميرالين تستحق ثمنها. لقد كان الجو في لجنتي الاستخبارات في الكونغرس مناسباً تماماً. على الرغم من الشك في الأعمال الخفية الذي كان سائداً فقد كان المشرعون بحاجة إلى عمل يثبت جديتهم في العمليات الاستخبارية. ودعا اقتراح آخر إلى صرف مليار دولار لوضع كابلات حول العالم مستخدماً نفس التقنية لوضع لوابل في جميع أنحاء العالم.

لقد علمنا عن عملية ايفي بلز في اوائل عام ١٩٨٥ ولكننا لم نكن نثقين من أنها قد تعرضت للشبهة من قبل السوفيات، لذلك قرر برادلي أن لا ننشر شيئاً. بعد إلقاء القبض على بيلتون تأكدنا أن واحداً من مشاريع جمع المعلومات الذي باعه كان ايفي بلز. بما أن السوفيات يأخذون أمسكوا بغلاف اللولب فإنهم تأكدوا بوضوح أنها آلة استراق سمع. شعر برادلي بأنه من المفيد أن نشرح التفاصيل لنظهر الضرر الذي يمكن أن يتأتى من آلاف الكتبة والتفتين والترجمين ومنظمي المعلومات الذين كانوا يعملون على أحدث تكنولوجيات التجسس.

في ٥ كانون الأول/ديسمبر توجه برادلي وليونارد داوني المحرر التنفيذي للواشنطن بوست لزيارة مدير وكالة الأمن القومي الجنرال وليم أودوم. كان أودوم منذ عشر سنوات ضابطاً برتبة مقدم يعمل في أركان مجلس الأمن القومي في عهد كارتر وكانت هذه انطلاقة هامة في حياته المهنية. كان رجلاً شديداً نحيفاً صخرياً وكان صقراً كبيراً تجاه السوفيات ومؤمناً بطريقة الجمع التقني للمعلومات. قال أن نشر أي خبر عن ايفي بلز سوف يخبر الروس عن شيء لا يعرفونه. ولكنه خلال ثلاثين دقيقة من الشرح والمناقشة بدأ يميل إلى أن يخبرنا عن السبب الحقيقي. كان يحس بالإنذار وقال إن قضايا الأمن القومي كانت على المحك. بعد ذلك قال داوني إنه يظن أن أودوم يريد أن يعرف مصادرها حول ايفي بلز. قال برادلي يجب أن نفترض أن خطوطنا الخاطئة مراقبة.

بدأت أنا(٥) وبات تايلور بإجراء مقابلات دون استعمال الهاتف. لم يشأ مسؤولو الوكالة أن تجري محاكمة بيلتون بشكل علني ولاحظ أحد المسؤولين أن استراتيجية وكالة الأمن القومي تجاه الصحافيين كانت غالباً ما تعتمد التأخر وكسب المزيد من الوقت. لا

(٥) المؤلف.

يمكن لأي عملية أو أي اختراق أن يستمر إلى الأبد. كانت العملية تعيش يوماً بيوم وإذا استمرت أسبوعاً إضافياً تكون محظوظة جداً. قال هذا المسؤول إنه على الرغم من خيانة بيلتون فإنه من الممكن أن يكون قد فات السوفيات بعض المعلومات. وقد ذهل مسؤولو الاستخبارات في الولايات المتحدة من فشل الجواسيس السابقين في الكشف عن معلومات كثيرة للسوفيات أو من فشل السوفيات في تفهم ذلك.

بالإضافة إلى ايفي بلز فقد ثبت في النهاية أن بيلتون قد عرض للشبهة سبع عمليات شيفرة ومن ضمنها تلك التي تستخدم في السفارة الأمريكية في موسكو وعملية شيفرة أميركية، بريطانية مشتركة، وأخرى تتعلق بطريقة جديدة وفعالة وسرية لاتقاط الإرسال السوفياتي بالميكرووييف (الموجات القصيرة جداً) وأخرى تتعلق بالتجهيزات التي تؤمن الاتصالات المتقطعة بالكمبيوتر لإجراء التحليل الفوري. كان المسؤولون قلقين من أن أي خبر ينشر عن ايفي بلز سوف يطلق حى المناقشات في الأوساط الصحافية للحصول على سبق في المعلومات، وستبعها عدة أخبار تكشف عن تفصيل هنا وتفصيل هناك. كان هناك أسئلة دقيقة. ماذا تذكر بيلتون؟ لماذا كان يحفظ؟ ماذا أخبر السوفيات بالضبط؟ كيف تم تفسير ذلك؟ هل صدقه أحد؟ الشبهة لا تعني أن مقدرة ما أو تقنية ما أو مصدرها ما يستمر إلى الأبد. إن نشر خبر عن بيلتون يفسح المجال لتدفق الأسئلة واحتدام المناقشات ويسلم وكالة الأمن القومي لقمة سائغة للمحررين.

كانت الصحف القديمة تحتوي على بعض المفاجآت. منذ أكثر من عشر سنوات كتب سائور هرش على الصفحة الأولى لصحيفة نيويورك تايمز عن عمليات لغواصات أميركية بالقرب من السواحل السوفياتية: «قال أحد المصادر كانت الغواصات قادرة على التفتت على كوابل الاتصالات الأرضية السوفياتية في قعر المحيط وهي قادرة أيضاً على التقاط الوسائل العسكرية على أعلى المستويات وبعض الاتصالات المهمة».

كما جاء في تقرير لجنة بايك حول نشاطات استخبارات الولايات المتحدة عام ١٩٧٦: «شهد برنامج استطلاع لغواصات البحرية الأميركية وهو ذو تقنية عالية وغالباً ما يعمل في مياه عدوة تسع مواجهات على الأقل مع مراكب بحرية عدوة في السنين العشر الماضية وأكثر من ١١٠ احتلالات كشف منها ثلاثة احتلالات قوية جداً». وقالت اللجنة أن تقويم البحرية الخاص للبرنامج بأنه قليل المخاطر كان غير دقيق.

عرضت أنا وتايلور البحث على برادلي. كان الجنرال أودوم قد أعطانا انطباعاً بأن إمكانية تسجيل الكوابل عند الغواصات والمعدات الأميركية كانت من أسرار الدولة وأن أي نشر لهذه المعلومات يعتبر كارثة. اتصل برادلي بأودوم. قال مدير وكالة الأمن القومي: «كنت أعلم أن لا تعثر على ذلك». قال برادلي إن محروبه سيمودون إلى القضية. وأضاف أنه يشعر

بحسب أمل لأن إحدى المجلات الصادرة عن منشورات هارفرد(*) قد أعادت نشر ما كانت نيويورك تايمز قد ذكرته عن تسجيل الكوابل. فإذا كان نشره ممكناً هناك فلم لا تنشره الواشنطن بوست؟

في ٢٧ كانون الثاني/يناير ذهبت أنا ويرايدلي وعمر المحليات روبرت كاسبر إلى مركز قيادة المجموعة الاستخبارية لمقابلة أودوم وكبار معاونيه وكان معنا مسودة لمقالة عن ايبي بلز التي كنا قد خططنا لنشرها وكنا نأمل منهم أن يدلونا على أي شيء يشعرون بأنه يؤذي الأمن القومي. احتشد مسؤولو وكالة الأمن القومي حول المقالة وقرأوا الصفحات الثاني كما كنا نتنظر. وأصبح أودوم مطرقاً وتذمر معاونوه فسأله برادلي لماذا لا ننشر طالما أنَّ السوفيات يعرفون كل شيء حول هذا؟ لقد علموا ذلك من بيلتون واستخرجوا الغلاف العائدي لايبي بلز من قعر المحيط، ولأنَّه وأثناء حاكمية بيلتون لماذا لا نخبر الناس بذلك؟ قال أودوم إنهم سيأخذون المقالة ويدرسونها ويعرضون مختلف الخيارات ثمَّ يعيدونها إلى برادلي.

في اليوم التالي في ٢٨ كانون الثاني/يناير بعد أن انفجر الموكب الفضائي تشالنجر اتصل أودوم ببرادلي. قال أودوم إنَّه هو ووكالة الأمن القومي وحكومة الولايات المتحدة لا يريدون نشر المقالة. إنَّه لم يكن يساعد على تمريرها أو يتوسط من أجل كتابتها نص نظيف. إنَّ نشرها يثير الانتباه والاهتمام وهذا مضر جداً. وأضاف: وحتى لو كان السوفيات قد علموا فإنَّهم لم يدركوا بالتحديد ما كانت الولايات المتحدة تعلم أنَّهم يعرفونه. ونحن نريد حماية فإنَّهم يجب أن ننسى الموضوع بأكمله.

في ٧ شباط/فبراير تناولت طعام الغداء أنا ويرايدلي وكاسبر ودادوي مع أحد كبار المسؤولين السابقين في وكالة المخابرات المركزية وهو على اطلاع واسع على التوتر والحساسية بين الأمن القومي والأوساط الصحافية. عرض برادلي معلوماته حول ايبي بلز وتسجيل الكابل وخيانة بيلتون والمحكمة الجارية وتساهل لماذا يعارضون النشر؟ أجاب المسؤول السابق في وكالة المخابرات المركزية: «إنَّ المرأة التي تدافع عن طفلها هي لا شيء بالنسبة إلى ضابط الاستخبارات الذي يدافع عن عمليته».

قال برادلي: ولكنَّ السوفيات يعلمون. قال: «آه ولكن بالتحديد من؟ أي سوفييات؟ لم يكن هناك من يقول. يمكن أن يكون اكتشاف اللولب نصراً كافياً للزعامة الذين أعلموا به. ويمكن أن يكون مربكاً للمسؤولين العسكريين أو المخابرات السوفياتية لأنَّ الكابل قد تعرض لتسجيل لفترة من الزمن. وأضاف: «حسناً لا تعرف وبالتأكيد لن نعرف». ثمَّ قال إنَّ ذلك كان المازق بحد ذاته. لقد

(*) مجلة «الأمم الدولي» عدد شتاء ١٩٨٥، ١٩٨٦ مقال بعنوان الحرب النووية في البحار بقلم ديزموند بال.

كنا ننظر من الزاوية الخطأ. انظر إليها من وجهة النظر السوفياتية ستري أنَّها اشتباه خفيف منذ أربع أو خمس سنوات في بعض البحار وحاكمية هادقة في الولايات المتحدة دون الكشف عن التفاصيل. إنَّها نهاية القضية ولكن انظر إلى الدليل إذا نشرت: ستوضع الوحدات العسكرية والاستخباراتية السوفياتية في وضع الإنذار وتطلب جواباً وتحقيقاً لأنَّ الأرض الأم أرض الاتحاد السوفياتي كانت ضحية عملية تجسس في مكان محدد وفي وقت محدد. ويمكن أن يؤدي هذا إلى هبة للشعور الوطني السوفياتي وسيبدأون بالبحث على مزيد من أعمال التجسس الموجهة ضدهم. وسيأخذون أقصى حذرهم وسيمشون على رؤوس أصابعهم، وهذا قد يؤدي إلى الاشتباه بعمليات أخرى بعيدة جداً عن هذا الموضوع. قال إنَّه لم يكن يعلم عن عملية تسجيل الكوابل، وإنَّ ما قاله كان على سبيل الافتراض وأضاف أنَّ هدف ضابط الاستخبارات هو أن يجعل الطرف المقابل نائياً ويجعله يشعر بالثقة والأمن، ولهذا السبب رفضت الاستخبارات الأميركية نشر المقالة. إنَّها لا تريد أن تندر الجانب الآخر.

تابع حديثه بلطف قائلاً: «إنَّ نشر المقالة في الواشنطن بوست سيأتي بالمسألة إلى طولة الزعيم السوفياتي الجديد غورباتشيف الذي مضى على استلامه السلطة أحد عشر شهراً. قال إنَّ النشر سوف يضع قضية التجسس الأميركي داخل أمعائه وسوف يشتعل غضباً. ربما لم يخبروه. إنَّهم يجادلون في نظامهم كما نفعل نحن. إنَّ التسجيل على كابلهم كان أيضاً ضربة كبيرة لهم حتى ولو تمَّ كشفه فيما بعد لأنَّه يجب أن لا يحصل أبداً».

فما بعد كنا نرجع إلى هذا الحديث ونسميه بيان غورباتشيف المؤثر. قبل نشر المقالة يجب أن نفهم ما كان يعرفه غورباتشيف ومتى عرفه. وتعتبر عملي لم يكن هناك مجال للنشر. كنا واثقين جداً من أنفسنا. كانت المعلومات موجودة في أيدي السوفيات وهذا ما تأكدنا منه ولكن غورباتشيف ربما كان يعلم وربما لا يعلم. إنَّ ما جرى على الغداء كان رزياً ويمكن أن يكون له نتائج غير مقصودة.

بدانا بتسويق المقالة في المدينة علناً نعتز على أحد المسؤولين يقول لنا إنَّ نشرها جيد ومفيد. قال برادلي إنَّه سيتباطأ ليرى ما سيجري. لم يخبرنا أحد ما المضر في هذه المقالة. كان واضحاً أنَّ المجموعة الاستخباراتية لا تريد من الأوساط الصحافية أن تلوث مكان وجودها بكثرة الزيارات ربما لأسباب وجهية وغير معروفة وربما لأنَّها لا تريد المزيد من المناقشة حول عمليات جمع المعلومات أو المزيد من الحديث عن إخفاقهم في قضية بيلتون. رأينا أصدقاء صفراء تحذيرية ولكننا لم نر أصدقاء حمراء.

أخذت آخر مسودة للمقال إلى البيت الأبيض وأعطيتها لمسؤول رفيع المستوى وطلبت الحصول على جواب منه. إذا كان هناك اعتراض فإننا نأمل أن نعرف ما هو هذا الاعتراض. لقد حذفتنا أربعة مواضيع جزئية من المسودة الأولى التي عرضت على الجنرال أودوم لأننا تصورنا أنَّ السوفيات يمكن أن لا يكونوا على علم بها. قالت المسودة إنَّ بيلتون كشف عن

عمليات للبحرية الأميركية لاستراق السمع عن طريق وضع أجهزة تنصت في الكابيل السوفياتي في قاع البحر. وقالت إن ذلك حصل عام ١٩٨١ وأن عملية ايفي بلز كانت على الكابل المركز في بحر أوخوشوك. وعد الرجل في البيت الأبيض بأن يبذل جهده.

في ٢٠ شباط/فبراير ١٩٨٦ طار الرئيس ريغان إلى غراناذا للاحتفال بذكرى نصر عام ١٩٨٣ في طائرة الرئاسة عرض مسؤول البيت الأبيض مسودة المقالة على شولتز ووينبرغر وبواندكستر ودونالد ريغان واستنجوا جميعاً أن النص الأخير كان مرفوضاً بشدة. واستنجوا ببعض المرح أنهم أمسكوا الواشنطن بوست بالحيال. إن تصرفنا غير العادي وذلك بتقديم عدة مسودات مختلفة للمقالة إلى وكالة الأمن القومي والبيت الأبيض كشف عن ترددنا وعدم ثقتنا. قال المسؤولون إن المقالة يمكن أن تؤذي الأمن القومي الأميركي ليس لأن سراً قد اكتشف بل لأنها ستحدث ضرراً في العلاقات الأميركية السوفياتية. وإذا حل السوفيات المعلومات الواردة في المقالة على حمل الجد ويشكل رسمي فيمكن أن يعلموا ما تخوف منه الجنرال أودوم أي سوف يعلم السوفيات ما يعرف الأميركيون أنهم يعرفونه عنهم! بالإضافة إلى ذلك كان في عمليات وكالة الأمن القومي سلسلة من الأسرار المشابهة وكان من الصعب نزع عملية واحدة وفصلها عن بقية العمليات ثم شرحها في العلن دون أن يؤدي ذلك إلى ضرر كبير. لكن القلق الأساسي كان حول ديناميكية العلاقات الأميركية السوفياتية، والمقالة يمكن أن تؤذي هذه العلاقات. ويدخل كل هذا في باب الأمن القومي.

اجابنا مسؤول البيت الأبيض فيما بعد أنها قضية رفيعة المستوى وعلى برادلي أن يتكلم مع بواندكستر.

لم يفتتح داووي بأننا لا نخبر الروس بشيء جديد وعلينا أن نتأكد دائماً من هذا. قال برادلي إن هناك ست مسودات للمقالة وكل مسودة جديدة تخفف من نشر التفاصيل. كان يمكن للمسودات الأولى أن تسبب المشاكل، وقال: «يجب أن لا ننشر المواد التي يحاكم عليها غيرنا بالخيانة» وأضاف: قولوا لي ما الهدف الاجتماعي من هذه المقالة؟ كان ييلتون واحداً من أكبر الجواسيس الذين عملوا لصالح الروس. لقد أعطاهم جوهره الناتج في أعمال جمع المعلومات وليس فقط في ايفي بلز. لقد وضعه عمله في وكالة الأمن القومي على تقاطع طرق المعلومات الواردة من جميع عمليات الاستخبارات التي كانت تستهدف الروس. وقد تعرض لاستجواب من السوفيات في فيينا لعدة أيام في عدة رحلات وعلى مدى سنوات عديدة وكنا نحاول أن نبحت ونتبين لكي نخبر قراءنا بما باعه ييلتون. إن ما جاء في المقالة يظهر كم هو سهل أن تتمشي إلى السفارة السوفياتية وتبيع الأسرار الأميركية! بقي برادلي غير متأكد مما سيعمل وقال إنه سيتصل ببواندكستر(*).

(*) بعد يومين حضر كل من كايي ومدير مكتب التحقيق الفدرالي وبستر إلى مكتب برادلي ليطهروا ملفهما حول مقالة أعداء المراسل في البيت الأبيض لوكانوت وأنا وخططنا لنشرها في اليوم التالي حول وثيقة =

في أواسط شهر آذار/مارس قال لنا مسؤول رفيع المستوى في مكتب التحقيق الفدرالي إن وزارة العدل على وشك أن تحصر المعركة بإدانة ييلتون بسبب المخاوف من أن تكشف المحاكمة عن الأسرار.

لماذا لا ننشر ما يعرفه الروس حالياً؟

قال المسؤول: يجب أن يتلاءم ذلك مع أجواء عمليات الاستخبارات. إن أي كلام حول طرق الحصول على المعلومات يثير الانتباه في جميع أنحاء العالم. وأفضل ضربات الاستخبارات تحصل عندما يرتكب أحد ما في الجانب الآخر خطأ أو يرى شيئاً ما ويفشل في التحقق منه. إن حشر السوفيات في قضايا الاستخبارات يؤدي إلى إطلاق النيران لقوى مكافحة التجسس التي أردنا دائماً تقييدها. وأضاف: «سأتكلم مع وزير العدل إذا أردت». لا حاجة لذلك لأن ميز هو الوحيد الذي لم يستشر بعد.

في يوم الجمعة ٢١ آذار/مارس شاهدت كايي في حفلة استقبال كبرى أقامها ناشر النيويورك تايمز آرثر أوكس سولزبرغر في نادي واشنطن الدولي في قلب مدينة واشنطن وكان الحضور قد بدأوا يغادرون النادي والحفلة على وشك أن تنتهي. كان كايي يتحدث مع محرر من صحيفة نيويورك تايمز، وكان يحرك الشراب في كاسه بأصبعه. تمشيت نحوه وسألتها عما إذا كان بالإمكان أن أصفحه. قال «ها أنا أتكلم معك» ورمى يده على وجذبي باتجاهه وقال: «إنك تقم حفلة كبيرة جداً» وذهل عدد كبير من الناس في القاعة وذهلت أنا أيضاً وتابع كايي يقول لي: «رجالك هنا».

لقد ظن أنني سولزبرغر. قلت له بارتباك أنا من صحيفة الواشنطن بوست. وبدأ أنه فكر في ذلك حوالي نصف ثانية ثم قال: «إنها مزحة جيدة» وضحك وتلفت إلى الوراء وأخذ ينظر حتى رأى سولزبرغر وذلك ليحاطلي عرف أنه قد أدرك غلطته. ثم سألتني عن كتابي عن وكالة المخابرات المركزية. وكان يعرف منذ أكثر من سنة أنني أعمل في كتاب، وتحدثنا عدة مرات في هذا الموضوع، وسألني عما إذا كان يستطيع أن يجري له مراجعة أمنية ليتأكد من أنني لم أكشف عن شيء. يجب أن يبق مكتوماً. قلت إنني سأفكر بذلك. قال: «امض قداماً في كتابك وانتقديني إن شئت، وأضاف: «إنه كتابك».

وسرعان ما كنا في الزاوية لرحلنا وسألته لماذا يصير الجنرال أودوم والآخرون على عدم نشر الأخبار المتصلة بيلتون وعملية ايفي بلز التي باعها ييلتون للسوفيات.

قال وهو يمسك الكأس بيديه اللاتنتين، «إذا نشرت ذلك فلن الرأي العام سوف ييني

= ساندنية حصل عليها كايي وتحتوي على الخطوط العامة لمهامات اللوبي. كان كايي يحاول الحصول على ١٠٠ مليون دولار للكونترا من الكونغرس وكان الساندينيون يحاولون هزيمته. إن نشر المقالة يمكن أن يعرض المصدر للخطر كما قال كايي وبستر، لكن نص الوثيقة الموجودة عندما لم يكشف عن مصدر الاستخبارات، ولهذا نشرنا المقالة.

أوهاماً. لقد كلفت أودوم أن يتولى شؤون هذه المسألة وهو يعرف الكثير عنها.
قلت: الرأي العام؟

لم يجب كايبي.

بعد نهاية الأسبوع أخبرت برادلي حول تأكيد كايبي أن القضية كانت تتعلق بالرأي العام، لكنّه لم يكن سعيداً لأننا ما زلنا نلاحق الموضوع. في ذلك المساء كتبت له مذكرة أقول فيها إنّه من الخطأ أن نوقف الأسئلة، ويجب أن نصل إلى حل.
اصطحبني برادلي إلى طعام الغداء وكان قد قال عدة مرات خلال السنة الماضية عن وكالة المخابرات المركزية: «حقاً، ليس هناك من سيطرة عليها أليس كذلك؟»

قلت، لا أعلم. إنّ عدداً من رجال الاستخبارات ومن الذين يستعملون معلومات الاستخبارات غير مرتاحين وخاصة من كايبي. إنهم يعتقدون بأنّ الولايات المتحدة كانت تضغط كثيراً ليس فقط في الأعمال الخفية ولكن في عمليات جمع المعلومات. قال البعض إنّها نوع من حرب المخابرات ضد الاتحاد السوفياتي. وكانت كل النشاطات عبارة عن جمع سلمي للمعلومات: آلة التقاط هوائ، آلة استراق سمع هناك، أقمار اصطناعية أو غواصة في بحر سلمي فالولايات المتحدة متفوقة جداً على السوفيات في مجال التكنولوجيا. لقد كان السوفيات يخافون كثيراً من التكنولوجيا الأميركية. كل هذا بالإضافة إلى الأعيال الخفية يمكن اعتباره حرب غابرات حقيقية.

قال برادلي: ما الهدف الاجتماعي من نشر هذا؟ أريد أن أعرف. نحن لا نستطيع أن ننشر أي حقيقة أو أي سر.

وافقت على ذلك: ثمّ قلت إنّني في إحدى عمليات النواصات التي نفذت ضد الاتحاد السوفياتي كانت للولايات المتحدة خطط لإرسال غواصة نووية ليس فقط إلى المياه الإقليمية السوفياتية بل إلى داخل أحد الأنهار السوفياتية. أبدى برادلي دهشة وقال: غير معقول.

وقلت: لدينا معلومات عن إمكانية حصولها. يمكن أنّها حصلت ويمكن أنّها لم تحصل. تصور أنّ إحدى غواصتنا قد أسرت في هر سوفيائي أو في ميناء سوفيائي. يمكن لذلك أن يجعل حادثة بوبيلو عام ١٩٦٨ غير مهمة. (لقد أسرت سفينة التجسس الأميركية بوبيلو عام ١٩٦٨ عندما كانت على بعد ١٣ ميلاً من ساحل كوريا الشمالية) أما الجنرال أودوم فقد تحول أسلوب مناقشته معي إلى أسلوب «تق بي» وكيف تجرّوه وكان على وشك أن يسألني «مع أي جانب أنت؟»

سأل برادلي مرة ثانية: هل كانت السيطرة مفقودة على الوكالة؟

كانت وكالة الأمن القومي تصل إلى كوابل غير سوفياتية تحت البحار وذلك لأنّ الولايات المتحدة كانت تقيم شبكة كوابل كبيرة تحت الماء في المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ. ومرة ثانية ربما كان لذلك معنى وربما لا. لقد كان الناس الجديون قلقين من أنّ

الولايات المتحدة كانت تسمح للسوفيات بالتقاط المحادثات الهاتفية من أبراج واشنطن مستخدمين الميكروويف (الموجات القصيرة جداً). لقد كان ذلك غزواً كثيفاً لخصوصيات المواطن الأميركي. إذا ربطت كل ذلك ببعضه تترك أنّ هناك تفاهاً ضمنيّاً على أنّ الولايات المتحدة تستطيع بالمقابل أن تجري جمع معلومات الكتروني من السفارة الأميركية في موسكو. لم يتقبل برادلي ذلك ولم يكن أحدنا مؤهلاً ليقول نعم حقيقة أو نعم بالتأكيد أو نعم تماماً لذلك لم نستطع أن نخرق حرمة الأمن القومي.

اتفقنا على أن نتكلم برادلي مع أحد مصادر الخبر وهو مسؤول سابق في الاستخبارات ويعرف عن الموضوع أكثر من أي مسؤول حالي في الحكومة وهو يستطيع أن يقول بكل ثقة إنّ الخبر عن ايبي بلز لن يزود الروس بشيء لم يعرفوه.

أمضينا معظم شهر نيسان/أبريل حول قصف ليبيا. لم يجتمع برادلي مع المسؤول السابق في الاستخبارات حول ايبي بلز حتى آخر هذا الشهر. أفتنه المسؤول أنّ المقالة كما أعدت لن تخبر السوفيات بأي شيء لا يعرفونه. وفي يوم الجمعة في ٢٥ نيسان/أبريل الساعة الثالثة بعد الظهر طلب مني أن أتصل بالبيت الأبيض وأن أبلغهم أنّ الخبر سينشر خلال يومين.

قال المتحدث باسم مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض: «يجب أن نعتزّض» وقال مرة ثانية إنّ المقالة مجملها يمكن أن تخبر السوفيات بأشياء لا يعرفونها. وأضاف أنّ برادلي مدين للجنرال أودوم بمكاملة قبل النشر. وكان أودوم يشعر بأنّه حصل على تعهد. إنّما لا يبدو أنّ ذلك قد حصل.

في صباح اليوم التالي اتصل أودوم ببرادلي الذي كان قد ذهب إلى لونغ أيلاند لقضاء عطلة نهاية الأسبوع وقال له إنّني يعارض النشر بشكل قاطع وغير قابل للتغيير. قال برادلي «لقد تكلمت مع أشخاص برتبك، مخلصين مثلك للولايات المتحدة، وهم لا يرون شيئاً في المقالة لا يعرفه السوفيات».

أقرّ أودوم بأنّ المقالة لا تخبر السوفيات بأي شيء لا يعرفونه. لقد كان قلقاً في الحقيقة حول البلدان الأخرى التي لم تكن تعرف شيئاً عن هذه الإمكانية.

قال برادلي إنّني إذا تخلّ أودوم عن موضوع السوفيات وتحول إلى موضوع آخر فإنّه يكون قد تأخر كثيراً في اللعب. طلب أودوم من برادلي أن يعلق قراره بانتظار أن يتحدثنا مرة ثانية.

شعر برادلي بأنّه لا توجد لديه أية فرصة، ولم يشأ أن يسير في الضوء الأحمر مسافة بعيدة.

بعد ذلك حاول البعض في سائر المجموعات الاستخباراتية الأميركية إقناع أودوم أن يخبر برادلي بالضبط عما كان يزعمه من نشر المقالة لأنّ أودوم رفض.

في أول أيار/مايو التقى أودوم وبرادلي على طعام الفطور. أمر أودوم الذي بدا أكثر هدوءاً على أن سبب عدم الموافقة على النشر كان البلدان الأخرى لكنه لم يعط مثلاً. دافع برادلي عن رأيه لأنه إذا كان هناك سبب قوي فيجب أن يعرفه.

قال أودوم: إنه شعر بالانزعاج لأن الكثير من معلومات الاستخبارات الحساسة كان يتسرب. وكان هو وبعض المسؤولين يدرسون احتمال استخدام قانون ١٩٥٠ الذي يفرض عقوبات جنائية ضد من ينشر أي معلومات سرية حول الاستخبارات.

قال برادلي إنه يريد أن ينشر.

قال أودوم: هل هذه طعنة؟ وهل سيكون هذا آخر خبر عن إيفي بلز؟

قال برادلي إنه غير متأكد، لكنه أضاف أنه سيبدل جهده لذلك وأن الواشنطن بوست لن توزع التفاصيل هنا وهناك.

فبما بعد وفي النهار نفسه قال برادلي: إنه لا يوجد أي مانع، لقد اجتزنا الجسر. أخذنا المسودة وأعدنا صياغتها وأعدت للنشر صباح الأحد القادم.

وإذا كان أحد الأسباب التي قبل إنها تمنع نشر المقالة هو إمكانية تأثيرها على غورباتشيف، فإن الوقت قد أصبح ملائماً الآن لأن الزعيم السوفييتي له اهتمامات أكبر وأخطر. لقد وقع في هذا الوقت حادث نووي في تشيرنوبيل.

في يوم الجمعة ٢ أيار/مايو زار كايبي لويل جنسن رئيس الغرفة الجنائية في وزارة العدل واقترح على الوزارة أن تستند إلى قانون ١٩٥٠ وتتهم من ينشر أسراراً تتعلق بالاستخبارات بجرم جنائي. وأحضر معه لائحة بأسماء خمس منظمات إعلامية كانت قد نشرت معلومات حول الاتصالات المتقطعة وهي الواشنطن بوست، النيويورك تايمز، الواشنطن تايمز، تايم ونيوزويك. والخبر الذي نسبته للواشنطن بوست كان الذي كتبه أنا حول القنصل البرقيات الليبية التي أظهرت مسؤولية القذافي عن انفجار نادي الديسكو في برلين الغربية.

كان جنسن بارداً تجاه فكرة الادعاء على الصحفيين. وأراد أن يتجنب مواجهة مع المادة الأولى من الدستور الأمريكي. قال كايبي: يجب أن تلتصقوا بقسوة مع هؤلاء الأوغاد. لقد أراد من جنسن أن يهدد الصحفيين بالمحاكمة وذلك ليوقف نشر الخبر عن إيفي بلز. قال جنسن إن هذا لا يؤدي إلى أية نتيجة لأن الحكومة كانت قد خسرت الدعوى في قضية أوراوق وزارة الدفاع في المحكمة العليا.

بعد الظهر اتصل كايبي ببرادلي من هاتف سيارته وقال له دعنا نتحدث معاً، واتفقا على الالتقاء في نادي الجامعة خلف مبنى الواشنطن بوست مباشرة أي بمحاذاة السفارة السوفياتية.

ذهب برادلي ودانوي للقاء كايبي الساعة الرابعة بعد الظهر وسلموا كايبي نسخة عن

مسودة المقال. قرأها كايبي بهدوء ثم رفع رأسه فجأة ونظر وقال: وإن نشر هذه المقالة يعرض الأمن القومي للخطر. وأخذ يحرك الكأس بيده وقال: وأنا لا أهددكم ولكن عليكم أن تعرفوا أنكم إذا نشرتم هذا فسوف أطلب محاكمتكم، وأضاف أن الواشنطن بوست لم تكن المشكلة الوحيدة، «لدينا خمس مخالقات»، ثم شرح أنه كان يعني الواشنطن بوست وأربع صحف أخرى وأضاف أنه قادم لتوّه من وزارة العدل وأن الدعوى الخمس كانت معلقة بانتظار توصيته. وأعطى انطباعاً بأن القطار قد انطلق.

سأل برادلي عما إذا كان ذلك يعني قانون ١٩٥٠.

أجاب كايبي: «ياه ياه لم أعد أمارس القانون ولكنك تعرف عما أتكلم». حاول برادلي ودانوي أن يحصلوا على بعض المعلومات الخاصة. ما كانت المشكلة؟ لقد كانت أولاً السوفيات ثم البلدان الأخرى والأنا ما هي؟

قال كايبي: انظر «علق نشر الخبر لمدة أسبوع». لقد كان يريد الاتصال بالرئيس الذي كان موجوداً في اليابان لحضور اجتماع القمة الاقتصادية، والرئيس سوف يتكلم مع برادلي.

سأل برادلي: أهي مهمة هذه الدرجة؟

قال كايبي: نعم. ثم أضاف إن نشر المقالة يعرض حياة الكثيرين للخطر. وفي طريقه إلى خارج النادي قال كايبي لدانوي: كيف حالك مع أولي؟ وكان دانوي قد كشف عن نورث اسماً أنه الضابط الفعال في مجلس الأمن القومي الذي كان يساعد الكونترا. وكان نورث قد احتج في رسالة إلى دانوي. كان كايبي يعرف كل ذلك. نظراً لهذا التصعيد المفاجئ قرر برادلي ودانوي عدم نشر المقالة نهار الأحد القادم وعادا إلى مكنتيهما وتداولاً مع محاميهما في الأمر. إن قانون ١٩٥٠ يحدد بوضوح أن كل من ينشر معلومات عن اتصالات المخابرات يكون عرضة للاتهام. شكك المحامون في دستورية القانون وحشوا على التزام الحذر.

كنت مقتنعاً أنا وتابلور بأن نشر المقالة لا يسبب الأذى. يبدو أن كايبي كان ييلف. كان يريد أن يمنع الأوساط الصحافية من الكتابة في هذه المواضيع.

قال تايلور: «إن المقالة تخلق أجواء للاستنتاج وهذا ما يريدون تجنبه».

قرر برادلي أن يثير هذه الأمور في العلن وأعطى الملاحظات التي دونها في اجتماعه مع كايبي لمحور في الواشنطن بوست يدعى جورج لادرند وطلب منه تجميعها.

في الساعة ٤:٥٥، تلقى برادلي مكالمة من كايبي. قال كايبي إنه تلقى مكالمة من هنري غرنولد رئيس تحرير مجلة تايم وأن الأخير قال له إن هناك تقريراً يفيد بأن مجلة تايم على وشك أن تقدم للمحاكمة. هل كان برادلي يعرف شيئاً عن هذا التقرير؟

أجاب برادلي: بالتأكيد أعرف وأضاف أنه كلف أحد المحررين أن ينشر مقالاً حول

هذا الموضوع في عدد اليوم التالي.

قال كايبي: «أعتقد بأن ذلك كان حديثاً خاصاً».

قال برادلي: «أنت طلبت الاجتماع بي ولم تحدد أية شروط أو قواعد لهذا الاجتماع».

لقد قدم كايبي معلومات مهمة للواشنطن بوست ولصحف أخرى أيضاً. كان على الواشنطن بوست أن تنشرها. لقد كانت أخباراً. وانتهت المكالمة ولكن بعد عدة دقائق اتصل كايبي مرة ثانية ليسأل ما الخطوة التالية؟ «وهل سأقرأ حول ذلك؟»

- «نعم».

- «ظننت أننا ستحدث أكثر في هذا الموضوع».

- «ما المزيد الذي ستقوله؟»

- «مضى سافراً ذلك؟»

- «غداً صباحاً»

- «وهل ستذكرون اسمي؟»

- بالتأكيد.

قال كايبي إنه لم يتصل به أحد من المحررين.

قال برادلي: «أحد المحررين اتصل برجالك صباح هذا اليوم».

قال كايبي: «ليس لي علم بذلك».

وفي صباح اليوم التالي نشرت مقالة بعنوان: «الولايات المتحدة تدرس محاكمة الصحف التي تنشر الترسبات» ووردت في هذه المقالة أساءة الصحف الخمس التي ذكرها كايبي وورد أيضاً أنه تمت تأثير تلك الامتعت الواشنطن بوست عن نشر مقالة حول الإمكانات الاستخبارية للولايات المتحدة.

في اليوم التالي تناول برادلي طعام الفطور مع عمامي الواشنطن بوست أدوارد بنيت وليامز. قال وليامز إن الحكومة تستطيع أن تدعي ولكنه يشك في ذلك لأن لديه «تجارب كثيرة حول جنهم». والآن فإن كايبي والواشنطن بوست يتركزان كل في زاوية. قال وليامز إن علينا أن ننظر.

يوم الجمعة نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالة جاء فيها: «استناداً إلى معلومات من بعض المسؤولين، قالت وكالة المخابرات المركزية إن نشر مقالة الواشنطن بوست يضر كثيراً لأنه يؤكد صحة ما حصل عليه السوفيات من بيلتون. وقالت إن السلطات السوفياتية لم تكن متأكدة تماماً من معلومات بيلتون...»

بالنسبة إلينا بدا وكأننا نغطي المخابرات السوفياتية كل ما تحتاجه لمراجعة المعلومات التي أدلى بها بيلتون في الاستجوابات الماراتونية التي تعرض لها في فيينا. في اليوم التالي تلقت كاترين غراهام رئيسة مجلس إدارة شركة الواشنطن بوست مكالمة من الرئيس ريغان. هنأت الرئيس على القمة.

قال ريغان إنه تحدث مع كايبي وأن نشر المقالة المتعلقة ببيلتون سيكون مضرًا. وأضاف الرئيس أن هذا مهم جداً، وقال إن إفشاء الأسرار دون ثمن كان خاطرة. وقال إن الاستخبارات الجيدة منعت حصول 120 حادثاً إرهابياً خلال السنة الماضية. وكان ريغان قد كشف عن هذا الرقم في مؤتمر صحفي سابق.

قالت غراهام للرئيس إن برادلي كان حذراً ومتنبهاً وهي بصفتها مالكة لصحيفة الواشنطن بوست تستطيع أن تطلب منه أن لا ينشرها وكذلك يستطيع ابنها دونالد غراهام ناشر الواشنطن بوست. وإنها لم يفعل ذلك لأنه من الأفضل للجميع أن يتخذ برادلي القرار بنفسه.

وبدا أن ريغان قد فهم ذلك، وقال وداعاً.

قالت غراهام لبرادلي إنها تأثرت بكلام الرئيس وإنها تعجبت كيف كتبنا هذه المقالة. فإذا كانت وكالات الاستخبارات تحاول الإطاحة بالحكومات علينا أن نشر كيف تستطيع الولايات المتحدة أن تجمع معلومات كافية.

لقد قام السوفيات بهذا العمل ضدنا. وحتى إذا تقدمنا في مختلف التكنولوجيات فهل علينا أن ننظر السوفيات أن يلحقوا بنا؟

قال برادلي إن المقالة تتحدث عن عملية استخبارية تسمى ابغي بلز كشف عنها بيلتون منذ خمس سنوات. ولا شيء أكثر.

قالت غراهام إن الرئيس كان قلقاً بشكل كبير، وإنها تأمل أن يكون برادلي حذراً أكثر.

شعر كايبي بأنه امتلك الأوراق: الرئيس ريغان وكاترين غراهام.

في صباح 19 أيار/مايو وعندما بدأ اختيار هيئة المحلفين لمحاكمة بيلتون قال مراسل شبكة ان بي سي التلفزيونية الأمريكية في برنامج «هذا اليوم»: «يظهر أن بيلتون قد سلم السوفيات أحد أكثر الأسرار أهمية وحوية لدى وكالة الأمن القومي وهو مشروع اسمه بالشفرة ابغي بلز ويعتقد بأنه عملية استراق سمع تحت الماء سرية جداً كانت الغواصات الأمريكية قد نفذتها داخل الموانئ السوفياتية».

اتصل برادلي بكايبي الذي لم يكن قد سمع ما بثته شبكة ان بي سي وقال: ها أنتم تقولون لنا لا تنشروا. ماذا ستفعلون؟

في ذلك اليوم بعد الظهر أصدر كايبي بياناً يقول فيه إنه أحال شبكة ان بي سي على وزارة العدل للدعوى عليها.

لقد أصبح واضحاً أن علينا أن ننشر مقالتنا ولو بشكل مبثور. ونشرت المقالة في عدد 21 أيار/مايو تحت عنوان: «بيلتون يكشف للسوفيات عن آلة تكنولوجية متطورة لاستراق السمع» وجاء فيها «أن بيلتون كشف عن عملية أميركية ناجحة جداً وطويلة الأمد وغالية

التمتع اعتمدت التكنولوجيا المعقدة لالتقاط الاتصالات السوفياتية، وجاء أيضاً أنَّ
الافصاحات قد استعملت في هذه العملية وأنَّ الآلة قد وقعت في أيدي السوفييات.
أصدر كايبي بياناً معتدلاً يقول فيه أنَّ مقالتنا هي موضوع دراسة ومراجعة في الوكالة
ليرى ما إذا كان سيتم الادعاء. في اليوم التالي بدأت محاكمة بيلتون وبدأت أنا وتابلور نشر
تفاصيل أكثر وأكثر عن ايبي بلز. في المقالة الأولى حددنا مكان ايبي بلز في بحر أوخشوك.
بعد خمسة أيام أصدر كايبي وأودوم بياناً مشتركاً يجدر من نشر تفاصيل المعلومات التي
كشفت عنها في محاكمة بيلتون، ومن نشر أية تأملات تتعلق بها. «هذه الحقائق والتأملات يمنع
الكشف عنها لأنها تعرض الأمن القومي للخطر».
كان هذا موضع استهزاء عام. فالقول بأنَّ الحكومة كانت تشن حرباً على التأملات

كان سخيفاً.
قال كايبي لوكالة أسوشياتد برس في ٢٩ أيار/مايو انه جهد للتخفيف من مستوى
الضجة: «أنا أعتقد بأنَّ الصحافة كانت هستيرية حول هذا الشيء وتقول إننا نحاول تمزيق
المادة الأولى من الدستور والحد من حرية الصحافة. نحن لا نحاول أن نفعل ذلك» وبالنسبة
إلى الحذر والتأملات قال كايبي: «إذا كان علي أن أصدر بياناً جديداً فإني لن أستعمل كلمة
تأملات بل سأستعمل كلمة استنتاجات».
اتصل كايبي برادلي وكان هذا الاتصال رقم عشرين تقريباً هذه السنة.
قال كايبي: لا أريد مباراة في التنول(*)».

(*) في ٥ حزيران وبعد ١٣ ساعة من التداول اجتمعت هيئة المحلفين بيلتون بقضيتين متعلقان بالنجس:
الأولى التآمر، والثانية الكشف عن اتصالات الاستخبارات السرية. ثم حكم عليهما فيه بعد ثلاثة
أحكام بالسجن المؤبد وحكم بالسجن لمدة عشر سنوات.

في شتاء وربيع ١٩٨٦ كانت ليبيا تسيطر على اهتمامات إدارة ريفان في العلن، بينما
كانت إيران ومن خلفها الاضواء تحتل المركز الأول في روزنامة السياسة الخارجية في البيت
الابيض وفي وكالة المخابرات المركزية.
في ١٠ آذار/مارس جلس مكفرلين وراء مكتبه في منزله في ضواحي واشنطن وكانت
الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً. أدار جهاز الكمبيوتر للاتصال بالبيت الابيض ووضع
الشفيرة التي تسمح له بتلقي الرسائل السرية. كان هنالك ضوء يدل على أنَّ رسالة كومبيوتر
كانت على وشك الظهور. ربما أولي. ضغط على المفتاح فقرأ: «التقيت مع صديقك القديم
غوربانينفار في باريس بناء لطلبه يوم السبت. تكلم طويلاً وطلب منا تسهيل بعض الأشياء
القليلة. مثل زيادة في الأسلحة لمساعدته في عملية تحرير الرهائن». وأضاف: «بوب
غابيس جمع معلومات جيدة حول التهديد السوفياتي...» وطلب نورث أيضاً نصيحة
شخصية قائلاً: ألم يحن الوقت للعودة إلى مشاة البحرية؟

لقد فقد مكفرلين مركزه في البيت الابيض ولم يحقق ما كان يأمل فيه في الخارج. كان
يتعطش إلى دور حتى بعد ثلاثة أشهر من رحيله. بدأ بطبع رسالة إلى أولي: نعم يجب أن
يبحث الاثنان مستقبل نورث. بصرحة أتوقع أن تشتد حرارة الكونغرس عليك في الصيف
كما أنها ستلغخي عندما تترك البيت الابيض وعندها لن نجد أحداً يقوم بكل ما قمت به (أو
حتى بجزء صغير) وإذا لم ننجز عملنا فإن كل جهود السنين الخمس الماضية ستذهب أدراج
الرياح.

كيف يكون السيناريو «نورث يترك البيت الابيض في أيار/مايو ويأخذ إجازة لمدة ٣٠
يوماً ويتابع مكفرلين ونورث العمل في مسألة إيران وبينان إمكانيات سرية للعمل هنا
وهناك».

أدرك نورث أنَّ مبادرة إيران قد انتهت ولكنه لم يكن على وشك أن يترك القاعدة
القوية التي وضعها بشكل دراماتيكي وجهازها بنظام اتصالات خاص. في أوائل هذه السنة

اتصل نورث بمكفرلين عن طريق الكمبيوتر وسأله: «نحن نحاول الحصول على ١٠ قوافل بلوياب ٢٠٠ صاروخاً... وقد دفع ديك سكورد ١٠٪ مقدماً». أجاب مكفرلين: «هل لك أن تسأل وكالة المخابرات المركزية عن البلدان التي يباعها البريطانيون صواريخ بلوياب على أن اتصل أنا ببلد منها على الأقل. كيف تجري الأمور حول إجراءات نقل المواد؟ هل أستطيع أن أفعل لك شيئاً؟ إذا كنت تحتاج لبعض الهواوين والمدفعية اتصل بي».

كان الوقت اللازم لقطع المسافة بين الغرفة ٣٠٢ والغرفة ٣٤٥ في البناية التنفيذية أقل من دقيقة. كان نورث يقوم بهذه الرحلة القصيرة من مكتبه إلى مكتب كايسي عدة مرات. لم يكن كايسي رئيساً بل صديقاً حميماً، وظهر المدير بصورة الأب والحكيم والنصائح والوجه بالنسبة إلى نورث. وعندما نفذ نورث عملية التضمين السرية للكونترا عام ١٩٨٤ كان كايسي هو الذي رسم الخطة وأعطى توجيهاته لنورث بأن يشكل هيئة خاصة يرأسها مدني عن خارج الحكومة. يجب أن يكون هناك غطاء غير رسمي لعملية خفية، ويجب إبعاد ذلك عن وكالة المخابرات المركزية. أوصى كايسي بالجنرال سكورد لهذا العمل وشرح لنورث كيف يعد حساباً مالياً خاصاً بالعمليات تتم إدارته خارج مجلس الأمن القومي وذلك لصرف تكاليف السفر وتكاليف بعض النشاطات المعادية للساندينين داخل ماناغوا.

أخذت نشاطات نورث تزداد خطورة، وكان كايسي أحد القليلين الذين يعرفون ذلك. وتبين له أنَّ نصائح كايسي لا تقدر بشئ. لقد كان كايسي يعرف كيف يعمل عمله دون أي تردد. لقد حذر نورث من أنَّ مكالماته على الخطوط الهاتفية العادية مع أميركا الوسطى كانت عرضة للتنصت والاتقاط من قبل المخابرات السوفياتية من مركز نصت خاص في كوبا. ولهذا حصل نورث على آلات ك ل ٤٣ المشفرة من وكالة الأمن القومي. وأمن له كايسي آخر المعلومات حول سياسة السلاح للكونترا وأوصى بوقف التعامل مع اثنين منهم الأول بسبب ارتباطاته المشبوهة والآخر لأنه اشبه حوله بأنه كان ينقل معلومات عن التكنولوجيا الجديدة إلى دول الكتلة الشرقية.

شرح نورث لكايسي أنَّه أعد هو والإسرائيليون مشروعاً لتحويل أرباب صفقة بيع الأسلحة إلى إيران إلى الكونترا. وانفعل كايسي لذلك لأنَّ ذلك من سخريه الأقدار، فقد حاولت إيران مؤخرًا أن تشحن السلاح إلى الساندينين وأمنت لهم اعتذارات نفطية بقيمة ١٠٠ مليون دولار خلال السنين الماضية. أن ندع آية الله يمُول الكونترا؟! لا شك في أنَّ ذلك سيكون ضربة استراتيجية كبيرة ولسعة كبيرة، أن نجعل عدواً يمُول صديقاً. وقال كايسي أنَّ هذه عملية بالغة السرية.

هكذا أصبح عالم نورث مقيداً ومحصوراً، ولم تعد قنوات الاتصال الداخلية في مجلس الأمن القومي آمنة له. وصار يتعامل مع وثائق ومستندات من خارج الحكومة. لكنَّه استطاع

تسلم ١٥ آلة ك ل ٤٣ من وكالة الأمن القومي تسمح له بإرسال رسائل سرية من وإلى الذين يساعدونه في جهوده مكافحة الإرهاب وإطلاق سراح الرهائن، وقرر أيضاً أن يستعملها من أجل الكونترا. سلم آلة للجنرال سكورد وأخرى لرئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في كوستاريكا الذي كان يعمل تحت اسم مستعار هو توماس كاستلو وكان يقدم مساعدة كبيرة للكونترا.

استقبل الرئيس ريغان في أواخر آذار/مارس في المكتب البيضاوي نورث وكاستلو ووزير الأمن العام في كوستاريكا وبواندكستر، وكذلك على دعم الرئاسة أخذ الرئيس معهم صورة تذكارية في جلسة قصيرة.

بحلول شهر نيسان/أبريل كان نورث قد أكمل عمليات إيران والكونترا. وأخير مكفرلين في ٧ نيسان/أبريل: «بناء لطلب من بواندكستر حضرت لرئيسنا ورقة تشمل الخطط والترتيبات من أجل العملية التالية لشحن الأسلحة إلى إيران». جاء في ورقة نورث «إطلاق سراح الرهائن الأمريكية في بيروت» أنَّ القسم الأكبر من مبلغ الـ ١٥٠ مليون دولار الذي ينتظر أن تدفعه إيران ثمناً للأسلحة يمكن أن يوضع جانباً ويستعمل للكونترا. وقد صادق بواندكستر على هذا التحويل. وكان كايسي والإدارة يحاولان الحصول على موافقة الكونغرس على تقديم مساعدات عسكرية وأسلحة للكونترا ولكنَّ ذلك كان يسير ببطء. ثمَّ تابع

نورث: «... ١٢ مليون دولار تستعمل بشكل خاص لشراء المواد الضرورية المطلوبة لقوات المقاومة الديمقراطية في نيكاراغوا وذلك لملاءمة فراغ الفترة الممتدة من الآن وحتى إقرار المساعدة في الكونغرس».

تحت عنوان «توصية»: كتب نورث: «الرئيس يوافق». في ٨ نيسان/أبريل أعطت هيئة الإشراف على الاستخبارات وهي هيئة كانت قد شكلت بعد خالفت الاستخبارات في السبعينات للتأكد من قانونية العمل، تحليلاً قانونياً إلى بواندكستر، جاء في ذلك التحليل أنَّه استناداً إلى مذكرة «الاتصالات» وإلى مذكرة «النصائح» تستطيع أية وكالة في الولايات المتحدة أن تقوم بتدريبات عسكرية أساسية للكونترا على أن لا يشمل التدريب الاشتراك في تخطيط وتنفيذ العمليات العسكرية.

تدفقت الرسائل على نورث من شبكة الاتصالات الخاصة من سكورد حول «إسقاط» الذخيرة (من الطائرات). في ١٢ نيسان/أبريل أفاد رجل وكالة المخابرات المركزية كاستلو نورث عن عملية إنزال جوي ناجحة للكونترا وعن خطته للأسابيع القادمة. وأضاف: «إنَّ هدياً هو تشكيل قوة من ٢٥٠٠ رجل تستطيع أن تضرب في الشمال الغربي ثمَّ تتجمع... تشكل قوة جنوبية قوية. وهذا يؤدي إلى تشكيل قوة معارضة هائلة على ساحل الأطلسي. أنا أعلم أنَّ هذا تخطيط طموح ولكن صدقي بمساعدتك تستطيع أن تتوصل إلى نتائج ممتازة».

ذلك خسارة أساسية للأركان ولجهود الكونترا لكنني أظن أنهما ربما وجدنا طريقاً لاستمرار القيام بهذه الأشياء».

حصل تحول سريع في الكونغرس ضد الساندينين.
ففي ٢٥ حزيران/يونيه وافق مجلس النواب بأغلبية ٢٢١ ضد ٢٠٩ على مشروع قانون كان قد وافق عليه مجلس الشيوخ يقضي بإعطاء ١٠٠ مليون دولار للكونترا. استعود الوكالة للعمل عندما يبدأ مفعول المساعدة في تشرين الأول/أكتوبر.

استدعت لجنة استخبارات مجلس النواب نورث في الصيف وأنكر أن يكون قد أعطى نصائح عسكرية للكونترا، وأنكر علمه عن عمليات عسكرية محددة للكونترا. بعدما تلقى بوندكستر نسخة من إنكارات نورث أرسل إليه رسالة يقول فيها «لقد قمت بعمل جيد». أدرك نورث أنه سرعان ما يخرج من العملية لأن الكونغرس قد أقر مساعدة بـ ١٠٠ مليون دولار. أحصى نورث شبكة العمل الخاصة به «مشروع الديمقراطية». وفي ٢٤ تموز/يوليو كتب إلى بوندكستر بأن الوقت قد حان لوكالة المخابرات المركزية كي تشتري الأشياء الثمينة، وقد قدر نورث قيمتها الإجمالية بـ ٤٠ مليون دولار ومن ضمنها ستة مخازن للطائرات، مؤن، مؤسسات صيانة، سفن، زوارق، بيوت نقالة، آلات، مواد غذائية، ذخيرة، أجهزة اتصال، مدرج بطول ٦٢٥٠ قدم في كوستاريكا. كل هذه المؤسسات والأشياء تملكها شركات تعمل فيها وراء البحار ولا علاقة للولايات المتحدة بها. ومن السخف أن تذهب لمجرد أن وكالة المخابرات المركزية لا تريد أن تزلت سمعتها بأخذ هذه الأشياء، ثم تنفق من ٨ إلى ١٠ ملايين دولار لشعري عوضاً عنها بعد أسابيع أو أشهر. وافق بوندكستر وطلب من نورث أن يتكلم مع كايسي حول هذا. لكن كايسي يريد أن يحافظ على مسافة بين الوكالة وهذه الشركات.

علم غوربانيفاز أنه سيتم التخلي عنه في عملية الأسلحة لإيران وذلك لصالح قناة اتصال جديدة وسرية من خلال ابن شقيقه رجل إيران القوي هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الشورى وهكذا دفع غوربانيفاز اتصاله مع إيران إلى حد قوي، وفي ٢٦ تموز/يوليو أطلق سراح الرهينة الأب لورنس جنكو الذي كان قد مضى على احتجازه ١٨ شهراً. كتب كايسي مذكرة سرية إلى بوندكستر: «إن الاتصال الإيراني قد أعطى نتيجة هذه المرة بعد سلسلة من الفشل. . . وأعتقد بأن علينا أن نتابع، وأنا أعتقد بأن هذا هو الطريق الوحيد إذا أخذنا بعين الاعتبار التوازن الدقيق بين القوى في إيران».

صمم كايسي وشولتز على إنهاء ما بدأوا به في ليبيا. عصمت وكالة المخابرات المركزية على نطاق واسع معلومات عن المنازل السبعة التي كان يستعملها القذافي وذلك من أجل أن تنسحب إلى القذافي وتجعله يعتقد بأنه مراقب. قال أحد المصادر إن القذافي تصرف بشكل عجيب في اجتماع مع مسؤولين يمينيين ويحتمل أنه كان قد أصيب بانهايار عصبي. شعر كايسي

الشمع وإلى رادارات اللطقس.

سأل كايسي: كم هو المال الذي نحتاجه؟

قال سكورد: حسناً هذا يعتمد على الفترة الزمنية التي نتحدث عنها. طالما أن حكومة الولايات المتحدة لا تدعم الكونترا فإننا لا نستطيع أن نبدأ بالعمل.

قُدِّر سكورد أنه عندئذ سيحتاج إلى ١٠ ملايين دولار. «١٠ ملايين دولار» قال كايسي ثم أعاد: «١٠ ملايين دولار». يمكن أن يعطينا السعوديون ذلك ولكنني لا أستطيع التقرب منهم. والقانون الحالي يسمح لوزارة الخارجية بأن تتلمس من أجل الكونترا وفي ظروف إنسانية. ونظر كايسي إلى الجنرال وقال: لكنك تستطيع.

قال سكورد: ولكن أيها السيد المدير أنا لست مسؤولاً رسمياً في حكومة الولايات المتحدة، وأنا لا أعتقد بأن هؤلاء الناس يهتمون بالتبرع من المواطنين العاديين، وأظن أن ذلك سيكون غباء كبيراً.

قال نورث: حسناً من المفضل أن يبدأ أحد بالنظر إلى هذا الشيء في الحال لأن الوضع ميؤوس منه.

قال كايسي إن شولتز يمكنه التقرب من السعودية وأنه سيتحدث معه حول ذلك. لم تطلب وزارة الخارجية من السعودية. بل حصلت فيها بعد على ١٠ ملايين دولار من سلطان بروني وهي دولة صغيرة غنية بالنفط في جزيرة بورنيو بعد اجتماع لمدة ثلاث ساعات بين شولتز وسلطان بورنيو.

في السنة الفائتة كانت وكالة المخابرات المركزية قد امتت خدمات أمنية للسلطان بموجب مذكرة سرية تسمح للوكالة بأن تبدل جهودها لحماية الزعماء الأصدقاء للولايات المتحدة وتوثيق العلاقة معهم.

أتمن نورث في الحال رقم الحساب في البنك السويسري لكي يودع المبلغ فيه، إلا أن سكرتيره فون هول أخطأ في إعطاء الرقم الصحيح، وكانت النتيجة أن ذهب مبلغ العشرة ملايين دولار إلى حساب خاطئ ولم تتلقاه الكونترا.

في أواخر أيار/مايو ذهب مكفرلين ونورث وبعض الآخرين منهم جورج كاف وهو رئيس سابق لمحطة الوكالة في طهران والذي كان يتكلم اللغة الفارسية تحت غطاءه إلى طهران بأمل إطلاق سراح جميع الرهائن ولكنهم عادوا صفر اليدين. جاء في أحد تقارير «كاف» لكايبي أن غوربانيفاز اقترح استعمال المال الزائد لشراء أسلحة للمقاومة الأفغانية وللكونترا.

عبر مكفرلين لبوندكستر عن قلقه على نورث في ١٠ حزيران/يونيه «يبدو من الواضح أن اليسار الديموقراطي يلاحقه وسيتمكنون منه في آخر الأمر». وأوصى مكفرلين بإرسال نورث إلى مركز بشييدا الطبي الخاص بالجراحة لإجراء اختبار طبي بغية الحصول على نتيجة غير صالح للخدمة بحيث يستطيع أن يتقاعد من الخدمة في مشاة البحرية. وأضاف «سيكون

بأنه وضع القذافي في الحيل وبأن على الولايات المتحدة أن تستمر في الضغط عليه وأن تضيقه وتسبب له فقدان ثقته بنفسه، وأن تحاول خلق قوة تقدر على الإطاحة به وبنظامه. يمكن لوزارة الدفاع أن ترسل طائرات بمحاذاة الساحل الليبي لحرق جدار الصوت وإحداث دوي هائل. قال كايبي «أقدموا على إزالته». كانت الذكرى السابعة عشر لثورة القذافي في ١ أيلول/سبتمبر. وكالعادة كان القذافي سيتكلم في هذه المناسبة. يمكن أن يربحوه حتى لا يظهر في المناسبة. لقد نقل حديثاً مركز قيادته من المنطقة الساحلية مئاة الأميال نحو الداخل، بحيث يصعب على القاذفات الأميركية أن تصل إليه.

أوفد كايبي اثنين من مساعديه لشؤون الاستخبارات ويتشارد كير وتوم تويتين (كانا معروفين بنوم وديك) إلى البيت الأبيض ليشرحا إمكانيات الوكالة في فرض ضغوط نفسية على القذافي. وكان تويتين قد عمل في مديرية العمليات منذ خمسة وعشرين عاماً وخدم في مدينة بنغازي الليبية ورأى أنه من السهل أن تشر وكالة المخابرات المركزية قصصاً خاطئة في الخارج عن القذافي من أجل إثارة أعصابه.

كان الفصل صعباً وكان العمل قليلاً نسبياً ويمكن أن يحقق رونالد ريغان نصراً وذلك بتوجيه ضربة إلى القذافي. تم إعداد مجموعة حكومية للأزمات مع أنه لم يكن هناك أزمة، ودعيت للاجتماع في ٧ آب/أغسطس بعد الظهر في غرفة الأوضاع. كانت وزارة الخارجية قد أعدت مذكرة سرية من سبع صفحات وسلمتها إلى المشتركين الأحد عشر من البيت الأبيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية.

دعت وزارة الخارجية في مذكرتها إلى أعمال دبلوماسية وعسكرية وإعلامية خفية ومنسقة بهدف الإسراع بالإطاحة بالقذافي على أيدي الليبيين... سلسلة متتابعة من الأحداث الحقيقية والوهمية.

وجاء تحت عنوان الخطوات التالية الممكنة: «أن الهدف القريب لاستراتيجيتنا هو أن نجعل القذافي يستمر في شك في الغرب بحيث:

١- يشك في أن الجيش وبعض العناصر الأخرى في ليبيا يتآمرون ضده (ربما بمساعدة سوفياتية) ويزيد من ضغطه على الجيش الذي قد يقوم بانقلاب عليه أو يحاول اغتياله». «إن العمل مع المبعدين لا يرجح إسقاط النظام إلا أنه يجب أن تعزز صورتهم في عقل القذافي. إذاً يجب أن نبادر إلى القيام بأعمال خفية مباشرة تحتاج إلى دعم عسكري متزايد. يجب أن نقوم ببعض الأعمال العسكرية العلنية لنعطي المصادقية للإشاعات التي تقول إن الولايات المتحدة تخطط لأعمال أخرى».

أوصت وزارة الخارجية بإيفاد بعثة خاصة إلى بريطانيا وفرنسا وإيطاليا لتوجز لهم عن ضرورة زيادة الضغط على القذافي في هذه الأوقات ولكن دون أن تتوسع في شرح تفاصيل استراتيجية. هذا الحوار والشرح سيكونا وقوداً لنار الإشاعات التي تلهب ليبيا حول حصول هجوم أميركي آخر.

أشارت مذكرة وزارة الخارجية إلى ما يلي:

- ١- نشوب قتال بين مجموعات تتنافس للسيطرة في عصر ما بعد القذافي.
- ٢- التهديد باندلاع الثورات في الدول المجاورة لليبيا، والحاجة إلى استمرار في ردع القذافي.
- ٣- خليفة القذافي المحتمل.
- ٤- أوضاع الليبيين في ظل حكم القذافي.

إن زيارة مسؤول كبير في وزارة الدفاع إلى نشاد في هذا الشهر تعطي الفرصة لتسريب معلومات خاطئة لتصل إلى القذافي تفيد بأن الولايات المتحدة وفرنسا تعدان خطة طوارئ للدفاع عن «خيار تشاد»، وزيارة أخرى لمسؤول وزارة الدفاع إلى تونس وبقية الدول المجاورة لليبيا سوف تؤمن فرصاً ماثلة لتسريب معلومات خاطئة.

اقترحت المذكرة إعطاء إشارات استخبارية خادعة تظهر أن الطائرات الأميركية كانت تحلق فوق مراكز القذافي وبث أخبار عن تحركات مجموعات حاملات الطائرات القتالية ثم عدم متابعتها.

وتحت عنوان «في الصحافة الأجنبية» جاء في المذكرة:

يجب نشر مقالات في الصحف الأجنبية حول المنشقين العسكريين الليبيين وحول وجود جاعات سرية في الجيش الليبي. وحول معلومات عن تخطيط عمليات مشتركة ضد القذافي وأن السوفييات يعدون لانقلاب عسكري. يجب تزويد الاستخبارات الليبية بصور للمنشقين الليبيين وهم يجتمعون مع المسؤولين الرسميين السوفييات في باريس وبنغداد وغيرها، ونشر معلومات حول خطة انقلاب أميركية بمساعدة مسؤول ليبي رفيع المستوى. عمليات خداع، استعمال الراديو السري، كشف عمليات دفع الأموال، استعمال الغواصات والطائرات الأميركية، إزلال معدات مثل زوارق مطاطية على السواحل الليبية للإيماء بأن هناك تخطيطاً لانقلاب أو أنه في طريقه للتنفيذ.

اقترح هوارد تيشر مدير المكتب السياسي العسكري لوكالة الأمن القومي في مذكرة سرية جداً أن ترغم الإدارة الأميركية فرنسا على الاشتراك ببعض الأعمال من أجل إخراج القوات الليبية من تشاد، واقترح أن يلف البيت الأبيض وراء ظهر الحكومة الفرنسية ويقم اتصالات عسكرية مع فرنسا لأن الاتصالات السياسية أثبتت فشلها في مطلع هذه السنة، مع الأخذ بعين الاعتبار رغبة بعض الجنرالات الفرنسيين في التعاون معنا ضد القذافي، ويمكن أن نشجعهم كي يقدموا الاقتراح للحكومة المدنية الفرنسية.

في ٧ آب/أغسطس اجتمع عشرة من كبار المسؤولين الحكوميين في غرفة الأوضاع لدرس التقارير ورسم الخطة. لم يصدق الجنرال جون مولونغو الممثل الشخصي لرئيس

الأركان المشتركة أنهم يصدد اعتياد سياسة خداع وتظاهر، وتساءل: ماذا إذا تسربت معلومات.

قال أحد المجتمعين: ألا نثق ببعضنا البعض؟
بعد بضعة أيام تلقى كايسي مذكرة سرية جداً عنوانها بالشفيرة فكتور من بواندكستر للتجسس للاجتماع القادم لمجموعة تخطيط الأمن القومي مع الرئيس حول ليبيا.
قرأ كايسي: «لقد تحطمت حالة القذافي الذي لا يبقها وهيته فقدت بريقها وأضحى إمساهه بقبضة الحكم موضع شك».

«يجب أن نشجع المعارضة الداخلية على العمل وأن نزيد من مخاوف القذافي بإقناعه بأن أعمالاً أمريكية أخرى ستحصل... مزيد من العمل الخفي المباشر... عمليات عسكرية علنية لدعم الإشاعات التي تتحدث عن نية الولايات المتحدة في القيام بمزيد من الأعمال العسكرية».

... إعطاء القوود للإشاعات عن الأعمال العسكرية... مناورات من جانب واحد ومناورات مشتركة لخداع الدفاعات الليبية المهيكلة... عمليات خداع... مقالات في الصحف الأجنبية تركز انتباه الأوساط الإعلامية على القتال بين المجموعات الليبية. السابق على خلافة القذافي... تحقيقات وأقاول حول خلفاء القذافي المحتملين... الحالة العامة للمجتمع الليبي. الإشاعات حول التخطيط الأجنبي لاستئناف العمليات ضد القذافي».

«إنها فرصة تبشر بالنجاح لتحقيق تغيير حاسم في الدعم الليبي للإرهاب وتساهم في إسقاط القذافي».

أعجب كايسي بهذه المذكرة.

أرسل بواندكستر أيضاً مذكرة إلى الرئيس.

- سري جداً/حساس.

«لقد استنتجت معظم التقديرات الاستخبارية أنه على الرغم من التوتر الشديد والصدمة الذاتية للقذافي والأضرار التي أعقبت غارة ١٤ نيسان/أبريل ما زالت السلطة في ليبيا بيده وبشكل قوي».

وجاء تحت عنوان: القرص:

«هناك إجماع داخلي على أن سياسة الولايات المتحدة في فرض الضغط على النظام الليبي وعزله لها تأثير واضح، وتثير القوى الداخلية الليبية التي سوف تعمل على تغيير النظام».

«هناك إجماع أيضاً على أن قيادة بديلة للقذافي ستكون أفضل بالنسبة إلى الولايات المتحدة والأمن الدولي».

«خلال اجتماع مجموعة تخطيط الأمن القومي سوف تقدم إليك خطة من إعداد وزارة

الخارجية ووكالة المخابرات المركزية تقترح فيها سلسلة من الأعمال الخفية والدبلوماسية والعسكرية والإعلامية. وأحد العناصر الهامة في استراتيجية هذه الخطة أنها تجمع ما بين أحداث حقيقية وأحداث وهمية (من خلال برنامج معلومات خاطئة) وهدفها الأساسي هو أن تجعل القذافي يفكر في أن هناك معارضة ليبية قوية في الداخل وفي أن كبار مساعديه غير مواليين له وفي أن الولايات المتحدة على وشك التحرك عسكرياً ضده».

«سوف تشجع القوى الداخلية الليبية التي ترغب في الإطاحة بالقذافي... وتحطيم معتوياته وتنشيط أولئك الذين يسعون للحلول مكانه».

«مع أن التقييم الحالي للمجموعة الاستخبارية هو أن القذافي قد هذا مؤقتاً في دعم الإرهاب، إلا أنه سيتحرك قريباً نحو مزيد من هذه الأعمال».

في الساعة ١١ قبل ظهر ١٤ آب/أغسطس اجتمع الرئيس ريفان مع شولتز ووينبرغر وكايسي وبواندكستر والأميرال ولیم كراو رئيس الأركان المشتركة.

مدح بواندكستر كثيراً وزارة الدفاع قائلاً إن غارة ١٤ نيسان/أبريل كانت معبرة ومؤثرة من الناحية التقنية، وأنها دعت الإرهاب وأضعفت القذافي في وطنه وساهمت في تعزيز صورة أميركا وهيئته في العالم. وقد حان الوقت لدعم هذا برنامج كثيف من المعلومات الخادعة التي تؤدي إلى سقوط القذافي.

بدت إمارات الانزعاج ظاهرة على الأميرال كراو وقال: هل من المناسب الطيران على ارتفاع منخفض بهدف التأثير النفسي؟ هل يعتبر فعالاً أنك ستقوم بعمل دراماتيكي ثم تعدل عن ذلك؟ ألا تؤدي هذه الخطة إلى التقليل من قيمة الردع التي سببتها غارة ١٤ نيسان/أبريل وتجعل الولايات المتحدة مرة ثانية غمراً من ورق؟

لكن العجالات كانت تدور وكانت وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية جاهزين. الرئيس كان مرتاحاً ولاحظ أن القذافي كان يميل إلى ارتداء الألبسة الغربية. وسخر ريفان وقال: «لماذا لا ندعو القذافي إلى سان فرانسيسكو. إنه يجب أن يلبس كثيراً».

رد شولتز: لماذا لا نعطيه جروثمة الأيدي؟

وضحك الآخرون وهز ريفان رأسه. لقد تم صنع القرار وصنع السياسة.

قال أحد المشتركين فيها بعد: لقد وقعوا على أفكار مجوفة وتم اقتباس جميع تقنيات الإرهاب ولم يعتمد الاجتماع لا العمل العسكري ولا العمل الخفي.

في ١٦ آب/أغسطس عرضت على الرئيس توجيهات قرار أممي قومي لتوقيعها.

حددت هذه التوجيهات أنه يمكن أن يتم تنفيذ برنامج الخداع والتضليل بموجب المذكرة السابقة حول ليبيا وكانت الأهداف: منع القذافي من الاشتراك في الإرهاب وتغيير القيادة والتقليل من احتيال النجاح السوفياتي في ليبيا.

وقع ريفان هذه المذكرة وكان تصنيفها «سري جداً» واسمها بالشفيرة «فيل» أي «الحجاب».

بعد تسعة أيام قالت صحيفة وول ستريت جورنال في افتتاحيتها الرئيسية: الولايات المتحدة وليبيا على طريق الصدام مرة أخرى. وجاء في المقالة أنَّ ليبيا كانت تخطط لإرهاب جديد وأنَّ الولايات المتحدة تعد لغارة جديدة على ليبيا. وعرضت المقالة المعلومات المخاطنة حول نشاد وكأنها واقعية. في اليوم التالي تقبل بواندكستر مقالة وول ستريت جورنال علناً وسياها الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض «مؤنوقة».

كذلك أقدمت بعض وسائل الإعلام ومن ضمنها الواشنطن بوست بالضرب على وتر الأخبار المضللة للإدارة ونشرت مقالات تنفي بأنَّ مواجهات جديدة كانت على وشك أن تبدأ. وفي الأيام اللاحقة أكد مسؤولو الإدارة الأخبار التي نشرت وحاولوا التقليل من قيمتها.

ذهل بعض الخبراء في الشؤون الليبية في وزارة الدفاع وفي وكالة المخابرات المركزية. لقد كانت الإدارة تدخل العصا إلى قصص القذافي وتحركه وتثيرة وتضعه في مركز الأحداث العالمية. وكان البيت الأبيض يسرب الأنباء المضللة، وحتى إنَّ لم يفعل فإنَّ معلومات كهذه ستسرب حتماً، وضعت الخبراء لأنَّ البيت الأبيض فشل في توقع النتائج. سرعان ما وردت تقارير تنفي بأنَّ القذافي كان يخطط لمزيد من الهجمات الإرهابية كرد فعل على المواجهة العلنية مع الولايات المتحدة. لقد أحبط هجومٌ على إحدى القواعد الأميركية بسرية تامة. ولكن في ٥ أيلول/سبتمبر أطلق أربعة رجال النار على طائرة بان أميركان في مطار كراتشي وقتلوا ٢١ شخصاً.

التفتت مكلمة لعربي بجواز سفر ليبي يدعى سليمان التريكي مع المكتب الشعبي الليبي في العاصمة الباكستانية يقول إنَّه في مهمة خاصة من الاستخبارات الليبية، واعتقل فيها بعد وتعرض مع المخاطفين الأربعة إلى استجواب مكثف.

كان كايسي يفرح عندما يشهد تجمعاً لقدايمي مكتب الخدمات الاستراتيجية. في ١٩ أيلول/سبتمبر توجه إلى فندق ماي فلور في واشنطن لحضور مؤتمرهم. قال لهم: «أها الرفاق الطاشون. شكراً لله أننا جميعاً هنا. وكان عدد الحاضرين قليلاً ومعظمهم من المستئين. وكان هلمز وكولمي حاضرين. كانت صوفيا تجلس في الصف الامامي وتصغي بعناية إلى الخطاب الذي استغرق ساعة، وكانت تشير إلى أحد الجالسين على المنصة الرئيسية ليجعل زوجها يقرب أكثر من الميكروفون أثناء إلقاء خطابه. حدد كايسي نقطتين مركزيين: إنَّ نظرة مؤسسهم الخنرال دونوفان كانت ترى بأنَّ الحرب النفسية وغير النظامية هي طليعة الحرب الخفية. إنَّ أكثر المشاكل إرباكاً وإزعاجاً لمكتب الخدمات الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية كانت تأتي من أركان البيت الأبيض. «كل من يحق له دخول مكتب الرئيس

يمكن أن يحصل على امتياز خاص لنفسه»!

بعد خمسة أيام أخبرت كايسي أننا رأينا بعض المذكرات السرية جداً واسمها بالشفيرة فكتور وفيل «الحجاب» وتتعلق بمعلومات مضللة ضد القذافي. حدَّث بي بقسوة وقال: «أنا لا أعلم عما تتكلم» ثمَّ ذهب بعيداً عني.

في ٢ تشرين الأول/أكتوبر نشرنا مقالة طويلة حول المذكرات بعنوان: «القذافي هدف لحظّة خداع سرية أميركية. حملة مدروسة تضمنت معلومات مضللة ظهرت كوقائع في الأوساط الصحافية الأميركية».

اجتمع الرئيس ريفان وبواندكستر بحجري الأخبار في ذلك النهار الساعة ١١،٠٠ قبل الظهر في المسرح العائلي في البيت الأبيض. قال الرئيس: «لقد قرأت تلك المقالة في هذا الصباح، وصدمت، وأنا أشك في صحتها». نعم، هناك مذكرات حول ذلك وحول المعلومات، وهكذا فعندما أشك في صحة المقالة لا أستطيع أن أنكر أنَّ هنا وهناك شيئاً يتعلقون به».

«قريباً سيذهب القذافي كل ليلة إلى فراشه وهو يتساءل عما بإمكانه أن يفعله». وأضاف الرئيس: «توصلت إلى استنتاج أن السيد ودورد قد يكون حنجره عميقة».

ذلك المساء أخذ شولتز اتجاهها آخر وقال: «بصراحة ليس لدي مشكلة مع الحرب النفسية ضد القذافي» وأضاف في مؤتمر صحفي: «إذا كنت مواطناً عادياً أقرأ ذلك وأقرأ أنَّ حكومتنا كانت تحاول إرباك من يدير الأعمال الإرهابية ويقتل الأميركيين، عندما أتأمل في أن يكون ذلك صحيحاً». «وإذا كانت هناك أساليب تجعل القذافي عصياً فلم لا نتمدها؟»

«هناك كتاب رافع حول الحرب العالمية الثانية عنوانه مقتطف من كلام ونستون تشرشل: في وقت الحرب نجد الحقيقة غالية جداً ويجب أن نتنقل في حراسه من الأكاذيب». في اليوم التالي نشرت النيويورك تايمز خمس مقالات حول عملية المعلومات المضللة منها ثلاث في الصفحة الأولى طرحت أسئلة حول مصداقية الولايات المتحدة.

أراد نورث أن يتنصع لاختبار كشف الكذب على آلة البوليفراف ليثبت أنَّه لم يسرب أي شيء حول حملة المعلومات المضللة ضد ليبيا. وقال في رسالة كومبيوتر لبواندكستر: رجاء اسمحوا لي بالخضوع إلى اختبار كشف الكذب حول وروطة ودورد. أنت والرئيس بحاجة لإيجاد الشخص الذي يفعل ذلك.

يوم السبت في ٤ تشرين الأول/أكتوبر طلبي معاون بواندكستر التون كيل إلى البيت الأبيض ليرشح لي أنَّه لا توجد دليّة للكذب على الأوساط الصحافية ولم تحصل تسريبات مأمور بها، ولا زرع أخبار أو قصص، وأنَّ استعمال كلمة اغتيال في مذكرة وزارة الخارجية كان لسوء الحظ خطأ لغوياً ولكنَّ السبب يعود إلى أنَّ الاغتيال عن طريق الآخرين في ليبيا لا يمكن استبعاده.

كان لكايي مزيد من المشاكل الهامة مع لجنة استخبارات مجلس الشيوخ التي كانت على مدار السنة تحقق في مختلف قضايا التجسس. وكان كايي قد حصل على تقرير اللجنة السري جداً والذي طلبت اللجنة إعادة تصنيفه ليصبح علنياً. وكان يركز على أربع قضايا رئيسية. جاء في التقرير: كان هناك تجسس قليل في جميع وكالات الاستخبارات، والسلوك الشخصي الشاذ لأولئك الذين قبض عليهم بتهمة التجسس يجب أن يطلق مزيداً من التحقيقات.

- إن إفلاس بيلتون عندما كان في وكالة الأمن القومي والمشكلة الانضباطية الأخرى عندما كان في القوات الجوية، كان يجب أن ينذروا رؤسائهم. كان هناك دليل على أنه قد ترك وكالة الأمن القومي رغباً عنه عام ١٩٧٩. لقد سافر إلى فيينا عدة مرات. وكانت مكالماته الهاتفية مع السفارة السوفياتية قد سجلت عدة مرات من قبل مكتب التحقيق الفدرالي. ولكن أكثر الأمور إنذاراً كان تقرير مشفر سري جداً وضع عام ١٩٨٢ حول الاشتباه بعملية ابيي بلز. استنتج التقرير أن السوفيات قد اكتشفوا الكابل وآلة التسجيل عام ١٩٨١ بواسطة جاسوس. وقد استبعدت المصادقة أو الحظ لأن السوفيات كانوا يعرفون ماذا يفعلون. هذا التقرير قد بقي سرياً على لجنتي الاستخبارات في مجلس الشيوخ وبمجلس النواب لأن وكالة الأمن القومي والبحرية لم ترغبا في الإجابة عن الأسئلة تخوفاً من أن يوقف الكونغرس تمويل غواصات التجسس التي يكون العمل فيها خطراً.

- كان رجل وكالة المخابرات المركزية هوارد معروفًا بسلوكه غير المعتدل، ولكن برقية رئيس محطة موسكو التي تقول إن اكتشاف مصادر الاستخبارات وعملياتها كان من مصدر بشري، قد أنكرت. وكانت اللجنة قد استجوبت رئيس محطة موسكو الذي قال إن موسكو كانت بيئة صعبة، وإن جميع العمليات البشرية والتقنية كانت خطيرة بنسبة ٥٠ - ٥٠، وقال كان الممكن أن يكون حطناً عطلاً. كان عناصر الوكالة يخافون من أن يقال عنهم إنهم «أشخاص غير مرغوب فيهم» وأن يعيدوا بسبب التجسس.

بالنسبة إلى رجال المخابرات أن يقال عنك إنك «شخص غير مرغوب فيه» فهذا يعادل: «أذهب إلى السجن» أي أنه نوع من الفشل المهني. لقد حدثت عمليات إعادة كثيرة في الستين العشر الماضية. لذلك كان رجال المخابرات يفضلون أن يعيشوا مع احتمال الاشتباه بهم دائماً.

- جونان بولارد وهو محلل استخبارات مدني في جهاز تحقيقات البحرية وكان خبيراً في الإرهاب أوقف عام ١٩٨٥ بتهمة التجسس لصالح إسرائيل بينما كان يهرب حقائب مليئة بالمستندات. كان بولارد قد صرح مراراً لأصدقائه العاديين ومن ضمنهم أحد كبار مساعدي رئيس الجهاز الذي كان يعمل فيه أنه يعمل لصالح الموساد الإسرائيلي لكن لم يصدق أحد ولم يسأل أحد عن الموضوع. كان الإسرائيليون يطعون على نشرات الاستخبارات الأمريكية

وأعطوا لبولارد لوائح بتقديرات الاستخبارات القومية وطلبوا بموجبها أحدث المعلومات. وكان بولارد قد أخبر الإسرائيليين بأن له حق الدخول والإطلاع على كومبيوتر البحرية. مع أنه لم يكن هناك دليل واضح على صحة هذا، فإن محتويات كومبيوتر البحرية اعتبرت مكشوفة بأكملها.

- كان تجسس عنصري البحرية جون واكر وجيري وايتورث يعادل بيلتون في مجال الضرر الذي سببها. لقد دفع السوفيات مبلغ ٣٠٠ ألف دولار لرئيس أجهزة الراديو وايتورث وذلك لقاء تسليم ما بين ٢٥ و ٥٠ لغة من أفلام ميونخس ما بين مرتين وأربع مرات في السنة. استأجر وايتورث مرة سيارة رولز رويس بيضاء. قال يورتشكو إن المخابرات السوفياتية نظرت إلى عملية واكر / وايتورث على أنها الأهم في تاريخ المخابرات السوفياتية. حاز ضباط المخابرات الذين أداروا العملية على مكافآت، أحدهم حاز على وسام بطل الاتحاد السوفياتي، وإثنان آخران حازا على وسام العلم الأحمر. قال يورتشكو إن العملية أعطت معلومات كان من الممكن أن تكون مدمرة للولايات المتحدة في زمن الحرب. كان وايتورث ضابط نظام تسجيل المنشورات في حامله الطائرات النووية اتر برايز وكان مسؤولاً عن الوثائق السرية والحساسة ومن ضمنها كتيبات التصليح ومخططات الاتصالات والشيفرة اليومية. لقد سمح تجسسه للسوفيات بأن يطلعوا على الرسائل العمالية للاتر برايز على مدى ستة كاملة. كان السوفيات قادرين على حل أكثر من مليون رسالة مشفرة وعلى أن يعلموا الشيفرة المتطورة التي كانت تستخدمها أجهزة عسكرية أخرى ووكالات استخبارات.

- عودة إلى السبعينات عندما كان الأميرال إسحق كيد قائد أسطول الأطلسي ينذر حول ما كان السوفيات يفعلون بغواصاتهم ويريدون على مناورات الولايات المتحدة في البحر كأنما كانوا يقرأون رسالة. وضع كيد وضباط استخباراته تقريراً. استنتج أن هناك تسريباً، وأنه من المحتمل أن يكون المسرب أحد رجال الراديو الذي له حق الإطلاع على الشيفرة. تفحصت وكالة الأمن القومي التقرير ولكنهم لم يتابعه. ولم يتكشف ذلك إلا بعد سبع سنوات عام ١٩٨٥ عندما وشت زوجة واكر به إلى مكتب التحقيق الفدرالي.

عرض تقرير لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ بالتفصيل مشاكل الأمن في السفارة الأمريكية في موسكو. لقد عُثر على آلات تسجيل صغيرة في داخل الآلات الكاتبة، كما أن البناء الجديد للسفارة قد ثقب بكل معدات استراق السمع. وقد ألغيت جميع المراجع لموسكو لأن كايي لم يشأ أن يعطي السوفيات فكرة عما تعرفه الولايات المتحدة.

لا يمكن كايي سعيًا، وأرسل رسالة إلى السانتر دورنبرغ يقول فيها إنه يوافق على أنه لم يوجد شيء مصنف (أي سري وما فوق) في التقرير لكنه بالإجمال كان مصنفًا. وتبادل الاثنان كلمات قاسية. لقد أقصر ذكر هوارد وبيلتون على جملتين قصيرتين لتلخيص ما كان قد أعلن من قبل. مع ذلك رفض كايي وتساءل: لماذا يرسم هذا الدم في العنق! قال

دورنغر إنه يجب أن نواجه المشكلة وإذا أراد كايسي أن يحصل على ميزانية من خلال مجلس الشيخ فمن الأفضل له أن يدع النص غير المصنف ينشر علناً.

في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٦ نشر التقرير المؤلف من ١٥٦ صفحة وعنوانه: «في مواجهة تحدي التجسس: مراجعة لبرامج الأمن ومكافحة التجسس في الولايات المتحدة» ويعالج مواضيع عامة، وعندما يصل إلى موضوع حساس لا يأتي بشيء جديد.

ما زال كايسي مصمماً على أن يحقق بعض الاختراقات في إيران. وهذا لا يشمل بيع الأسلحة فقط أو إطلاق سراح الرهائن الأمريكية، بل يتعلق ذلك إلى فتح صفحة مع الحمضي، وإلى حرمان الاتحاد السوفياتي من التفوذ. كانت هناك عمليات خفية طويلة الأمد وطموحة لوكالة المخابرات المركزية في دعم الجهود للإطاحة بنظام الحمضي، وإلى إنهاء الحرب مع العراق بهزيمة لإيران.

منذ عام ١٩٨٢ كانت الولايات المتحدة تدعم المبعدين الإيرانيين المعادين للخميني، فكانت تدعم الجبهة الشعبية لتحرير إيران ومركزها في باريس بمبلغ ١٠٠ ألف دولار شهرياً. لم يكن كايسي يتوقع من هذه الجبهة أن تقوم بانقلاب ولكن اتصالاتهم كانت تجلب بعض المعلومات.

كذلك دفع مبلغ من ٢٠ إلى ٣٠ ألف دولار لدعم إذاعة التحرير التي تبث برامج معادية للخميني من القاهرة إلى إيران لمدة ٤ ساعات يومياً.

منذ شهرين أي في آب/أغسطس ١٩٨٦ أنشأت الوكالة خطأ سرياً مباشراً بين واشنطن وبغداد لتزويد العراقيين بأفضل وأسرع المعلومات من الأتار الاصطناعية الأمريكية. اجتمع كايسي مع مسؤولين عراقيين كبار ليتأكد من أن القناة الجديدة كانت تعمل

وليشجع على مزيد من الهجمات على إيران وخصوصاً على الأهداف الاقتصادية.

في منتصف آب/أغسطس نفذ العراق هجوماً مفاجئاً بالقنابل على محطة نفط إيرانية في جزيرة سيري والتي كانت تعتبر حمية من الغارات الجوية العراقية بسبب بعدها.

في أيلول/سبتمبر بث رضا بهلوي ابن الشاه أو «الشاه الطفل» كما كان يعرف، إذاعة سرية لمدة ١١ دقيقة قال فيها «سأعود» وذلك بواسطة جهاز صغير ومعد قدّمته وكالة المخابرات المركزية.

فيما يتعلق بعمليات الاستخبارات التي أعطيت لإيران في الاجتماعات السرية لمبادلة الرهائن بالأسلحة، وافق كايسي على أن قليلاً من المعلومات المضللة يمكن أن ينفع. قال نورث في مذكرة إلى بواندكستر إن كايسي وتوتن وكاف «أدركوا أن المعلومات يجب أن لا تكون دقيقة... نحن نعتقد بأن خليطاً من المعلومات الحقيقية والوهية يمكن تمريرها في الاجتماعات».

كان كايسي متأثراً بتطور القنوات السرية الجديدة مع إيران، من هذه القنوات كان ابن

أخت رئيس مجلس الشورى رفسنجاني، ومدير استخبارات الحرس الثوري في مكتب رئيس الوزراء.

عندما زار ابن أخت رفسنجاني واشتغل سرّاً ليجتمع بنورث وضعت آلة مراقبة الكترونية لتسجيل الاجتماعات بشكل سري.

أفاد نورث بواندكستر على الكمبيوتر: المحادثات تجري بشكل ممتاز. أنا أعتقد بأن رونالد ريغان يمكن أن يكون معنياً بالوصول إلى نهاية للحرب العراقية الإيرانية كما فعل روزفلت في الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٤.

شارلي آلين وهو كبير المحللين في وكالة المخابرات المركزية حول مشروع إيران وضابط أمن قومي في مكافحة الإرهاب، اضطرب كثيراً عندما تحول سير العملية وفقدت السيطرة عليها. كانت وكالة الأمن القومي تقوم بتغطية شاملة وكاملة، بحيث إن غوربانيفشار والإسرائيليين ووسيطاً آخر لم يستطيعوا الاثبات بأية حركة دون أن تلتقطها. بدأ آلين يلاحظ أسعاراً غير معقولة للسلاح الذاهب إلى إيران. كانت ملايين الدولارات تضع أو لا تحسب. مثلاً: لقد تُرك مبلغ ٣,٥ مليون دولار من حساب شحنة سلاح عام ١٩٨٥ كما ترك مبلغ ٢٤ مليون دولار في حساب في سويسرا في كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥، وأودع مبلغ ٣ ملايين دولار في حساب بالفائدة لمدة ثلاثين يوماً. وكان من عادة العمليات الخفية أن تضبط حساباتها حتى الـ ٥٠ سنتاً، أما في هذه العملية فقد كان هناك مال زائد. تفحص آلين الالتقاطات. كانت هناك شكاوى كثيرة من الإيرانيين ومن الذين وضعوا بعض الأموال مثل خاشقجي. تبين لآلين أن نفس الأشخاص الجنرال سكورد وفريقه كانوا يمولون الإيرانيين والكونترا بصورة مباشرة. ذهب آلين لمقابلة غايتس.

قال آلين لثائب مدير المخابرات المركزية: «إن قلقي عميق» وأضاف «إن أصحاب الاعتيادات يطلبون أموالهم وهذا قد يتكشف إذا لم نقم بعمل ما. يُحتمل أن يكون المال قد حُوِّل إلى الكونترا. أنا لا أستطيع إثبات ذلك»

قال غايتس إنه لا يريد أن يستمع إلى المزيد. إنه لا يريد أن يعرف عن تمويل الكونترا. لم يكن من الجائز أن تتورط الوكالة والأفضل لنا أن لا نعلم كثيراً.

قال آلين: «إني أقول كلامي بناء على تحليل مبني على مواد ملتقطة وليس على إشاعات».

قال غايتس منزعجاً: إنه من الأفضل أن تعطى هذه المعلومات لكايبي.

في ٧ تشرين الأول/أكتوبر أخبر آلين كايبي عن احتيال تمويل الأموال إلى الكونترا. قال كايبي إنه تكلم مع صديق قديم يدعى روي فورمارك، وهو رجل أعمال من

نيويورك وعمام للخاشقجي. قال فورمارك إن المودعين الذين ساعدوا الخاشقجي في تأمين القرض البالغ حوالي ١٠ ملايين دولار كانوا غير سعداء. لقد شعروا بأنهم خُدعوا، وهددوا بإقامة دعاوى قضائية وبكشف الموضوع.

وافق آلين على أن يضع كل ما يخلقه في مذكرة.

في ٩ تشرين الأول/أكتوبر توجه نورث إلى لانغلي لتناول طعام الغداء مع كايسي وغابنيس. وفي الطابق السابع لخص نورث اللقاءات السابقة التي أجراها مع الوسطاء الإيرانيين. كان متفائلاً بكمادته. يمكن أن يحصلوا على رهينة واحدة، ليس بكل أسف جثة رئيس محطة بيروت ولیم بکلي الذي يعتقد بأنه مات. قال الوسطاء الإيرانيون إن هناك استجواباً من ٤٠٠ صفحة لولیم بکلي أجري تحت التعذيب ويمكن أن يحصلوا على نسخة منه.

عبر كايسي عن قلقه حول أمن العملية. كان غوربانيفار قناة اتصالاتهم القديمة غير سعيد وعلى وشك أن يثور.

قال غابنيس إنه ربما كان يقرأ روايات كثيرة والحقيقة أنه هناك قطعة واحدة من الورق وهي مذكرة ١٧ كانون الثاني/يناير حول إيران وبالتحديد عمليات بيع الأسلحة مقابل إطلاق سراح الرهائن. إنها كانت في جازور بواندكستر وهذا ما جعله عصبياً. وإذا اختفت هذه المذكرة الرئاسية فإن عدداً كبيراً من الأشخاص سيتعرض لمشاكل كبيرة.

وافق كايسي وقال إنه سيطلب من بواندكستر أن يُعطي نسخة عن المذكرة وقال نورث أنه سيستقل ذلك، ثم تحول البحث نحو أميركا الوسطى. منذ أربعة أيام أسقطت طائرة تموين للكوتنرا ووقع المسؤول عن الشحنة بوجين هاسفنس أسيراً في أيدي الساندينيين. وظهر في ذلك الصباح في مؤتمر صحفي على التلفزيون وقال إنه كان يعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية.

سأل غابنيس ما إذا كان رجال الوكالة (أو أملاكها أو أي شيء مباشر أو غير مباشر تابع لها) متورطين في التمويل الخاص وفي عمليات التموين للكوتنرا.

قال نورث: «هناك نفاقة تامة». وعمل جاهداً لفصل موضوع إيران عن الكوتنرا. وفي نهاية الغداء ذكر نورث شيئاً عن حسابات البنك السويسري والكوتنرا. لم يجد شيئاً ما ولم يلاحق هذه المسألة معه لا كايسي ولا غابنيس ولكن بعد الغداء ذهب غابنيس ليرى كايسي وقال له: هل يمكنك أن تصنع رؤوساً أو أذناً؟ كان يتكلم نورث بحق الجحيم؟ قال كايسي إنه لا يستطيع.

سأل غابنيس: هل يجب أن نتلق حول هذا؟

أوما كايسي: لا.

بعد ساعتين ذهب كايسي وغابنيس إلى الكونغرس ليؤكدوا لرئيس ونائب رئيس كل من

لجنة استخبارات مجلس الشيوخ ولجنة استخبارات مجلس النواب أن وكالة المخابرات المركزية لم تكن متورطة في قضية طائرة هاسفنس أو في أية عملية تموين بالأسلحة.

عودة إلى جهاز كومبيوتر البيت الأبيض. أرسل نورث رسالة إلى مكفرلين: «نحن بحاجة ماسة إلى عماد نافذ وإلى متبرع يمكن أن يرفع دعوى للدفاع عن هاسفنس... هناك ضربة قوية تاريخية ستوجه خلال الأسابيع القادمة... بحلول نهار الثلاثاء يجب أن يكون عماد سويسري من شركة الخدمات الجوية في ماناغوا. يجب أن لا نتكل على هذا الشخص ليرافع في الدعوى بكمالها لأنه مدموم بوسائل خفية». قال نورث إنه حصل على مبلغ ١٠٠ ألف دولار من متبرع إلى عماد آخر لهاسفنس. «وثي بأن هذه ستكون مسألة سريعة لجمع الأشياء».

تكلم نورث مع كايسي. قال كايسي: «تخلص من بعض الأشياء ونظف كل شيء». عندئذ بدأ نورث بحملة تنظيف بيئية مكثفة محاولاً أن يمزق جميع المذكرات التي تتعلق بتحويلات الكوتنرا. قال كايسي إن أحدًا يجب أن يكون جاهزاً لتلقي السقطات، ولكن نورث لم يكن كبير الشأن ليكون ضحية ذات شأن. ربما يجب أن يكون بواندكستر.

في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر قدم شارل آلين لغابنيس مذكرة من سبع صفحات تضمنت ثلاث توصيات.

أولاً: الحث على إنشاء خلية تخطيط في مجلس الأمن القومي فوراً وتسليم مسؤوليتها إلى شخص مثل كينسينجر أو هلمز كي يقوم ببرنامج مراجعة من الخارج وتُخضع المبادرات السرية لأسئلة حقيقية. ما الأهداف الحقيقية؟ ما الاختيارات؟ ما دوافع اللاعبين؟ ثانياً: قال آلين إن على البيت الأبيض ووكالة المخابرات المركزية أن يستعدا للاكتشاف أمام الرأي العام. كان غوربانيفار على وشك اللجوء إلى الصحافة أو إلى القضاء. لقد ادعى بأن حكومة الولايات المتحدة قد فشلت في المحافظة على عدة وعود.

ثالثاً: على الجميع أن يقرروا أفضل طريقة لإقفال قناة غوربانيفار بطريقة صحيحة ومنظمة. وقال آلين في الصفحة السادسة: «أحرزت حكومة الولايات المتحدة بالاشتراك مع حكومة إسرائيل ربحاً مادياً من هذه الصفقات وأعيد توزيع بعض هذا الربح على مشاريع أخرى للولايات المتحدة ولإسرائيل». قرأ غابنيس المذكرة ثم أجه إلى مكتب كايسي من الباب الفاصل وقال: «انظروا». وقرأ كايسي ثم قال غابنيس: «هنا ديناميت». ووافق كايسي. اتصل ببواندكستر لإعداد اجتماع في الحال. تبين أنه لا يمكن ترتيب اجتماع حتى اليوم التالي.

في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ذهب كايسي وغابنيس إلى مكتب في البناية التنفيذية بالقرب من البيت الأبيض. لقد حشر مستشار شؤون الأمن القومي مدير المخابرات المركزية ونائبه لمدة نصف ساعة ثم قدم له كايسي مذكرة آلين.

نصح كايسي: «اجعل البيت الأبيض متورطاً في الحال». إنه كشف للغز وادعاءات

نيويورك وعام للخاشقجي.. قال فورمارك إن المودعين الذين ساعدوا الخاشقجي في تأمين القرض البالغ حوالي ١٠ ملايين دولار كانوا غير سعداء. لقد شعروا بأنهم خُدعوا، وهددوا بإقامة دعاوى قضائية ويكشف الموضوع.

وافق آلين على أن يضع كل ما يقلقه في مذكرة.

في ٩ تشرين الأول/أكتوبر توجه نورث إلى لانغلي لتناول طعام الغداء مع كايسي وغايتس، وفي الطابق السابع لحصص نورث اللقاءات السابقة التي أجراها مع الوسطاء الإيرانيين. كان متفانلاً كعادته. يمكن أن يحصلوا على رهينة واحدة، ليس بكل أسف جنة رئيس محطة بيروت ولیم بكلي الذي يعتقد بأنه مات. قال الوسطاء الإيرانيون إن هناك استجابة من ٤٠٠ صفحة لولیم بكلي أجري تحت التعذيب ويمكن أن يحصلوا على نسخة منه.

عبر كايسي عن قلقه حول أمن العملية. كان غوربانيفار قناة اتصالاتهم القديمة غير سعيد وعلى وشك أن يثور.

قال غايتس إنه ربما كان يقرأ روايات كثيرة والحقيقة أن هناك قطعة واحدة من الورق وهي مذكرة ١٧ كانون الثاني/يناير حول إيران والتحديد عمليات بيع الأسلحة مقابل إطلاق سراح الرهائن. إنها كانت في جادور بواندكستر وهذا ما جعله عصيباً. وإذا اختفت هذه المذكرة الرئاسية فلن عدداً كبيراً من الأشخاص سيتعرض لمشاكل كبيرة.

وافق كايسي وقال إنه سيطلب من بواندكستر أن يعطيه نسخة عن المذكرة وقال نورث أنه سيسهل ذلك، ثم تحول البحث نحو أميركا الوسطى. منذ أربعة أيام أسقطت طائرة غموين للكونترا ووقع المسؤول عن الشحنة يوجين هاسفنس أسيراً في أيدي الساندينينيين. وظهر في ذلك الصباح في مؤتمر صحافي على التلفزيون وقال إنه كان يعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية.

سأل غايتس ما إذا كان رجال الوكالة (أو أملاكها أو أي شيء مباشر أو غير مباشر تابع لها) متورطين في التمويل الخاص وفي عمليات التموين للكونترا.

قال نورث: «هناك نظافة تامة». وعمل جامهأ لفصل موضوع إيران عن الكونترا. وفي نهاية الغداء ذكر نورث شيئاً عن حسابات البنك السويسري والكونترا. لم يحدد شيئاً ما ولم يلاحق هذه المسألة معه لا كايسي ولا غايتس ولكن بعد الغداء ذهب غايتس ليرى كايسي وقال له: هل يمكنك أن تصنع رؤوساً أو أذناً؟. كان يتكلم نورث بحق الجحيم؟ قال كايسي إنه لا يستطيع.

سأل غايتس: هل يجب أن نقلق حول هذا؟

أوما كايسي: لا.

بعد ساعتين ذهب كايسي وغايتس إلى الكونغرس ليؤكدوا للرئيس ونائب رئيس كل من

لجنة استخبارات مجلس الشيوخ ولجنة استخبارات مجلس النواب أن وكالة المخابرات المركزية لم تكن متورطة في قضية طائرة هاسفنس أو في أية عملية غموين بالأسلحة.

عودة إلى جهاز كومبيوتر البيت الأبيض. أرسل نورث رسالة إلى مكفرلين: «نحن بحاجة ماسة إلى حمام نافذ وإلى متبرع يمكن أن يرفع دعوى للدفاع عن هاسفنس... هناك ضربة قوية تاريخية ستوجهه خلال الأسابيع القادمة... بحلول نهار الثلاثاء يجب أن يكون حمام سويسري من شركة الخدمات الجوية في ماناغوا. يجب أن لا نتكل على هذا الشخص ليرافع في الدعوى بكاملها لأنه مدعوم برسائل خفية». قال نورث إنه حصل على مبلغ ١٠٠ ألف دولار من متبرع إلى حمام آخر لهاسفنس. «فق بأن هذه ستكون مسألة سريعة لجميع الأشياء».

تكلم نورث مع كايسي. قال كايسي: «تخلص من بعض الأشياء وتنظف كل شيء». عندها بدأ نورث بحملة تنظيف ينيئة مكشفة عموماً أن يمزق جميع المذكرات التي تتعلق بتحويلات الكونترا. قال كايسي إن أحداً يجب أن يكون جاهزاً لتلقي السقط، ولكن نورث لم يكن كبير الشأن ليكون ضحية ذات شأن. ربما يجب أن يكون بواندكستر.

في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر قدم شارل آلين لغايتس مذكرة من سبع صفحات تضمنت ثلاث توصيات.

أولاً: الحث على إنشاء خلية تخطيط في مجلس الأمن القومي فوراً وتسليم مسؤوليتها إلى شخص مثل كينسجر أو هلمز كي يقوم ببرنامج مراجعة من الخارج ويخضع المبادرات السرية لأسئلة حقيقية. ما الأهداف الحقيقية؟ ما الاعتبارات؟ ما دوافع اللاعبين؟ ثانياً: قال آلين إن على البيت الأبيض وكالة المخابرات المركزية أن يستعدا للاكتشاف أمام الرأي العام. كان غوربانيفار على وشك اللجوء إلى الصحافة أو إلى القضاء. لقد ادعى بأن حكومة الولايات المتحدة قد فشلت في المحافظة على عهده وعود.

ثالثاً: على الجميع أن يقرروا أفضل طريقة لإنقاذ قناة غوربانيفار بطريقة صحيحة ومنظمة. وقال آلين في الصفحة السادسة: «أحرزت حكومة الولايات المتحدة بالاشتراك مع حكومة إسرائيل ريعاً مادياً من هذه الصفقات وأعيد توزيع بعض هذا الربح على مشاريع أخرى للولايات المتحدة ولإسرائيل». قرأ غايتس المذكرة ثم أعجبه إلى مكتب كايسي من الباب الفاصل وقال: «انظر». وقرأ كايسي ثم قال غايتس: «هنا ديناميت». ووافق كايسي. اتصل ببواندكستر لإعداد اجتماع في الحال. تبين أنه لا يمكن ترتيب اجتماع حتى اليوم التالي.

في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ذهب كايسي وغايتس إلى مكتب في البناية التنفيذية بالقرب من البيت الأبيض. لقد حشر مستشار شؤون الأمن القومي مدير المخابرات المركزية ونائبه لمدة نصف ساعة ثم قدم له كايسي مذكرة آلين.

نصحه كايسي: «اجعل البيت الأبيض متورطاً في الحال». إنه كشف للغز وادعاءات

غير لائقة. يجب على بواندكستر أن يدرس إمكانية إعلان الرئيس عن المشروع بشكل واضح أمام الرأي العام قبل أن يتسرب تنفذاً. إلا أن بواندكستر صدهم ولم يوافق.

عودة إلى لانتلي. استدعى كايسي وغايتس ألين. طلب كايسي من ألين أن يتكلم مع روي فورمارك في الحال ويجمع التفاصيل كافة ويكتب مذكرة كاملة.

اتصل فورمارك مرة ثانية في ذلك النهار بكاسي للتركيز على السرعة في تلبية طلبات زبائنه المالية.

بعدما اجتمع ألين مع فورمارك أفاد في اليوم التالي بموجب مذكرة أن فورمارك أوصاه بشحنة أسلحة جديدة لإيران وليحافظ على بعض المصادقة مع الإيرانيين... ولتزويد غورباتشار بأرسال يمكنه من إعادة المال للمودعين بشكل جزئي ومن استعادة المال لتموين شحنات إضافية.

أراد فورمارك أن يُبقي العملية تسير، وكان يعتقد بأنّها يمكن أن تؤدي إلى إطلاق سراح مزيد من الرهائن وأضاف أن غورباتشار قال له إن نورث أوضح أن مبلغ الـ ١٠ ملايين دولار يمكن أن يدفع من الـ ١٠٠ مليون دولار المخصصة كمساعدة للكوترا والتي هي متوفرة الآن من التمويل الأمريكي.

قال ألين إنهم على وشك أن يفعلوا في مازق كبير.

في ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر ذهب ألين إلى نيويورك واجتمع مرة ثانية بفورمارك الذي أخبره أن غورباتشار سيعطي بأن معظم الـ ١٥ مليون دولار الآتية من شحنة الأسلحة التي أرسلت في أيار الماضي قد حول إلى الكوترا.

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر أحال ألين الموضوع على كايسي. أمر كايسي بإعداد مذكرة إلى بواندكستر تعكس هذا الادعاء ليقوم عليها. أعدت مسودة المذكرة ووضعت في خزانة كايسي.

تابع نورث بيع الأسلحة. مستخدماً الفتاة الجديدة، ابن أخت رفسنجاني. دفعت إيران ٧ مليون دولار في الحساب السويسري وسُحب منها مليوناً دولار لدفع ثمن ٥٠٠ صاروخ تار التي سلمت إلى إيران في نهاية شهر تشرين الأول/أكتوبر. وبذلك بقي ٥ ملايين دولار. أفاد نورث بواندكستر بأنه متأكد من إطلاق سراح رهيتين في الأيام القليلة المقبلة.

في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر أطلق سراح ديفيد جاكوبسون. في اليوم التالي ذكرت مجلة الشراع اللبنانية أن الولايات المتحدة تزود إيران سرّاً بالأسلحة وأن مكافلين قد زار طهران سرّاً في مطلع هذه السنة. كان شولتز في طريقه إلى فيينا لإجراء محادثات حول نزع السلاح مع السوفييت عندما انتشر الخبر. أرسل برقية إلى بواندكستر يوصي فيها بالجلوء إلى الإعلان عن كل شيء بشرح الموضوع. أجاب بواندكستر ببرقية أن بوش ووينبرغر وكاسي اتفقوا على

أن يقبوا صامتين.

يوم الجمعة في ٧ تشرين الثاني/نوفمبر استقبل الرئيس جاكوبسون في البيت الأبيض وقال للصحافيين بعد الاجتماع إن الخبر الذي نشر في بيروت ليس له أي أساس من الصحة. وكان جاكوبسون قد أطلق بعد سبعة عشر شهراً من احتجازه وحشره الصحافيون بالأسئلة حول طريقة إطلاق سراحه، فرفع ذراعه لتحذير الصحافيين وقال: «باسم الله هل تتفضلون وبكل روح من المسؤولية بأن تتوقفوا عن هذا».

ومع هذا فقد بدأ كل شيء يتكشف. قال فورمارك لآلين مرة ثانية في ذلك النهار إن زبائنه مستمعون وسوف يكشفون عن تحويل مبالغ مبيعات أسلحة إيران إلى الكوترا. ذهب كايسي وغايتس مرة ثانية لمقابلة بواندكستر وأوصى كايسي بأن يتولى مستشار البيت الأبيض بيتر واليسون النظر في القضية. أجاب بواندكستر: «أنا لا أثق بواليسون لأنه لن يبقى فمه مغلقاً».

يش كايسي من العثور على طريقة لإبقاء الغطاء، وتفاقم الموقف بعد أن اختلفت آراء كبار المساعدين أما الخزائرات الشخصية التي تراكمت منذ سنوات داخل الإدارة فأصبحت على شفا الانطلاق. شولتز الذي عارض طويلاً مبادرة إيران وكان متعصّباً من إقدام مجلس الأمن القومي على إدارتها بدأ يشير إلى عدم موافقته عليها. كما سربت وزارة الدفاع رأي وينبرغر حول بيع الأسلحة إلى إيران الذي اعتبره عملاً «سخيفاً». أما دونالد ريفان وبواندكستر فقد تنازعا بشكل عنيف أمام الرئيس حول ما إذا كان يجب إعلان شيء ما. ووقف الرئيس إلى جانب بواندكستر الذي كان يعتقد بأنه يمكنهم إطلاق المزيد من الرهائن إذا تمت المحافظة على السرية.

يوم الاثنين في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ذهب كايسي إلى البيت الأبيض ليجتمع مع الرئيس وبوش وشولتز ووينبرغر وميز وبواندكستر. قال لهم الرئيس إن الشائعات وتقارير الصحافة كانت تعرض ما يقومون به للخطر. وأضاف أنه لا يتعامل مع الإرهابيين في إيران بل مع الأجنحة المعتدلة وأن شحن الأسلحة إلى إيران ليس دفْعاً لفدية، وأضاف أن هناك حاجة لتنظيم بيان شامل تجنب تفاصيل العملية وخصوصياتها. وعلم شولتز للمرة الأولى أن الرئيس كان قد وقع مذكرة في ١٧ كانون الثاني/يناير حول شحن الأسلحة إلى إيران. وعلى الرغم من صعوبته، فقد أُنْعِمَ بيان يقول إن جميع المستشارين الكبار أجمعوا على دعم الرئيس ولام البيان القصص الخيالية وقال إن سياسة الولايات المتحدة بعدم تقديم تنازلات للإرهابيين بقيت سليمة.

بدأ الكلام ينتشر بين وكالات الاستخبارات الأمريكية حول وجود مشكلة كبرى في أموال مبيعات الأسلحة لإيران. في ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر توجه محقق لجنة استخبارات مجلس الشيوخ إلى وكالة المخابرات المركزية وحاولوا الحصول على التغطيات وكالة الأمن

القومي حول مشروع إيران. تصدى كايسي لهذا وادعى بأن المشروع ما يزال مغفلاً.
أدرك البيت الأبيض أنّ الرئيس سيلجأ إلى العلن ليظهر الوجه الجيد لمشروع إيران
ولذلك وضع على الجدول خطاب متلفز في مساء ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر. قبل الخطاب
دُعي زعماء الكونغرس وأعضاء لجنتي الاستخبارات إلى البيت الأبيض للاستماع إلى إنجاز من
كايسي وبواندكستر.

قرأ مستشار شؤون الأمن القومي مذكرة ١٧ كانون الثاني/يناير التي أمرت كايسي بأن
لا يكشف العملية للجان وأصيب زعماء الكونغرس بغضب وسخرة.

بعد ذلك طلب كايسي من بات ليهي أن يذهب معه في السيارة. قال ليهي إنه كان
ذاعباً إلى جورجيتاون ليلقي بمائلته على العشاء، ووافق. كان الاثنان يتبادلان الاتهامات منذ
أكثر من سنة. بالعودة إلى تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٥ شهد خطف الباخرة أكيلي لاورو
مباشرة قال ليهي على التلفزيون وإن الاستخبارات الأميركية كانت تعرف أنّ الرئيس مبارك
يكذب. وقال أيضاً «عندما قال مبارك في الأخبار أن الحافظين قد غادروا مصر علمنا أنّ
ذلك لم يكن صحيحاً وأن استخباراتنا كانت جيدة جداً جداً». عندها ساد انطباع بأنّ
الاتصالات الهاتفية للرئيس مبارك كانت قد التفتقت. أرسل كايسي للسناتور رسالة عتيقة
متهماً أباه بتعرض الأمن لخطر جسيم وبالحياة. وفي الحقيقة لم يقل ليهي ما قاله المتحدث
باسم الإدارة ولكن كايسي اعتبر أنّ التصريح من نائب رئيس لجنة استخبارات مجلس
الشيخ يحمل وزناً كبيراً.

كان ليهي قد كسب إعادة انتخابه بتفوق ثلاثين نقطة في الأسبوع الماضي ولكن لا
فضل لكايسي في ذلك. وقبل أيام من الانتخابات نشرت مجلة ريدرز دايجست مقالاً بعنوان:
«الكونغرس يشل عمل وكالة المخابرات المركزية» وذكر ما زعم عن خرق السناتور ليهي
للأمن القومي بطريقة استنتج ليهي أنّها بإيجاز من كايسي.
قال كايسي لليهي عندما جلسا في المقعد الخلفي من السيارة: «أنا أعلم أننا قد
تجاوزنا ذلك!».

قال ليهي أنّه لا يجوز لمدير المخابرات المركزية أن يتدخل في العملية السياسية وفي
محاولات هزيمة شيوخ غير أصدقاء. وقال إنّ الجحيم الحقيقي كان مسلطاً على مشروع إيران
وستقوم لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ بإجراء تحقيق واسع يشمل قسم اليمين
واستدعاءات وشهادات، وليس حديثاً غير رسمي. إنّ عدم إعلام اللجنة أو استشارتها قد
خالف كل التعهدات والوعود.

كان الديموقراطيون قد كسبوا السيطرة على مجلس الشيوخ في الأسبوع الفائت وقال
ليهي أنّه يمكن أن يبقى في اللجنة وأن ينتقل إلى رئاستها. قال كايسي عندما خففت السيارة
سرعتها باتجاه جورجيتاون: علينا أن نعمل معاً. وبعدما توقفت وثب ليهي إلى الخارج ولحقه

كايسي وانتزع يده وكان ذلك في أقصى أوقات زحمة المساء وكانت السيارة قد توقفت في
منتصف الشارع معرقة السير.

قال كايسي: نحن نؤمن بنفس الشيء ثم ربت على يده (ضربات خفيفة) وألح إلى أنّ
وكالة المخابرات المركزية كانت تريد إعطائه وساماً تقديراً لعمله في لجنة الاستخبارات. بعد
ساعة أذاع الرئيس خطابه المتلفز وقال إنه لم يدفع فدية لإطلاق سراح الرهائن بل كان يسعى
إلى دخول إيران والتأثير فيها. لقد كانت الأسلحة دفاعية، وشيئة مبادرة لإيران بانفصاح
نيكسون وكينجر على الصين عام ١٩٧١: قال: «نحن لم نتاجر بالأسلحة أو بأي شيء آخر
من أجل إطلاق سراح الرهائن ولا نؤذي ذلك». وأضاف أنّ كل شيء كان قانونياً وأنّ لجان
الكونغرس المختصة قد أُخبرت وسوف تعلم تماماً.

أخذ بواندكستر مذكرة ١٧ كانون الثاني/يناير حول إيران من خزائنه واستنسخ نسخة
عنها وأرسلها إلى لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ. السناتور دورنبرغر والسناتور ليهي لم
يتخيلا ولم يصدقا أنّ الرئيس قد أمر كايسي بأن يترث في إعلام الكونغرس حول هذه
المذكرة. إنّها كانت منذ عشرة أشهر. لكنّ كايسي كان نظيفاً بالمقارنة. كان يتقيد بالأوامر.
لقد صعد دورنبرغر وليهي بفداحة الخطأ. لقد انتهكت الفكرة العامة والهدف العام لمراقبة
الكونغرس وعادت عقارب الساعة إلى الوراء عقداً من الزمن أو أكثر. قال الرئيس ببساطة
إنّه يتعامل معهم برغبة. وأكثر ما كان ظاهراً في المذكرة هو السطر الذي يقول بالامتناع عن
إعلام اللجان «بسبب أخطار الأمن والحساسية الشديدة».

لقد عرف الخدم في فندق هيلتون طهران حيث نزل مكفرلين ونورث منذ ستة أشهر
أنّ شيئاً ما كان على وشك الظهور. كذلك عرف المسؤولون الإسرائيليون المهموون. وعرف
تاجر السلاح السعودي خاشقجي والوسيط الإيراني غوربانقار. يمكن الوثوق هؤلاء الناس
ولا يمكن الوثوق بشيوخ الولايات المتحدة الذين ساهموا في المحافظة على بقية أسرار
المخابرات! ما الذي لم يعرفوه أيضاً؟

يوم الجمعة في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر زار بواندكستر الواشنطن بوس لتناول طعام
الغداء وأخذ ينثف الدخان من غليونه ويقول: «إنّ العملية كانت مخاطرة معقولة ولم يتلق
الرئيس ملاحظات تقليدية، ماذا يفعل وماذا لا يفعل في السياسة الخارجية؟».

بعد يومين ظهر بواندكستر على شاشة التلفزيون في برنامج «التق الصحافة» مع شبكة
ان بي سي. وبينما كان ينتظر ليبدأ العرض سألته عن الثانية والعشرين عاماً التي أمضاها في
البحرية وخاصة عندما كان قائداً للمدرسة في السبعينات. قال وهو يفرج غليونه من جيبه:
«الضباط البحريون مهياون أكثر لأنهم يأمرؤن في البحر. هناك عليك أن تتخذ قرارات وأنت
تعلم أنّه لا يوجد أحد آخر في تلك الأوقات العصبية. كما تعلم أن تكون بارداً سواء كنت
على سطح المدمرة أو هنا».

قال بونا: «ستر على الهواء: كانت الإدارة بصدد الإعلان عن مبادرة إيران بسبب جميع التبريرات والتخيلات. قال إنَّ المبادرة كانت في الأساس عملية استخبارات وطبقاً لذلك فإنَّ كايي، وليس هو، سيقدم الحقائق إلى الكونغرس.

في ذلك النهار غادر كايي إلى أميركا الوسطى، وليس وجوده خارج البلاد مُضراً عندما تندلع المناقشات. لكنه أراد أن يبقي عينيه على الكُرة والتي كانت ما تزال حرب الكونترا. لقد استعاد رخصة الصيد عندما أقر الكونغرس ١٠٠ مليون دولار مساعدة للكونترا. وسيكون مبلغ ٧٠ مليون دولار من الـ ١٠٠ مليون تحت تصرف وكالة المخابرات المركزية أي ثلاثة أضعاف ما كان يُخصص عادة في كل سنة.

يوم الاثنين ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر تلقى كايي مكالمة من غايتس يحثه فيها على العودة للإدلاء بشهادته أمام لجنتي الاستخبارات في نهاية الأسبوع. في اليوم التالي اتصل بواندكستر بكايي على الهاتف الآمن وقال: أنا أفكر في جلسة يوم الجمعة للجنتي الكونغرس، وفي التنسيق الذي يجب أن نقوم به. إذا استطعت العودة يوم الخميس بحيث نستطيع أن نلتقي... أظن أنَّ ذلك سيكون مفيداً، وبهذا ستقدم أفضل الشروحات يوم الجمعة وستحاول أن نلئد من الأسئلة قدر الإمكان».

قال كايي: هل سيكون هناك العديد من المسؤولين في الاجتماع أي من الخارجية أو من الدفاع؟

قال بواندكستر: «أود أن نجتمع فقط نحن. أنا وأنت» وأضاف أنَّ ميز عرض مساعدته ورغب في أن يجتمع معنا. أجاب كايي: «آه حدد الوقت الذي يناسبك لاجتماعنا وأنا سأحضر في أي وقت تريد».

انقطعت العلاقات بين كايي وشولتز. نهار الأحد تحدث وزير الخارجية على التلفزيون ولم يُخفَّ عدم موافقته على سياسة تسليح إيران. وقال إنَّ بواندكستر هو مخطط العملية. وجواباً عن سؤال عما إذا كان غولاً من قبل الإدارة بالتحدث حول القضية قال بشدة: لا.

كان شولتز مشمئزاً من كايي. لقد كان واضحاً أنَّ مدير المخابرات المركزية كان قد أعَدَّ سياسة خارجية بديلة ليس في إيران فقط بل في سائر أنحاء العالم وكان نفوذه كبيراً جداً وكان يستعمل تحليله ويعرض مسؤولي الوكالة لجمع المعلومات ليتبين ما كان يجري حوله. واعتبر الوكالة على أنَّها جهاز تخطيط سياسي للمدير ثمَّ تحولت إلى وكالة تنفيذية من خلال ضباط العمليات والآن من خلال البيت الأبيض. وأكبر دليل على ذلك تسويقه ورقة غراهام فولر الأولى حول إيران السنة الماضية، والتي باعها للبيت الأبيض بعدما رفضتها وزارة الخارجية. ووزارة الدفاع!

أدرك شولتز أنَّ كايي قد خَرَّبَ اتفاقيات نزع السلاح في السنين الماضية. كان كايي

متحالفاً مع مساعد وزير الدفاع ريتشارد بيرل المعروف بتشدهده. وكان واضحاً لشولتز أنَّ وكالات الاستخبارات أصدرت سيلاً من التقارير التي أعاقمت عملية نزع السلاح. كان كايي يقول إنَّ عائدات نزع السلاح كانت بكل بساطة أداة أخرى للسوقيات الذين اتخذوا مواقعهم على قاعدتين: الأولى قرارهم حول الأسلحة الجديدة التي أرادوا المضي في صنعها، والثانية علمهم بما كانت الولايات المتحدة تصنعه وخاصة الأسلحة التي تشكل خطراً كبيراً عليهم. كان السوقيات يحسبون بدقة حتى نوع الأجنحة التي يضعونها على صواريخهم. كما أنَّ الولايات المتحدة كانت قد قامت بحسابات مشابهة. ولكنَّ كايي كان يعتقد بأنَّ السوقيات لم يكونوا جادين ويأثمهم كانوا يفارضون براءة.

أدى تدخل كايي في نزع السلاح إلى زيادة تردد البيت الأبيض حول هذا الموضوع الحساس، وشعر شولتز بأنَّ وظيفة مدير المخابرات المركزية أصبحت كبيرة جداً ولديها موازنة كبيرة، وتتحكم في أعمال التحليل وإصدار التقديرات. كما تتحكم في الأعمال الخفية ومكافحة التجسس وكان لمديرها يدٌ في اتخاذ القرارات حول الأرقام الاصطناعية التي تبلغ تكاليفها مليارات الدولارات وكان يضع لها أولويات العمل. وبوجود مدير نشيط مثل كايي كان للمخابرات دور في السياسة. كانت هذه المسؤوليات كبيرة جداً وشعر شولتز بوجود تمزقها.

كان كايي كبير السن وربما كانت هذه آخر وظيفة له. لقد كان غنياً. وكان قد خلق جواً من عدم الثقة بالوكالة ليس فقط في الكونغرس بل في الإدارة. شعر شولتز بأنَّ كايي قد فقد تكامله. لقد كان وزير خارجية الظل.

مساء ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر حوالي الساعة السادسة ذهبت إلى البيت الأبيض للاجتماع بأحد مساعدي بواندكستر آل كيل. رأى كيل أننا يجب أن لا ننشر أي مقال أو خبر حول الجهود الخفية لدعم المبعدين المعادين للخميني، وأكَّد المضي في بيع السلاح للحكومة الخميني. وقال كيل بانفعال: «هناك مجرد هياج أو نوبة في الصحافة حول هذا الموضوع».

قال كيل أيضاً وهو شاب ذو لحية يتكلم بلهجة الواثق ويهلو بقلم الرصاص بين يديه إنَّه لم يكن لديهم خيار سوى الاتجار بالسلاح الذي اعتبره: «العملة الرئيسية في الشرق الأوسط» وأضاف: «نريد أن نبني ثقة، ونحن بصراحة لا نثق فيهم، لا نثق بإيران ولا نثق بالأقنية التي تتعامل معها. وهم لا يثقون بنا أيضاً. لم يكن هناك ثقة متبادلة. نحن الشيطان الأكبر. وهكذا كيف تبني ثقتك معهم؟ هل تقدم لهم مسحوق الخليب؟ أم الضبادات الطيبة؟ هذا شيء يمكن أن يحصلوا عليه من الدكاكين المحلية. عليك أن تحرب السلاح».

قال إنَّه سيكون مضراً جداً أن ينشر أي خبر يعطي انطباعاً بأنَّ الولايات المتحدة كانت تتعامل ليس مع المبعدين المعتلين بل مع أولئك الذين يبرطون بالنظام القديم للشاه. أجيته أنَّ الحكومة الإيرانية كانت تتهم بشكل منتظم وكالة المخابرات المركزية بدعم المبعدين

وانصار الشاه. لقد قالوا ذلك في صحفهم وفي إذاعاتهم. وكان المبعوثون يعلمون أنهم يتلقون المال من وكالة المخابرات المركزية واعترفوا بذلك أمام الصحافة في باريس.

وافق كل على أن هذه الأخبار ليست للنشر في الصفحة الأولى! وأضاف: «إذا نشرت هذه الأخبار سيكون هناك تهديد حقيقي لحياة الناس وستكون حياة بعضهم في خطر. إننا نجعل من الصعب على قنوات اتصالنا أن يعملوا. أعطنا ٢٤ ساعة أو ٧٢ ساعة بحيث يمكننا أن نتصل بقنواتنا في طهران، أي بالمعتقلين لنقول لهم إن مقالا رديئا سوف ينشر، وبصرامة لنقول لهم «غطوا أنفسهم».

في الواشنطن بوست رأينا أن هذا الادعاء ليس صادقا. إن تقويم البيت الأبيض لم يعد له أي وزن. كان من المقرر أن يظهر الرئيس في مؤتمر صحفي في اليوم التالي. وكنا نشك في أن البيت الأبيض لم يُرد نشر أي خبر حول احتضان الحميني عن طريق تقديم السلاح بينما كانت وكالة المخابرات المركزية تدعم المبعدين الإيرانيين وأتباع «الشاه الطفل» الذي كان يريد الإطاحة بالحميني. لذلك قررنا نشر المقالة.

في تلك الليلة حاول مكفرلين ونورث وبيض الساعدين في مجلس الأمن القومي أن يضعوا معاً تسلسلاً زمنياً للأحداث يبعد الرئيس ويجعل دوره غير واضح وخصوصاً جهة موافقته المبدئية حول الشحنة الإسرائيلية الأولى عام ١٩٨٥. استدعى نورث مساعده المقدم روبرت إيرل إلى المكتب بواسطة رسالة كومبيوتر: «دعنا نحضر كباشتنا الصغيرة إلى هنا وتبين لماذا يجري».

دافع الرئيس في مؤتمره الصحفي عن مشروع إيران وقال: «لا أظن أنني ارتكبت غلطة، ولا أظن أنه قد حصل فشل ذريع من أي نوع» وأنكر أربع مرات أنه تغاضى عن الشحنات الإسرائيلية، وأنكر تورط أي بلد آخر. وبعد ٢٥ دقيقة من انتهاء المؤتمر الصحفي أصدر ريغان تصريحاً غير عادي يقول: «في الواقع إنه تغاضى عن هذه الشحنة عن طريق بلد آخر!»

ذهب كايبي وغانتس إلى البيت الأبيض ليحاولوا حل النزاع مع نورث الذي ادعى بأنه لم يكن هو الذي طلب مساعدة وكالة المخابرات المركزية في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥ في تأمين الشحنة الإسرائيلية. وأخيراً اتفق بواندكستر ونورث على أن نورث هو الذي طلب. في تلك الليلة عاد كايبي إلى البيت الأبيض ليعد شهادته أمام لجنتي الاستخبارات التي سيقدمها في اليوم التالي، واجتمع مع بواندكستر وشولتز وميزر. كان يخطط لأن يقول في شهادته إن وكالة المخابرات المركزية ظنت أن الشحنة الإسرائيلية عام ١٩٨٥ كانت معدات لضخ النفط لا أسلحة!

في نفس الليلة ذهب شولتز لمقابلة الرئيس في البيت الأبيض. أخبر شولتز الرئيس في لقاء متوتر أن مدير المخابرات المركزية كان على وشك أن يكذب على لجنتي الاستخبارات

وأنه يجب أن نفعل شيئاً ما. لقد أعدت الشهادات بحيث لا يقتنع بها حتى أكثر المدققين سطحية. كان شولتز يغلي. لم يفكر في أنه سيجري محاكمة كهذه، لقد كان يبدو وكأنه يبيع رئيس الولايات المتحدة. لكنه قال لريغان إن عليه أن يواجه الحقائق لأن أي شخص يتاح له الاطلاع على السجلات يرى رهاقاً مقابل أسلحة. بعد برهة ترأس كايبي اجتماعاً في لانغلي لمجموعة كبيرة من ضباط وكالة المخابرات المركزية الذين كانوا على علاقة بالفضيحة وكان قد اجتمع مع نورث وألقى وصف الشحنة الإسرائيلية عام ١٩٨٥ بأنها معدات لضخ النفط.

في اليوم التالي استيقظ باكراً وأخذ يقبّل المعلومات ليري ما أعلن منها وما لا يمكن أن يبقى سرياً. في الساعة ٩:٣٠ ظهر كايبي في جلسة سرية جداً ومقفلة وذلك أمام جميع أعضاء لجنة استخبارات مجلس النواب الخمسة عشر. لقد كان تعيساً. قرأ كايبي ملخصاً لمدة عشر دقائق، عندها تحدى رئيس اللجنة في هاملتون رايلي كايبي من أنه يمكن بموجب قانون، التأخر في إعلام اللجنة لمدة عشرة أشهر.

أجاب كايبي: «أنا أتكلم عن امتياز دستوري أعطي للرؤساء» وأضاف أن «الخطة والحذر أوجب ذلك وأن الوقت بدأ يضع بيننا كان الإيرانيون يحاولون فرض نفوذهم المحدود على الذين يحتجزون الرهائن الأميركية في لبنان. إننا كانت محاولة ثقة لأن الأشياء التي التزمنا بها كانت قليلة جداً وبالتأكيد متناسبة مع قيمة الأشياء التي نحاول التوصل إليها. لقد كانت الأسلحة التي أرسلناها غير مهمة. كان علينا إما أن نركب هذه المخاطر وإما أن نجلس ونندع العالم يجري على هواه وأنا شخصياً أحذر من المخاطر بطريقة حذرة» وأضاف: «أنا أرغب في أن أركب المخاطر إذا استطعت ذلك مرة ثانية». عندها قفز بعض الجمهوريين وأخذوا يدافعون عن قرار الرئيس ويقولون إن اللجنة كانت تسرب.

سأل ديف مكردي الديموقراطي من ولاية أوكلاهوما: «من كان يدير العملية يا سيد كايبي؟»

قال كايبي: «أظن أننا كلنا كنا فيها. لقد كان فريقاً». قال مكردي: «من كان يترأس ذلك الفريق؟ من اتخذ القرارات؟ هل هو بواندكستر أم كايبي؟»

أجاب كايبي: «أظن أنه كان الرئيس».

في الساعة ١١ قبل الظهر كان من المقرر أن يمثل كايبي أمام لجنة استخبارات مجلس الشيوخ، ولكنه غادر وقال إنه سيعود إلى لجنة استخبارات مجلس النواب الساعة ١١:٣٠. ذهب كايبي إلى غرفة استماع لجنة مجلس الشيوخ والأمن وجلس إلى طاولة الشهود الطويلة حيث كان هناك ميكروفون خاص يساعد الشيوخ على حل شيفرة متممة كايبي غير

الواضحة! جلس كلير جورج إلى جانبه. بعد ست سنوات من المواجهة كانت هذه لحظة استحقاق. جلس جميع أعضاء اللجنة إلى طاولة على شكل حافر الحصان. حضر أيضاً زعيم الديوقراطيين في مجلس الشيوخ روبرت برود وهو من وست فيرجينيا وعضو سابق في اللجنة. قال برود: «عن إذنك أيها الرئيس هل أقسم هذا الشاهد اليمين؟»

كانت لحظة حرجية. أجاب دورينغر أنه لم تجر العادة على تحليف اليمين للشهود إلا في جلسات الشئيت. وهذا ما يعطي جراً من المناقشة الحرة لكن إذا أراد أحد الشيوخ أن يرغم الشاهد على قسم اليمين فيمكنه ذلك طبعاً. لم يتكلم أحد.

جلس كايسي ثم بدأ يقرأ بيانه. حاول أن يظهر العملية على أنها خفية ورويتية. لم يذكر شيئاً عن مساعدة وكالة المخابرات المركزية للشحنة الإسرائيلية عام ١٩٨٥ من دون مذكورة. كما لم يذكر شيئاً عن المذكرة التي أعدها سيوركين والتي صادق عليها الرئيس وفيها إعطاء دور للوكالة في الشحنة الإسرائيلية: وقال عن الوسيط الإيراني غوربانيفار إنه ممثل إيران ولم يذكر اسمه. ضغط عدد من الشيوخ لمعرفة هوية هذا الممثل ومدى علاقته بوكالة المخابرات المركزية. هرب كايسي من السؤال ثم أعيد السؤال على كلير جورج الذي قال عن غوربانيفار أنه مصدر حساس ويجب أن لا نذكر اسمه.

سأل أحد الشيوخ: اليس هو غوربانيفار؟ أجاب جورج: «حسناً. نعم أيها السناتور ولكننا سنكون قلقين جداً على حياته إذا تسرب ذلك».

لم يكن قد كشف النقاب عن فشل غوربانيفار في سلسلة اختبارات كشف الكذب على آلة البوليزراف.

عندما سئل كايسي عما إذا كان الجنرال سكورد قد لعب أي دور في شحن الأسلحة إلى إيران قال إنه سمع ذلك من التقارير الصحافية وحاول إبقائها عند هذا الحد.

قال كايسي: «نحن ندرك ما هي نشاطات السيد سكورد ولكننا لا نوافق عليها».

وفي حديثه عن اجتماعه مع الإيرانيين رجع كايسي إلى مسؤول من مجلس الأمن القومي، وعندما سئل من هذا، قال: «أنا لست متأكد»، وممر السؤال إلى جورج. أما مدير العمليات فقد أجاب أيضاً بأنه غير متأكد، ثم أدار كايسي ظهره وأعاد السؤال على مساعده التنفيذي الذي كان يجلس وراءهما، قال المساعد إنه بالتأكيد لا يعرف.

لم يذكر اسم المقدم أوليفر نورث.

لقد حاك كايسي كلامه ليمد غصن الزيتون دون أن يظهر حقائق جديدة. لم يأت على ذكر مشاكل المال ولا على العشرة ملايين دولار المفقودة أو على احتمال أن بعض المال قد حوّل إلى الكونترا.

في الساعة ١٠،٥٠ عاد كايسي إلى لجنة استخبارات مجلس النواب ليقول إنه لم ينكر أن

تولي مجلس الأمن القومي إدارة العملية كان فكرة ممتازة. وكان ذلك قد حصل في أميركا الوسطى. لقد أصبح مجلس الأمن القومي عملياً لأن الكونغرس فرض قيوداً على عمل الوكالة في نيكاراغوا. وبهذا اعترف بما كانت الإدارة قد فعلته سابقاً من «أن مجلس الأمن القومي كان يدير عملية تزويد الكونترا بالأسلحة من مصادر خاصة، ثم قال كايسي: «وأنا لا أعرف جميع التفاصيل لقد أبعدت عن التفاصيل لأنه حُظر علي القيام بأي شيء». وعلمت أن الآخرين كانوا يعلمون».

سئل عن «البطل غير المسمى» (غوربانيفار). قال كايسي إنه كان غير جدير بالثقة وهو مريب ثم قال: «في هذه الحالات أنت لا تواجه نفساً صافية بل تتعامل مع أولئك الأشخاص الذين يسمون وراء هدف مهني».

قال أحد الديموقراطيين: أي أنها مسألة كم هو نذل فقط؟

قال كايسي: «نعم أظن أن هذا صحيح».

جواباً عن سؤال صعب قال كايسي: «إنه من الصعب التدقيق في ذلك» و«أنا لا أحمله على بصبات أصابعي» أو «هذا أعلى من درجة راتي». كان كل ذلك صحيحاً ولكن لم يلاحقه أي عضو بينما كان ينزل عن الأسئلة. وأمضى أعضاء الكونغرس معظم الوقت يناقشون بعضهم وأظهرت السجلات أن كايسي لم يتفوه بأية كلمة. وذكرهم كايسي بأن المشروع أدى إلى إطلاق سراح ثلاث رهائن.

قال هاميلتون: «أظن أنك ستواجه متاعب كثيرة في شرح سياستك حول الإرهاب الآن».

أجاب كايسي: «لا يتوجب عليك أن تكون نبياً عظيماً لتتخيل ذلك».

انتهى الاستجواب الساعة ٣،٠٥.

ذهب وزير العدل ميز إلى الرئيس في ذلك الصباح وقال له إن أحداً لا يروي القصة بشكل مستقيم. كان هناك تناقضات كثيرة وأشياء عديدة لا يعرفونها وتغترت كثيرة وسرد غير متناهل. قد يبدو جميعاً تافهين عندما ينظر الكونغرس في القضية. عندها سمح الرئيس لوزير العدل بالبدء بتحقيقه.

اتصل ميز ببواندكستر وطلب منه أن يجمع الوثائق التي تتعلق بالموضوع. في الجناح الغربي طلب ببواندكستر من مساعده العسكري الكوماندر البحري بول توميسون الذي كان أيضاً محامياً أن يحضر له مذكرات الأعمال الخفية من خزائنه. وكانت أول مذكورة حول إيران مؤرخة في ٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥، وأظهرت مبادرة إيران على أنها اتفاقية أسلحة مقابل رهائن، وكان هذا ما نفاه ريغان تماماً.

قال توميسون وهو يسلم المذكرة إلى الأميرال: «سيكون لهم يوم ميداني كامل حول هذه».

رأى بواندكستر أنها ستكون إريكاً سياسياً. ثم قرر أن يبدأ العمل، وكرهان على سطح مدمرة مزق المذكرة وأدار كرسيه ورمها في سلة المهملات وراء مقعده. كانت أكياس المهملات تحرق يومياً للتخلص من المواد السرية الفائضة؛ وجد بواندكستر أيضاً ملاحظات كومبيوتر أخرى ووثائق غير كاملة، واتصالات خاصة لم يعد بحاجة إليها، مزقها جميعها ووضعها في سلة المهملات أيضاً.

بعد الظهر اتصل ميز بمكفرلين في منزله قال: «بد(*)»، لقد كلمني الرئيس بوضع تسجيل دقيق للأحداث في هذه القضية التي أود التحدث معك بشأنها.

قال مكفرلين: «انتظر دقيقة. أنا أريد أن أتكلّم معك حول هذا. أنت تعلم وكما رأيت في جرائد الصباح، لقد ألقيت خطاباً الليلة الماضية وتحمّلت مسؤولية كل شيء في هذا للدرجة أني أتابع ذلك أيضاً».

قال ميز: «نعم لقد ذكر ذلك في الصحف».

قال مكفرلين: «أريدك أن تعرف من البداية أن الرئيس كان وراءها للدرجة أنه لم يتحفظ على المصادقة على أي شيء يريد الإسرائيليون فعله هناك».

قال ميز: «وأنا أعرف ذلك وأنا مسرور لأنك قلت لي ذلك لأن وضعه(*) القانوني يكون أفضل كلما كان قراره أبكر» وقال إنه إذا كان الرئيس قد أصدر مذكرة شفوية بدلاً من المذكرة الخطية العادية التي توضح لهم كل شيء فهذا من صلب صلاحياته، لأن صلاحياته تشمل إعطاء الأوامر للأعمال الخفية. وأضاف: «بد.. مهيا فقلت لا تحاول أن تحرف الحقيقة أو تعتقد بأن ما تفكر فيه هو الأفضل لك وللرئيس. فقط قل الحقيقة. لا تتخيل أن هذا يساعد الرئيس أو ذلك يؤذي».

عندها تكلم ميز مع مدير مكتب التحقيق الفدرالي ولهم وبستر الذي وضع إمكانيات المكتب تحت تصرف ميز. قال ميز إنه لم يجد أي جناية أو جرم وأن تدخل مكتب التحقيق الفدرالي يعرضهم للانتقاد لأنه لا يجوز استعمال المكتب لأهداف سياسية.

حوالي الساعة ٦:٣٠ من ذلك المساء ذهب نورث إلى مكتبه. لقد تردد في سحق نفسه! طلب من سكرتيره منذ أربع سنوات فون هول أن يساعده. بدأ يزيل المستندات والمذكرات والرسائل من خزائنه وملفاته ووضعها في كومة كبيرة. كل شيء كان معداً للتمزيق. طلب مساعده هول في تبديل أربع مذكرات وأزال بعض المراجع التي قد تشبه المشاكل. واستغرق كل ذلك مدة ساعة.

كان السبت ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر يوماً ساخناً. وبدأ أن عطلة نهاية الأسبوع

(*) بد اسم الدلع لروبرت.

(*) وضع الرئيس.

ستكون حافلة بالعمل. اصطحب ميز بعض معاونيه في وزارة العدل إلى البيت الأبيض. اجتمع أولاً مع شولتز ثم مع سيوركين بينما كان معاونوه يعملون في الملفات وقد عثروا في مكتب نورث على مذكرة غير مؤرخة ودون عنوان وتتعلق بإيران ورد فيها: «١٢ مليون دولار سوف تستعمل لشراء الإمدادات المطلوبة لقوى المقاومة الديمقراطية النيكاراغوية». وفيها بعد اصطحب ميز معاونيه لتناول طعام الغداء في مطعم أولدييت غريل على بعد بانيتين من البيت الأبيض. أخبره معاونوه عن مذكرة التمويل التي عثروا عليها في مكتب نورث. عبر ميز عن تعجبه وشعر بأنّه يمكن أن تكون شرعية أو ربما كانت تمكس حلماً من أحلام نورث.

كان كايبي في مكتبه في البناية التنفيذية، واتصل ببواندكستر وقال: «سأحضر إليك لثآكل سندويشات معاً». أكل الرجلان وتحدثا حوالي ساعتين وانضمّ إليهما نورث فيما بعد. المسرحية الكبيرة ما تزال اختياراً بل أملاً. وكان كايبي يعتقد بأن أفضل تكتيك هو أن تغطي المشكلة بتحقيق نجاح منظر في مكان آخر. كان لديهم الآن قناة مباشرة من خلال علي هاشمي بهرماني وهو ابن أخت رئيس مجلس الشورى الإيراني رفسنجاني، ومدير استخبارات الحرس الثوري في مكتب رئيس الوزراء ويدعى سامئي بدلاً من غوربانيفار المريب. كان بهرماني وسامئي يرسلان الرسائل بواسطة جهاز اتصال آمن إسرائيلي الصنع، ولكن في آخر الأسبوع قال بهرماني إنه يشعر بأنه مهدد وأنه سيرسل رسائله من خلال مرافقه.

انتهى الغداء الساعة ٣:٢٠. في الساعة ٣:٤٠ اتصل نورث بميز للاعداد لمقابلة في اليوم التالي. الساعة ٣:٤٦ اتصل كايبي بميز وقال إن لديه شيئاً يريد أن يخبره لوزير العدل. قال ميز: «لماذا لا أعرج عليك في طريقي إلى المنزل هذا المساء؟ قال كايبي إن صديقه القديم روي فورمارك كان يجرر الرسائل من أولئك الذين وضعوا أموالهم في عملية بيع الأسلحة إلى إيران. كانوا يقولون إما أن تدفع لنا المال الذي استدنته أو نقوم بنصف شيء». أدرك معاونو ميز الابتزاز لكنه لم يؤيدهم في ذلك. لم يذكر كايبي اهتمام فورمارك بأنّ المال قد ذهب إلى الكونترا كما لم يذكر ميز شيئاً عن مذكرة نورث التي كان قد عثر عليها منذ بضع ساعات والتي تذكر تحويل المال إلى الكونترا.

عبر ميز موعداً مبكراً لنورث في اليوم التالي أي الأحد. إلا أن نورث: طلب تأجيله إلى الساعة ٢:٠٠ بعد الظهر لأنه يريد أن يذهب إلى الكنيسة مع عائلته! اتصل نورث بمكفرلين لينتقي في مكتبه للآخر في البناية التنفيذية الساعة ١٢:٣٠. تحدثا لمدة ١٥ دقيقة. قال نورث إنه سيكشف لميز الحقائق حول تحويل أموال بيع السلاح لإيران إلى الكونترا. وكما علم مكفرلين فإن نورث لم يطمح بأي عمل دون مصادقة من بواندكستر. إنها كانت مسألة سجلات، وهناك مذكرة أعدها نورث لبواندكستر.

الساعة ٢:٠٠ بعد الظهر وصل ميز مع معاونيه. قال نورث نعم لقد تم تحويل المال وقد فتحت ثلاثة حسابات في سويسرا وأعطيت أرقامها للإسرائيليين وأودع المال في هذه الحسابات وكان الكونترا مئتين لذلك. لقد ذهب حوالي ٣ إلى ٤ ملايين دولار من إحدى صفقات البيع في ذلك الاتجاه. إن مبلغ الـ ١٢ مليون دولار المدون في المذكرة لم يكن من أموال الولايات المتحدة أو من أموال إسرائيل.

ثم سأل نورث: هل عثرت على مذكرة تغطية؟

قال ميز: هل علينا أن نقوم بذلك؟

قال نورث: لا. أنا أتعجب.

بعد برهة كتب كايبي رسالة سرية إلى الرئيس يقترح فيها إقالة شولتز مستخدماً تعابير كرة المضرب. قال كايبي إن الرئيس يحتاج إلى «هدف» جديد.

يوم الاثنين الساعة ١١ قبل الظهر شرح ميز للرئيس ولدونالد ريغان أنه كشف تحويل مبالغ مالية للكونترا. وذهب ميز بعد ذلك إلى مكتب بواندكستر وقال له: «أنا افترض أنك تعلم عن المذكرة التي عثرنا عليها في ملفات نورث». قال بواندكستر إنه يعلم وأنه يجتهد أن يقدم استقالته.

قبل الغداء وجد بواندكستر رسالة كومبيوتر من نورث: «هناك كلام قديم أنك لا تستطيع أن تطردني. أنا أترك وأنا جاهز لأن أستقيل في أي وقت تقرره أنت والرئيس. نحن تقريباً نحننا. بكل أخلاص. نورث»

طبع بواندكستر: «شكراً أولي، لقد تكلمت مع ميز مرتين هذا اليوم حول هذا وهو ما يزال يتحلى ويفكر في ما سيفعل. لقد قلت له إنني جاهز للاستقالة وقلت إنني أنتظر تلميحا منه. إنه واحد من القليلين الموجودين حول الرئيس الذين أستطيع أن أثق بهم. إذا لم تترك، ما رأيك في الانتقال إلى وكالة المخابرات المركزية وفي أن تعمل مساعداً لكايبي، وهذا سيضعك في الجو العملائي رسمياً. لا تقل شيئاً لكايبي أنا أريد أن أعرف رد فعلك فقط». خلال جلسة مصورة في البيت الأبيض سئل الرئيس عما إذا كان يعترف بأخطاءه حول شحن السلاح لإيران. قال الرئيس: «أنا لا أريد الكذب حول ذلك. أنا لم أرتكب أية غلطة» ثم أضاف: «أنا لا أريد أن أطرد أحداً».

اصطحب كايبي فورمارك إلى لانغلي وحاول أن يعرف منه عن المال المستعمل في عملية إيران. اتصل بنورث وقال له: «هناك رجل يقول إنك مدِين له بعشرة ملايين دولار».

قال نورث إن هناك ٣٠ ألف دولار باقية في الحساب السويسري وأضاف: «قل له إن الإسرائيليين والإيرانيين مدِينون له بهذا المبلغ».

حاول كايبي أن يتصل بميز لكنه لم يعثر عليه، وحاول الاتصال بدونالد ريغان لكنه لم

يجده وترك له رسالة يقول فيها إنه بحاجة إلى أن يتكلم معه بشكل فوري ولا يمكنه الانتظار. وافق دونالد ريغان على أن يتوقف في لانغلي في طريقه إلى منزله. وصل إلى الطابق السابع وسأله كايبي: ماذا في عقل الرئيس؟

قال دونالد ريغان: إن تحويل المال إلى الكونترا قد انكشف.

سأل كايبي: ماذا تريد أن تفعل حول ذلك؟

قال ريغان: لقد ظن الجميع أن صفقة الأسلحة مع إيران كانت كما يقال في وول ستريت «غير مربحة». ثم تحدث عن التحويل وقال هناك خطة لإعلان كل شيء غداً.

سأل كايبي: «حسناً هل تدرك عواقب هذا؟» لقد حددوا تأثير هذا الكشف. إنه سينسف كل الموضوع الإيراني ويجتهد أن ينسف حياة الرهائن. سوف تغضب إيران ويجتهد أن يقطع الكونغرس اعتمادات الكونترا.

أجاب دونالد ريغان: يمكن أن يحصل هذا. كيف نستطيع بحق الجحيم أن نسكت على هذا الهراء... أعني أن هذا الشيء هو إهانة... هل قمنا بعمل إجرامي؟

قال كايبي: أمل أن تدرك ذلك، وهذا سيسبب بعض خيبة الأمل وسيكون موضوعاً رئيسياً.

أوضح دونالد ريغان أن قراراته قد اتخذت ولا رجوع عنها. لن تكون هناك عودة إلى الوراء. ولا مجال لذلك.

ذهب كايبي في وقت متأخر للعشاء في نادي مترو بوليتان حيث كان عليه أن يلتقي ابنته برناديت وأدوارد هيموف وهو من قدامى مكتب الخدمات الاستراتيجية، وهو كاتب كان يريد أن يكتب قصة حياة كايبي. تصافحا واتفقا على أن يؤمن له كايبي الإذن بالدخول إلى وكالة المخابرات المركزية وإلى الهيئات الكبرى في الإدارة ومن ضمنها الرئيس.

عندما وصل كايبي إلى النادي كان هيموف وبرناديت وزوجها بالانتظار. قال له هيموف وهو يعرف عن الضجة الحالية: «أنت تعرف أن الهراء سينشر». قال له كايبي «نستطيع الإسكابه». وقال إنه سيذهب إلى آخر ولاية الرئيس. وسوف يقوم بتدبير ما يبحث يستطيع هيموف أن يمضي آخر ستة أشهر من عام ١٩٨٨ في وكالة المخابرات المركزية يجمع المعلومات. وحتى ذلك الوقت سيتم التركيز على بقية فترات حياته: مكتب الخدمات الاستراتيجية، موظف أموال، مؤلف، جهاز أمن التبادل. كان توافاً لمباشرة العمل في الكتاب وكان من المقرر أن يمضي عطلة عيد الميلاد في منزله في بلام بيتش واتفقا على أنه يمكن هيموف أن يحضر ويجري بعض المقابلات.

سأله: ماذا ستفعل بعد انتهاء ولاية الإدارة؟

قال كايبي: أنا لن أعود إلى المحاماة. أنا راسلها مغامر. لقد اقنع بعد عمله في الحكومة بأن أي مشروع تجاري صغير يمكن أن يتحرك بشكل أسرع وأفضل. وقال إنه يفكر في كتابة قصة حياته.

قالت برناديت: أبي يجب أن تؤلف كتاباً.

الساعة ٦،٣٠ من اليوم التالي الثلاثاء ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر اتصل كايبي بميز وطلب منه أن يعرج عليه في طريقه إلى عمله. وصلت سيارة وزير العدل إلى فوكسهال كرسنش الساعة السابعة صباحاً. أراد كايبي أن يعرف ماذا يجري.

قال ميز إن بواندكستر سيعمل كل شيء.

قال كايبي إنه سيسحب كل المذكرات ويرسلها إلى ميز. وبعدها اتصل ميز ببواندكستر في السيارة وطلب منه أن يوافيه إلى مكتبه في وزارة العدل. عندما وصل بواندكستر إلى وزارة العدل كان لمز كلام واضح: «يجب أن تستقيل اليوم» ثم قال ميز إنه لم يفكر في أن نورث قد قام بأي عمل غير قانوني. عاد بواندكستر إلى مكتب الجناح الغربي وطلب إحضار طعام الفطور له على صينية وجلس إلى طرف طاولة الاجتماعات وقال لمساعدته العسكري الكوماندو تومبسون يهدوء إنه سيطلب إعادته إلى البحرية في ذلك النهار. لم تبدر عنه أية ثورة عصبية أو هياج أو انفعال.

سرعان ما وصل دونالد ريفان إلى مكتب بواندكستر وكان على نار وسأل: ماذا حدث بحق الجحيم؟

أصبلح بواندكستر وضع نظارته، ووضع منديه على فمه ثم أراحه جانباً وقال: «حسناً أظن أنه كان يجب علي أن أدرسها أكثر لكنني لم أفعل، كنت أعلم أن أولي بصدد أن يقوم بشيء ما، أنا فقط لم أدرس الموضوع».

قال دونالد ريفان: ماذا بحق الجحيم، أنت نائب أميرال ماذا يجري؟ قال بواندكستر: «ذلك الملعون تيب أونيل. الطريقة التي كان يحرك فيها موضوع الكونترا... لقد كنت مشتمراً تماماً».

قال دونالد ريفان: «حسناً جون عندما تذهب لمقابلة الرئيس تأكد من أن استقالتك ستكون معك».

قال بواندكستر: «وسأفعل».

في لانغلي استدعى كايبي شارلي آين. أين كانت المذكرة الملعونة القديمة التي أرسلها لبواندكستر حول احتيال تحويل الأموال. لقد عثروا عليها في خزانة كايبي الخاصة. كتب كايبي بشكل هستيري رسالة فورية وسرية إلى ميز يشرح فيها ما حدث. هو وغانث أخبرا بواندكستر عدة مرات عن هذه الادعاءات وقدمًا له مذكرة في منتصف شهر تشرين الأول/أكتوبر ولكن المذكرة التي تحدثت بوضوح عن احتيال تحويل الأموال لم تذهب إلى البيت الأبيض.

في ذلك الصباح أعطى الرئيس زعماء الكونغرس معلومات عن التحويل واستدعاهم إلى البيت الأبيض وقال لهم إن بواندكستر لم يكن مشاركاً بل استقال بشكل اختياري طبقاً

لتقاليد البحرية التي تقول إن ريان السفينة مسؤول عن كل شيء يحصل في نطاق إمرته. وواقع ريفان عن نظام العمل في مجلس الأمن القومي وقال إنه خدم البلاد كثيراً. ودون أن يغفل مشروع التحويل قال الرئيس إنه لم يكن مناقضاً للسياسة المتبعة.

وعند الظهر عقد الرئيس مؤتمراً صحافياً، وتلا بياناً موجزاً، ثم قدم وزير العدل ميز. أعلن ميز أن ما بين ١٠ و٣٠ مليون دولار قد حولت إلى الكونترا، ثم أضاف وهو متجهم وعابس، إن الرئيس لم يكن على علم بذلك، وأعلن أن بواندكستر قد استقال وأن نورث قد طرد.

فيما بعد، وفي ذلك النهار هرب فون هول سكرتير نورث رزمة مستندات بساكة نصف إنش من مكتب نورث وذلك بأن أخفاها في داخل ثيابه وفي حذائه، وأخذها إلى نورث. وفي المساء أقفل ضابط الأمن المكتب.

في اليوم التالي اتصلت بكايبي هاتفياً وسألته: كيف توصلت الإدارة إلى صفقة بيع الأسلحة لإيران؟

قال كايبي: «قال لنا الإسرائيليون عام ١٩٨١ بأن نعمل مع الإيرانيين بهدف توثيق العلاقة مع العسكريين وبدا ذلك معقولاً بالنسبة إلينا وخاصة بالنسبة إلى عهد ما بعد الحميني». قلت: لماذا كانت هناك أرباح بحيث أمكن تحويلها للكونترا؟

قال: «إيران كانت ترغب في أن تدفع المزيد» وأضاف أن أي عمل غير قانوني يكون من الآخرين. وتوقف ثم قال: «لقد اكتشفوا بواندكستر».

قلت: هل كنت تعرف عن تحويل الأموال للكونترا؟

أجاب كايبي: «حسب القانون علي أن أبقى بعيداً». ثم أعاد ما قاله ميز في المؤتمر الصحافي: إن أحدًا في الوكالة لم يعرف عن التحويل حتى المدير.

قلت: الكونترا هم أبناؤكم ويجب أن تعرفوا أنهم تلقوا ما بين ١٠ إلى ٣٠ مليون دولار.

قال بشكل لاذع: «إشاعات». لقد علمتها الباحة من ميز».

قلت: ألم تكن تعلم بما كان يفعله نورث؟

قال: «أيها الملعون، لن يذهب أحد إلى السجن...» ثم أقفل الحظ.

بعد عدة أيام عُيّن النائب السابق لستانسفيلد تورنر في وكالة المخابرات المركزية فرانك كارلوتشي مستشاراً لشؤون الأمن القومي. وتمّ السعي لتشكيل لجنة مستقلة لإجراء التحقيقات الجنائية حول قضية إيران - الكونترا. كما عُيّن الرئيس لجنة من ثلاثة أعضاء برئاسة السناتور السابق جون تاور للتحقيق في أوضاع مجلس الأمن القومي. كما بدأت لجنة استخبارات مجلس الشيوخ تحقيقاً شاملاً. في آخر حديث لبواندكستر مع كايبي طلب الأول نصيحة المدير حول اختيار عام.

حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر في ٣ كانون الأول/ديسمبر اتصلت بكايبي مرة

ثانية. كان عدد من زعماء الكونغرس وكبار المسؤولين في الإدارة يقولون إنه انتهى في وكالة المخابرات المركزية. كان يتناول الطعام وتحدثنا من دون كلفة.

قلت إنَّ رئيس ونائب رئيس لجنة استخبارات مجلس الشيوخ يقولان إنَّهما سيخرجان بنتيجة هامة من التحقيق.

قال وهو يعض طعامه «لقد منعنا بموجب القانون من مساعدة الكونترا ولم نفعل ذلك» ثمَّ أضاف: ارتكبت وكالة المخابرات المركزية غلطتين نافعتين حول بيع الأسلحة إلى إيران. الأولى هي المساعدة التي قدمت للبيت الأبيض حول الشحنة الإسرائيلية من السلاح في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥ إلى إيران قبل أن يوقع ريغان المذكرة. وكانت المساعدة بهدف وضع نورث على اتصال حيث يمكن أن يتوصل إلى إجراء عمل تجاري روتيني. والثانية أنَّ بعض العاملين الأغنياء على مستوى منخفض استخدموا نفس الحساب المصرفي السويسري لبيع الأسلحة إلى إيران ولعملية الدعم الخفي السعودي الأميركي المشترك للثوار الأفغان. لذلك فقد اختلطت أموال إيران بمبلغ الـ ٥٠٠ مليون دولار المخصص لعملية أفغانستان، لكن أعيد حساب المبلغ بأكمله.

هل كان ذلك عملية لسع كبيرة من قبل الإيرانيين للحصول على أسلحة أميركية؟

قال: هراء. «الرئيس تودد إليهم ونحن فعلنا ذلك أيضاً» ثمَّ سألت سؤالاً آخر.

قال: «أياها الملعون لا تخزي بالإبرة، أنا لا أعلم لماذا اتلقتي مكالمتك».

قلت: هناك عدد من الأسئلة لم تجب عليها.

قال: أنا أتوقع منك أن تختبر سلوكك كرجل ناضج!

قلت: حسناً، كثير منهم يقولون إنك تعرف أكثر وأنت ستتورط.

قال: «هذا لأني لا أقوم بعملك مقابل كل مال العالم. إنَّ قدرك أن تكون على حق في

بعض الأحيان فقط».

ما زال القسم القانوني في وكالة المخابرات المركزية يحاول يئاس أن يحفظ نشاط الوكالة ضمن الحدود القانونية ويحدد بدقة ما إذا كان الاتصال بين ضباط الوكالة والشركة الخاصة بنقل الأسلحة إلى الكونترا ومع المتبرعين للكونترا قانونياً أم لا. وأصدر هذا القسم رأياً في ٥ كانون الأول/ديسمبر وسلمه لكثير جورج يقول «إنَّ الاتصال مع المتبرعين هو عمل ضد السياسة ولكن ليس ضد القانون».

مع رحيل بواندكستر ونورث كان على كايسي لوحده أن ينتشل شيئاً مما غرق مما مبادرة إيران. أما بالنسبة إلى الاجتماعات المقبلة مع القناة الثانية للاتصال الإيراني فكان من المقرر أن تجري في فرانكفورت - ألمانيا الغربية. يوم السبت في ١٣ كانون الأول/ديسمبر. كان شولتز قد حاز على موافقة البيت الأبيض على أن لا يكون هناك المزيد من بيع الأسلحة لإيران وأن لا يتحدث ممثل وكالة المخابرات المركزية خلال الاجتماع في السياسة. اتَّصل

كايسي بدونالد ريغان ليقتع الرئيس بأن يغير قراره، وأرسلت رسالة سرية جداً إلى فرانكفورت تسمح لممثلي وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية بإجراء محادثات سياسية واستخبارية.

بعد اجتماع فرانكفورت الذي جرى في فندق بارك تلقى شولتز اتصالاً هاتفياً أمناً من ممثل وزارة الخارجية. لقد صُنع الوزير بعد ما سمع التقرير، ثمَّ اتَّصل بالرئيس وطلب مقابلته في الحال. دعا الرئيس شولتز إلى البيت الأبيض صباح اليوم التالي.

صباح الأحد وفي البيت الأبيض قال شولتز للرئيس إنَّ اجتماع فرانكفورت أظهر كيف فُقدت السيطرة على كل شيء. كان بواندكستر ونورث وكايسي ووكالة المخابرات المركزية يتفاوضون حول قضايا لا يمكن تقديم تنازلات فيها. لقد عاد ممثل إيران في فرانكفورت إلى مفكرة من تسع نقاط كان قد وافق عليها نورث ووكالة المخابرات المركزية ومن ضمنها أنَّ الولايات المتحدة كانت تعمل لإطلاق سراح ١٧ سجيناً كانوا قد أدنوا بتهمة الهجوم على السفارة الأميركية في الكويت بشاحنة مليئة بالمتفجرات وذلك عام ١٩٨٣. كانت الولايات المتحدة في معركتها الطويلة ضد الإرهاب تدعم رفض الكويت إطلاق سراح السجناء السبعة عشر. وكان هؤلاء السجناء أعضاء في حزب الدعوة وهي مجموعة أصولية راديكالية متعصبة على صلة بأولئك الذين قتلوا ٢٤١ عسكرياً أميركياً في بيروت عام ١٩٨٣ وقذروا عمليات إرهابية أخرى. كانوا مجموعات انتحارية وبعضهم على علاقة وثيقة بالجناح اللبناني حزب الله. إنَّ صمود الكويت أصبح علامة الصلابة ضد الإرهاب. لكنَّ وكالة المخابرات المركزية كانت تقول في ألمانيا إنَّ هذه المسألة قابلة للتفاوض. كانت الوكالة تهزأ من مبادئ وعقائد الرئيس وتنكث تعهد الرئيس الشخصي بأنَّ الإرهابيين يستطيعون الحرب لكن لا يمكنهم الاختباء، وذلك لأنَّها كانت متعودة على عمليات تركز على الخيلة والحداد والنفعية. أضاف شولتز أنَّ موقف وكالة المخابرات المركزية ومجلس الأمن القومي كان أساس الورطة الحالية.

انهترب عينا الرئيس وانقضض فكه. لقد انتهت مناقشة إيران التي كان شولتز يخوضها ويغترها منذ أواسط عام ١٩٨٥.

في صباح اليوم التالي الاثنين ١٥ كانون الأول/ديسمبر كان كايسي في مكتبه في الطابق السابع في لانغلي يجهز نفسه للمثول أمام لجنة استخبارات مجلس الشيوخ وفجأة بدأ يعاني من انقباض. استدعيت سيارة إسعاف على وجه السرعة، ونقل إلى مستشفى جورتستاون، ثمَّ عانى من انقباض آخر، لكنه كان يتكلم ويتحرك بشكل عادي. يوم الخميس الساعة ٧:٤٠ صباحاً أدخل إلى غرفة الجراحة وقام فريق من ثلاثة جراحيين باستئصال ورم سرطاني يدعى ليفيوما، وانتهت الجراحة الساعة الواحدة بعد الظهر. وقد استؤصل الورم من القسم الداخلي للجانب الأيسر للدماغ وهي المنطقة التي تتحكم بحركة الجانب الأيمن للجسم.

أصدر الأطباء بياناً جاء فيه أنهم يتوقعون أنَّ كايبي الذي كان قد بلغ ٧٣ سنة، سيكون قادراً على استئناف نشاطاته المعتادة.

حل غاتس مكانه كمدير مخبرات مركزية بالوكالة، وأمضى معظم شهر كانون الثاني يقاوم ضغط البيت الأبيض لتعيين بديل لكايبي الذي كان مريضاً وفي حالة الخطر وعملياً لا يستطيع الكلام. وطلب منه اقتراح بعض الأسماء فاقترح غاتس الشيوخ السابقين: جون تاور وبول لاسكالت وهوارد باكر. وكان يأمل أن لا يأتي أحد منهم.

بعد ستة أسابيع تحسن كايبي، وفي يوم الأربعاء ٢٨ كانون الثاني/يناير سمح لغاتس بزيارته في المستشفى. كان يجلس قرب النافذة ولم يكن شعره كثيفاً، كما أن نقص الشعر الناتج عن التعرض للإشعاع واستعمال الأدوية لم يكن ملفتاً للنظر. وكان لغاتس لائحة من عدة مواضيع يريد طرحها عليه، وكان كايبي صافياً يعطي تعليقات قصيرة أو يتنتم كلها انتقل غاتس من بند إلى بند آخر من بنود اللائحة.

قال كايبي: «لقد حان الوقت لكي أحيّد من الطريق»، ثم حرّك ذراعيه في الهواء وقال: «أخلق فراغاً».

في اليوم التالي رتب غاتس زيارة لدونالد ريغان وميز إلى المستشفى. لم يستطع كايبي الكتابة ولذلك وقعت عنه صوفيا كتاب الاستقالة. لقد خدم ست سنوات ويوماً واحداً. أما أنا(*) فقد أخذت لائحة من الأسئلة الدائمة والمتراكمة وذهبت إلى مستشفى جورج تاون. كانت الطلج الكثيفة قد غمرت واشطن بشكل غير عادي، وكان السير خفيفاً. لم يكن على أن انتظر طويلاً في الردهة وسرعان ما رأيت أحد حراس وكالة المخابرات المركزية ومعه جهاز واكي توكي، وقد سار في عمر طويل ثم انحرف يساراً إلى جناح جديد واستقل المصعد وتوقف في الطابق السادس. عندها صعدت إلى الطابق السادس. وكان هناك أربعة حراس في غرفة صغيرة يشاهدون التلفزيون بعد الظهر.

كان كايبي في الغرفة ٢٦٣١٦ ومسجلاً تحت اسم مستعار «لاسي» وكان الباب مغلقاً. بعدما عرفت عن نفسي رفض الحارس الوحيد أن يدعني أدخل.

في كل مرة كنت أقابل فيها كايبي في السنوات الثلاث الماضية كنت أكتب أسئلتي على أوراق صفراء والألوان لدي رزمة سمكة من أوراق قديمة. بعض الأسئلة سألته وأجاب عنها كايبي وتحققت منها في أماكن أخرى. والآن زاد فضولي. أمضيت بضع ساعات أراجع ما يمكنني أن أسأل عنه، وحاولت أن أكثف ذلك كله وأختصره إلى صفحة واحدة. هناك أسئلة هامة لم يجب عنها كايبي. لقد بدا واضحاً كيف كان هذا الرجل متفوقاً بالنسبة إلى تطلعات الإدارة. وكانت فتاعات كايبي وإخلاصه وولاؤه القوي وراء عملية الكونترا ومبادرة إيران

وعدد من الإجراءات والعلاقات السرية. كان طموحه يهدف إلى أن يثبت أنَّ هذه البلاد بإمكانها أن تفعل هذه الأشياء. وقد اهتم بالأعمال الخفية ونفذها بسرية. كان ذلك نوعاً من حب الوطن وإظهاراً للإرادة القوية للأبناء.

قال مرة لأحد مساعديه: «نستطيع أن نربح». كان يشعر بأن إنجازاته الكبير هو منع أميركا الوسطى من أن تصبح شيوعية، وهذا يشبه ما حققته أميركا بعد الحرب العالمية الثانية بتخليص أوروبا الغربية من الشيوعية. قالت لي صوفيا مرة في حديث هاتفي: «ولد بيل وهو وطني بقلبه ويعقله» هل كان كذلك؟ هل كان ذلك ما سعى إليه؟ بلده بأي ثمن؟ ما الثمن الذي دفعه؟ الآن وقد شارفت اللعبة على الانتهاء أدركت أنني لا أستطيع أن أهرب من الحكم. لقد تجنبته ذلك بحذر خلال الثلاث سنوات ونصف التي عرفته فيها. كان ذلك أسهل بالنسبة إلي. ولبعض الأسباب فقد كنت شريكه في حفظ بعض الأسرار. وكنا نهجس كلانا بالأسرار كل بطريقة مختلفة عن طريقة الآخر. ما كانت هذه الأسرار؟ وما كانت قمتها؟ وما كان نفعها؟

في السنة الفاتحة أخبرني كايبي أنَّه قرأ مراجعة كنت قد أعدتها حول كتاب جون لوكاريه «جاسوس مثالي». قال أنَّه وافق على تفسيره لوجهة نظر لوكاريه حول التجسس وهو أنَّه كلما كان التجسس أفضل كان الخداع أفضل. لقد اقتطعت له أحد سطوري المحبة من الكتاب: «في أية عملية هناك فوق الخط وتحت الخط. أما فوق الخط فهو ما فعله بواسطة الكتاب وأما تحت الخط فهو كيف تمارس وظيفتك عملياً. أخذها كايبي بنظرة حادة وشاحية. كان يفكر بعيداً. سألت: قيمَ يفكر؟ لا جواب، هل يوافق على هذا؟ لا شيء.

كان كايبي شخصية جذابة بالنسبة إلي لأنه كان مفيداً ولأنه لم يتجنب المواجهة أبداً. يمكن أن يصرخ ويحتدى ويهدد ولكنه لا يقطع الحوار ولا العلاقة.

في العام ١٩٨٥ عندما كشفنا عن فرق الضرب الخفية المخصصة لضرب الإرهابيين، قال لي: «ربما تكون هناك دماء على يديك». وهكذا كان. علمت فيها بعد عن الدور الذي كان لكايبي في السيرة المخففة في ضاحية بيروت والتي تسببت بقتل ٨٠ شخصاً على الأقل معظمهم من الأيرباء.

كيف يمكنه أن يسوي ذلك؟ تخيلت وتاملت أنه يشعر بأزمة أخلاقية. كيف لا يشعر؟ لقد كان رقيقاً جداً حتى أنَّه لم يرَّ أنه هو والبيت الأبيض قد خرقا القوانين. إنَّه كايبي الذي كانت الدماء على يديه.

الأسئلة المطروحة حول مؤسسات البيت الأبيض ووكالة المخابرات المركزية والكونغرس والأعمال الخفية وسلطة شن الحرب والتلفيق الخفيف سوف تتعرض لها التحقيقات. أما أنا فقد عدتُ إلى السؤال عن المسؤولية الشخصية، مسؤولية كايبي. الأحداث والانكشافات لن تبعده عن الصنارة، ولكن ربما يجعله يعلق فيها بشكل ثابت.

في بعض اللحظات كنت أمل أن يخرج من الصنارة. وكانت الطريقة الوحيدة هي الإقرار بنوع من الاعتذار لزملائه. ونحت آخر سؤال من «أسئلة هامة لم يجب عليها كايبي» كتبت: هل ترى الآن أن ذلك كان خطأ؟

بعد عدة أيام عدت إلى غرفة كايبي في المستشفى وكان الباب مفتوحاً. كانت آثار الجراح من العملية الجراحية التي أجريت في الدماغ قد بدأت تنشف. سألت كايبي كيف صارت أحواله. بثت عيناه إشعاعاً من الأمل وقال: «أفضل... لا». أخذت يده لأصافحها فقبض على يدي وضغط عليها، وساد السلام وتور الشمس في الغرفة لبعض الوقت.

سألني: «هل انتهيت؟» وهو يقصد الكتاب.

قلت إنني لم أنته بعد، كانت هناك أسئلة عديدة، لم أئين كل أعماله بعد.

حرك الجانب الأيسر من فمه يبعده وإتسم قليلاً ونحتم.

قلت: انظر إلى المشاكل التي سببتها. كل الإدارة الآن تحت التحقيق. لم يظهر في أنه سمع، ولذلك أعدت كلامي، وفي لحظة نظر بعجز ورفع رأسه وقال: «إنها تؤذي». وفكرت في أنه يتألم جسدياً.

قلت: ماذا تؤذي يا سيدي؟

قال: أوه، ثم توقف، ثم تكلم فجأة وقال كما قال كلمته عن الالتهاب: ماذا لا تعرف؟ في النهاية أدركت أن المخفف هو الأعظم. بدا وكأنه يقول إن مجهولاً كان يتحكم بالسلطة. لم يكن سهل الانقياد حتى في نهاية حياته، وكان يعرف ذلك. قال: - «أنا راحل». قلت: لا.

ثم قلت: كنت تعلم أليس كذلك؟ إن تحويل الأموال للكوترا كان السؤال الأول. كنت تعلم كل ذلك.

هز رأسه بصعوبة وحقق بي وهز رأسه، أخيراً وقال: نعم.

سألته: لماذا؟

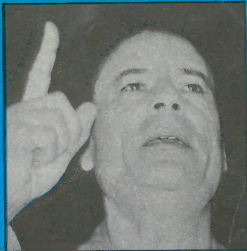
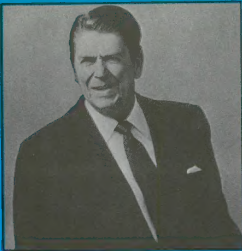
قال: «أنا اعتقدت»

- ماذا؟

- «أنا اعتقدت».

ثم نام ولم أستطع أن أسأله أي سؤال آخر.

بعد أسابيع أخذته صوفياً إلى منزله ولكن سرعان ما عاد إلى المستشفى. وأخيراً أخذته إلى ماينول ليموت هناك. تعرض لالتهاب في الرئتين ونقل للمعالجة في لونغ أيلاند. وهناك في 6 أيار/مايو وبعد يوم واحد من بدء الكونجرس باستجواباته العلنية حول قضية إيران - الكوترا توفي كايبي.



هذا الكتاب

يعرض خفائاً وأسرار معظم عمليات وكالة المخابرات المركزية الأميركية من أواخر عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٧. ويستند في عرضه إلى وثائق ومستندات ومقابلات أجراها المؤلف تكشف أسراراً تتعلق بأخطر الحروب الخفية في العالم [حرب المخابرات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي؛ حرب وكالة المخابرات المركزية ضد نيكارغوا، وليبيا التي تحولت حرباً شخصية بين الزعيم الليبي والرئيس الأمريكي].

وفي الكتاب عرض للأساليب العجيبة التي تتبعها وكالة المخابرات الأميركية، ومعلومات هامة عن الاجتياح الاسرائيلي للبنان، وتفجير السفارة الأميركية ومقر قيادة مشاة البحرية الأميركية في بيروت.. وعن نشاطات الوكالة في دول الهند الصينية وأفغانستان، كما يعرض للعمليات التي نفذتها الوكالة لتأمين الحياة الشخصية لرؤساء الدول الصديقة، والتي تشمل تقديم التجهيزات المعقدة وتدريب العناصر المولجة بالحماية، ويعرض للجانب التكنولوجي الأمريكي في التجسس؛ خصوصاً استخدام الأقمار الاصطناعية المتطورة وأجهزة التنصت واستراق السمع الدقيقة وأجهزة الالتقاط.

